الدرة الفردة شرح قصيدة البردة

المجلد الثاني

من إفادات

صاحب الفضيلة المفتي رضاء الحق حفظه الله تعالى

شيخ الحديث والمفتي بدار العلوم/زكريا ، جَنوب إفريقيا

ترتيب وتحقيق

المفتي أويس بن مولانا يعقوب البنجابي الكودهروي

خريج دارالعلوزكريا/جنوب إفريقيا،و أستاذ الجامعة الإسلامية دابيل/ كجرات، الهند

مراجعة وإكمال

مولانا محمد عثمان البستوي

خريج دارالعلوم/ديوبند، وأستاذ بدار العلوم زكريا /جَنوب إفريقيا

نقله إلى العربية

الأستاذ/ محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري

أستاذ بدارالعلوم/ديوبند، الهند/ مساعد تحرير مجلة «الداعي»

الناشر

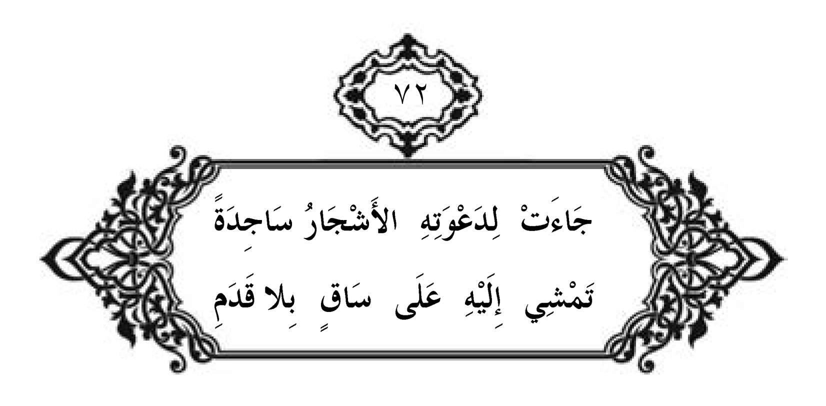
دار العلوم زكريا، لينيشيا،جَنوب إفريقيا

اسم الكتاب : الدرة الفردة شرح قصيدة البردة
المجلد : الثاني
من إفادات : صاحب الفضيلة المفتي رضاء الحق حفظه الله تعالى
ترتيب وتحقيق : أويس بن مولانا يعقوب البنجابي الكودهروي
مراجعة وإكمال : محمد عثمان البستوي
نقله إلى العربية : الأستاذ/ محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري
عدد الصفحات : ٨١١
عام الطباعة : ٢٠١٩م
الطبعة : الأولى
الناشر : دارالعلوم زكريا،لينيشيا،جَنوب إفريقيا

الفصل الخامس

في ذكر يمن دعوته ﷺ





اللغة:

جاءت: جاء (ض) جيئا ومجيئا وجيئة: قدم. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ (سبأ: ٤٩)

يقال: جاءه، وجاء إليه.

جاء بالشيء: أتى به، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام: ١٦٠)

أجاء: أتى به. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ (مريم: ٢٣)

جيئة: نوع المجيء/ هيئة المجيء، نحو: جئت جيئةً مباركةً.

لدعوته: دعوة: الطلب، الطلب إلى الطعام. دِعوة: ادعاء النسب. دُعوة: النداء إلى الحرب. سبق تحقيق كلمة الدعاء في البيت رقم: ٣٣.

لدعوته: اللام تحتمل وجهين:

١- لأجل دعوته، كما في قوله تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم: ٢٨)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ (الملك: ٢)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ (المائدة: ٦٤)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا﴾ (غافر: ٧٩)

٢- وقت دعوته: فاللام لبيان الوقت، نحو: آتيك لطلوع الشمس، أي: وقت طلوعها. كتبه لخمس بقين من رمضان. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ (الإسراء:٧٨)، و قَالَ تَعَالَى: ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ (ص: ٥٣)، و قَالَ تَعَالَى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ (الطلاق: ١)

ويتفرع عليه مسألة فقهية، فاللام في (لعدتهن) لام التوقيت عند الشوافع، والمعنى: في

وقت عدتهن (أي طلقوا النساء في وقت يصلح أن يكون عدة لهن). ومن المتعين أن الطلاق يوقع في الطهر، لا الحيض، فعلم أن عدة المرأة هي الطهر، لا الحيض.

وقال الأحناف: ليست اللام للوقت، وقرئ في رواية صحيحة:(فطلقوهن في قبل عدتهن)، فعلم أن عدة المرأة هي الحيض، فإذا طلق في الطهر قبل الحيض، فكان طلاقا قبل العدة. علاوة على ذلك العدة على نوعين في الحقيقة:

١- عدة التطليق، وهو الطهر، ويطلق عليها عدة الرجال.

٢- عدة استبراء الرحم، وهو الحيض، ويطلق عليها عدة النساء.

ولا نعلم حديثا (صحيحًا أو ضعيفًا) يفيد أن العدة بالطهر، وأما العدة بالحيض فقد ورد في غير واحد من الأحاديث. (راجع: فتاوى دارالعلوم زكريا ٤/٢٨٨-٣١٦)

الأشجار: شجر (ن) شجورا: اختلفوا فيما بينهم. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (النساء: ٦٥)

شجرت المسألة: اختلفوا فيما بينهم. شجر الشيء: عقده. شجر (س) شَجَرًا: كثر جمعه. أشجرت الأرض: كثرت أشجاره. شاجَرَ: تنازعوا.

الشجرة: نَبَات يقوم على سَاق صلبة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ (إبراهيم: ٢٤)

النبات على ثلاثة أقسام:

١- الشجر: ما قام على ساق وطال في الفضاء.

٢- النبات: ما ليس له ساق، وله بذر، نحو: الكلأ.

٣- النجم: ما خرج من غير بذر، وانتشر في الأرض، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ (الرحمن: ٦)

كما أن ضوء النجم ينتشر، كذلك تنتشر أغصان النبات، فسمي بالنجم.

ساجدة: سجد (ن) سُجُودًا: وضع الجبهة على الأرض، والانحناء تواضعا تضرعا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴾ (النجم: ٦٢)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الرعد: ١٥)

سجد (س) سجدا: ورمت قدمه.

تمشي: مشى (ض) مَشيا: انطلق، وانتقل بإرادته من مكان إلى آخر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ (القصص: ٢٥)، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ (لقمان: ١٩)

مشى بالنميمة: اغتاب. أمشى فلان: كان ذا أنعام كثيرة.

أمشى الرجلَ: مشَّاه.ماشا مماشاة: سار معه.

ساق: ساق(ن) المريض سوقا وسياقا وسياقة: شرع في نزع الرّوح.

ساق الشيء: أرسله، وبعثه، ووجهه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾ (السجدة: ٢٧)، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (الزمر: ٧٣)

ساق الدابة:حثه من خلفه. ساق السيارة: قادها.

سوق (س) سَوَقا: عظمت سَاقه وطالت وَحسنت مع غلظ.

الساق: ١- ما بين الرّكْبَة والقدم، والرجل. ٢- ما بين أصْلها إلى متشعب فروعها وأغْصانها، ج: سوق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ (الفتح:٢٩) ٣- يكنى عن الروح. ٤- شدة الأمر/وهوله. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ (القلم: ٤٢)

قدم: ما يمشي به المرء، وسبق تحقيقه في البيت رقم: ٢٩.

الإعراب:

لدعوته: الجار مع المجرور متعلق بـــ(جاءت). ساجدة: حال من الأشجار.

تمشي: ١- حال ثانية من الأشجار.

٢- حال من ضمير (ساجدة)، فهي حال متداخلة.

ومن أمثلة الحال المتداخلة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَ﴾ (الملك: ١٩)، فقوله: (فَوۡقَهُمۡ)حال، وقوله (صَٰٓفَّٰتٖ)حال من الضمير في (كائنات فوقهم).

مثال آخر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ﴾ (إبراهيم: ٤٣)

على ساق: متعلق بـــ(تمشي).

بلا قدم: (١) صفة لـــ (ساق). (٢) متعلق بـــ (تمشي). (٣) حال من (ساق).

دعوته، إليه: الضمير فيهما يعود على النبي صلى الله عليه وسلم.

الشرح:

أعقب معجزة تسبيح الحصى بذكر معجزة سجود الأشجار. والمعجزتان على صلة بالجمادات.

تلبية الأشجار نداء النبي صلى الله عليه وسلم معجزة عظمى، والحق أن هذه القصة الواحدة تتضمن عددا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) فهم الأشجار خطابه صلى الله عليه وسلم.

(٢) تحركها.

(٣) طاعتها له، وقدومها إليه.

(٤) إرادتها.

(٥) مشيها.

(٦) مشت إليه دون غيره.

(٧) تواضعها له صلى الله عليه وسلم.

تمشي: وفي نسخة (تسعى) والمعنى واحد.

ساجدة: وفي نسخة (طائعة)، والمعنى يكاد يكون واحدا.

ساق بلا قدم: بما أن الساق لها قدم غالبا، و بالقدم نمشي، ولكن حصل هنا المشي بلا قدم، فصرح به هنا.

ساجدة: أي: واضعة رؤوس الأغصان. والمراد بالسجود الانحناء تذللا كما قيل في قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي﴾ (آل عمران: ٤٣): المراد به التذلل الظاهري لا السجود الشرعي، والمصطلح عليه، الذي يقوم به الإنسان لله تعالى.

تعريف السجدة: غاية التذلل مع الله تعالى بوضع الجبهة على الأرض. أي يضع الإنسان أشرف أعضائه على الأرض لله سبحانه وتعالى.

السجدة: وضع الجبهة على الأرض مع وضع إحدى اليدين والركبتين ووضع القدمين على الأرض ولو كان لحةً أو ما يقوم مقام الأرض.

والسجدة أفضل أركان الصلاة: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».(صحيح مسلم، رقم :٤٨٢)

أقسام السجود:

(١) السجدة الصلاتية/ الصلبية: فالسجود ركن من أركان الصلاة لا تتم إلا به.

(٢) سجدة التلاوة: يجب السجود في أربعة عشر موضعًا على نهاية الآية من القرآن الكريم.

(٣) سجدة السهو: تجب سجدتان إذا نسي واجبا أو أكثر ليتداركه.

(٤) السجود شكرًا لله تعالى على نعمة أو بشارة.

وصِفَته هي صفة سجود السهو. ويستحب على المفتي به من الأقوال، إلا أنه يجب الحذر من إتيانه بعد الفريضة مخافة أن يراه الناس من أجزاء الصلاة أو سنة من السنن. (رد المحتار ٢/١١٩-١٢٠)

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بُشِّر بشيء سجد.

- استجيبت دعوته صلى الله عليه وسلم في أمته، فسجد ثلاث مرات. (سنن أبي داود، رقم: ٣٧٧٥)
- سجد حين أسلمت قبيلة همدان.
- علم أن رحمة الله تعالى تنْزل على من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسَجَد على هذه البشارة.
- سجد حين رأى مُقْعَدًا.
- سجد أبو بكر حين بلغه انتصار المسلمين في اليمامة.(السنن الكبرى للبيهقي ٢/٣٦٩-٣٧١)

(٥) سجود الإنابة: يكره السجود عقب الصلاة مباشرة. (رد المحتار ٢/١٢٠)

تقسيم آخر للسجود:

(١) سجدة العبادة.

(٢) سجدة التحية/ التعظيم. للشيخ المفتي محمد شفيع رحمه الله رسالة موجزة ضمن رسائله تخص سجود التحية وأحكامه، سماها: «المقالة الرضية في حكم سجدة التحية»، طبعت أولا مع فتاوى (إمداد المفتين)، ثم ضمت إلى الرسائل.(راجع: جواهر الفقه، ج١)

السجود لأحد بصفته متصرفا وعالما للغيب يعَدُّ عبادة، فهذا السجود إذا كان لغير

الله تعالى كان كفرا، وأما السجود لأحد إكراما أو تعظيما له، فهو سجود التحية، ويحرم لغير الله تعالى، وليس كفرا.

جاءت لدعوته الأشجار:

طاعة الأشجار للنبي صلى الله عليه وسلم:

وردت عدة قصص من هذا النوع، منها:

(١) عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أين تريد»؟ قال: إلى أهلي، قال: «هل لك في خير؟» قال: وما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله»، فقال: ومن يشهد على ما تقول؟ قال: «هذه السّلَمَة»، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخدُّ الأرض خدًّا حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثا، فشهدت ثلاثا أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه، وقال: إن اتبعوني أتيتك بهم، وإلا رجعتُ، فكنتُ معك». (سنن الدارمي، رقم:١٦. ومثله في: صحيح ابن حبان، رقم:٦٥٠٥. المعجم الكبير للطبراني ١٣٥٨٢/٤٣١/١٢. قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، و رواه أبو يعلى أيضًا والبزار. (مجمع الزوائد٨/٥١٧)

(٢) عن بريدة، قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله قد أسلمت فأرني شيئا أزدد به يقينًا. فقال: ما الذي تريد؟ قال: ادع تلك الشجرة أن تأتيك قال: اذهب فادعها فأتاها الأعرابي فقال: أجيبي رسول الله، قال: فمالت على جانب من جوانبها فقطعت عروقها ثم مالت على الجانب الآخر فقطعت عروقها حتى أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: السلام عليك يا رسول الله، فقال الأعرابي: حسبي حسبي، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: ارجعي. فرجعت فجلست على عروقها وفروعها....إلى آخر القصة. (دلائل النبوة لأبي نعيم، رقم:٢٩١، وذكره السيوطي فقال: أخرج البزار وأبو نعيم عن بريدة رضي الله عنه. والخصائص الكبرى (٥٩/٢)، وينظر: شرح الشمائل للملا علي القاري ٨٣/٣)

(٣) حزن النبي صلى الله عليه وسلم ذات مرة لأذى الكفار، فنَزل جبريل يعزيه، فقال: ادع الشجرة الفلانية، تجبك. فكان كذلك. فتعزى به النبي صلى الله عليه وسلم.

عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالحجون فرد عليه المشركون فقال: «اللهم أرني آية اليوم لا أبالي من كذبني بعدها» فأتي، فقيل له: ادع شجرة، فدعا شجرة، فأقبلت تخط الأرض حتى انتهت إليه فسلمت عليه، ثم أمرها فرجعت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أبالي من كذبني بعدها من قومي». (مسند البزار، رقم:٣١٠. دلائل النبوة للبيهقي ٦/١٣-١٤. وفي الشفا: إن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا. (شرح الشفا للملا علي القاري ٣/٩٤-٩٨، قال الهيثمي: رواه البزار وأبو يعلى، وإسناد أبي يعلى حسن. (مجمع الزوائد٨/٥٦٧).

(٤) ورد في حديث طويل عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر شجرتين بأن تصحباه ليستتر لحاجته في رحلة من الرحلات، فمشتا وراءه كالجمل الطائع:

«سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديًا أَفْيَحَ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته، فأتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «انقادي عليَّ بإذن الله» فانقادت معه كالبعير المخشوش، الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «انقادي عليَّ بإذن الله» فانقادت معه كذلك،... فقال: «التئما عليَّ بإذن الله» فالتأمتا».(صحيح مسلم، رقم:٣٠١٢)

(٥) ولدى قفو له من حجة الوداع احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستتر ليقضي حاجته، فقال لأسامة: قل لهذه الأشجار: التئمي. فالتأمن.

أخرج البيهقي بسنده عن أسامة بن زيد: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته التي حجها،... فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجته انصرف حتى إذا نزل بطن الروحاء ... فقال: «هل ترى من شجر أو حجارة؟» قال: قلت: قد رأيت نخلات متقاربات ورجما من حجارة. قال: «انطلق إلى النخلات، فقل لهن: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تدانين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقل للحجارة مثل ذلك». قال: فأتيتهن فقلت لهن ذاك، فوالذي بعثك بالحق نبيا

لقد جعلت أنظر إلى النخلات يخددن الأرض خدا حتى اجتمعن وأنظر إلى الحجارة، يتقافزن حتى صِرنَ رجما خلف النخلات، فأتيته فقلت ذاك له. قال: خذ الإدواة وانطلق، فلما قضى حاجته وانصرف قال: يا أُسَيم، عُد إلى النخلات والحجارة، فقل لهن: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن ترجعن إلى مواضعكن».(دلائل النبوة للبيهقي ٢٥/٦-٢٦. الخصائص الكبرى ٥٧/٢. شرح الشفا ٨٨/٣)

(٦) صحب يعلي بن سيابة رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فحدث له مثل ذلك. (مسند أحمد، رقم:١٧٥٥٩. ورواه ابن ماجه عن يعلى بن مرة عن أبيه.(رقم: ٣٣٩، باب الارتياد للغائط والبول. وينظر: شرح الشفا للملا علي القاري ٨٩/٣-٩٠)

(٧) وحدث مثل ذلك لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه في سفر غزوة الحنين. (المعجم الكبير للطبراني ٧٩/١٠. مسند البزار، رقم:١٤٦٣. شرح الشفا للملا علي القاري ٩٠/٣).

(٨) حدث مثل ذلك لغيلان بن سلمة الثقفي رضي الله عنه. (تاريخ مدينة دمشق ١٣٤/٤٨. شرح الشفا ٩٠/٣. كنْز العمال ٣٧٣/١٢)

سرد القاضي عياض عددا من أمثال هذه القصص، ثم قال: « فهذا ابنُ عمرَ وبرَيدةُ وجابرٌ وابنُ مسعودٍ ويعلى بن مرّة وأسامة بن زيد وأنس بن مالك وعلي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتّفقوا على هذه القصّة نفسها أو معناها ورواها عنهم من التّابعين أضعافهم فصارت في انتشارها من القوّة حيث هي».(شرح الشفا٩٢/٣-٩٣. للاستزادة منه راجع: تاريخ مدينة دمشق ٣٦٢/٤-٣٧٤. شرح الشفا للملا علي القاري ٧٩/٣-٩٨. شرح الشفا للخفاجي ٥٤/٣-٥٧)

الأشجار:

إيراد: قال في البيت (الأشجار) بالجمع مع أنه لم يجئ بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلا شجرة أو شجرتان؟

الجواب (١): تعددت قصص مجيء الأشجار.

(٢) جمعها لضرورة الشعر.

(٣) المراد بالأشجار ما فوق الواحد، «الاثنان فما فوقهما جماعة».

يتصف الحيوان والجماد بالشعور:

إيراد: الشجر لا حياة فيه، فيستحيل عليه عقلا فهم خطاب النبي صلى الله عليه وسلم، وطاعته فضلا عن إجابته حين دعوته له، فكيف صح ذلك ؟

الجواب: ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الحيوانات والجمادات فيها روح وحياة، وتحمل نوعا خاصا من الشعور والإدراك، لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى، كما صرح به الإمام القرطبي والعلامة البغوي والحافظ ابن كثير. ولذا ذكر القرآن الكريم في مواضع كثيرة تسبيح الحيوانات والجمادات وحمدها وصلاتها.(معارف القرآن للشيخ إدريس الكاندهلوي ٢٠/١)

ونسوق فيما يلي الأدلة بالإيجاز:

الآيات الكريمة:

١ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾ (الإسراء: ٤٤)

٢ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥ ﴾ (النور: ٤١)

٣ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ٧٤)

٤ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (الحج: ١٨)

٥ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (النحل: ٤٩)

٦ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا ﴾ (النحل: ٦٨)

٧ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾ (الرحمن: ٦)

٨ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ (فصلت: ٢١)

٩ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥ ﴾ (الزلزلة)

١٠ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَ ﴾ (الأنبياء: ٧٩)

١١ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴾ (ص: ١٨)

١٢ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ

مِنْهَا ﴾ (الأحزاب: ٧٢)

١٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (فصلت: ١١)

١٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (الحشر: ٢١)

١٥- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ ﴾ (النمل: ١٨)

١٦- قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (النمل: ٢٢) قال بعض العلماء: للهدهد في هذه القصة عشر أفعال كأفعال العقلاء.

١٧- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ (الرعد: ١٣)

١٨- قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ (ق: ٣٠)

١٩- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ﴾ (هود: ٤٤)

٢٠- قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ (الدخان: ٢٩)

٢١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ (مريم: ٩٠)

ذكر فهم الحيوانات والجمادات وإدراكها في الأحاديث والآثار:

تذكر أحاديث لا تحصى فهم الحيوانات والجمادات وإدراكها، ولا يسعنا استقصاؤها، ونسوق بعضها من غير ترتيب خاص:

(١) كلام البقر والذئب:

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس، فقال: «بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث» فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم، فقال: «فإني أومن بهذا، أنا وأبو بكر، وعمر،- وما هما ثم - وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب، فذهب منها بشاة، فطلب حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب هذا: استنقذتها مني، فمن لها يوم السبُع، يوم لا راعي لها غيري». فقال الناس: ذئب يتكلم! قال: «فإني مؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر،- وما هما ثمة -».(صحيح البخاري، رقم: ٣٤٧١. صحيح مسلم،

رقم:٢٣٨٨).

وفي بعض الروايات سيقت هذه القصة بأوسع منها، وبأسلوب آخر، وبالتالي إسلام رجل من الناس.

(٢) شهادة كل شيء في حق المؤذن:

عن أبي سعيد رضي الله عنه: «... فإنه: لا يسمع مدى صوت المؤذن، جن ولا إنس ولا شيء، إلا شهد له يوم القيامة»، قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم».(صحيح البخاري، رقم:٦٠٩)

(٣) ضربه صلى الله عليه وسلم برجله جبل أحدٍ، وثبوته:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله، قال: «اثبت أحد فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيدان».(صحيح البخاري، رقم:٣٦٨٦)

(٤) حب جبل أحد النبي صلى الله عليه وسلم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، طلع له أحُد فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه».(صحيح البخاري، رقم:٣٣٦٧. صحيح مسلم، رقم:١٣٩٣)

(٥) تلبية كل شيء بتلبية المسلم:

يلبي المسلم فيلبي كل شيء حوله:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يلبي إلا لبى من عن يمينه، أو عن شماله من حجر، أو شجر، أو مدر، حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا». (سنن الترمذي، رقم:٨٢٨)

(٦) استراحة كل شيء بموت الكافر:

عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري، أنه كان يحدث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة، فقال: «مستريح ومستراح منه» قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟ قال: «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد

الفاجر يستريح منه العباد والبلاد، والشجر والدواب».(صحيح البخاري، رقم:٦٥١٢. صحيح مسلم، رقم:٩٥٠)

(٧) تسبيح الطعام:

سمع الصحابة رضي الله عنهم تسبيح الطعام، فعن عبد الله رضي الله عنه قال: «ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل». (صحيح البخاري، رقم:٣٥٧٩)

(٨) تسبيح الماء:

في الدر المنثور برواية النسائي وابن مردويه: قال عبد الله رضي الله عنه: «كنا نسمع صوت الماء وتسبيحه وهو يُشرب».(الدر المنثوره/٢٩٤)

(٩) بكاء أسطوانة الحنانة –التي لاحياة فيها– على فراق رسول الله ﷺ:

بكت أسطوانة الحنانة – التي لا حياة فيها– على فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمعه من حضره:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم: كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرا؟ قال: «إن شئتم»، فجعلوا له منبرا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمه إليه، تئن أنين الصبي الذي يسكن. قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها. (صحيح البخاري، رقم:٣٥٨٤)

ولله در القائل:

كيف ترقَى رُقِيَّك الأولياءُ ۞ يا سماء ما طاوَلَتْها سماءُ
إنما مثَّلوا صفاتك للناس ۞ كما مَثَّل النجومَ الماءُ
حنَّ جذع إليك وهوجماد ۞ فعجيب أن يجمد الأحياء

ويقول العلامة الرومي:

استنِ حنانه از ہجرِ رسول ۞ نالہ میزد ہمچو اربابِ عقول
فلسفی گو منکرِ حنانہ شد ۞ از علومِ انبیاء بے گانہ شد

(لقد صاحت أسطوانة الحنانة على فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العقلاء، وإن أنكر الفلسفي صياح حنانة، فإنه في غفلة عن علوم الأنبياء).

(١٠) سلام الحجر على الرسول صلى الله عليه وسلم:

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن».(صحيح مسلم، رقم:٢٢٧٧)

(١١) تسليم الشجر على النبي صلى الله عليه وسلم:

كان لا يمر النبي صلى الله عليه وسلم بحجر إلا سلم عليه الحجر.

عن علي رضي الله عنه، قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله».

وفي رواية: عن علي رضي الله عنه: «لقد رأيتني أدخل معه يعني النبي صلى الله عليه وسلم الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يارسول الله، وأنا أسمعه». (دلائل النبوة للبيهقي ٢/١٥٤)

(١٢) اشتكاء الجمل إلى النبي صلى الله عليه وسلم إجاعة مالكه إياه:

اشتكى جمل إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن صاحبه يجيعه:

عن عبد الله بن جعفر قال: «... فدخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه (أي العظم الشاخص خلف الأذن) فسكت، فقال: «من رب هذا الجمل...؟»، فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله. فقال: « أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟، فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه».(سنن أبي داود، رقم:٢٥٤٩)

(١٣) اشتكاء جمل إليه كثرة العمل:

عن يعلى بن مرة الثقفي رضي الله عنه: قال: ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله

صلى الله عليه و سلم: بينا نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يسنى عليه (أي يسقى عليه الأرض وغيرها)، فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه، فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: « أين صاحب هذا البعير؟» فجاء، قال: «فإنه شكا كثرة العمل، وقلة العلف، فأحسنوا إليه». (مسند أحمد، رقم:١٧٥٦٥. مسند عبد بن حميد، رقم :٤٠٥)

(١٤) إجابة جمل شرس لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم:

شرس جمل فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه فجاء واضعًا مشفره على الأرض، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم خطامه:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر، حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار، إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شد عليه، قال: فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فجاء حتى أتى الحائط، فدعا البعير، فجاء واضعا مشفره على الأرض، حتى برك بين يديه، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هاتوا خطامه»، فخطمه، ودفعه إلى صاحبه، قال: ثم التفت إلى الناس، قال: «ما بين السماء والأرض أحد إلا يعلم أني رسول الله، إلا عاصي الجن والإنس». (مسند عبد بن حميد، رقم: ١١٢٢. سنن الدارمي، رقم:١٨. مسند أحمد، رقم:١٤٣٣٣)

(١٥) إخبار الحجر باختفاء اليهودي:

لا يختفي اليهودي قرب قيام الساعة وراء حجر إلا أخبر المسلم به.

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود».(صحيح مسلم، رقم:٢٩٢٢)

(١٦) مخافة كل شيء – عدا الجن والإنس– قيام الساعة يوم الجمعة:

عن أبي هريرة مرفوعا: «... وما من دابة إلا وهي مسيخة يوم الجمعة، من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس».(سنن أبي داود، رقم:١٠٤٦)

(١٧) تقدم الجمال بنفسها إليه صلى الله عليه وسلم ليضحي بهن:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يضحي في حجة الوداع بالإبل، فكانت تتسابق بأيتهن يبدأ:

عن عبد الله بن قرط رضي الله عنه: «...وقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو ست فطفقن يزدلفن عليه بأيتهن يبدأ». (سنن أبي داود، رقم:١٧٦٥)

(١٨) شهادة الضب بنبوته بلسان فصيح:

شهد ضب بنبوته صلى الله عليه وسلم بلسان فصيح، ذكر هذه القصة كتب الحديث والسيرة بالتفصيل، وهي باختصار فيما يلي:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه، إذ جاء رجل أعرابي من بني سليم قد صاد ضبا، وجعله في كمه... فأخرج ضبا من كمه، وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إن آمن بك هذا الضب آمنت بك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ضب»، فتكلم الضب بكلام عربي مبين، يفهمه القوم جميعا: لبيك وسعديك، يا رسول رب العالمين. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تعبد؟» قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عذابه. قال: «فمن أنا، يا ضب؟» قال: أنت رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، قد أفلح من صدقك، وقد خاب من كذبك. فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله حقا...».(المعجم الأوسط للطبراني، رقم:٥٩٩٦. قال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن شيخه محمد بن علي بن الوليد البصري، قلت: وبقية رجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد ٥١٨/٨)، وينظر: دلائل النبوة للبيهقي(٧٣/٦)، وأعلام النبوة للماوردي (١٥٨/١)، والبداية والنهاية (١٦٥/٦)، وتاريخ مدينة دمشق (٣٨٣/٤).

(١٩) ظبية تطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لها إلى أعرابي ليطلق سراحها ليرضع خشفها:

صاد أعرابي ظبية، فقالت الظبية للنبي صلى الله عليه وسلم: اتركني برهة سأعود بعد إرضاع خشفي، فأخذ منه صلى الله عليه وسلم العهد، وتركه، فرجعت بعد قليل، فقال

النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي: أطلق سراحها، فسرحها.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض سكك المدينة، فمررنا بخباء أعرابي فإذا ظبية مشدودة إلى الخباء، فقالت: يا رسول الله، إن هذا الأعرابي صادني ولي خشفان في البرية، وقد تعقد اللبن في أخلافي، فلا هو يذبحني فأستريح، ولا هو يدعني فأذهب إلى خشفي في البرية، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن تركتك ترجعين؟ قالت: نعم... قال زيد بن أرقم رضي الله عنه: فأنا والله رأيتها تسيح في البرية، وتقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله». (دلائل النبوة لأبي نعيم، ص.٣٢٠. ومثله في البداية والنهاية ١٦٣/٦؛ الشفا، ص ٢٣٢)

(٢٠) خضوع البحر لعمر رضي الله عنه:

كتب عمر رضي الله عنه إلى نهر النيل، وأطاعه النهر، وتفاصيل القصة أوردها كتب التاريخ، وحاصل القصة فيما يلي:

«وكتب إلى عمرو رضي الله عنه: إني قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا إليك، فألقِها في النيل. فلما قدم كتابُ عمر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها: «من عبد الله عمر—رضي الله عنه — إلى نيل أهل مصر، أما بعد... فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله عزوجل يجريك فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك. قال: فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم... فلما ألقى البطاقة أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله عزوجل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة، وقطع الله عزوجل تلك السنة السوءَ عن أهل مصر إلى اليوم».(العظمة لأبي الشيخ ١٤٢٥/٤. ومثله في: تاريخ مدينة دمشق ٣٣٧/٤٤. وتفسير ابن كثير ٥١١/٣. وفتوح مصر وأخبارها، ص ١٦٦)

(٢١) دلالة الأسد غير واحد من الصحابة على الطريق:

دل الأسد غير واحد من الصحابة على الطريق، منها قصة سفينة رضي الله عنه الشهيرة، روى الحاكم:

عن محمد بن المنكدر أن سفينة، رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها، فركبت لوحًا من ألواحها فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد فأقبل إليَّ يريدني، فقلت: يا أبا الحارث، أنا مولى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فطأطأ رأسه، وأقبل إليَّ، فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة، ووضعني على الطريق، وهمهم فظننتُ أنه يودعني فكان ذلك آخر عهدي به». (المستدرك للحاكم، رقم:٤٢٣٥، و٦٥٥٠؛ وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم؛ ووافقه الذهبي . والقصة مذكورة أيضًا في المعجم الكبير للطبراني ٨٠/٧؛ ومسند البزار٦٧/٢)

(٢٢) ثبوت الأرض بضرب عمر بدرته:

أصيب الناس بزلزال على عهد عمر رضي الله عنه، فضربها عمر بدرته، وأمرها بالثبوت، فثبتت:

قال إمام الحرمين رحمه الله تعالى في كتابه الشامل: «إن الأرض زلزلت في زمن عمر رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه، والأرض ترجف وترتج، ثم ضربها بالدرة وقال: أقري، ألم أعدل عليك ؟ فاستقرت من وقتها». (طبقات الشافعية الكبرى ٣٢٤/٢)

علاوة على ذلك ثبت كلام الذئب مع أهبان بن أوس وسلمة بن الأكوع ورافع بن عميرة وسفيان بن حرب وصفوان بن أمية وغيرهم، ثم إسلام بعض الناس.

سردنا بعض الأحاديث على سبيل المثال، والقصص التي تدل على اتصاف الحيوانات والجمادات وطاعتها لله تعالى كثيرة لا تحصى؛ بل ورد في بعض الأحاديث أن الحيوان أكثر ذكرًا لله تعالى من البشر.

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مرّ على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اركبوها سالمة ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي، لأحاديثكم في الطرق، والأسواق فرب مركوبة خير من راكبها، هي أكثر ذكرًا لله تعالى منه». (مسند أحمد، رقم:١٥٦٤٦. المعجم الكبير١٩٣/٢٠)

ساق المفسرون في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤) نظائرها ودرسوا ما يخصه. (انظر مثلا: الدر المنثور، وروح المعاني)

ولعل أول آية في هذا المعنى في القرآن الكريم هي قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٧٤) ولذا ساق البعض الأمثلة تحتها.

حديث كلام الضب وشهادته للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة:

الكلام بإيجاز فيما يلي:

(١) قال البيهقي بعد أن ساق الرواية بطولها: «قلت: قد أخرجه شيخنا أبو عبد الله الحافظ في المعجزات بالإجازة عن أبي أحمد بن عدي الحافظ، فقال: كتب إلي أبو عبد الله الحافظ يذكر أن محمد بن علي بن الوليد السلمي حدثهم فذكره، وزاد في آخره: قال أبو أحمد، أنبأنا علي بن محمد السلمي، كان ابن عبد الأعلى يحدث بهذا مقطوعًا، وحدثنا بطوله من أصل كتابه مع رعيف الوَرّاق. قلت: وروي ذلك في حديث عائشة وأبي هريرة، وما ذكرناه هو أمثل الإسناد فيه والله أعلم».(دلائل النبوة٦/٣٨)

(٢) قال الذهبي في ترجمة محمد بن الوليد: «روى أبو بكر البيهقي حديث الضب من طريقه بإسناد ضعيف، ثم قال البيهقي: الحمل فيه على السلمي هذا. قلت: صدق والله البيهقي، فإنه خبر باطل».(ميزان الاعتدال ٣/٦٥١؛ ومثله في لسان الميزان ٥/٢٩٢، و الكشف الحثيث ١/٢٤١؛ مجمع الزوائد ٨/٥١٨؛ والبدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير لابن الملقن ٩/٢٠٣؛ المغني في الضعفاء للذهبي ٢/٦١٦؛ تاريخ مدينة دمشق ٤/٣٨٥)

والحاصل أن كبار المحدثين أمثال العلامة الذهبي والحافظ ابن حجر والحافظ نور الدين الهيثمي والحافظ ابن كثير والعلامة الحلبي، وابن الملقن والحافظ ابن عساكر ساقوا كلام البيهقي هذا، وقالوا: الحمل فيه على السلمي.

ويستظهر منه أن هذا الكلام في دلائل النبوة، لأن هذا: ١- هو محله، وفيه هذه الرواية، وكلام آخر يتعلق به. ٢- تصريح الحافظ ابن عساكر... وساق كلام البيهقي الذي سردناه آنفا من دلائل النبوة للبيهقي، ثم قال: «الحمل فيه على السلمي». فكأن هذا الكلام في نفس المكان. ولكن لا يوجد هذا الكلام في النسخ المطبوعة المتوفرة عندنا لدلائل النبوة للبيهقي. والنسخة المتوفرة عندنا لدلائل النبوة تقع في سبعة مجلدات، بتحقيق الدكتور عبد المعطي القلعي، وحققها بالمقارنة مع مخطوطات لها، جاء على غلافه نص: «ينشر لأول مرة من عشر نسخ خطية». وسرد اختلاف النسخ في مواضع كثيرة. و لم يشر إلى زيادة في النسخ الأخرى في هذا المكان،... فالله تعالى أعلم بهذه العبارة. وربما تسرب التسامح إلى تواصل النقل وإن لم يتوقف حكم الرواية على هذا النص؛ بل يوجد فيه كلام

المحدثين الآخرين:

(٣) عنون الإمام ابن كثير على هذه القصة بـــ: «حديث الضب على ما فيه من النكارة والغرابة». ثم ذكر القصة بطولها من البيهقي.(البداية والنهاية ٦/١٦٥)

(٤) قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الصغير وفي الأوسط عن شيخه محمد بن علي بن الوليد البصري، قال البيهقي: والحمل في هذا الحديث عليه. قلت: وبقية رجاله رجال الصحيح».(مجمع الزوائد ٨/٥١٨)

حاصل الكلام السابق أن محمد بن علي الوليد –أحد رواة الحديث– متكلم فيه. «و روى عنه الإسماعيلي في معجمه، وقال: بصري منكر الحديث».(لسان الميزان٥/٢٩٢؛ ميزان الاعتدال٤/٦٠)

لاشك أن محمد بن علي ضعيف جدا، ولكن اعتبار الحديث موضوعا بمجرده فيه نظر، وخاصة بالنظر إلى أن:

١- هذا الحديث في الفضائل والمناقب.

٢- رواه أئمة المحدثين.

٣- وفوق ذلك: روي من طرق ليس فيها محمد بن علي، مثل حديث عمر، الذي رواه أبو نعيم. ثم إن هذه القصة رويت عن غيره من الأصحاب، منها: حديث علي، الذي رواه ابن عساكر، وحديث ابن عباس، الذي رواه ابن الجوزي.

قال العلامة السيوطي: «وقد زعم ابن دحية أن هذا الحديث موضوع، وكذا الذهبي. قلت: لحديث عمر طريق آخر، ليس فيه محمد بن علي بن الوليد، أخرجه أبو نعيم، وقد ورد أيضًا مثله من حديث علي أخرجه ابن عساكر».(الخصائص الكبرى ٢/١٠١)

وقال العلامة محمد بن يوسف الصالحي في «سبل الهدى» بعد أن ذكر القصة برواية البيهقي ونقل كلام الذهبي فيه: «وقال المزني: لا يصح إسنادًا، ولا متنًا، وبالغ رفيقه ابن تيمية فقال: وضعه قصاص البصرة، ولفظه متبين عليه شواهد الوضع.

قال الحضيريّ: رجال أسانيده وطرقه ليس فيهم من يتّهم بالوضع، وأما الضعف ففيهم، ومثل ذلك لا يتجاسر على دعوى الوضع فيه، ومعجزات النبي صلى الله عليه

وسلم عظيمة فيها ما هو أبلغ من هذا، فليس فيه ما ينكر شرعًا خصوصًا مع رواية الأئمّة له فيها، وهو ضعيف لا ينتهي إلى درجة الوضع». انتهى.

ولحديث عمر طريق آخر ليس فيه السّلميّ، رواه أبو نعيم، وقد ورد أيضًا مثله من حديث عليّ، رواه ابن عساكر ومن حديث ابن عباس رواه ابن الجوزي.(سبل الهدى والرشاد٩/٥٢٠-٥٢١)

۞ **الخلاصة:** هذه الرواية ضعيفة، ولكن يؤيدها روايات ضعيفة أخرى.

حديث كلام الظبية وشهادتها بالرسالة:

رواه أم سلمة، وزيد بن أرقم، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك رضي الله عنهم. والأحاديث الأربعة ضعيفة،وفيها رواة ضعفاء. وليس فيها متهم بالكذب. وهو حديث ضعيف يتأيد بالأحاديث الضعيفة الأخرى.

جريان النيل لعمر:

حاصل الكلام: ثنا عبد الله بن صالح ثنا ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال: لما فتحت مصر...الخ.

هكذا إسناده في كل موضع، والرواة المتكلم فيهم في الحديث هم:

١- عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني المصري أبو صالح كاتب الليث... هو صاحب حديث وعلم، مكثر و له مناكير... وثقه الأكثرون، وطعن فيه البعض؛ لأنه تغير في آخر عمره. (راجع ميزان الاعتدال ٤/١٢١-١٢٥)

٢- عبد الله بن لهيعة ضعيف. قال بعض الناس في ابن لهيعة: ما رواه عنه العبادلة الأربعة (ابن وهب، ابن المبارك، ابن يزيد، ابن مسلمة) فحديث صحيح. وهذا الحديث رواه عنه عبد الله بن صالح، وليس من العبادلة الأربعة. فهذا الحديث ضعيف.

قال الذهبي: «قال ابن حبان: وكان أصحابنا يقولون: سماع من سمع منه قبل احتراق كتبه مثل العبادلة: عبد الله بن وهب، وابن المبارك، وعبد الله بن يزيد المقري، وعبد الله بن مسلمة بن القعنبي، فسماعهم صحيح».(ميزان الاعتدال ٣/١٩٦)، ويعد بعض النقاد ابن لهيعة ضعيفًا من غير قيد.

٣- لا يعرف الراوي عن قيس بن الحجاج. و(عمن حدثه) مبهم. فالسند ضعيف،

وفيه مبهم.

وهذا الحديث يخص الكرامات، فذكره غير واحد من العلماء المحققين والمحدثين، و لم يخضعوه لقواعد الجرح والتعديل. (راجع: البداية والنهاية ١٥/٧؛ تفسير ابن كثير ٥١١/٣؛ كرامات الأولياء للالكائي ١٢٠/١؛ تاريخ الخلفاء،ص١١٣؛ فتوح الشام المنسوب إلى الواقدي ٦٢/٢؛ فتوح مصر لابن عبد الحكم، ص١٥٠؛ الرياض النضرة لمناقب العشر، ص٣٢٧؛ مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي، ص١٧٣؛ معجم البلدان ٣٣٥/٥؛ كنْز العمال٥٦٠/١٢)

قال الشيخ الملا علي القاري في «فرائد القلائد في تخريج أحاديث شرح العقائد»: والقصة شهيرة أخرجها أبو الشيخ ابن حيان في كتابه «العظمة» بسند فيه مبهم. (فرائد القلائد، ص ٧٨). وهكذا قال السيوطي في تخريج أحاديث شرح العقائد، ورسالته على هامش: شرح العقائد النسفية بتحقيق الشيخ محمد عدنان، ص ٢٢٦).

وقال الشيخ وحيد الزمان في «أحسن الفوائد في تخريج أحاديث شرح العقائد»: أقول: هي مشهورة رواها الإمام المستغفري بإسناده. ثم نقل كلام القاري المذكور آنفا». (شرح العقائد النسفية، ص٢١٤)

تنبيه على نص من نصوص مرقاة المفاتيح:

ساق هذا الحديث في مناقب عمر في مرقاة المفاتيح، ثم قال: «عن قيس بن الحجاج عن جدته»، هكذا في النسخ المطبوعة. (مرقاة المفاتيح ٣١١/١١، ط: المكتبة الإمدادية، نسخة قديمة، ومرقاة المفاتيح ٣٩٠٩/٩، ط: دارالفكر، نسخة جديدة) وليس هذا صوابا، والصحيح:(عمن حدثه) فصحِّف إلى (عن جدته)، وذلك لأنه:

١- ليس في غيره (عن جدته).

٢- وصرح الملا علي القاري في تخريج أحاديث شرح العقائد بأن في قصة النيل راويًا مبهما. فالصحيح (عمن حدثه).

ولله الحمد أولا وآخرا.

****



اللغة:

كأن: حرف مشبه بالفعل، اسمها منصوب وخبرها مرفوع. وقد تأتي (كأن) لما يلي:

١- للتشبيه، نحو: كأن الشيخَ إياسٌ في ذكاوته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (الصف: ٤)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (الصافات: ٤٩)

٢- بمعنى الظن، يقال: كأنك قارئ.

٣- للتقريب، نحو: كأنك بالشتاء مقبل.

سطرَتْ: (في بعض النسخ: سَطَّرَتْ).

سَطَرَ (ن): كتب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (القلم: ١)

أسطر: أخطأ. سَطَّرَ: ١- عمل خطوطًا، ٢-كتب.

أسطورة، أسطيرة: ج: أساطير: القصص الواهية، والموضوعة، وما لا يتجاوز حبرا على ورق.

السطر: ١-خطوط على الورق. ٢-خط كل شيء.

كتبت: كتب (ن) كتبا وكتابًا وكتابةً: سجل. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ (الزخرف: ٨٠)

كتب الله: ١- فرض. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ (البقرة:١٨٣)

٢- حكم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ (المجادلة: ٢١) ٣- أوجب.

أكتب: ١- علمه الكتابة والقراءة. ٢- أعد كتيبة عسكرية.

اكتتب: ١- سجل اسمه في السجل. ٢- طلب منه الإملاء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا﴾ (الفرقان: ٥)

فروعها:

فرع (ف) فراعةً: طال.

فرَعَ: ١- صعد. يقال: فرع زيد الجبلَ. ٢- نما/فاق، يقال: فرع زيد قومَه.

فرعَ (س) فَرَعًا: كثر شعره. فهو أفرع، وهي فرعاء.

الفرع: العالي من الشيء. فرع الوادي. ٢- التابع للشيء، وقسمه وجزؤه. ج: فروع.

فروع المسألة: ما تفرع من المسألة من الجزئيات الخارجة عنها خاضعة لقاعدة من القواعد.

بديع: بدعَ: (ف) بَدْعًا: أوجده من غير مثال.

بديع: ١- الموجد، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (البقرة: ١١٧) ٢- ما تم إيجاده.

بدعَ (ف) بَداعةً وبُدوعًا: صار غاية في صفة/ صار لا مثال له. بديع: عجيب وغريب.

معنى الغريب:

معنى الغريب هو العجيب أيضًا، وفي الحديث: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا». (صحيح مسلم، رقم:١٤٥)

يُحمل الحديث على عدة معانٍ منها: جاء الإسلام كالمسافر والغريب، وسيعود كذلك.

قال الشيخ إبراهيم ديولا حفظه الله عن الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: «انتشر الإسلام بصورة غريبة في العالم، ثم سيعود إلى الانتشار بصورة مفاجئة في آخر الزمان».

أبدع/ابتدع: ١- أتى بالجديد. ٢- جاء بالبدعة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ (الحديد: ٢٧)

بَدَّعَ: اعتبره مبتدعا.

علم البديع: هو: علم يعرف به وجوه، تفيد الحسن في الكلام، بعد رعاية المطابقة لمقتضى المقام. وأول من دون هذا العلم وأول من صنف في هذا الموضوع هو أبو العباس عبد الله بن المعتز العباسي (٢٩٦هـ). (للاستزادة منه راجع: صبح الأعشى١/٤٧٨؛ أبجد العلوم٢/١٢٥؛ كشف الظنون١/٢٣٢)

الخط: سبق تحقيقه مفصلا في البيت رقم: ٧. يقول الفلاسفة: الجسم: ما له طول وعرض وعمق. والسطح: ما له طول وعرض. والخط: ما له طول فقط.

في اللقم: كذا في نسخة، وفي نسخة أخرى: بالقلم.

اللقم: الواضح البين من الطريق. رجل لقم: الغالب على خصمه.

لقمان: ١- المكثر من إطعام اللقمة. ٢- سالك الطريق الوسط (الصراط المستقيم).

الإعراب:

كأنما: (ما) كافة. سطَرَت سطرًا: الضمير يعود على الأشجار.

١- سطَّرت (بالتشديد): عمل خطوطًا. سطْرًا: مفعول مطلق للتاكيد. والمعنى: خطّ الأشجار خطوطًا مستقيمةً جيِّدةً.

سطَرت (بالتخفيف) فعل بمعنى كتب. سَطْرًا: مفعول به. والمعنى: كتبت الأشجار السطور.

لِمَا كتَبَتْ: اللام في (لما) تحتمل وجوها عدة: أيسرها ومما لا غبار عليه أنها اللام الوقتية. والمعنى: سطرت لوقت كتابها: أي في وقت كتابتها.

و(ما) تحتمل وجوها عدة:

١- أيسرها: أنها مصدرية، فـ (ما كتبت) بمعنى (كتابتها).

٢- ما: موصولة: لما كتبت، أي للذي كتبته فروعها. فقوله (كتبت) صلة للموصول (ما).

كتبت: فعل. فروعها: فاعل. ها: ضمير يعود على الأشجار.

بديع الخط: من إضافة الصفة إلى الموصوف، والتقدير: الخط البديع.

في اللقم/ بالقلم: الظرف متعلق بـ (كتبت).

الشرح:

بين هذا البيت كيفية إجابة الأشجار لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم:

١- انخلعت عروقها ومشت. وكأن هذا المشي كوَّن سطورا على الطريق. وخطَّت هذه الفروع خطوطًا جيدة مستقيمة، كما يخط المرء قبل الكتاب خطًّا مستقيمًا.

٢- فيه إشارة إلى أن الأشجار لم تنحرف إلى هذا ولا إلى ذلك، بل بالغت في الطاعة، و جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستقيمة.

٣- تضطرب الأشجار إذا تسرب الضعف إلى العروق ،وتتلاعب الرياح بالشجر إذا انخلعت عروقها، فتهوي به حيث شاءت،وأما في هذه القصة فإن الرياح لم تؤثر فيها رغم انخلاع عروقه، وجاءت بصورة مستقيمة إليه صلى الله عليه وسلم، فهذا كمال المعجزة.

من العِبَر:

هذه القصة فيها عبرة للأمة، وذلك أن الجمادات إذا بلغت هذه المنْزلة من الطاعة للرسول صلى الله وسلم وخضوعها له، فبالأحرى أن يطيع الإنسان له. فاعتبروا يا أولي الأبصار.

البدعة لغة:

١- إيجاد الشيء لا على مثال سابق.

٢- ما احتاج إليه الأواخر ولم يحتج إليه الأوائل، مثل مكبرات الصوت (Loudspeaker) ونحوها.

البدعة لغة على خمسة أقسام:

١- الواجبة: يجب الإتيان بأشياء عدة في الزمان اللاحق نظرا إلى الأوضاع، ومن أمثلتها: نصب الدلائل، وتصنيف الكتب لمواجهة أهل الباطل، وتدوين أصول الفقه،والكلام في الجرح والتعديل.

٢- الحرام: ارتكاب ما لا يجوز من الأفعال، مثل: تأسيس المذاهب الباطلة، كالاعتزال والجبرية، وتعمير الملاهي، من دار السينما وغير ذلك، وتأسيس البنوك الربوية

الخالصة.

٣- المستحبة: ما يعود بالنفع على الدين، نحو: تعمير المنارة للمسجد، وإحداث الجامعات والمعاهد، وبناء القناطير، وجمع المحافل لوجه الله تعالى لاستماع قراءة القرآن والأناشيد الإسلامية.

٤- المكروهة: زخرفة المساجد.

٥- المباحة: نحو: استعمال المناخل، والتوسع في المأكل والمشرب والمسكن.

البدعة شرعا:

١- الزيادة والنقصان في الدين من غير إذن الشارع.

٢- اتخاذُ غير الدين دينًا، أو ما يكون مشابها بالدين وليس من الدين.

٣- يعرف فقهاء الأحناف البدعة بما عرفها به العلامة الشمني. والعلامة الشمني هو أحمد بن محمود بن حسن الشمني القسطنطيني الإسكندري (ت:٨٧٢هـ)، محدث مفسر فقيه. له منْزلة عالية في علماء الأحناف. عصري الحافظ ابن حجر، وعلى صلة طيبة معه. من تصانيفه القيمة: «كمال الدراية في شرح الوقاية».(راجع: كشف الظنون ١٩٧٢/٢)

ولعله عرف البدعة بهذا التعريف في كتابه هذا، ونقله منه من جاء بعده من الفقهاء المحققين. ثم شرح كل جزء من أجزاء التعريف، وذكر فوائد القيود:

«ما أحدث على خلاف الحق الملتقى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم أو عمل أو حال بنوع شبهة أو استحسان، وجعله دينا قويما وصراطا مستقيما». (البحر الرائق ٣٤٩/١؛ حاشية درر الحكام ٨٥/١؛ رد المحتار ٥٦٠/١؛ حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، ص ٣٠٣)

فصلت الكتب الفقهية عامة الكلام عليه في «إمامة المبتدع» من «باب الإمامة»، للاستزادة من تعريفات البدعة راجع: «*راهِ سنت*»-طريق السنة-، ص ١٧٥، ذكر فيه الشيخ سرفراز خان صفدر رحمه الله (٢٦) تعريفًا للبدعة.

يؤخذ من التعريف المذكور آنفا أنه لا يصح إطلاق البدعة إلا إذا اتخذ العمل الجديد دينا، فإذا لم يعتبره دينا، لم يكن بدعة. كما أن بعض الصحابة كان يقرأ في كل ركعة سورة الإخلاص، ولم ينكره عليه النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه لم يكن يعتبره سنة، وإنما كان يقرأها حبا لها.(راجع: صحيح البخاري، باب الجمع بين السورتين في الركعة).

وكذلك كان ابن عمر يزيد في التلبية (لبيك وسعديك والخيرفي يديك، والرغباء إليك والعمل) دون أن يعتبره سنة.(راجع: صحيح مسلم، رقم:١١٨٤)

وكان ابن مسعود يقول بعد (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته): السلام علينا من ربنا. (المعجم الكبير للطبراني٩/٢٤١/١٩٨٤. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٣٣٨: رجاله رجال الصحيح)

ويزيد ذلك وضوحًا قول ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يجعل أحدكم للشيطان شيئا من صلاته، يرى أن حقا عليه أن لاينصرف إلا عن يمينه، لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ينصرف عن يساره».(صحيح البخاري، رقم:٨٥٢)

يستفاد منه أن المرء يُذَمُّ إذا رأى من الواجب الانصراف عن اليمين والشمال.

كما قيد أهل العلم تعريف البدعة بقولهم: (في الدين)، وهو مما يؤيد ذلك.

اختراع الوسائل ليس من البدعة:

ليس من البدعة أن يخترع المرء الوسائل لتحقيق مصلحة من المصالح، نحو: مكبرات الصوت، أو المدارس وغيرها على الوجه الذي نراه اليوم. وأما الحديث المشهور وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».(صحيح مسلم، رقم:١٧١٨)، فمعناه: يرَدُّ الاختراع في أصل الدين، واعتباره جزءا منه.

تقسيم آخر للبدعة:

١- البدعة الحقيقية: ما ليس له أصل في الدين، مثل الأذان على القبر فهو بدعة حقيقية؛ لأن الشرع حدد مواضع الأذان، و لم يثبت الأذان على القبر.

٢- البدعة الإضافية: ما له أصل في الدين، إلا أنه طرأت عليه زيادات وتقييدات فصار بدعة، كالصدقة للميت، فلها أصل، وأما الطقوس المعروفة بالأربعينية والإحدى عشرية ونحوهما فهي بدعة عند علماء ديوبند؛ لأن الناس التزموا هذه الطقوس واعتبروها دينًا.

حكم ما تُركَ فعله:

يجدر الإشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا ترك أمرا من الأمور، هل تركه

دليل على أنه بدعة أو لا؟ وما حكم المتروكات هذه؟ قد أوضحنا هذه المسألة في رسالة «الذكر الجهري والجماعي»، وفي «فتاوى دارالعلوم زكريا» (المجلد الأول). حاصله أن المسكوت عنه على قسمين:

١- ما لم يوجد مقتضاه وسببه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يفعله، فهذا مباح وليس بدعة.

٢- ما وجد مقتضاه وسببه ثم لم يفعله صلى الله عليه وسلم، فيجري فيها قاعدة: «السكوت في موضع الحاجة إلى البيان بيانٌ»، ولم يجز الفعل. ولمزيد من التفاصيل يرجع إلى الرسالة المشار إليها.

لِنَعقُل في المتروكات أن الأفعال المسكوت عنها وغير المتروك قصدًا لا يصح إطلاق البدعة عليها حتى تُنَزَّل منْزلة الشريعة والسنة، وإلا فإن المسكوت عنه من الأفعال كثير جدًّا، ولا يطلق عليه البدعة. رتب الشيخ عرفج قائمة لمثل هذه الأفعال في ضوء سير أعلام النبلاء، ونسوق بعضها على سبيل المثال:

١- كان أبوالدرداء يسبح كل يوم مئة ألف مرة. (سير أعلام النبلاء٢/١٨٧)

٢- كان أبو هريرة يصوم ثلاثة أيام أول من كل شهر(٢/٦٠٩)

٣- كان أبو هريرة يسبح كل يوم اثني عشر ألف مرة. (٢/٦١٠)

٤- كان عبد الرحمن بن أبي ليلى يتلو القرآن بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس كل يوم. (٤/٢٥)

٥- كان زين العابدين علي بن الحسين يصلي في أربع وعشرين ساعة ألف ركعة. (٤/٣٩٢)

٦- كان طاؤوس بن كيسان وأصحابه يخصون ما بعد العصر بالدعاء.(٥/٤٨)

٧- كان الإمام أحمد يصلي كل يوم ثلاث مئة ركعة، فلما ضعف صلى مئة وخمسين ركعة. (٥/٢١٢)

٨- كان بقي بن مخلد يختم القرآن كلَّ ليلة في ١٣ركعة. ويصلي في النهار مئة ركعة. ويصوم الدهر. (١٣/٢٩٢).

٩- كان جنيد بن محمد يصلي ثلاث مئة ركعة كل يوم. (١٤/٦٧)

١٠- وقال الحافظ ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: من واظب على «يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت، كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر أربعين مرة أحيا الله بها قلبه».(مدارج السالكين لابن القيم٣/٢٦٤) هذا كله مسكوت عنه ولا يقال لمن أتى به: إنه مبتدع؛ بل كان الحافظ ابن تيمية يقرأ سورة الفاتحة بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس من كل يوم. (الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لتلميذه عمر بن علي البزار١/٣٨، مأخوذ من مفهوم البدعة لصاحبه الدكتور/عبد الإله، ص ٤٠١-٤٠٣)

وأما الأفعال المتروكة قصدا فيكره الإتيان بها، مثل استلام الركن العراقي والركن الشامي، أو أكل الضب، فإنه لا يجوز عند الأحناف، وليس كل ترك سببا للحرمة، مثل ترك هدم الكعبة، وعدم خروجه صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات تيسيرا على الناس.

وفي هذا الصدد يحسن مراجعة كتاب الشيخ عبد الحيي اللكنوي: «إقامة الحجة على أن الإكثار من التعبد ليس ببدعة».

حكم البدعة:

البدعة الشرعية (وهي ما حدث بعد القرون الثلاثة، ولم يقترن به إذن من الشارع قولا أو فعلا، صراحة أو إشارة) هي بدعة الضلالة والبدعة القبيحة والبدعة السيئة، وليس شيء منها بدعة حسنة. فكل عمل أتيَ به على أنه جزء من الدين كان بدعة. وأما الأقسام الخمسة التي ذكرناها فهي للبدعة اللغوية، أي ما أحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم وليس من الدين، على خمسة أقسام، وهذه البدعة قد تكون حسنة.

قال الحافظ: «والحاصل أنها إن كانت تندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة، وإن كانت مما تندرج تحت مستقبح في الشرع، فهي مستقبحة، وإلا فهي من قسم المباح».(فتح الباري ٤/٢٥٣)

يترك العملُ إذا تردد بين سنة أو بدعة:

تشير كتب الفتاوى عندنا في بعض المسائل إلى أن العمل إذا تردد بين سنة وبدعة ترك، لأنه:

١- يجب ترك البدعة، والسنة غير واجبة.

٢- ارتكاب البدعة أضر من ترك السنة.

«إذا تردد الحكم بين بدعة وسنة كان ترك السنة راجحًا على فعل البدعة».(رد المحتار ٦٤٢/١؛ و مثله في البحر الرائق ١٦٥/٢؛ الفتاوى الهندية ١٦٩/١؛ بدائع الصنائع ١٧٤/١)

كتب حول موضوع البدعة:

تناولنا بعض جوانب البدعة هذه، وللاستزادة منها يراجع الكتب الطوال وما أعد حولها من الكتب المستقلة، نسوق أسماء بعض الكتب من غير ترتيب خاص:

١- تعقد كتب الفتاوى باللغة الأردية بابا مفردا (باب البدعة)، يتناول عدة مسائل أصولية، و كثيرا من المسائل الفرعية.

٢- الاعتصام للإمام الشاطبي (ت:٥٩٠هـــ)، تحدث الإمام الشاطبي عن تعريفات البدعة، وذمها، وشبهات أهل البدعة وعشرات المسائل الفقهية الخاصة بها، في بعضها عنف، مثل الدعاء الجماعي بعد المفروض من الصلوات، وخاصة الدعاء جهرا، يعده بدعة. (الاعتصام للشاطبي ٢٨٠/٢)، و قال: الأذان بين يدي الإمام يوم الجمعة بدعة. (٣١٦/٢-٣١٧) وقال: الاجتماع على الذكر بدعة.(٢٦٤/١) وقال: تبخير المسجد بالطيب بدعة.(١٠٤/٢) وقال: تسمية الخلفاء الراشدين وأمير المؤمنين وغيره من الحكام في خطبة الجمعة بدعة.(٢٦/١) وأرى أن الالتزام به بدعة، والعناية صحيح. وشدد الإمام الشاطبي في هذه المسائل وأمثالها.

٣- «***اسلام میں سنت کی عظمت اور بدعت کی قباحت***»-عظمة السنة وقبح البدعة في الإسلام-للشيخ المفتي عبد الرحيم اللاجفوري(رحمه الله)، غرض الكتاب جلي من عنوانه. كما تحدث عن بعض المسائل الفرعية بمفردها.

٤- «إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح»: لصاحبه: العلامة الشاه محمد إسماعيل الشهيد رحمه الله. بحث الشيخ حقيقة البدعة، وأقسامها، وأمثلتها، ودرس كل مثال، وتحدث عن البدعة الحسنة والبدعة القبيحة وغيرهما بأسلوب محقق. وقدم للكتاب الشيخ العلامة يوسف البنوري رحمه الله، قال فيها الشيخ: «هذا الكتاب فريد من نوعه في موضوعه؛ بل فاق «الاعتصام للشاطبي» في بعض الأماكن».

أصل الكتاب في العربية، نقله إلى الأردية السيد معراج محمد بارق.

٥- «*معركہ بدعت وسنت*»-الصراع بين البدعة والسنة- قام بنشر هذا الكتاب مجلس إحياء السنة والتوحيد بحيدرآباد في مجلدين. درس الكتاب دراسة واعية تقسيم البدعة، مشفوعا بالأدلة، ويؤكد أنه ليس في الشرع بدعة حسنة، كما ذكر تعريفات البدعة ونحوها، يتضمن الكتاب أقوال (١٩١) عالما بجانب نصوص الكتاب والسنة. وهو كتاب عامر بالمعلومات.

٦- «*راهِ سنت*» -طريق السنة- : للشيخ سرفراز خان صفدر رحمه الله. وغيره من تصانيفه حول رد البدعة.

أفرد الكتاب الحديث عن مكانة أدلة أهل السنة والجماعة، وأقسام البدعة وأحكامها، والبدع المشهورة كلها لوحدها، وبذل فيه المؤلف جهودا جادة مضنية في دراسته وتحقيقه. وعلى الكتاب تقريظات علماء ديوبند، وكل هذا يشير القراء بأن هذا الكتاب حري بأن يطالعه كل أحد، وهو نافع لعامة الناس وخاصتهم.

٧- «البدع» لمحمد بن وضاح القرطبي المالكي (ت:٢٨٦هـ)، يجمع الكتاب آثارا في أهمية السنة وذم البدعة، كما يتحدث عن بعض المسائل الفرعية. ما أجدر أن يراجع الكتاب ويقرأ، ويبلغ عدد الأحاديث والآثار(٢٨٩) حديثًا وأثرًا. استفاد منه كثيرا كل من جاء بعده من المؤلفين، ولعله أول كتاب مفرد في هذا الموضوع.

٨- «البدعة الحولية» رسالة ماجستير للشيخ عبد الله بن عبد العزيز التويجري، حصل به الشيخ على درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض) عام ١٤٠٦هـ، يتصدر الكتاب بتعريفات البدعة، ثم أفرد بدعات كل شهر بالحديث، والكتاب في ٤٤٦ صفحة. استفاد المؤلف في ترتيب الكتاب من شيخ الإسلام ابن تيمية كثيرًا.

٩- «البدع وأثره السيء في الأمة» للدكتور وسيم فتح الله، وهو رسالة موجزة مفيدة في هذا الموضوع.

١٠- «مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة» لعبد الإله بن حسين

العرفج، في الرد على السلفيين السعوديين ردًّا جادا رصينا للغاية. وهو سعودي الجنسية، ويقول بإقامة المواليد النبوية، ولكن المراد بها عنده إقامة الحفلات أو المجالس لبيان السيرة النبوية من غير تخصيصه بشهر من الشهور على خلاف ما هو السائد في الهند وباكستان من المواليد.

١١- «السنة والبدعة» لعبد الله محفوظ الحداد الحضرمي.

١٢- «أصول السنة لرد البدعة»، لمولانا محمد طاهر الباكستاني.

١٣- صدرت عشرات الرسائل من السعودية في هذا الموضوع، تتحدث عن نوع خاص من البدع، مثل بدع الأفراح، وبدع المعراج، وبدع القراء، وبدع المولد النبوي وغيرها.

اللهم وفقنا وجميع المسلمين لفهم حقيقة البدعة، والحذر منها، آمين.

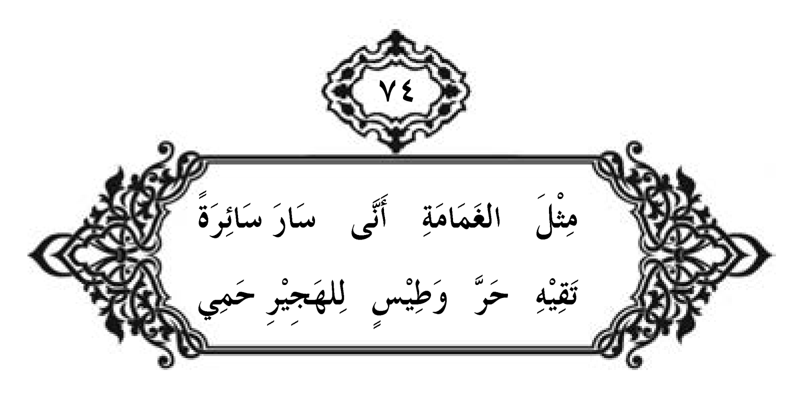
البلاغة:

في البيت تشبيه تمثيل.

مجيء الشجر: مشبه. سطر مستقيم/كتابة بديعة: مشبه به. والحسن والجمال: وجه الشبه. ومن العجائب أن المشبه يفوق المشبه به بمراحل ودرجات؛ إذ ليست دلالة اللفظ على المعنى، وكذلك الخط بالأنامل أمرا عجبا. وأما خط الأغصان، ودلالة الأشجار على معجزة النبي صلى الله عليه وسلم فأمر أعجب العجب.

ولله الحمد أولا وآخرا.

****



اللغة:

الغمامة: غم (ن) اليوم غما وغُموما: اشْتَدَّ حره حَتَّى كَاد يَأْخُذ بِالنَّفس. غم الشيء: غطاه.

غم (س) غَمَمًا: سَالَ شعر رَأسه حَتَّى ضَاقَتْ جَبهته وَقَفاهُ.

أغمت السماء: جاءت بالغمام.

الغُمام: الزكام. (سحب بعضها فوق بعض). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ (البقرة: ٥٧)

الغَمام: السحابة البيضاء. الغمامة: السحاب. ج: غمائم وغمام.

حب الغمام: البَرَد. ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: «جلّ ضحكه التبسم، يفتر عن مثل حب الغمام». (الشمائل للترمذي، رقم:٢١٥)

الغُمة: الكرب، اسم عدد من المؤلفات«كشف الغمة»، منها: كتاب شهير للعلامة الشعراني (ت/٩٧٣هـ): «كشف الغمة عن جميع الأمة»، جمع فيه الصحاح الستة ومعاجم الطبراني ومجاميع السيوطي، وسرد فيه أدلة المذاهب الأربعة.

أنى: له عدة معانٍ، منها:

١- بمعنى كيف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩)

٢- بمعنى من أين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ (آل عمران: ٣٧)

٣- بمعنى متى، وهي ظرف حينئذ، نحو: أنى يقدم الشيخ. وورد في الأحاديث بهذا المعنى، ففي قصة ليلة التعريس الشهيرة المذكورة في عدد من كتب الحديث، روى أبو

داود فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ولكن أرواحنا بيد الله عزوجل فأرسلها أنى شاء (أي: متى شاء)».(سنن أبي داود، رقم:٤٣٨)

٤- بمعنى أين: نحو: أنى تذهب أذهب.

فإن كانت بمعنى كيف، تضمنت معنى التعجب،كما أن كيف نفسها تتضمن معنى التعجب، نحو: كيف حمل هذا الصبي الحجرَ! ومثال أنى: قول الخضر عليه السلام لموسى حين سلم عليه: «وأنى بأرضك السلام»، أي ليس في هذه الأرض من يسلِّم.

وأنى في البيت تحتمل الوجهين: بمعنى كيف، وبمعنى أين.

سار: سار (ض) سيرا وسيرة ومسيرة: ١- مشى، تحرك، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (يوسف: ١٠٩) ٢- اشتهر، وشاع.

سيَّر الكلام: جعله سائرا شائعا بين الناس.

سيَّرَ: جعله يسير، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ (يونس: ٢٢)

السيرة: ١- قصة الحياة، ٢- السلوك، ٣- منهج الحياة.

السيار: ١- كثير السير، ٢- النجم الطائف بالشمس، مثل المشتري وزحل وعطارد ونحوها.

السيارة :١- مؤنث السيار، ٢- القافلة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ (يوسف: ١٩) ٣- سيارة تسير بالبترول أو الديزل.

تقيه: وقى الشيء وقيا و وِقاية، وواقية: صانه، وحفظه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ (الطور: ١٨)

وقى الأمر وقيا: أصلحه.

اتقى الشيء: تصون به، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ (آل عمران: ٢٨)

التقوى: خوف الله تعالى، وامتثال الأوامر، واجتناب المناهي، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (البقرة: ١٩٧)

التقية: عند الشيعة: إظهار شيء عند الناس خلاف ما يبطنه لخوف أو مصلحة أو لدفع الاعتراض على مذهبهم. وهو الكذب في الحقيقة، مثلا إذا قيل: لِمَ صلى عليٌّ

خلف أبي بكر أو: لِمَ زوج عمرَ ببنته أم كلثوم، إن لم يكونا على الحق؟ يقولون: فعله تقية.

حَرَّ: حر (س) حَرارة: سخن. حر(ن): جعله حارا.

حر (س) حِرَّة، وحرارة: عطش. هو حران، وهي حرى. حرَّرَه: أطلقه.

حرَّرَ الولدَ: وقف ولده على خدمة شعبة من شعب الدين ابتغاء مرضاة الله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ (آل عمران: ٣٥)

حرَّرَ الكتاب: أصلحه. تحرَّرَ: عتق.

الحُرّ: الخالص، الخالي من الشيب.

وطيس: وطَس (ض) الشيء: كسره، ودقه. تواطس: تصادم الأمواج بعضها مع بعض.

الوطيس: ١-: التنور الصغير. (سمي التنور به لأنه يكسر الحطب ونحوه ويُفنيه). ٢-النار، و المعركة. ج: أوطسة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم حين أعاد المسلمون الكرة في غزوة حنين: «هذا حين حمي الوطيس». (صحيح مسلم، رقم:١٧٧٥)

للهجير: هجرَ (ن) هجرا: فارقه.

هجر الشيء هجرانا: تركه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (المزمل: ١٠)

هجر المريض: هذى. والهجر: الهذيان.

طعن الشيعة في عمر رضي الله عنه والرد عليه:

من الاعتراضات الأربعة من قبل الشيعة على حديث القرطاس أن عمر قال: «أهجر»، فقد نسب الهذيان —والعياذ بالله منه- إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والجواب عنه باختصار ما يلي:

١- لم يرد في رواية أن عمر هو من قال: هجر. فقد وردت الروايات بكلمة: قالوا. فهم الذين كانوا يؤيدون الكتابة.

٢- لا يصح حمل (هجر) على الهذيان، بل المراد منه: أترك الإرادة بالكتابة. أو

المعنى: أ يهجر الدنيا ؟

٣- إذا حملنا الهجر على الهذيان فالاستفهام للإنكار والمعنى: لن يهجر ويهذي النبي صلى الله عليه وسلم.

أهجر: سار في الظهيرة، ودخل في الظهيرة.

هاجر: ترك بلاده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (النساء: ١٠٠)

الهجيرة/ الهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر، سمي بالهاجرة؛ لأن الناس يتركون الخروج من البيت لشدة الحر.

حَمِ: أصله: حمِي، فعل ماض، حذفت الياء لضرورة الشعر.

حميت الشمس حَميا وحُموا: اشتدت الحرارة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ (الغاشية: ٤)

سبق تحقيق الكلمة مفصلا في البيت رقم: ٢٣.

الإعراب:

مثل الغمامة:

١- جاءت الأشجار مجيئا مثل مجيء الغمامة.

٢- مجيء الأشجار مثل مجيء الغمامة.

أنى سار:

١- أنى: ظرف مكان لـــ (سائرة)، والمعنى: هي سائرة أينما سار النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- أنى سار: شرط. (تابعته) سائرة: جزاؤه.

سائرة : ١-هي سائرة. ٢-سائرة: حال.

تقيه:

١- حال، والمعنى: الغمامة سائرةً واقيةً له من الحر. أو: حال كونها واقيةً لها من الحر.

٢- تقيه: خبر ثانٍ، والتقدير: الغمامة (مبتدأ) سائرة: خبر أول. تقيه من الحر: خبر ثانٍ.

للهجير:

اللام: وقتية أو أجلية. تقيه في وقت الهجير.

للهجير: الظرف متعلق بـــ:

١- تقيه، والمعنى: تقيه في وقت الهجير.

٢- حميَ، والمعنى: حمي الوطيس (الشمس) في وقت الهجير.

حمِيَ: فعل ماض، يعرب حالا في الجملة، والتقدير: حال كونه قد حمِيَ.

حمِي: بمعنى اسم الفاعل: حامٍ، فهو صفة لـــ(وطيس) أو(هجير): وطيس حامٍ ، هجير حام.

الشرح:

ذكر معجزة السحاب بعد ذكر معجزة الشجر، والمناسبة بينهما من وجوه:

١- الطاعة: أي خضعا للنبي صلى الله عليه وسلم وأطاعاه.

٢- ظللاه.

٣- السبب الظاهر لوجود الشجر هو السحاب.

٤- ذكر معجزة طاعة الأعالي (السحاب) بعد ذكر معجزة الأسافل (الأشجار).

إظلال السحاب على النبي صلى الله عليه وسلم:

وردت عدة قصص لإظلال السحاب على النبي صلى الله عليه وسلم، نذكر قصتين منها على سبيل المثال:

القصة الأولى:

حمل عامة الشراح هذا البيت على القصة المشهورة التي وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن اثني عشر عامًا في رحلة الشام، وذكرت كتب الحديث والسيرة هذه القصة على عدة وجوه خلاصتها ما يلي:

كان عمره صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة : ١- اثني عشر عاما على القول المشهور الذي اختاره معظم أصحاب السير. ٢- اثني عشر عاما وشهرين وعشرة أيام. والقولان قريبان. ٣- قيل: تسعة أعوام. (راجع: أعلام النبوة للماوردي، ص ١٩٨؛ الروض الأنف ٣١٢/١؛ الرحيق المختوم، ص ٥٧)

حاصل القول أن أبا طالب خرج مع أشياخ من قريش إلى الشام وصحبه النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة، حتى نزلوا في تيماء من منطقة الشام، بالقرب من كنيسة راهب نصراني اسمه بحيرا، واتفقت الروايات كلها على أن قريشا كانوا يمرون على الراهب من قبلُ في رحلاتهم إلى الشام، فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، فلما حلوا رحالهم جاءهم الراهب، وأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله تعالى رحمة للعالمين، فقال له أشياخ قريش: ما علمك؟ قال الراهب: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبي. وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة. ثم أعد لهم طعاما، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في رعى الإبل فلما أتاهم وجدهم قد سبقوه إلى الفيء... فلما جلس مال فيء الشجر. فقال الراهب: انظروا إلى فيء الشجر قد مال عليه. وقال: أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده أن لا يذهب به إلى الروم، حتى رده أبوطالب، وبعث أبو بكر معه بلالا.

يقول الإمام الترمذي:

عن أبي موسى الأشعري قال: خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت. قال: فهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك، فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاما، فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل، قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه، قال: فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟

قالوا: جئنا، إن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس وإنا قد أخبرنا خبره فبعثنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا. قال: أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا، قال: فبايعوه وأقاموا معه قال: أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا، وزوده الراهب من الكعك والزيت». (سنن الترمذي، رقم:٣٦٢٠، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)

وفي بعض الروايات: أن بحيرا دعاهم إلى الطعام، حين رأى السحاب يظله، فحضروه، إلا النبي صلى الله عليه وسلم، ومكث على المتاع، فقال الراهب: ائتوا بالولد. فأتوا به، وسأله بحيرا عددا من الأسئلة، فأشار بحيرا على أبي طالب أن يرجعه إلى بلاده، ويحفظه من اليهود. فعاد به أبو طالب. (للاستزادة من القصة راجع: الخصائص الكبرى ١/١٤٠؛ دلائل النبوة ٢/٢٤-٢٩؛ الروض الأنف ١/٣١٢؛ السيرة الحلبية ١/١٩١؛ سبل الهدى ٢/١٤٠؛ تاريخ مدينة دمشق ٣/٤)

وقال أبو طالب قصيدة طويلة بهذه المناسبة، صور فيها حالات السفر، وغيرها تصويرا رائعا، وهذه القصيدة رواها كتب السيرة في مكانها.

وذكر ابن إسحاق بهذه المناسبة ثلاث قصائد لأبي طالب، ذكر فيها أحداث الرحلة ومناقب النبي صلى الله عليه وسلم بالتفصيل.

تنبيهات وفوائد:

١- لقاء النبي صلى الله عليه وسلم عدة من الرهبان في رحلة الشام:

تذكر كتب السيرة في ثنايا هذه القصة أنه صلى الله عليه وسلم لقي أكثر من واحد من الرهبان في رحلات الشام، منهم بحيرا، ونسطور، وبحيرا آخر وغيرهم. وصدقوا جميعا بنبوته صلى الله عليه وسلم، وذكروا ما اشتملت عليه كتبهم من البشارات به، وما أشار إليه به مختلف الأنبياء من آياته وعلاماته، وما توارثوا عن أكابرهم في خصوص النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- لم يشهد بلال هذه القصة:

حديث الترمذي الذي سبق آنفًا جاء فيه ذكر أبي بكر الصديق في القافلة، وجاء فيه

أن أبا طالب رد النبي صلى الله عليه وسلم مع بلال. وهذا غير صحيح، فإن أبا بكر يصغر النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين، ولم يشترِ أبو بكر بلالا إلا بعد إسلامه، وربما لم يكن ولِدَ بلال يومئذ، وفيه كلام طويل. حاصله أن بعض أهل العلم أمثال الذهبي رحمه الله وغيره ردَّ هذه الرواية على الإطلاق، فقال الذهبي: «حسنه الترمذي، وهو حديث منكر جدا... وفي الحديث ألفاظ منكرة تشبه ألفاظ الطرقية، مع أن ابن عائذ قد روى معناه في مغازيه دون قوله: «وبعث معه أبو بكر بلالا» إلى آخره. (سير أعلام النبلاء ١/٥٨-٥٩؛ وتعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط على سنن الترمذي ٦/٢١٦)

وذهب غيره من المحدثين المحققين إلى عدم رد هذه الرواية برمتها، وقالوا: ربما وهم بعض الرواة في الشطر الأخير من الرواية. (للاستزادة من الإيراد عليه والرد عليه يراجع: الخصائص الكبرى ١/١٤١؛ السيرة الحلبية ١/١٩٦؛ الإصابة في تمييز الصحابة ١/٤٧٥؛ سبل الهدى والرشاد٢/١٤٤)

٣- كان بحيرا نصرانيًا:

قال الزهري: كان بحيرا من يهود تيماء، وهذا غير صواب، وقال المحققون: كان نصرانيا. (سبل الهدى ٢/١٤٥)

٤- النطق الصحيح بكلمة «بحيرا»:

بحيرا: بضم الباء وفتح الحاء، هذا هو المشهور. وبه ينطق. والصحيح: بَحيرا/ بحيراء: بفتح الباء وكسر الحاء بالمد والقصر، بباء موحدة مفتوحة، فحاء مهملة مكسورة، فألف. قال غير واحد: مقصورة. ورأيت بخط مغلطائي وصاحب الغرر وغيرهما عليها مدّةً. واسمه سرجس أو جرجيس. (الروض الأنف ١/٣١٢؛ سبل الهدى ٢/١٤٥)

٥- تحديد الشجرة التي نزل النبي صلى الله عليه وسلم تحتها:

تم اكتشاف الشجرة التي نزل تحتها النبي صلى الله عليه وسلم في رحلة الشام بالقرب من كنيسة بحيرا، وأنشأت الحكومة الأردنية برعايتها مؤسسة سمتها: «مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي». برأسها الأمير غازي بن محمد (ابن عم ومستشار الملك الأردني عبد الله). زار الشيخ المفتي تقي حفظه الله في ذي الحجة عام ١٤٣١هـ، وتشرف بالصلاة تحتها، نقتبس أجزاء من رحلته إليها:

«دخل الأمير غازي الفندق في الساعة الخامسة مساء ليزورني. وتطرق الحديث إلى مختلف الموضوعات وقال في ثناياه: تم العثور على المكان الذي زاره النبي صلى الله عليه وسلم في شبابه في الأردن مع عمه أبي طالب، ولقيه بحيرا الراهب، ولا تزال الشجرة التي نزل تحتها قائمة ليومنا هذا، فهل لك أن نزور بك هذا المكان؟ إنه يسعدني ذلك جدا. فأجبت هذه الدعوة بشوق كبير. فلما انتهى المؤتمر أخذنا الأمير غازي إلى مطار عسكري، وقد أعدت مروحية كبيرة تسع نحو عشرة ركاب. ومع الأمير أطفال بيته، فركبت المروحية أنا وشيخ الأزهر الجديد: أحمد الطيب، والشيخ علي جمعة –مفتي مصر، وحراس الأمير. فتوجهت المروحية من عمان شرقا حتى نزلت على المكان الذي قصدناه بعد خمسين دقيقة. والطريق عبارة عن صحراء قاحلة واسعة الأكناف، يتخللها تلال صغيرة جافة، وأيكات لاصفة بالأرض، وقد أثرت فيه لفحات الحر. وظلت المروحية في الصحراء القاحلة بعد مضي خمسين دقيقة أيضًا. وهذه هي الشجرة التي يقدر أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل في ظلها.

فأين هذا المكان الذي يقع فيه هذه الشجرة؟ يقول الأمير غازي: إن الملك كلفني أن أتحقق من الذكريات التاريخية في الأردن والتي هي على صلة بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. فبدأت أغربل الوثائق المتواجدة بيد الحكومة. وهذه الوثائق- التي يظن أنها ترجع إلى العهد العثماني- اطلعت فيها على ذكر هذه الشجرة، التي نزل تحتها النبي صلى الله عليه وسلم ،وأنها لازالت حية.

فبدأ الأمير بالبحث عن هذه الشجرة في ضوء هذه الوثائق التاريخية، فَعَلِمَ أنه تم العثور–خلال مسح الأراضي لخط البترول في الأيام الأخيرة- على الشارع الذي شقه ملك بازنطيني تيسيرا على تجار الحجار في السفر إلى الشام براحة وطمانينة. فأعان هذا الاكتشاف على عمله. فمسح المنطقة انطلاقا من هذا الشارع، فعثر على هذه الشجرة الغريبة من نوعها، والوحيدة الحية القوية في وسط الصحراء الممتدة على مئات الكيلو مترات. ووجدت أنقاض بناء مهدم على مسافة قليلة منها، يظنُّ أنه ربما كان كنيسة الراهب بحيرا. فتأكد من الأعراب السكان حولها، فقالوا: بلغ في عائلتنا حد التواتر أن محمدا صلى الله عليه وسلم نزل تحت هذه الشجرة، فقامت حكومة الأردن ببناء حظيرة

حولها للحفاظ عليها في ضوء هذه الشواهد كلها. ولما عثر الأمير غازي على هذه الشجرة أول مرة،كانت على حياة، على هيئة الشجرة الحية، إلا أن بعض أغصانها أصابها بعض الجفاف، فاعتنوا بسقيها فعادت غضة طرية مخضرة.

ويتجلى لزائرها أنها شجرة غير عادية، فإنك لا تجد أثارة لشجرة أو مسيل للماء إليها حتى مئات الكيلومترات حولها. فليس بعيدا أو باعثا على العجب أن يبقي الله تعالى على هذه الشجرة بصورة خارقة؛ إذ ظهر فيها معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وتبين الراهب بحيرا علامات النبوة في محمد صلى الله عليه وسلم بناء عليه، وخاصة لأنه توجد أنقاض بناء مهدم على بعد مئة متر من الشجرة، متجهة إليها.

وأما موقعها فإن كتب السيرة تقول: إن لقاءه صلى الله عليه وسلم الراهب بحيرا كان في مدينة بصرى من الشام، وحكى الحافظ ابن كثير عن ابن عساكر أن بحيرا الراهب كان يسكن في قرية، اسمها «كَفَر»، على بعد ستة أميال من مدينة بصرى. (السيرة النبوية لابن كثير١/١٤٠)

ولو ذهبنا إلى القول بأن بصرى –قرية بحيرا–كانت على ستة أميال، لنفى ذلك فيما يبدو– أن موقع هذه القرية هي موقع هذه الشجرة؛ لأن مدينة بصرى على مسافة بعيدة من هنا، داخل حدود الشام. وخريطة المنطقة تفيد بأن أقرب قرية من هذا المكان هي «الأزرق»، ويليه حدود الشام (سورية)، و أول مدنها بصرى. وأما مسافة بصرى من هنا فلم أتأكد منها. ولكن من الواضح الجلي أن هذه المسافة أكثر من ستة أميال. اللهم إلا أن يقال: إن بصرى كانت مدينة موسعة يومئذ، فمن الممكن أن «بصرى» كانت تطلق — على هذه المدينة– على منطقة واسعة حولها، بما فيها قرية الأزرق وهذا المكان.

وأما العلامات التي تؤيد هذا الاكتشاف فهي:

١– أن هذا المكان بالقرب من الشارع الذي يسلكه القوافل التجارية من الحجاز إلى الشام.

٢– أنه في الجهة الشمالية الشرقية التي تقع فيها بصرى.

٣– ليس بينه وبين بصرى مدينة كبيرة، وأما الأزرق فهي قرية صغيرة.

٤– اشتهر في سكان القرية أو بلغ حد التواتر أن هذه الشجرة هي التي نزل تحتها

النبي صلى الله عليه وسلم، ويعد التسامع في مثل هذه الأمور دليلا قويا.

٥- أن بقاء هذه الشجرة في هذه الصحراء غير ذات زرع وماء حدث غير عادي.

٦- لازالت أنقاض كنيسة قديمة بالقرب منه.

٧- المكان الذي استدل عليه الأمير غازي بهذه الوثائق القديمة يوافق هذا الاكتشاف.

٨- جذور الشجرة الممتدة طويلةً علامةٌ بينة على قدمها وعراقتها.

فيحتمل احتمالا قويًّا -وإن لم نجزم به- أن هذه هي تلك الشجرة. وهذا الاحتمال القوي فيه غنية لقرارة عين المحب. فسعدنا بزيارة هذه الشجرة، وهي شجرة الفستقة، وقال الأمير غازي: لا زالت تثمر وتناولت من ثمرها، وظل الشجرة رائع في عامة الأحوال.

وخاصةً ما رأته عين التصور والخيال هنا من تجلي الحبيب صلى الله عليه وسلم أورث هذا الظل حلاوة لن توجد في ظل سواه. اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. انتهى.

والحاصل أن هذه القصة تفيد إظلال السحاب على النبي صلى الله عليه وسلم.

القصة الثانية:

ذات مرة خرج النبي صلى الله عليه وسلم - وهو عند ظئره حليمة السعدية- مع الأغنام إلى الصحراء، فخرجت حليمة تطلبه، حتى وصلت إليه، فقالت أخته الشيماء: إن السحابة تظل عليه وتسير حيث سار.

وردت هذه القصة مختصرة ومفصلة في عدد من الكتب، نوجزها فيما يلي:

قال السيوطي: أخرج ابن سعد، وأبونعيم وابن عساكر، وابن الطراح من طريق عطاء عن ابن عَبَّاس قال :كانت حليمة لا تَدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه، فخرج مع أُخْته الشيماء في الظهيرة إلى البهم فخرجت حليمة تطلبه حَتَّى تَجدهُ مع اخته فقالت: في هذا الحرّ. فقالت اخته: يا أمه ما وجه أخي حرا رأيْت غمامة تظل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارتْ حَتَّى انْتهى إلى هذا الموضع. فقالت: أحقا يا بنية؟ قالت: إي والله.(الخصائص الكبرى١٠٣/١. قلت: و أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٥٢/١؛ وابن عساكر في تاريخ مدينة

دمشق ٤/٣٦٠؛ أما أبو نعيم فلم أجد القصة في كتابه «دلائل النبوة». وينظر: السيرة النبوية لابن كثير١/٢٢٨؛ السيرة الحلبية ١/١٦٨؛ سبل الهدى والرشاد ١/٣٣٨. وما ورد في وصف السحابة في هذه المصادر من قوله: إذا سار سارت معه، يتفق مع ما جاء من الألفاظ في الشعر لفظًا ومعنًى).

هذا، وقد رويت عدة قصص جزئية ورد فيها بصورة مشتركة أن السحاب كان يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم من الشمس.

القصة الثالثة:

كما روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم سافر لخديجة رضي الله عنها إلى الشام سفرا تجاريًّا، وصحبه ميسرة في هذه الرحلة. وقص ميسرة على خديجة رضي الله عنها بعد عودته من السفر قصته. وذكر أن السحاب كان يظل عليه، فلما سمعت خديجة ذلك رغبت في زواجه، فخطبته، فتم زواجه منها. (الخصائص الكبرى ١/١٥٣؛ الروض الأنف ١/٣٢١؛ تاريخ الطبري ١/٥٢١)

فائدة:

قال الحافظ ابن حجر في ميسرة: «لم أقف على رواية صريحة بأنه بقي إلى البعثة فكتبته على الاحتمال». (الإصابة في تمييز الصحابة ٦/١٨٩)

وورد في بعض الروايات إظلال الملائكة/ إظلال الملكين بدلا من إظلال السحاب. ولا منافاة بينهما.

البلاغة:

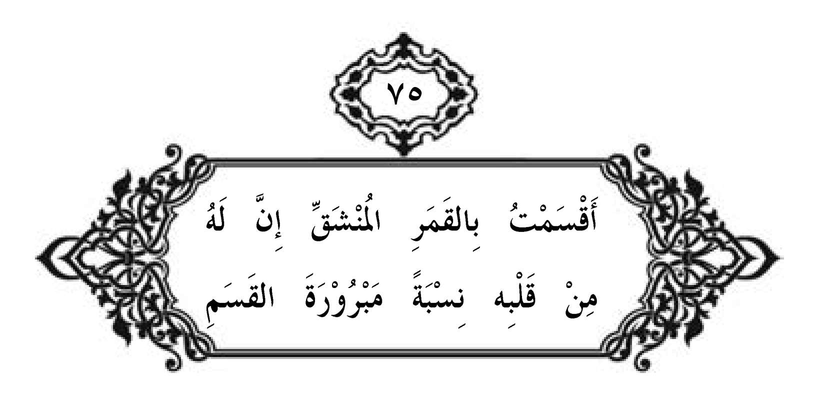
١- مثل الغمامة: تشبيه مجمل. شجرة: مشبه. غمامة: مشبه به. وجه الشبه: الطاعة والانقياد. حذف وجه الشبه.

٢- شمس: مشبه. تنور/ وطيس: مشبه به. وجه الشبه: شدة الحر.

أطلق المشبه به وأريد به المشبه، واستعير في اللفظ الجامد، فكانت الاستعارة تصريحية أصلية.

ولله الحمد أولا وآخرا.

****



اللغة:

أقسمت: أقسم: حلف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ (المائدة: ٥٣)

قسم (ض) وزع. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف: ٣٢)

سبق تحقيقه في البيت رقم: ٤٢.

بالقمر:

قمرَ (ن) قَمْرًا: غلبه في لعب القمار.

قَمِرَ(س) الرجل قَمَرا: لمع كالقمر. قمِرت الليلةُ: أنار الليل بالقمر.

أقمر الهلال: صار قمرا. (وذلك في اللَّيْلَة الثَّالِثَة من الشَّهْر، ويومان قبله يطلق عليه الهلال).

قامر مقامرة: لاعبه القمار.

القمار: كل لعب فيه القمار. إن القمار فيه خسارة ونفع كما أن القمر يزيد وينقص. فسمي به.

والقمار كل معاملة تتضمن تعليق المال على الخطر، أي يتوقف ويترتب حصول المال على أمر مشكوك فيه.

قمر كل ليلة من الليالي الثلاث له اسمٌ يخصها:

يسمي العرب قمر كل ليلة من الليالي الثلاث باسم مفرد، فالليالي الثلاث الأولى تسمى غررا، ثم نفلا، ثم تُسعا، ثم عشرا، ثم البيض، ثم درعا، ثم ظُلما، ثم حنادس، ثم دثاديا، ثم محاقا. (تفسير ابن كثير ٦٢٩/٣)

ويفرق بعض العرب فيقولون: الليالي الثلاث الأولى هلال، ثم قمر، ثم بُهَر ثم نفل، ثم من بيض يوافق ما قبلها. نعم، الليلتان الأوليين من الليالي الثلاث الأخيرة تسمى محاقا، والليلة الأخيرة تسمى سرارا. (تاريخ اليعقوب١/٢٢٨)

وثمة روايات أخرى في هذه الأسماء، منها: زُهر، دُرر، بُهر.(راجع:مروج الذهب ١٩٥/٢، ذكر قول العرب في ليالي الشهور القمرية. الأزمنة والأمكنة للمرزوقي، ص ٣٠٠، فصل في أسماء الليالي من أول الشهر)

المَنْشَقّ: شق (ن) الأمر شقا: صعب. شَقَّ على فلان: أوقعه في المشقة. قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾ (القصص: ٢٧)

شق الشيء: ١– صدعه. قَالَ تَعَالَى:﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾ (عبس: ٢٦) ٢– جعل في الشق.

شق (س) مال في جريه إلى جانب.

شاق: شاجره، خالفه. قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الأنفال: ١٣)

انشق: ١– انصدع، قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ (القمر: ١) ٢– برز.

تشقق: انصدع، وقع فيه الشق، قَالَ تَعَالَى:﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ (ق: ٤٤)

الانشقاق: (في علم الصرف): صوغ كلمة من أُخْرَى على حسب قوانين الصّرْف.

الشقة: ١– نصف الشيء إذا شق. ٢– الشقة(Flat)، جزء الدار.

ولمادة (ش ق ق) كثير من المشتقات، وكثر ورودها في النصوص، يمكن الرجوع إلى المعاجم في ذلك. (راجع: تاج العروس ٥١١/٢٥)

إنّ: كسرت لوقوعه في جواب القسم. نحو قوله تَعَالَى:﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الحجر: ٧٢)سبق بيان كسر همزة إنّ وفتحها في البيت رقم: ١١ مع الأمثلة.

من قلبه: أي: بقلبه. و(من) بمعنى الباء. ومن أمثلته: قَالَ تَعَالَى:﴿ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ (الرعد: ١١)، و قَالَ تَعَالَى:﴿ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ (الشورى: ٤٥)، و قَالَ تَعَالَى:﴿ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ (المائدة: ٨٣)

نسبة: أي: مشابهة.

الفرق بين المشابهة والمجانسة:

المشابهة: مناسبة بين شيئين تجعلهما كالشيء الواحد لا يكاد يفرق بينهما.

يقول الشاعر الأردي:

رہا ہے اتنے عرصے تک میرا دل ان کے پہلو میں
وہ کہتا ہے میرا دل ہے میں کہتا ہوں میرا دل ہے

(ظل قلبي بين جوانحه مدة من الزمان، حيث عاد يقول: هذا قلبي، وأقول: هذا قلبي)

المجانسة: المشاركة في الجنس أو النوع، نحو: الإنسان والفرس يشتركان في الحيوانية، أو نحو: زيد وبكر يشتركان في الإنسانية، وإن تفاوتت صفاقما.

هذا، وثمة كلمات قريبة منها: نحو: المماثلة، والمناسبة (المشابهة)، والمشاكلة (الاشتراك في الصورة)، والموازنة (الاشتراك في الوزن)، والمطابقة ونحوها.(راجع: التعريفات للجرجاني، ص ٢٧٤؛ كتاب الكليات لأبي البقاء، ص ٣٨)

مبرورة: بَرَّت يمينُه: وفى بها.

الإعراب:

بالقمر المنشق:

القمر: موصوف. المنشق: صفة له، والظرف متعلق بـــ (أقسمت).

له: الضمير يعود على القمر. قلبه: الضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم.

من قلبه: الظرف متعلق بـــ (نسبة).

مبرورة القسم: فيه أربعة أعاريب ميسورة:

١- مبرورة القسم: صفة لـــ (يمينا) المقدرة. أي: يمينا مبرورة. ثم أضيفت (مبرورة) إلى القسم، ليدل على الموصوف، أي حلفت على تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم بالقمر حلفا صادقا لا حنث فيه. وأُنث (مبرورة) لتأنيث اليمين.

٢-٣- مبرورة: خبر مبتدإ محذوف، مرفوع، أو نقدر لها مبتدأ: نفسي/يميني. أي نفسي صادقة في اليمين، أو يميني قوية وصادقة.

٤- مبرورة القسم: صفة لـــ (نسبة) والنسبة بمعنى المشابهة. والمبرورة بمعنى الكاملة.

وبرت يمينه بمعنى اكتملت يمينه. أي تشقق صدره أو قلبه وانقسامه يشبه انشقاق القمر مشابهة كاملة. ولا يرد أن (نسبة) نكرة فكيف يوصف بـــ (مبرورة القسم) وهو معرفة؛ لأن اسم الفاعل/ اسم المفعول إذا أضيف إلى معموله كانت الإضافة لفظية، ولا تفيد التعريف.

الشرح:

حاصل البيت: أن قلب النبي صلى الله عليه وسلم يشبه القمر، بجامع الانشقاق في كل منهما. ويبلغ هذا من القوة ما يجعلني أحلف عليه، وحلفي صادق، أو المعنى: لو حلف المرء على هذه المناسبة بينهما لكان بارا وصادقا في يمينه.

وفي البيت إشارة إلى شق الصدر وشق القمر أيضا.

البيت السابق يتحدث عن معجزة السحاب، وهذا البيت يتحدث عن معجزة القمر. والمناسبة بينهما ما يلي:

١- كلاهما معجزة سماوية.

٢- كلاهما أي السحاب والقمر أجابا له صلى الله عليه وسلم كالخادمين.

وجه الشبه بين القمر وبين النبي صلى الله عليه وسلم:

١- كلاهما انشق.

٢- كلاهما منور، ومنير لغيرهما.

٣- يقطع القمر المسافة بسرعة، وسرعة السيرة في المعراج معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا.

٤- من أسمائه المباركة: القمر. قال الشيخ محمد بن يوسف الشامي وهو يعدد أسماء النبي صلى الله عليه وسلم: «القمر: الكوكب المعروف، وإنما سمي بذلك إذا امتلأ ومضى عليه ثلاث ليال؛ لأنه يقمر ضوؤه ضوء الكواكب حينئذ ويفور. وقبل ذلك يسمى هلالا وسمي به النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه جلا ظلمة الكفر بنور الهداية.

وفي قصص الكسائي: إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: إن محمدا هو البحر الزاخر والقمر الباهر».(سبل الهدى والرشاد١/٤٩٨)

ويقول الشاعر الأردي:

چاند سے تشبیہ دینا یہ بھی کیا انصاف ہے
اس کے منہ پر داغ ہیں حضرت کا چہرہ صاف ہے

(هل من العدل أن نشبهه بالقمر؛ فإن وجه القمر به وصمة، وأما وجه سيدنا فلا يشينه شيء)

شق الصدر:

وقع شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم أربع مرات:

أولها: على عهد الطفولة:

تربى النبي صلى الله عليه وسلم في الطفولة على حليمة السعدية رضي الله عنها، وهو ابن أربع سنوات، (و ثمة أقوال أخرى في العمر)، وحاصل القصة أنه خرج مع إخوته من الرضاعة لرعي الغنم إلى الصحراء، إذ جاء عبد الله — أخوه من الرضاعة- إلى حليمة السعدية فقال لها: إن أخا قريش قد بطحه رجلان عليهما ثياب بيض، وشقا صدره، وقد تركته على ذلك، فما إن سمعت حليمة حتى سارعت هي وزوجها إلى الصحراء، فإذا هما بمحمد صلى الله عليه وسلم قاعدا، منتقع اللون، فسألاه عن الخبر، فقص عليهما القصة، فعادت حليمة السعدية به إلى البيت.

ما فعل الملائكة عند شق صدره؟حاصله: أنهما شقا صدره وأخرجا قلبه منه، ثم شقا القلب وأخرجا منه علقة أو علقتين، وقالا: هذا حظ الشيطان. ثم وضعاه في الطست وغسلاه، ثم أعاداه إلى مكانه من الصدر، وخاطاه، وختما بين كتفيه بخاتم.

روي شق الصدر إبان نزوله على حليمة السعدية في عدد من الروايات عن عدد من الصحابة، منهم: ١-أنس بن مالك، ٢-وعتبة بن عبد السلمي، ٣-وعبد الله بن عباس، ٤-وحليمة السعددية، ٥-وشداد بن أوس، ٦-وخالد بن معدان رضي الله عنهم.

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:

عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في

مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا: إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: «وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره».(صحيح مسلم، رقم:١٦٢)

عن أنس بن مالك: «أنه قد شق بطنه -يعني النبي صلى الله عليه وسلم- من عند صدره إلى أسفل بطنه».الحديث.(دلائل النبوة للبيهقي ٣٩٢/١؛ والطبقات الكبرى ١٥٠/١)

حديث عتبة بن عبد السلمي:

عن عتبة بن عبد السلمي، أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: «كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا، وابن لها في بهم لنا، و لم نأخذ معنا زادا فقلت: يا أخي اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا فانطلق أخي، وكنت عند البهم، فأقبل طيران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم، فأقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني للقفاء فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما لصاحبه: حصه يعني خطه واختتم عليه بخاتم النبوة».الحديث. (وفيه أمور أخرى). (المستدرك للحاكم، رقم:٤٢٣٠، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والحديث أيضًا في مسند أحمد ١٧٦٤٨/١٩٥/٢٩؛ والمعجم الكبير للطبراني ٢٠٥٦٦/٢١٢/٢٤؛ ومسند الدارمي١٣/٢٠/١؛ ودلائل النبوة لأبي نعيم، ص١٦١)

حديث عبد الله بن عباس:

عن عبد الله بن عباس قال: «كانت حليمة بنت أبي ذؤيب التي أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم تحدث... ونحن ننظر إليه حتى شق من صق صدره إلى عانته». وفي الحديث قصة. (روى القصة مطولة جدًّا البيهقي، وابن عساكر، والسيوطي. راجع: دلائل النبوة ١٣٩/١وما بعدها؛ وتاريخ دمشق ٤٧٤/٣؛ والخصائص الكبرى ٩٥/١)

حديث حليمة السعدية:

عن عبد الله بن جعفر، عن حليمة بنت الحارث أم رسول الله صلى الله عليه وسلم السعدية التي أرضعته، قالت: خرجت في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء بمكة على أتان لي قمراء في سنة شهباء لم تبق شيئا... إذ جاءنا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه: أدركا أخي القرشي، قد جاءه رجلان فأضجعاه، فشقا بطنه».(مسند أبي يعلى ٧١٥٣/٧٤١٣،

قال الهيثمي: رواه أبو يعلى والطبراني بنحوه إلا أنه قال: حدثني حليمة بنت أبي ذؤيب، ورجالهما ثقات. (مجمع الزوائد ٤٠٣/٨/١٣٨٤٠؛ وينظر: تاريخ مدينة دمشق٩٠/٣)

حديث شداد بن أوس:

قال شداد بن أوس: « أقبل رجل من بني عامر شيخ كبير يتوكأ على عصاه حتى مثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، إنك تفوه بأمر عظيم، تزعم أنك رسول الله...؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:... فأخذني أحدهم فأضجعني إضجاعا رفيقًا فشقّ ما بين صدري فصدعه فأخرج منه بضعة منتنة فقذفها». وفي الحديث قصة. (تاريخ مدينة دمشق ٤٦٧/٣؛ الشريعة للأجري ٥٧/٣. قال الحافظ: شداد بن أوس عند أبي يعلى والدلائل لأبي نعيم. (فتح الباري ٥٦١/٦). وقد قال غير واحد منهم الحافظ ابن حجر وابن كثير والقاضي عياض: إن حديث شداد بن أوس في الشق المذكور في دلائل النبوة لأبي نعيم.

والقصة مذكورة في سيرة ابن هشام ١٦٤/١؛ والروض الأنف ٢٨٨/١ وما بعدها؛ وقد قال الحافظ ابن كثير في السيرة النبوية ٢٢٩/١بعد إيراده بطوله: وهذا الحديث قد روي من طريق آخر، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي)

حديث خالد بن معدان:

عن خالد بن معدان عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك. قال: «دعوة إبراهيم وبشرى عيسى بن مريم عليهم السلام... فأقبل إليّ طيران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ فقال الآخر: نعم. قال: فأقبلا يبتدران فأخذاني فبطحاني للقفا، فاستخرجا قلبي، فشقاه، فأخرجا منه علقتين سوداوين...».الحديث. (تاريخ مدينة دمشق ١٧٠/١؛ و روى القصة بطولها عن خالد بن معدان مرسلا: ابن سعد في الطبقات ١٥٠/١ وما بعدها؛ وابن كثير في السيرة النبوية ٢٢٨/١، والبيهقي في دلائل النبوة ١٤٥/١).

المرة الثانية: وهو ابن عشر سنين:

عن أبي بن كعب: أن أبا هريرة كان جريئا على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال: يا رسول الله، ما أول ما رأيت في أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال: «لقد سألتَ أبا هريرة إني لفي صحراء ابن عشر سنين و أشهر، وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا رجل يقول لرجل: أهو هو؟ قال: نعم، فاستقبلاني... فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره، فهوى أحدهما إلى

صدري، ففلقها فيما أرى بلا دم ولا وجع». الحديث. (مسند أحمد، رقم:٢١٢٦١؛ غاية المقصد في زوائد المسند للهيثمي٢/١٠٣٨؛ الأحاديث المختارة للضياء المقدسي٢/١٣٢؛ قال الهيثمي: رواه عبد الله، ورجاله ثقات، وثقهم ابن حبان. (مجمع الزوائد ٨/٢٤٨)، وينظر: دلائل النبوة لأبي نعيم، رقم:١٦١؛ وتاريخ مدينة دمشق٣/٤٦٥؛ وذكر السيوطي الحديث في جامع الأحاديث. وقال عبد الله في زوائده على المسند، وابن حبان، والحاكم، والمحاملي، وأبونعيم في الدلائل، وابن عساكر، والضياء).

المرة الثالثة: بعد البعثة:

رواه أبو ذر وعائشة رضي الله عنهما.

حديث أبي ذر:

عن أبي ذر قال: «قلنا: يارسول الله، كيف علمت أنك نبي؟ قال: ما علمت حتى أعلمت ذلك يا أباذر، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة... قال أحدهما للأخر: شُقَّ بطنه، فشق بطني».الحديث. (مسند البزار، رقم:٤٠٤٨؛ سنن الدارمي ١/٢١/١٤؛ تاريخ مدينة دمشق ٣/٤٦١. قال الهيثمي: «رواه البزار، وفيه جعفر بن عبد الله بن عثمان بن كبير وثقه أبو حاتم الرازي وابن حبان، وتكلم فيه العقيلي، وبقية رجاله ثقات، رجال الصحيحين».(مجمع الزوائد ٨/٤٥٨).

حديث عائشة:

عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف هو وخديجة شهرا، فوافق ذلك رمضان،... فهبط جبريل إلى الأرض، وبقي ميكائيل بين السماء والأرض. قال: فأخذني جبريل فصلقني لحلاوة القفا، وشق عن بطني، فأخرج منه ما شاء الله». الحديث. (مسند الطيالسي، رقم: ١٦٤٣، بتحقيق الدكتور عبد المحسن التركي، وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ٢/٨٦٧/٩٢٨؛ دلائل النبوة لأبي نعيم، ص ١٥٨؛ دلائل النبوة للبيهقي ٢/١٤٢).

واعترف بهذا الشق المحققون أيضًا. وقال الشيخ محمد إدريس رحمه الله في الشق في هذه المرة الثالثة: اعترف الحافظ ابن الملقن في شرح البخاري، والحافظ العسقلاني في فتح الباري [٧/٢٠٤، ٦ /٥٦٢] بشق الصدر عند البعثة. وفي الحاشية: «شرح البخاري لابن الملقن له مخطوط في المكتبة الآصفية في حيدرآباد/دكن». (سيرة المصطفى، ص ٧٤ ملخصا).

المرة الرابعة: قبل رحلة المعراج:

رواه أبو ذر ومالك بن صعصعة.

حديث أبي ذر:

عن أنس بن مالك، قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنَزل جبريل صلى الله عليه وسلم، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا...».الحديث. (صحيح البخاري، رقم:٣٤٩. صحيح مسلم، رقم:١٦٣)

حديث مالك بن صعصعة:

عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به: «بينما أنا في الحطيم مضطجعًا إذ أتاني آتٍ فشق ما بين هذه إلى هذه...».الحديث.(صحيح البخاري، رقم: ٣٨٨٧. صحيح مسلم، رقم:١٦٤)

ثبت شق الصدر أربع مرات هذه بالأحاديث الصحيحة المعتبرة، وتذكر بعض الروايات الشق مرة خامسة وهو ابن عشرين سنة، وهو حديث غير ثابت ولا معتبر باتفاق المحدثين.

ثبت شق الصدر عند الإسراء بروايات صحيحة:

وقع شق الصدر -كما رأيت- قبل سفر المعراج. والجدير بالذكر هنا أن القاضي عياض والعلامة ابن حزم وغيرهم قالوا: لم يقع شق الصدر عند الإسراء. وإنما خُلِط في رواية شريك، ذكره القاضي عياض في «الشفا»، وفي شرح صحيح مسلم. وقال: «هو الصحيح المشهور». قال القاضي عياض:

«وقد خلط فيه غيره (غير ثابت) عن أنس تخليطا كثيرا، لاسيما من رواية شريك بن أبي نمر، فقد ذكر في أوله مجيء الملك له، وشق بطنه، وغسله بماء زمزم. وهذا إنما كان وهو صبي قبل الوحي».(شرح الشفا للملا علي القاري ٣/٣٧٦؛ شرح مسلم للقاضي عياض المسمى «إكمال المعلم بفوائد مسلم» ١/٤٩٨)

والجواب عنه: حيث ذكر الرواة الثقات شق الصدر في قصة المعراج، وروى ذلك البخاري في صحيحه في عدد من الأماكن، منها: صحيح البخاري، رقم:٣٤٩، وليس فيه

شريك، فلا يسع إنكاره.

و لم يحك من نصوص المحدثين العظام إلا نص واحد: قال القرطبي في شرح مسلم: «ولا يُلتفت إلى قول من قال: إن ذلك مرة واحدة في صغره، وأخذ يغلط بعض الرواة الذين رووا أحد الخبرين، فإن الغلط به أليق، والوهم منه أقرب. فإن رواة الحديث أئمة مشاهير حفاظ، ولا إحالة في شيء مما ذكروه، ولا معارضة بينهما ولا تناقض. فصح ما قلنا، وبهذا قال جماعة من العلماء، منهم: القاضي المهلب، وابن أبي صفرة في شرح مختصر صحيح البخاري. والله أعلم». (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣٨٣/١)

الحِكَم في شق الصدر:

فصل أهل الكلام على الحكم والأسرار الكامنة في شق الصدر في هذه المواقع، وأيسر وأوجز ما يمكن قوله هو ما يلي:

- شق صدره وهو ابن أربع سنوات، لإزالة الرغبة في اللهو واللعب.

يقول الشيخ إدريس الكاندهلوي: «روي أنه شق صدره وهو عند حليمة السعدية، واستخرجت نقطة سوداء من قلبه المبارك، وهي في الواقع مادة المعصية، فطُهِّرَ قلبه منها، كما قال الشيخ الأكبر في الفتوحات الإلهية».(سيرة المصطفى ملخصًا، ص ٧٦)

والأولى أن نقول: هي مادة الميل إلى أمور غير مناسبة أو الميل إلى اللعب واللهو.

- شق صدره وهو ابن عشر سنين؛ ليتطهر من الآثار السيئة لشهوات الشباب.
- شق صدره عند البعثة، ليتحمل أعباء النبوة وأسرار الوحي، والعلوم الإلهية وغيرها.
- شق صدره قبل المعراج، ليتحمل أعباء هذه الرحلة، ولإعداده للسير في عالم الملكوت، ومشاهدة التجليات الإلهية، وآيات عظيم قدرته سبحانه، وما وقع في رحلة المعراج.

(للاستزادة من الأسرار و الحكم راجع: فتح الباري٢٥/٧؛ شرح الزرقاني على المواهب ١٥٣/١، سيرة المصطفى)

الفرق بين شق الصدر وشرح الصدر:

من المهم جدا أن نعلم أنهما أمران مختلفان، وحذار أن نخلط بينهما، وهو باختصار ما يلي:

شق الصدر: صدع الصدر، وغسل القلب ثم إعادته إلى مكانه.

شرح الصدر: شرح الصدر للعلوم والمعارف.

فلا يصح التعبير عن شق الصدر بشرح الصدر بأنه أمر معنوي، فما أكثر الكلمات في روايات شق الصدر الدالة دلالة واضحة على أنه أمر حسي، منها قول أنس بن مالك: «كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره». (صحيح مسلم، رقم:١٦٣) وفي رواية: «لقد كنا نرى أثر المخيط في صدره». (مسند أحمد، رقم:١٢٢٢١)، وكذلك روى أبو نعيم: «فكأني أعاين معاينة». (دلائل النبوة ٢٢١/١)

يقول العلامة القسطلاني: «ثم إن جميع ما ورد من شق القلب واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك».

ويقول العلامة الزرقاني في شرحه: «هكذا قال القرطبي في المفهم، والطيبي، والتوربشتي، والحافظ في الفتح، والسيوطي وغيرهم...، قال السيوطي: وما وقع من بعض جهلة العصر من إنكار ذلك، وحمله على الأمور المعنوية، وإلزام قائله القول بقلب الحقائق، فهو جعل صراح، وخطأ قبيح، نشأ من خذلان الله تعالى لهم، وعكوفهم على العلوم الفلسفية، وبعدهم عن دقائق السنة، عافانا الله من ذلك».(شرح الزرقاني على المواهب ٢٤/٦؛ ومثله في: سبل الهدى والرشاد٦٥/٢)

مزيد من المعلومات:

علاوة على ذلك تحدث العلماء عن أمور أخرى كثيرة خاصة بشق الصدر، يُرجع لها إلى كتب السيرة. منها:

١- وزن النبي صلى الله عليه وسلم بألف رجل، ما المراد به ؟
٢- شرح الصدر يعم غيره صلى الله عليه وسلم من الصلحاء والأتقياء، وأما شق الصدر فيخص النبي صلى الله عليه وسلم أم لا ؟
٣- هل تألم النبي صلى الله عليه وسلم بشق الصدر ؟
٤- هل تم استخدام آلة من الآلات لذلك أم لا ؟
٥- لم استخدم الملائكة طستا من الذهب ؟
٦- ماء زمزم أفضل المياه، أم لا ؟
٧- لم استخدموا الثلج والبرد ؟

٨- ما معنى إفراغ الإيمان والحكمة وليسا من الأجسام؟ ونحو ذلك.

قوله: **أقسمت بالقمر المنشق:**

إيراد: أقسم بالقمر في البيت، وقد ورد النهي الشديد عن الحلف بغير الله تعالى وعد ذلك شركا أصغر. ولو قال إن غير الله متصرف غيبا دائما فهو شرك أكبر. وعليه اعتبر الناقدون هذا البيت من الأبيات الشركية. فما جوابه؟

نبذة من الأحاديث الناهية عن الحلف بغير الله تعالى:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب، وهو يسير في ركب، يحلف بأبيه، فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت».

وزاد في حديث آخر: «قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ذاكرا ولا آثِرًا». (صحيح البخاري، رقم:٦٦٤٦، ٦٦٤٧)

قال: عمر: حدثت قوما حديثا، فقلت: لا، وأبي. فقال رجل من خلفي: لا تحلفوا بآبائكم، قال: فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «لو أن أحدكم حلف بالمسيح لهلك، والمسيح خير من آبائكم». (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:١٢٤١٠. وقال الحافظ: «هذا مرسل يتقوى بشواهده». (فتح الباري ٥٣١/١١)

عن سعد بن عبيدة، أن ابن عمر سمع رجلا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك». (سنن الترمذي، رقم:١٥٣٥؛ والمستدرك للحاكم، رقم:٧٨١٤؛ وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي)

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «لأن أحلف بالله مئة مرة فآثم خير من أن أحلف بغيره فأبرَّ». (شرح النووي على مسلم ١٠٥/١١)

قال الشعبي: «ولأن أقسم بالله فأحنث أحب إليَّ من أن أقسم بغيره فأَبَرَّ». وجاء مثله عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر. (فتح الباري٥٣٥/١١؛ والآثار المشار إليها في الاستذكار ٢٠٣/٥)

عبد الرزاق عن الثوري عن أبي سلمة عن وبرة قال: قال عبد الله -لا أدري ابن مسعود أو ابن عمر-: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقا». (مصنف عبد الرزاق ٤٦٩/٨؛ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد ٣١٨/٤)

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون».(سنن أبي داود، رقم:٣٢٤٨)

الجواب:

(١) يقدر فيه كلمة (رب) والمراد بالقمر: رب القمر. كما حملت الأحاديث الواردُ فيها (أفلح وأبيه) على (أفلح ورب أبيه). (راجع: السنن الكبرى للبيهقي ٢٩/١٠؛ فتح الباري ٥٣٤/١١)

(٢) أجاب بعض الشراح بأن الناظم رحمه الله على مذهب الشافعية، ويجوز عندهم الحلف بغير الله تعالى. وهذا غير صحيح، فقد ورد في غير واحد من كتب الشافعية أنهم اتفقوا على أنه لا يصح التحليف بغير الله تعالى. فإن كان يراعي التعظيم لغير الله عند الحلف به ما يراعي من تعظيم الله تعالى كفر. (راجع: إعانة الطالبين٣٥٦/٤؛ مغني المحتاج ١٨١/٦؛ نهاية المحتاج ١٧٥/٨؛ فتح الباري ٥٣١/١١)

(٣) أحسن الأجوبة أن القسم على أربعة أنواع:

١- للتعظيم. ٢- للاستشهاد. ٣- للدعاء لأحد. ٤- للدعاء على أحد.

القسم للتعظيم:

القسم يتكون من ثلاثة أجزاء: ١- المقسِم (الذي يقسم). ٢- المقسَم به (من يقسم باسمه). ٣-المقسَم عليه (ما يقسم عليه).

هذا النوع من القسم يتضمن اعتبار المقسم به عالما للغيب ومتصرفًا ومختارًا. وهذا النوع من القسم خاص بالله تعالى. والقسم بغيره بهذا الاعتقاد شِرك.

من أمثلة هذا القسم:

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾ (الأنبياء: ٥٧)، وقَالَ تَعَالَى:﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ (يوسف:٧٣)

وكان عامر بن سنان ينشد في غزوة خيبر: «تالله لولا الله ما اهتدينا».(صحيح البخاري، رقم:٦٣٣١)

يقول العلامة النووي في مثل هذا القسم الحقيقي: «قال العلماء: الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يضاهي به غيره». (شرح النووي على مسلم ٤٦/٢؛ وانظر: فيض القدير٢٨٦/٦؛ وعمدة القاري ٦٩٥/١٥)

والحاصل أن القسم الحقيقي ما كان على اعتبار المقسم به متصرِّفا في الأمور، وعالِمًا للغيب بأن يهلكني المقسَم به إن كنت كاذبا في يميني.

القسم للاستشهاد:

وربما يؤتى بالمقسم به دليلا وشاهدا لإثبات الدعوى، والغرض من مثل هذا القسم ليس إلا أن المحلوف به شاهد على ذلك. وهذا النوع من القسم يجوز بغير الله تعالى. ومعظم أيمان الشعراء من هذا الباب.

قال أبو الطيب:

فَوَمَنْ أُحِبُّ لأَعصِيَنَّكَ في الهوَى ۞ قسمًا به و بحُسنه و بَهائه

(قصائد منتخبة من ديوان المتنبئ، ص٧٧)

ويقول الشاعر الأردي:

اے عشق ناتواں تجھے حسن کی قسم ۞ دامن کو یوں پکڑ کہ چھڑایا نہ جاسکے

اتنا ہوں تیر ی تیغ کا شرمندہ احسان ۞ سر میرا تیرے سر کی قسم اٹھ نہیں سکتا

خیال بن کے رہوں گا تیرے خیال میں اب ۞ تیری قسم نہیں رہنا مجھے مکانوں میں

(أيها العشق الضعيف، أقسم لك بالحسن، أمسك بالأهداب إمساكًا لا تنفلت معه، أنا مدين لسيفك، لم يرتفع رأسي قسمًا برأسك).

أعيش خيالا في خيالك، لا في البيت، قسما بك، لا رغبة لي في العيش في البيوت)

ذكر الشاه ولي الله الدهلوي في «الفوز الكبير» أمثلة على هذا النوع من اليمين، فقال: من المقول الفارسي السائر: «قسم بلبِ میگون تو وزلفِ شبگون تو کہ تو محبوب دل ربانی» أي

قسما بشفتيك الخماريتين وضفائرك السوداء، إنها دليل على أنك محبوب يخلب الفؤاد).

وما أكثر الأمثلة على ذلك في الجزء الأخير من القرآن الكريم، منها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ (العصر)، فقد سيق الزمان دليلا على ما بعده من المعنى.

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ (التين) فهذه الأشياء أو الأماكن الثلاثة سيقت دليلا على ما بعده من المعنى.

وقيل في تفسير هذه الآيات: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ هو عيسى عليه السلام، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: هو موسى عليه السلام، ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾: هو محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل في المراد بهذه الأشياء غيرهم من الأنبياء والأمكنة المقدسة. وعلى كل، الغرض من هذا القسم أنه شاهد على ما بعده من المعنى.

قال الحافظ ابن كثير: «هذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبيًّا مرسلا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول: محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم. والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران. والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا، وهو الذي أرسل فيه محمدا صلى الله عليه وسلم».(تفسير ابن كثير ٥٥٩/٤)

ومثله في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ (الضحى)

قال ابن كثير: « وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ أي سكن، فأظلم...، وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا».(تفسير ابن كثير٥٥٤/٤)

– هذا ما ذكره العلامة الرازي في تفسير سورة الذاريات.(تفسير الرازي ١٦٧/٢٨)

– وهذا ما ذكره العلامة ابن عاشور في تفسير سورة الفجر.(التحرير والتنوير٣١٢/٣٠)

يقول العلامة الزمخشري: «أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة».(الكشاف ٨٠٠/٤)

والقسم للاستشهاد وارد في اللغات الأخرى غير الأردية والعربية كذلك، يقول الشاعر الغزلي في لغة بشتو:

١ نن پښتنه چه آشنا زما دزړه کړه ۞ خپلې برندې سترګې نه پوښته چه سه کړه

٢ دجوندی حسن په مړو ستر ګو قسم دې ۞ چه ډیر مړی به جوندی جوندی به مړه کړه

٣ نیغ بانړه دجوړې ټیټ کړه زما اوخکو ۞ احترام د نښوانې پښتانه کړه

(سألني حبيبي اليوم عن قلبي، ولا يسأل عن عينه النافذة شيئا.

قسما بالعيون الناعسة للحسن الخالد الدائم، لقد أحيى هذا الحسن كثيرا من الأموات، وأمات كثيرا من الأحياء، أي إن العيون الناعسة والمخمورة دليل على الحسن القائم.

إن جفونك الطويلة والمستقيمة انحرفت بعبراتي، لأن المنتمين إلى قبيلة «بختون» يحترمون التحكيم).

القسم للدعاء لأحد:

صورته القسم وحقيقته الدعاء، دون القسم، نحو قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢)

وهذا مثل قولنا في العرف: قسما بحياتك. أي أطال الله تعالى حياتك. وكان إطلاق (لعمرك/ لعمري) سائدا. وقد روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عشرة من أصحابه.

وفي تاج العروس:

أَيُّها الْمُنكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيلاً ۞ عَمْرَكَ اللّٰهُ كَيْفَ يَجْتَمِعان

يريد: سألت الله أن يطيل عمرك، لأنه لم يرد القسم بذلك. عَمِر الرجلُ كفرح ونصر وضرب، عَمرًا و عمارة وعَمَرا: عاش وبقي زمانا طويلا. (تاج العروس ملخصا ١٢٧/١٣، ومثله في: أدب الكاتب لابن قتيبة، ص ٧٨)

وسمي (عمرو) عمرا تفاؤلا، أي أطال الله تعالى حياته. وحيث كان معنى (عمر) الحياة، فكان (عمري و عمرك) بمعناه.

وفي لسان العرب: «وسمي الرجل عمرا تفاؤلا أن يبقى، والعرب تقول في القسم: لعَمري، و لَعَمرُك. (لسان العرب ٦٠١/٤، ومثله في تاج العروس ١٢٣/١٣)

ومثله (أبوك/أبيك) بمعناه. يقول علماء اللغة: إطلاق هذه الكلمة لإظهار التعجب، وفي موضع المدح، (المدح يتضمن الدعاء، أو فيه الدعاء). يقول العلامة ابن الأثير: «فإذا وجد من الولد ما يحسن موقعه و يحمد قيل: لله أبوك في معرض المدح والتعجب: أي أبوك لله خالصًا حيث أنجب بك وأتى بمثلك».(النهاية في غريب الحديث ١٩/١. ومثله في شرح النووي على مسلم؛ وتاج العروس)

إليك بعض الأمثلة:

لعمري/لعمرك:

قال النبي صلى الله عليه وسلم لخارجة بن الصلت حين ما أخذ أجرة على الرقية: «كُلْ فلَعَمْري لَمَن أكل برقية باطل، لقد أكلتَ برقية حق».(سنن أبي داود، رقم:٣٤٢٠)

قال بعض العلماء: «ثبت أن سبعة من الصحابة نطقوا بهذه الكلمة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، منهم: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي روى حديث النهي عن الحلف بغير الله».(مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد: ٢٦)

قلت: بل أكثر من سبعة، وإليكم البيان:

١- عمر رضي الله عنه: قال لعائشة يوم الخندق: «لَعَمري، والله إنك لجريئة». (مسند أحمد، رقم :٢٥٠٩٧؛ صحيح ابن حبان، رقم:٧٠٢٨)

٢- علي بن أبي طالب: قال علي يوم أحد:

لَعَمري لقد أبليتُ في نَصر أحمدَ ۞ ومرضاة رب بالعباد عليم

(مجمع الزوائد٦/١٧٨)

٣- عائشة رضي الله عنها: قالت في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ (يوسف: ١١٠): «أجل، لَعَمري، لقد استيقنوا بذلك».(صحيح البخاري، رقم:٤٦٩٥)

وقالت رضي الله عنها: «فلَعمري، ما أتم الله حج مَن لم يطف بين الصفا والمروة». (صحيح مسلم، رقم: ١٢٧٧)

٤- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال: «لَعَمري، لو أن كلكم صلى في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم». (سنن ابن ماجه، رقم:٧٧٧)

٥- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قال في كتابه إلى نجدةَ: «وكتبتَ تسألني

متى ينقضي يتم اليتيم؟ فلَعَمري، إن الرجل لتنبت لحيته وإنه لضعيف الأخذ لنفسه، ضعيف العطاء منها، فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس فقد ذهب عنه اليتم».(صحيح مسلم، رقم :١٨١٢)

٦- عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: فكان ابن عمر يقول: «ولعَمري، لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة». (سير أعلام النبلاء ٢٩٦/٣؛ البداية والنهاية ١٧٥/٨؛ تاريخ مدينة دمشق ٢٠٨/١٤)

٧- أبو عبيدة رضي الله عنه: قال في كتابه إلى الروم: «العمري، ما كنا لنخرج عنها وقد أورثناها الله و نزعها من أيديكم».(الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ١٨٤/٣)

٨- كعب بن مالك رضي الله عنه: قال في قصة توبته المشهورة: «ولعمري، إن أشرف مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس لبدرٌ».(سنن الترمذي، رقم:٣١٠٢)

٩- أسماء بنت عميس رضي الله عنها: قالت لعُمر: «لَعَمري، لقد صدقت».(سير أعلام النبلاء ٢٨٣/٢؛ الطبقات الكبرى ٢٨١/٨)

١٠- عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه:

لَعَمْرُك لولا الليل قامتْ مآتم ۞ حواسر يخمشن الوجوه على عمرو

(الإصابة في تمييز الصحابة ٣٧٤/٤؛ معجم الشعراء للمرزباني، ص ٢٥٤)

١١- متمم رضي الله عنه: قال متمم بن نويرة رضي الله عنه قصائد في رثاء أخيه مالك، فمن ذلك قصيدته المشهورة التي أولها:

لَعَمري وما عمري بتأبين هالك ۞ ولا جزع مما أصاب فأوجعا

(معجم البلدان ٤٥٥/١؛ الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين للأخوين الشاعرين الأديبين المشهورين بالخالدين: سعيد بن هاشم بن وعلة الخالدي (ت:٣٧١هـ) ومحمد بن هاشم بن وعلة الخالدي (ت:٣٨٠هـ)؛ الحماسة البصرية، ص ١٨٧؛ موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي ١٦٤/٢)

لله أبوك:

١- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا سلمة، هَب لي المرأة، لله أبوك». (سنن أبي داود، رقم:٢٦٩٧)

٢- قال علقمة لسليمان بن أُذُنان: «فلِلّه أبوك ما حملك على ما فعلت بي».(سنن ابن ماجه، رقم: ٢٤٣)

٣- قال عمر لحذيفة: «أنت لله أبوك».(صحيح مسلم، رقم:١٤٤)

وأبيك:

١- قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما وأبيك لَتنَبَّأَنَّه أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقرَ وتأمل الغنى».(صحيح مسلم، رقم:١٠٣٢)

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، وأبيك لتُنَبَّأَن».(صحيح مسلم، رقم:٢٥٤٨)

القسم للدعاء على أحد:

قد يستعمل القسم للدعاء على أحد، يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ثَكِلْتُ بُنَيَّتِي إن لم تَروها ❁ تُثير النَّقْعَ من كَنَفَي كَداءُ

(صحيح مسلم، رقم:٢٤٩٠)

المعنى: فقدت بنتي إن لم تجر خيلنا إلى كداء وهي تثير الغبار.

وهذا يشبه القسم، لأن معنى القسم: إن لم أفعل كذا وكذا فعليَّ الكفارة، والمعنى هنا: لينْزل علي فقدُ بنتي إن لم تصل الخيل إلى كداء.

أنواع القسم الأربعة هذه ذكرها الشيخ حسين علي رحمه الله، ومثال النوع الرابع المذكور آنفًا يختلف عن المثال الذي ذكره الشيخ بعض الشيء. (راجع: مقدمة تفسير جواهر القرآن، ص١٠، من إفادات رئيس المفسرين الشيخ حسين علي رحمه الله، ترتيب: الشيخ غلام الله خان).

أشار المفسرون إلى الحكم والأسرار وراء هذه الأيمان المذكورة في موضعها.

كتب تخص الموضوع:

- التبيان في أقسام القرآن، للعلامة ابن القيم رحمه الله، في٢٧٠ صفحة، طبع مرات عدة. ويبدأ الكتاب ببعض التمهيدات، ويتلوها ذكر الأقسام الواردة في القرآن الكريم. والجدير بالذكر أن العلامة ابن القيم ذهب إلى أن الحكمة الأساسية في هذه الأيمان كلها أنها جميعا للاستشهاد. قال: «وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته». (التبيان، ص ٦)
- إمعان في أقسام القرآن، للعلامة عبد الحميد الفراهي الهندي، (ت:١٣٤٩هـ) صاحب نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان. لخص فيه كتاب العلامة ابن القيم المذكور، و توجيهات الإمام الرازي. يقع الكتاب في (٥٠) صفحة.

● خلاصة البيان في أيمان القرآن لابن طولون، (ت:٩٥٣هـ)، مخطوط.

وبجانب ذلك ألف غيرهم من أهل العلم الكتب في هذا الموضوع، مثل: ابن ذكوان — إمام القراء الشهير- (ت:٢٤٢هـ)، وثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة (ت:٢٩١هـ) وغيرهما.

الفرق بين القسم للتعظيم والقسم للدعاء لأحد:

فإن قيل: في ضوء التفصيل الذي ذكرتَ يؤخذ منه أن القسم للدعاء لأحد يصح، والقسم للتعظيم لا يصح، فكيف نفرق بينهما ؟

قلنا: نفرق بينهما بالقرائن، وحال المقسِم، فإن كان يعتقد الشرك (من اعتبار صالح أو ولي متصرفا في الأمور)، كان قسمه للتعظيم، وإلا كان للدعاء. وقرينة أخرى هي أن المرء إذا أقسم بأبيه كان للتعظيم، (فإن المرء يعظم أباه غالبا إلا إذا كان رجل سوء)، وإن أقسم بأب غيره، كان للدعاء، ولذا وردت الأحاديث بـــ (وأبيك/ وأبوك)، و لم يرد بـــ (وأبي). وذلك كما نقول للتفريق بين سجدة التحية وسجدة العبادة بأن الساجد إذا كان يعتقد الشرك، كانت السجدة للعبادة، وإن كان الساجد صحيح العقيدة كانت السجدة للتحية/ التعظيم، غير أن أهل العلم منعوا من القسم بأبي غيره سدا للذرائع.

للاستزادة من تفاصيله راجع: الرسالة المرضية في حكم سجدة التحية لصاحبها المفتي محمد شفيع رحمه الله.(جواهر الفقه، ج١)

لا شك أن العلامة البوصيري عالم صوفي صحيح العقيدة، سبق مزيد تفصيله في المقدمة، أخذ عنه أبو حيان النحوي، وابن سيد الناس، والعز بن جماعة وغيرهم من رؤوس العلماء.

إيراد على «أفلح وأبيه» ونحوها من الكلمات، والجواب عنه:

سبق آنفا الحديث الذي ورد فيه: أفلح وأبيه، ويرد عليه أنه حلف بغير الله تعالى، رد عليه المحدثون بوجوه كثيرة، نوجزها فيما يلي:

١- لا يقصد بهذه الكلمة اليمينُ. وإنما كانت كلمة (وأبيه) جارية على ألسنة العرب.(النووي)، مثل: عقرى وحلقى، وتربت يداك، قاتله الله وغيرها مما لا يقصد به المعنى الحقيقي، واكتفى الإمام النووي بهذا الجواب. وهو الراجح عنده. ولكن فيه نظر، وهو أن

النبي صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة للأمة، فيحترز مما يثير الشبهة.

٢- كان التحليف بغير الله مباحًا ثم نسخَ. وقوله هذا ورد قبل النسخ. (قاله الماوردي، والطحاوي، و غيرهما)

استدل ابن الجوزي على هذا التوجيه بقوله: «إن الله ينهاكم» يدل على أن الوحي بهذا النهي ورد حالا، واختاره معظم الشراح.

ويرد عليه: (١) أن الحلف بغير الله ورد النهي عنه حين ورد النهي عن الشرك، فالنهي وارد من الابتداء. (٢) يقول المنذري: لا يعلم الناسخ والمنسوخ بالضبط، فكيف يصح دعوى النسخ؟

٣- سبق لسانه بالحلف بغير الله.(قاله الشوكاني كما في فيض الباري) وهو مستبعد جدا، لأن: النبي لا يأتي بمثله وخاصة إذا كان مثار شبهة الشرك. ولو سلمنا فرضا أنه كان سبق لسان منه، فليكن مرة واحدة، وقد ثبت أنه حلف بذلك أربع مرات.

٤- لا يوجد (وأبيه) في حديث البخاري، فلا عبرة به لأن صحيح البخاري مقدم على غيره من كتب الحديث.(ابن الجوزي)، وهذا الجواب ظاهر البطلان.

٥- الحلف بـــ (وأبيه) مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن النهي عن الحلف بغير الله مخافة تعيظمه، ولا يتصور هذا الخوف في حقه صلى الله عليه وسلم.

وهذا لا يصح؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أسوة للأمة، ولا تثبت الخصائص بمجرد الاحتمال، إذ لا بد له من دليل.

٦- (أفلح وأبيه) أصله: (أفلح والله)، وعاد (وأبيه) لقصر اللامين.(السهيلي)

أجاب به العلامة السهيلي، ولا يصح. رد عليه القرطبي، لأن:

- لا دليل عليه.
- لوقلنا بذلك لانفتح الباب إلى تصحيف كلمات لا تحصى في الأحاديث.
- يتلاشى هذا الاحتمال إذا كان الرواة الثقات يروون— واحدا بعد واحد — اللفظ.
- ربما وقع التصحيف في موضع أو موضعين، وأما في كل مكان ومن الرواة كلهم فلا يتصور.

٧- (وأبيه) غير محفوظ، و وردت الروايات الصحيحة بـــ (والله). (ابن عبد البر، والقرافي وغيرهما).

قال ابن عبد البر: «وقد روي عن إسماعيل بن جعفر هذا الحديثُ وفيه: «أفلح والله إن صدق»، أو «دخل الجنة والله إن صدق». وهذا أولى من رواية من روى (وأبيه)؛ لأنها لفظة منكرة تردها الآثار الصحاح».(التمهيد ٣٦٧/١٤)

وذهب القرافي أيضًا إلى أن هذه الرواية غير صحيحة؛ لأنها لا توجد في الموطأ بهذا اللفظ.

وهذا الجواب غير صحيح، لأن هذا اللفظ وردت به رواية صحيحة، فلا مفر منه، وأما عدم وجوده في الموطأ فليس دليلا على خطئها. كما لا يخفى. فقد ورد هذا اللفظ في كل من صحيح مسلم، وأبي داود والبيهقي، والدارمي، وابن خزيمة، وأبي نعيم، والطحاوي وغيرهم.

٨- يقدر (رب) قبل (وأبيه)، أي: ورب أبيه.(البيهقي)، ولكن لا دليل على إرادة هذا المعنى في الحديث المبارك.

٩- معظم الرواة يروون بالمعنى، فلعله مدرج من قبل بعض الرواة. (ابن الجوزي)، ويرد عليه ما ورد على سابقه.

١٠- ليس هذا حلفا حقيقيا، بل حلف عرفي.

١١- هذا الحلف للتعجب.(السهيلي)، وفيه نظر؛ لأن النهي عن الحلف بغير الله تعالى نهي عن الحلف بكافة صوره.

١٢- الجواب الحسن أن يقال: ليس هذا القسم حقيقيا (أي للتعظيم)؛ بل المقصود منه الدعاء، ومن أقسام اليمين القسم بالدعاء لأحد، ومعنى: وأبيه: تفضل الله تعالى على والده بكل خير، فإن كان الوالد غير مؤمن، فالمعنى: أكثر الله تعالى من ذريته وبارك فيها.

اختار الحافظ ابن حجر وكثير من المحدثين الجوابين الأولين.(جريان هذا اللفظ عادة قبل النهي وكونه منسوخًا).

أجاب عنه الإمام البيهقي بأربعة وجوه. (السنن الكبرى ٢٩/١٠)

أجاب عنه الإمام النووي بوجه واحد. (شرح النووي على مسلم ٤٦/٢)

أجاب العلامة السيوطي عنه بالوجهين الأولين فقط.(الديباج على مسلم ١٢/١)

اختار الطحاوي نسخه. (مشكل الآثار٢٩٢/٢).

(للاستزادة منه راجع:٢٨١/١؛ فيض الباري ١٣٩/١، وحاشيته للشيخ محمد بدر عالم؛ فتح الباري ١٠٧/١،

و ٥٣٣/١١؛ تحفة الأحوذي ١١٣/٥؛ شرح سنن أبي داود للعيني٢٣٦/٢؛ شرح الزرقاني على الموطأ ٥٠٧/١، و ٨٨/٣؛ كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي٣٢/١؛ الروض الأنف ٦٧/٤؛ تكملة المجموع شرح المهذب ١٩/١٨؛ معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد، ص ٤٥٥-٤٥٦)

معجزة شق القمر:

سأل الكفارُ علماء اليهود: ماذا نطلب من محمد من المعجزات؟ فقالوا: تأثير السحر يقتصر على الأرض، فقولوا له: اجعل القمر شقين.

خلاصة القصة:

كان النبي صلى الله عليه وسلم في منى، فطلب منه المشركون أن يجعل القمر شقين. وذلك في ليلة البدر، فقال لهم: هل تؤمنون إن جعلت ذلك؟ فأجابوا: نعم. فأراهم الله تعالى هذه الآية البينة، بأن جعل شقا في الشرق وشقا آخر في الغرب. وحال بينهما الجبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حضره: انظروا واشهدوا. فلما رأوا ذلك واضحا، التأم الشقان. ولم يسع الناظر إلى هذه الآية البينة إنكارها ورفضها، ثم قال المشركون: سحرنا محمد، ولكن لا يسعه أن يسحر العالم كله، فانظروا إلى السفارة يأتونكم من الأطراف، ماذا يقولون؟ وفي رواية الطيالسي: فما قدم عليهم أحد من وجه من الوجوه إلا أخبروهم بأنهم رأوه شقين كذلك.

ثبوت انشقاق القمر:

ثبتت هذه المعجزة من القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ (القمر: ١)

وثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المتواترة أيضا، قال الحافظ ابن كثير: «قد كان هذا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة... وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أي انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات».(تفسير ابن كثير ٢٧٦/٤)

ويقول العلامة الآلوسي: «والأحاديث الصحيحة في الانشقاق كثيرة، واختلف في تواتره فقيل: هو غير متواتر، وفي شرح المواقف الشريفي أنه متواتر وهو الذي اختاره العلامة ابن السبكي. قال في شرحه لمختصر ابن الحاجب: الصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق شتى بحيث

لا يمترى في تواتره. انتهى باختصار. وقد جاءت أحاديثه في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة، منهم: علي كرم الله تعالى وجهه، وأنس، وابن مسعود، وابن عباس، وحذيفة، وجبير بن مطعم، وابن عمر، وغيرهم».(روح المعاني٢٧/٧٤)

وكلام العلامة السبكي الذي حكاه الآلوسي في ثنايا كلامه جاء مختصرا، وهو مفصل في أصل الكتاب، ويتخلله ذكر الصحابة والتابعين الذين روي عنهم انشقاق القمر.

ويبدأ نص السبكي بقوله: «والصحيح عندي في الجواب: الالتزام أن الانشقاق والحنين متواتر». وانتهى بقوله: «وله طرق أخر شتى، لا يمتري في تواتره محدث».(رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب٢/ ٣٢٢؛ وينظر: البداية والنهاية ٣/١٤٦)

إليكم ما روي في انشقاق القمر بإيجاز:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين: فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشهدوا»».

عن عبد الله قال: «انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين، فقال لنا: «اشهدوا، اشهدوا»».

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «انشق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم».

عن أنس رضي الله عنه قال: «سأل أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر».
(الروايات الأربع وردت في صحيح البخاري، باب انشقاق القمر)

وروى أبونعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «جاءت أحبار اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أرنا آية حتى نؤمن. فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ربَّه عز وجل أن يريهم آية فأراهم القمر قد انشق فصار قمرين أحدهما على الصفا والآخر على المروة قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليهما ثم غاب القمر فقالوا: هذا سحر مستمر».

عن عبد الله رضي الله عنه قال: «انشق القمر ونحن بمكة فقالت كفار قريش: سحر

سحركم ابن أبي كبشة فانظروا إلى السفارة يأتونكم فإن أخبروكم أنهم رأوه مثل ما رأيتم فقد صدق. قال: فما قدم عليهم أحد من وجه من الوجوه إلا أخبروهم بأنهم رأوه. رواه عمر بن أبي قيس، عن مغيرة مثله». (الروايتان من دلائل النبوة لأبي نعيم، ص٢٣٥؛ ومثله في دلائل النبوة للبيهقي ٢٦٢/٢؛ ومسند الطيالسي ٢٣٦/١)

والصحابة الذين ساق عنهم العلامة السيوطي وابن جرير الطبري في كتابيهما ما روي في انشقاق القمر أسماؤهم كالتالي:

١- عبد الله بن مسعود، ٢- عبد الله بن عمر، ٣- عبد الله بن عباس، ٤- أنس بن مالك، ٥- جبير بن مطعم، ٦- أبو عبد الله السلمي عن حذيفة رضي الله عنهم، ٧- مراسيل مجاهد وغيره من التابعين.

ساق ابن جرير الطبري الروايات كلها بأسانيده، وذكر لبعض الروايات أكثر من إسناد. (راجع: تفسير الطبري ٥٠/٢٧؛ الدر المنثور٦٧٠/٧)

بعض الأمور الهامة التي تخص انشقاق القمر:

١- شق القمر من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- أثار بعض أهل العلم نكتة وهي أن معجزة انشقاق القمر أعطيها النبي صلى الله عليه و سلم إكراما وجزاءً، فيقول العلامة البوصيري رحمه الله في قصيدته الهمزية:

وَ شُقَّ عن صَدرِهِ وَ شقَّ لَه البدر ۞ و مِنْ شَرطِ كُلِّ شَرطٍ جَزاء

٣- تعدُّ هذه المعجزات من أمهات المعجزات.

٤- هي معجزة عظيمة لا مثيل لها في معجزات الأنبياء عليهم السلام، ولا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء.

٥- وقع شق القمر قبل الهجرة بخمس سنوات.(راجع: شرح الزرقاني على المواهب ١٠٧/٥ وما بعدها؛ فتح الباري١٨٥/٧؛ روح المعاني ٧٤/٢٧)

لم يقع شق القمر إلا مرة واحدة:

روي أن شق القمر وقع مرتين في مكة، و لم يثبت في الروايات الصحيحة إلا مرة واحدة، ومعنى مرتين:

- فرقتين/ شقتين، كما وردت به الروايات.

- بما أن الشقتين كان بينهما فصل، فقال مرة وهو يشير إلى إحداهما: اشهدوا، ثم قال وهو يشير إلى الأخرى: اشهدوا، فكان الشق مرة واحدة والإراءة مرتين.
- نظر مرة ثم صرف بصره عنه، ثم قال في نفسه: لعل الأمر التبس في المرة الأولى، فأعاد النظر إليه، فوجده لم يتغير، وهو على فرقتين، وقد فعل الكفار ذلك مرات.

هذا الجواب أورده العلامة الآلوسي. (فتح الباري ١٨٣/٧؛ روح المعاني٧٥/٢٧؛ البداية والنهاية ١٥٠/٣؛ شرح الزرقاني على المواهب ١١٠/٥)

إيرادات على شق القمر والجواب عنها:

يرد على هذه المعجزة من وجوه، يرجع لتفصيلها إلى كتب التفاسير وشروح الحديث، وكتب السيرة في موضعها، نوجز هنا بعض الإيرادات والجواب عنها:

الإيراد الأول: لم تقع هذه المعجزة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، بل ستقع يوم القيامة. ويعزى هذا القول إلى الحسن البصري وعطاء الخراساني من السلف الصالح. (تفسير القرطبي ١٢٦/١٧؛ زاد المسير ٨٨/٨)

قال العلامة الطحاوي وهو يشير إليهم: «وقد زعم بعض من يدعي التأويل ويستعمل رأيه فيه... أنه لم ينشق القمر، وإنه إنما ينشق يوم القيامة». ثم قال: «ويتعلق هذا القائل بقوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾،و قوله تَعَالَىٰ:﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾(القمر:٦)

والجواب عنه (١): قرأ حذيفة (قد انشق). ومعنى (قد) أنه حصل في الماضي.

عن أنس رضي الله عنه: «وهي قراءة حذيفة رضي الله عنه (قد انشق القمر). (مسند الشاميين ٢٥٨١/١٠/٤، ومثله عن أبي عبد الرحمن السلمي عن حذيفة؛ مصنف عبد الرزاق١٩/٣/ ٥٢٨٥)

نعم يقع في القيامة، فهذه واقعة أخرى.

(٢) أن المعجزة قد وقعت فعلا، ولذا كذب بها المشركون على أنها سحر.

(٣) قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ ﴾ (القمر: ٢)، ولا إعراض عن شيء إلا بعد وقوعه، و لا يتصور الإعراض قبل الوقوع.

(٤) تم الكلام على قوله تَعَالَىٰ:﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ (القمر:٦)، وقوله تَعَالَىٰ:﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾ استيناف. فلا علاقة لقوله:﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ بقوله: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾.(شرح معاني الآثار ١٨٢/٢ بتحقيق شعيب الأرنؤوط)كما رد المفسرون هذا القول في تفسير هذه الآية الكريم.

الإيراد الثاني: إن شق القمر يستلزم الخرق والالتئام في العلويات والأجرام السماوية، والنظام الذي وضعه الله تعالى محكم متين. فلا يصح انشقاق القمر. هذا ما يورده بعض النصارى.

الجواب عنه: (١) إن نظام الكون من صنع الله تعالى، فإن حصل الانشقاق والالتئام بأمره سبحانه تعالى فلا عيب فيه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٨٤) وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ (الأنبياء: ٣٠)

(٢) لم يعد الخرق شيئا غريبا في عصرنا العلمي اليوم، فإن العالم يشهد دراسات تقول: إن النجوم تنقض وتتلاشى، وتنقطع أنوار بعضها للأبد.

(٣) تذكر كتب النصارى رفع عيسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام إلى السماء، فجاء في الإنجيل: إن إيلياء ويوشع رفعا إلى السماء، فإذا أمكن الخرق لرفعهما إلى السماء فهلا أمكن ذلك لغيره !!.

فائدة:

يقولون: لا يصح انشقاق القمر، فما قولهم في الزلازل؟ إن الله تعالى جعل الأرض مستقرا ومستوية. وهزة الزلازل قد تحدث في الأرض الممهد غارا، ثم تعود الهزة فيعود الغار أرضا مستوية.

الإيراد الثالث: لو وقع انشاق القمر لرآه الناس في العالم كله، لأن السماء والقمر واحد لهم جميعا.

الجواب: (١) وقع ذلك ليلا، وهو وقت راحة، والناس في البيوت حينئذ، ونائمون غالبا، وخاصة في أيام الشتاء لا يخرجون من البيت. وذلك كما يحدث الخسوف والكسوف كثيرا من الأحيان دون أن يطلع عليه كثير منهم.

(٢) إن انشقاق القمر وقع لمدة قصيرة، فكان القمر فلقتين قليلا، ثم التأم، ومن الصعوبة بمكان يومئذ طلب الناس و إيقاظ نائمهم لإراءته.

(٣) لم يكن الناس جميعا منتظرين لهذا الحادث، فيقلبوا وجوهم في السماء، كما يتراءون هلال رمضان والعيد، نعم رأى انشقاق القمر من كان طالبا لهذه المعجزة، لأن

وجوههم كانت إلى السماء، كما رآه المسافرون العرب، وأخبروا به كفار مكة، كما سبق ذكر الروايات آنفا. وذلك لأن ضوء القمر كان يهمهم كثيرا في ذلك الزمان، وكانت أنظارهم عالقة به.

(٤) قد يحول السحاب والجبل وغيرهما بين المرء والقمر في بعض المناطق وبعض الأوقات، وقد ينْزل الثلوج والأمطار في بعض الدول، فلا يرون الشمس أيامًا فضلا عن القمر.

(٥) اختلاف المطالع والأوقات: كان ذلك وقت النهار في بعض المناطق، فأنى لهم رؤية القمر فضلا عن انشقاقه. ولو وقع ذلك في الساعة التاسعة بمكة المكرمة، فماذا كانت الساعات في المدن والدول الكبرى في العالم يتبين ذلك بالخريطة التالية. وأشار الشيخ القاضي محمد سليمان المنصور فوري إلى أوقات بعض الدول، ولعل الخطأ تسرب إليه من النساخ. وذكرها الشيخ موسى روحاني بازي بمزيد من التفصيل، فنسوق الخريطة التي ذكرها، وقد تيسر اليوم معرفة وقت أي دولة في العالم خلال ثوانٍ بالاستعانة بالشبكة العنكبوتية. فلم يعد أمرا صعبا. وبإمكان أي واحد معرفته ورؤيته. وفيما يلي الخريطة التي وضعها الشيخ موسى روحاني بازي:

رقم:	اسم البلد/المدينة	الساعة	الدقيقة
١	بنجاب،لاهور	١١	١٢ ليلا
٢	دكه	١٢	٢٠ ليلا
٣	دهلي	١١	٢٨ ليلا
٤	هند الصينة	١	٢٠ ليلا
٥	بورما	١٢	٤٥ ليلا
٦	رنكون	١٢	٤٠ ليلا
٧	ماليزيا	١	١٢ ليلا
٨	هونغ كونغ	أقل من ٢	١٢ ليلا
٩	بورنيو	٢	=
١٠	بيكن(الصين)	٢	١٦ ليلا

١١	الصين	٢	٥ ليلا
١٢	منشوريا	٢	٢٠ ليلا
١٣	فارموسا	٢	٢٠ ليلا
١٤	طوكيو	٣	٣٥ ليلا
١٥	يابان	أقل من ٤	٣٥ ليلا
١٦	كالكوته	١٢	١٢ ليلا
١٧	ممباي	١١	٨ ليلا
١٨	راولبند	١١	٨ ليلا
١٩	المغرب	٥	٤٨ نهارا
٢٠	غني	٥	١٦ نهارا
٢١	نيجريا	٣	٤٠ ليلا
٢٢	أستراليا	٣	٤٠ ليلا
٢٣	القاهرة	٨	١٦ ليلا
٢٤	سينغال	٥	١٠ نهارا
٢٥	الجزائر	٦	٣٠ مساء
٢٦	آئس لاند	٥	وقت العصر
٢٧	هنغري	٧	٣٠ أول الليل
٢٨	أستراليا	٧	٦ مغربا
٢٩	بلغاريا	أقل من ٨	أول الليل
٣٠	نيجريا	٣	٤٠ ليلا
٣١	أستراليا	٣	٤٠ ليلا
٣٢	القاهرة	٨	١٦ ليلا
٣٣	سينغال	٥	١٠ نهارا
٣٤	الجزائر	٦	٣٠ مساء
٣٥	آئس لاند	٥	وقت العصر

٣٦	هنغري	٧	٣٠ أول الليل
٣٧	أستراليا	٧	٦ مغربا
٣٨	بلغاريا	أقل من ٨	أول الليل
٣٩	نيجريا	٣	٤٠ ليلا
٤٠	رومانية	٨	بداية الليل
٤١	فن ليند	٨	٢ ليلا
٤٢	بولندا	٧	٤٠ ليلا
٤٣	وارشو	٨	=
٤٤	ناروي	٦	٤٠ مساء
٤٥	برلين	٧	١٢ بداية الليل
٤٦	ألمانيا	٦	٢٨ مغربا
٤٧	هولندا	٦	٤٠ مغربا
٤٨	يوغوسلافيا	٧	٢٠/أول الليل
٤٩	بلغراد	٦	٣٦/أول الليل
٥٠	بلجيم	٦	٤٠مغربا
٥١	إنكلترا الوسطى	٦	٤٠/ نهارا
٥٢	لندن	٦	١٢ /نهارا
٥٣	برتغال	٥	٤٦ /نهارا
٥٤	أسبانيا الغربية	٥	٤٥/نهارا
٥٥	الهند	١٢	٥٠/ليلا
٥٦	ماريشس	١١	٢٠ليلا
٥٧	رومانيا، بلكيريا، تركيا اليونان، ألمانيا، دنمارك، سويد	٨	٢٠ نهارا
٥٨	آئس لاند، مديريا	٥	٢٠ نهارا
٥٩	برازيل المتوسطة،تشيلي	٢	٢٠ ليلا

٦٠	بريطانيا، كولومبيا	١٠	٢٠ قبل الظهيرة
٦١	كولون	٩	٢٤ قبل الظهيرة
٦٢	بورما	١	٥٠ ليلا
٦٣	لاند الشمالية، مدغاسكر	١٠	٢٠ ليلا
٦٤	ولايات ماليزيا	٢	٢٠ليلا
٦٥	جزائر سندوك	٧	٥٠ نهارا
٦٦	إنكلترا، آئر لاند، فرنسا، بلجيم، أسبانيا، برتغال، جبل الطارق، الجزائر	٦	نهارا
٦٧	بيرو، تهامة، جميكا، بهامن، أمريكا	١	٢٠ ليلا
٦٨	سموا	٦	٥٠ نهارا
٦٩	نيوزيلاند	٦	٢٢ صباحا
٧٠	تسمانيا، فكتوريا، نيو ساؤث	٥	٢٢ صباحا
٧١	جنوب أستراليا	٤	٥٠ صباحا
٧٢	يابان، كوريا	٤	٢٠ بعد الظهر
٧٣	أستراليا الغربية، بورنيو الشمالية، الجزائر، فلبين، هونغ كونغ، الصين	٣	٢٠ بعد الظهر
٧٤	نيو يورك	٣	٣٦ قبل العصر
٧٥	واشنغطن	أقل من ٣	
٧٦	كندا الغربية	١٠	١٥ قبل الظهر
٧٧	ألاساكا	٨	١٥ صباحا

(٦) إن رؤية الشيء تتوقف على إراءة الله تعالى، فإذا كان الشيء بين يديك و لم يرد الله تعالى أن يريك، لم تره. فربما كان الغرض من شق القمر إراءة مَن طلب ذلك.

الإيراد الرابع: لو كان شق القمر واقعًا لكان ذكره في شيء من كتب التاريخ، وليس كذلك؟

الجواب: (١): عدم الذكر لا يستلزم عدم الوقوع، فعدد من القصص ذكرها

التوراة والإنجيل دون أن يشير إليها التاريخ من قريب أو بعيد، منها: (١) ذكرت التوراة طوفان نوح عليه السلام وينفيه كثير من المؤرخين. (٢) توقف الشمس ليوشع عليه السلام ذكره التوراة، ولا يذكره التاريخ. مع أن هذه القصة وقعت نهارا. وكانت معجزة عظيمة. و لم يذكرها التاريخ، بل يستهزئ بها بعض النصارى. (٣) الزلزلة. (٤)انبعاث بعض الصالحين بعد الموت من جديد، ونحو ذلك مذكور في التوراة، و لم يذكره التاريخ.

(٢) ربما ذكره بعض الشاهدين غير أن الذين جاءوا من بعدهم لم يصدقوا بها إذ رأوها أمرا جديدا لا يعضده دليل ظاهر، و لم يذكروها في تاريخهم. فإن كانت عاصفة أوثلجا ونحوهما مما يبقى أثره فيما بعد، لهان على الناس التسليم له.

(٣) إن معجزة انشقاق القمر معجزة عظيمة على صدق الإسلام، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، لا مثيل لها في التاريخ الإنساني. فإذا ثبت ذلك فكيف يذكرها المنكرون لها؟ وإنما يحاولون سترها والتكتم عليها ما وسعهم.

(٤) رآه بعض المنجمين و لم يدركوا أنه معجزة، وقالوا بأنه مثل خسوف القمر، أو شيء ظهر في السماء على شكل نصف القمر، فاستغنوا عن ذكره. وهذا الجواب الأخير ذكره الإمام الرازي.(تفسير الرازي ٢٦/٢٩)

(٥) ثم إنه لم يكونوا يعتنون بجمع مثل هذه القصص، عنايتهم في عصرنا هذا، بحيث يستوعب كتب الفلكيات كل صغير وكبير. وتتحدث عنه الصحف أحيانا.

أشار الحافظ ابن حجر إلى بعض الوجوه. (فتح الباري ١٨٥/٧؛ فيض الباري٤/٦٠، ٢٤١)

ذكر شق القمر في التاريخ:

(٦) لا يصح الادعاء بأن التاريخ لم يذكر شق القمر، وفيما يلي نسوق شيئا من ذلك، مما يدل على أن التاريخ لم يغفل ذكره، واشتهرت هذه القصة في العجم أيضًا.

(١) وقد نقل الحافظ المزي عن ابن تيمية رحمهما الله تعالى أن بعض المسافرين ذكر له أنه وجد في بلاد الهند بناء قديما مكتوبًا عليه: «بني ليلة انشق القمر».(البداية والنهاية٦/٨٥؛ إظهار الحق٢/١٨٨)

(٢) يقول الشيخ محمود شكري الآلوسي: «وقد رأيت في تاريخ اليميني أن السلطان محمود سبكتكين الغزنوي رأى في بعض غزواته بلاد الهند الوثنية لوحًا من الصخر على

بعض قصور بلدهم منقوشا فيه: إنه تم بناؤه ليلة انشق القمر، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر».(ما دل عليه القرآن، ص ١٣٢).

ذكر شق القمر في تاريخ القرنين الرابع والخامس:

وتاريخ اليميني الذي أشار إليه الآلوسي مؤلفه محمد بن عبد الجبار المشهور بأبي النصر العتبي (ت:٤٢١هـ)، كان من خاصة السلطان محمود الغزنوي، فكان يقف على كل شيء صغيره وكبيره. وكل شيء ماثل أمام ناظريه. وهذا هو التاريخ الوحيد الذي تم ترتيبه على عهد السلطان محمود وبإشراف منه. وعليه شروح كثيرة. طبع الكتاب عام ١٨٤٧م من دهلي، وعام ١٢٨٦هـ من القاهرة في مجلدين، ومن لاهور عام ١٣٠٠هـ. (كشف الظنون،ص ٢٠٥٢؛ اكتفاء القنوع بما هو مطبوع،ص ٣٢)

والحاصل أن التاريخ اليميني كتاب موثوق به كبير الشأن. ويدل النص الذي اقتبسه الآلوسي على أنه جاء ذكر شق القمر في تاريخ القرنين الرابع والخامس.

معجزة شق القمر سبب إسلام سامري ملك مالابار:

(٣) كتاب «تاريخ فرشته» لمحمد قاسم هندوشاه المعروف بملا محمد فرشته (ت:١٠٣١هـ) أصله في الفارسية، كتاب تاريخ ثقة، وتاريخ إسلامي مفصل للهند. فيه من التفاصيل ما لا يوجد في غيره من المصادر. نسوق قصة شق القمر من ترجمته إلى الأردية، ورجع المؤلف لهذه القصة إلى رسالة تحفة المجاهدين، و على كل، كانت معجزة شق القمر سبب إسلام ملك مالابار: سامري. ووردت في ذلك روايتان:

الرواية الأولى:

حين تجاوز التاريخ الهجري مئتي سنة، توجهت جماعة من المسلمين العرب والعجم وعليهم ثياب الفقراء والدراوشة من العرب إلى «سرنديب»- التي يطلق عليها «النكا»- ينوون زيارة المكان الذي به قدم أبينا آدم عليه السلام، وصادف أن تعرضت السفينة لرياح مخالفة أدت بها إلى مالابار، ونزل أهلها في مدينة «كدنكلور»، وكان حاكمها سامري ذا عقل وعلم، وأخلاق حميدة. فتشرف بصحبتهم، وتحدث معهم حول أمور شتى حتى سألهم عن دينهم، فقالوا: نحن مسلمون، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فسألهم عن حاله ومعجزاته. فذكر واحد منهم من حاله صلى الله عليه وسلم ما جعل

حب النبي صلى الله عليه وسلم يفيض به قلب الحاكم: سامري. وسمع قصة شق القمر، فقال: هذه معجزة -يا قومِ- قوية جدا، فإن كان حقا وصوابا و لم يكن سحرا، فلا بد أن يكون شاهده الناس في البلاد القريبة والبعيدة، ومن عادات بلادنا أن الكتَّابَ يسجلون في دفاترهم كل قضية لها شأن، ونحن نحتفظ بسجلات ودفاتر آبائنا وأجدادنا، أختبر صدقكم بالنظر فيها. ثم طلب الموكلين بالدفاتر والسجلات، وقال: افتحوا لي سجل ذلك العهد وتأكدوا من شق القمر. ففتحوها فإذا فيها: «شوهد في التاريخ الفلاني أن القمر انشق فلقتين، ثم التأم».

فلما سمع سامري ذلك نطق بالشهادة، وأخلص إسلامه، إلا أنه كتم إيمانه، وقال للمسلمين: تعودون إلي إذ فرغتم من زيارة مكان قدم آدم عليه السلام، ثم اتخذ الأهبة للسفر إلى الحجاز، ثم طلب أعضاء حكومته وقال لهم: إني أشتاق بشدة إلى عبادة الله تعالى، وأود أن أخلو بنفسي لأذكر ربي... وذات ليلة ركب مع المسلمين السفينة متجها إلى مكة المكرمة. عاد كفار مالابار بعد أسبوع إلى المعبد وفقدوا السامري فقالوا قولا واحدا: صعد سامري إلى السماء، وسينْزل... ووصلت السفينة إلى مدينة «بندرشجر» فمرض سامري ولزم فراشه... فطلب أصحابه كلهم، وقال لهم: أود أن ينتشر الدين النبوي في مالابار. ثم كتب بيده رسالة إلى أمرائه، جاء فيها: لا تعدلوا قيد أنملة عما وضعت لكم من الدستور، وإذا بلغكم قافلة المسلمين هذه فقفوا منهم موقف التكريم و التعظيم، فإني أعلم بأحوالهم... ثم قال: تكتموا على خبر موتي وركوبي البحر عن الناس جميعا، وخذوا رسالتي هذه إلى حاكم «كدنكلور»، ثم وزع السامري متاعه على المسلمين وانتقل إلى رحمة ربه في نفس اليوم، ودفن في مدينة «بندر شجر».

الرواية الثانية:

والرواية الصحيحة تقول: إن سامري هو الذي شاهد في بلده انشقاق القمر شقتين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأرسل الناس للتحقيق في ذلك إلى الأطراف، فلما تبين له أن محمد ادعى النبوة، وانشقاق القمر معجزة له، ركب البحر إلى الحجار، ولقي النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يده... ثم استأذن النبيَ صلى الله عليه وسلم بالرجوع، وخرج مع جماعة من المسلمين، ومرض وهو في مدينة «ظفر» و توفي بها. وقبره

بها الآن، يزوره الناس، ويطلبون البركة.(مختصرا). (للاستزادة من القصة راجع: تاريخ فرشته بالأردية ٥٩٤/٢)

وكيف دار الأمر، من الواضح البين في الروايتين أن معجزة شق القمر كانت سبب إسلام سامري، وذكره التاريخ الموثوق به.

(٤) يقول الشيخ محمد أنور شاه الكشميري: وفي تاريخ فرشته: أنه رأى الانشقاق ملك بالهند أيضا يسمى «راجه وجيال»، وعلى اسمه سميت بلدة بهوبال.(فيض الباري٤/٢٤١)

(٥) وفي تفسير الحقاني: (رأى عدد من الناس انشقاق القمر). وانتشر ذلك في العرب، فنظمه شعراء العصر، وهذه الأشعار هي ديوان تاريخ المصون... ولو أننا كنا نحتفظ بكافة دواوين المؤرخين في ذلك العصر ولم يتعرض أحد منهم لهذه القصة في تاريخه، لكان عجبا، ويتناقل سكان المنطقة عن راجه بهوج نقلا متواترا وربما يوجد في تاريخ بعض الهندوس، الذي سجل حالات الحكومة في عصره أن «راجا» كان على شرفة من شرفات سقفه، فلما رأى ذلك أخذته الحيرة كل مأخذ، فسأل العلماء فذكروا له بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وصدور هذه المعجزة منه في ضوء علومهم المتوارثة، فآمن «راجا» بالنبي صلى الله عليه وسلم. (تفسير الحقاني٤/٣٩٣)

والتسامع والتناقل في مثل هذه الأحداث حجة قوية. وحاصل الكلام أن التاريخ ذكر انشقاق القمر، وعُرِفَ وقوعُه في كثير من المناطق.

علاوة على هذه المصادر، ذكر عدد من كتب التاريخ القديم انشقاق القمر، منها كتب غير المسلمين أيضًا، للاستزادة منه راجع: «*ہندوستان اسلام کی سائے میں*» – الهند في ظلال الإسلام–، ط: مكتبة بهوبال هاؤس، بهوبال. يقصر هذا الكتاب دراسته على ذكر انشقاق القمر في الكتب التاريخية القديمة.

الإيراد الخامس: هلا شاهد انشقاق القمر من كان حول مكة على أقل تقدير، وهذا ما لم يثبت ؟

الجواب: (١) عدم الرؤية ليس دليلا على عدم الوقوع، فكم من احتمال يتطرق إليه، سبق ذكر بعضها.

(٢) لايصح هذا الإيراد، فقد ورد في عدد من كتب الحديث والسيرة أن السفارة

رأوا انشقاق القمر في طريقهم، ثم أخبروا أهل مكة حين قدموا إليهم.

الإيراد السادس: انشقاق القمر كان في الواقع سحر العيون، فكان الكفار يرون انشقاقه، وليس ذلك في الواقع. وذلك لأن:

١ - حديث أنس: فأراهم انشقاق القمر، يؤخذ منه أن المقصود إراءهم، وقد حصل، ولا يستلزم ذلك وقوعه في الحقيقة.

٢-كان القصد مجرد إراءة الكفار وقد حصل، فلا يستلزم الوقوع في الحقيقة.

٣-فلو وقع انشقاق القمر لرآه الناس كلهم، وكان حينئذ أمرا طبيعيا، لا معجزة من المعجزات.

الجواب:

١- انشق القمر: نسب الانشقاق إلى القمر، لا أنهم رأوه.

٢- إن سحر العين يذمه المسلم العادي، وهونوع من السحر، (وهو عرض الشيء على خلاف ما هو عليه) فنفوس الأنبياء القدسية أبعد شيء عن مثل ذلك.

٣- لو سلمنا أنه كان سحر العين، لتطرق هذا الاحتمال إلى سائر المعجزات. مثل أسطوانة الحنانة، وخروج الماء من أصابعه، وإجابة الأشجار حين طلبه صلى الله عليه وسلم، وتسبيح الحصى ونحو ذلك... كل ذلك كان في رأي العين، لا في الواقع، ويجب أن نسد حينئذ باب المعجزات برمتها.

٤- قال: أراهم، ردا على سؤالهم، فقد ورد في بداية الحديث: سأل أهل مكة أن يريهم آية، وليس المقصود أنه كان سحر العين.

والحق أن الكفار قالوا قولين: (١) انشقاق القمر فلقتين في الواقع. (٢) ونراهما رأي العين واضحا. فلو حصل الأمر الأول فقط لم يتحقق هدفهم، ولكفروا به كما كفروا بالنار والجنة. فلا يتم قصدهم إلا إذا اجتمع الأمران، وهذا هو المقصود بـــ (أراهم) الوارد في الحديث.

(٥) لم يكن القصد مجرد إراءة الكفار؛ بل رآه أجلة الصحابة رضي الله عنهم، كما سبق من حديث ابن مسعود: انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

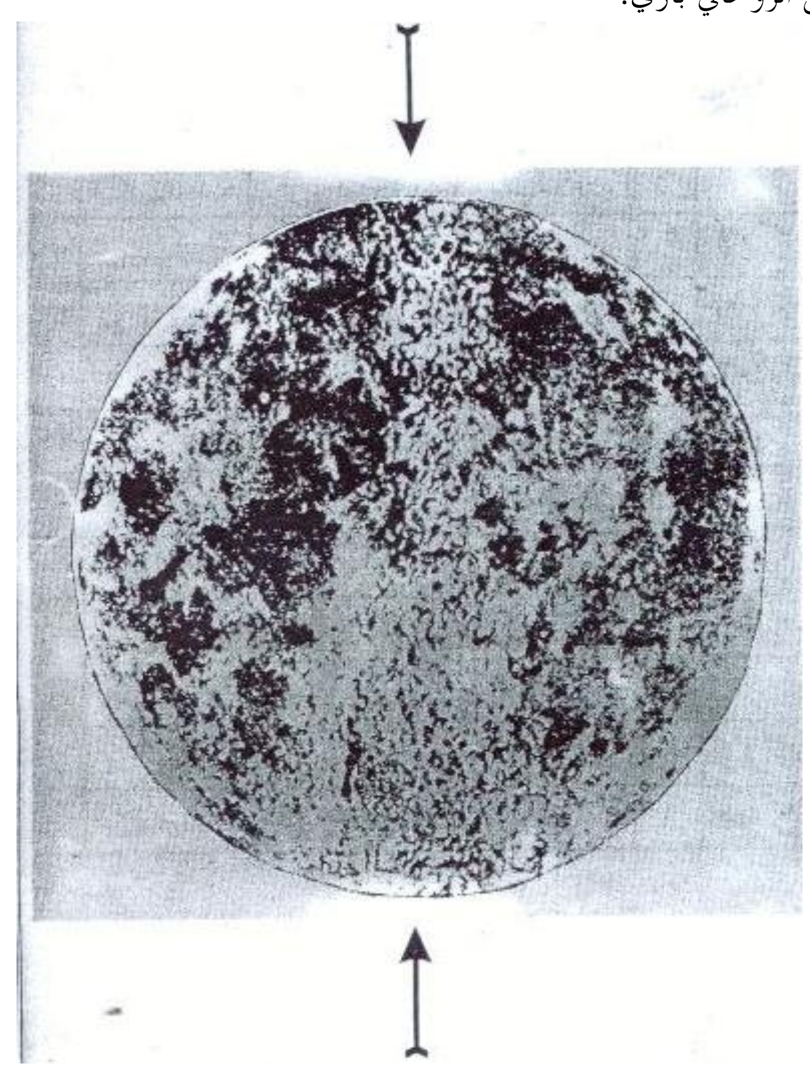
(٦) جاء انشقاق القمر بطلب منهم، فكيف يكون أمرا اتفاقيا؛ بل كان معجزة كبيرة الشأن، ولذا قال: «اشهدوا»، فقد حصل بعد طلبهم، وإلا فما معنى تأكيد الشهادة.

(مستفاد من: «إعلام الفئام بمحاسن الإسلام وتنبيه البرية على مطاعن المسيحية»، تحدثت المقالة حديثًا ضافيا عن معجزة شق القمر، وتم طبعها ونشرها).

شق القمر والعلم الجديد:

يقول الفلكيون: إن القمر انشق فلقتين في عصر من العصور، ثم التأم. ولا زالت آثاره قائمة ليومنا هذا .

(١) نقدم لكم دليلا على ذلك من كتاب «فلكيات جديدة» (ص٢٥٤) للشيخ موسى الروحاني بازي:



ولازالت آثار التئام فلقتي القمر قائمة ليومنا هذا عليه، توكدها الصور التي نشرتها مختلف الجرائد الأمريكية والصحف العالمية، والتي تفيد بأن القمر لازال عليه شق من جانب إلى جانب آخر. ويتجلى هذا الشق في هذه الصورة، وهو متواصل من جانب منه إلى جانب آخر في عين وسطه. ويؤكد بلسان حاله معجزة انشقاق القمر. ويدعو العالم كله إلى التفكير.

(٢) الدكتور/ زعلول النجار، موضوعه: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

تخرج الدكتور أولا من جامعة القاهرة في الأرضيات/طبقات الأرض، وانتدب إلى مؤتمر في الموضوع نفسه عقد في جامعة سعودية. وفي عام ١٩٦٣م حصل على الدكتوراه من جامعة ويلز (University of wales) ببريطانيا في «الدكتوراه في الفلسفة في الجيولوجيا». يقال عنه: إنه أحد أكبر علماء طبقات الأرض في العالم كله.

يقول الدكتور: على العلماء أن يضعوا نصب أعينهم في سبل الدعوة أن فئة كبيرة من الناس تعتنق الإسلام بعد ما يسمع صدقه في ضوء العلم الحديث.

ونورد قصة انشقاق القمر في ضوئه باختصار: يقول الدكتور: كنت ذات يوم في جامعة (Cardiff) وهي من الجامعات الكبرى في بريطانيا، وكان الموضوع: «الإعجاز العلمي في القرآن». وكان الحضور خليط من المسلمين وغيرهم. وفي ثنايا الحديث قام شاب مسلم وسأل: ما الغريب والخارق للعادة في قوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ ؟ فرددت عليه، فقلت: هذه معجزة، اطلعنا على تفاصيلها في القرآن والسنة النبوية. وليس أكثر من ذلك. فما إن فرغت من الكلام، حتى قال لي وهو يعرفني بنفسه: «اسمي داود موسى بكتوك، وأنا رئيس الحزب الإسلامي في بريطانيا،... وقبل أن أسلم زودني بعض الناس بنسخة من القرآن الكريم، فقرأتُ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾، و لم أستوعبه، فبدأت أحقق الموضوع، وخلال ذلك شاهدت برنامجا يحتوي على حوار صحفي برطاني مع ثلاثة من الأساتذة الأمريكان ذوي اختصاص في الفضائيات، وقال لهم الصحفي: ما بالكم تنفقون بلايين من الروبيات في الفضائيات في حين يعاني الناس الفقر والحاجة؟ فلو أنكم أنفقتموها في عمارة الأرض لكان خيرا. وكان الأساتذة الثلاثة في موقف الدفاع عن أنفسهم، فقال أحد الأساتذة الأمريكان: أنفقنا على هذه الرحلة مئة بليون دولا أمريكي، واستعرضنا

أحوال القمر، وانكشف لنا أمر غريب، ولو ذهبنا نفق أموالا أكثر من ذلك في إقناع الناس بأن القمر قد انشق فلقتين في عصر من العصور ثم التأم ، لما اقتنعوا بذلك. وإنما عرفنا ذلك بأن صخورا عديدة توجد فوق القمر إلى الوسط، ثم من الوسط إلى النهاية، ومن الواضح البين أنه لا يتأتى ذلك إلا إذا قلنا: إن القمر انشق فلقتين في عصر من العصور.

يقول المسلم البريطاني: عجبت كثيرا بأن معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وقعت قبل أربعة عشر قرنا، ثم جعل الله الأمريكان ينفقون مئة بليون دولار ليوكدوا للعالم كله صدق هذه المعجزة، ثم أسلموا.

وهذه القصة ساقها غير واحد من الكتب في العصر الحاضر، منها: «الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين».

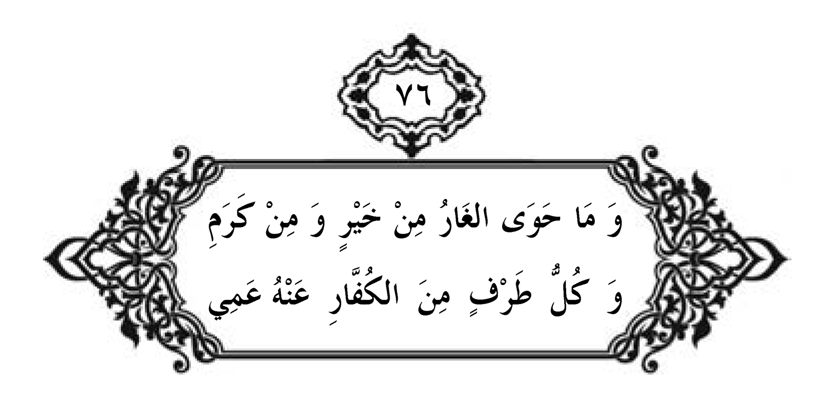
البلاغة:

مبرورة القسم: مجاز عقلي، والتقدير: مبرور الحالف به.

والعلاقةُ علاقة الفاعلية، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٢١)، أي: راضٍ أهلها.

تمت ولله الحمد. وما توفيقي إلا بالله.

****



اللغة:

ما: موصولة.

حوى: حوى (ض) الشيء حواية: (١) استولى عليه. (٢)جمعه. (٣) اشتمل عليه. (٤) أحاط به.

قال الشاعر:

ثلاثةٌ منعتْها عن زيارَتنا ۞ خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق

ضَوءُ الجبين ووَسْوَاس الحُلِيّ ومَا ۞ تحوي معاطفها من عنبر عبق

هَب الجبينَ بفَضْلِ الكُمِّ تَستُره ۞ والحَلْيَ تَنْزِعُه مَا حِيلةُ العَرَق

(ديوان صبابة، ص٥٢)

حوِي (س) الشيء حَوى وحُوَّةً: (١) خالط حمرته سَواد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ (الأعلى: ٥) (٢) خالط سوَاده خضرَة. حوِيَ شفة الرجل: احْمَرَّتْ حمرَة تضرب إلى السوَاد.

حَوَّى الشيءُ/ الشيءَ: انقبض (لازما ومتعديا).

احتوى الشيءَ/ عليه: حواه وشمله.

الحاوي: (١) الذي يرقي الحيات ويجمعها. (٢) الرجل يقوم بأعمال غريبة. ج: حُواة.

حواء: أم البشر، ذكر في سبب تسميتها بها عدة وجوه، كثير منها يناسب المعنى اللغوي:

١- «لأنها خلقت من شيء حيٍّ».(الدر المنثور).

٢- «لأنها أم كل حي».(الدر المنثور).

٣- «كان في شفتيها حَوة، أي حمرة». (بحر العلوم).

٤- «في لونها حَوَة مائلة إلى السواد؛ لأنها كانت سمراء شديدة الأدمة. وهذا يميل إلى السواد».

٥- «حواء: لأن امرأة الرجل تحوي عليه، وتستحمله، فيدخل في طوعها، ويسمع منها في أغالب أمره».(تفسير ابن عرفة)

الغار: غار (ن) الماءُ غورًا وغُؤورا: نزل الماء في الأرض، والقعر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ (الملك: ٣٠)

غار الشيءُ: دخل. غار اللهُ القوم: منَّ عليهم بالمطر والخصب.

أغار فلان: دخل الأرض المنخفضة.

إغارَ القومَ: جاءهم لينصروه.

أغار عليهم: دفع عليهم الخيلَ، وهجم عليهم.

الغارُ: (١) كل منخفض من الأرض. (٢) البيت المنقور في الجبل. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ (التوبة: ٤٠)، (٣) الجمع الكثير من الجيش ونحوها،ج: غِيران.

الغاران: (١) العظمان اللذان فيهما العينان. (٢) البطن والفرج.

الغارة: الهجوم، يقال: الغارة الجوية/ البحرية. ونحوها.

خير: أصله (أخير)، نقلت حركة الياء إلى الخاء، وحذفت الهمزة للاستغناء عنها، فصار خيرا. وسبق تحقيقه لغة في البيت رقم: ٢٧.

طرف: طرْف: (١) العين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾ (الصافات: ٤٨). (٢)نهاية كل شيء.

طرَفَ (ض) طرْفا: رده، ونظر العين يعود بعد رؤية الشيء. وسبق تحقيقه.

و(الطرف) في البيت مصدر، فاستغنى عن الإفراد والجمع.

الكفار: كفر(ن) كَفْرا وكُفرانا: لم يؤمن، ورفض. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ٢٨)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ (النحل: ١١٢)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

﴿ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾ (عبس: ٤٢)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٥)

كفر الشيء/ عليه: كتمه وغطاه. وسمي الكافر به لأنه يكتم آلافا من نعم الله تعالى. أو لأنه يكتم توحيد الله تعالى، الذي شهد به كل ذرة في الكون، أو معنى الكفر: الظلام، والكافر ذو ظلام، فإنه حرمَ نور الإيمان.

أكفر غيره: اعتبره كافرا. كفَّر عن يمينه: أدى كفارة اليمين.

تكفَّر بالشيء: التف به.

الكافر: (١) الذي ينكر الله تعالى. (٢) الرجل المنكتم. (٣) الفلاج. يقال: رأيت كافر ابن كافر يكفر بكافر في كافر. أي رأيت الفلاح بن الفلاح يحرث زرعه بالمحراث في أرضه ومزرعته.

الكفارة: العمل الصالح الذي يُكتم به الذنب (من الصوم والصدقة ونحوهما)، وله أقسام عدة ذكرت في كتب الفقه.

عمِيَ: عمي: (س) ذهب بصره. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَا﴾ (الأنعام: ١٠٤)،و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ (فصلت: ١٧)

حُذِفت الياء لضرورة الشعر.

الإعراب:

وما حوى الغار: (١) عطف على (أقسمت بالقمر) في البيت السابق، والمعنى: أقسمت بما حوى الغار.

(٢) يقدر قبل (ما): واذكر ما حوى الغار/ أمدح ما حوى الغار، كما يقدر (اذكر) قبل (إذ) في القرآن الكريم، ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ (البقرة: ٣٠)

(٣) هذا الفصل في بيان المعجزات، فيصح تقديره: (ومن معجزاته) ما حوى الغار.

ما حوى: ما: موصولة. صلتها (حوى من خير الخ).

ومن كرم: عطف على (من خير)، والمعطوف عليه مع المعطوف بيان لـــ(ما).

خير وكرم: التنوين فيهما للتعظيم. أي ما كان في الغار من الخير العظيم والكرم العظيم.

من خير ومن كرم:

(١) تقديره مثل: رجل عدل، والمعنى:

خير: الإنسان الذي كله خير.

كرم: الإنسان الذي كله كرم.

(٢) يقدر قبله (ذي) أي ذي خير وذي كرم.

يقدر ذو/ ذي في أماكن عدة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ (الفرقان: ٥٤)، أي: ذا نسب وذا صهر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ (البقرة: ٢٢٢)، أي: ذو أذى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٦٣)، أي: ذوو درجات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ (هود: ٤٦)، أي ذو عمل غير صالح.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ (يوسف: ٨٢)، أي: ذوي القرية.

وكل طرف:

(١) وكل طرف: الواو حالية، والحال أن أعين الكفار عنه عميت. والتنوين في (طرف) للتحقير.

(٢) قيل: مجرور لعطفه على (كل ما حوى الغار)، والتقدير: أقسمت بما حوى الغار... وكل طرف من الكفار...

من الكفار: الظرف صفة لـــ (طرف). طرف كائن من الكفار عمي عن أبصارهما.

عنه: (١) المرد به النبي صلى الله عليه وسلم. (٢) عما حوى الغار، وهذا أحسن. ويتعلق (عنه) بـــ (عمي). قدَّمَ (عنه) على (عمي) لضرورة الشعر.

عمي:

(١) صيغة الصفة، كل طرف: مبتدأ، عمي: خبره.

(٢) عمي: فعل وضميره فاعل يعود على (طرف).

الشرح:

ذكر أولا المعجزات قبل الهجرة، ثم يذكر المعجزات بعد الهجرة.

وهذا البيت يشير إلى قصة الهجرة، حين كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في

الغار، (وتفاصيل القصة ستأتي في البيت التالي)، وهي بإيجاز أن عددا من الناس خرجوا في طلبه، ووصل بعض القائفين يتتبعون آثاره إلى الغار، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصر الرسول صلى الله عليه وسلم، فحزن أبو بكر الصديق حزنًا شديدًا. فقال صلى الله عليه وسلم له: «ما ظنك باثنين ثالثهما الله».(صحيح البخاري، رقم:٤٦٦٣) والبيت يشير إليه.

من المراد بقوله: من خير ومن كرم:

(١) خير: هو الفضائل والمناقب. كرم: الخصال الحميدة. فالمراد بالخير: خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم. والمراد بالكرم أفضل الأمة أبو بكر رضي الله عنه.

(٢) المراد بهما كلاهما، فالمراد بالخير والكرم النبيُ صلى الله عليه وسلم، وكذلك المراد بهما أبوبكر رضي الله عنه أيضا.

سؤال: إذا كان المراد كلاهما؟ فكيف قال (ما) دون (مَن) وهما من ذوي العقول؟

الجواب: (١) قد تأتي (ما) بمعنى (مَن). نحو: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ (العاديات:٩) ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ (الليل: ٣)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ (النساء: ٣)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ (يوسف: ٥٣)

(٢) الغرض من (خير وكرم) الإشارة إلى هاتين الصفتين، فأطلق (ما) دون (مَن).

ذكر جود أبي بكر رضي الله عنه:

في قوله (من كرم) إشارة إلى جود أبي بكر رضي الله عنه، وثمة كتب مفردة في بيان فضل أبي بكر ومناقبه، وسنأتي على ترجمته باختصار في نهاية الفصل إن شاء الله، وإنما نتعرض لبيان جوده وسخائه بإيجاز:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ (الليل) نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

سبعة من المسلمين استعبدهم الكفار فلما أسلموا آذوهم أذى كثيرا، فأنفق أبو بكر كثيرا من ماله واشتراهم وأعتقهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ (الليل: ١٩) أي ليس لهؤلاء العبيد الذين تكرم

عليهم أبوبكر، يد سابقة عليه- على أبي بكر رضي الله عنه- بل: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (الليل: ٢٠)، و ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ (الليل: ٢١) فيه بشارة لأبي بكر بأن الله تعالى سيرضيه.

قال الحافظ ابن كثير: وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى أن بعضهم حكى إجماع المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ ﴾ (الليل)، ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة غيرها. (تفسير ابن كثير٤/٥٥٣).

من أعتقهم أبو بكر رضي الله عنه؟:

يقول عروة: أعتق أبو بكر ممن كان يعذب في الله سبعة: عامر بن فُهيرة، وبلالا، وزنِّيرة، وأم عُبيس، والنهدية، وابنتها، وجاريةَ بني عمرو بن مؤمَّل رضي الله عنهم. (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٢٠٦٠٢)

قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقابا ضِعافا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلتَ أعتقتَ رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر: «يا أبتِ، إني إنما أريد ما أريد...».(المستدرك للحاكم، رقم:٣٩٤٢) وفي رواية الطبري: «أريد ما عند الله». (تفسير الطبري ٢٤/٤٧١) (علم منه أن الوالد إذا منع من العمل المسنون والمندوب، وليس فيه ما يهدد حياته، لم يجب امتثاله).

ومن موالي أبي بكر رضي الله عنه بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن جابر رضي الله عنه: كان عمر يقول: «أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالا».(صحيح البخاري، رقم:٣٧٥٤)

بكم اشترى أبو بكر بلالا رضي الله عنه؟:

كم أدى أبو بكر ثمن بلال وأعتقه؟ خلاصة ما ورد فيه مايلي:

١- بخمس أواق ذهبا.
٢- ببردة وخمس أواق فضة.
٣- تسع أواق.
٤- سبع أواق.
٥- برطل من ذهب.
٦- بعبد غالي الثمن، اسمه قسطاس/نسطاس. وكان يملك آلافا من الدنانير وعددا من العبيد والإماء.
٧- أدى عن بلال نسطاسا وزوجته وبنته بالإضافة إلى مئتي دينار، ثم حصل عليه.

روى الذهبي بسنده عن قيس قال: « اشترى أبو بكر بلالا وهو مدفون في الحجارة بخمس أواق ذهبًا، فقالوا: لو أبيت إلا أوقية لبعناك. قال: لو أبيتم إلا مئة أوقية لأخذته».(سير أعلام النبلاء ٣٥٣/١؛ مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٧٧٤٤؛ تاريخ مدينة دمشق٤٤٣/١٠)

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن أبا بكر اشترى بلالا من أمية بن خلف وأبي بن خلف ببردة وعشرة أواقٍ».(الشريعة ٤١٧/٣؛ تاريخ مدينة دمشق٤٤٤/١٠).

قال القرطبي رحمه الله تعالى: «وقال سعيد بن المسيب: بلغني أن أمية بن خلف قال لأبي بكر رضي الله عنه حين قال له أبو بكر: أتبيعنيه؟ قال: نعم، أبيعه بنسطاس، وكان نسطاس عبدا لأبي بكر صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار وأنعام. وكان مشركا فحمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله له، فأبى، فباعه أبوبكر به».(تفسير القرطبي٨٩/٢٠؛ تفسير البغوي٤٤٩/٨)

وفي السيرة الحلبية: «وفي الإمتاع: لما ساوم أبو بكر أمية بن خلف في بلال، قال أمية لأصحابه: لألعبن بأبي بكر لعبة ما لعبها أحد بأحد، ثم تضاحك وقال له: أعطني عبدك قسطاسا، فقال أبو بكر: إن فعلت تفعل؟ قال نعم. قال: قد فعلت، فتضاحك، وقال: لا والله حتى تعطيني معه امرأته، قال: إن فعلت تفعل؟ قال نعم، قال: قد فعلت ذلك، فتضاحك وقال: لا والله حتى تعطيني ابنته مع امرأته، قال: إن فعلت تفعل؟ قال نعم، قال: قد فعلت ذلك، فتضاحك وقال: لا والله حتى تزيدني معه مئتي دينار، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنت رجل لا تستحي من الكذب، قال: لا واللات والعزى لإن

أعطيتني لأفعلنّ، فقال: هي لك، فأخذه، هذا كلامه.

وقيل: اشتراه بتسع، وقيل: بخمس أواقٍ ذهبا، وقيل: ببردة وعشر أواقٍ من فضة. وفي رواية :برطل من ذهب». (السيرة الحلبية١/٤٨٠)

ونحن في غنى عن مزيد من الكلام حول هذه القصة، وكم قبل أبو بكر من الشروط؟ وكم تحمل من الإساءة؟ دون أن يقصر في فك رقبة بلال رضي الله عنه.

أمنُّ الناس أبو بكر:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن من أمنِّ الناس علي في صحبته وماله أبا بكر».(صحيح البخاري، رقم:٣٩٠٤)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبي بكر».(سنن الترمذي، رقم:٣٦٦١)

كأن مال أبي بكر مال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه».(مصنف عبد الرزاق١١/٢٢٨)

أسلم أبو بكر وعنده أربعون ألف درهم، أنفقها في سبيل الله تعالى، ولم يبق عند الهجرة إلا خمسة آلاف درهم، فقلق والده أبو قحافة كثيرا، وخرج أبو بكر بها جميعا، ولم يبق شيئا منها، ووضعت أسماء رضي الله عنها أحجار في الكوة التي كان يضع أبو بكر ماله، وسترها بستار،ثم قالت له: لقد بقي هنا شيء، فارتاح باله.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله خمسة آلاف درهم، أوستة آلاف درهم، قالت: وانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: قلت: كلا، يا أَبَهْ، إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا. قالت: فأخذت أحجارا فتركتها فوضعتها في كوة البيت، كان أبي يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت بيده، فقلت:يا أَبَهْ، ضَع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إن كان ترك لكم هذا، فقد أحسن. وفي هذا لكم بلاغ. قالت: لا، والله ما ترك لنا شيئا، ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك».(مسند أحمد،

رقم:٢٦٩٥٧؛ المعجم الكبير للطبراني ٨٨/٢٤؛ قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع. راجع: مجمع الزوائد ٧٤/٦)

وأنفق أبو بكر ماله كله في سبيل الله تعالى في غزوة تبوك، فقال عمر: «والله، لا أسابقك إلى شيء أبدا».(سنن أبي داود، رقم:١٦٧٨)، وفي رواية: «لا أسبقه إلى شيء أبدا». (سنن الترمذي، رقم:٣٦٧٥)

قوله: كل طرف من الكفار عنه عمِ:

لم يكن الكفار عميانا، غير أنهم لم يروا رغم أنهم كان لهم عيون، فكأنهم فقدوا عيونهم. يقال: إن القوة المدركة إذا لم يقع عليها أثرها الموافق، كان وجودها وعدمها سواء.

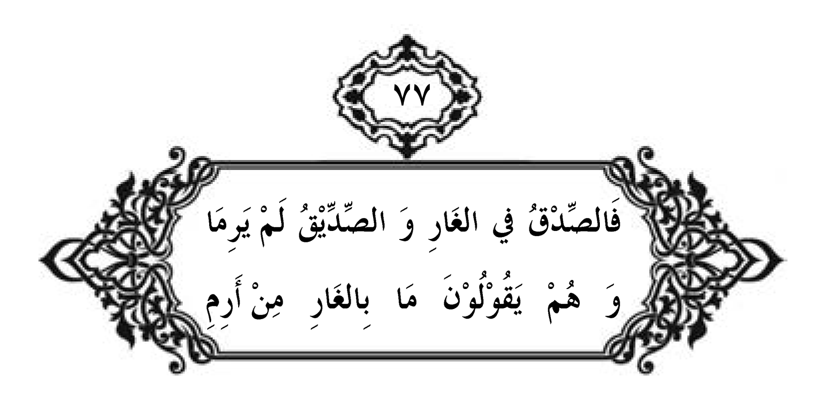
البلاغة:

١- حوى الغار من خير ومن كرم: حذف منه (ذي)، وهو مجاز بالحذف، لعلاقة المحلية. حوى الغار ذا خير وكرم، نحو: واسأل القرية، أي أهل القرية.

٢- عمي: فيه استعارة تصريحية تبعية. نفي الرؤية: مشبه. العمى: مشبه به. ذكر المشبه به فكانت الاستعارة تصريحية. وهي في المشتق، فكانت استعارة تبعية.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

صدق في الحديث (ن) صِدقا: أخبر بالواقع، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (النمل: ٢٧)

صدق في الأمر: أدى حقه، وانصرف إليه بكليته. قَالَ تَعَالَى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب: ٢٣)، و قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (محمد: ٢١)

يصدق عليه كذا: انطبق عليه.

أصدق فلانا: ظنها صادقا. أصدق المرأة: أعطاها المهر. صادق: اتخذه صديقا.

تصادق: (١) اتخذه صديقا. (٢) صدق في الحديث. (٣) وافقه.

الصِّدق: (١) مطابقة الكلام للواقع. والأمانة ونحوها. (٢) الأمر النَّزيه. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ (الإسراء: ٨٠) (٣) الصلابة والإتقان.

الصدقة: المهر. ج: صدقات.

الصدَقَة: مَا يعْطى على وَجه الْقُرْبَى لله والمكرمة. ج: صدقات.

الصديق: المخلص في العلاقة. ج: أصدقاء، وصُدقاء.

الصديق: (١) المتناهي في الصدق/صادق الوعد. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٤١)

(٢) دائم الصدق. قَالَ تَعَالَى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ (يوسف: ٤٦)

(٣) دائم التصديق، ج: صِدِّيقون. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ

ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ (النساء: ٦٩)

(٤) لقب أبي بكر الصديق. (ستأتي تفاصيله).

لم يَرِما: رام (ض) رَيما ورَيمانا. رام الجُرح: انسد فمه للبرء.

رام عليه: فاقه. رام مكانه: برحه.

ما رام مكانه/ ما رام عن مكانه: في معنى ما برح وما زال. وفي نهاية حديث الإفك: «فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه».(صحيح البخاري، رقم:٤١٤١)

ما يريم يفعل: بمعنى: لا يزال يفعل. ريَّمت السحابة: أمطر مطرا متواصلا.

أرِم: أرَم: (ض) أرْمًا: استأصله. أرم الولد الصحفة: أتى على ما فيها.

أرِمَ (س) أرَمًا: فني. أرِمت الأرضُ: لم تنبت شيئا. الأرم: معالم الطريق، حجر ينصب في الطريق للعلامة.

إرَم: أمة هالكة، من فروعها عاد. الأُروم: (١) أصل الشجر. (٢) النسب.

الأرم: الضرس، السن.

ملحوظة: تطلق هذه الكلمة عادة في النفي، يقال: ما بالدار أريم/ ما بالدار أرِم.

الإعراب:

فالصدق:

١-ذو الصدق. (٢) بمعنى الصادق. (٣) الأحسن: أن الصدق مبالغة بمعنى: كله صدق. نحو: زيد عدل.

في الغار:

إيراد: ذكر في البيت السابق الغار، فلِمَ لم يذكر (فيه)، وكيف صرح بـــ (في الغار) في اسم الظاهر؟

الجواب: (١) الإعادة للاستلذاذ. واعلم أن هذه المعجزات كلها حصلت في الغار. (٢) لو قال: (فيه) لأوهم رجوع الضمير إلى (خير وكرم)، لأنه أقرب. (٣) لضرورة الشعر، قال البعض: فالصدق فيه مع الصديق لم يرِما.

الصدق (موجود/كائن) في الغار.

ويقدر (في الغار) بعد (والصديق) أيضا وحذف لدلالة الأول على الثاني.

	فالصدق والصديق	في الغار	لم يرما
(١)	مبتدأ	خبر	حال
(٢)	مبتدأ	حال	خبر
(٣)	مبتدأ	خبر أول	خبر ثان

الواو في قوله (وهم يقولون) للحال. والمراد بـــ (هم) الكفار، (سبق ذكرهم في البيت الماضي).

لم يرما: أصله: لم يريما، وهو مفرد من رايم يريم: لم يريم: حذفت الياء لاجتماع الساكنين، فكان (لم يرم) وقس عليه باقي المشتقات.

ما بالغار من أرِم:

ما: مشابه بـــ (ليس)، بالغار: خبر (ما)، و(من إرم) اسم.

من أرم: أي: في الغار. والباء بمعنى (في)، مثل قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ (البقرة: ٢٧٤) ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ (آل عمران: ١٢٣)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ (الرعد: ١٥)

معنى البيت واضح، وهو أن الكفار وصلوا إلى الغار وهم يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم، وهو وأبوبكر في الغار. ثم إن الكفار توصلوا بالقرائن والعلامات إلى أنهما ليسا فيه. وردهم الله تعالى خائبين. فما هذه العلامات التي ردت الكفار على أعقابهم، سيأتي بيانها في البيت التالي، بإذن الله تعالى.

لم يَرِمَا:

١- لم يبرحا عن مكانهما.

٢- لم يرِما: قيل: هو من ورِم يرم، يقال: ورِم أنفه: إذا غضب. والمعنى: لم يجدا على ما قدر الله لهما، بل كانا راضيين به.

٣- لم يُرمَا: على البناء للمجهول، فهو من رام يروم روما، بمعنى: لم يُقصدا في الغار. بما أن الكفار ظنوا عدم وجود أحد في الغار، فلم يقصدوا التوجه إليهما.

٤- هو مفرد: لم يَرِمَن (بنون التاكيد في آخره)، والضمير يعود على الصديق.

وأبدلت الألف نونا في (لم يرمَن)، كما في قوله تَعَالَى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ (ق: ٢٤) فقد قرئ: (أَلْقِيَن). أبدلت النون ألفا، ومثله قول أمرئ القيس:

قِفَا نَبكِ من ذِكرى حبيب ومنْزل ۞ بسقط اللِّوَى بين الدَخُول فحَومَلِ

أصل (قفا) هو (قِفَن)، أبدلت النون ألفا.

وقيل: أصله: قف قف. وقيل: الأصل أنه يكون مع الإنسان رفيقين في السفر، فإن مرض واحد يبقى لخدمته واحد، ويذهب الآخر لأخذ الدواء وغيره.

قال الشيخ العلامة الزوزني: «وقيل: أراد قِفَن، على وجه التاكيد، فقلب النون ألفا في حال الوصل؛ لأن هذه النون تنقلب ألفا في حال الوقف. فحمل الوقف على الوصل، ألا ترى أنك لو وقفت على قوله تعالى: (لَنَسْفعًا) قلت: لنَسْفَعا».

والمعنى حينئذ: لم تنتفخ رجل أبي بكر من لدغ الحية.

وفيه إشارة إلى قصة شهيرة، وهي أن أبا بكر سد ثقوب الغار، إلا واحدا، فخرج منه الحية، ولدغ في رجله، فوضع عليها النبي صلى الله عليه وسلم لعابه. فذهب ألمها.

فالمعنى: لم تنتفخ رجل أبي بكر من لدغ الحية.

(٥) وفي نسخة: لم يُرَيَا، أي لم يُنْظَرا. وقال العلامة شيخ زاده والخربوتي: مرجوح.

ما بالغار من إرم:

١- إرم بمعنى أحد، أي: ليس في الغار أحد.

٢- من معاني أرم: العلامة. كما مر. والمعنى: لا يوجد به أثر إنسان فضلا عن عينه. فإن العلامات كلها خارج الغار كانت تنفي وجود بشر فيه.

قوله: فالصدق في الغار:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ (الزمر: ٣٣)

،وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ﴾ (الفتح: ٢٧)

كان صلى الله عليه وسلم كله صدقا:

فالصدق: في هذا اللفظ الوجيز أشار الناظم إلى صفة الصدق التي كان يتحلى به النبي صلى الله عليه وسلم. فما مظاهر الصدق في مختلف نواحي حياته صلى الله عليه وسلم؟ يتطلب بيانها كتابا مفردا. وإنما نتعرض لبعض الخطوط العريضة الشهيرة، وقد

سبق هذا المعنى بالإجمال في البيت رقم: ٣٥، «فلا أحد أبر في قول «لا» منه ولا «نعم»».

أدلة على كونه كله صلى الله عليه وسلم صدقا:

(١) تصديق الأنبياء السابقين. (٢) استجابة دعواته صلى الله عليه وسلم. (٣) النصرة الإلهية له على الأعداء. (٤) السيرة النبوية كلها. وكل جزء من سيرته الطيبة. (٥)مبشراته صلى الله عليه وسلم وقعت بعينها. ويدخل في ضمنها الأمور التالية:

١- ذكر حالات الأمم السابقة والأنبياء السابقين. وصدق بها أهل الكتاب أنفسهم.

٢- ما يقع في المستقبل، وأشراط الساعة، والفتن والملاحم، وظهور الحوادث الكثيرة. ودأب المحدثون في ثنايا كلامهم على الأحاديث على القول: «وفيه علم من أعلام نبوته» و نحوها.

٣- الاختراعات العلمية: فصل عدد من المؤلفين -بما فيهم غير المسلمين أيضا- توافق العلم الجديد مع ما ورد ذكره في الأحاديث النبوية من العبادات والمعاملات والأخلاق، والأحكام و مختلف شعب الحياة. وبين أيدينا عشرات الكتب في هذا الموضوع. وأُعِدَّ عددٌ من الرسائل الخاصة بحكم من الأحكام أو حديث من الأحاديث النبوية.

٤- لقد تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم بأشياء وقعت على عهد النبوة، منها موت النجاشي، وحكى منظر غزوة موتة كأنها ماثلة أمام العين، وهو على بعد آلاف الأميال. وقال في غزوة حنين في حق أحد الشجعان: «هو من أهل النار». وتحديد مصارع الكفار يوم بدر، ونحو ذلك.

وبالإمكان بيان صدقه على عدة مستويات ونواحٍ مختلفة، منها:

صدقه وأمانته قبل النبوة:

اشتهر قبل البعثة بالصادق/ الأمين.

١- قصة وضع الحجر الأسود في موضعه: رأى الناس أنه صلى الله عليه وسلم أول من دخل الكعبة فصاحوا: قد طلع الأمين. (مسند الحارث، رقم:٣٨٨؛ دلائل النبوة لأبي نعيم، ص

١٠٩؛ الروض الأنف ٣٤٥/١؛ السيرة النبوية لابن كثير ٣٨٠/١)

٢- يقول السائب المخزومي: كنت شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم في التجارة قبل البعثة، فلم يكن يماطل أبدا، عن السائب قال: «... قلت: صدقت بأبي أنت وأمي، كنتَ شريكي فنعم الشريك، كنت لا تداري ولا تماري». (سنن أبي داود، رقم:٤٨٣٦)

٣- قصة خديجة مشهورة وهي أنها أعربت عن رغبتها في زواج النبي صلى الله عليه وسلم حين رأت أمانته وصدقه.

شهادة الأعداء بصدقه وأمانته:

قال الشاعر:

شهد الأنامُ بفضله حتى العدَى ۞ والفضل ما شهدت به الأعداءُ

(أعلام النبوة للماوردي ٢٦٨/١)

وقال الشيخ السري الرفاء:

وشمائلٌ شهد العدو بفضلها ۞ والفضل ما شهدت به الأعداء

(ديوان السري الرفا، ص ١٨)

وما أكثر الأمثلة على شهادة الأعداء بصدقه، نسوق بعضها:

١- أبو جهل: فصلت كتب السيرة قصته التي ورد في نهايتها: قال أبوجهل للمغيرة بن شعبة رضي الله عنه: فو الله إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن بني قصي قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم. فقالوا: فينا الندوة، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا اللواء، فقلنا: نعم. قالوا: فينا السقاية، فقلنا: نعم، ثم أطعموا و أطعمنا حتى إذا تحاكت الركب، قالوا: منا نبي، والله لا أفعل. (دلائل النبوة ٨٢/٢؛ مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٦٩٧٩)

وذات مرة قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم: لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت.

عن علي رضي الله عنه، أن أباجهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «إنا لانكذبك ولكن نكذب بما جئت به. فأنزل الله ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام: ٣٣) (سنن الترمذي، رقم:٣٩٦٤؛ المستدرك للحاكم، رقم:٣٢٣٠)

«وذات مرة خلا الأخنس بأبي جهل، فقال: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق

هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك، يسمع كلامنا، فقال أبوجهل: ويحك، والله إن محمدا لصادق، وما كذب محمد قط».(تفسير الطبري ٣٣٣/١١؛ تفسير ابن كثير ٢٥٢/٣)

٢- أبو سفيان قبل الإسلام: ورد في حديث هرقل: أنه سأل أبا سفيان فيما سأل: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، ذكرتَ أن لا. فقد أعرِف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى. (صحيح البخاري، رقم:٧ ؛ صحيح مسلم، رقم:١٧٧٣)

٣- أبي بن خلف: قال أبي بن خلف: والله لأقتلن محمدا، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «بل أنا أقتله إن شاء الله» قال: فانطلق رجل ممن سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بن خلف فقيل: إنه لما قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ما قلت؟ قال: «بل أنا أقتله إن شاء الله» فأفزعه ذلك، وقال أنشدك بالله أسمعته يقول ذلك؟ قال: نعم، فوقعت في نفسه؛ لأنهم لم يسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا إلا كان حقا، فلما كان يوم أحد خرج أبي بن خلف مع المشركين فجعل يلتمس غفلة النبي صلى الله عليه وسلم ليحمل عليه، فيحول رجل من المسلمين بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «خلوا عنه».فأخذ الحربة فجزله بها يقول: رماه بها، فوقعت في ترقوته تحت تسبغة البيضة، وفوق الدرع، فلم يخرج منه كبير دم، واحتقن الدم في جوفه، فجعل يخور كما يخور الثور، فأقبل أصحابه حتى احتملوه وهو يخور وقالوا: ما هذا فوالله ما بك إلا خدش، فقال: «والله لو لم يصبني إلا بريقه لقتلني، أليس قد قال: أنا أقتله إن شاء الله، والله لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لقتلهم. قال: فما لبث إلا يوما أو نحو ذلك حتى مات إلى النار. (مصنف عبد الرزاق، رقم:٩٧٣١؛ وفي هذه القصة روايات كثيرة ينظر لها: الخصائص الكبرى٣٦٠/١؛ الروض الأنف ٣٦٨/٣؛ السيرة النبوية ٦٣/٣-٦٤؛ دلائل النبوة ٢٨٥/٣-٢٦١)

٤- أمية بن خلف: قال سعد رضي الله عنه لأمية بن خلف أبي صفوان: إن محمد قاتلك. فاندفع قائلا: والله لم يكذب محمد قط. فلما رجع أمية إلى بيته ذكر ذلك لامرأته، فقالت: إنه لم يكذب قط. ولما خرج إلى غزوة بدر ذكَّرَته زوجته بذلك، فعزم على التخلف عنها، ولكن أباجهل أصر، فشهدها وقتِل.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «انطلق سعد بن معاذ معتمرا، قال: فنَزل على أمية بن خلف أبي صفوان،... فغضب سعد، فال: دَعنا عنك فإني سمعت محمدا يزعم أنه قاتلك.قال: إياي؟ قال: نعم. قال: والله ما يكذب محمد».الحديث. (صحيح البخاري، رقم :٣٦٣٢، باب علامات النبوة قبل الإسلام).

وهؤلاءكلهم كفار، ولكنهم كانوا يعتبرونه صادقًا ويقولون: إنه لا يكذب أبدا.

٥- اليهود: تحدى النبي صلى الله عليه وسلم اليهود: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة: ٩٤)، ولكنهم لم يجرؤوا على ذلك، فلولا أنهم كانوا يصدقونه لتمنوا الموت.

٦- النصارى: ذكرت كتب التفاسير والسيرة قصة وفد نجران مفصلة، وأخيرا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة، إلا أنهم لم يرضوا بذلك؛ لأنهم كانوا يرونه صادقا.

٧- الكفار: صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا، ودعا قريشا، فحضروا أو أرسلوا عنهم رجلا، فقالوا قولا واحدا: «ما جربنا عليك الكذب».(صحيح البخاري، رقم :٤٧٧٠)

٨- كان الكفار أشد أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم بعد النبوة، ورغم ذلك كانوا يودعونه أماناتهم. وبقيت هذه الودائع إلى الهجرة إلى المدينة. (السنن الكبرى ٢٨٩/٦)

٩- ما أكثر الذين كانوا من دهاة العرب وعقلائهم، وأسلموا، وقاموا بأعمال جليلة، منهم: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وقيس بن سعد، وغيرهم رضي الله عنهم.

١٠- بلغ قريشا عند عمرة القضاء أن المسلمين يدخلون الحرم ومعهم سلاحهم، فبعثوا مكرز بن حفص في جماعة، إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، يستطلع الخبر، فقال وهو يحدث النبي صلى الله عليه وسلم: «لم تغدر قط». وقال: نعرفك بالصلاح والوفاء. (دلائل النبوة للبيهقي ٣١٩/٤-٣٢١)

شهادة أصحابه بصدقه وأمانته:

صحب الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم سنوات متتابعة، وكانوا ذوي عقل

وفهم. وشاهدوا كل ناحية من نواحي حياتهم عن كثب، فإذا اجتمعت هاتان الخصلتان في أحد، ازداد ثقلا.

١- كان الصحابة رضي الله عنهم – بعد ما صدقوا النبي صلى الله عليه وسلم- مستعدين لتقديم أعظم التضحيات لرضاه صلى الله عليه وسلم، حتى رضي الوالد بقتل ابنه، ورضي الابن بقتل والده لأجل الدين، وكل ذلك؛ لأنهم كانوا يصدقونه، ومن الأمثلة على ذلك قصة عبد الله بن أبي سلول، حيث دخل ابنه على النبي صلى الله عليه وسلم وقال: لئن أمرتني لأضربن رأسه الآن. (مسند الحميدي، رقم:١٢٤٠)

وكذلك استعد طلحة بن البراء لقتل والده.

«أن طلحة بن البراء، لما لقي النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله، مرني بما أحببت، فلا أعصي لك أمرًا، فعجب لذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام، فقال له عند ذلك: «اذهب، فاقتل أباك»، فقال: فخرج موليا ليفعل فدعاه، فقال له: «أقبل، فإني لم أبعث بقطيعة رحم».

٢- خديجة رضي الله عنها: مما ورد في تسلية خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عند ما نزل عليه الوحي أول مرة، أنها قالت: «فو الله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث...».(صحيح البخاري، رقم:٤٩٥٣)

ولا يغيبن عن البال أن خديجة صحبت النبي صلى الله عليه وسلم خمسة عشر عاما قبل أن تقول ما قالت.

٣- وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون قبل أن يحدثوا عن النبي صلى الله عليه وسلم: «الصادق المصدوق». وثبت عن ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهم الإكثار من ذلك. (صحيح البخاري، رقم:٣١٨٠، ٣٢٠٨، ٣٦٠٥، ٦٥٩٤، وغيرذلك)

٤- يقول عبد الله بن سلام: «... فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب». (سنن الترمذي، رقم: ٢٤٨٥)

٥- وأعظم من ذلك شهادة أزواجه الطاهرات رضي الله عنهن، ولا يخفى ما بين الزوجين من التبسط، والصحبة المستمرة، ورغم ذلك لم تذكر إحداهن أن قوله كان

خلاف الواقع، وإنما يذكرنه بالخير دائمًا.

الوعود والعهود:

وهذا يشمل المواعيد والمعاهدات كلها، التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس، و لا يسع أعداء الإسلام -مهما حاولوا- أن يأتوا بدليل على أنه صلى الله عليه وسلم وعد أحدا وعدا ثم عدل عنه قيد ذرة. ومن الأمثلة على وعده وعهده صلى الله عليه وسلم:

١- وعد عبد الله بن أبي الحمساء أنه يأتيه صلى الله عليه وسلم، فنسي، فانتظره النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام:

عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع، قبل أن يبعث، وبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانه، فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث، فإذا هو في مكانه، فقال: يا فتى، لقد شققت عليَّ، أنا ههنا منذ ثلاثٍ أنتظرك».(سنن أبي داود، رقم:٤٩٩٦)

٢- أمهله كفار مكة ثلاثة أيام في عمرة القضاء للبقاء في مكة المكرمة، وكان النبي صلى الله عليه و سلم مع جيش من الصحابة، ولكنه وفى بوعده، وخرج منها:

«فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليًّا فقالوا: قل لصاحبك: اخرج عنا، فقد مضى الأجل فخرج النبي صلى الله عليه وسلم».(صحيح البخاري، رقم:٤٢٥١)

٣- ساعد الكفار إذا عاهدهم على ذلك: حالفت خزاعة المسلمين في صلح الحديبية، وحالفت بنو بكر الكفار. وذات ليلة غدرت بنو بكر وهجمت على خزاعة، ونقضت قريش عهدها بمساعدتها بني بكر، فجاء عمرو بن سالم المدينة، وشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم إعداد العدة وخرج في عشرة آلاف من أصحابه في العاشر من رمضان، وفتح الله عليه مكة المكرمة. (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٨٠٥٧؛ السنن الكبرى للبيهقي ٢٣٣/٩؛ دلائل النبوة ٤/٥-١٣)

صدقه في المزاح:

يتبسط المرء في المزاح، ولايتخذ الحذر في الكلام، وأما مزاح النبي صلى الله عليه وسلم فكان يتسم بالصدق مئة في المئة، ومن الأمثلة عليه:

١- قال لبعض الصحابة: أحملك على ولد الناقة:

عن أنس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، احملني، قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا حاملوك على ولد ناقة. قال: وما أصنع بولد الناقة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وهل تلد الإبل إلا النوقُ.(سنن أبي داود، رقم:٤٩٩٨)

٢- قال لعجوز: لا تدخل الجنة عجوز:

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعجوز: إن الجنة لاتدخلها عجوز. فولت تبكي، قال: أخبروها أنها لا تدخل وهي عجوز، إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ۝٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝٣٦﴾ (الواقعة) (الشمائل المحمدية للترمذي، رقم:٢٤١)

٣- قال النبي صلى الله عليه وسلم لأنس: يا ذا الأذنين. (سنن أبي داود، رقم:٥٠٠٢)

٤- وقال لزاهر رضي الله عنه: من يشتري هذا العبد؟ ولا شك أنه عبد لله تعالى.

عن أنس رضي الله عنه قال: إن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرا... فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من يشتري هذا العبد؟ فقال: يا رسول الله، تجدني كاسدا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لكن عند الله لست بكاسد. أو قال: أنت عند الله غالٍ. (الشمائل المحمدية للترمذي، رقم:٢٤٠؛ مسند أحمد، رقم:١٢٦٤٨)

٥- قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا أقول إلا الحق. (أي وإن كنت مازحًا).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يارسول الله، إنك تداعبنا، قال: «إني لا أقول إلا الحق». (مسند أحمد، رقم:٨٧٢٣)

تنبيه:

قد يشكل على الناس مصداق الحديث ومراده ومعناه، فالمطلوب ملاحظة الأمور التالية:

١- هل ثبت الحديث بإسناد صحيح ؟

٢- ما المعنى الصحيح للفظ ؟

٣- ثمة فرق بين الأسباب الحسية للشيء والأسباب الغيبية له.

سبب كنية أبي بكر:

قال الشيخ محمد أحمد كنعان في «جامع اللآلي»: لم أجد فيما رجعت إليه من المراجع وهي كثيرة من ذكر سبب تكنيته أو تسميته مع شهرته».(جامع اللآلي، ص٢٥٠)

وجدنا سببين لتكنيته:

١- يفيد بعض الروايات في صحيح البخاري أن أبا بكر تزوج قبل الهجرة امرأة اسمها: أم بكر، وطلقها عند الهجرة إلى المدينة. ثم تزوجها ابن عمها: شداد بن الأسود، والظاهر أن الأم لما كانت أم بكر، فكان الأب أبا بكر. ذكر هذه القصة البخاري في صحيحه(٥٥٨/١، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم) وقال في الإصابة: اسم الزوج الثاني لأم بكر هو شداد.

٢- قال علي الطنطاوي في كتابه «أبو بكر الصدق» (ص ٤٦): البكر: الجمل الشاب. وكان بكر رئيس قبيلة عربية كبيرة، وأولاده بنو بكر، فمعنى أبي بكر: والد الرئيس.

سبب تسمية أبي بكر بالصديق:

لم سمي أبوبكر بالصديق؟

١- كان على ذروة من الصدق، وصادقا في الأقوال والأفعال.

٢- كان صدقه غير مشكوك فيه.

٣- كان على غاية من التصديق، فكان يصدق كل قول يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول أنس رضي الله عنه: إن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمرُ وعثمانُ فرجف بهم، فقال: «اثبت أحدُ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان».(صحيح البخاري، رقم:٣٦٧٥)

وفي حديث آخر: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبوبكر: صدق، و واساني بنفسه وماله».(صحيح البخاري، رقم:٣٦٦١)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس... قالوا لأبي بكر: أَوَ تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك. أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبو بكر الصديقَ». (المستدرك للحاكم، رقم:٤٤٠٧)

وفي تاج العروس: «الصديق: كسكيت،... الكثير الصدق إشارة إلى أنه للمبالغة...، وفي الصحاح: الدائم التصديق. ويكون الذي يصدق قوله بالعمل. وفي

المفردات: الصديق: من كثر منه الصدق، وقيل: بل من لم يكذب قط... قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ (المائدة: ٧٥) أي: مبالغة في الصدق والتصديق، على النسب. (تاج العروس٢٦/١٣، ومثله في لسان العرب: صدق)

اشتهر أبوبكر بهذا اللقب بمناسبة المعراج.

إيراد: يوصف الذي يصدق بالمصدق لا بالصديق؟

الجواب: قد يأتي الصادق بمعنى المصدق، نحو قول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ (الواقعة: ٢) كذلك الصديق يحتمل أن يكون بمعنى المصدق.

لم سمي أبو بكر بالعتيق:

لأبي بكر عدة ألقاب، منها الصديق، وكان يسمى بالعتيق أيضًا. وسبب تسميته بذلك:

١- لعتقه من النار.

عن عائشة رضي الله عنه أن أبا بكر دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أنت عتيق الله من النار». فيومئذ سمي عتيقًا.(سنن الترمذي، رقم: ٣٦٧٩)

٢- لعتاقة وجهه: أي جمال وجهه.

٣- لنَزاهة نسبه.

٤- لقدمه في الخير.

قال الليث بن سعد: سمي بذلك لعتاقة وجهه وجماله، والعتق: الجمال...، وقال مصعب وطائفة من أهل النسب: إنما سمي عتيقًا؛ لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به. وقال أبونعيم الفضل بن دكين: سمي بذلك لأنه قديم في الخير. والعتيق: القديم. (الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص ٣١)

٥- مات أولاد والده كلهم، فدعا الله تعالى عند الكعبة: «اللهم إن هذا عتيقك من الموت، فهبه لي». (الإصابة في تمييز الصحابة ١٤٧/٤)

ألقاب أخرى لأبي بكر الصديق:

(٣) الصاحب، من ألقاب أبي بكر الصديق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ

لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠)

واتفق أهل السنة على أن أبا بكر رضي الله عنه هو المراد به. (للاستزادة منه راجع: صحيح البخاري، باب مناقب المهاجرين وفضلهم)

(٤) الأتقى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴾ (الليل: ١٧) سبقت الروايات الواردة في هذا اللقب ضمن البيت رقم: ٧٦.

(٥) الأواه: عن إبراهيم النخعي قال: «كان أبو بكر يسمى الأواه لرأفته ورحمته...».

عن أبي سريحة: سمعت عليا رضي الله عنه على المنبر: « ألا إن أبابكر أواه منيب القلب».(الطبقات الكبرى لابن سعد ١٧٠/٣؛ تاريخ الخلفاء، ص ٥٦؛ تفسير الطبري ٢٧٦/٤)

(٦) خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشتهر بهذا اللقب في الصحابة، جاء في المستدرك: «باب ذكر الروايات الصحيحة عن الصحابة رضي الله عنهم بإجماعهم في مخاطبتهم إياه بـــ يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم».

إيضاح منصب الصديق:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (النساء: ٦٩)

فيما يلي تفسير موجز للآية الكريمة:

- الصديقين: منهم: أبو بكر رضي الله عنه، الشهداء: عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. الصالحين: باقي الصحابة.
- مرتبتان عظيمتان: ١-مرتبة علمية. ٢- مرتبة عملية.

النبي: مهبط الوحي/مورد الوحي.

الصديق: ملتزم الوحي، الذي لا يتجاوزه. وبتعبير آخر: الصديق: من يكون قلبه وعاء للوحي. كما أن الماكينة إذا وضعت في صندوق حفظت وصينت، ولا يسير يمينا وشمالا. كذلك الوحي في صدر أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وكان من تأثير هذه الصفة أنه لم يتجاوز الوحي قط، مثاله: بعث جيش أسامة، وقوله لمانعي الزكاة: أينقص

الدين وأنا حي. و مواجهته لمنكري ختم النبوة/ مواجهته لأدعياء النبوة ونحو ذلك.

النبي والصديق: مرتبتان علميتان، وما بعدهما مرتبتان عمليتان: الشهداء والصالحين.

الشهيد: الذي يأتي عملا عظيما جدا،حيث ضحى بنفسه في الحفاظ على الوحي.

الصالح: الذي يضحي بجسده في سبيل العمل. فنفق جسده وبقيت روحه. فمنْزلته دون منْزلة الشهيد، غير أن الصالح ينتظر الاستشهاد، ليضحي بنفسه في سبيل الله تعالى.

يقول الصوفية: قطب النبوة: محمد صلى الله عليه وسلم. مركز الصديقية: أبو بكر الصديق رضي الله عنه. قطب الشهادة: عمر رضي الله عنه. مركز الصالحين: عثمان وعلي رضي الله عنهما.

الصالح: الذي يكل عمله إلى الله تعالى .فكافة السلاسل للصوفية تنتهي إلى علي رضي الله عنه، وكذا إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

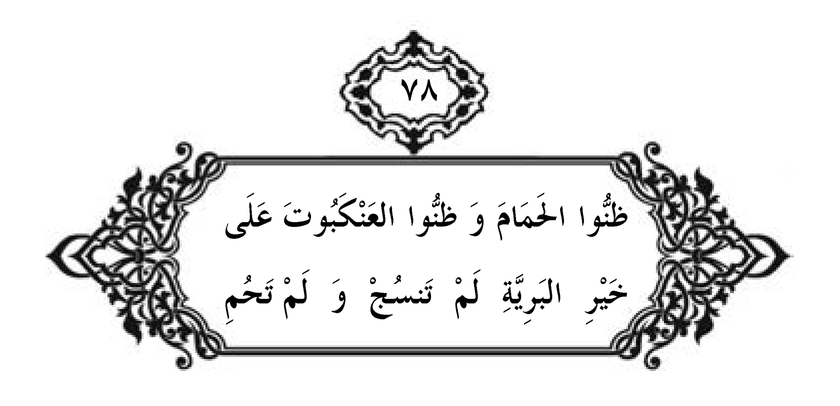
عثمان رضي الله عنه ذو النورين: (١) نال الحظ منهما: من الشهادة والصالحين. (٢) كانت تحته بنتان من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تعريف جامع للصالحين: وقفوا أبدانهم للأعمال، وقلوبهم لحب الله تعالى، ويزيلون الرذائل ويحتلون بالفضائل. وهذا تعريف الصالح العام.

وإن كان النبي والصديق أيضًا صلحاء، إلا أنهم صلحاء كاملون، والمراد في الآية الصلحاء بالمعنى الخاص.

تمت ولله الحمد.

****



اللغة:

ظنوا: ظن (ن) ظنا: تخيله.

ويأتي الظن بمعنى اليقين كثيرا، وفي الشعر بهذا المعنى. وما أكثر الأمثلة عليه في النصوص، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ (الكهف: ٥٣)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ (البقرة: ٤٦)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ (الحاقة: ٢٠) وفي الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي». (صحيح البخاري، رقم: ٧٤٠٥)

والأولى أن نقول أن الظن على ثلاثة أقسام:

١- الظن بمعنى اليقين النظري المبني على الدليل؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ٢٤٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (البقرة: ٤٥-٤٦)

٢- الثاني بمعني الأمر المحكم في الذهن الذي يحتمل الخطأ احتمالاً ضعيفًا لا يعبأ به. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (القيامة: ٢٨-٢٩)

٣- والثالث بمعني الوهم الذي لا أساس له كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ (النجم: ٢٨)

ظن: من أفعال القلوب، وله مفعولان: ظننت زيدا عالما.

أظن فلانا: أوقعه في الشك. أظَنَّ به الناسَ: جعل الناس يسيئون الظن به، رجل مظنون: قليل الفهم، من لا يوثق بعقله.

الحمام: حم (ن) الشيءَ: سخَّنه. حمَّ الأمرُ فلانا: أهمه.

حمَّ (س) حَمَمًا: سخن. حُمَّ حُماما: أصيب بالحمى. أحمَّ الشيءَ: سخنه، وحمَّمَ بمعناه.

تحمَّمَ: (١) اسود. (٢) اغتسل.

استحم: (١) دخل الحمام. (٢) اغتسل. (٣) تعرق.

الحمامة:طير، يذكر ويؤنث.ج: حمام،ج: حمائم.

قال الشاعر:

حمامة جرعى حومةَ الجندل اسجعي ۞ فأنت بمرأى من سعاد و مسمع

وما أكثر التفاصيل في أسماء الحمامة. (راجع: تاج العروس٣٢/٦-٧)

الحمّام: المغتسل. ج: حمامات. الحِمام: الموت. الحُمام: حمى الحيوانات.

الحُمم: (١) الفحم. (٢) الرماد. (٣)كل مَا احْتَرَقَ من النَّار.

العنكبوت: عنك (ن) عنكا و عُنوكا: سده. عنك الرمل: تكوم الرمل فَسَدَّ الطريق.

عكنت امرأة: عصت. العنكب: ذكر العنكبوت. العنكبة: أنثاه. ج: عناكب.

العنكبوت: دودة (يذكر ويؤنث) ج: عناكب، وعناكيب، وعنكبوتات.

البرية: ج: برايا.

برأ (ف) خلق. برِئ: شفيَ، تخلص من المرض.

أصله بريئة، استبدلت الهمزة ياء، وأدغمت الياء في الياء، فصار: بريَّة.

تنسج: نسج (ض) الثوب نسجا: حاكه. نسجت الناقة: أسرعت السير. نسج الشعر: عمله. المِنسج: مصنع النسيج. النساجة: حرقة النسج.

تَحُمِ: حامَ (ن) حَوما وحومانا: تحلق، تجول، ودار. حام الحيوان: عطش، فهو حائم. ج: حوائم وحُوَّم.

الإعراب:

ظنوا: الضمير يعود على الكفار.

ظنوا: فعل وفاعل، والحمام: مفعول أول، لم تحم: مفعول ثانٍ.

ظنوا: فعل وفاعل، العنكبوت مفعول أول، لم تنسج: مفعول ثانٍ.

على خير البرية: الظرف متعلق بــ (لم تنسج) أو بــ (لم تحم)، فقد تنازع فيه الفعلان. فإن تعلق بــ(لم تنسج) حذف من الثاني لدلالة الأول، وإن تعلق بــ(لم تحم) حذف من الأول لدلالة الثاني.

البرية: اللام للاستغراق.

لم تنسج: فاعله العنكبوت. وفاعل (لم تحم) الحمام. وكل فعل مع فاعله مفعول.

الشرح:

جاء في البيت السابق أن الكفار لم يروهم في الغار، وكيف كان ذلك؟ وهذا البيت تعليل له:

روي أن الكفار وصلوا إلى الغار متتبعين آثاره صلى الله عليه وسلم، فلما رأوا العنكبوت قد نسجت على باب الغار، فقالوا في أنفسهم: لو دخل هذا الغار لتلاشى بيت العنكبوت، ثم عادوا أدراجهم، واختفى النبي صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثة أيام. (مسند أحمد، رقم٣٢٥١؛ مصنف عبد الرزاق، رقم: ٩٧٤٣، و ممن حسن روايات القصة: الحافظ ابن كثير، وابن حجر، وغيرهم. راجع: تفسيرابن كثير٢/٢٣٩؛ فتح الباري ٧/٢٣٦-٢٣٧)

وروي أن المشركين استأجروا بعض القائفين وهو علقمة بن كرز- وقد أسلم فيما بعدُ رضي الله عنه)، و وصلوا إلى الغار، فقال: انتهت الآثار إلى هنا. ولا أدري إلى أين ساروا من هنا. فقال بعضهم: هلا ندخل الغار وننظر فيه. فقال أمية بن خلف: ما ينفعنا دخول الغار؟ فقد نسجت العنكبوت خارج الغار قبل أن يولد محمد. (سبل الهدى والرشاد ٣/٢٤١)

أشار الناظم إلى هذه القصة بأسلوب رشيق، فقال: رأى الكفار بيت العنكبوت وبيضة الحمامة وأيقنوا بأنه لا يوجد به أحد؛ لأن هذه الأشياء تهرب من البشر غالبا. وجزموا بأن العنكبوت نسجت بيتها بصورة عادية، لا للحفاظ على النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك تحليق الحمامة أمر عادي، لا لحفظ النبي صلى الله عليه وسلم. سبحان الله!

أحاديث تخص نسج العنكبوت بيتها خارج الغار:

حفظ النبي صلى الله عليه وسلم بالحمامة وبيت العنكبوت وردت قصته في كتب

السيرة والتاريخ بأسانيد مختلفة. وتصل إلى الحسن لغيرها بانضمام بعض الأسانيد إلى بعضها.

وردت روايات مختلفة في نسج العنكبوت بيتها:

(١) ما ورد فيه ذكر نسج البيت، وهذه الروايات وردت عن ابن عباس والحسن البصري رحمه الله:

١- قال معمر: وأخبرني عثمان الجزري أن مقسما مولى ابن عباس أخبره في قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ﴾ (الأنفال: ٣٠) قال: تشاورت قريش بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: أن أخرجوه فأطلع الله نبيه على ذلك فبات علي على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليا يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل، اختلط عليهم الأمر فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثا».
(مصنف عبد الرزاق، رقم:٩٧٤٣؛ ومثله في مسند أحمد، رقم:٣٢٥١؛ المعجم الكبير للطبراني ٤٠٧/١١/١٢١٥٤؛ مشكل الآثار للطحاوي، رقم:٥٠٨٠؛ تاريخ الخطيب البغدادي ٢٥١/١٥؛ والبداية والنهاية٢٢١/٣؛ الدر المنثور٥٠/٤).

حسن الحافظ ابن حجر وابن كثير رحمهما الله إسناده.

قال الحافظ ابن حجر: «وذكر أحمد من حديث ابن عباس بإسناد حسن».(فتح الباري ٢٣٦/٧).

وضعف الشيخ شعيب الأنؤوط وغيره إسناده لأجل عثمان الجزري. قال أحمد بن حنبل:«عثمان الجزري روى أحاديث مناكير زعموا أنه ذهب كتابه».(الجرح والتعديل١٧٤/٦)

٢- حديث الحسن البصري: قال الحافظ أبوبكر المروزي: حدثنا أحمد بن علي قال: حدثنا بشار الخفاف، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، قال: حدثنا أبو عمران الجوني، قال: حدثنا المعلى بن زياد، عن الحسن قال: «انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبوبكر إلى الغار، فدخلا فيه، فجاء العنكبوت، فنسجت على باب الغار، وجاءت قريش يطلبون

النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا: لم يدخله أحد». (مسند أبي بكر ١/١٤٠ لأبي بكر المروزي؛ البداية والنهاية ٢٢٢/٤).

هذا الحديث مرسل، وبشار الخفاف ضعيف.

(٢) ما روي من نبات الشجر ونسج العنكبوت ووقوع الحمامتين، جاء عن زيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك رضي الله عنهم:

عن عون بن عمر القيسي، قال: حدثنا أبو مصعب المكي، قال: أدركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك يحدثون أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة بات في الغار أمر الله تبارك وتعالى شجرة فنبتت في وجه الغار فسترت وجه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر الله تبارك وتعالى العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأمر الله جل وعز حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار، وأتى المشركون من كل بطن حتى إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم على قدر أربعين ذراعا معهم قسيهم وعصيهم تقدم رجل منهم فنظر فرأى الحمامتين فرجع فقال لأصحابه ليس في الغار شيء رأيت حمامتين على فم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد فسمع قوله النبي صلى الله عليه وسلم فعرف أن الله تبارك وتعالى قد درأ بهما عنه فشمت عليهما وفرض جزاءهما واتخذت في حرم الله يفرخن. أحسبه قال: فأصل كل حمام في الحرم من فراخها». (مسند البزار، رقم:٤٣٤٤؛ ومثله في المعجم الكبير للطبراني٢٠/ ١٠٨٢/٤٤٣؛ الطبقات الكبرى لابن سعد ١٧٧/١؛ البداية والنهاية ٢٢٢/٢؛ دلائل النبوة للبيهقي ٤٨١/٢).

سنده ضعيف، وعون بن عمرو، وأبو مصعب مجهولان. قال الهيثمي: وفيه جماعة لم أعرفهم. (مجمع الزوائد ٥٣/٦)

تدبير غريب للحفاظ:

والتدبير الغريب الذي أعده الله تعالى للحفاظ على النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق يبعث على العجب، ويشكل معجزة من المعجزات.

الحمامة حيوان شارد، ولايتغلب عليه إلا بشق النفس عامة، فحفظ الله تعالى بها النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك نسج العنكبوت، وليس بيتا في الواقع، حفظ الله تعالى به.

وفصل المفسرون الكلام عليه في قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ﴾ (العنكبوت: ٤١)

أنواع أربعة للبيت:

(١) من الحجر والطوب. وهو أقوى البيوت. يحفظ من الهواء والماء والنار.

(٢) من الخشب: دون الأول. فإنه يحفظ من الهواء والماء، دون النار.

(٣) الخيمة: يحفظ من لفح الحر فقط، ويدخلها الهواء وغيره،وكذلك لا يمتنع من الاختراق إذا أمر عليه أحد السكين.

(٤) بيت العنكبوت: لا يحفظ من شيء، لا من الشمس، ولا من النار، ولا من الماء. ولذا سمي: أوهن البيوت.

ثم إن الله تعالى حفظهم به، وفي هذه القصة عبر ودروس:

١- إذا أراد الله تعالى منع أحد لم يحتج إلى جيش، وإنما يستخدم واحدا من خلقه.

٢- إذا أراد الله تعالى حفظ أحد لم يضره أحد ولو اجتمع الناس عليه. وفي الحديث: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك». (سنن الترمذي، رقم:٢٥١٦)

من غرائب أحوال العنكبوت:

ذكر أهل العلم غرائب أحوال العنكبوت، وينظر ذلك في كتب التفسير في تفسير سورة العنكبوت، وفي الكتب المؤلفة حول علم الحيوانات. ومعنى بيت العنكبوت في القرآن الكريم أن الكافر كالعنكبوت، ومعبوده مثل بيت العنكبوت،لا يقيهم، بل هو أضعف البيوت.

وبحث المفسرون: هل يترك بيت العنكبوت على حاله، أو نزيله ؟ والتفصيل في التفاسير. (روح المعاني ١٦١/٢٠)

والأحاديث المشهورة في العنكبوت معظمها لا يخلو من الكلام، وبهذه المناسبة نسوق حديثا واحدا: روى الثعلبي عن علي رضي الله عنه: «طهروا بيوتكم من نسج

العنكبوت، فإن تركه يورث الفقر». (فيض القدير ٥١٩/٤؛ روح المعاني ١٦١/٢٠)

فإن صح الحديث فمعناه أن من علامات فقر الإنسان أنه لا ينظف بيته، أو لا مأوى له في البيت، فنظفوا بيوتكم.

نسل حمامة الحرم:

يروى أن حمامة الحرم كلها من نسل هاتين الحمامتين، اللتين سخرهما الله تعالى للحفظ خارج الغار. (مسند البزار، رقم:٤٣٤٤؛ قال الهيثمي: فيه جماعة لم أعرفهم. مجمع الزوائد ٦٥/٦؛ و ممن ذكر هذا الحديث وسكت عليه: السهيلي في الروض الأنف ١٣٥/٢؛ وابن كثير في السيرة النبوية ٢٤١/٢؛ لكن توقف فيه البعض وقالوا: فيه نظر، فمنهم العلامة الآلوسي، في روح المعاني ٢٣٦/٣٠-٢٣٧؛ والشيخ إسماعيل حقي في روح البيان ٥٠١/١٠؛ والعلامة علي بن برهان الدين في السيرة الحلبية ٢١٠/٢).

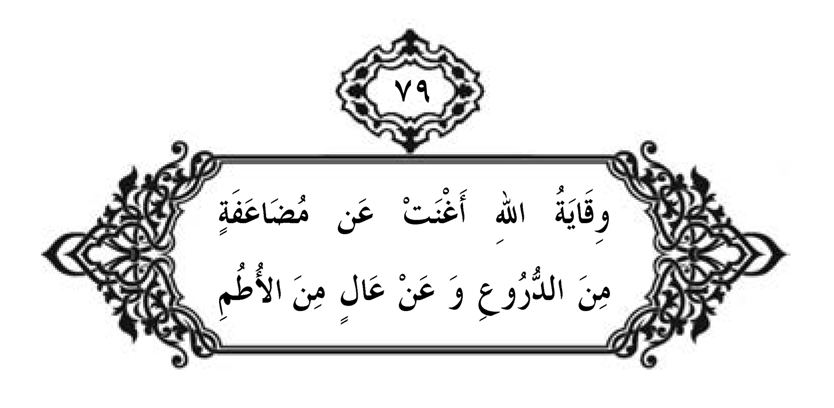
إن الحمامتين خدمتا النبي صلى الله عليه وسلم، فأكرمهما الله تعالى بذلك، ومن الممكن تواجد نسلهما في الحرم.

البلاغة:

في البيت لف ونشر مشوش، فقدم (الحمام)، وتفصيله (لم تحم) متأخر. وأخر (العنكبوت)، وفصله مقدما بقوله (لم تنسج).

انتهى بتوفيق الله تعالى.

****



اللغة:

وقاية: وقي (ض) وِقاية: حفظه وصانه. سبق تحقيقه في البيت رقم:٧٤.

أغنت: غَنيَ (س) غِنًى: كثر ماله.

غنِي عن الشيء: لم يحتج إليه.

غنِيَت المرأة : لم تحتج إلى التجميل (Make up) لجمالها الطبيعي.

الغانية: الغنية بحسنها وجمالها عن أدوات الزينة(Cream) ونحوه. (٢) التي استغنت بزوجها. ج: غوانٍ.

أغنى الشيءُ: كفى. أغناه الله: أكثر ماله.

أغنى الشيء عن كذا: كفى، (لم يحتج في حفظه إلى أحد)، وهو التعبير المستعمل في البيت.

غنَّى تغنية: ترنم بالشعر/ أنشد. الغناء: الموسيقى. الغِنى: الثراء.

الغانية: لله در القائل:

سَهري لتنقيح العلوم ألذّ لي ۞ من وصل غانية وطيب عناق

و تمايلي طربا لحل عويصة ۞ في الدرس أشهى من مدامة ساق

«سَهري لِتَنقِيح العلوم...» لمن هذه الأبيات ؟

هذه الأبيات منسوبة إلى الإمام الشافعي، وهي في ديوانه. وهذا خطأ، فإنه ليس على أسلوب الإمام الشافعي رحمه الله. وعزا العلامة الشامي هذه الأبيات إلى تاج الدين السبكي رحمه الله.(رد المحتار ٣١/١) ولا دليل عليه. والصحيح أنها للعلامة الزمخشري.

(صفحات من صبر العلماء، ص ١٣٩)

ويؤيد ذلك أنها في مخطوط ديوان العلامة الزمخشري. وأما مخطوط ديوان الشافعي فلا توجد فيه هذه الأبيات.

مضاعفة: ضعف (ك) هزل. ضعُفَ: صار ضعفين.

وفي الحديث: «صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمسا وعشرين درجة».(صحيح البخاري، رقم:٦٤٦)

أضعف الشيءَ وضاعفه: ضعَّفه. ضعفَ الرأي والحديث: عدّه ضعيفا.

استضعف: عده ضعيفا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ (القصص: ٤)

الضِّعف: (١) مثله معه. (٢) المضعَّف.

يضاف الضعف إلى العدد، ومعناه مثله، فضعف الواحد اثنان، وضعف الأربعة ثمانية.

قد يطلق على أكثر من مثل الشيء، مثل ضعفا الواحد هُوَ مثلاه مضافين إِلَيْه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ (الأحزاب: ٦٨)

المضاعفة: (من الدروع) التي ضوعف حلقها ونسجت حلقتين. الأضعاف المضعفة: الْأَمْثَال المتعددة.

الدروع: درع (ض) الحيوانَ دَرعا: سلخه من قبل عنقه.

درِع (س) الفرسُ دَرعًا ودُرعَة: اسود مقدمها وابيض مؤخرها أَو الْعَكْس.

ليلة درعاء: ليلة من ليالي النصف الثاني من الشهر. ما كان أوله أسود، وآخره منيرا.

الأيام البيض: ١٣، ١٤، ١٥. أيام الدرع: الليلة السادسة والسابعة والثامنة من الشهر القمري. سمي بذلك: (١) لأن شطرا من هذه الليالي مسفر وشطر منها مظلم.

ولكل ثلاث ليال من الليالي عند العرب اسم يخصها. سبق تفصيله في البيت رقم:٦٧.

الدرع: (١) الزردية. (يذكر ويؤنث). (٢) قميص المرأة. (٣) قميص صغير تلبسه المرأة داخل البيت.ج: أدراع، دروع، أدرع.

عالٍ: علا الشيء (ن) ارتفع، وتعالى .وهو عالٍ وعلي.

عالٍ: أصله: عالي، استثقلت الضمة على الياء، فحذفت، وسقطت الياء لالتقاء الساكنين.

من صفات الله تعالى: العلي، ومعناها: من كان أعظم المرتبة وأعلى الدرجات.

ويشوبه عامةً صفة العظمة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (البقرة:٢٥٥) وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ (الحج: ٦٢)

علا فلان: تكبر. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (القصص: ٤)

علِيَ (س) علاء: سمت منْزلته وعزه. الأعلى: (١) الصاعد. (٢) الراقي.

عالى الشيَ/ على الشيء: رفعه وأصعده.

مادة (علو/علي) لها مشتقات كثيرة، وهي كثيرة الاستعمال.(تاج العروس ٨٢/٣٩)

الأطم: أَطَمَ (ض) أُطوما: أضمر ما في قلبه. أطم على البيت: نصب الستار.

أطِمَ (س) أَطَما: احتبس بوله وبرازه. أطم فلان: غضب.

آطم البابَ إيطاما: سده. يقال: آطم مؤطّمة بمعنى: أبواب مبوبة/ مغلوقة.

ورد في الأحاديث ذكر آطام المدينة، والمراد بها المكان العالي.

الأطْم/ الأُطُم (بسكون الطاء وضمه): (١) القلعة. (٢) المكان العالي. (٣) القصر. ج: آطام.

الإعراب:

وقاية الله: جملة مستأنفة. وقاية الله: مبتدأ، وأغنت عن مضاعفة...: خبره.

أغنت عن مضاعفة: أي جعلت الوقايةُ الرسولَ صلى الله عليه وسلم مستغنيا عن الدروع.

من الدروع: (١) صفة لـــ(مضاعفة)، (٢) حال من (مضاعفة).

من الأطُم: الظرف متعلق بـــ(عالٍ)، وبيان له. وحذف موصوف عالٍ: أي : شيء عالٍ من الأطم.

الشرح:

ذكر البيت النصرة الغيبية في الهجرة، ويشير إلى الآيات الكريمة التالية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ (التوبة: ٤٠)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (غافر: ٥١)

حاصل البيت: حفظ الله تعالى نبيه بمعجزة من المعجزات، وأغناه عن الأسباب المادية للحفظ والصيانة.

ذكر الناظم سببين من الأسباب المادية:

١- حفظ الجسد يتطلب الدروع.

٢- حفظ البيت يتطلب القلعة، لئلا يدخله أحد.

وبتعبير آخر: يتخذ الناس عادةً وجهين من وجوه الحفظ والصيانة:

١- المدافعة: حيث يدافع المرء عن نفسه من الأمام، وهذه المدافعة تحصل بالدرع (Bulletproof)، وترتفع قوة الدفاع إذا ضعفت الدروع.

٢- الممانعة/ الاختفاء: لا يبرز المرء للعدو، بل يختفي. وينفع في ذلك القلاع العظيمة، حتى لا يصل العدو إليه. ويا لها أن تكون القلعة مرتفعة للغاية، فقد تهيأت أسباب الحفظ كلها. ولم يتمتع النبي صلى الله عليه وسلم بواحد من هذين السببين، وإنما هو غار من غيران الجبل، ما أيسر أن يتوصل إليه العدو، بل قد وصل إليه فعلا، إلا أن الله تعالى أعمى أبصارهم، فلم يروه رغم أنهم كانوا بين يديه تماما. فهل هذا غير النصرة الغيبية الإلهية ووقاية منه؟

يقول بعض أهل العلم: كان النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ أشبه بيونس عليه السلام في بطن الحوت. والتشبيه يقتصر على أنه فقد السبب المادي للنجاة، وإنما نجاه الله تعالى بفضله، وكذلك حفظ الله تعالى نبيه بالغيب.

مضاعفة الدروع:

(١) وضع درعين على الجسد. (٢) تضعيف حلقات الدرع. (وهذا هو المشهور).

وفي الوجه الأول الدرع ثنتان. وفي الوجه الثاني واحدة إلا أن الحلقات مضعفة.

الحكمة في اختفائه صلى الله عليه وسلم في الغار:

فإن قيل: كان النبي صلى الله عليه وسلم أشجع الناس، لم يكن يتأثر بأحد من خلق الله تعالى فضلا عن خوفه منه. (وسيأتي هذا المعنى في الفصل الثامن، وسبق مجملا في قوله: «والدهر في همم»). وعليه ناسبه أن لا يختفي في الغار، ولا يغادر مكة المكرمة، بل عليه أن يعدَّ العدة ويواجه الأعداء بقوة؟

الجواب: (١) لم يكن نزل الأمر بالجهاد، وفي الهجرة مصالح ومنافع لا تحصى، مما ظهر فيما بعد.

(٢) وأصل الجواب ما أشار إليه الناظم، وهو أن الله تعالى هيأ أسباب حفظه ووقايته بصورة معجزة، وهو أعظم من المواجهة؛ لأنه قد ظهر ضعفهم الشديد، وعجزهم. ومن المعجزة أنه لم يحتج إلى جيش لمواجهتهم؛ بل واجههم أوهن البيوت، ومنعهم من تحقيق هدفهم. كما تجلى حمقهم في أنهم قطعوا بعدم وجوده في الغار بمجرد رؤية الآثار، وهو أمر هام في نظرهم.

(٣) كان النبي صلى الله عليه وسلم نبي الضعفاء والشجعان كلهم وقائدًا لهم. وبصفته قائدا للشجعان سمع فزعا في المدينة فتقدمهم وحده، وتأخروا عنه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن تراعوا. و مراعاة للضعفاء مكث ثلاثة أيام في الغار. فإنه قد يُحتاج إليهم، وهو سنة نبوية.

سبق ذكر نص الحافظ ابن القيم رحمه الله في ثنايا البيت السابق. ذكر رحمه الله قصة نسج العنكبوت والحمامة قال: «وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود». (الفوائد، ص ٧٢)

إيراد: مضاعفة الدروع: لِمَ ذكر مضاعفة الدروع مع أنه استغنى بحفظ الله تعالى عن درع واحد ؟

الجواب: (١) فيه إشارة إلى أن الحاجة ماسة إلى الدروع العديدة والقلاع العالية في مقاومة العدو إذا كان ذا عدة وقوة.

(٢) فيه مسلك برهاني. (وهو الدعوى المشفوعة بالأدلة).

الدعوى: أغناه الله تعالى عن الدروع المضاعفة.

الدليل: لأن الله تعالى أغناه عن الدرع الواحدة. فحيث أغنى عن الدرع الواحدة فلزم أن يكون أغناه عن الدروع العديدة.

شعبية بيت القصيدة هذا وكونه مقبولا عند الناس:

لقي بيت القصيدة هذا شعبية واسعة، يكثر ذكره في كتب اللغة والتاريخ والسيرة والمواعظ.

روايات متعددة لبعض كلمات هذا البيت:

وقاية الله: وردت هذه الكلمة في نسخ القصيدة الكثيرة، وفي عدد من الشروح، اللهم إلا أنه يوجد بعض الفروق في بعض الأماكن.

١- «عناية الله» بدلا من «وقاية الله»: هكذا في مجلة مجمع اللغة العربية وغيرها من المجلات العربية. وكذلك في غير واحد من كتب الشيخ عائض القرني. وهذا غير موثوق، وربما كان رواية بالمعنى. فهذه الكلمة لا توجد في شيء من نسخ القصيدة ولا شروحها. في حين أن كثيرا من الشراح يعتنون بذكر الخلاف الواضح.

٢- «رقابة الله» بدلا من «وقاية الله»: ذكر العلامة الآلوسي -صاحب روح المعاني- في كتابه «غرائب الاغتراب» هذا البيت بهذا اللفظ، ولا يثبت وإن صح معنًى. والله أعلم.

قصة الهجرة بإيجاز:

صور الناظم في الأبيات الأربعة السابقة الأجزاء الهامة من الهجرة تصويرا رائعًا، وسبق شرح كل بيت في ثناياه، وذكر الشراح قصة الهجرة هنا بالتفصيل، ونرى من المناسب سرد قصة الهجرة كلها في مكان واحد وباختصار.

ونسوق فيما يلي قصة الهجرة في ضوء رسالة «سيرة خاتم الأنبياء» للشيخ المفتي محمد شفيع رحمه الله.

واعلم أن عددا من مشايخنا أثنوا على هذه الرسالة ثناء عاطرا. وفي بدايتها تقاريظ كل من العلامة أشرف علي التهانوي، وشيخ الإسلام حسين أحمد المدني، والعلامة أنور شاه الكشميري، والمفتي عزيز الرحمن، والشيخ سيد أصغر حسين رحمهم الله تعالى. وعلى

كل حالٍ يقول الشيخ المفتي محمد شفيع رحمه الله:

هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة:

اطلع كفار قريش على الوضع فاجتمعوا في دار الندوة للتشاور حول الموقف الذي يجب اتخاذه من الرسول صلى الله عليه وسلم. فأشار بعضهم بالحبس، وبعضهم بالجلاء، إلا أن دهاتهم أبوا ذلك، وقالوا: لا يناسب ذلك؛ لأننا لو حبسناه لهجم عليهم أعوانه وأنصاره، وخلصوه منا، وأما الجلاء فهو ضرر علينا كل الضرر؛ لأن العرب من حول مكة يُعجبون بخصاله الكريمة وحديثه الحلو، وكلام ربه فيهجم علينا بهم جميعا.(سيرة مغلطائي). فأشار الشقي أبو جهل بقتله على أن يشترك فيه فرد من كل قبيلة ليعجز بنو عبد مناف عن الثأر له منهم. استحسن الناس هذا الرأي. وعينوا شابا من كل قبيلة ليقضوا عليه في ليلة معينة.

وأطلع الله تعالى رسوله على تشاورهم، وأمره بالهجرة.

وفي الليل الذي أراد الكفار تجسيد مكرهم وحيلتهم جاء كثير من الشباب من كل قبيلة وحاصروه وقعدوا حول بيته.فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم حينئذ الهجرة، وقال لعلي: ارقد على سريري (ويرتدي رداءه) ليخفى على الكفار عدم تواجده في البيت.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته، فوجد جموع قريش على الباب، خرج وهو يقرأ سورة يس، فلما بلغ قوله تَعَالَى:﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، أعاده مرات، حتى أعمى الله تعالى أبصارهم، فلم يروه. ثم توجه إلى بيت الصديق رضي الله عنه، وكان قد تجهز مسبقا، وأعد دليلا لهم في الطريق.

صحب أبو بكر الصديق رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وخرجا من نافذة خلف الباب، وتوجهوا إلى غار ثور. (وثور جبل قرب مكة المكرمة).

نزوله في غار ثور:

أوى إلى غار في الجبل ،وأصبحت قريش تنتظر خروجه من البيت، وعلموا أخيرا أن عليا نائم مكانه، فقلقوا قلقا شديدا، وأرسلوا رسلهم في كل جانب للبحث عنه صلى الله عليه وسلم، ووعدوا بمئة إبل لمن جاء به أسيرا. وخرج أناس كثيرون في طلبه، ووصل بعض القافة يتتبعون آثاره إلى فم الغار. لو نظروا إلى أقدامهم لرأوا النبي صلى الله عليه

وسلم. فاغتم أبو بكر كثيرا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تحزن، إن الله معنا. فصرف الله تعالى أنظارهم عن الغار، و لم ينظر أحد منهم إلى قدمه، بل قال أكثرهم دهاء وعقلا: أمية بن خلف: يستحيل تواجده فيه، وذلك لأن الله تعالى أمر العنكبوت أن تنسج على فم الغار، وبيضت الحمامة عليه.

اختفى الرسول صلى الله عليه وسلم وأبوبكر ثلاثة أيام متتابعات في الغار، حتى أدرك الباحثين اليأس والقنوط، وقعدوا عنه.

وكان عبد الله بن أبي بكر الصديق يزورهم ليلا خفية خلال هذه الأيام الثلاثة، ثم يصبح في مكة. ويستمع لأنباء قريش سحابة النهار، ثم يقصها عليهم في الليل، وكانت أخته أسماء بنت أبي بكر يجهز لهم الطعام كل ليلة. وكان العرب كثير الاطلاع على آثار الأقدام،فأمر مولاه: عبد الله أن يصل إلى الغار وهو يرعى الغنم لتختفي آثار الأقدام.

توجهه إلى المدينة من غار ثور:

وفي اليوم الثالث من نزوله في غار حراء يوم الاثنين من شهر ربيع الأول عام ١هـــ وصل عامر بن فهيرة -مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه- ومعه ناقتان، أعدهما أبو بكر لهذه الرحلة، ووصل عبد الله بن أريقط الذي استأجره دليلا على الطريق.

ركب النبي صلى الله عليه وسلم إحدى الناقتين وركب أبو بكر الأخرى، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة للخدمة،وسار عبد الله بن أريقط أمامهم يدلهم على الطريق.

وصول سراقة بن مالك إليهم، وسوخ يدا فرسه في الأرض:

وتقدموا فلحقهم سراقة بن مالك الذي كان يتتبع آثارهم، فلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم تعثر فرس سراقة وسقط على الأرض، ثم عاد إلى الركوب، وتبعه، حتى سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلو القرآن الكريم ، وأكثر أبو بكر الالتفات إلى الوراء حينئذ، و لم يلتفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما دنا أكثر، ساخت يدا فرسه إلى ركبته في الإرض وهي يابسة شديدة، وسقط سراقة على الأرض من جديد. وحاول انتشال الفرس من الأرض دون جدوى. فلم يجد بدا من اللجوء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فوقف له، فخلص الفرس منه ببركته صلى الله عليه وسلم.(مغلطائي).

خرجت يدا الفرس من الأرض فأتبعهما دخان، فبلغ منه العجب والحيرة كل مبلغ،

وتضرع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعرض عليه ما معه من الزاد والمتاع والراحلة. وأبى النبي صلى الله عليه وسلم قبولها. وقال: لا نقبل منك الراحلة ونحوها إذ لم تقبل الإسلام، وإنما يكفيك أن تعمي خبرنا على الناس. عاد سراقة منه، ولم يذكر ما رآه ما دام أوجس خيفة على الرسول صلى الله عليه وسلم. (السيرة الحلبية ٤٣٦/١٠)

اعتراف سراقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

قص سراقة بعد أيام القصة على أبي جهل، وقرأ أبيات هي:

أَبَا حَكَمٍ وَاللاَّتِ لَوْ كُنْتَ شَاهِدًا ۞ لأَمْرِ جَوَادِي إِذْ تَسِيخُ قَوَائِمُهْ

عَجِبْتَ وَلَمْ تَشْكُكْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا ۞ نَبِيٌّ وَ بُرْهَانٌ فَمَنْ ذَا يُقَاوِمُهْ

عَلَيْكَ بِكَفِّ النَّاسِ عَنْهُ فَإِنَّنِي ۞ أَرَى أَمْرَهُ يَوْمًا سَتَبْدُو مَعَالِمُهْ

بِأَمْرٍ يَوَدُّ النَّصْرَ فِيهِ بِإِلْبِهَا ۞ لَوَ أنَّ جَمِيعَ النَّاسِ طُرًّا تُسَالِمُهْ

(هذه الأبيات في عدد من الكتب: الروض الأنف ٣٢١/٢؛ السيرة النبوية لابن كثير٢٤٩/٢؛ دلائل النبوة لأبي نعيم، ص٢٧٥؛ دلائل النبوة للبيهقي ٤٨٩/٢؛ تاريخ مكة للفاكهي ٨٥/٤؛ مع اختلاف يسير في اللفظ، مثلا: في البيت الأول: والله، بدلا من واللات. وفي البيت الثاني: علمت بدلا من عجبت. ورسول بدلا من نبي. وأتانا ببرهان بدلا من رسول وبرهان. ويكاتمه بدلا من يقاومه. وفي البيت الثالث: بكف القوم بدلا من بكف الناس، وفكف الناس. وفي البيت الرابع تسالمه، ومسالمه بدلا من يسالمه. ونحو ذلك).

من معجزات الرسول، وإيمان أم معبد وزوجها:

مروا على امرأة في الطريق يقال لها أم معبد بنت خالد. وكانت عنْزها عزبت وليس لها لبن. فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ضروعها، فامتلأت لبنا، فشربه صلى الله عليه وسلم وسقى أصحابه، ولازالت منه بقية. وغادر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء زوج أم معبد، فسأل عن اللبن، وكان قد بلغ منه العجب والحيرة كل مبلغ، فقالت أم معبد: نزل علينا اليوم شاب كريم برهة من الزمان، وهذا من بركته، فقال زوجها: لعله الرجل المكي. (شرح الزرقاني ١٣٠/٢؛ أسد الغابة ٦٨٤/١، ترجمة حبيش بن خالد)

وروي أنهما هاجرا إلى المدينة وأسلما بها.

نزوله بقباء:

وغادر حتى وصل إلى قباء (موضع بالقرب من المدينة)، وبلغ الأنصار مقدمه صلى الله عليه وسلم، فكانوا يخرجون كل يوم، ينتظرونه. وكانوا عادوا إلى بيوتهم بعد الانتظار

يوم ذاك، إذ سمعوا من يقول: لقد جاء من كنتم تنتظرونه.

رأوه قادما إليهم فاستقبلوه فرحين مسرورين. ومكث الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بقباء أربعة عشر يوما، وأسس مسجدا في قباء أثناء ذلك. وهو أول مسجد أسس في الإسلام.

[**ملحوظة**: اختلفت الروايات في مدة نزوله بقباء:٢٤/يوما، ١٤/يوما، ويذكر التاريخ ٤/أيام. يراجع للتوفيق بينها صحيح البخاري ،وشروحها].

هجرة علي رضي الله عنه ولحوقه بالنبي صلى الله عليه وسلم بقباء:

اعترف الناس بأمانة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يودعونه ودائعهم كثيرا، وخلف النبي صلى الله عليه وسلم عند الهجرة عليًّا رضي الله عنه ليرد الودائع إلى أصحابها، ثم يلحقه بالمدينة.

بدء التاريخ الإسلامي:

انتشر نور الإسلام بعد الهجرة كثيرا، وجاء تأسيس الحكومة الإسلامية، فجعل عمر رضي الله عنه الهجرة بداية التاريخ الإسلامي، وجعل المحرم- الذي كان فاتحة الهجرة- أول شهوره، أو لأن المحرم أول الشهور بعد العودة من الحج. فهان تذكره، وفي قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ (التوبة: ١٠٨) إشارة واضحة إلى بداية التاريخ.

قال السيوطي في «الشماريخ في علم التاريخ»: التاريخ من يوم قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا. قال ابن عساكر: هذا أصوب. (الشماريخ في علم التاريخ، ذكر مبدأ التاريخ الهجري، ص ١٢)

دخوله المدينة الطيبة:

غادر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة من شهر ربيع الأول قباء متوجها إلى المدينة المنورة، وكان أنصار المدينة يحيطون براحلته فرحين مسرورين، بين راجل وراكب، كل يتقدم لأخذ خطام ناقته، ويود من صميم قلبه أن ينْزل الرسول صلى الله عليه وسلم عليه، وينشد النساء والولائد الأناشيد فرحا. وكان يوم جمعة، وحان موعدها بالقرب من دور بني سالم بن عوف، فنَزل من الراحلة، وجمع بالناس ثم ركب، فكان لا يمر ببيت من بيوت الأنصار إلا عرض على النبي صلى الله عليه وسلم النُّزول عليه، وقال

الرسول صلى الله عليه وسلم: دعوا الناقة وشأنها فإنها مأمورة من الله تعالى. وستبرك حيث أمرت بالبروك. فسارت حتى بلغت بيوت خؤولة النبي صلى الله عليه وسلم من بني النجار، فبركت عند بيت أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه فنَزل النبي صلى الله عليه وسلم ضيفا عليه، ومكث في بيته مدة من الزمان. (انتهى نص سيرة خاتم الأنبياء مع زيادات بين المعكوفين:[]).

ويرجع لتفاصيل قصة الهجرة إلى كتب التفسير والسيرة النبوية.

القرآن الكريم يشيرإلى قصة الهجرة:

الآيات التالية من القرآن الكريم تشير إلى قصة الهجرة:

١ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ (الأنفال: ٣٠)

٢ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (التوبة: ٤٠)

٣ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥)

٤ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ (الإسراء: ٨٠)

٥ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨)

مزيد من تفاصيل قصة الهجرة:

بعض الموضوعات الخاصة بالهجرة، والتي درسها أهل العلم فيما يلي:

أسباب الهجرة، وقت الهجرة، رد أمانات الكفار إليهم، كم كانت الرواحل؟ تقدم أبي بكر النبي صلى الله عليه وسلم حينا وتأخره حينا آخر، وتنظيفه الغار، ولدغ الحية، ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعابه عليه، وحكمة الاختفاء في الغار، ما حدث أثناء نزوله بالغار؟ من كان يأتيهم بالطعام كل يوم؟ كان أبو بكر في الغار في مقام الخوف، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في مقام الرجاء، وأما في غزوة بدر فعلى العكس من ذلك فيما يبدو، فما سببه؟ ماذا حدث في مكة المكرمة بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم منها؟ حالات بيت أبي بكر، وقصة سراقة، وتنبآته صلى الله عليه وسلم، ومتى تحققت؟ سقي بعض الرعاة إياهما اللبن من عَنَزة لا لبن لها، ودخوله في الإسلام، وقصة أم معبد، وتعريف أم معبد بالنبي صلى الله عليه وسلم لزوجها بأعجب أسلوب وأفصح لسان، وثمرات دعائه صلى الله عليه وسلم لأم معبد، وقصة سراقة وقصة أم معبد

أيهما أول وقوعا؟ هل قامت امرأة أخرى غير أم معبد بقراهم، أو أن القصة واحدة؟ لقاؤهم طلحة بن عبيد الله قبل بلوغ المدينة المنورة، واستقبال بريدة بن حصيب مع سبعين رجلا إياهم، وإسلامهم جميعا، وتفاؤل النبي صلى الله عليه وسلم بكل كلمة قالها، وإخبار الجن سعد بن عبادة بقدومه الميمون، ومصافحة الناس أبا بكر ظنا منهم أنه الرسول صلى الله عليه وسلم، وإباء أبي بكر ذلك، متى ورد قباء؟ وكم مكث فيها؟ (فيه اختلاف كثير)، متى أنشدوا: طلع البدر علينا؟ ونحو ذلك.

لا شك أن قصة الهجرة تحمل في ثناياها كثيرا من الحِكم ودروس الحياة، وعبرها. وكثير من الناس يتعرضون لمثل هذه الأمور في السيرة، منهم:

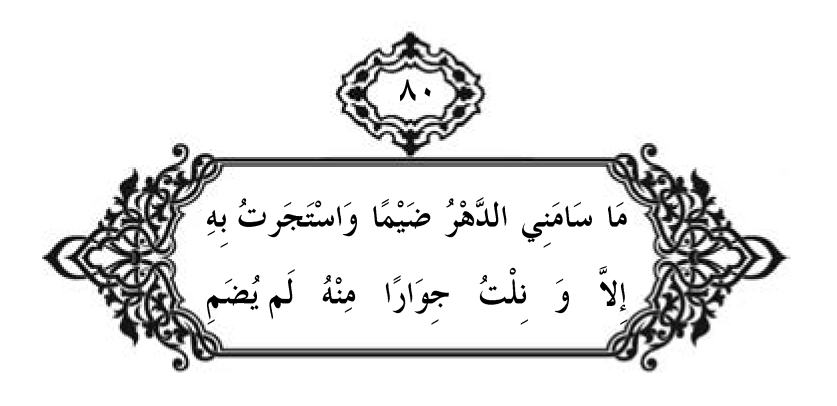
- فقه السيرة للغزالي.
- فقه السيرة للسيوطي.
- فقه السيرة النبوية للشيخ محمد راتب.
- بصائر وعبر من سيرة خير البشر للدكتور رضا، كلية الشريعة والأصول بجامعة الشارقة، سورية.

البلاغة:

الدروع- الأطم، فيه مراعاة النظير، حيث جمع بين النظيرين، وكلاهما يدل على التحصن.

تمت بالخير، ولله الحمد.

****



اللغة:

سامني: سام (ض) سَومًا وسَوامًا: خرج في طلب الشيء. سامت الماشية: رتع الماشية في الكلأ، ورعيه.

سام الإنسانَ: أذله، وسقاه كأس الذل. قَالَ تَعَالَى:﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ (البقرة: ٤٩)

سام المبيع: ساومه وتحدث عن القيمة. أسام الدابة: أرتعه. قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ (النحل: ١٠)

سوَّمَ فلانا: تركه على رضاه. سوَّمَ الشيءَ: علّمَه، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ (آل عمران: ١٤)

السام: (١) الموت. (٢) الذهب (٣) نوع من الشجرة، واحد: سامة.

وفي الحديث المشهور: الحبة السوداء دواء لكل داء إلا السام.(صحيح البخاري، رقم: ٥٦٨٨)

وورد أن اليهود يقولون: السام عليكم، فقولوا: وعليك. (صحيح البخاري، رقم: ٢١٦٤)

السِّيماء، السِّيمياء: العلامة. قَالَ تَعَالَى:﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ (الفتح: ٢٩)

الدهر: الزمن، والمراد: حوادث الدهر. سبق تحقيقه في البيت رقم:٥٥.

ضيما: ضام (ض) ضيما، استضام: (١) ظلم. (٢) أذله. الضيم: الظلم والاعتداء. ضيمُ الجبل: طرفه. ورد في حديث رؤية الباري تعالى الشهير: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته».(صحيح البخاري، رقم:٥٥٤)

تُضامُّون: بتشديد الميم، والمعنى: لا يضر بعضهم بعضا في رؤية القمر (لا يزدحمون).

وبتخفيفها: معناه: لا يعتدي بعضهم على بعض في رؤية القمر. كذلك يرون الله تعالى ولا يزدحمون.

تضامُّون: لا يشعرون بالتعب والمشقة في رؤية القمر، كذلك رؤية الباري تعالى.

استَجرَتُ: استجار فلانا: طلب العوذ. استجار به: استعاذ به.

الجِوار: (١) الجوار، (٢) النصرة. (٣) العهد والأمان.

أجاره: أعاذه، ونصره. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٦)

،وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ (المؤمنون: ٨٨)

الجَارُ: له عدد من المعاني: (١) الناصر. (٢) الحليف. (٣) المعاذ. وسمي الجار به لأن الجيران ينفع بعضهم بعضا، ويجيره عند الحاجة. ج: أجوار، وجِيران، وجيرَة.

يقول أهل العلم: ليس شيء من الكلمات يجمع على هذه الأوزان الثلاثة إلا الجار والقاع.

نِلتُ: نال (ف) الشيءَ نيلا: حصّله، وأدركه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢)

نال من العدو: انتقم منه. نال من فلان: ذمه، وشوَّه سمعته. نال فلانا شيئا: أعطاه إياه. أنال فلانا: أمر أحدا أن يعطي.

الإعراب:

ما سامني الدهر ضيما:

سام: فعل. الدهر: فاعل. سامني: ياء المتكلم مفعول أول. ضيما: مفعول ثانٍ.

ضيما: (١) سامني: فعل. ضيما: مفعول مطلق من غير لفظه. (٢) في بعض النسخ: ما ضامني. فهو مفعول مطلق من لفظه.

واستجرت به:

(١) عطف على (ما سامني). (٢) حال من ياء (سامني).

إيراد: يجب تقدم (قد) على الحال إذا كانت جملة فعلها ماضٍ، وليس هنا كذلك؟

الجواب: تقدر (قد) بكثرة، نحو قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ (النساء: ٩٠) أي: قد.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ (الزمر: ٧٣)، أي: وقد فتحت.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ (البقرة: ٨٩)، أي: وقد كانوا من قبل.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ (النساء: ٢٠)، أي: قد آتيتم.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ﴾ (البقرة: ٢٦٦)، أي وقد أصابه الكبر.

وفي الحديث: «أصبحنا وأصبح الملك لله». (صحيح مسلم، رقم:٢٧٢٣)، أي: قد أصبح.

ونِلت:

(١) الواو للتأكيد، نحو قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ﴾ (الحجر: ٤) (٢) حال من ضمير (استجرت).

منه:

(١) متعلق بــ(جوارا)، أي: جوارا (آتيا) منه. (٢) متعلق بــ(نِلتُ)، أي: نلت منه جوارا.

لم يضم:

(١) صفة (جوار)، أي جوارا لا يظلم. (٢) حال من (جوارا). (٣) هو (صاحب) الجوار: مبتدأ. لم يُضَم: خبر. تقديره: نلت جوارا صاحبه لم يُضَم. والمبتدأ والخبر صفة لــ(جوارا). (٤) جوارا: موصوف. آتيا منه: صفة أولى. لم يضم: صفة ثانية.

الشرح:

ذكر الناظم أن الله تعالى حفظ نبيه برحمته. ويذكر في هذا البيت نال الناس العافية بفضل النبي صلى الله عليه وسلم ووسيلته، أو اتباعه أو مدحه.

معنى البيت:

استجرت به: (١) استجرت الله تعالى بوسيلة النبي صلى الله عليه وسلم. (٢) به: أي: بحبي إياه. (٣) به: بسبب مدحي إياه.

والحاصل لم أصَب بتعب أو مرض ودعوت الله تعالى بوسيلة حبي النبي صلى الله

عليه وسلم أو اتباعه أو مدحه واستعذت به، فرزقني الله تعالى العافية.

معنى الاستجارة به صلى الله عليه وسلم:

إيراد: الظاهر من قوله: استجرت به، معناه: طلبت العوذ أو الحفظ من النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذا معناه في اللغة. فإذا كان هذا هو معناه فهذا البيت ينافي أسس التوحيد. فقد ورد القرآن الكريم والسنة النبوية بالأمر بالاستعاذة بالله تعالى وحده.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (الأعراف: ٥٦)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ (الأعراف: ٢٠٠)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ (الجن: ٢٢)

و ورد في أدعية الصباح والمساء كثيرا: أعوذ بالله/ أعوذ بوجه الله.

ورد في الحديث الأمر بالاستعاذة بالله تعالى حين ينْزل المرء منْزلا.

وفي الحديث: «من نزل منْزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. لم يضره شيء حتى يرتحل من منْزله ذلك».(صحيح مسلم، رقم:٢٧٠٨)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوِّذ الحسن والحسين ويقول: إن أباكم كان يعوِّذ بهما إسماعيل وإسحاق: «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة. ومن كل عين لامة».(صحيح البخاري، رقم:٣٣٧١)

والاستعاذة بغير الله تعالى من عمل المشركين. وجاء النكير عليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ (الجن: ٦)

ويرجع عدم الجواز إلى أن الاستعاذة معناه: أن المستعاذ به يقدر على دفع الضر وجلب النفع. فكأنه عبادة من العبادات، ولهذا اختص بالله تعالى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (يونس: ١٠٦)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ (يونس: ١٠٧)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ (النمل: ٦٢)

سبق أن قال الناظم في البيت السابق: وقاية الله. أي حفظ الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم. فكيف قال: استجرت به، وما معناه؟

الجواب: المراد بقوله: (به): (١) بوسيلته. (٢) باتباع دينه وشريعته. (٣) بحبي إياه. (٤) بمدحي إياه.

معنى البيت: ما أذاقني الدهر ظلما إلا نلت جِوارا حين ما استجرتُ الله تعالى بوسيلة النبي صلى الله عليه وسلم أو باتباعه ومدحه. فالمعنى: النصرة والاستعاذة فوق الأسباب لا يسأل إلا من الله تعالى، إلا أنه يتوسل فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم.

إيراد: إذا كان المراد هذا، فلمَ لم يقل الناظم: بحبه أو بمدحه ؟

الجواب: لا يسع استيعاب المعنى في البيت، وقد يتطلب تسوية الوزن بعد نظر عميق متواصل، فيتطرق إليه توجيهات كثيرة.

سؤال: فما الجواب عن الحديث الذي ورد فيه الاستعاذة بدانيال. قال ابن السني: أخبرني إسماعيل بن إبراهيم الحلواني، حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا عبد العزيز بن عمران، عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم قال: «إذا كنت بواد تخاف فيه السباع، فقل: أعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد».(عمل اليوم والليلة، رقم:٣٤٧)

الجواب: هذا الحديث لا يحتج به؛ وفي إسناده: إبراهيم بن المنذر، وعبد العزيز بن عمران، وابن أبي حبيبة، و داود بن الحصين متكلم فيهم، وبعضهم منكر الحديث. قال البخاري: إبراهيم بن المنذر وعبد العزيز بن عمران متروكان. قال الشيخ عبد الرحمن كوثر في تعليقه: «لم أجده عند غير المصنف، وفيه عبد العزيز بن عمران، وهو متروك، وابن أبي حبيبة، وهو ضعيف».

(٤) به: أي: بمدحي له: وهذا المعنى أنسب بحال الناظم رحمه الله؛ لأنه نسج هذه القصيدة استشفاء من الفالج. (والتفصيل في المقدمة).

علاوة على ذلك، يجب أن نضع في البال أنه ليس الناظم هو المتفرد بمثل هذه الكلمات، بل تشتمل المدائح النبوية للسلف الصالح على مثلها؛ بل على أصرح منها وأكثر في هذا المعنى.

صحة النسبة إلى غير الله تعالى يوجب أن يكون صاحبها مسلما صحيح العقيدة:

سامني الدهر: نسب الفعل إلى غير ما هو له، وهو مجاز عقلي، فكل شيء من الله تعالى، إلا أنه يحصل في الزمن، فينسب إليه، وهذا التعبير عام وشائع في كلام العرب، فينسبون الفعل إلى غير فاعله –إلى غير ما هو له– إذا وجدت قرينة من القرائن. منها قول الشاعر:

أشَابَ الصَّغِيرَ وأفْنَى الْكَبِيــ ۞ ــرَ كَرُّ الغداةِ وَ مَرُّ العَشِيّ

فنسب الفعل إلى الزمان.

إيراد: هذا يفتح الباب على مصراعيه لأهل الشرك والبدع، حيث ينسبون الحوادث والنعم إلى غير الله تعالى بحجة أنه مجاز عقلي؟

الجواب عنه: إن كون القائل مسلما صحيح العقيدة قرينة على أنه يؤمن بأن الله تعالى فاعل مختار، و النسبة إلى غيره على سبيل المجاز العقلي. فإن نسب الكافر أو فاسد العقيدة الأشياء إلى غير الله تعالى، لم يحمل على ذلك. ومما يجب ملاحظته أن المرء إذا نسب إلى غير الله تعالى ما لا دخل لأحد فيه، مثل منح الأولاد، والوفاء بالنذر، والشفاء، ونحو ذلك، فإنه شرك حتما.

جوارًا منه:

هذا الجوار يعم الدنيا والآخرة، ففي الدنيا نيل الشفاء بالدعاء بوسيلة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي الآخرة شفاعته صلى الله عليه وسلم.

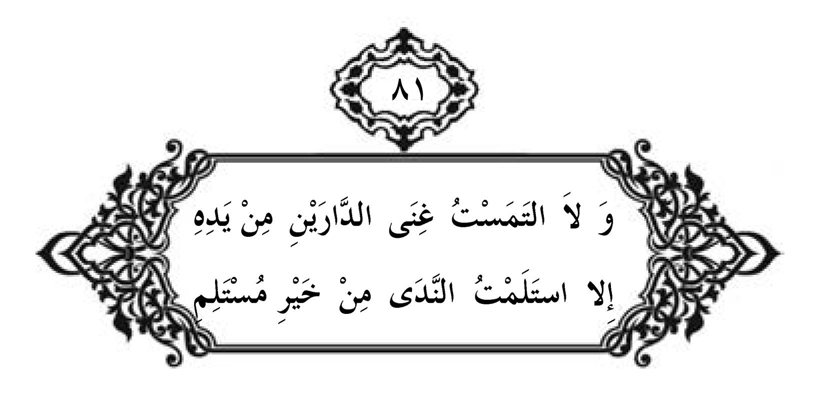
لم يضم: الضمير يعود على (الجوار). والمراد صاحب الجوار، أي: من نال رحمة الله تعالى ببركته صلى الله عليه وسلم أمن فعلَ حوادث الدهر فيه، وصان نفسه.

اختلاف النسخ:

«ما ضامني الدهر» بدلا من «ما سامني الدهر». ضامني: أي ظلمني، كلاهما بمعنى.

(يوما) بدلا من (ضيما). أي نزل بي المصيبة، وتوسلت بالنبي صلى الله عليه وسلم.

انتهى، ولله الحمد.



اللغة:

التمست: أي : لمس (ض،ن) لمسا: مسه.

اللمس: قوة من الحواس يطلق عليها «اللامسة». وأقسام الحاسة: ١- السامعة. ٢- الباصرة. ٣- الذائقة. ٤- الشامة. ٥- اللامسة.

غنى: سبق تحقيقه في البيت رقم:٨٠.

الدارين: دار(ن) دورا ودورانا: طاف. دارت المسالة: جرى النقاش حولها.

دارت الدوائر: نزلت المصائب. أدار الشيء: أطافه. أدار العمل: نظّمه.

الدار: (١) فناء البيت، البيت، البيت المسكون. (٢) المدينة. ج: أدور، وديار، ودُور، و دِيارة، ج: ديارات.

الدارين: الدنيا والآخرة.

يده: يدي (ض) يَديا: جرح اليد. يدا فلانا/ إليه/ عليه يدا: أحسن إليه.

يدِيَ (س) يَيدي يَدًى: أحسن. يَدِيَ من يده: جفت يده.

أيدَى فلانا وإليه: أحسن.

اليد: لها عدة معانٍ، منها: ١- الجارحة، ج: أيدٍ. (من الكتف إلى أطراف الأنامل). ٢- السرية. ٣- المن والإحسان. ج: أيادٍ. ٤- السلطة. ٥- الطاقة. ٦- المعين، والجماعة. ٧- الطاعة والانقياد أو الذلة. ٨- الجاه/ الأثر. ٩- اليد المقدمة من الحيوان. ١٠- الندامة.

معنى يد الله: قدرته:

فعلم أن قوله تَعَالَىٰ:﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ (الفتح: ١٠) معناه: نصرة الله/ قدرة الله

وهو معنى صحيح يوافق اللغة. فلا يصح حمله على التأويل؛ لأن اليد بمعنى القدرة توجد في كل اللغات. وليس تأويلا. وأما القول بأن قول الله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ (المائدة: ٦٤) يدل على أن له يدين، فقد قال في آية أخرى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: ٤٧) وهذا يدل على أنه له أيادي كثيرة. فلا يصح حملة (يدان) على الاثنين، بل ثمة حكم مختلفة في إفرادها في مكان وتثنيتها وجمعها في مكان آخر.

استلمْتُ: استلم: (١) لمس. (٢)قبَّله. (٣) تلقاه، قبله، حصله.

استلام: ماخوذ من السلمة. والسلمة: الحجر.

استلام الحجر: تقبيله، أو لمسه. ثم أطلق على مطلق اللمس، ثم توسع استعماله في معنى الحصول والتلقي.

معنى الاستلام حقيقة، ومعانيه المختلفة، وتحقيقه اللغوي فيها بعض الاختلاف والتفصيل أيضا. يرجع له: تاج العروس، ولسان العرب، والمخصص لابن سيده وغيرها من المؤلفات.

سلمة: الحجر، ج: سلام. كان اليهود يقولون حين السلام على المسلمين: السام عليكم. أي الموت، أو السِّلام عليكم، أي الحجارة. فأمر المسلمون أن يردوا عليهم بقولهم: وعليكم.

الندى: ندِي (س) ندًى ونداوة: ابتلَّ. فهو ندٍ، وهي ندية.

ندى فلان: جاد. وهو المراد.

ندا القوم (ن) ندوا: اجتمعوا في المجلس، دخلوا المنتدى. ومنه النادي.

نادى الشيء مناداة ونِداء: ظهر، وطلع، نادى فلانا: صوَّته.

النَّدى (١) المطر. (٢) الطل. (٣) البلل. (٤) الجود والسخاء. ج: أنداء وأندية. والمراد هنا المعنى الأخير.

النادي: (١) الجامع. (٢) المجلس، يجتمع فيه الناس للتشاور أو لأغراض أخرى. ج: أندية ونوادٍ.

نادِي الرجل: أهله، وعائلته. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ﴾ (العلق: ١٧)

خير مستلم: اسم مفعول من الاستلام، والمعنى: ١- خير الأيدي التي تُستلم. ٢-

خير الأيدي التي تُلمس.

الإعراب:

التمست: عطف على (ما سامني). غنى الدارين: مفعول (التمست).

من يده: متعلق بـــ(التمست). الندى: مفعول (استلمت).

من خير مستلم: متعلق بـــ(التمست). من خير مستلم: أي خير مستلم منه.

الشرح:

قال في البيت السابق: نلت العافية في الدنيا ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وواسطته، ثم ذكر هنا نيل الفلاح في الدنيا والآخرة بوسيلته صلى الله عليه وسلم.

التمستُ: أي: طلبت غِنى الدارين.

(١) تعريف الالتماس عند بعض النحاة: طلب المساوي من المساوي. ولا يليق هذا المعنى في الشعر.

(٢) قال بعض النحاة: هو طلب يصحبه الخضوعُ. (السؤال والطلب بأدب) يصح حمل الشعر على هذا المعنى. وهذا المعنى لا يخالف الرقم(١) أيضا، إذ يلاحظ الأدب في الطلب من المساوي أيضا.

(٣) قد يطلق على مطلق الطلب، بغض النظر أن يكون مع أدب أو بغيره. وفي الحديث: «التمس ولو خاتما من حديد».(صحيح البخاري، رقم:٥١٢١). ويصح حمل الشعر على هذا المعنى.

غنى الدارين:

غنى الدنيا: السعة في الرزق، وصحة البدن، والأمن من المصائب والبليات.

غنى الآخرة: الفوز بالجنة، والنجاة من النار، وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

معنى بركاته صلى الله عليه وسلم في الآخرة:

سؤال: نشاهد حصول البركات والنعم الدنيوية ببركته صلى الله عليه وسلم، مثل نيل الإمام البوصيري الشفاء، وغير ذلك، فيصح القول بأنه حصلت لي العافية ببركته صلى الله عليه وسلم، ولكن كيف يصح ذلك في الآخرة، في حين لم يقع و لم يشاهد؟

الجواب من وجهين:

(١) من المسلم به منْزلة النبي صلى الله عليه وسلم السامية عند الله تعالى، وثبتت شفاعته بنصوص متواترة كثيرة، ونحن نحب النبي صلى الله عليه وسلم، فالمرجو حصول الخير والبركة بواسطته إن شاء الله تعالى في الآخرة. وسيأتي بيان هذا المعنى في الفصلين الأخيرين، بإذن الله تعالى.

ومنه قول الناظم رحمه الله تعالى:

ولَن يَضيقَ رسولَ الله جاهُك بِي ۞ إذِ الكريم تَحَلى بِاسمِ مُنتَقِمِ

ومنه:

يَا رَبِّ فَاجْعَلْ رَجَائي غَيْرَ مُنْعَكِسِ ۞ لَدَيكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ

(٢) طاعة الله تعالى واتباع السنة النبوية مما يحقق آمال الآخرة.

من يده:

(١) من ذاته الشريفة. فأطلق الجزء وأريد به الكل.

(٢) من جانبه صلى الله عليه وسلم.

(٣) ببركته ووسيلته. واعلم أن بعض الناس يقولون: لا يصح نسبة البركة إلى غير الله تعالى، ولكن ورد في الحديث: «ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر».(صحيح البخاري، رقم:٣٣٤) فهذا حديث البخاري ينص على نسبة البركة إلى آل أبي بكر.

(٤) من يده: أي من جوده: أطلق اليد وأراد بها الجود الصادر منها، بعلاقة السببية. وهذا مثل قول أبي الطيب:

له أيادٍ إليَّ سابِقَةٌ ۞ أعَدُّ منها و لا أُعدِّدها

أياد: نِعَم.

أمثلة على علاقة السببية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ (النساء: ١٠)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ (الجاثية: ٥)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (الإسراء: ١٢)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ﴾ (الشعراء: ٨٤)

خير مستلم: وصف صلى الله عليه وسلم بأنه لايرد سائلا، فكان خير مستلم. وسبق بيان جوده صلى الله عليه وسلم فيما مضى.

مستلم: يصح كسر اللام وفتحها.

إيراد: الظاهر أن معنى هذا البيت لا ينسجم مع الشريعة الإسلامية، وكيف يصح سؤال النبي صلى الله عليه وسلم وليس بين أظهرنا؟ ومن المسلم به أن الاستعانة بغير الله تعالى فيما يفوق الأسباب لا تجوز. وورد المنع من الاستعانة بغير الله تعالى غيبا في أماكن كثيرة من القرآن الكريم، وسبق بيانه في البيت رقم: ٣٩، ٤٦.

الجواب: هذه قصيدة الشفاء، ولذا سميت بـــ «البرأة»، فقد رأى البوصيري ببركة هذه القصيدة النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، ومسح النبي صلى الله عليه وسلم يده على كافة جسده، فنال الشفاء.

ومصداق البيت هذه القصة، وهذا المعنى لا غبار عليه؛ فإن العلامة البوصيري أصيب بالمرض حتى شُلَّ نصف جسده، ثم وفقه الله تعالى لنسج هذه القصيدة، ونال الشفاء.

ولعله أروع قصة في حياته، ودعا الله تعالى بوسيلة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المرض المزمن. نعم، ظاهر اللفظ في هذا البيت قد يثير الإشكال كما يحصل ذلك في أماكن كثيرة.

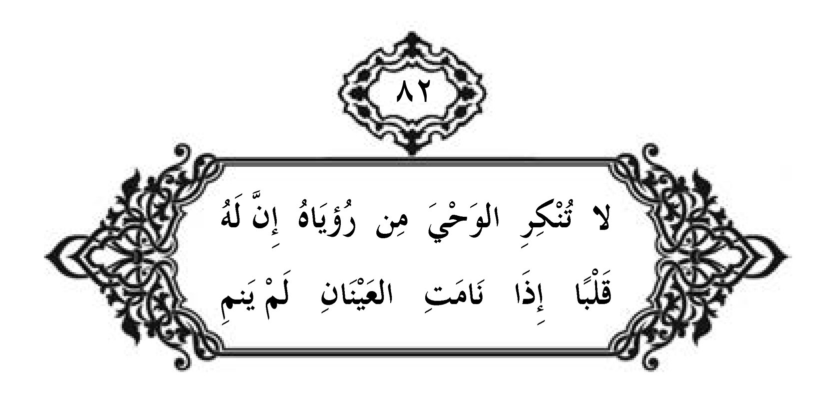
البلاغة:

١- غنى الدارين: مجاز مرسل، بعلاقة السببية.

٢- في هذا البيت والذي سبقه براعة الطلب، أي طلب الحاجة من غير تصريح، والمدح بكلمات تشعر بما يكمن في النفس من الحاجات. (كتاب الكليات، ص ٣٦٤)

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

تنكر: نكِرَ (س) الشيء نَكَرا ونُكْرا، ونكارة: جهله/ استغربه. نَكُرَ نكارة: صعب.

أنكر: (١) جهله. (٢) تجاهله. وسبق تحقيقه في البيت رقم: ٦.

الوحي: إلقاء الكلام إلى أحد، والإشارة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، والكتابة، والمكتوب، وغيرها؛ يطلق على هذه المعاني كلها. وسبق تحقيقه في البيت رقم: ٧٠.

رؤياه: رأى يرى/ يرئي رأيا ورُؤية: (١) النظر بالعين، (٢) الاعتقاد والظن.

رأى يرى رؤيا: حلَم. الرؤيا: الحُلم. ج: رؤىً.

قلبا: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٣.

نامت: نام ينوم (ن) نَوما ونِياما، ونام ينام (ف) على الوجهين.

لم يُنم مثل لم يقُل. و لم ينَم مثل : لم يَخَفْ.

العينان: سبق تحقيقه.

الإعراب:

لا تنكر: فعل وفاعل. الوحي: مفعول. من رؤياه: الظرف متعلق بـــ (لا تنكر).

رؤياه:

(١) حال من الوحي. والتقدير: لا تنكر الوحي حال كونه من رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) صفة للوحي. والتقدير: لا تنكر الوحي الكائن في رؤياه/ الوحي الحاصل في رؤياه صلى الله عليه وسلم.

وعلى هذا التقدير (من) بمعنى (في)، نحو قوله تَعَالَىٰ:﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ (الجمعة: ٩)، وقوله تَعَالَىٰ:﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (فاطر: ٤٠)، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ ﴾ (النور: ٥٨)

وفي الحديث: «كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه».(صحيح البخاري، رقم:٤٨٣٧)

إن له: أي لأن له، وله: أي للنبي صلى الله عليه وسلم.

إن له قلبا...: إن: حرف مشبه بالفعل، له: خبر مقدم. قلبا: موصوف. إذا نامت: شرط وفعل شرط. لم ينم: جزاء. والجملة من الشرط والجزاء صفة لـــ(قلبا). والموصوف مع صفته اسم (إن)، وهي مع اسمها وخبرها جملة اسمية.

الشرح:

كان قلبه يظل يقظان:

يقول الناظم: إن الذي يحمل هذه الصفات، على صلة دائمة مع الله تعالى، لأنه قلبه لا يغفل حال النوم، بل يظل يقظان، ولذا كان منامه وحيا.

من رؤياه: قصد به الاحتراز عن الوحي حال اليقظة، لأنه متواتر. وهنا ذكر الوحي حال النوم.

قلبا إذا نامت العينان لم ينم: فيه إشارة إلى حديث مشهور:

قال عليه الصلاة والسلام: «إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي».(صحيح البخاري، رقم:١١٤٧)

وفي حديث عطاء مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا».(الطبقات الكبرى لابن سعد ١٧١/١. وذكره السيوطي في الجامع الصغير، ورمز له بالصحة. الجامع الصغير ٣٨٧/١؛ فيض القدير٦٩٨/٢)

وفي حديث المعراج: «وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم». (صحيح البخاري، رقم: ٣٥٧٠)

وفي حديث: عن ربيعة الجرشي قال: «أُتِيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقيل له: لِتَنَم عينُك ولتسمع أذنُك، وليعقل قلبُك. قال: فنامت عيناي، وسمعت أذناي، وعقل قلبي».(سنن الدارمي ١٨/١).

إيراد: فإن قيل: إذا كان قلب النبي صلى الله عليه وسلم يظل يقظان كما تفيد الأحاديث السابقة، فما باله غلبه النوم ليلة التعريس حتى فاتته الصلاة ؟

الجواب: (١) إن رؤية طلوع الشمس تتعلق بالعين، لا بالقلب، فكان قلبه يقظان، ونامت عينه؛ ففاتته الصلاة.

وفيه نظر، وهو أن القلب إذا كان يقظان فهلا انفتحت العين حينا بعد حين، ولم يكن كذلك.

(٢) ربما نُوِّمَ قلبه، لتعرف الأمة أحكام الصلوات إذا فاتت. وهذه القصة مستثناة من عموم الأحوال.

(٣) لم يكن نومه عميقًا جدًّا، ولا ضعيفًا مثل النعاس، بل كان بينهما. فالنوم العميق لا يعلم قلب الإنسان شيئا فيه، مع أن الوحي كان ينْزل عليه وهو نائم، فعُلِمَ أن النوم لم يكن عميقا. والحاصل أن النوم كان فوق النعاس، فاستراح. (للتفاصيل يرجع: فتح الباري١/٤٥٠؛ شرح النووي على مسلم، باب قضاء الصلاة الفائتة؛ سبل الهدى والرشاد ٤٢٥/١٠؛ حاشية مشكاة لمولانا نصير الدين غورغشتوي).

سؤال: ما الحكمة في تيقظ قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟

الجواب: روي أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي، وصادق تماما. ونزول الوحي يتطلب تيقظ القلب، فعلم أن قلوب الأنبياء تظل يقظة. وكيف يتم حفظ الوحي لو نام القلب.

الصغرى: رؤيا الأنبياء وحي. الكبرى: الوحي يحتاج إلى تيقظ القلب. النتيجة: رؤيا الأنبياء تحتاج إلى تيقظ القلب.

ولذا، رأى إبراهيم عليه السلام في المنام وأقدم على ذبح ابنه.

قال عمرو: سمعت عبيد بن عمير يقول: «إن رؤيا الأنبياء وحي، ثم قرأ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ (الصافات: ١٠٢) (صحيح البخاري، رقم:١٣٨)

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «رؤيا الأنبياء وحي». (المستدرك للحاكم ٨١٠٧/٣٦/١٣ وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي)

أمثلة على صدق رؤيا الأنبياء:

- رؤيا إبراهيم في ذبح إسماعيل عليهما السلام.

- رؤيا يوسف أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر تسجد له.
- رؤيا محمد صلى الله عليه وسلم أنه يطوف في مكة المكرمة، ومعه أصحابه. وقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّ﴾ (الفتح: ٢٧)
- رؤيا صلى الله عليه وسلم أن الوباء خرجت من المدينة، جاء في الحديث: رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس، خرجت من المدينة حتى نزلت بمهيعةَ، فتأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مَهيَعَة. وهي الجحفة. (صحيح البخاري، رقم:٧٠٣٩)
- تأول ذبح البقر بمقتل شهداء أحد، «ورأيت بقرا والله خير، فإذا هم مؤمنون يوم أحد». (صحيح البخاري، رقم:٣٦٢٢)

علاوة على ذلك، قص صلى الله عليه وسلم كثيرا من الرؤيا، وقعت بعينها، وذكر الإمام البخاري في كتاب الرؤيا أمثال هذه الرؤيا، منها: رؤيته أنه يسجد في الطين، وأنه أعطي مفاتيح خزائن الأرض، وأن المجاهدين من أمته يركبون البحر، ورؤيته السيف به فلول في إشارة إلى ما أصيبوا به يوم أحد، وتأوله صلى الله عليه وسلم السوارين بالكذابين، وقوله في تأويل تمر ابن طاب: «إن ديننا طاب»، ونحو ذلك.

تشاور إبراهيم مع ولده بعد رؤياه في المنام:

إيراد: إذا كان رؤيا الأنبياء وحيًا، فلمَ تشاور إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما السلام بعد أن رأى في المنام أنه يذبحه، وكان المطلوب امتثاله على الفور لو كان وحيا؟

الجواب: (١) لم يتشاور معه في الذبح، بل في كيفية الذبح. أي كان إبراهيم يمتثل الأمر الإلهي على كل الأحوال، وبما أن الفريق الآخر في الاختبار كان ولده إسماعيل، فتشاور معه كيف يقوم بذلك.

(٢) تشاور مع ولده اختبارا له فحسب: هل هو فطن ذكي منذ صباه أو لا؟ ومن المعروف جدا أن الأب/ الأستاذ يسأل الأولاد – بعد عزمه على الشيء-: ما رأيك؟ ليعرف طبيعته.

(٣) أطلعه على ذلك بالتشاور، ليستعد للذبح.

إيراد: إذا كان رؤيا الأنبياء حقًّا، ورأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح إسماعيل، فلمَ لم تتحقق هذه الرؤيا؟

الجواب: (١)نسخ الأمر، أي نسخ الأمر بذبح إسماعيل. والناسخ له ذبح الكبش،﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠٧)

(٢) كانت رؤيا تعبير، فظنه إبراهيم رؤيا حقيقة، أي كان الأمر في الأصل بذبح الكبش، وأخطأ إبراهيم فظن الكبش إسماعيل.

وهذا الجواب غير صحيح، لأن القرآن الكريم يقول: صدَّق إبراهيم الرؤيا، وأقدم على وفقه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ (الصافات: ١٠٥) أي عمل وفق الرؤيا التي رآها. ومن العجب كل العجب أن يقول من جاء بعد آلاف السنين: إنه فهم الرؤيا، في حين لم يفهمها إبراهيم عليه السلام وهو صاحب القصة ونبي.

(٣) والجواب الصحيح أن الرؤيا تحققت تماما، وذلك أن إبراهيم رأى أنه يمرُّ السكين على إسماعيل، وهذا لا شك في تحققه. و لم يرَ إسماعيل مذبوحا، حتى يلزم وقوعه.

الوحي من رؤياه صلى الله عليه وسلم:

كانت بداية الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالرؤيا الصالحة. وكانت رؤياه تبلغ من الصحة والصدق أنه لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح». (صحيح البخاري، رقم: ٢٨٩٦)

الفلق: شق الشيء وإخراج شيء آخر منه. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ (الأنعام: ٩٥)

مثل فلق الصبح: أي مثل الصبح الظاهر المنور. ينشق الظلام فيه عن النور.

شبهت رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم بنور الصبح. ووجه الشبه: (١) الظهور. فكانا ظاهرين يقينا. (٢) سرعة الوضوح، أي كانت الرؤيا تتحقق سريعا كما يبرز نور الصبح سريعا.

كما أنه صلى الله عليه وسلم يشبه بالشمس؛ لأن ظلام الكفر تبدد، وانتشر نور الهدى والرشاد في أكناف العالم بمقدمه صلى الله عليه وسلم، كما أن طلوع الشمس يستلزم الصبح وضوءه. وكما أن الشمس يتقدمه الضوء، كذلك كانت الرؤيا واضحة صادقة قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم.

«وعبر به؛ لأن شمس النبوة قد كانت مبادئ أنوارها الرؤيا إلى أن ظهرت أشعتها، وتم نورها». (تحفة الأحوذي۱۰/۷۷)

قال ابن أبي جمرة: «إنما شبهها بفلق الصبح دون غيره لأن شمس النبوة كانت الرؤيا مبادئ أنوارها فمازال ذلك النور يتسع حتى أشرقت الشمس».(فتح الباري ١٢/٣٥٥)

أمور هامة تخص الرؤيا في ضوء الأحاديث النبوية:

قوله: رؤياه: الرؤيا: ما يراه النائم/ اعتقادات يلقيها الله تعالى في قلب النائم.

أقسام الرؤيا:

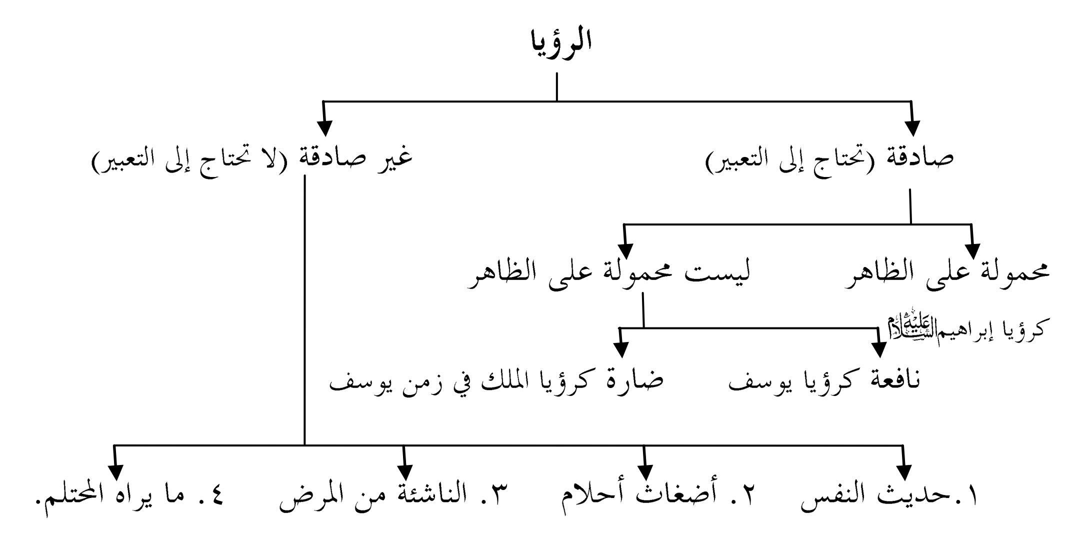
ورد في الحديث النبوي ثلاثة أقسام للرؤيا:

«الرؤيا ثلاث: فبشرى من الله، وحديث النفس، وتخويف من الشيطان».(سنن ابن ماجه، رقم: ٣٩٠٦)

حاصل الأقسام التي ذكرها هذا الحديث:

الرؤيا إما أن يكون إلهام الرحمن، أو يكون إلقاء الشيطان أو يكون إلقاء نفس الإنسان.

تحدث علماء كل فن عن أقسام الرؤيا بأساليب مختلفة، وأيسرها وأقربها إلى الفهم، ما حاصله:



أي: الرؤيا على قسمين:

(١) الصادقة: ما يحتاج إلى التعبير. (٢) غير صادقة: ما لا يحتاج إلى التعبير.

وغير الصادقة على أقسام عدة:

١- حديث النفس: رأى في المنام ما حدثت به نفسه، مثلا: الجائع ينام على التفكير في الطعام، فيرى في المنام الخبز، ولا تأويل له.

٢- أضغاث أحلام: أحلام مختلطة، مثل خروج النجم من الأرض، ثم تكونه شجرة، ثم تكون الغابة منها، ثم تكون الحيوان، وهذه الرؤيا تشير هيئتها التركيبية إلى أنها غير صادقة.

يقول الشاعر الأردي:

نیند بھی فرقت میں کھا بیٹھی ہے آنے کی قسم ❁ خواب میں دیکھنے کا آسرا جاتا رہا

(لقد أقسم النوم أن يأتيني في الفرقة، فقدت الأمل في زيارته في المنام)

أي: لو أتاني النوم لرأيت في الليل ما فكرت فيه نهارا.

٣- ناشئة من المرض: فمن أصيب بالزكام رأى نفسه في الماء، ولا تأويل له، لأنها كيفية من كيفيات الهيئة النفسانية.

٤- ما يراه المحتلم: رؤيا أدت إلى الاحتلام، وهذه لا تأويل لها. ولا يعني أنه لا احتلام من غير رؤيا، بل يقع ذلك، إلا أن صاحب حديث النفس يحتلم مع الرؤيا.

الرؤيا الصادقة (ما له تعبير وتأويل) على قسمين:

١- محتاج إلى التعبير، لكن محمول على الظاهر.

٢- محتاج إلى التعبير، لكن ليس محمولا على الظاهر.

(١) أمثلة على المحمول على الظاهر:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾ (الصافات: ١٠٢)

- رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام أن دار هجرته أرض ذات نخلات. وهذا محمول على الظاهر؛ لأن المدينة كانت تحتوي على ذلك.

عن أبي موسى أُراه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل». (صحيح البخاري، رقم:٣٦٢٢)

- قَالَ تَعَالَى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الفتح: ٢٧) لقد صدقت الرؤيا التي

رآها في خصوص العمرة.

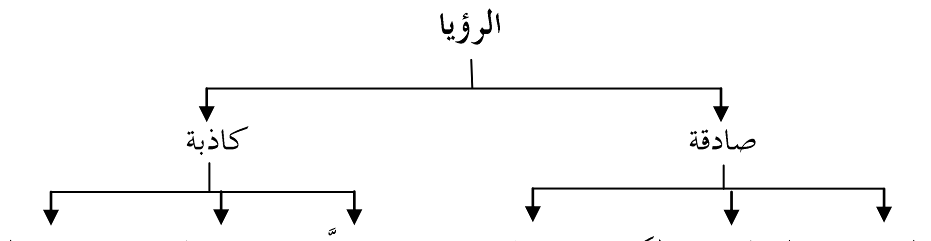
(٢) أمثلة على ما لا يحمل على الظاهر:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ (يوسف: ٤) وهذا يحتاج إلى التعبير حيث أكرمه إخوته ووالداه.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ (يوسف: ٤٣) والمراد به سبعة أعوام النعيم، وسبعة أعوام قحوط المطر.

وللرؤيا الصادقة قسمان آخران:

١- النافعة: مثل رؤيا يوسف عليه السلام حيث نال منْزلة عالية. ورؤيا العمرة، ورؤيته صلى الله عليه وسلم سوارين (كذابين) في يده، ونفخ صلى الله عليه وسلم فيهما فطارتا. (صحيح البخاري، رقم:٧٠٣٧)

٢- الضارة: مثل رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الفلول في سيفه، فيه إشارة إلى ما أصيب به يوم أحد. أو رؤية الملك على عهد يوسف عليه السلام، فيه إشارة إلى الجدب، ونحو ذلك.



والرؤيا -بالنظر إلى هذا التقسيم- على قسمين، ثم كل واحد منهما على ثلاثة أقسام. وهذا التقسيم قريب من التقسيم الذي ذكرناه، إلا أنه لا يستوعب الأقسام كلها.

وقيل: الرؤيا على ثلاثة أقسام في ضوء الحديث الشريف:

١- أهاويل الشيطان. ٢- رؤيا الهمة (ما يهتم به في يقظته يراه في منامه). ٣- جزء من ٤٦ جزءًا من النبوة.

هذا التقسيم ورد في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه. (سنن ابن ماجه، رقم:٣٩٠٧، باب الرؤيا ثلاث)

وقسم الشاه ولي الله رحمه الله الرؤيا على خمسة أقسام. (حجة الله البالغة، ص٨٤٢)

وقسم الحافظ ابن القيم الرؤيا على ثلاثة أقسام على النحو التالي: ١- رؤيا رحمانية. ٢- نفسانية. ٣- شيطانية.(راجع: مدارج السالكين ٦٢/١؛ الروح، ص ٢٩)

ما سبب نسبة بعض الرؤيا إلى الشيطان وهي بأمر الله تعالى ؟

الجواب: روي: «الرؤيا ثلاث: فبشرى من الله، وحديث النفس، وتخويف من الشيطان».(سنن ابن ماجه، رقم:٣٩٠٦، باب الرؤيا ثلاث)

ينسب الشر إلى الشيطان فنُسبَ قسم من أقسام الرؤيا إليه، وإن كانت تكون صادقة. ولا يعني نسبته إلى الشيطان أنه لا تأويل له.

وكذلك ورد في حديث: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان». (صحيح مسلم، رقم:٢٢٦١، كتاب الرؤيا)

وغير خافٍ أن الرؤيا بنوعيها من الله تعالى، وإنما ينسب الرؤيا المكروهة إلى الشيطان؛ لأنه يفرح بها.

ويؤيد ذلك ما ورد أن رجلا قص على النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى أن رأسه ضُرِب وهو يتدهده.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إني رأيت رأسي ضُرِبَ فرأيته يتدهده، فقال رسول صلى الله عليه وسلم: «يعمد الشيطان إلى أحدكم فيتهول له، ثم يغدو يخبر الناس».(سنن ابن ماجه، رقم:٣٩١١).

والحق أن هذه الرؤيا لها عدة تأويلات، إلا أنه لم يكن له تأويل حسن، فلم يصرح به النبي صلى الله عليه وسلم، و لم تكن هذه الرؤيا لا معنى لها، فإن هذه الرؤيا إذا كانت في الجهاد فهي إشارة إلى القتل، وإذا كان في التجارة فهي إشارة إلى ضياع رأس المال. وإن كان الذي رآه عبدا، فهي إشارة إلى عتقه، وقد تشير إلى موت رئيس القوم.

معنى: الرؤيا لأول عابر:

سؤال: ورد في الحديث: «الرؤيا لأول عابر».(سنن ابن ماجه، رقم:٣٩١٥)

وفي حديث: «الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عُبِرَت فقد وقعت».(سنن ابن ماجه، رقم: ٣٩١٤). هل المراد به المعنى الظاهر أي أنه لا يقع إلا ما عبر به المعبر الأول ؟

الجواب: معنى الحديث أن الرؤيا قد يكون لها تعبيران: حسن ومكروه، فما عبر به المعبِّر يقع، ولا يعني ذلك أنه يقع ما يقوله المعبِّر من عند نفسه مع جهله. مثلا: رأي راءٍ في المنام حيات على صدره. فلها تعبيران: (١) تغلب العدو عليه. (٢)كسبه المال الكثير، ويكون على صدره. ولا يعني ذلك أن الحيات تقع عليه من السقف، و إنما المراد أنه يقع ما يعبر به إذا كان يحتمله.

ويؤيد هذا المعنى ما قاله الإمام مالك رحمه الله:

«قال مالك: «...قيل: فهل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه، لقول من قال: إنها على ما أوِّلَت عليه؟ قال: لا، ثم قال: الرؤيا من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة». (التمهيد لابن عبد البر ١/٢٨٨).

تأثير الكلمات في تعبير الرؤيا:

«اعتبروها بأسمائها وكَنُّوها بكُناها».(سنن ابن ماجه، رقم:٣٩١٥)

دل الحديث على أن الكلمات لها تأثير في تعبير الرؤيا، فمن رأى في المنام لوطا عليه السلام، ومعنى (لاط يليط) أصلح ورمَّمَ. فتأويله: إنك تصلح البيت وغيره من الأشياء. أو يرى المريض يحيى عليه السلام فتأويله أنه لا يموت في هذا المرض، وينال الشفاء. وإن رأى أبا هريرة فهو إشارة إلى التواضع، لأن الهرة تتصف بالتواضع. وإن رأى أنه يأكل الحية فمعناه: أنه يغتاب الحي، ونحو ذلك. وإن رأى رجلا اسمه سالم فتأويله بالسلامة، وإن رأى رجلا اسمه (فتح) فتأويله بالنجاح. ومن أمثلته ما ورد في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة بن رافع، فأُتينا برطبٍ ابن طاب، فأولتُ الرفعة لنا في الدنيا، والعاقبةَ في الآخرة، وأن ديننا قد طاب». (صحيح مسلم، رقم:٢٢٧٠)

كان العلامة ابن سيرين على قدرة عظيمة على تأويل الرؤيا، وصدرت منه كرامات في هذا الباب، تذكر الكتب عجائب قصص تأويله وتعبيره للرؤيا.

ويقول بعض الملحدين والمعتزلة: الرؤيا تخيّلات مجردة، لا حقيقة لها. (للاستزادة راجع:

كتاب المواقف، ص ١٤٤، لعضد الدين الإيجي المتوفى عام: ٧٥٦هـــ؛ مقالات الإسلاميين للأشعري، ص٤٣٣؛ روح المعاني ١٠/١٠).

بعض ما ورد في الحديث من الآداب الخاصة بالرؤيا:

- ورد في الحديث: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات». قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة». (صحيح البخاري، رقم:٦٩٩٠)

- وورد: «إن من أفرى الفرى أن يُرِيَ عينيه ما لم ترَ». (صحيح البخاري، رقم:٧٠٤٣)

- وورد: «ولا يُحَدِّثُ بها إلا لَبِيبًا أو حَبِيبًا».(سنن الترمذي، رقم:٢٢٧٨)

- وردت الخصال التالية في الحديث فيمن يرى رؤيا مكروهة أو مخيفة:

١- التعوذ: يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم. ٢- يغير مضجعه. ٣- يتفل ثلاث مرات عن يساره. ٤- لا يقصها على أحد. ٥- يركع ركعتين، أو يسأل الخير ويستعيذ بالله من الشر بدلا من الصلاة. (سنن الترمذي، باب ما جاء في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم؛ سنن ابن ماجه، باب من رأى منكم رؤيا يكرهها).

****



اللغة:

حين: حان (ض) حينا وحينونة: دخل موعده. أحان الشيءُ: مضت مدة طويلة.

حاين: عامله حينا بعد حين.

الحين: (١) الفرصة، الوقت، شطر من الزمان. قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (الصافات: ١٧٤) (٢) الزمان، ج: أحيان، أحايين.

بلوغ: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٥١.

نبوته: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٣٥.

ينكر: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٦.

حال: سبق تحقيقه في البيت رقم: ١٠.

الإعراب:

وذاك: فيه إشارة إلى المعنى السابق. ذاك: أي: كون الرؤيا وحيا.

في بعض النسخ: فذاك. والفاء للتعليل.

المعنى: لا تنكروا وحي المنام، لأن قلبه يظل يقظا دائما، ولأن هذا الوحي نزل في عهد نبوته صلى الله عليه وسلم.

أمثلة على الفاء للتعليل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ (الأنعام: ٣٣)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ (الأعراف: ١٦)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ (إبراهيم: ٣٠)

ذاك :مبتدأ، (واقع) خبر. حين: ظرف زمان، مثل: حين البأس، وحين الوصية.

بلوغ: أصله:بلوغه،حذف المضاف إليه وعوض عنه بالتنوين.

من نبوته: أي: إلى زمان نبوته.

و(مِن) قد تأتي بمعنى (إلى)، نحو: حتى انتهى من عمر بن الخطاب. (أي: إلى عمر). (صحيح البخاري، رقم:٣٦٨٧) وذات مرة وضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الماء في سفر من أسفاره، فبورك فيه حتى توضأ الناس جميعا: «حتى توضؤوا مِن عند آخرهم». (أي: إلى عند آخرهم). (صحيح البخاري، رقم:١٦٩)

فليس: الفاء جزائية. فيه: متعلق بـــ(ينكر).

ليس (فعل ناقص). ينكر: فعل مبني للمجهول، وخبر، والضمير فيه راجع إلى الحال. وحال: (اسم ليس).

الشرح:

يذكر وجها آخر يدل على أن وحي المنام حق، فيقول: هذه الرؤيا كانت في عهد النبوة؛ فكانت حقا، والذي يرى الرؤيا في مثل هذا العمر يصَدَّق قوله، فقوله مقبول يقينا.

ورد في الحديث أن بداية الوحي كانت بالرؤيا الصالحة. ثم اختلا بنفسه في غار حراء.

«أول ما بُدِئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في المنام...، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، وكان يخلو في غار حراء، فيتحنث فيه –وهو التعبد– الليالي ذوات العدد قبل أن ينْزِع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة. فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء».(صحيح البخاري، رقم: ٣)

سؤال: كيف كان يتعبد قبل نزول الوحي؟

الجواب: (١) على ملة إبراهيم عليه السلام. (٢) على طريقة الأنبياء السابقين، كنوح وموسى وعيسى. (٣) التفكر في خلق السماوات والأرض. (٤) كان يتعبد بما يُلهمه الله تعالى. والقول الرابع أحسن.

تاريخ البعثة:

(١) عند الأكثر: ١٧/من رمضان. وقيل: ٢٢/ من رمضان. وقيل: بعد الرابع

وعشرين. (٢) في ربيع الأول.

فإن أخذنا قول من قال: إنه في رمضان، وافق يوليو عام ٦١٠م، وقيل فيه أقوال كثيرة. (للاستزادة منه راجع: عمدة القاري ٥٦٤/١١؛ فتح الباري ١٦٤/٧؛ سبل الهدى والرشاد ٢٢٥/٢)

ما الحكمة في اختيار غار حراء مكان عبادة له؟:

١- كان يعبد فيه جده عبد المطلب. ٢-لم يكن بعيدا جدا حتى يشق عليه الاختلاف إليه، و لم يكن قريبا جدا. ٣- كان يرى منه بيتُ الله تعالى يومئذ.

نكتة هامة:

روِي: «الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة». (صحيح البخاري، رقم:٦٩٨٣)؛ لأن الرؤيا الصالحة استمرت مدة ستة أشهر، وزمن الوحي ٢٣ عاما، فـــ٢٣x٢=٤٦. فالجزء الواحد من (٤٦) هو ستة أشهر.

حالُ محتلم: بكسر اللام، الرجل البالغ. محتلَم: بفتح اللام: ما يرى في النوم.

إيراد على قوله: «محتلم»:

هذه الجملة تتضمن –فيما يبدو– إساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث شبه زمن نبوته بالاحتلام، حيث إن الرجل المحتلم إذا ادعى الاحتلام بعد بلوغه مرحلته، فإنه يصدَّق في قوله، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة بعد بلوغه عمر النبوة، فهو صحيح. وهذا التشبيه على غاية من القبح وإساءة الأدب. ويتقوى هذا الإيراد بأنه ورد في الحديث: «الحُلم من الشيطان». و(الحلم) يطلق على المكروه؟

الجواب:

(١) : ليس إساءة، وهذا الإيراد صادر عن الغفلة فيما يبدو، وليس المراد معناه الحقيقي في البيت.

والحق أن المحتلم على معنيين: ١- الذي يرى في النوم، والذي يرى في النوم الباطلَ. ٢- من بلغ مبلغ الرجال.

وذلك كما في: حلم الصبي: على وجهين: ١-بلوغ الطفل مبلغ الرجال بالاحتلام. ٢- بلوغ الصبي مطلقا.

وقس عليه المحتلم، فإن معناه لغة: الذي يرى في النوم. ومعناه عرفا: الذي بلغ مبلغ الرجال. وهو المراد في البيت.

وكثيرا ما يترك المعنى اللغوي. فورد: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم».(صحيح البخاري، رقم:٨٧٩) والمراد به من بلغ مبلغ الرجال، لا أن الغسل لا يجب إلا على من ابتلي بالاحتلام.

وسبق بحث المعنى اللغوي وأمثلته في البيت رقم ٥٠: «قوم نيام تسلوا عنه بالحلم».

(٢): إن حملناه على المعنى اللغوي، فهو محمول على الرؤيا مطلقا، ولا يتعلق بـــ(بلغ الصبي).

حال محتلم: حال من يرى في المنام شيئا: بمعنى مطلق الرؤية في المنام. لا المنام الذي فيه الاحتلام. وحينئذ معناه: ليس ينكر فيه: أي: في حين النبوة حال من يرى في المنام شيئا. أي لا ينكر من يرى نور الوحي وغيره في المنام، بل يصدق.

(٣) محتلم: إذا حملنا على البلوغ مبلغ الرجال، فالمعنى حينئذ: كما أن العاقل البالغ تقبل شهادتُه، كذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ النبوة، فلأن يقبل قوله أولى.

(٤) قال بعض الشراح: إن حملنا الحلم على المعنى المكروه،كما يدل عليه قوله: «الرؤيا من الله، والحُلم من الشيطان»، كان المعنى: نزول الوحي في المنام كان في بدء نبوته صلى الله عليه وسلم. وليس من كلام من تفعل فيه الوساوس الشيطانية فعلها، بل هو كلام النبي المطهر. فلا يسع إنكار الوحي في المنام. وأما لو ادعى من عامة الناس أحد أنه تلقى من الله تعالى رسالة كذا وكذا في المنام لساغ إنكاره ورفضه، وليس كذلك ما نحن فيه.

وهذا التأويل غير معقول، قد يتكلف له بأن يقال: إذا كان قول الرائي رؤيا مكروهة مقبولا فكيف يرد قول أصدق البشر فيما يخص نزول الوحي.

والحاصل أن الناظم ادعى دعوى، وقال: لا تنكر الوحي من رؤياه. ثم جاء بدليله الإني، فقال: «إن له قلبا إذا نامت...»، وذكر في هذا البيت الدليل اللمي: «وذاك حين بلوغ من نبوته». وهذه الأدلة تؤيد ما سبق من المعنى.

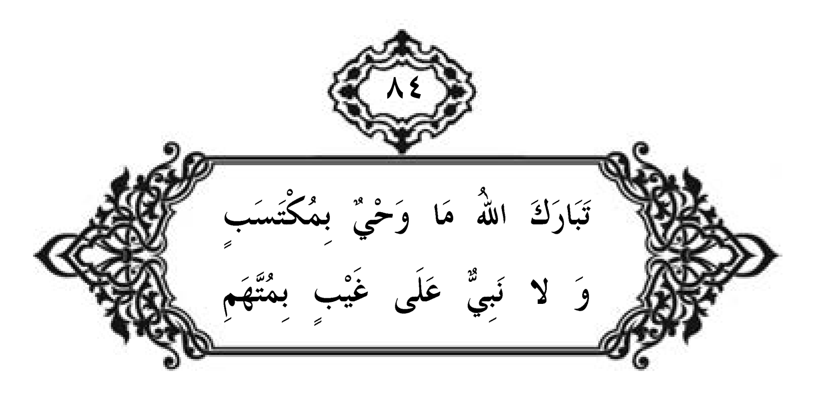
البرهان اللمي:

البرهان اللمي: هو الاستدلال بالعلة على المعلول، نحو قولنا: زيد فاسد المعدة، وكل من فسدت معدته مريض. فالنتيجة: زيد مريض. وأما البرهان الإني: فهو الاستدلال على العلة بالمعلول. مثل قولنا: زيد مخلوق، وكل مخلوق لا بد له من خالق، فالنتيجة: لزيد خالقٌ، وهو الله تعالى. (من كتب المنطق وغياث اللغات، ماده: برهان، بتبديل المثالين)

(٥) وذكر الشيخ مختار أحمد الإصلاحي رحمه الله له معنى، فقال: لا يصح إنكار الرؤيا الصادقة؛ لأنه في عهد بلوغ النبوة. وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وحياته الطاهرة بدورها شاهدة بأن الوحي ينْزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى، مهما اختلفت صوره وتعددت أنواعه، ولا يسع إنكاره. (سيرة سيد الكونين، ص٢٨٢)

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

تبارك الله:

تحقيق كلمة «البركة»:

البركة: ثبوت الخير الإلهي في شيء. برك الإبل: (ن) بروكا: قعد الجمل.

والجمل إذا أناخ في مكان لا يبرحه كثيرا، بل يثبت فيه طويلا كاللازم، كذلك الشيء إذا كان فيه خير متواصل يطلق عليه البركة، كالترعة يمكث فيه الماء دائما. ويطلق البركة على النمو والزيادة أيضا.

والبركة على معنيين في اللغة:

١- الثبوت والدوام. برك: ثبت الشيء. (مقاييس اللغة)

«اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد» قال فيه صاحب لسان العرب: «أي: أثبت له وأدم ما أعطيته من التشريف والكرامة، وهو »من برك البعير» إذا أناخ في موضع لزمه». (لسان العرب، برك)

البركة: الحوض، لثبوت الماء فيه، ج: بِرك.

٢- النماء والزيادة، قال الخليل: «البركة من النماء والزيادة. والتبريك أن تدعو بالبركة». (مقاييس اللغة)

يقول العلامة الرازي: قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ﴾: والبركة لها تفسيران: أحدهما: البقاء والثبات. والثاني: كثرة الآثار الفاضلة والنتائج الشريفة. وكلا التفسيرين لا يليق إلا بالله سبحانه».(تفسير الرازي ١٤/ ٩٧؛ ومثله ذكر ابن الأثير في غريب الأثر ١/ ١٢٠)

وردت «البركة» وما اشتق منها في ٣٤ موضعا من القرآن الكريم، وعند التأمل يتبين أحد هذين المعنيين، فوصف بيت الله بالمبارك، وهو بمعنى الخير الكثير. وفيه بركات كثيرة. ومنها تضاعف الأعمال وأنواع النعم وغيرها. وكذا وصف القرآن الكريم بـ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ (ص: ٢٩) ،وبـ ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ (الأنبياء: ٥٠). وذلك لأن فيه خيرا كثيرا ونفعًا عظيمًا.

تبارك: دام دواما ثابتا، فلا يقال: يتبارك. وليس لـ (تبارك) مضارع، ولعل ذلك لأنه لما دل على الدوام استغنى عن المضارع.

بارك له/ بارك عليه/ باركه: دعا له بالبركة.

بارك، وتبارك يكادان بمعنى واحد. اللهم إلا أن (بارك) متعدٍ، و(تبارك) قاصر.

ولا يصح إطلاق (مبروك) عند التبريك، بل يقول: مبارك.

ويقال يوم العيد: عيد مبارك. ومعناه: اللهم تقبل الأعمال الصالحة وأعطِه الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

وثبتت كلمات التبريك عند الأفراح، فيقال بعد النكاح: «بارك الله لك، وبارك عليكَ، وجمع بينكما في الخير». (سنن الترمذي، رقم:١٠٩١، وقال الترمذي: حسن صحيح)

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة جرير رضي الله عنه لهدم الكعبة المزعومة، وقامت السرية بمهمتها بنجاح، وورد في صحيح البخاري في ذلك: «فبارك على خيل أحمسَ ورجالها». أي دعا بالبركة لفرسان قبيلة أحمس وراجليها. (صحيح البخاري، رقم:٣٠٧٦)

ثبوت التبريك في يومي العيد:

يقول كثير من العلماء: لا يجوز أن يقول في العيد: عبد مبارك. ويحسن بنا أن نسوق نص أحد علماء «إشاعة التوحيد». و«إشاعة التوحيد» مشهورة في الرد على البدع إلى درجة العنف فيه. يقول الشيخ خان بادشاه –أحد علمائها المحققين– في كتاب «الإرشاد المفيد لعلماء جماعة التوحيد»: يقول التركماني: ورد في هذا الباب–التهنئة– حديث أغفله الإمام البيهقي، وهوحديث محمد بن زياد. يقول: كنت مع أبي أمامة

الباهلي وغيره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا إذا عادوا من الصلاة قال بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنكم. ويقول الإمام أحمد: سنده جيد. وراجع ما رواه الطبراني.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: التهنئة في العيد قول بعضهم لبعض: «تقبل الله منا ومنكم». هذا قد روي عن طائفة من الصحابة أنهم كانوا يفعلونه ورخص فيه الأئمة، كأحمد وغيره.

قال ابن قدامة: ذكر الإمام ابن عقيل أحاديث التهنئة في العيد، ثم ساق حديث محمد بن زياد أنه قال: كنت مع أبي أمامة الباهلي وغيره من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا عادوا من الصلاة قال بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنكم. قال أحمد: إسناده جيد. قال أنس بن مالك: يستحب التهنئة في العيد. ثم ذكر حديث جبير بن نفير. ثم قال: قال الحافظ: إسناده حسن. ذكرت ذلك للإخوة؛ لأنهم يصدرون الفتوى بالبدعة في خصوص التهنئة والمصافحة في العيد.[1] (الإرشاد المفيد لعلماء جماعة التوحيد، ص ١٠٥)

حكينا ترجمة نص الشيخ الأردي بحذافيره دون إدخال أي تعديل فيه.

وعلق الدكتور الشيخ سراج الإسلام -أحد علماء الدين- على هذه المسألة تعليقا طويلا في كتاب: «المجموعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة». وقد تتلمذ على الشيخ عبد السلام رستمي والشيخ غلام الله خان، والقاضي شمس الدين، والسيد محمد حسين نيلوي. وتلقى الإصلاح الباطني من الشيخ السيد عناية الله الغجراتي، نسوق للقارئ خلاصة تحقيقه:

---

(١) وفيما يلي ما أشار إليه الشيخ خان بادشاه في نصه من النصوص والأقوال:

قال التركماني في الجوهر النقي: قلت: وفي هذا الباب حديث جيد أغفله البيهقي، وهو حديث محمد بن زياد...[إلى قوله:] إسناده جيد.(الجوهر النقي بذيل السنن الكبرى للبيهقي ٣١٩/٣-٣٢٠).

فتوى العلامة ابن تيمية: وسئل رحمه الله: هل التهنئة في الأعياد وما يجري على ألسنة الناس: عيد مبارك، وما أشبهه: هل له أصل في الشريعة أم لا؟ فأجاب.... [إلى قوله:] ورخص فيه الأئمة كأحمد وغيره. (مجموع الفتاوى ٢٥٣/٢٤؛ الفتاوى الكبرى ٣٧١/٢).

كلام ابن قدامة: فصل: قال أحمد: ولا بأس أن يقول الرجل للرجل يوم العيد: تقبل الله منا ومنكم. [إلى قوله :] لم يزل يعرف هذا بالمدينة.(المغني ٢٧٤/٤).

كلام الشيخ سيد سابق: (فقه السنة، استحباب التهنئة بالعيد ٣٢٥/١).

قال واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: «لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: تقبل الله منا ومنكم. قال: نعم، تقبل الله منا ومنك».(السنن الكبرى٣/٣١٩) هذا الحديث لا يصح. وأحد رواة هذا الحديث المرفوع –وهو محمد بن إبراهيم بن العلاء الدمشقي– تكلموا فيه كلاما شديدا. وثاني رواته: بقية بن الوليد: ضعيف، ومدلس أيضًا. لا يقبل عنعنته. وهذا الحديث معنعن. وفي الباب أحاديث موقوفة صحيحة. قال محمد بن زياد: «كنت مع أبي أمامة الباهلي وغيره من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فكانوا إذا رجعوا يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنكم». قال أحمد بن حنبل: إسناده جيد. (الجوهر النقي على السنن الكبرى ٣/٣٢٠) قال الإمام أحمد: إسناده جيد. وذكر الحافظ ابن حجر حديث جبير بن نفير نقلا عن المحامليات: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك».(فتح الباري٢/٤٤٦،كتاب العيدين) قال ابن حجر: إسناده حسن. انتهى.

يقول الدكتور: آثار الصحابة رضي الله عنهم الصحيحة تدل على جواز القول بـــ(عيد مبارك). (المجموعة، ص ٥٤٠-٥٤٢)

يطلق لفظ (تبارك) غالبا لله تعالى، ومعناه:

١–الله تعالى كثير الخير والبركة. ٢– للتنْزيه بمعنى سبحان الله. ٣– تعاظم وتقدس.

قصة الصاحب ابن عباد بمناسبة «تبارك»:

يروى أن الصاحب ابن عباد كان يتردد فى معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب فسمع امرأة تسأل أين المتاع ويجيب ابنها الصغير بقوله: جاء الرقيم، أي الكلب، وأخذ المتاع، وتبارك الجبال. فاستفسر منهم، وعرف أن الرقيم هو الكلب، وأن المتاع هو ما يبل بالماء فيمسح به القصاع، وأن تبارك بمعنى صعد وتعالى.(روح البيان ٥/١٦٩)

وهذا خير ما يعرف به المتاع؛ فقد ورد وصف الدنيا بالمتاع، وفيه إشارة إلى أن الدنيا ليس شيء يُعَلقُ به القلب، بل يستفاد منها بقدر الحاجة، فتمتعوا بها، وحذارِ أن تغفلوا في ذلك عن الفرق بين الحلال والحرام.

الرقيم: القلب الأسود على جبهته نقط بيضاء، أو العكس. والرقم: الكتابة بالخط

الأسود على الورق الأبيض. (وهذا أحد معانيه).

تبارك: صعد، (أي صعد الكلب الجبل بالثوب. فحاصل (تبارك) الرقي في الخير/ كان ذا نفع كثير.

واعلم أن هذه القصة منسوبة إلى الأصمعي أيضًا، وهو الأشهر.

بمكتسب: كسب (ض) كَسْبًا: طلب، وحصَّل. أكسبَ: (١) أَعَانَهُ على كَسبه (٢) جعله يكسبه/ أعطاه.

اكتسب: سعى. الاكتساب: (١) التحصيل. (٢) الكسب. (٣) الاجتهد.

الكسب: (١) الدخل. (٢) الربح.

كُسبٌ: عصارة الدهن. والثفل.

الفرق بين الكسب والاكتساب:

ذهب غير واحد من علماء اللغة إلى عدم الفرق بينهما. فهما يتعاقبان. (العلامة الواحدي)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (المدثر: ٣٨)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ (البقرة: ٨١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ (الأحزاب: ٥٨)

وقال ذو الرمة (ت: ١١٧هـــ):

و مُطْعَم الصيدِ هَبَّالٌ لبُغيته ۞ ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب

وذهب كثيرمن أهل العلم منهم العلامة الزمخشري والإمام النحوي سيبويه والعلامة الحلبي إلى الفرق بينهما على النحو التالي:

١- الكسب أعم من الاكتساب، كسب لنفسه ولغيره، واكتسب لنفسه فقط.

٢- الاكتساب: التحصيل بالاجتهاد والمشقة. ومن خصائص الافتعال التكلف للشيء. والكسب أعم، وفي قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦) إشارة إلى أن العمل الصالح مطبوع عليه البشر، فلا كلفة عليه فيه، وأما العمل السيء ففيه كلفة، فعلى المرء أن يجتنبه.

٣- يقول الزمخشري: الكسب في الخير، والاكتساب في الشر؛ لأن نفس الإنسان

يميل إلى الشر، فيسعى له ويجتهد، والعمل الصالح لا يرغب فيه الإنسان كثيرا؛ فلا يبذل له ما يستحق من السعي، فإن هذه الكلمة لا تعني الاجتهاد. (راجع: تفسير الرازي ٧/ ١٣٢؛ لسان العرب: كسب؛ محاسن التأويل للعلامة جمال الدين القاسمي الدمشقي (ت:١٣٣٢هـ)، آخر آية من سورة البقرة)

غيب: غاب (ض) غَيبا غَيبةً وغَيبوبة، وغِيابًا: (١) اختفى. (٢) لم يحضر.

غاب فلانا غيبة: اغتابه. الغيبة: ذكر العيب في حالة الغيب. والنميمة: ذكر الحديث بقصد خبيث.

غايب مغايبة: القول في خصوص أحد وهو غائب. وضده: خاطب.

غيَّبَ: جعله يغيب. اغتاب: ذكر من وَرَائه عيوبه الَّتِي يَسْتُرهَا ويسوؤه ذكرهَا.

الغابة: الفلاة الكثيفة. ج: غاب، وغابات.

الغِياب: (١) أصل الشجرة. (٢) القبر.

الغِياب: عدم الوجود. الغِيابة: العمق/ الغور. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ﴾ (يوسف: ١٠)

الغيب: (١) ما غاب واختفى. مصدر بمعنى اسم الفاعل. (٢) عدم التواجد.

الإعراب:

ما وحي بمكتسب: ما: مشابهة بليس، وحي: اسمها. بمكتسب: جار ومجرور. مجرور لفظا، و منصوب محلا.

لا نبي على غيب: لا: مشبهة بليس، نبي: اسم. بمتهم: خبر. على غيب: متعلق بـــ(متهم).

على غيب: أي: في غيب. والمراد: في الأخبار بالغيب.

و(على) بمعنى (في) نحو قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ (البقرة: ١٠٢)، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ (النور: ٦١)، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ (البقرة: ٢٨٣)

وفي الحديث: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء».(صحيح مسلم، رقم:١٩٥٥)

ورد ما لا يحصى في الأحاديث قوله: «على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم». وهو بمعنى (في عهد).

تبارك الله: جملة فعلية استينافية. ما وحي بمكتسب: جملة اسمية (معطوف عليها)، ولا نبي على غيب بمتهم: معطوفة على (ما وحي).

الشرح:

تبارك الله: تعاظم وتقدس وتَنَزّه عما لا يليق به.

أسباب البركة:

ومنذ عهد قريب ألف الشيخ محمد محمود عبد الجواد كتابا سماه «البركة: أسبابها ومكانها وطرق جلبها». حقق فيه معنى البركة، وذكر بركات القرآن الكريم الدينية والدنيوية، ومظاهر وقصص البركة للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء عليهم السلام، والسلف الصالح، وفصل الكلام على الأمكنة والأشياء والأوقات المباركة، وأسباب جلب البركة وموانع البركة. وفيما يلي قائمة موجزة لأسباب جلب البركة:

١- الصدق في المعاملة. ٢- كثرة الاستغفار. ٣- إكثار حمد الله تعالى وشكره. ٤-التبكير في العمل/ طلب الرزق. ٥- البر والصلة وحسن الخلق. ٦- التزوج ويسر المؤنة. ٧- مراعاة آداب الأكل/ الطعام. ٨- الوفاء في الكيل والميزان.

قلت: ويزاد عليه:

١- التقوى. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الأعراف: ٩٦)

٢- الإخلاص في الأعمال الصالحة، كما هو مشاهد في حياة السلف.

٣- البداية باسم الله تعالى.

٤- طلب البركة من الله تعالى والدعاء به.

وردت الأحاديث بالدعاء في عدد من الأمور:

الدعاء في الطعام: «اللهم بارك لنا فيه».(سنن الترمذي، رقم:٣٤٥٥)

«اللهم بارك لنا في رجب وشعبان».(مسند أحمد، رقم:٢٣٤٦، وإسناده ضعيف، لضعف زائدة بن أبي الرقاد).

«اللهم بارك لنا في مدنا». (صحيح البخاري، رقم:٦٣٧٢)

«اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارها».(صحيح مسلم، رقم:١٣٧٣)

٥- صحبة الأكابر: وردت عدة أحاديث بألفاظ مختلفة تفيد أن البركة في صحبة الأكابر:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البركة مع أكابركم».(صحيح ابن حبان، رقم:٥٦٠؛ المستدرك للحاكم ٦٢/١، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري. ووافقه الذهبي).

وفي حديث آخر: «الخير مع أكابركم». (قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٥/٨: رواه البزار، و في إسناده نعيم بن حماد وثقه جماعة، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح).

ما وحي بمكتسب:

الوحي والنبوة أمر وهبي لا كسبي، أي لا يحصل عليها بالاجتهاد والسعي. وفيه رد على الفلاسفة وأذنابهم، الذين يقولون: إن المرء قد يصل بالمجاهدة والرياضة إلى أن ينْزل عليه الوحي. ودرست كتب الكلام هذه المسألة بمختلف جوانبها. فليراجع ثمة.

وورد في القرآن الكريم إشارة أو تصريحًا بأن الوحي أمر وهبي، قَالَ تَعَالَى:﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ (الجن)، وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (آل عمران: ١٧٩)

لا نبي على غيب بمتهم:

تأييد القرآن الكريم معنى البيت:

لا يسع اتهام النبي بالكذب إذا أخبر عن الغيب، بل لا يسع الشك فيه وسوء الظن به، لأن خبره من الله تعالى، وهو صادق تماما.

والأنبياء عليهم السلام معصومون، فلا يصح نسبة الكذب إليهم. وذكر بعض الشراح في شرح هذا البيت مسألة عصمة الأنبياء عليهم السلام، وسبق أن ذكرنا هذه المسألة، راجع: البيت رقم:٣٢: «إن الضرورة لا تعدو عن العصم». والبيت رقم: «فلا ترم بالمعاصي...». وسبق تحقيق المعصية ومذاهب الناس في عصمة الأنبياء عليهم السلام، وأدلتها، والطعون الواردة في عصمتهم والردود عليها.

معنى البيت، وارتباطه بالسابق:

١-حاصل البيت: إذا كان الوحي من الله تعالى، ولا مدخل للعبد فيه، فينْزل الوحي حال اليقظة وحال النوم؛ لأن الله تعالى فاعل مختار.

٢- وهذا البيت فيه استدلال على المعنى السابق، وذلك أن الوحي لو كان أمرا كسبيا، لساغ القول بأنه لا كسب ولا مجاهدة في حال النوم. فأما إذا كان الوحي بمن الله تعالى وكرمه فحسب، فيستوي فيه حال اليقظة وحال النوم. ولم يخبرنا عن وحي النوم إلا نبي، لا شك في صدقه، فيجب الإذعان له.

٣- فإن قيل: ما للنبي صلى الله عليه وسلم لم ينْزل عليه الوحي حتى بلغ أربعين سنة من عمره؟ ولِمَ لَمْ يُرسَل نبيا قبل ذلك ؟

فالجواب عنه أن النبوة والوحي مجرد تكرم من الله تعالى واصطفاء منه، ولا مدخل للعبد فيه على الإطلاق، ولذا يقول أهل العلم: إن الأنبياء عليهم السلام على ذروة من الأخلاق السامية، والتنْزه عما حولهم من الخبائث إلا أنهم لا يعلمون أنهم سيبعثون أنبياء لاحِقًا، وإنما يفاجؤون من الله تعالى بالرسالة والنبوة.

لا نبي على غيب بمتهم:فيه إشارة إلى قوله تَعَالَىٰ:﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (التكوير:٢٤)

بضنين:-بالضاد المعجمة- وبه نقرأ، فمعناه: ببخيل، أي ليس بخيلا بأخبار الغيب، وتبليغ الدين.

بظنين: بالظاء المعجمة،كما قرأ عدد من الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين وثلاثة من القراء السبعة: الكسائي وابن كثير وأبو عمرو البصري. فمعناه حينئذ: ما هو على الغيب بمتهم.

الضاد تشابه الظاء:

يذكر بعض المفسرين مخرج الضاد في ثنايا هذه الآية، يرجع له: تفسير ابن كثير، وروح المعاني. ويدل كلامهم على أن الضاد تشبه الظاء.

الظِّنَّة: التهمة. ج: ظِنَنٌ.

وعلى كل معنى البيت يوافق الآية الكريمة، وهي دليل عليه.

ويمكن حمل البيت على أن وصف النبي بعالم الغيب اتهام له، وما لا ينبغي.

كلام وجيز على مسألة علم الغيب:

كتب العلماء في هذا الموضوع كثيرا، وخاصة في القرن الماضي ألّف علماؤنا الديوبنديون -رفع الله درجاتهم- كتبًا مفردة في ذلك، ولا يسعنا الخوض في تفاصيله هنا، وإنما نسوق خلاصته بهذه المناسبة:

الغيب: ما غاب عن الحواس وبداهة العقل. ومن الواضح أن ثمة فرقا بين علم الغيب، والإخبار بالغيب. فالإخبار بالغيب من صفات النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ﴾ (هود: ٤٩) ومعنى النبي: من ينبئ عن الغيب. وأما علم الغيب فمختص بالله تعالى.

علم الغيب على نوعين:

١- الشرعي: أحكام الشريعة، وقد أُطلِعَ النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.

٢- التكويني: (حدوث أمر أو عدم حدوثه): وهذا مختص بالله تعالى. نعم أُطلِعَ النبي صلى الله عليه وسلم على بعض المغيبات.

ثم علم الغيب على أربعة أقسام:

١- الذاتي: لا يتعلق بأحد؛ بل له بذاته. وهذا مختص بالله تعالى.

٢- العطائي المستقل:

العطائي: ما أعطاه غيره، وليس له بذاته.

المستقل: وهو أن ينال شيئا، يشتغل بنفسه دون الحاجة إلى غيره، كما أعطى الله تعالى الإنسان السمع والبصر بصورة مستقلة، ثم يشتغل تلقائيا، دون الحاجة إلى الشحن (Charge) في كل وقت.

٣- العطائي غير المستقل لا إلى نهاية: الاطلاع على جميع الغيوب في الدنيا والآخرة من جانب الله تعالى لا إلى نهاية.

العطائي: ما أعطاه الله تعالى. وغير المستقل: ما كان تابعا لحكم الله تعالى. لا إلى نهاية: العلم بأمور الدنيا والآخرة كلها.

وهذه الأقسام الثلاثة المذكورة مختصة بالله تعالى. ويتفق عليه علماء البريلوية وعلماء ديوبند. وإليكم نص فقيه الأمة المفتي محمود رحمه الله تعالى:

«علم الله تعالى غير متناهٍ، وأما علوم غيره فمتناهية وإن كثرت. وهذا ما ذهب إليه علماء ديوبند، وهو الذي قاله رئيس البريلوية الشيخ أحمد رضا خان».(فتاوى محموديه ٤٧٢/١)

٤- القسم الرابع من علم الغيب: عطائي غير مستقل إلى نهاية الدنيا. العطائي: ما أعطاه الله تعالى. غير مستقل: تابع لأمر الله تعالى.

يقول علماء ديوبند لم يُعطَ النبي صلى الله عليه وسلم هذا النوع من علم الغيب.

وتقول البريلوية: قد أعطيَ النبي صلى الله عليه وسلم العلمَ بما كان من بدء الكون إلى نهايته. ورد ذكر هذه العقيدة في عدد من كتبهم ومؤلفاتهم، منها: الدولة المكية بالمادة الغيبية، ص ٥٨؛ خالص الاعتقاد، ص ٣٨؛ مواعظ نعيمية، ص ١٩٢؛ أنباء المصطفى.

والحاصل أن محل الاختلاف بين علماء ديوبند وعلماء البريلوية هو القسم الرابع دون غيره من الأقسام.

ويعبر عنه بعض أهل العلم بأسلوب آخر، فيقولون:

علم الغيب في الأصل على قسمين: ١- ذاتي. ٢- عطائي. ثم كل واحد منهما على قسمين: ١- كلي. ٢- جزئي.

الأدلة:

ورد الكتاب والسنة بأنه عالم الغيب ليس إلا الله تعالى. وفيما يلي بعض الأدلة على سبيل المثال:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ (الأنعام: ٥٠)

وقال الله تعالى: (حكاية عن عيسى عليه السلام): ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ (المائدة:١١٦)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (النمل: ٦٥)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام: ٥٩)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ (الجن: ٢٦)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ (الزخرف: ٨٥)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ (الأعراف: ١٨٧)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾

(الأعراف:١٨٨)

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (هود: ١٢٣)

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (التوبة: ١٠١)

الأحاديث والسيرة النبوية:

يقضي من له مسحة من العلم بالسيرة النبوية أنه صلى الله عليه وسلم لم يعلم العلم الغيب الكلي. وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

١- حديث جبريل: وقع ذلك في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يعرف أنه جبريل، ثم أخبر به فيما بعد. (صحيح البخاري، رقم:٥٠؛ صحيح مسلم، رقم:٨)

٢- فقدت عائشة رضي الله عنها عقدها في غزوة بني المصطلق، وقلقت عليه القافلة كلها، فلوكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب لقال في أول أمره: العقد تحت الجمل. (صحيح البخاري، رقم:٤١٤١)

٣- تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من قذف المنافقين- لخبث طويتهم- عائشة رضي الله عنها، وظل النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك شهرا واحدا. فلو كان عالم الغيب لأخبر بأنه باطل منقوض الأساس.(صحيح البخاري، رقم:٤١٤١)

٤- أرسل سبعين من الصحابة للدعوة والتبليغ بطلب واحد من الناس في قصة بئر معونة، وقتلهم الكفار عن آخرهم، فحزن النبي صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا على ذلك، فكيف أرسلهم إذا كان عالم الغيب؟ ولم يخبرهم عن استشهادهم مسبقا. (صحيح البخاري، رقم: ٤٠٨٨، باب غزوة الرجيع)

٥- وفي حديث الكوثر أن النبي صلى الله عليه وسلم يرى بعض الناس فيقول: هؤلاء أمتي، فيقال له: لا تدري ما أحدثوه من البدع بعدك.(صحيح البخاري، رقم:٦٥٧٦)

٦- أنشدت وليدة: وفينا نبي يعلم ما في غد. فمنعها النبي صلى الله عليه وسلم على الفور، ولم يقل: إنه وليدة صغيرة، خلوها وشأنها، ستدرك فيما بعد. فعلم أنها عقيدة هامة جدا. فنبهها عليها النبي صلى الله عليه وسلم على الفور.(صحيح البخاري، رقم: ٥١٤٧)

٧- توفيت أمة كانت تكنس المسجد النبوي، ولم يعلم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك حتى سأل عنها. ثم سأل الصحابة عن قبرها. (صحيح البخاري، رقم:٤٥٨)

٨- قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسلمين خطيبا فقال: أرى أن نرد عليهم سبيهم ... فقال الناس: طيبنا يا رسول الله لهم، فقال لهم: «إنا لا ندري من أذن منكم فيه ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم»، فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبروه أنهم طيبوا، وأذنوا فأطلق سراحهم». فعلم أنه صلى الله عليه وسلم لم يعلم من أذن ممن لم يأذن وكان في جمع من الصحابة.(صحيح البخاري، رقم: ٢٦٠٧)

٩- وضع ضب على مائدة النبي صلى الله عليه وسلم و لم يعلم ذلك حتى أخبرت أزواجه بذلك، فأمسك يده. (صحيح البخاري، رقم:٥٣٩١)

١٠- ويقول صلى الله عليه وسلم: «إني لأنقلب إلى أهلي، فأجد التمرة ساقطة على فراشي، فأرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة، فألقيها».(صحيح البخاري، رقم:٢٤٣٢)

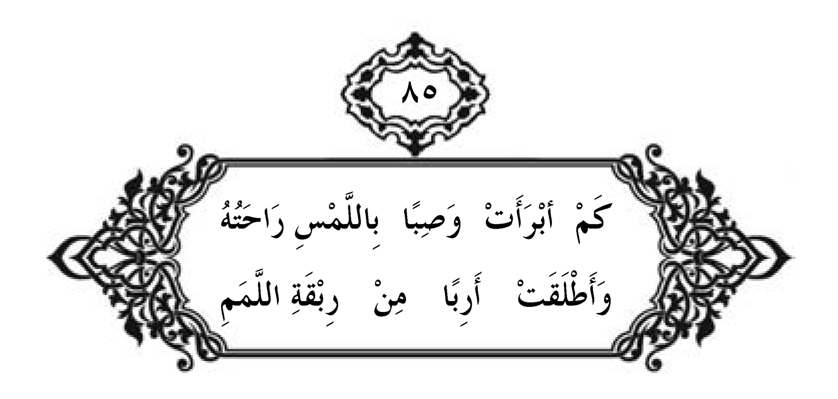
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بعض ما سئل: «لا أدري».

هذه عشرة أمثلة وثمة أحاديث لا تحصى في هذا المعنى.

وللاستزادة من موضوع علم الغيب راجع: الفتاوى الأردية، وإزالة الريب عن عقيدة علم الغيب للشيخ سرفراز خان رحمه الله، استدل الكتاب بنصوص الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين والمتكلمين والصلحاء وغيرهم الواضحة المحكمة القوية على أن علم الغيب مختص بالله تعالى. كما رد الكتاب على الشبهات النقلية والعقلية التي تمسك بها معارضوه ردا مفحما. والكتاب في ٥٣٦ صفحة. ولعله أوسع مصدر مطبوع في هذا الموضوع. وللشيخ كتب أخرى في هذا الموضوع، كما ألف الشيخ منظور النعماني كتابا قيما فيه أيضا.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

أبرأت: برئ: (س) برءا وبُرءا: شفي.

برُأ (ك) بَرءا وبُروءا: (١) برئ، تخلى. (٢) سلم صدره.

أبرأ / بَرَّأَ : (١) شفى الله المريض. (٢) خلصه من مسؤوليته. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾ (الأحزاب: ٦٩)

وصبا: وصَب (ض) وُصوبا، أوصب الشيء: استقر، وثبت.

وصِب (ص) وصْبًا: مرض. وصَّبَ: أمرضه.

أطلقت: طلق (ن) طُلوقا وطلاقا: عتق، انفلت. طلِق: (س) طَلَقا: ابتعد.

طلُق (ك) الوجه طُلوقة وطلاقة: ظهرت آثار الفرح على الوجه.

طلَقَ فلان: هش وبش. أطلق الشيءَ: تركه. أطلق الأسير: سرَّحَ الأسير.

أطلق الكلام: لم يقيده.

أرِبًا: أرَب (ض) أرْبًا: عقد، وأحكم العقدة. أرِبَ (س) انقطع عضو من أعضاء الجسد.

أرِبَ إليه: احتاج. أرُبَ (ك) أرابةً وإربا: فطن ومهر. الأَرْب: البصيرة والدهاء.

الإرب: (١) الحاجة. (٢) الذكاء. (٣) العضو الكامل. ج: آراب، وأرآب.

الأُرب: صغار الماشية.

الأَرَب: الحاجة الشديدة.

الإربة: الشهوة والميل. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ (النور: ٣١)

المأرَب/ المأْرَبة: الحاجة، والمقصد. ج: مآرب. قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ (طه: ١٨)

ربق: (س، ن) رَبقًا: حَبْلٌ فيه عِدَّةُ عُرىً. ربَقَ فلانا: أوقع في أمر.

الرِّبق: (١) حبل فيه عدة عرى. حبل يشد به الحيوان. ج: أرباق، ورِباق.

رِبقة: الحبل القوي، والقيد، و العروة.

اللمَم: لَمَّ (ن) جمعه، وسبق تحقيقه في البيت رقم: ١٤. لُمَّ فلانٌ: أصيب بالجنون.

والبيت يحتمل المعنيين: (١) الإثم. (٢) الجنون.

الإعراب:

كم:خبرية مبتدأ، حذف تمييزها، أي: كم من مرة. أبرأت: فاعله (راحته). وصبا: مفعول. باللمس: متعلق بالفعل خبره. والجملة اسمية.

أطلقت: فاعله ضمير مستتر، أربا: مفعول به، من ربقة: متعلق بالفعل. والجملة معطوفة على (أبرأت)، و هو خبر.

وإن كانت (كم) استفهامية، ومعناها: كم مرةً. والإعراب على حاله، و(كم) في البيت خبرية.

وصِبًا: (١) صفة بمعنى مريضا: مفعول (أبرأت).

(٢) وصَبا: بفتح الصاد، والتقدير: ذا وصَب، أي: ذا مرض.

(٣) وصَبًا: مرضا. والمعنى: كم أزالت راحته من مرض.

الشرح:

بيان معجزات الشفا:

في البيت إشارة إلى معجزات الشفا، وهو أن من جملة بركات النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس نالوا ببركته، الشفاء من الأمراض الظاهرة والباطنة/الروحانية والجسمانية.

وثمة قصص كثيرة من هذا النوع، نسوق بعضها على سبيل المثال:

بعض قصص الشفاء من الأمراض الجسدية ببركة النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) أصيبت عين قتادة بن النعمان يوم أحد بسهم حتى وقعت على وجنته. فدخل

على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت وضعتها على مكانها. فقال: يا رسول الله، لي زوجة تحبني، أخشى أن تقذر مكان عيني، وفي رواية: إن تحتي امرأة شابة. فوضع النبي صلى الله عليه وسلم بيده العين في مكانها.فكانت أحسنها.

جاء «وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته. قال قتادة بن النعمان: فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إي رسول الله، إن تحتي امرأة شابة جميلة أحبها وتحبني، وأنا أخشى أن تقذر مكان عيني. فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها فأبصرت وعادت كما كانت، فلم تضرب عليه ساعة من ليل ولا نهار، وكان يقول بعد أن أسنَّ: هي والله أقوى عيني! وكانت أحسنهما. (مغازي الواقدي١/٢٤٢؛ وينظر: الخصائص الكبرى ١/٣٦٦؛ وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة٣/٢٥١-٣٥٣؛ بخمسة طرق؛ الروض الأنف ٣/٢٧١؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٩/٢٧٩-٢٨٣؛ المعجم الكبير للطبراني ١٩/٨/١٢، وهذا حديث حسن. وله طرق كثيرة ذكرها المقريزي في إمتاع الأسماع ١١/٣٣٠-٣٣٥)

دخل عاصم بن مر بن قتادة على عمر بن عبد العزيز فسأله عمر: من أنت؟ فقال:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه ۞ فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لأول أمرها ۞ فيا حسن ما عين ويا حسن ما ردّ

فمنحه عمر جوائز ورده قائلا:

تلك المكارم لا قعبان من لبَن ۞ شيبا بماء فعادت بعد أبوالا

(السيرة النبوية لابن كثير ٣/٦٦)

(٢) اشتكى علي عينيه يوم خيبر، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم لعابه فيهما فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع.

عن سهل بن ساعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه»، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي؟»، فقيل: يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه فأتوني به، فلما جاء بصق في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأنه لم يكن به وجع».(صحيح البخاري، رقم:٣٧٠١)

(٣) وقعت قدم والد حبيب بن فديك رضي الله عنه على بيض حية، فذهب بصره

فكان لا يرى شيئا، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم لعابه في عينه، فعاد بصيرا، وكان يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين سنة.

عن حبيب بن فديك أن أباه خرج به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئا، فسأله: ما أصابه؟ قال: كنت أَمَرِّن خيلا لي، فوقع رجلي على بيض حية، فأصيب بصري، فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه، قال: لرأيته يدخل الخيط في الإبر وإنه لابن ثمانين، وإن عينيه لمبيضتان. (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٢٤٦٤؛ دلائل النبوة لأبي نعيم، ص ٥٣٩؛ الخصائص الكبرى ١٠٨/٢؛ دلائل النبوة للبيهقي ١٧٣/٦؛ وإسناده ضعيف لجهالة بعض رواته)

(٤) احترقت يد محمد بن حاطب، فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم ومسح على رأسه فبرأ مكانه.

عن محمد بن حاطب عن أمه أم جميل بنت المجلّل، قال: «أقبلت بك من أرض الحبشة حتى إذا كنت من المدينة على ليلة أو ليلتين، طبختُ لك طبيخا، ففنِي الحطب، فخرجت أطلبه، فتناولت القدر، فانكفأت على ذراعك، فأتيت بك النبي صى الله عليه وسلم، فقلت: بأبي أنت و أمي يا رسول الله، هذا محمد بن حاطب، فتفل في فيك، ومسح على رأسك، ودعا لك، وجعل يتفل على يديك، ويقول: «أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما». فقالت: فما قمت بك من عنده حتى برأت يدك».(مسند أحمد، رقم:١٥٤٥٣؛ و مثله في السنن الكبرى للنسائي ٢٥٣/٦-٢٥٤؛ والمستدرك للحاكم، رقم:٦٩٠٩)

(٥) اشتهر في السيرة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل جماعة من الصحابة لقتل أبي رافع، ومنهم عبد الله بن عتيك رضي الله عنه. وكان عبد الله ينْزل من الدرج بعد ما فعل ما فعل، فانكسرت ساقه في الظلام، فمسح النبي صلى الله عليه وسلم يده عليها، فبرئ، كأن لم يشتكِ شيئا:

«فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا حتى انتهيت إلى درجة له، فوضع رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، فانتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته، فقال: ابسط رجلك، فبسطت رجلي،

فمسحها، فكأنها لم أشتكها». (صحيح البخاري، رقم:٤٠٣٩)

هذه خمس قصص على سبيل المثال، من بين قصص أخرى من هذا النوع، ومخافة الطول نعرض عن النصوص المتعلقة، ونكتفي بالإشارة إلى بعض القصص الأخرى مع عزوها إلى مصادرها:

١- أصيب أبو قتادة رضي الله عنه في وجهه يوم ذي قرد عام ٦هـ، فتفل فيه النبي صلى الله عليه وسلم فشفي على حاله. (مغازي الواقدي، ص٥٤٥؛ دلائل النبوة ١٩٣/٤)

٢- أصيب ولد لعامر بن مالك –ملاعب الأسنة- بالاستسقاء، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من التراب وقرأ عليه، وأرسله إليه، فوضع بعضه في الماء، فشربه، فشفي. (السيرة الحلبية ٣٧٠/٣؛ شرح الشفا للخفاجي ١٠٦/٣، و معه شرح الشفا للقاري ١٠٦/٣)

٣- أصيب كلثوم بن حصين رضي الله عنه -الذي استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة حين خرج لعمرة القضاء وفتح مكة- بسهم في صدره يوم أحد، فتفل فيه النبي صلى الله عليه وسلم فشفي. (مغازي الواقدي ٢٤٣/١؛ الطبقات الكبرى ١٠٦/٣)

٤- أصيب عبد الله بن أنيس رضي الله عنه في وجهه بجرح غائر في سرية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم عليه من لعابه فشفي. (دلائل النبوة للبيهقي ٢٩٤/٤؛ السيرة الحلبية لابن كثير ٤١٨/٣)

٥- أصيب سلمة بن الأكوع في ساقه يوم خيبر، قال زيد بن أبي عبيد: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت يا أبا مسلم، ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أُصِيب سلمة، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فنفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة.(صحيح البخاري، رقم:٤٢٠٦)

٦- انكسرت ساق علي بن الحكم- أخي الصحابي الجليل معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه- فشفي بمثل ذلك.(معرفة الصحابة لأبي نعيم: من اسمه علي؛ الخصائص الكبرى ١١١/٢)

٧- روي أن حارث بن أويس رضي الله عنه كان مع النفر الذين خرجوا لقتل كعب بن الأشرف، فنزف منه دم كثير خلال ضربه إياه بسيفه، فنفث فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فذهب وجعه. (مغازي الواقدي ١٩٠/١؛ الروض الأنف ٢٣٠/٣)

٨- كان خبيب بن إساف يهجم على أمية بن خلف، فهجم أمية على خبيب،

فقطعت يده، فوضعها النبي صلى الله عليه وسلم بيده في مكانها، فالتصق وشفي. (مغازي الواقدي ١/١٩٠؛ الروض الأنف ٣/٢٣٠)

واعلم أنه جاءت عدة روايات في قتل أمية بن خلف غير هذه الرواية، و روي أن الذي تولى قتل أمية بن خلف هو معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد. (الوافي بالوفيات ١٣/١٤٤؛ ترجمة خارجة بن زيد)

٩- عن شرحبيل بن عبد الرحمن أنه كان بكفه سلعة، فقال: يا رسول اللّه، إن هذه السّلعة قد آذتني، تحول بيني وبين قائم السيف، فقال: «ادن» فدنوت، فوضع يده على السّلعة فما زال يطحنها بكفه حتى رفع. وما أدري أين أثرها.(الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٢٦٨؛ الخصائص الكبرى ٢/١٠٨)

وقريب منه قصة أبي سبرة يزيد بن مالك. (الطبقات الكبرى ١/٣٢٦؛ دلائل النبوة٦/١٧٦)

١٠- اشتكى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ضرسه، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على خده، و دعا له، فشفي قبل أن يقوم من مجلسه.(الخصائص الكبرى ٢/١٣٠؛ معرفة الصحابة لأبي نعيم ٤/٢٢٩٨)

١١- اشتكى فراس بن عمر رضي الله صداعا شديدا، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده فى جبهته، فذهب أثره.(الخصائص الكبرى ٢/١٣٠؛معرفة الصحابة لأبي نعيم ٤/٢٢٩٨)

وطالما عالج النبي صلى الله عليه وسلم المريض باللمس المعنوي، أي أرشد إلى طريق العلاج فشفي المريض، نسوق ثلاث قصص من هذا النوع على سبيل المثال:

١- جاء أعمى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له النبي صلى الله عليه وعلمه الدعاء، وأمره بأن يركع ركعتين ويدعو الله تعالى.

عن عثمان بن حنيف، أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله لي أن يعافيني فقال: «إن شئت أخرت لك وهو خير، وإن شئت دعوت» فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة، يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم فشفعه فيَّ». قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح.(سنن ابن ماجه، رقم: ١٣٨٥)

ورد هذا الحديث المشهور في عدد من كتب الأحاديث. وسيأتي الكلام عليه مفصلا

في مبحث التوسل بإذن الله تعالى.

عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه أن أعمى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:.. قال عثمان: فو الله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط. (السنن الكبرى للنسائي، رقم:١٠٤٢١؛ المعجم الصغير للطبراني، رقم:٥٠٨)

٢- عن العلامة أبي القاسم القشيري (عبد الكريم بن هوازن، ت:٤٥٦هـ) أن ولده مرض مرضا شديدا قال: أيست منه واشتدّ الأمر علي، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فشكوت له ما بولدي. فقال لي: أين أنت من آيات الشفا....، قال: فكتبتها في صحيفة، ثم حللتها بالماء وسقيته إياها، فكأنما أنشط من عقال.(المدخل لابن الحاج ١٢١/٤؛ البرهان في علوم القرآن ٤٣٥/١)

٣- عن أبي عبيدة من ولد عمار بن ياسر قال: «وفد مخوَس بن معديكرب بن وليعة فيمن معه على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم خرجوا من عنده فأصاب مِخْوسًا اللَّقوة، فرجع منهم نفر فقالوا: يا رسول الله، سيد العرب، ضربته اللَّقْوَة، فادْلُلنا على دوائه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذوا مخيطا فاحموه في النار، ثم اقلبوا شفرة عينه، ففيها شفاؤه وإليها مصيره. فالله أعلم ما قلتم حين خرجتم من عندي. فصنعوه به فبرأ. (الطبقات الكبرى ٣٥٠/١؛ الخصائص الكبرى٣٦/٢)

علاوة على ذلك روي عن الصحابة ما لا يحصى من قصص عرض حاجاتهم أو آلامهم على النبي صلى الله عليه وسلم، وإرشاده صلى الله عليه وسلم إلى علاجه.

منهم زيد بن ثابت وخالد بن الوليد اللذين شكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم الأرق في مناسبات مختلفة. وشكاية أبي ريحانة في صعوبة قراءة القرآن عليه، وشكاية أبي دجانة سماعَه أصواتا مخيفة، وشكاية الوليد بن الوليد الوسوسة ونحو ذلك.

بعض قصص الشفاء من الأمراض الروحانية ببركته صلى الله عليه وسلم:

كما شفي الناس من الأمراض الظاهرة ببركة يده صلى الله عليه وسلم، كذلك نالوا الشفاء من الأمراض الباطنة والروحانية أيضا، وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

١- عن عثمان بن أبي العاص قال: لما استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي، فلما رأيت ذلك

رحلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ابن أبي العاص؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «ما جاء بك؟» قلت: يا رسول الله، عرض لي شيء في صلواتي حتى ما أدري ما أصلي قال: «ذاك الشيطان ادنه». فدنوت منه، فجلست على صدور قدمي، قال: فضرب صدري بيده، وتفل في فمي وقال: «اخرج عدو الله» ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: «الحق بعملك» قال: فقال عثمان: «فلعمري ما أحسبه خالطني بعد».(سنن ابن ماجه، رقم:٣٥٤٨)

٢- عن جرير بن عبد الله قال: شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري، وقال: «اللهم ثبِّته واجعله هاديا مهديا».(صحيح البخاري، رقم:٣٠٣٦)

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني أسمع منك حديثا كثيرا أنساه. قال: «ابسط رداءك». فبسطته، قال: فغرف بيديه، ثم قال: «ضُمَّه»، فضممته، فما نسيت شيئا بعده. (صحيح البخاري، رقم:١١٩)

٤- عن علي قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، تبعثني وأنا شاب أقضي بينهم، ولا أدري ما القضاء؟ قال: فضرب بيده في صدره، ثم قال: «اللهم اهدِ قلبه، وثبت لسانه». قال: فما شككت بعد في قضاء بين اثنين.(سنن ابن ماجه، رقم:٢٣١٠)

خلاصة ما سبق:

اللمس أولا على قسمين: ١- الحقيقي. ٢- المعنوي. ثم كل واحد على قسمين: ١- للأمراض الظاهرة. ٢- للأمراض الروحانية.

وأطلَقْتْ أرِبًا مِن رَبقَةِ اللَّمَمِ:

قصص الشفاء من مس الجن:

١- عن ابن عباس أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن به لَمَما، وإنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا، قال: فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا له. فثعَّ ثَعَّةً فخرج من فيه مثل الجرو الأسود فشفي.(مسند أحمد، رقم:٢١٣٣؛ سنن الدارمي ٢٤/١؛ دلائل النبوة للبيهقي؛ البداية والنهاية ١٧٧/٦)

٢- عن أم أبان بنت الوازع، عن أبيها، أن جدها الزارع، انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق معه بابن له مجنون أو ابن أخت له، قال جدي: فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قلت: يا رسول الله، إن معي ابنا لي أو ابن أخت لي مجنون أتيتك به تدعو الله عز وجل له، فقال:«ائتني به»....ثم أقعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه، فدعا له بماء فمسح وجهه ودعا له، فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضل عليه.(المعجم الكبير للطبراني٥/٢٧٥/٥٣١٤)

٣- عن أبي بن كعب قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابي، فقال: يا نبي الله، إن لي أخا وبه وجع. قال: وما وجعه؟ قال: به لَمَم. قال: فأتني به. فوضعه بين يديه، فعوَّذه النبي صلى الله عليه وسلم بفاتحة الكتاب، وأربع آيات من أول سورة البقرة...، فقام الرجل كأنه لم يشتك قط.(مسند أحمد، رقم:٢١١٧٤؛ المستدرك على الصحيحين، رقم:٨٢٦٩)

٤- عن أم جندب قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة من بطن الوادي يوم النحر، ثم انصرف وتبعته امرأة من خثعم، ومعها صبي لها به بلاء لا يتكلم. فقالت: يا رسول الله، إن هذا ابني، وبقية أهلي، وإن به بلاء لا يتكلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أئتوني بشيء من ماء، فأتي بماء، فغسل يديه ومضمض فاه، ثم أعطاه فقال: اسقيه منه، وصُبِّي عليه منه، واستشفي الله له، قالت: فلقيت المرأة، فقلت: لو وهبتِ لي منه؟ فقالت: إنما هو لهذا المبتلى. قالت: فلقيت المرأة من الحول، فسألتها عن الغلام. فقالت: برأ، وعقل عقلا ليس كعقول الناس».(سنن ابن ماجه، رقم:٣٥٣٢؛ المعجم الكبير للطبراني ٢٥/١٦٠/٣٨٧)

٥- عن يعلى بن مرة قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة، ومعها صبي لها، فقالت: يا رسول الله، ابني هذا به بلاء، وأصابنا منه بلاء،- وفي رواية: منذ ولدته- يؤخذ في اليوم لا أدري كم مرة؟ فقال: ناولينيه، فرفعته إليه، فجعله بينه وبين واسطة الرحل، ثم فغر فاه، ثم نفث فيه ثلاثا: بسم الله، أنا عبد الله، اخسأ عدو الله. ثم ناولها إياه، فقال: القَينا في الرجعة في هذا المكان. فأخبرينا ما فعل؟ فذهبنا ثم رجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها ثلاث شياه. فقال: ما فعل صبيك؟ فقال: والذي بعثك بالحق، ما أحسسنا منه في شيء حتى الساعة،

فاجتَرِر هذه الغنم. قال: انزل فخذ منها واحدة، ورُدَّ البقية».(مصنف ابن أبي شيبة، رقم: ٢٤٠٥٥ و٣٢٤١٢، و ٣٢٤١٣؛ مسند أحمد، رقم:١٧٥٤٨؛ مسند الدارمي، رقم: ١٧؛ دلائل النبوة للبيهقي ٦/١٩-٢٥)

رويت هذه القصة مختصرة ومفصلة بأساليب عدة عن كل من غيلان بن سلمة الثقفي، ويعلى بن مرة، وأسامة بن زيد وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم. ويشتركون جميعا في نقل أصل المعنى.

٦- عن محمد بن المنكدر قال: سمعت جابرا يقول: «جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ وصب علي من وضوئه فعقلت».(صحيح البخاري، رقم:١٩٤)

وهذه بعض القصص على سبيل المثال، وثمة قصص أخرى كثيرة في هذا المعنى.

بعض قصص بركته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته:

سؤال: معجزات الشفاء هذه التي ذكرتها ترجع كلها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي، فكيف نفعل بعد وفاته ؟

الجواب: سبق أن ذكرنا أن طلب الشيء من النبي صلى الله عليه وسلم في حياته يقوم مقامه -بعد وفاته- أن يزار قبره ويطلب منه أن يدعو له، أو يدعو الله تعالى بوسيلته. وتواتر هذا العمل عن السلف الصالح. وسيأتي بعض القصص ضمن بحث التوسل، بإذن الله تعالى.

يتحدث العلامة الخربوتي (ت:١٢٠٠هـ) -وهو من أشهر شراح قصيدة البردة- عن نفسه فيقول: أصيبت زوجة شيخي بمرض القلب، وتدهورت حالتها كثيرا فكانت لا تجد راحة في وقت من ليل أو نهار، وكانت تصرخ ألما في كل وقت، حتى ضجر منها الجيران أيضا، ولم ينفعها دواء طبيب. وأخيرا قال لي شيخي: اكتب رسالة مني إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، واطلب منه أن يدعو للشفاء من المرض. ففعلت، فأرسلها الشيخ بيد أحد الحجاج، فشفيت زوجته يوم وصل الحجاج إلى المدينة المنورة. (عصيدة الشهدة، ص ١٤٦)

هذا في الدعاء بوسيلته صلى الله عليه وسلم، والطلب منه أن يدعو الله تعالى له، وتوجد عند السلف الصالح قصص تفيد أنه صلى الله عليه وسلم رئي في المنام، وعالج

المريض.

وللبوصيري صاحب قصيدة البردة (ت:٦٩٨هـ) قصة مشهورة في هذا الصدد، وسبق ذكرها في المقدمة. تفيد هذه القصة أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فمسح صلى الله عليه وسلم على جسده، ثم ألقى عليه رداءه. قال: فلما استيقظت شفيت وقمت أمشي.

والحاصل أنه نال الشفاء بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم.

وذكر ابن الجوزي قصة مماثلة لها، قال: خبثت يد أبي جمادى اليسرى وقد أشرف على قطعها وذات ليلة دعا الله تعالى قبل أن ينام فرأى النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم في منامه فدنا منه وأراه يده، و سأله العافية، فأمرَّ يده عليها ثم قال له: «قم». فأصبح معافى.

قال ابن الجوزي: قبره بجوار ضريح الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وقد زرته.(صفة الصفوة٢/٤٩٧؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٩/١٦٤؛ مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام)

وتوجد أمثال هذه القصص عند علماء ديوبند أيضا، نحكي قصة واحدة وقعت لشيخ الإسلام حسين أحمد المدني:

شلت يده اليمنى في ١٢/مارس عام ١٩٥٢م، فوصف الطبيب بأنه أصيب بفالج. فتناول الدواء، وشفاه الله تعالى.

كتب مدير مجلة «دار العلوم» إلى مدير مجلة »الصدق»: قال الشيخ المدني في اليوم التالي من إصابته بهذا المرض: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقرأ ونفث في يدي، وقال: لا تقلق، يا حسينُ، وإنما جئنا لنعودك».(للاستزادة من القصة راجع: الصدق، الصادرة في ملتان، شهر شعبان عام ١٣٧١هـ، مكتوبات شيخ الإسلام، هامش المكتوب رقم: ١٠٦)

وعمل العلامة محمد موسى المراكشي (ت:٦٨٣هـ) في معجزات الشفاء كتابا مفردا سماه: «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام عليه الصلاة والسلا». وقامت دار الكتب العلمية بنشر الكتاب. وسرد الكتاب عددا من قص الأنبياء عليهم السلام والصحابة وغيرهم من السلف الصالح في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم.

كما رويت قصص طلب الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والنوم في

كافة الحاجات من الجوع والعطش، وضيق العيش، والمصائب والآلام والأمراض. وصنف عدد من العلماء الكتب في هذا الموضوع، منهم: ١- العلامة سليمان بن موسى الكلاعي (ت:٦٣٤هـ). ٢- جمال الدين بن حسين الحصني (ت:٩٦١هـ). ٣- أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي (ت:٧٦٨هـ).

الشافي الحقيقي هو الله تعالى لا غيره:

إيراد: لا ينبغي أن نقول: إن كف النبي صلى الله عليه وسلم شفتْ؛ لأن الشفاء بيده الله تعالى وحده، كما في قوله تَعَالَىٰ:﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٨٠)

وفي الحديث: «لا شفاء إلا شفاؤك».(صحيح البخاري، رقم:٥٦٧٥)

وفي دعاء جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: »الله يشفيك».(صحيح مسلم، رقم:٢١٧٦)

الجواب: لا شك أن الشافي هو الله تعالى، ونسبة الشفاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مجاز. وذلك لأنه ينسب في الغالب إلى السبب الظاهر، وفي القصة مسح النبي صلى الله عليه وسلم بيده، فشفي المريض، فكان سببا في هذا الشفاء، فنسب إليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب: ٣٧)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ (التوبة: ٩٢)

والحاصل أن من معاني الشفاء: المعالجة والتسلية أو تسكين القلب، وهذا قد ينسب إلى غير الله تعالى. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هجاهُم حسانُ فشفى واشتفى».(صحيح مسلم، فضائل حسان بن ثابت، رقم:٤٥٤٥)

ومعنى آخر للشفاء هو إيصال العلاج إلى المرحلة النهائية، وهذا مختص بالله تعالى، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت».(صحيح البخاري، رقم:٥٣٠١)

قال الشاعر الأردي:

آخر طبیب نے بھی انہی سے کیا رجوع ۞ وہ آئے، مسکرائے، شفا دے گئے مجھے

(وأخيرا رجع الطبيب بدوره إلى الحبيب، فجاء وتبسم وشفاني).

لايحمل أحد هذا البيت على أن الحبيب هو الذي شفى.

في قوله: (أطْلَقَتْ أربًا) إشارة لطيفة، ولله در الناظم في وضع الكلمات في موضعها.

كان بإمكانه إطلاق (خلصت) ونحوها من الكلمات مكان قوله: (أطلقت)، والحكمة في إيثاره هذه الكلمة أن (أطلق) معناه: الفتح والابتعاد، فكأن هذه الكلمة تشير إلى أن المرض من الجنون وغيره مما ورد ذكره في هذه القصص زال على الفور كأن صاحبه لم يصَب به قط، كما أن الشيء إذا تم فتحه بسرعة يبعد في السير. فقوله في الروايات السابقة : (كأن لم يشتك قط) وقوله: (كأن لم يكن به ألم) يشير إلى ذلك.

رَبْقَةَ اللمم: يحتمل معنيين:

١- الجنون: أطلق من الجنون من كان مبتلى به (سبق ذكر خمس قصص في ذلك).

٢- الذنب. أطلق من الذنب من كان ابتلي به، ولنضرب لهذا المعنى مثالا:

جاء شاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الزنا، فأقعده بين يديه، وسأل: «أتحبه لأمك، وبنتك، وأختك، و عمتك، وخالتك»؟ فقال: لا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فكذلك الناس لا يحبونه». ثم ضرب بيده صدره، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، طهر قلبه، وحصِّن فرجه». فلم يلتفت إلى الإثم بعد. (مسند أحمد، رقم:٢٢٢١١؛ المعجم الكبير للطبراني ٧٦٧٩/١٦٢/٨؛ شعب الإيمان للبيهقي، رقم:٥٠٣٢)

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم خلَّص رجلا من أربعة ذنوب. قال الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي رحمه الله، في تفسير قوله تَعَالَى:﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾ (القلم:٢)، وهو يتحدث عن حِكم النبي صلى الله عليه وسلم: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: أنا مبتلى في أربع خصال: سيئة: ١-الزنا، ٢- السرقة، ٣-شرب الخمر، ٤-الكذب. ولا أكاد أتخلص منها مرة واحدة، وقد أتخلص من واحدة منها. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لا تكذب. فاستسهله وقبله. فلما جنَّ عليه الليل هم بالذنوب الثلاثة الباقية، فقال في نفسه: سيسأل النبي صلى الله عليه وسلم حين أُصبِح. فإن صدقت، افتضحت ويجري عليَّ حدّ الزنا والسرقة وشرب الخمر. وحاصل القصة أنه ترك الخصال السيئة كلها، ببركته صلى اله عليه وسلم بأن يترك الكذب. (ملخص من التفسير العزيزي)

ميزة هذا البيت:

ذكر شراح قصيدة البردة في الأردية والعربية فضائل وخصائص عدد من أبياته، و لم نلتزم سردها في كتابنا.

ويروى في خصوص هذا البيت رسالة من شيخ الإسلام حسين أحمد المدني، ونظرا إلى مكانته السامية نورد هذا المكتوب بعد نقله إلى العربية:

المكتوب رقم: ١٠٦:

«يقرأ البيت التالي كل يوم سبع مرات على وضوء وينفث على عين المريضة، وأدعو الله تعالى أن يشفعها شفاء كاملا. آمين.

والبيت هو:

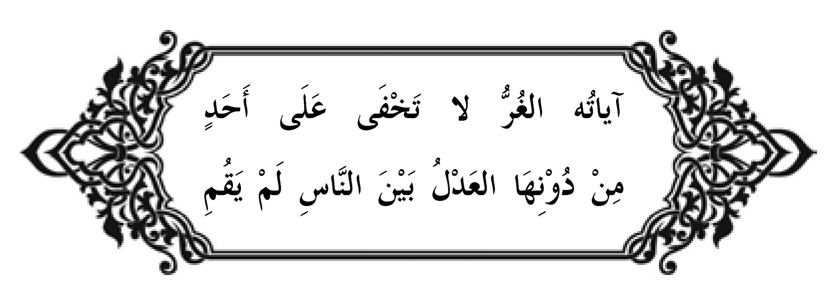
كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِبًا باللَّمْسِ رَاحَتُهُ ۞ وَ أَطْلَقَتْ أَرِبًا مِن رِبْقَةِ اللَّمَمِ

(حسين أحمد غفر له، من ديوبند)

جاء في الهامش: ذهبت عين ابنة بنت مولانا الحاج حبيب الرحمن، فكتب إلى الشيخ المدني، فوصف له هذا العمل. وواظبت البنت عليه، فشفيت برحمة من الله تعالى، و أبصرت. سبحان الله. (مكتوبات شيخ الإسلام٢/٣١٥، مكتوب رقم: ١٠٦)

انتهى، ولله الحمد.

****



ليس هذا البيت في معظم نسخ قصيدة البردة، ولا في شرحها باللغة العربية، حتى لم يذكره من حقق من الاختلاف في عدد أبيات القصيدة والأبيات المختلف فيها. نعم له ذكر في بعض النسخ في باكستان، فالنسخ الرائجة هنا تتضمن هذا البيت. فنقدم شرحا موجزا للقارئ للبيت دون أن نعتبره في حساب عدد الأبيات.

اللغة:

الغُرُّ: (ج: غراء).

غَرَّ (ض) غَرارةً وغِرَّة: (١)جهل الأمور وغفل عنها. (٢)لم يجرب. غِرٌّ: من ينخدع إذا خدع.

غَرَّ (ن) غَرَّ وغُرُورًا:خدعه، وأغراه. غَرّ: (س) غررا وغرة وغرارة: (١) ابيض وجهه أو ناصيته. (٢) ابيض وجه الفرس.

غَرَّرَ به: أهلكه. اغتر فلان: غفل، وقلت فطنته.

الأغر: منور الوجه/ الجميل/ اللامع. يقال: يوم أغر، وليلة غراء. ج: غُرٌّ.

الغرارة (١) الحد. (٢) الأسوة، النموذج. (٣) القليل من الشيء. ما لبثت هنا إلا غرارا.

الغرة: (١) الجيد من كل شيء، وأوله. ج: غُرُر.(٢) الضوء، واللمعان، والبياض.

الغُرُر: الليالي الثلاث الأولى من الشهر القمري.

تخفى: (س) الشيءُ خَفًا وخِفية: (١) استتر. (٢) غاب.

أخفى الشيءَ، خفَّى الشيءَ:ستره. اختفى الشيءُ: استتر. الخَفا: الاستتار.

الخِفا: الغلاف، والستار. الخَفِيَّةُ: (١) الأيكة الكثيفة. (٢) بئر ذو ماء. ج: خفايا.

الإعراب:

آياته الغر...الخ.

آياته: مضاف ومضاف إليه، موصوف. الغُر: صفته. والموصوف مع صفته مبتدأ.

لا تخفى: فعل. (هي) فاعل. على أحد: جار ومجرور، متعلق بـــ(لا تخفى).

الفعل مع فاعله ومتعلقه خبر، والمبتدأ مع خبره جملة اسمية خبرية.

من دونها العدل: العدل: مبتدأ. لم يقم: خبره. و(بين الناس) و(من دونها) متعلقان بـــ(لم يقم).

الشرح:

فصل الإمام البوصيري معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: إن الأخذ بالدستور الذي جاء به هذا النبي الذي سبق ذكر نعوته، هو الذي يكفل قيام العدل و الإنصاف في العالم.

والمراد بـــ(آياته) آيات القرآن المنَزّل على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي معجزاته.

القرآن الكريم معجزة عظيمة للنبي صلى الله عليه وسلم، بل كل ناحية من نواحيه معجزة كما سيأتي تفصيله في الفصل القادم.

من دونها العدل بين الناس: القرآن الكريم مجموعة عظيمة من القوانين، نزلت لبسط العدل بين الناس بجانب هدايتها البشرية إلى الحق. وهيهات وهيهات العدل والإنصاف دون الأخذ بالقرآن الكريم.

أمر القرآن الكريم بالعدل في كل شيء، كما ذكر قانون العدل والإنصاف في غير واحد من المعاملات. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ﴾ (الحجرات: ٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ (النساء: ١٠٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة: ٨)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٩٠) آية النحل هذه أجمع آية في القرآن الكريم. ونقدم لكم تفسيرًا موجزًا لها.

بِٱلْعَدْلِ:

توجيه الإسلام إلى الاعتدال والوسطية:

فصَّل أهل العلم الكلام على أن الإسلام كيف وجه الناس إلى الاعتدال والوسطية في كافة نواحي الحياة، وأنه بريء من الخروج على الاعتدال، مما يتصف به سائر الأديان والملل الأخرى. وإليكم ذلك باختصار:

التوحيد في الاعتقادات عدل: لأن إنكار البارئ تعالى تعطيل، هذا في جانب، وفي جانب آخر اتخاذ عدد من الآلهة شرك. وأما التوحيد فهو طريق العدل بين التعطيل والتعددية.

من الأمثلة على العدل في الاعتقادات: أن بعض الناس يعتبرون البشر خالقًا للأفعال، وبإزائهم الجبرية التي تعتبر البشر مجبورا محضا. وأما أهل السنة والجماعة فهم على العدل، فلا يقولون بالجبر المحض، ولا الاختيار الكلي؛ بل بينهما.

العدل في النكاح: يقول البعض: يجب اختيار الرهبانية، لأن الإنسان لم يخلق إلا للعبادة. ويقول الآخرون: يتخذ من النساء ما شاء له الهوى، لأن المرأة خلقت للرجل. ويذهب الإسلام إلى طريق وسط بينهما، فيقول: يتزوج الرجل، ملتزما بقانون الشريعة دون الخروج عليه.

وأما المال، فقيل: إنه كله للحكومة، دون الأفراد. (الاشتراكية). وقيل: للمرء أن يكسب المال كيف شاء، وإن احتاج إلى السلب فعله، وليس ثمة ضابط يضبط الكسب. نعم يجب توفر رأس المال. (الراس مالية).

وشق الإسلام طريقا بينهما، وقال: تصح كل معاملة تمت برضى من الطريفين ووفقا لضوابط الشريعة. فيملك البشر كل ما اكتسبه بهذا الوجه. نعم رغَّب كثيرا في العناية بالفقراء، وفرض إنفاق ٢.٥% من المال، وليس ذلك مبلغا عظيما.

وشرح القرآن الكريم والسنة النبوية الأسس التي يقوم عليه البيع والشراء. وفصل الفقهاء في أبواب البيوع وكتاب الكسب وغير ذلك.

وقد ألف عدد من الكتب التي تدرس تفاصيل نظم المعيشة والتجارة، ومفاسدها و مضارها، وبإزاء ذلك منافع النظام الاقتصادي الإسلامي، وبركاته بالتفصيل في العصر

الحاضر، منها: الإسلام والاقتصاد والتجارة في العصر الحاضر. ونظامنا الاقتصادي كلاهما للشيخ المفتي محمد تقي.

وَٱلْإِحْسَٰنِ:

إحسان النية: أي الإخلاص. إحسان العبادة، والإحسان إلى الناس؛ فالإحسان مطلوب في كل فعل، من إحسان العبادة وإحسان المعاملة مع عباد الله تعالى؛ بل الإحسان إلى الخلق كله.

في الحديث: «ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».(صحيح البخاري، رقم: ٥٠)

وفي الحديث: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء».(صحيح مسلم، رقم:١٩٥٥)

وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ:

وهو تخصيص بعد التعميم. وخصت القرابة بالذكر؛ لأن الناس يغفلون عن حقوقهم.

واشتهرت بعض الكلمات المهينة والأسوأ فيما يخص القرابة، منها: الأقارب عقارب. والأبُ رَبٌّ. والجَدُّ كَدٌّ. والعَمُّ غَمٌّ. والخالٌ وَبالٌ. والولد كمدٌ.

قال ابن العميد:

آخ الرجال من الأبا ۞ عدِ والأقارب لا تقارب

إن العقارب كالعقارب ۞ أو أشد من العقارب

(محاضرات الأدباء١/١٦٣؛ زهر الأكم في الأمثال والحكم ١/٣٠١)

ونفت الشريعة الإسلامية كل ما يؤدي إلى قطيعة الرحم. ورغَّبت كثيرا في الإحسان إلى الأقارب وصلة الرحم.

نسوق بعض الآيات والأحاديث على سبيل المثال:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (البقرة: ١٧٧)

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ (النساء: ١)

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى

ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (النساء: ٣٦)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (الإسراء: ٢٦)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٥)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ (محمد)

وفي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه».(صحيح البخاري، رقم :٢٠٦٧)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرحم شجنة من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته».(صحيح البخاري، رقم:٥٩٨٨)

وعن جبير بن مطعم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يدخل الجنة قاطع».(صحيح البخاري، رقم:٥٩٨٤)

سرد نبذة من الأحاديث من صحيح البخاري، وفيه وفي غيره من الصحاح وكتب الحديث الأخرى كثير من الأحاديث في هذا المعنى، مما يصعب حصره وإحصاؤه.

وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ:

الفحشاء: الشهوات. المنكر: المعصية ونحوها. البغي: الظلم.

هذا تفسير موجز للآية، وفيه تفاصيل كثيرة، وهو ما حمل بعض أهل العلم على تفسير هذه الآية في كتاب مفرد، منها:

١- فتح الرحمن في تفسير آية: إن الله يأمر بالعدل والإحسان: لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن الشربيني المصري الشافعي (ت:١٠٣٠هـ).

٢- قلائد العقيان في قوله تعالى: إن الله يأمر بالعدل والإحسان: للعلامة مرعي بن

يوسف بن أبي بكر الكرمي المقدسي الحنبلي (ت:١٠٣٣هـ). (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٣/١٥٥؛ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٢/٢٣٨).

٣- غاية الإحسان في قوله تعالى: إن الله يأمر بالعدل والإحسان: للعلامة شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي الشافعي (ت:٧٧٤هـ).(بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١/٢٢٨).

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

أحيَت: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٢٩. حيا: المطر، سعة العيش، الخضرة.

أحيى: ضد أمات. وإحياء كل شيء ما يناسبه.

أحيى الأرض: جعلها خضراء. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (فاطر: ٩)

أحيى الليل: شغل ليله بالعبادة. أحيى ذكره: جدده، واحتفل به ونحو ذلك.

«إحياء الموات»: باب شهير من أبواب الفقه.

سَنِهَ (س) سَنَهًا: قدم، ومضى عليه أعوام.

سَنِهَ عند فلان: أقام أكثر من سنة.

سنا (ن) البرق سناء/سنى (ض) سَنْيًا، وسُنِيًّا: لمع البرق.

سنا سَنْوا وسُنُوًّ: استقى. سنِيَ (س) سَنًا وسَناءً: ارتفع.

السنة: (١) مقدار من الزمان يمر فيه الشمس بالأبراج السماوية الاثنتي عشرة. وهي السنة الشمسية.

(٢) إكمال القمر اثنتي عشرة دورة يطلق عليه السنة القمرية. ج: سنون وسنوات.

(٣) الجدب. ويطلق على القحوط: السنة؛ لأن الناس يتذكرون عام الجدب والقحوط.

سنة: أصلها: سَنْهَة: ومنه: سانهت: (عاملته على السنة).

سَنَهة: لامه (هاء)، حذِفت ونقلت حركتها إلى عين الكلمة (ن).

أرض سنهاء، سنة سنهاء: جدباء، ج: سُنْهٌ.

يطلق العرب (السنة) عامة على الجدب ونحوه:

اشتهر إطلاق (السنة) في العرب على الأوضاع السيئة بمعنى الجدب والقحوط ونحوهما، ثم اختص إطلاقها به.

ومنه أسنَتِ القوم: أي قحطوا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ (العنكبوت: ١٤)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (الأعراف: ١٣٠)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (المائدة: ٢٦)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف: ٤٢)

وفي الحديث: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف».(صحيح البخاري، رقم:٦٣٩٣)

الفرق بين السنة والعام:

(١) يطلق العام على الأوضاع الحسنة، والسنة على الأوضاع السيئة، وليس ذلك ضابطا كليا، فقد تعاقبا في الكتاب والسُّنة بعضهما مكان بعض.

(٢) مجموع الأيام يطلق عليه العام، ومجموع الشهور يطلق عليه السنة. فإن ذكرت الأيام تلاها العام لا السنة.

(٣) يصلح العام زمنا لتحديد شيء دون السنة. يقال: عام الفيل، وعام الحزن، ولا يقال: سنة الفيل وسنة الحزن.

(٤) العام من يناير إلى يناير، ما يتكرر فيه اليوم السابق بالنظر إلى الموسم، والسنة: ما يعود فيه نفس اليوم. مثلا: من غرة رجب إلى غرة رجب. أي اليوم الذي تم عدّ السنة منه إذا عاد نفس اليوم أطلق عليه السنة. مثلا: من غرة رجب إلى غرة رجب من العام القادم.

العام: لا يتم إلا إذا عاد الشتاء والصيف، فمثلا: منذ غرة رجب إلى غرة رجب من العام القادم لا يسمى عاما، لأنه لم يمضِ الشتاء كاملا ولا الصيف كاملا. (الروض الأنف ٢/٦٤-٦٥)

الشهباء: سبق تحقيقه في البيت رقم:٦٨.

شهِبَ (س) بياض يضرب إلى السواد/ ما اختلط فيه السواد.

شهَبَ (ق) شَهْبًا: لفحه (أحرق شيئا فشيئا، حيث لا يدرك).

الفرس الأشهب: الذي غلب عليه البياض.

السنة الشهباء: لا ماء فيها ولا كلأ/ لا خضرة فيها ولا مطر. وبتعبير آخر: العام الذي تتحول فيه الخضرة إلى البياض، ج: شُهْبٌ.

دعوته: دُعاؤه المبارك.

سبق تحقيقه في البيت رقم: ٣٣، و٣٧.

حكت: حكي (ض) الشيءَ حكاية: (١) أتى بمثله. (٢) شابهه.

والمناسبة بين المعنيين: أن المرء يشابه الرجل حين يحكيه، فمثلا إذا حكى الأعرجَ، فقد شابهه.

حكى الحديث: نقله.

تدل مادة الحكاية على أنه يجب أن تكون الحكاية صورة طبق الأصل، وإلا لم تكن حكاية.

الحكاية: (١) القصة، و السمر، ج: حكايات .(٢) اللهجة.

غُرَّة: سبق تحقيقه قبل بيتين.

الغُرّة: الجمال، والبياض. «غرا محجلين»: بيضاء الوجوه والأعضاء. (صحيح البخاري، رقم:١٣٦، باب فضل الوضوء)

الأعصُر: عصَر (ض) عَصْرًا: استخرج ما فيه، واستخرج العرق أو الرحيق ونحوهما.

يرى الناس غالبا وقت العصر عصارة اليوم كله. فالتاجر يحاسب ماله، وينظر المدرس كم درَّس، ونحو ذلك. أو أن ضوء الشمس ينعصر قليلا قليلا، وأخيرا يزول.

عاصر: (١) شاركه في الزمن. (٢) استعاذ به.

العَصْرُ: (١) وقت العصر. (٢) صلاة العصر. (٣) العهد. نحو: عصر الخلفاء العثمانيين، والعصر الحاضر ونحو ذلك. (٤) الزمان، والوقت.

وفي تسمية الزمان عصر توجيه المرء إلى أن يجعل وقته ثمينا، فيأخذ عصارته (لبه/ما ينفعه)، ويدعُ الفضلة (ما لا يعني من القول والفعل). كما أن العصَّار يأخذ العصير ويدع

الفضلة. ج: أعصُر.

الدُّهُم: دَهَم:(ف) دَهْمًا: فاجأه. نزل به المصيبة. دَهِمَ (س) دُهمَةً: اسود.

مدهامتان: بستانان يبدوان أسودين لشدة خضرهما.

أدهم: الأسود/ المظلم. ج: دُهُم.

والمناسبة بين معنيي هذه الكلمة أن المرء حين يفاجأ بمصيبة يظلم أمامه، فلا يدري ما حدث.

الدهماء: له عدة معانٍ: (١) مؤنث أدهم. (٢) اليوم التاسع من الشهر القمري.

الإعراب:

وأحيتِ السنة الشهباء دعوتُه: (١) جملة مستأنفة. (٢) عطف على البيت السابق.

أحيت السنة: أحيت: فعل. دعوته: فاعله. السنة: موصوف. الشهباء: صفتها. والموصوف مع صفته مفعول.

حتى حكت: حتى: للغاية، وهي جملة مستأنفة لدخولها على الماضي. حكت: فعل. فاعله الضمير (هي)، يعود على السنة الشهباء. غرة: مفعول به.

في الأعصر الدهم:

في: جار. الأعصر: مجرور. الدهم: صفته.الموصوف مع صفته مجرور، والظرف متعلق بـــ(غرة).

الشرح:

أتبع ذكر آثار بركات النبي صلى الله عليه وسلم في الأرض بذكر بركاته في السماء.

أحيت السنةَ الشهباء دعوتُه:

معناه واضح، وهو أن الأرض تحترق وتموت في أيام الجدب بسبب شدة حرارة الشمس، وتضرب النباتات إلى السواد بسبب أشعة الشمس. فينْزل المطر في مثل هذه الحالات، وتسري آثار الحياة في الأرض الميتة.

حتى حكت غُرَّةً في الأعصر الدهم:

(١) سادت الخضرة ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم، فامتاز هذا العام وأنار؛ فقد

ساد السواد والقحوط العام الذي سبقه، فأنار هذا العام وامتاز عن غيره من السنين الماضية الجدبة، وذلك كما يمتاز بياض جبهة الفرس الأسود.

(٢) العام الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم ظهر فيه من الخضرة والنعيم والبركات ما جعله يمتاز عن غيره من الأعوام، كما يمتاز البياض، فكان هذا العام أكثر الأعوام نعيما وخضرة.

(٣) (غرة) يكمن فيها شرح (السنة الشهباء)، والمعنى: كما يطلق الغرة على البياض القليل في الفرس الأسود أو الأحمر. كذلك فقدوا السرور في السنة الجدباء لعدم الخضرة، و لكن انتشرت البركات بدعائه صلى الله عليه وسلم.

قصص وجيزة لِنُزول المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم:

(١) فيه إشارة إلى قصة شهيرة، لا يكاد يخلو منها كتاب من كتب الحديث، وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب، إذ دخل رجل فاشتكى الجدب، وطلب منه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله تعالى. فرفع يديه وما في السماء قزعة، إذ نزل المطر يتحادر فمطروا يومنا ذلك، ومن الغد وبعد الغد، والذي يليه، حتى الجمعة الأخرى. وقام أعرابي غيره، فاشتكى الضرر بكثرة الأمطار. وقال: ادع الله تعالى أن يرفعه عنهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم حوالينا ولا علينا». فانقطع المطر، فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجوبة. (صحيح البخاري، رقم:٩٣٣)

(٢) حدَّث مخرمة بن نوفل عن أمه رقية بنت أبي صيفي بن هاشم، وكانت لِدة عبد المطلب، قالت: تتابعت على قريش سنون، أقلحت الضرع، وأدقت العظم، فبينا أنا راقدة الهم -أو قالت: مهمومة- إذا هاتف يصرخ بصوت صحل، يقول: معشرَ قريش، إن هذا النبي المبعوث قد أظلتكم أيامه وهذا إبان نجومه...، قام عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام قد أيفع أو كرَبَ، فرفع يده فقال: اللهم سادّ الخلة، وكاشف الكُربة. الحديث. (المعجم الكبير للطبراني ٢٥٩/٢٤؛ قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه زحر بن حصين، قال الذهبي: لايعرف. مجمع الزوائد ٢٥٦/٤. وانظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٢٤٦/٢؛ دلائل النبوة للبيهقي ١٥/٢-١٩؛ الخصائص الكبرى ١٣٥/١؛ الروض الأنف ٢٨/٢ -٣٠؛ تاريخ مدينة دمشق ١٤٨/٥٧).

(٣)أصاب قريشا الجدبُ ذات مرة، فأخذ أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم إلى

الكعبة، وألصق جسده بها، ودعا، فبدأ المطر ينْزل، وزال الجدب.

قال جلهمة بن عرفطة: انتهيت إلى المسجد الحرام وإذا قريش عزين قد ارتفعت لهم ضوضاء يستسقون فقائل منهم يقول: اعمدوا اللات والعزى، وقائل منهم يقول: اعمدوا لمناة الثالثة الأخرى. فقال شيخ منهم وسيم قسيم الوجه جيد الرأي: أنى تؤفكون وفيكم باقية إبراهيم وسلالة إسماعيل. قالوا له: كأنك عنيت أبا طالب. قال: إنها. فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج إلينا رجل حسن الوجه مصفر، عليه إزار، قد اتشح به، فثاروا إليه فقالوا له: يا أبا طالب قد أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق. فقال: دونكم زوال الشمس وهبوب الريح فلما زاغت الشمس أو كادت خرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ بإصبع الغلام وبصبصت الأغيلمة حوله، وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من ههنا وأغدق واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي. (الخصائص الكبرى١/٢٠٥؛ السيرة الحلبية ١/١٦٩؛ تاريخ الإسلام للذهبي ١/٥٠١)

(٤) وكم مرة جاء الناس من ظاهر المدينة المنورة وطلبوا منه أن يستسقي، ونزل المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم. وذات مرة جاءت هوازن تطلب منه الاستسقاء، وجاء رجل من مضر وطلب منه أن يستسقي، ونحو ذلك.

عن جابر بن عبد الله قال: « أتت النبي صلى الله عليه وسلم بواكي، فقال: اللهم اسقنا غيثا مغيثا مرئيا مريعا نافعا غير ضار، عاجلا غير آجل. قال: فأطبقت عليهم السماء». (سنن أبي داود، رقم: ١١٦٩)

(٥) وذات مرة دعا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «اللهم ارزقنا سمنا ولبنا وشحما ولحما». فنَزل المطر، وكثرت هذه الأشياء لا يكاد من يشتريها.(المعجم الكبير للطبراني ٨/٢٠٣؛ دلائل النبوة للبيهقي ٦/١٤٥؛ الخصائص الكبرى٢/٢٤٣)

(٦) اشتكى الناس الجدب، فخرج إلى المصلى ودعا الله تعالى فنَزل المطر، و لم يكد يعود إلى بيته حتى سالت الأودية. وهذا حديث مشهور أخرجه عدد من كتب الحديث.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «شكى الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوما يخرجون فيه، فخرج رسول

الله صلى الله عليه وسلم حين بدأ حاجب الشمس، فقعد على المنبر، فكبر صلى الله عليه وسلم وحمد الله عز وجل...، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول».(سنن أبي داود، رقم:١١٧٣)

سردنا هذه القصص في الاستسقاء على سبيل المثال، وثمة كثير من القصص لنُزول المطر في السفر حين أصاب الناس العطش، أوقلة الماء، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم لهم.

أي قصة أريدت في البيت ؟

(١) قيل: المراد بها سنة معينة. والمقصود في البيت الإشارة إلى قصة واحدة، تفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم استسقى على المنبر، وتواصل نزول المطر أسبوعا كاملا، و لم يثبت نزول المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم إلا مرة واحدة. فلا يصح عطف (أحيت السنة) على (أبرأت) الداخلة تحت (كم).

(٢) ليس المراد به قصة أو سنة بعينها، وأما القول بأنه لم يقع نزول المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم إلا مرة واحدة، فلايصح، فإنه وقع كثيرا. كما لا يخفى. فيصح عطف (فأحيت السنة الشهباء) على البيت السابق؛ فقد جاء الإحياء غير مرة بدعائه صلى الله عليه وسلم.

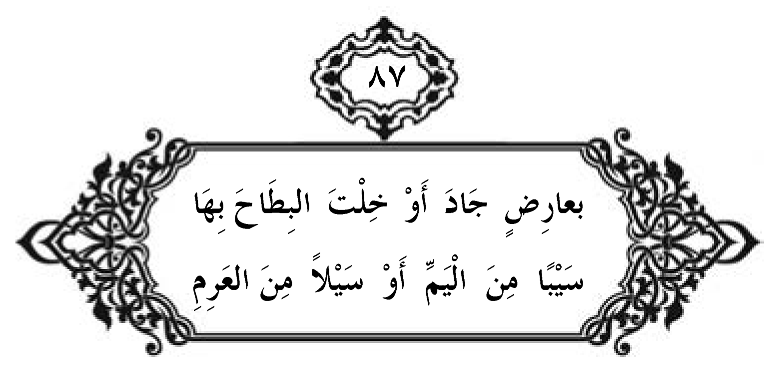
البلاغة:

أحيت دعوته: مجاز عقلي. إسناد الشيء إلى السبب. فكان دعاؤه سببا لنُزول المطر. وكان المطر سببًا لإحياء الأرض.

أحيتِ السنةَ: استعارة. إنبات النبات: مشبه. إحياء: مشبه به. وجه الشبه: الانتفاع. ذكر المشبه به، فكانت الاستعارة تصريحية. اشتق (أحيت) من (الإحياء) فكانت تبعية.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

بعارض: سبق تحقيقه في البيت رقم:٨.

عارض: السحاب المعترض في الأفق، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ (الأحقاف: ٢٤)

عرضَ (ض) عَرْضًا وعُروضا: ظهر. وسمي السحاب عارضا؛ لأنه يظهر حينا بعد حينا ولا يدوم.

جاد: جاد (ن) الشيءُ جَودة: صار جيدا. جاد الفرس: صار جوادا.

جاد فلان جُودا: سخا. جاد بنفسه جَودا: بذل نفسه.

جاد (ن) جَودا: نزل المطر غزيرا. وهو المراد في البيت. الجَود: المطر الغزير.

سبق في البيت السابق ضمن ذكر المعجزات: «إلا حدَّث بالجَود»، أي أخبر كل قادم بكثرة المطر.

خِلتَ: سبق تحقيقه.

خال (س) خَيلا: (١) زها. (٢) تفطن. أدرك بدهائه.

خلا الشيءَ خيلا وخيلانا: ظن، وفطن.

ويشتق منه (أخال/ إخال) بفتح الخاء وكسرها للمتكلم، والكسر أفصح. والفتح قياس.

روي أن رجلا سرق، فأتي النبيُّ صلى الله عليه وسلم به، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما إخالك سَرقتَ». ثم دعا له. (سنن ابن ماجه، رقم:٢٥٩٧)

و أكثر المشتقات من (خيل) توجد في اللغة العربية. (راجع: تاج العروس، و ورد كثير من مشتقاته في القرآن الكريم أيضًا)

البطاح: بطح (ق) بَطْحًا: بسطه، ومده، وسقط على وجهه. بَطَّحَ: مهد الأرض.

الأبطح: المسيل الواسع للماء. ج: أباطح.

البطحاء: الوادي الواسع، ج: بطاح.

سَيبًا: ساب (ض) سَيبا وسَيبانا: (١) سيلان الماء في كل جانب. (٢) توجه حيث شاء.

سَيَّب: أطلقه، وتركه يذهب.

السائبة: (١) الناقةُ – إذا وَلَدتْ عشرةَ أَبْطُن كلُّهن إناثٌ– سُيِّبتْ فلم تُركَبْ و لم يجز وبرها، وَلم يَشرب لَبَنَهَا الضيف.

(٢) ناقة ولدت سبعة أبطن، وكانت السابعة ذكرا، فيذبحونها ولا يأكلها إلا الرجال.

(٣) إذا قضى الرجل حاجته، وشفي المريض، ترك للأصنام. (تفسير ابن كثير٢/١٢٢)

ج: سوائب، وسُيَّب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ (المائدة: ١٠٣)

السِّيب: بكسر السين: مسيل الماء.

السَّيب: بفتح السين: (١) مصدر ساب، بمعنى السيلان/ الجريان. (٢) كل ما سيب وخلي، (٣) العطية. (٤) المعدن. ونحوها.

اليَمّ: يمَّ يَمًّا: ألقاه في البحر. يَمَّمَ: قصد. والتيمم يقصد به الطهارة بالتراب.

اليم: (١) البحر، والنهر العذب يطلق عليهما البحر. وسمي البحر يما؛ لأن الناس يقصدونه للنُّزهة وركوب السفينة. (٢) الحمام الوحشي.

سيلا: سال (ض) سَيلا وسَيلانا ومَسيلا: (١)جرى. (٢)تدفق. (٣)ذاب. وله معان عدة غيرها.

سالت عليه الخيلُ: اندفعت عليه الخيل من كل صوب وحدب.

والسائل (في الكيمياء) حالَة من حالات الْمَادَّة الثَّلاث وسط بَين الصلابة والغازية.

(الحاصل: الشيء الجاري).

السيل: مقدار كبير جارٍ من الماء. ج: سيول.

العرم: عَرُم (ن) فلان عَرمًا: صلب، واشتد. وسمي السد (Dam) عرِما؛ لأنه يحتاج إلى الإتقان بشدة، وليس يسيرا منع الماء.

عرِمَ (س) عَرَمًا: الخليط من اللون الأبيض والأسود. عَرُمَ (ك) عرامةَ: كان فظا غليظا.

عارَمَ: نازع، وجادل. العَرِمة: (١) سد الوادي. (٢) المطر الغزير، ج: عَرِمٌ.

العَرِم (١) مطر غزير لا يطاق. (٢) الفار الوحشي، تسبب في سيلان العرم. وله معانٍ أخرى.

وما المراد بالعرم في القرآن الكريم، سيأتي بيانه لاحقا.

الإعراب:

بعارض جاد:

بعارض: يتعلق بالشطر الأول أو الثاني. والمعنى: (١) وأحيت السنةَ الشهباءَ دعوتُه بعارض. (٢) حكت غُرة في الأعصر الدُهُم بعارض.

جاد: فعل. فاعله ضمير (هو) يعود على (عارض). وهو صفة (عارض).

أو خلت: أي (١) إلى أن خلت.(٢) بمعنى الواو: وخلت. (٣) وقد تأتي (أو) بمعنى حتى/ إلى أن.

وفي المثال المشهور: «لألزمنك أو تعطيني حقي». قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٢٨)

خِلتَ البطاحَ بها:

خِلتَ: فعل. فاعله: أنت، أيها المخاطب، البطاحَ: مفعول أول. سيبا: مفعول ثانٍ.

سيبا: موصوف. من اليم: الجار والمجرور صفته، متعلق بمحذوف. تقديره: سيبا كائنا من اليم.

سيلا كائنا من العرم: يعرَب نفس الإعراب.

بها: (١) الضمير يعود على ''عارض''بمعنى السحابة ،مؤنث.(٢) المراد بدعوته.

والضمير يعود على (دعوته). والظرف متعلق ب(خلت).

وفي بعض النسخ: سيب من اليم أو سيلٌ: بالرفع.

وإعرابه: خلت: فعل. البطاح: مفعول أول. و يقدر (هو) مبتدأ.

سيب كائن من اليم أو سيل كائن من العرم: خبر، قامت هذه الجملة مقام المفعول الثاني لـــ (خلت). والفعل مع فاعله ومفعوليه جملة فعلية خبرية.

الشرح:

انتشر الرغد والبركة بفضل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم. ولكن كيف؟ هذا ما شرحه في البيت.

بعارض: انتشرت الخضرة في كل مكان بالمطر.

معنى البيت: نزل المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم،وانتشرت الخضرة انتشارا يبدو معه أن البحر قد سال أو أوغل سيل العرم في المساكن بعد أن هدم السدود. كما يحصل عند انقضاض السد.

وسبق ذكر بعض الروايات في البيت السابق فيما يخص البركات التي انتشرت بسبب المطر، و النعيم الذي عم المناطق.

سيبا من اليم أو سيلا من العرم:

السيب: كل ما سيب وخلي فساب.

السيل: ماء المطر إذا جرى مسرعا فوق سطح الأرض. ج: سيول.

والسيل يجري بقوة على وجه الأرض، والسيب: هو التخلية، ويجري ماء البحر على الأرض، فيطلق عليه السيب. وماء السد يأتي من مكان عالٍ على الأرض، فيطلق عليه السيل.

فبِمَ نسمي كثرة الأمطار هذه في المدينة ؟ (١) أو للاختيار. أي لك الخيار أن تشبه كثرة الماء هذه بجريان البحر أو سيل العرم (Dam).

(٢) أو للتشكيك: فيظن الرائي حينا أن كثرة المياه هذه لأجل جريان البحر، وقد يظن أنه بسبب السيل الناتج عن انقضاض السد.

سيلا من العرم:

حال قوم سبإ:

والبيت يشير إلى ما نزل بقوم سبإ، ونسب سبإ فيما يلي:

سبا بن يشحب بن يعرف بن قطحان بن عامر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام. واختلفوا في النسب فيما بعد قطحان.

لا ينصرف (سبإ) في قراءة ابن كثير وأبي عمرو، للعلمية والتأنيث.

وفي الحديث: قال رجل: يار سول الله، سبأ ما هو أرض أم امرأة؟ فقال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن ستة وتشاءم أربعة.(سنن أبي داود، رقم:٣٩٨٨)

وقصتهم بإيجاز أن الله تعالى فتح عليهم أبواب الرزق، وهيأ في مدينتهم أسباب الراحة والنعيم كلها، ثم أرسل إليهم الأنبياء وأمرهم أن يشكروا نعم الله تعالى بتوحيده وطاعته، فكانوا على ذلك مدة من الزمان، ثم أكبوا على الدعة والعيش الرغيد، وغفلوا بل كفروا. فأرسل الله تعالى إليهم—تنبيها لهم– ١٣/نبيا من الأنبياء عليهم السلام، الذين حاولوا العودة بهم إلى الصراط المستقيم، ولم يرعوِ هؤلاء عن غفلتهم وسكرتهم، فأرسل الله تعالى عليهم عذابا من السيل، الذي أتى على الأخضر واليابس ودمّر ديارهم وبساتينهم.

عرم: له عدة معانٍ:

وللعرم معانٍ فُسِّرت الآية بالنظر إليها، منها:

(١) سيل العرم (Dam)، والإضافة في (سيل العرم) لأجل أن السيل نتج عن انقضاض السد.

(٢) العرم: اسم الوادي، الذي كان فيه هذه المدينة، وأضيف السيل إلى الوادي؛ لأنه حصل فيه.

(٣) العرم: المطر ذو العاصفة الشديدة، فسيل العرم: سيل المطر الشديد.

(٤) سيل العرم: أي سيل الفئران، فإن الفئران تسببت ظاهرا في هذا السيل، فأضيف إليها.

(٥) العرم: الشدة. فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة. سيل العرم: أي السيل

الشديد.

والمناسب للسياق القرآني هو العرم بمعنى السد، الذي أنشئ لحبس الماء.

وأراد الله تعالى أن يهلك هؤلاء القوم بهدم هذا السد، سلط على السد الفئران، ضعَّفته من أسفله، فلما جاء المطر والسيل، خرب أصله المنهار ونقبه، وأخيرا انتشر الماء المجتمع في الوادي الذي فيه المدينة، فتخربت بيوتها وأشجارها، وغرق أهلها كلهم. (مستفاد من معارف القرآن المجلد السابع مع زيادات؛ روح المعاني٢٢/١٢٦؛ الدر المنثور٩/٦٩١).

البلاغة:

جاد: احتراس/ تكميل.

الاحتراس: هو أن يؤتى في كلام يوهم الخلاف بما يدفعه.

العارض (السحاب) قد يكون ضارا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (الأحقاف: ٢٤)، فجاء بكلمة (جاد) فأشار إلى أنه سحاب نافع مبارك.

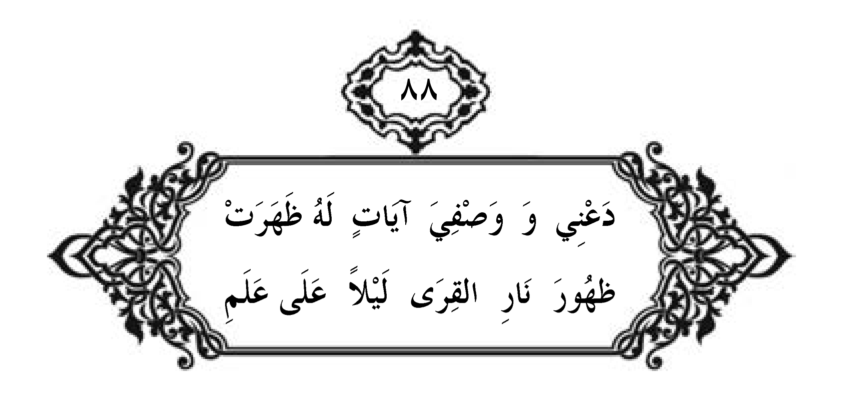
انتهى الفصل الخامس، ولله الحمد.

****


اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

الفصل السادس
في ذكر شرف القرآن





اللغة:

دعني: أي اتركني. سبق تحقيقه في البيت رقم: ٤٣.

وصفي: وصف الشيءَ (ض) وصفا وصِفة: ذكر حال الشيء وكيفيته.

وصف: الثناء، والذم، وذكر الكيفية مطلقا، يطلق على المعاني الثلاثة. ويحدد المعنى بالنظر إلى السياق.

وصَفَ (ض) وصفا ووصوفا: أَجَاد صغير الفرس أو الناقة ونحوها السّير.

وصفَ الثوبُ: أبرز هيئة الجسد. وصُفَ (ك) يَوصف وَصافةً: صلح للخدمة. وصيف: الخادم. بيع المواصفة: وَهُوَ أَن يَبِيع مَا لَيْسَ عِنْده ثمَّ يبتاعه فيدفعه إِلى الْمُشْتَرِي.

آيات: (١) المعجزات. (٢) الآيات القرآنية. والآية: قطعة من القرآن لها ابتداء وانتهاء.

ظهرت: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٤٩.

نار: سبق تحقيقه في البيت رقم:٦٢.

القرى: سبق تحقيقه في البيت رقم:١٤.

قرَى (ض) قِرىً: ضافه. قرَى (ض) قَريا وقرَى: جمع.

ليلا: مقابل النهار. واحده: ليلة. ج: ليالي.

ألال القوم/ أليلوا: دخل عليهم الليل في مكان.

ملايلة/ وليالا: حاسبه على الليل، نحو: المشاهرة والمياومة والمعاومة.

الليل شرعا: الوقت ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر. ولغة: إلى طلوع الشمس.

الأليل: ليل مظلم للغاية.

أبو العلاء المعري له قصيدة فاتحتها:

يا من يرى مد البعوض جناحها ۞ في ظلمة الليل البهيم الأليل

(البداية والنهاية ١٢/٩٤، في وقائع سنة ٤٤٩)

ليلى: (١) الليل الأسود. (٢) قد يراد بها الحبيبة السوداء.

قال الشاعر يعقوب بن إسماعيل أبو المعافي (ت:١٨٠هـــ):

فجئني بمثل المسك أطيب راحة ۞ وجئني بمثل الليل أطيب مرقدا

(تنوير الغبش في فضل السودان والحبش لابن الجوزي ١/٣٣٩)

الإعراب:

دعني و وصفي:

د ع: فعل. (أيها المخاطب أنت: فاعل)، والنون للوقاية، والياء مفعول به.

ووصفي: الواو بمعنى مع. أي: اتركني مع بيان الآيات المعجزات الواضحات.

وصفي: إضافة المصدر إلى الفاعل.

آيات: مفعول به لـــ(وصف).

له: (١) صفة (آيات): آيات (كائنة) له. (٢) متعلق بـــ(ظهرت)، آيات ظهرت له. (٣) متعلق بـــ(وصفي)، وصفي له.

ظهرت...الخ: صفة (آيات). ظهرت: فعل. (هي) فاعل. يعود على (آيات). ظهورَ: مفعول مطلق (مضاف). نار القِرى: مضاف ومضاف إليه، مضاف إليه لما قبله. ليلا: ظرف زمان، مفعول فيه لـــ(ظهور). على علم: جار ومجرور متعلق بـــ(ظهور). والفعل مع فاعله ومفعوله المطلق والمفعول فيه جملة خبرية، صفة ثانية لـــــ(آيات). وصفته الأولى (له). كما مر. آيات: موصوف مع صفتيه مفعول به لـــ(وصفي)...الخ. والجملة بكاملها مفعول معه لـــ (د ع). والفعل مع فاعله والمفعول المطلق(ني) والمفعول معه (وصفي ...إلخ) جملة فعلية خبرية.

الشرح:

دعني ووصفي:

(١) لايسع الشاعر/ المادح أن يحيط بكمال وفضل النبي صلى الله عليه وسلم مهما بالغ في الاجتهاد.

وبما أن الإحاطة مستحيلة فأكتفي بذكر بعض المعجزات الهامة.

فتعرض في هذا الفصل لمعجزة القرآن الكريم، وفي الفصل التالي لمعجزة المعراج.

(٢) قال المخاطب بعد سماع هذه المعجزات والفضائل الكثيرة: لقد فصَّلت كثيرا، هلا اختصرت. فقال: اتركني، لا تقل: أوجز، فإني لا أوجز؛ بل أطنب في ذكر الحبيب صلى الله عليه وسلم؛ فإن ذكر الحبيب كالزبيب، ولا يشبع منه اللبيب.

ما المراد بالآيات؟

(١) الآيات القرآنية: لأنه سيأتي بعد ثلاثة أبيات قوله: (آيات صدق)، وهو بدل من (آيات) المذكور في هذا البيت. وهذا الفصل يتحدث عن الفضائل والخصائص.

(٢) الظاهر أن الآيات عامة. والمراد بها: العلامات الواضحات الدالات على نبوته صلى الله عليه وسلم؛ فإنه سيأتي في الفصل التالي ذكر الإسراء والمعراج.

ظهرت: (١) وصف لازم؛ لأن معجزته صلى الله عليه وسلم هذه ظاهرة، فليس قيدا احترازيا.

(٢) ظهرت المعجزات كلها، إلا أن بعض المعجزات اشتهرت بصفة خاصة كثيرا. فالمعجزات التي تتضمن الإظهار والإبراز شبه ظهورها بنار القرى.

معجزاته صلى الله عليه وسلم بعضها فوق بعض:

سبقت الإشارة إلى أن معجزاته صلى الله عليه وسلم ليست كلها متساوية؛ بل بعضها فوق بعض وأشهر من بعض. فمعجزة القرآن الكريم ومعجزة المعراج أشهر وأبين. فذكرهما بالتفصيل فيما يأتي.

نار القرى:

لا تبدو معالم القرى في صحراء العرب الواسعة إلى مسافات شاسعة، وتزداد صعوبة

معرفة معالمها وآثارها. فكان الناس يشعلون النار على جبل قريب من بيوتهم تيسيرا على هؤلاء المسافرين القادمين نحوهم، فيهتدون بها وينْزلون عليهم، ثم يأخذون ما احتاجوا إليه من الطعام والشراب والحاجات الأخرى ويتجاوزونها.

وربما نزلوا يومين أو ثلاثة ثم واصلوا سفرهم. وهذا ما يطلق عليه «نار القرى».

واشتهرت نار القرى عند شعراء العرب كثيرا، طالما ورد ذكرها في أبياتهم وأشعارهم.

قال الشاعر:

و ناراه: نار زادُ كل مُدقَّع ۞ و أخرى يصيب المجرمين سعيرها

(الأوائل للعسكري، ص ٧)

وقال الحطيئة:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ۞ تجِد خير نارٍ عندها خير موقد

(الأوائل للعسكري، ص ٤١)

وقال الأعشى:

لعَمري لقد لاحت عيون كثيرة ۞ إلى ضوء نار في يَفاع تحرَّقُ

وقد يكنى بنار القرى عن الجود والسخاء.

أقسام عدة للنار:

وردت عدة أقسام للنار عند العرب، قيل: هي: ١٢، وقيل:١٤. وقيل: أكثر من ذلك. (للاستزادة منه راجع: الأوائل للعسكري ٦٠٨/١؛ خزانة الأدب ١٣٥/٧؛ نهاية الأرب في فنون الأدب ١٠٢/١-١٠٦؛ ثمار القلوب للثعالبي ٥٧١/١- ٥٨٣)

على علَم:

يريد ظهور هذه النار ظهورا تاما، فوضعوها على الجبل، ليراها المسافرون من الأماكن البعيدة، ويصلوا إليها. ولذا يشبه شدة ظهور الأمر بالنار.

قالت الخنساء:

و إن صخرا لتأتم الهداةُ به ۞ كأنه علَم في رأسه نار

ليلا: لأن النار تستنير في الليل استنارة كاملة.

لله در العلامة البوصيري إذ شبه ظهور معجزة القرآن الكريم تشبيها بليغا، كما أن المسافر يهتدي بالنار الموقدة في الصحراء المظلمة المخيفة، كذلك القرآن الكريم يمثل في صحراء الضلالة والجهل مصباحا منيرا، يهدي ضوؤه الإنسانية إلى الحق.

ألا ترى، أنه بدأ بيان هذا المعنى بذكر نار القرى التي يضرب بها المثل في الظهور والوضوح، ثم أكده بـــ(ليلا)، وأكده ثانيا بـــ(على علم)، فالمعنى أن ظهور القرآن الكريم ووضوحه على ذروته.

البلاغة:

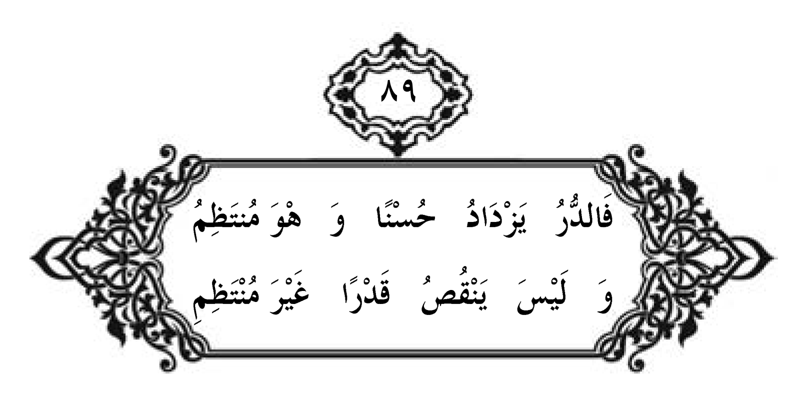
التشبيه بليغ.

المشبه: ظهور المعجزات. والمشبه به: ظهور نار الضيافة على جبل. وجه الشبه: الظهور.

حذف وجه التشبيه وأداته. فهو تشبيه بليغ.

انتهى، ولله الحمد.

****



المعنى: معجزاته صلى الله عليه وسلم تتصف بالحسن والجمال سواء ذكرت نظما أو ذكرت نثرا، إلا أن نظمها يزيد حسنا وجمالا.

اللغة:

فالدر: الدرة: ج: دُرر. اللؤلؤ المستخرج من الصدف. فاللؤلؤ الكبير الرائع يطلق عليه «الدر».

دُرّ: جنس، يعم الواحد والجمع. قَالَ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ (النور: ٣٥)

دَرَّ (ن،ض) دَرًّا: كثر سيلان الحليب. ويطلق على النمو والزيادة بأساليب أخرى.

دَرَّ النباتُ: اخضر. دَرَّ جسمه: برئ بعد علة. درَّ الفرسُ: أسرع الجري. دَرَّ وجهه (س) دَرَرًا: صحّ بعد علة. درَّ الفرس: عدا عدوا شديدا. أدَرَّ: كثر لبنه.

الدَرُّ: (١) اللَّبن. (٢) الفيض والشيء الكثير. (٣) الكمال. (٤)حيوان ذو لبن.

وفي الحديث: «ويشرب لبن الدر إذا كان مرهونا».(صحيح البخاري، رقم:٢٥١١)

وَيُقَال في التعجب: لله دره. ومعناه اللغوي: خيره الكثير لله تعالى، وهو دعاء. أي أعطاه الله خيرا كثيرا، ما أحسن ما عمل.

والدر في الأصل هو اللبن، وفي اللبن خير كثير. كما في الحديث. والعرب يعدونه خيرا كثيرا.

وفي الحديث: «من سقاه الله لبَنا، فليقل: «اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس شيء يجزي مكان الطعام والشراب

غير اللبن». (سنن الترمذي، رقم:٣٤٥٥)

فعلم أن اللبن فيه خير كثير. ولذا يطلق في الدعاء: لله دره.

يزداد: زاد (ض) زيدًا وزِيادةً، ومصدره زيدان أيضًا. ويسمي البعض بـــ زيدان. ومعناه أيضا النمو والرقي. (١) النمو، والإضافة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (الصافات: ١٤٧) (٢) متعديا: جعله يزيد. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤)

زيَّدَ (١) قاصر: زاد. (٢) متعدٍ: زاده.

تزيد/ ازداد: بمعنى زاد. وهو يدل على أن الأصل موجود مسبقا، ثم طرأ عليه الزيادة. كما أن الصفات والكمالات تتضمن الحسن.

الزايد: (١) الكثير الوافر. (٢) ما زيد فيه. وفي الحديث: «يأكل من زائدة كبدها سبعون ألفا». (صحيح البخاري، رقم:٦٥٢٠). أي يأكل من الجزء الزائد على طرف كبد السمك آلاف من الناس.

منتظم: نظَم (ض) نظْمًا: ضمه، ورتبه. نظمَ اللؤلؤَ: جمعه في سلك. نظم شعرا: أعد كلاما موزونا. (جمع الكلمات في الشعر)، نظَّمَ الأشياءَ: رتبها. انتظم: انضم، واتصل، واجتمع.

ينقص: نقص الشيءُ (ن) نَقْصًا، ونُقصانا: (١) قلَّ. (٢) دنؤَ.

يطلق (نقص) قاصرا ومتعديا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ (الأعراف: ١٣٠)

،وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ (الأنبياء: ٤٤)

نقص حقَّه: بخسه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ (هود: ٨٤)

قدرا: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٤٤، والبيت رقم:٤٦.

قدر: منْزلة.

الإعراب:

الدر: مبتدأ. يزداد: فعل، ضميره فاعل مميز. حسنا: تمييز. وهذا كله خبر.

وهو منتظم: الواو حالية. و(منتظم) مع فاعله خبر. وهي جملة حالية، صاحبها

ضمير (يزداد).

وليس ينقص حسنا: اسم ليس الضمير المستكن فيها. ينقص: فعل، فاعله ضمير مميز. قدرا: تمييز له. والفعل مع فاعله وتمييزه خبر (ليس). وهي جملة فعلية.

وهو غير منتظم: الواو حالية، و(هو)مبتدأ، غير منتظم: خبره، والجملة حالية.

حسنا و قدرا: تمييزان محولان عن الفاعل. والتقدير: يزداد حسنه، ينقص قدره.

الشرح:

معنى الشعر ببساطة:

(١) أن مدح النبي صلى الله عليه وسلم والثناء عليه إذا كان نثرا فخير، وإن مدحه مادح في الشعر، فما أحسنه.

فالحاصل: معجزاته وخصائصه تزداد حسنا إذا كانت في شعر/نظم، ولا ينقص حسنها إذا كانت في غير شعر.

وذلك مثل العروس التي تبدو حسنة ولو لم تلبس الجميل من اللباس، فإن كانت عليها لباس جميل حسن فهو نور على نور.

أو كالدرر إذا كانت منثورة كانت جميلة، فإن نظمت في سلك فلا تسأل عن حسنها.

(٢) والآيات القرآنية جميلة رائعة وإن لم تكن منظومة. (لا يغيبن عن البال أن هذا الباب باب عظمة القرآن الكريم، فحمل على هذا المعنى).

وعبر عنه الشراح بأنه رد على سؤال.

ويحتمل وجهين:

(١) هذه الصفات والمعجزات إذا كانت بلغت من الوضوح مبلغا كبيرا حتى وصفتها بـــ(نار القرى)، فما فائدة بيانها وشرحها ؟

الجواب: إن ما يتصف به النبي صلى الله عليه وسلم من الكمالات العالية والمعجزات جميلة رائعة في موضعها، غير أن ما يمتاز به بياني أني قمت بنظم هذه المواد في سلك جميل؛ لأن هذه الأمور إذا سيقت نظمًا في ضوء علوم البلاغة وفنونها ازدادت رونقا وجمالا. ولا يغيبن عن البال أن هذه الأمور يبقى على حسنها الأصيل ولو لم تذكر في

النظم أي: (ليس ينقص)؛ لأن الشرف والحسن صفتان من صفاته الذاتية، التي لا تنفكان عنه أبدا، فإذا سيقت نظما ازدادت حسنا على حسن وكانت نورا على نور.

ألا ترى أن كلمة (يزداد) تشير إلى أنّ حسنها الأصيل تستمر دائما.

شرح الناظم هذا المعني بمثال حسي، فقال:

الدرر جميلة إذا كانت منتشرة، فإذا تم نظمها في سلك، وترتيبها ترتيبا حسنا ازدادت حسنا ورونقا.

(٢) والوجه الثاني أنه لا ينبغي منع من يحسن الكلام والشرح من الكلام؛ بل يجب الإصغاء له. فها أنا أحكي صفات النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته بأسلوب حسن، فكلامي يستحق الإصغاء والإنصات.

وما أكثر القصص والأمثلة في كتب البلاغة والأدب (وليس هذا محل ذكرها) على أن بعض الناس ساق معنى من المعاني نثرا، وتلاه مَن نظمه نظما، فازداد المعنى حسنا وجمالا.

ولنضرب مثالا على ذلك: «حسنوا القرآن بأصواتكم؛ فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا».(سنن الدارمي، رقم:٣٥٤٤)

حسن القرآن الكريم وزينته من صفاته الذاتية، إلا أنه يزداد حسنا وجمالا إذا جوَّده مجوِّد بصوت حسن. ولا ينقصه حسنا ألا يحسنه أحد بصوته.

فوائد نظم معنى من المعاني:

(١) النظم لباس فاخر.

(٢) في الشعر حكمة.

(٣) يتيسر حفظه.

(٤) الشعر يبعث في النفس السرور والبهجة.

البلاغة:

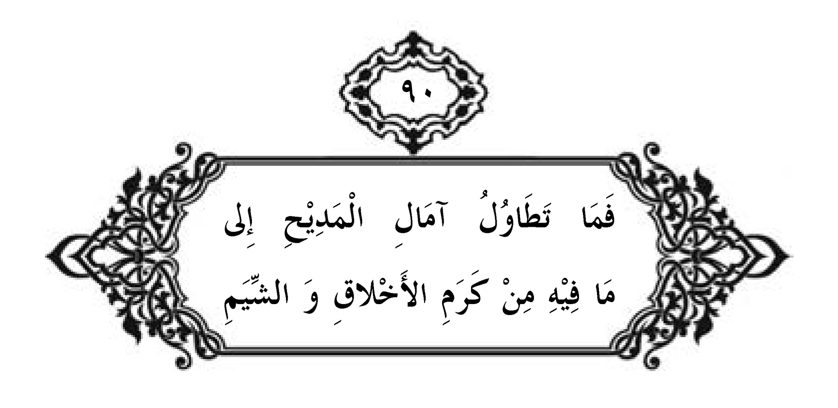
(١) في البيت تشبيه ضمني. والتشبيه الضمني: أن يخرج المشبه والمشبه به عن مسار التشبيه العام؛ وإنما يشار إليه إشارة، ويدل المعنى على أنه تشبيه. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا يَغْتَب

بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات: ١٢)

ويدل معنى البيت على أن المشبه هو صفات النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته. والمشبه به: الدرر المنظومة في سلك.

(٢) في قوله: ليس ينقص: احتراس. فإن قوله : «يزداد» يوهم أن النظم يزيد الحسنَ. إذاً ينقص إذا لم يتم نظمه. فدفعه بقوله: «وليس ينقص قدرا».

****



اللغة:

تطاول: طالَ (ن) طَولا: امتد. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ (الحديد: ١٦)

طال عليه طَولا: تلطف به، قَالَ تَعَالَى: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ (غافر: ٣)

طُوال: الطويل أو كثير التلطف الذي لا يُغالب.

طَوِلَ (س) طَولا البعير: طَالَتْ شفته الْعليا عَن السُّفْلى. أطال: طال. أطال الشيءَ: جعله يطول. أطال عليه: تكرم عليه. طاول فلانا في الدَّين: ماطل في أدائه.

تطاوَل: (١) طال، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ (القصص: ٤٥)

(٢) مد عُنُقه ليراه. ويطلق (تطاول) مجازا على السعي لما لا ليس في الوسع.

(٣) الفخر، وفي حديث جبريل: «وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان». (صحيح مسلم، رقم ٨)

(٤) المن على أحد.

الطَول: (١) سعة المال. والمهر. قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ (التوبة: ٨٦)

وقال تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ (النساء: ٢٥)

الطُّول: الامتداد (مقابل القصر والعرض).

آمال: أَمَلَ (ن) أمْلا، وأَمَلا، وإملا: رجا. فهو آمل. ج: أملة. أمَّلَ تأميلا: أَمَلَ، وجعله يأمل. تأَمَّلَ الشيءَ وفيه: فكر فيه، أعاد النظر فيه. الأمل: الرجا، تمني ما يتعذر حصوله. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ (الحجر: ٣)

المأمِل: الرجاء. ج: مآمل.

المديح: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٤٣.

مَدَحَ (ف) أثنى عليه. المديح: (١) المادحين. (٢) الكلام الممدوح.

كرم: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٣٨، ٥٢.

أخلاق: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٣٨، ١٥.

الشِيَم: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٦٦.

شام (ض) شَيما: ظهر بجلده الشامة. شام الشيءَ: قدره. الشيمة: العادة والطبيعة. ج: شِيَم.

الإعراب:

روي البيت على أوجه عدة:

(١) فما تطاولَ آمال المديح:

ما: نافية. تطاول: فعل. آمال: فاعل مضاف. المديح: مضاف إليه. إلى ما (كان) فيه: متعلق بـــ(تطاول). (من كرم) مِن بيان لـــ(ما). كرم الأخلاق: من إضافة الصفة إلى الموصوف: الأخلاق الكريمة.

كرم الشيم: الشيم الكريمة.

ومعنى البيت على هذا التقدير: لا يسع القصيدة المدحية أن تحيط بما يتصف به النبي صلى الله عليه وسلم من النعوت العالية.

(٢) فما تطاولُ آمالِ المديح:

ما: استفهامية بمعنى كيف خبر مقدم. تطاولُ: مبتدأ مؤخر. آمال المديح: المضاف مع المضاف مضاف إليه. (إلى ما): جار ومجرور متعلق بـــ(تطاول). ما: موصولة: فيه: جار ومجرورمتعلق بصلة (ما) المحذوفة. إلى ما (استقر/كان) فيه من كرم...

من كرم الأخلاق: جار ومجرور متعلق بـــ(كان فيه/ استقر فيه). و(ما) مع صلتها وجملتها متعلق بـــ(تطاول). والمبتدأ مع خبره جملة اسمية.

ومعنى البيت على هذا التقدير:

من العبث أن أحاول الإحاطة بنعوت النبي صلى الله عليه وسلم العالية بالقصيدة المدحية؛ لأني على علم بأنه يستحيل الإحاطة بالأوصاف الحميدة.

(٣) فما تطاولَ آمالي المديح:

(ما): نافية. تطاول: فعل. آمالي: فاعل. المديح: منصوب بنَزع الخافض، أي: في المديح.

ومعنى البيت على هذا التقدير:

لم أتمنَّ قط أن أحيط بمحاسن النبي صلى الله عليه وسلم كلها بالقصيدة المدحية؛ لأني على علمٍ بأني أعجز عنه.

الشرح:

قال فيما سبق: دَعني أذكر صفات النبي صلى الله عليه وسلم، فأوهم ذلك أنه يحيط بهذه القصيدة بكمالات النبي صلى الله عليه وسلم كلها. فرد على ذلك بهذا البيت.

(١) معنى البيت الأيسر: نتمنى أن نحيط بالقصيدة المدحية بمحاسن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن هيهات ذلك؛ لأن صفاته العالية أكثر من أن تحصى، فلا يسع قصيدتَنا أن تصل إليه.

(٢) حيث علِمَ أنه يستحيل الإحاطة بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم الحسنة وخصائله الطيبة، فلا أحاول أن أحيط بها بهذه القصيدة، نعم أذكر منها ما استطعت إليه سبيلا.

وهذا المعنى يمجُّه السياق.

وقيل: المعنى: ما أكثر أماني الذين يتصدون لذكر مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وخصائله الطيبة، فقد دأب عشاق الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبوه على نسج ما لا يحصى من القصائد في مدحه صلى الله عليه وسلم. وألف أصحاب السير الآلاف المؤلفة من الكتب، ورغم ذلك لم تقف أمانيهم عند حد؛ بل هي مرشحة للارتفاع والازدياد. وسيستمر ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مصداقا لقوله سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤)

كرم الأخلاق: الأخلاق الكريمة الكسبية.

الشيم: العادات الطيبة الوهبية.

ما نوع عطف (الشيم) على (الأخلاق)؟

(١) عطف الشيء على مرادفه، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (يوسف: ٨٦)، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ (البقرة: ١٥٧)، وقوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ (المائدة: ٤٨)

وفي الحديث: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهى». (سنن الترمذي، رقم:٢٢٨)

(٢) ليس من عطف الشيء على مرادفه؛ بل قوله: الشيم: احتراس. وذلك أن قوله: (الأخلاق) قد يوهم أن الأخلاق والخصائل الحسنة تقوم على التكلف، فدفعه بقوله: ليس من أخلاقه الحسنة ما هو قائم على التكلف؛ بل هو مطبوع عليها.

كرم الأخلاق: سبق بيان عدد من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم الحسنة في الفصل الثالث. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ (القلم: ٤)

لا يمكن الثناء كما كان حقه ۞ *بعد از خدا بزرگ تو ہی قصہ مختصر*

وفي الحديث: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس». (صحيح البخاري، رقم:٣٠٤٠)

سأل رجل عائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في بيته شيئا؟ قالت: «نعم، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته». (مسند أحمد، رقم:٢٥٣٤١)

وفي رواية: «كان بشرا من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه». (مسند أحمد، رقم:٢٦١٩٤).

وفي رواية: «ويعلف ناضحه، ويقمُّ البيت، ويعقل البعير، ويأكل مع الخادم، ويعجن معها، ويحمل بضاعته من السوق». (عيون الأثر٢/٤٠٢)

ولذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم الأخلاق شطرا من الدين.

قال عليه الصلاة والسلام: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائكم».(مسند أحمد، رقم: ١٠١٠٦)

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن أثقل شيء في ميزان المؤمن يوم القيامة خلُقٌ حسن».(مصنف عبد الرزاق، رقم:٢٠١٥٧)

وقال عليه الصلاة والسلام: «أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسَّن خلقه».(سنن أبي داود، رقم:٤٨٠٠)

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

البلاغة:

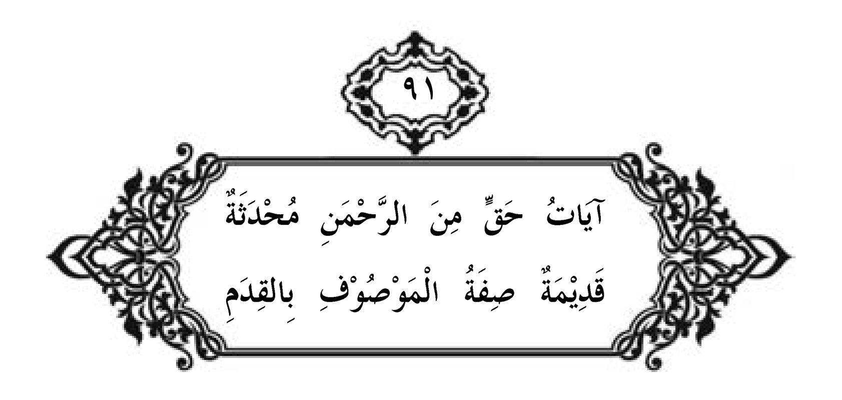
تطاول آمال المديح... استعارة مكنية.

المشبه: آمال. والمشبه به: رجل أوبعير يمد عنقه إلى شيء.

حذف المشبه به وأشير إليه بـــ (تطاول)، فالاستعارة مكنية.

تطاولَ: مشتق من (التطاول)، فهو استعارة تبعية.

****



اللغة:

الرحمن: رحِمَ (س) رَحمةً ورُحما ومَرحمةً: (١) أشفق عليه. (٢) عفا عنه.

رحِمتِ المرأة رَحَمًا: أصيبت بوجع الرحم.

ترحَّمَ عليه/ رَحَّمَ عليه: دعا له بالرحمة، وقال: رحمة الله. استرحمَ: طلب منه الرحمة.

الرحِمُ والرَحْمُ: (١) مَوضِع تكوين الْجَنين ووعاؤه في الْبَطن. (٢) القرابة، ج: أرحام.

الرحمن: مختص بالله تعالى. ولا يطلق على غيره سبحانه.

الفرق بين الرحمن والرحيم سيأتي بيانه. إن شاء الله.

مُحدَثة: حَدثَ (ن) حُدوثا وحَداثة: جدَّ. حدَثَ الأمرُ حدوثا: عرض ووقع.

أحدثَ الرجل: أصيب بالحدث، وزالت طهارته.

أحدث الشيءَ: اخترعه. وأوجده. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق: ١)

المحدِث: مخترع العلم والفن.

حدَّثَ: (١) بين. (٢) روى حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

الحديث: (١) الجديد. (٢) الكلام، والرواية والحكاية. (٣) كلام النبي صلى الله عليه وسلم. (٤) عند المحدثين: قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره.

قديمة: قدَمَ (ن) القومُ/ الشيءَ قَدْمًا، وقُدومًا: صار قُدّاما. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ

يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ (هود: ٩٨)

قدِمَ (س) على الأمر قُدومًا: تصدى له.

قدُمَ (ك) قِدَمًا وقَدَامةً: مضى على وجوده زمن طويل.

الإعراب:

آيات حق...:

(١) آيات حق: مبتدأ. (منْزلة) من الرحمن: خبر. (٢) (القرآن): مبتدأ محذوف. آيات حق: خبر. (٣) (من معجزاته): خبر مقدم. آيات حق: مبتدأ.

آياتِ حق: بنصب (آيات): عطف بيان على قوله: «دعني ووصفي آيات» في البيت السابق.

آيات حق: (١) من إضافة الموصوف إلى الصفة. والمعنى: آيات موصوفة بحق. ووصف الله تعالى في غير موضع، الآياتِ بـــ (حق): قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ (البقرة: ٩١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ (الرعد: ١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ (محمد: ٢)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ (الحج: ٥٤)

(٢) الحق: صفة لاسم الجلالة. والمعنى: آيات الله مَنزلة...

الحق: من أسماء الله تعالى الحسنى: «الشهيد، الحق، الوكيل...».(سنن الترمذي، رقم: ٣٥٠)

من الرحمن: جار ومجرور متعلق بمحذوف، تقديره: (منزلة)من الرحمن.

محدثة...:

(١) (منزلة) من الرحمن: خبر أول، محدثة: خبر ثانٍ. قديمة: خبر ثالث. صفة الموصوف بالقدم: خبر رابع.

(٢) من الرحمن: صفة أولى، أي: منزلة من الرحمن. محدثة: صفة ثانية. والموصوف بصفتيه: خبر لمبتدأ محذوف. قديمة: خبر. صفة الموصوف: مبتدأ مؤخر.

الشرح:

ذكر في البيت السابق أنه لا يسع الإحاطة بكمالات النبي صلى الله عليه وسلم

ومعجزاته، وإنما نذكر الأهم منها. فبدأ بذكر صفات القرآن الكريم:

(من معجزاته) آيات حق: سيتحدث في هذا البيت إلى أحد عشر بيتا تاليا عن صفات القرآن الكريم وخصائصه الظاهرة والباطنة إن شاء الله.

معنى البيت: أهم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم هو القرآن الكريم. آياته حق، منَزل من الله تعالى. فنُزوله حادث، فإن هذه الآيات لم تنْزل قبل النبي صلى الله عليه وسلم، غير أنها -الآيات- كلام الله تعالى. فهي قديمة بالنظر إلى الأصل؛ فإن المتكلم إذا كان قديما كان كلامه أيضا قديما. وعلى هذا لا منافاة في الجمع بين (محدثة) و(قديمة).

محدثة: نزل منجما. كما أن قراءتنا للقرآن حادثة، (حدثت القراءة بعد أن لم تكن).

تعريف الحادث: (١) ما له ابتداء وانتهاء. (٢) ما كان مسبوقا بالعدم.

وقد وصف القرآن نفسه بأنه حادث أو محدث. وهذا كله بالنظر إلى سبب النُّزول، وقراءته. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ (الشعراء: ٥)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ (الأنبياء: ٢)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ (يوسف: ١١١)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ (القلم: ٤٤)

وقال في الشطر الثاني: قديمة.

تعريف القديم:(١) ما ليس له ابتداء وانتهاء. (٢) غير مسبوق بالعدم. (أي لم يكن معدوما، بل كان من الأزل).

ووصف القرآن بالقدم باعتبار الكلام النفسي. أي الكلام القائم بذات الله تعالى قديم.

القرآن قديم أوحادث؟ :

تعرض الناظم هنا لحدوث القرآن وقدمه. وهي مسألة شائكة من مسائل علم الكلام.

تعريف القرآن الكريم: الكلام المنَزَّل من الله تعالى، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلا متواترا بلا شبهة.

يقول أهل السنة: القرآن يطلق على أربعة معانٍ:

(١) ما قام بذات الله تعالى من الصورة العلمية. والقرآن بهذا المعنى كلام نفسي وقديم.

(٢) المكتوب بين الدفتين: كما هو في الإطلاق العرفي. وهو بهذا المعنى حادث ومخلوق. فهذه الأوراق والحبر والسطور ونحوها لم تكن ثم كانت.

(٣) الألفاظ القرآنية: ما ننطق به، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ (الأحقاف: ٢٩)

(٤) الألفاظ القلبية: قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ (العنكبوت: ٤٩) فما في القلب من الألفاظ حادثة، لم تكن قبل، ثم كانت في القلب.

وتعددت المذاهب في الكلام النفسي والكلام اللفظي، أشهرها ما يلي:

(١) أهل السنة والجماعة: الكلام النفسي قديم. والكلام اللفظي حادث. ثم اختلفوا: فقالت الأشاعرة: يمكن سماع الكلام النفسي. وقالت الماتريدية: المسموع هو الكلام اللفظي، ولا يمكن سماع الكلام النفسي.

(٢) الحنابلة والسلفيون في العصر الحاضر: الكلام واحد. وكله قديم. فالحروف والأصوات والترتيب ونحوها قديمة. وذهب بعض غلاة الحنابلة إلى قدم المجلد والغلاف.

(٣) المعتزلة: الكلام النفسي لا شيء. والقرآن مركب من الحروف والأصوات، والكلام غير قائم بذات الله تعالى. بل خلق الله تعالى كلامه في خلقه.

(٤) الكرامية: القرآن حادث ومخلوق قائم بذات الله تعالى.

وتذكر كتب علم الكلام مذاهب أخرى.

القرآن كلام الله غير مخلوق:

تقول المعتزلة: القرآن مخلوق. ويقول أهل السنة والجماعة: غير مخلوق.

واستدل أهل السنة والجماعة بما يلي:

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ (الشورى: ٥١)

دلت الآية الكريمة على أن الله تعالى متكلم. والكلام صفة المتكلم. فإذا كان المتكلم (الله تعالى) قديما كانت صفاته كلها قديمة، كما أن المخلوق حادث، فصفاته كلها

حادثة.

والحاصل أن الله تعالى لما كان قديما، كان كلامه غير مخلوق وقديما.

(٢) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ (الأعراف: ٥٤)

نصت الآية على صفتين عظيمتين من صفات الله تعالى: (ألف) له الخلق. (ب) الأمر.

قابل الأمر بالخلق، فعلم أنه شيء، والأمر شيء آخر. فما كان يدخل تحت الأمر، لا يكون مخلوقا.

لِننظُرْ: هل يدخل القرآن تحت الأمر أو تحت الخلق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى: ٥٢)، فالقرآن يعمه (أمرنا) فإذا تبين أن (الأمر) غير مخلوق، فالقرآن غير مخلوق أيضا.

(٣) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)

فــ(كن) أمر من الله تعالى، وهي قديمة؛ إذ لو قلنا: إنها مخلوقة، لاحتاجت في وجودها إلى (كن) أخرى، وهي إلى ثالثة وهي إلى رابعة... فيلزم التسلسل، فوجب القول بأن (كن) من أمر الله تعالى وهي قديمة غير مخلوقة.

(٤) في الحديث: «فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه».(سنن الترمذي، رقم: ٢٩٢٦)

فلو كان كلام الله تعالى مخلوقا، لتركب من الأصوات والحروف. فلا يعود فرق بين الخالق والمخلوق. وإنما يفترقان إذا قلنا: كلام الله غير مخلوق، وكلام البشر مخلوق. وعليه يفضل غير المخلوق على المخلوق، والقديمُ على الحادث.

(٥) يقول الإمام أحمد رحمه الله: القرآن علم الله تعالى، وعلمه قديم لا حادث.

قال الحسن بن أيوب: «سألت أحمد بن حنبل: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله غير مخلوق. قال: قلت: ما تقول فيمن قال: مخلوق؟ قال: كافر. قلت: لم أكفرته؟ قال: بآيات من كتاب الله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ (البقرة: ١٢٠)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ (البقرة: ١٤٥) فالقرآن علم الله،

فمن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر».(هذا الحديث وأحاديث كثيرة أخرى بمعناه رواها عدد من الأئمة عن الإمام أحمد بن حنبل، راجع: اعتقاد أهل السنة للعلامة هبة الله اللالكائي ٢٦٣/٢؛ الإبانة عن أصول الديانة، ص ٨٧، الباب الثالث؛ معجم ابن الأعرابي، رقم: ١٧٣٠، باب الدال).

مذهب المعتزلة وأدلتهم:

يقول المعتزلة: القرآن حادث مخلوق؛ لأنه يتصف بصفات الحادث.

(١) القرآن مؤلف من الحروف والأصوات والسور، وما كان مؤلفا ومرتبا فبعضه مقدم وبعضه مؤخر، وهذه علامات الحدوث.

(٢) التنظيم: النظم في السلك. كما تنظم الدرر في السلك فيتقدم بعضها على بعض، ومثله القرآن الكريم في التنظيم والتقديم والتأخير.

(٣) ورد وصف القرآن الكريم بالتنْزيل والإنزال في غير موضع. وتعريف التنْزيل: الحركة من الفوق إلى الأسفل/ إلى التحت. والحركة أمر حادث. أي لم يكن فكان بعد، وبتعبير آخر: الحركة من أعراض الجسم، والجسمُ وأعراضه كلها حادث.

(٤) قرآنا عربيا: أي القرآن في اللغة العربية. والعربية وضعها العرب. واللغة العربية حادثة.

(٥) القرآن مسموع، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ (الأحقاف: ٢٩) ونحو ذلك. والمسموع هو الصوت، والصوت حادث.

(٦) القرآن فصيح. والفصاحة: سلاسة اللفظ بعد استعماله. فالفصاحة من صفات اللفظ. وحيث كانت الألفاظ حادثة، فالفصاحة أيضا حادثة.

(٧) القرآن معجز: والإعجاز يكون مع التحدي، والتحدي حادث، فالقرآن حادث.

(٨) كونه ناسخا ومنسوخا: وهو حادث أيضا، أي كان فيما سبق، ثم زال. أو لم يكن ثم حدث.

الكلام النفسي قديم، والكلام اللفظي حادث:

والجواب عن أدلة المعتزلة هذه كلها أنها لا تنافي ما نحن عليه؛ لأن التنْزيل وما ذكر

معه كله من صفات الكلام اللفظي، والكلام اللفظي حادث عندنا. وإنما نعد كلام الله — الذي هو صفته وهو قائم بذاته– قديما.

ومن الأمثلة على ذلك أن ما يتعلق به صفة العلم، كله حادث، وأما العلم الذي هو صفة الله تعالى فهو قديم.

وقس عليه صفة الكلام من صفات الله تعالى، فهي قديمة، تعم القرآن والتوراة. ثم نزل فيما بعد للناس، فكان حادثا في حقهم، دون حق الله تعالى.

الأدلة على أن الكلام اللفظي حادث:

مسألة: الكلام اللفظي حادث، ولفظنا بالقرآن حادث، وأما غلاة الحنابلة فذهبوا إلى أنه كله قديمة وكذلك الأصوات والحروف حتى ذهب بعضهم إلى أن المجلد والغلاق كذلك من الحوادث.

أدلتنا:

(١) قال تعالى في حق اليهود: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ (المائدة: ١٣) وهل يحرفون إلا الكلام اللفظي كما لا يخفى، دون الكلام النفسي. فهو قديم لا يسع أحدا تحريفه.

(٢) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ (الأنعام: ٩١) كتب اليهود الكتاب في أوراق متفرقة، فإذا وافق هواهم ذكروه، وإذا خالف هواهم كتموه. فهذه الخصال التي أتاها اليهود في حق الكتاب المَنزل: من الكتابة وتلاوة البعض، ونحوهما كانت حادثة.

(٣) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ (الشعراء: ١٩٣) فالقرآن الذي تقرأه لم يكن نزل ثم نزل فيما بعد.

(٤) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ (القصص: ٣) لم تكن التلاوة (الإنزال) أولا، ثم كانت.

(٥) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ (القيامة: ١٦) وتحريك اللسان يتعلق بالحاديث، دون القديم.

(٦) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ (القدر: ١)، لم يكن نزل قبلُ.

(٧) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ٣ – ٤)، قدم بعض الكلام على بعض في التنْزيل، وتأخير البعض في التنْزيل من صفات الحادث.

(٨) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: ٦)، دلت الآية الكريمة على أن كلام الله يسمع، وكلام الله قديم لا يسمع، نعم يسمع قراءة الإنسان له، وهو حادث. وعليه حمل العلماء ذلك على أن المراد بكلام الله الكلام اللفظي، الدال على الكلام النفسي، وهو يسمع.

(٩) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ (النساء: ١٦٤)، فالكلام الذي سمعه موسى عليه السلام حادث، فإنه لم يكن، ثم وجد، فنُزوله حادث.

(١٠) ما كان يتلوه النبي صلى الله عليه وسلم أو ما يتلوه البشر، مركب من الحروف. والتركيب والترتيب من علامات الحدوث، فإنه لا يؤدى في وقت واحد إلا حرف واحد، ويتلوه الحرف الآخر في الأداء، فالذي لم يكن، ثم تم أداؤه حادث، فعلم أن لفظنا بالقرآن حادث.

دليل الكلام النفسي:

تنفي الحبابلة الكلام النفسي، ويقولون: كله قديم. ومثلهم السلفيون اليوم ينفون الكلام النفسي بشدة، على أنه اختراع من الناس، ومن الأدلة على وجود الكلام النفسي ما يلي:

(١) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ (آل عمران: ١٦٧)، فكأن كلامهم كلام نفسي، وكلامهم اللساني غيره. فدل على الكلام النفسي.

(٢) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ ﴾ (يوسف: ٧٧)، فأسر يوسف الكلام النفسي الذي كان في قلبه، و لم يظهره.

(٣) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ (طه: ٧)

السر: ما تسره إلى صاحبك. وأخفى: ما تحدث به نفسك. فدل على الكلام النفسي، والله تعالى عالم به.

(٤) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُ ﴾ (البقرة: ٢٣٥)، أي يعلم الله تعالى كلامكم النفسي أيضا.

(٥) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ (النحل: ١٠٦)، فكلمة الكفر على اللسان، والقلب يحتوي على الإيمان، فعلم أن الكلام اللساني غير الكلام النفسي.

(٦) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا ﴾ (الكهف: ٢٨)، المراد هنا الذكر القلبي، وهو الكلام النفسي. أي لا يغفل قلبهم عن الذكر القلبي، ويقول المفسرون: المراد بالذكر: القرآن الكريم؛ لأن الكفار كانوا في غفلة عن القرآن الكريم.

(٧) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (المنافقون: ١)المنافقون كذبة. وليس المراد — بالنظر إلى المعنى العام للكذب (وهو عدم الموافقة للواقع): إنهم يقولون: إنك رسول الله، وأنك لست رسول الله؛ بل الغرض منه أنهم لا يؤمنون بقلوبهم أنك رسول الله، وإن كانوا يقرون بلسانهم بذلك، أي أن كلامهم اللساني لايوافق كلامهم النفسي.

(٨) في الحديث: «فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي».(صحيح البخاري، رقم: ٧٤٠٥،) أي ما يذكره العبد من الكلام النفسي. والظاهر أن المراد به هنا الذكر في الخلوة؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعقبه بالذكر جماعةً.

(٩) يقول عمر رضي الله عنه وهو يتحدث عن وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وكنت قد زورت مقالة أعجبتني، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر... فتكلم أبو بكر... والله، ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها».(صحيح البخاري، رقم: ٦٨٣٠)

أي ما هيأت من الكلام في نفسي قال أبو بكر بديهة خيرًا منه.

(١٠) قال الأخطل النصراني:

لا يعجبنك من خطيب خطبة ۞ حتى يكون مع الكلام أصيلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ۞ جعل اللسان على الفؤاد دليلا

(والأخطل: اسمه غياث بن غوث بن الصلت، يكنى أبا مالك، كان على عهد بني

أمية، يمدح خلفاءها، قال أهل العلم: كان أشعر الشعراء في عهده، توفي عام ٩٠هـــ)

دل البيت على أن الكلام في القلب. فكأن الأصل هو الكلام النفسي، واللسان ترجمان له، يعبر عن تلك المعاني.

الاعتراض: يطعن فيه السلفيون بأنه لايقبَل في العقائد حتى بخبر الواحد، فضلا عن قول نصراني في قضية هامة تخص العقيدة.

ولقد تجرأ بعضهم حتى لعنوا من استدل به. هداهم الله.

الجواب: ليس الغرض من هذا البيت الاستدلال على عقيدة، فإنه ثابتة بأدلة كثيرة، وإنما ساقوا هذ البيت لتاييد أن لكل إنسان كلاما نفسيا. وكم استدل الصحابة رضي الله عنهم بأبيات الشعراء العرب من غير المسلمين، وللتفصيل مقام آخر.

فائدة مهمة:

اكتفينا هنا ببعض الأدلة على الكلام النفسي، وللفريقين أقوال كثيرة في هذا الصدد، وليس هذا موضع بسطها وتفصيلها.

اعترض العلامة ابن أبي العز في «شرح العقيدة الطحاوية» وكذلك من علق عليه من العلماء وغيرهم من السلفيين (أمثال الشيخ العثيمين) على وجود الكلام النفسي في كتب العقيدة اعتراضات كثيرة.

وقام أهل العلم بالكشف عن هذه الشكوك والشبهات بالبسط والتفصيل، راجع: شرح العقيدة الطحاوي للعلامة سعيد فودة، وشرح العقيدة الطحاوية للشيخ حسن بن علي السقاف، ورسائل السقاف ٦٨٣/٢-٦٩٨، في رسالة: إلقام الحجر المتطاول على الأشاعرة من البشر. آيات الصفات ومنهج ابن جرير الطبري في تفسير معانيها.

نفي المعتزلة كون الكلام من صفات الله، والرد عليه:

نبدأ بتعريفه: الله متكلم بكلام هو صفة له أزلية ليس من جنس الحروف والأصوات وهو صفة منافية للسكوت والآفة.(شرح العقائد، ص٥٦)

إليكم بعض المهمات في ضوء هذا التعريف:

سؤال: ما الداعي إلى اعتبار الكلام النفسي صفة مستقلة لله تعالى؟ ويمكن القول

بأن الله تعالى كان له علم. فلِمَ قرنت صفةُ العلم بالكلام؟

الجواب:

(١) ليس الكلام والعلم واحدا، فهما يختلفان؛ لأن الإنسان يخبر عما لا يعلمه. فمثلا: نقول: أين مولانا سليمان؟ فأجيب بأنه في المكتب، في حين لا يدري شيئا، وأخبر به، فهذا الخبر صادر عما في نفسه، لا عما في علمه. فكيف يكونان شيئا واحدا.

(٢) بل يعلم خلافه، أي قد نعلم أن مولانا سليمان ليس في المدرسة، ثم أجبنا بمثله، فهذا الكلام النفسي غير العلم. وعبر عما كان في القلب.

الاعتراض: الكذب محال على الله تعالى، فلا يمكن الأمران: يخبر عما لا يعلمه، ويخبر بما يعلم خلافه. فيمكن التعبير عن الكلام النفسي بالعلم في حق الله تعالى، فما الداعي إلى اعتبار الكلام النفسي؟

الجواب: المقصود بيان التعبير. وليس المقصود هنا بيان أن الله تعالى يفعل ذلك، بل المقصود أن العلم غير الكلام النفسي.

العلم: عبارة عن كيفية إجمالية. والكلام الذي في القلب هو الكلام النفسي وتفصيله.

سؤال: ما الداعي إلى اعتبار الكلام النفسي؟ وينوب الإرادة منابه؟

الجواب: قد يأمر بما لا يريده. أي قد يأمر بشيء، فوجد الكلام، ولكنه لا يريده. فمثلا: رجل يضرب عبده، فقيل له: لم تضرب هذا المسكين؟ فقال: عاصٍ. فقال: صورته صورة الصلحاء. فأراد السيد الكشف عن معصيته، فقال له: ائتني بكذا وكذا من (LENASIA)، فقال العبد: لا أستطيع. فما كان السيد يريد من العبد أن يطلب الحاجة له. والحاصل أنه وجد الأمرُ والكلام، دون الإرادة، فكيف يكون أمرا واحدا.

الأدلة على كونه تعالى متكلمًا:

ذكر الله تعالى عدة أدلة على صفة الكلام، نسوق بعضها:

(١) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ (النساء: ١٦٤)، فعلم أن الله تعالى متكلم، وبالتالي له كلام، إذ لا تكلم بدون صفة الكلام، فإذا ثبت التكلم ثبت الكلام.

(٢) أجمعت الأمة على أن الله تعالى موصوف بالكلام.

(٣) نقل عن الأنبياء عليهم السلام، أي أخبرنا الأنبياء عليهم السلام أن لله كلاما.

الاعتراض: قلتَ: الكلام ثابت لله تعالى، ونقل ثبوت الكلام له عن الأنبياء عليهم السلام، (والحاصل أن ثبوت الكلام موقوف على الشريعة)، ولازلنا نسمع أن الشريعة موقوفة على وجود الله تعالى وكلامه. أي لا شريعة بدون الكلام، ومن العجب أن أحدهما يتوقف على الآخر، وهذا يستلزم الدور، وهو غير صحيح. أي: الكلام موقوف على الشريعة، والشريعةُ موقوفة على الكلام.

الجواب من وجوه أيسرها ما يلي:

(١) الكلام النفسي موقوف على الشريعة، أي أخبرت الشريعة بأن ثمة كلاما نفسيا، والشريعة موقوفة على الكلام اللفظي، لا على الكلام النفسي، فلا دور.

(٢) ثبوت الشرع موقوف على الكلام، والكلام موقوف على نفس الشرع، فكأن بينهما تغايرا، بأن ما ذكرته الشريعة يشمل الكلام.

سؤال: ما معنى «الله متكلم» ؟

الجواب: معناه: الكلام قائم بذات الله تعالى. وليس معناه: متكلم أي: أوجد الكلام في اللوح المحفوظ أو في الشجرة أو في نفس جبريل؛ لأن المشتق إذا قام بأحد يكون مصدره قائم به أيضًا؛ لذلك يقول أهل السنة: الله متكلم، والكلام صفة له. أي الكلام قائم بذاته تعالى.

لا يسع المعتزلة أن ينفوا الكلام؛ فقد ورد في القرآن الكريم ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، نعم، يؤولونه، فمِن تأويلاتهم:

متكلم بمعنى: موجد أشكال الكتابة في اللوح المحفوظ، وإن لم يقرأ/ متكلم: موجد الحروف في محلها.

قال بعضهم: يخلق صوتا فيسمعه جبريل، فهو متكلم بهذا المعنى.

قال بعضهم: يخلق الله أشكال الحروف في اللوح المحفوظ فينظر إليها جبريل ويقرأها فهو متكلم بهذا المعنى.

ويضربون مثلا على ذلك: بأننا نقول: «قال الإمام الرازي في «المحصول»، مع أنه لم يقل، بل كتبه. فعبر عن الكتابة بالقول، كذلك عبر عن خلق الله تعالى أشكال الكتابة بالتكلم.

الجواب:

(١) ثمة قرينة وهو «المحسوب»، على أنه مما كتبه الإمام الرازي لا مما قاله.

(٢) المؤلف يقرأ حين يؤلف الكتاب، فصح إطلاق القول عليه.

ويقول أهل السنة والجماعة: لو حملنا التكلم على خلق الكتابة، للزم إطلاق الأعراض على الله تعالى، فمثلا:خلق الله السواد، فهل نصِف الله تعالى بالسواد؟ وقس عليه البياض والحركة وغيره يطلق على الله تعالى. فكما لا يصح هذا كله، لا يصح حمل التكلم على «خلق الكتابة».

يرد عليه المعتزلةُ قائلين: لا يصح إطلاق السواد والبياض والحركة على الله تعالى؛ لأنه لم يرد به النقل، و أما حمل التكلم على إيجاد الكلام فقد ورد به النقل.

نقول: أسماء الله تعالى توقيفية، وأما المعتزلة فليست كذلك عندهم، فيطلقون كل ما صدر من الله تعالى على أنه اسم أو صفة له.

ومِما يبعث على العجب من عقيدة المعتزلة: صفات الله تعالى الأخرى ليست كذلك، فمثلا نقول: الله تعالى عالم، فمعناه: أن العلم قائم بالله تعالى. ثم يقولون: الله متكلم: معناه:كلام الله تعالى قائم بغيره، لا به سبحانه.

الكلام صفة الله الأزلية:

الله تعالى متكلم من الأزل، ويعيبه الحدوث، ومن المقطوع به أن الله تعالى مَنَزه من العيوب كلها، فلزم اعتبار الكلام أزليا.

وكلام الله تعالى بدون الحروف والأصوات؛ لأن الحروف والأصوات حادثة قائمة بالغير. فمثلا: قرأ الفاتحة فقال: الحمد. و لم يقل: لله، فالكلمتان: «الحمد» و «لله» حادثتان، فإنه قد انتهت كلمة (الحمد) فهي حادثة، ولم تأت كلمة (لله) فهي أيضًا حادثة. وسبق أن قلنا: ما له اختتام فهو حادث. فكلمة (الحمد: ما كان مسبوقا بالعدم

فهو حادث، (كلمة لله).

يقول الحنابلة والكرامية: كلام الله تعالى بالحروف والأصوات، ثم هو قديم.

والسلفيون اليوم يقولون بقدم الأصوات والحروف.

ويقول جمهور أهل السنة والجماعة: الكلام صفة واحدة، لا متعددة، والأمر والنهي والخبر والاستفهام والنداء، هذه الخمسة من أقسام الكلام، وليست صفات خمسا، بل متعلقات صفة واحدة، كما أن العلم صفة واحدة، وله متعلقات كثيرة، علم بالإنسان/ بالحيوان وغيرهما، أو كما أن القدرة صفة واحدة، ولها متعلقات كثيرة.

فائدة التعبير بـــ «القرآن كلام الله غير مخلوق»:

يقولون «القرآن كلام الله غير مخلوق»، ولا يقولون «القرآن غير مخلوق»؛ لأن لا يفهم أن القرآن المتلو من حروفنا وأصواتنا قديمة، كما يقول بعض الحنابلة.

يعبر عن هذه المسألة بمسألة «خلق القرآن».

لِمَ لم يُعبر عن هذه المسألة بـــ مسألة عدم خلق القرآن؟

اعتراض: إذا كان أهل السنة والجماعة يرون القرآن غير مخلوق، فهلا سموا هذه المسألة «عدم خلق القرآن» ؟

الجواب: ليس هذا التعبير من عندنا، وإنما سمى المعتزلة هذه المسألة بذلك، وأخذ أهل السنة هذه التسمية، ثم تصدوا لإثبات عدم خلقه ردًّا عليهم.

وجه قول الحنابلة:

يقول بعض أهل العلم: ما يقول الحنابلة من أن المؤلف من الألفاظ والحروف قديم، أو أن الكلام اللفظي قديم، فمعناه أن الكلام اللفظي غير مرتب الأجزاء والحروف قديم. أي القرآن الذي نتلفظ به بألسنتنا ليس قديما، بل هذا القرآن هو الكلام اللفظي إلا أنه لم يلاحظ فيه ترتيب الحروف. كما أن حافظ القرآن الكريم يحفظ القرآن، فهو غير مرتب الحروف، وإنما يطرأ عليه الترتيب حين يقرأه، وليس مرتبا مسبقا، أي: ليس أن هذا الحرف مكتوب في ذهنه مقدما، وذلك الحرف مكتوب مؤخرا.

ويعبر بعض الحنابلة بقولهم: القرآن كلام الله غير مخلوق، أي غير مفترى. أي ما نقرأه ليس مفترى؛ بل من الله سبحانه وتعالى، إلا أن النساخ عبروا عن «غير مفترى» بـــ«قديم»، أي ما نقرأه قديم، مع أن معنى غير مخلوق: هو غير مخترق.

التزام جانب الاحترام رغم الاختلاف في الرأي:

رغم أن الحنابلة يقولون: الكلام اللفظي مخلوق، إلا أن العلماء يحترمونهم. وطلب الإمام الشافعي رحمه الله قميص الإمام أحمد ووضعه في الماء ثم شرب الماء، وصبه على جسده.

القصة: رأى بعض الناس الإمام أحمد فيما يرى النائم، فسأله عن حاله، فقال: قيل لي: أوذيت في سبيلي، فأبحت لك النظر إلى وجهي.

قال عبد الله بن أحمد: رأيت أبي في المنام، فقلت له: يا أبه، ما فعل الله بك؟ قال: وقفني بين يديه، وقال لي: يا أحمد، بسبَبِي ضرِبت، وامتحنتَ من أجلي، ها وجهي فقد أبحتك النظر إلي...». (مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، ص٥٩٣)

أحاديث موضوعة تخص مسألة خلق القرآن:

مسألة خلق القرآن كانت بلغت أوجها في بعض العصور، حتى وضع الناس أحاديث في ذلك. حديث «القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: إنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم»: روي مرفوعا وموقوفا.

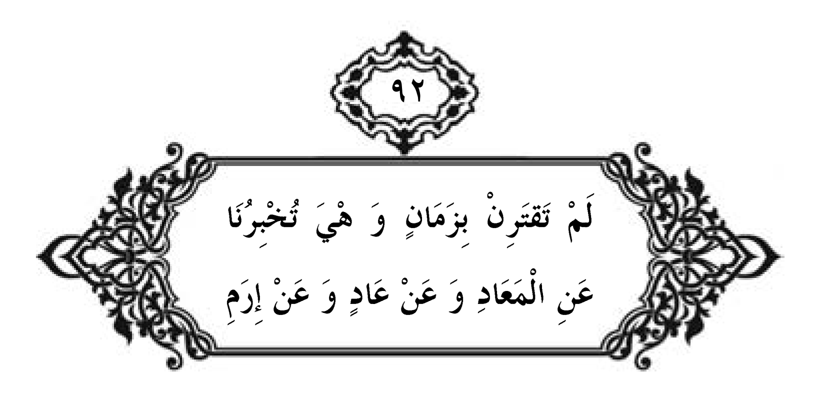
وفي المرفوع: أحمد بن محمد بن حرب: وضاع كذاب.

وفي الموقوف: أزور بن غالب: منكر الحديث، ومتهم بالكذب.

يقول بعض أهل العلم: روي ذلك عن معاذ وابن مسعود وجابر رضي الله عنهم. ولا يصح.

انتهى، ولله الحمد.

****



لهذا الشعر معانٍ أربعة:

(١) لم تقترن الآيات بزمان خاص بل هي حجة ومتلوة إلى يوم القيامة.

(٢) لم تقترن بزمان، بل كانت قبل وجود الزمان فهي قديمة.

(٣) لم يقترن نزولها بزمان عاد، وهي تخبر عنها أخبارًا صادقةً فهي معجزة.

(٤) لم تختص أخبارها بعاد بل هي تخبر عن أحوال كل زمان.

اللغة:

قرَنَ (ض، ن) الشيءَ بالشيء: ضمه إليه.

قرين: رفيق، ج: قرناء. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ (النساء: ٣٨)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ (فصلت: ٢٥)

قرِنَ (س) قَرَنًا: (١) التقى طرفا حاجبيه، فهو أقرن. (٢)الحيوانُ: طال قرنه. فهو أقرن، ج: قُرن.

قارن بين الشيئين: وازن بينهما، قابل بينهما.

قرَّنَ: شده، ضمه إليه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ (ص: ٣٨)

أقرن: أطاقه وَقَوي عَلَيْهِ، وفي دعاء السفر الشهير: «سَخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين».(صحيح مسلم، رقم:١٣٤٢)

اقترن: (فعل قاصر) انضم. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ (الزخرف:٥٣)

القرن: له عدة معانٍ: (١) مَادَّة صلبة ناتئة بجوار الأذن في رُؤُوس البَقر والغنم ونحوها. (٢)طرف الرأس. (٣) ذروة الجبل أو التل. (٤) دورة/شوط. (٥) مدة مئة سنة. (٦) أصحاب مئة قرن، الجيل. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦﴾ (الأنعام: ٦)

بزمان: زَمِنَ (س) زمْنًا: زمانةً: مرض مرضا دائمًا، شُلَّ. فهو زَمِن، وزَمِينٌ.

أزمن الشيءُ: مضى عليه مدة.

زامنَ مزامنةً: عامله على وقت من الأوقات (نحو: مياومة ومشاهرة ومسانهة ونحوها).

الزمان: (١) الوقت، قل أو كثر. (٢) مدة الدنيا كلها. (٣) عند الحكماء: مقدار حركة الفلك الأعظم. (٤) عند المتكلمين: متجدد معلوم، مقدر به متجدد آخر موهوم.

الحاصل: أن الوقت معين وحادث، يعين به شيء غير معين. نحو: آتيك عند طلوع الشمس. فطلوع الشمس وقت معلوم، وإتيان القائل غير معلوم، فلما قرنه بطلوع الشمس ارتفع الإبهام. (للاستزادة منه راجع: التعريفات، ص١٥٢؛ الكليات لأبي البقاء، ص ٧٦٦-٧٦٨)

الزَّمَنُ: الزمان، والوقت. ج: أزمان. الزمانة: المرض الدائم.

المعاد: عاد (ن) عودا وعودة: رجع، وآب من العمل. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ (المائدة: ٩٥)

عائد: ج: عوَّاد، عاد صالحا: صار صالحا. (وقد تأتي بمعنى الصيرورة).

عاد الشيء فلانا: نابه مرات. عاد المريضَ: سأله عن حاله.

أعاده: (١) أرجعه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ (طه: ٥٥). (٢) عمل الشيء مرة أخرى.

المعاد: (١) الميم مصدرية: بمعن الرجوع. (٢) ظرف مكان: مكان العود، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ (القصص: ٨٥)

والمراد به في الآية: يوم القيامة، والجنة أو مكة المكرمة.

العيد: اليوم الذي يعود فيه الفرح، يوم الفرح، ج: أعياد. ما أكثر إطلاقات مادة (ع ود) في القرآن الكريم والعرف.

عن عادٍ:

عاد: قبيلة عربية مشهورة. عاد الأولى: قوم هود عليه السلام. وعاد الثانية: قوم صالح عليه السلام.

إرم: سبق تحقيقه في البيت رقم:٧٧.

إرم: (١) جد قوم عاد. (٢) اسم بلدة. وهذا في الروايات الإسرائيلية، كما سيأتي لاحقا بإذن الله تعالى.

الإعراب:

بزمان: جار ومجرور متعلق بـــ«لم تقترن»، (وهي): الواو حالية.

هي تخبرنا...:

هي: مبتدأ. تخبرنا الخ: خبره.

تخبر: فعل. (هي) ضمير مستتر فاعل. يعود إلى الآيات. (نا) مفعول. عن الميعاد: جار ومجرور متعلق بـــ (تخبر)، ومعطوف عليه.

عن عاد: عطف على (عن المعاد). عن إرم: عطف على (عن عاد).

تخبر: الفعل مع فاعله ومفعوله ومتعلقه جملة فعلية خبر (هي).

وهي... (١) جملة حالية من ضمير (تقترن). (٢) صفة لـــ آيات. (٣) في عاد ومعاد: جناس ناقص. وهو من المحسنات اللفظية.

الشرح:

ذكر هذا البيتُ صفة من صفات الآيات القرآنية، وهي أنها غير مختصة بزمان من الأزمنة. فهي على صلة بالماضي والحال والمستقبل. وهذا البيت تتمة للبيت السابق. وذلك بأنه قال في السابق في خصوص الآيات القرآنية: قديمة. وذكر هنا علته فقال: الآيات القرآنية قديمة؛ لأنها غير مختصة بزمان من الأزمنة.

الصغرى: الآيات لم تقترن بزمان مخصوص.

الكبرى: ما لم يقترن بزمان مخصوص فهو قديم.

النتيجة: فالآيات قديمة.

التحدث عن أحوال كل زمان وأخباره من وجوه الإعجاز. فالقرآن الكريم يبين حال الماضي والحال والمستقبل بالحق.

(١) يقول أهل العلم: من وجوه إعجاز القرآن الكريم أنه ذكر كثيرا من أحوال الماضي بالحق.

ما أكثر ما تحدث القرآن الكريم عن أحوال الأمم الماضية وأنبيائها عليهم السلام، مما لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على علم شيء منها، فإنه أمي، لم يدرس في مدرسة، ولا تعلم القراءة والكتابة. ورغم ذلك كان يتحدث عن القصص حديثا لا ينحرف عن الواقع قيد أنملة. فكان ذلك يفعل في أهل الكتاب فعلا كبيرا، وقد تجلى لهم صدقه صلى الله عليه وسلم ونبوته كل التجلي. وكم سأل أهلُ الكتاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قصة أو أمر من الأمور فنَزل القرآن الكريم بذلك.

منها: قصة موسى عليه السلام، وقصة الخضر عليه السلام، وقصة يوسف عليه السلام وإخوته مفصلة، وقصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وقصة لقمان عليه السلام، وقصة ابني آدم عليه السلام وغيرها، فأسلم كثير من أهل الكتاب، وأعرض آخرون حسدا وعنادا منهم.

(٢) من الجدير بالذكر أن اليهود والنصارى كانوا ألد أعداء محمد صلى الله عليه وسلم، لا يقصرون في تكذيبه، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أحوالهم، وما جاء في كتبهم من الأحكام، فلم يسعهم تكذيبه، فقد تمت حجته.

وقد اعترف كثير من أهل الكتاب بصدقه ونبوته، وأبى طاعته حسدا من عند أنفسهم وعنادا. منهم نصارى نجران، الذين لم يرضوا بمباهلته، وكذلك قصة الرجم مع اليهود، وتحريم الأشياء عليهم، ومحاولتهم إلقاء الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم، وسمهم طعامه صلى الله عليه وسلم، وقصة سرقة الدرع التي أشري إليها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾(النساء: ١٠٥)، ودفع شبهات قتل عيسى عليه السلام، ونحو ذلك.

هذه أخبار الماضي، وأما المستقبل، فقد تنبأ القرآن الكريم به كثيرا، وليس إلا من

خصائص الكلام الإلهي أنه لم يتنبأ بشيء إلا جاء كفلق الصبح. منها: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (الفتح: ٢٧)، و﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (النور: ٥٥)، و﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ (القمر: ٤٥)، و﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧)، و﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ (البقرة: ١٤٢)

تفاصيل التنبأ بغلبة الروم:

وبهذه المناسبة نشير إلى واحد مما تنبأ به القرآن الكريم، ولك أن تدرك من خلاله مدى صدق ما تنبأ به القرآن وقوته. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ⑤ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ⑥﴾ (الروم)

أخبرت الآية الكريمة بأن الروم قد غُلِبوا ثم تبنأت بأنهم سيغلبون في بضع سنين.

متى كانت هذه البشارة، وكيف تحققت؟ يتطلب استيعابه وفهمه ذكر خلفية القصة باختصار:

كانت الحكومة الإيرانية في شرق جزيرة العرب، والحكومة الرومية في غربها، وكانتا أقوى الحكومات في عهدهما، يقال: إنه كتب حول ذهاب السلطة الرومية ما لم يكتب مثله حول حضارة من الحضارات.

كان الروميون معظمهم على النصرانية، وكان الإيرانيون يعبدون الشمس.

واسم الملك الذي كان يحكم روما هو (MAURICE)، خرج الناس عليه قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بثمانية أعوام، فكانت ثورة موفقة ضد الملك الذي قتِلَ، وتولى العرش فوكاس(PHOCAS).

بعد ما تولى «فوكاس» الحكم أرسل رسول منه إلى إيران يخبرها بتوليه الحكومة، وكان يحكم إيران يومئذ خسرو برويز (CHOSROSE) ابن نوشروان العادل. وأبى خسرو قبول الحكومة الجديدة، ثم هجم على روما بجنوده ودخلت قواته الشام عام ٦٠٣م، ولم يستطع فوكاس رد هذه الهجمات، و واصلت القوات الإيرانية تقدمها حتى فتحت

إنطاكية، واستولت على أورشليم (بيت المقدس)، وساعد كثير من الفرق الداخلية- عداء منها- الفاتحين الجدد، مما سهّل على خسرو مهمته.

نظرا لنكسة «فوكاس» هذه أرسل بعض أعيان الحكومة إلى الحاكم الرومي في المستعمرات الإفريقية، وطلبوا منه السعي للإبقاء على الحكومة وصونها، فأرسل ابنه هرقل (HARACLIUS)، فاستولى هرقل بعد حرب طفيفة على العاصمة، وقتل «فوكاس»، غير أنه —هرقل- لم يتمكن من إيقاف طوفان الفرس، حتى فقد الروميون كافة الأجزاء الشرقية والغربية من حكومتهم عام ٦١٦م، وخرجت العراق والشام وفلسطين ومصر وآسيا الصغرى من أيديهم، وتقلصت الإمبراطورية الرومانية في القسطنطينية، وكانوا خائفين يترقبون ضرب الأعداء العاصمة أيضا.

واستبدت الحكومة الإيرانية بالرعايا الروم للقضاء على المسيحية، فهدمت الكنائس، وقتلت نحو مئة ألف من النصارى.

وكيف كانت الأوضاع حينئذ، وكم كان الإيرانيون يتكبرون، بإمكانك أن تدرك ذلك من خلال كتاب أرسله خسرو برويز إلى هرقل من بيت المقدس:

«من لدن الإله كسرى، الذي هو أكبر الآلهة، وملك الأرض كلها، إلى عبده اللئيم الغافل: هرقل. إنك تقول: إنك تثق في إلهك! فلماذا لا ينقذ إلهك القدس من يديّ؟!»

وهذه الأحوال السيئة استبد فيها الياس والقنوط بهرقل، وقرر العودة إلى قصره الواقع في قرطاجنة (CARTHAGE) بإفريقية، (تونس حاليا)، وأعد له عدته كلها. وقبيل مغادرته بقليل تحايل كبير أساقفة الروم باسم الدين والمسيح ونجح في إقناع هرقل بالبقاء، وذهب هرقل إلى قربان «سانت صوفيا»، يعاهد الله تعالى على أنه لن يعيش أو يموت إلا مع الشعب الذي اختاره الله له.

وخلال ذلك اقترح القائد الإيراني سين (SAIN) بأن يرسل هرقل سفيرا إلى كسرى يطلب منه الصلح ولكن لم يكد يصل القاصد الرومي إلى القصر حتى صاح كسرى في غضب شديد: لا أريد هذا القاصد، وإنما أريد هرقل مكبلا بالأغلال تحت عرشي، ولن أصالح الرومي.

وبعد مضي مدة رضي الأمبراطور الإيراني أن يصالح هرقل على شروط معينة هي

أن يدفع ملك الروم:

ألف تالنت (TALENT) من الذهب، وألف تالنت (TALENT) من الفضة، وألف ثوب من الحرير، وألف جواد، وألف فتاة عذراء.

شرح للتالنت (TALENT):

ولا يخلو ذكر مقدار التالنت هنا من فائدة:

اعلم أن التالنت (TALENT) وزن من الأوزان، ويسود أقسام مختلفة له في مختلف الأماكن، و التالنت (TALENT) الرومي يعادل (٣٢)كلوغرام و(٣٠٠) غرام، لننظر كم يساوي ألف تالنت من الذهب:

سعر أونس (٢٨.٣٥) من الذهب صباح اليوم (١٧٣٣) دولار، فيكون سعر كلو واحد (٣٥.٢٨) أونس يعادل (٦١١٥٠) دولار. والتالنت الواحد يعادل (٣٢٠٣) من الذهب، فنضرب (٦١١٥٠) في (٣٢.٣)، فيكون ثمن التالنت الواحد من الذهب (١٩٧٥١٥٥.٢٦) دولار.

ثم نضرب ثمن التالنت الواحد في ألف، فيكون ثمن ألف تالنت: ١٩٧٥١٥٥٢٦٠دولار.

هذا حساب الذهب فقط، أضف إليه قيمة الفضة وغيرها من الأعراض.

كان هرقل بإمكانه قبول هذه الشروط، إلا أنه كان من المرجح لديه –نظرا إلى الأوضاع– أن يستخدم هذه الأموال في الهجوم الأخير على العدو.

كانت هذه الأوضاع سائدة على هذا المنوال في جانب، وفي جانب آخر أحدثت هذه الأحداث صراعا في مكة المكرمة، وكانت فارس تؤمن بالإلهة الشمس، وتعبد النار، وكان الروم يؤمنون بالوحي والرسالة، فكان هوى المسلمين بصورة طبيعية مع الروم في هذه الحرب، وكان المشركون يصلون حبالهم بإيران المجوسية، فلما تبين تغلب فارس على روما عام ٦١٦م وبلغت أنباؤه مكة المكرمة، قال أعداء الإسلام: ألا ترون: قد انتصر إخواننا على إخوانكم في الدين، كذلك سننتصر عليكم. وكان المسلمون في مكة يعيشون ضعفا وعجزا فنثرت هذه الأقوال الملح على الجرح، فتنزل آيات القرآن الكريم في هذه

الأوضاع السيئة: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾ (الروم)

تنبأت الآيات بأن الروم سيغلبون في بضع سنين.

وحين تنبأ القرآن بذلك كان أبعد التنبآت وقوعا في ذلك الوقت كما يقول المؤرخ النصراني (EDWARD GIBBON)، ولا يخفى أن هذا التنبأ في القرآن الكريم جاء ممن ينفرد بالقدرة على الأسباب والوسائل كلها. فما إن تنبأ القرآن الكريم بذلك حتى بدأ تحول كبير في هرقل قيصر الروم، فوضع خطة موفقة للغاية، وبدأ الاستعدادات الحربية في القسطنطينية بجدة وروية، وكان هرقل على علم أن الإمبراطورية الفارسية ضعيفة الجانب في شؤون البحر، فاستخدم أسطوله البحري للهجوم من الخلف، وأنزل جنوده في آرمينيا عن طريق البحر الأسود، وشن هجوما واسعا على الإيرانيين في نفس المكان الذي هزم الإسكندر الأعظم فارس في عهده. فبهت الإيرانيون بهذه الهجمة المباغتة، وتزعزعت أقدامهم، غير أنه كان لهم تواجد عسكري مكيف في آسيا الصغرى، وكان بإمكانهم أن يهجموا به عليه إلا أن هرقل باغتهم بهجوم مماثل من الشمال، ثم عاد إلى القسطنينية، وعلاوة على هذه الهجمتين واصل ثلاث مهمات أخرى:

في عام ٦٢٣م، وعام ٦٢٤م، وعام ٦٢٥م وصلت هذه المهمات إلى (MESEPETAMYA). فضعفت نشوة الاعتداءات الفارسية، وخلت المناطق الرومية كلها من القوة الفارسية، إلا أن الحرب الأخيرة الفاصلة وقعت في منطقة «نينوا» في شهر ديسمبر عام ٦٢٧م، وعاد هرقل الفاتح إلى القسطنطينية في شهر مارس عام ٦٢٨م، فاستقبل آلاف من الناس بطلهم.

فتحقق ما تبنأ به القرآن الكريم من انتصار الروم من جديد في موعده المحدد (تسع سنوات)، وفي حين انتصر المسلمون في بدر على الكفار، بلغهم انتصار الروم على فارس.

وتخوفا من هذا النكسة استعد خسرو للهروب، إلا أن قصره شهد خروجا عليه، وألقى ولده شيروه عليه القبض و وضعه في سرداب. فمات بعد خمسة أيام في حال يرثى

له. وتولى شيروه العرش، فقتله أمير من أمرائهم بعد ثمانية شهور. وقيل: شرب قارورة السم المكتوب عليها: «هذا دواء نافع لقوة الجماع» فمات، فتقاتلت العائلة الملكية فيما بينها، حتى تولى الملك تسعة ملوك خلال أربعة أعوام، ثم صالح قباذ الثاني-ابن خسرو-.

كيف تفكك شملُ كسرى:

كيف تفكك شمل كسرى؟ أشار العلامة البوصيري إليه في البيت رقم ٦٢، «كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم.» وشرحناه ثمة.

هذه القصة ذكرها مولانا وحيد الدين خان في كتابه «علم جديد كا چيلنج»، واسمه باللغة العربية «الإسلام يتحدى»، وفي الإنجليزية: (GOD ARISES).

علاوة على هذه اللغات الثلاث تم ترجمته إلى الفرنسية والتركية والمليالم، والمراتهية والسندية والتامل والصينية ومعظم لغات العالم. وضم الكتابُ إلى المقررات الدراسية في كثير من المؤسسات التعليمية، واعترفت بمكانتها مئات من الصحف والجرائد، وعلقت صحيفة مصرية «الأهرام» عليه تعليقا مبسوطا، فيما يلي فقرة من فقراته: ظهر ما لا يحصى من الكتابات حول الإسلام خلال أربعة عشر قرنا منذ ظهوره، ولوذهبنا نغربل التاريخ، ونغربل الكتب الجيدة الداعية إلى الله تعالى لخرج لنا -دون ريب- هذا الكتاب».

واعلم أننا غير متفقين على كافة كتابات مولانا وحيد الدين؛ فإن رغبته في الاجتهاد قد يحمله على تجاوز الحدود.

والمؤلفات التي أشار إليها الشيخ من كتب النصارى الخاصة بهذه القصة معظمها تم نشرها، وهي متوفرة، كما أن الشيخ السيد أبا الحسن الندوي ذكر هذه القصة في كتبه.

ونص (EDWARD GIBBON) المذكور أعلاه جاء في كتابه:

(The Decline and fall of the Roman Empire, Vol.4, Chap. 46, Page: 463, 464.)

والحاصل أن التنبأ بالمستقبل وصدقه حرفا حرفا من خصائص الكلام الإلهي، ومن ثم اعتبر من وجوه إعجاز القرآن الكريم. (راجع: شرح الشفا٢/٨١٠-٨٢٩، الوجه الثالث والرابع من الإعجاز).

عن المعاد:

المعاد: الرجوع بعد الفناء.

برهن القرآن الكريم في أماكن كثيرة وبصور مختلفة على الآخرة، ورسخ في أذهان البشر أنه لابد من الحياة بعد الممات، وأن الدار الآخر لهي الحيوان، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٦)، و قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝٤﴾ (القيامة)

و لم يتهيأ المشركون –رغم فطنتهم وذكائهم– لقبول الحياة بعد الممات، فركزت السور المكية على هذه العقيدة كثيرا.

ومن الأساليب الميسورة القريبة إلى الأذهان التي استخدمها القرآن الكريم لإثبات ذلك ما يلي:

(١) إن الله الذي أوجدكم من العدم، هو الذي يبعثكم بعد الموت، والإعادة أهون من الابتداء في نظركم. قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (يس: ٧٩)، وقال تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الإسراء: ٥١)، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩)، و قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ (الروم: ٢٧)، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ (الأنبياء: ١٠٤)، وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۝٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨﴾ (مريم: ٦٧ – ٦٨)

(٢) وربما شرح ذلك بأن الذي خلق السماوات والأرض يهون عليه بعث الناس من جديد، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (غافر: ٥٧)، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ (الأحقاف: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ (الإسراء: ٩٩)، وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ (يس: ٨١)، وقال تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا﴾ (النازعات: ٢٧)

(٣) وربما استدل على إحياء الموتى بجفاف الأرض ثم اخضرارها بأمر الله تعالى،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (الحج: ٥ – ٦)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ (فصلت: ٣٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الروم: ١٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ (فاطر: ٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٧)

فائدة:

إثبات الآخرة موضوع هام، تحدث المتكلمون عن إمكانها، والحاجة إليها عقلا وطبعا وخلقا، وضرورتها، وأدلتها في ضوء التجارب والمشاهدات، وفي ضوء دراسات الحكماء والفلاسفة من غير المسلمين كلاما مفصلا.

المعاد:

ليوم القيامة أسماء عدة، تبلغ نحو (٨٠) اسما. (فتح الباري١١/٣٩٦)

من أسمائه ما هو بمعنى المعاد، نحو: يوم المآب، ويوم المصير ونحوهما.

وعن عاد:

يخبرنا القرآن الكريم عن عاد، فذكرها في تسع سور في أماكن عدة. ومن الحقائق أن الكتب التاريخية أو التوراة وغيرها –عد القرآن الكريم- لا تذكر تفاصيل عن قوم عاد. ومن المؤرخين الأوربيين من يعتبر عاد أسطورة من الأساطير، ومنهم من يعتبر كلمة (عاد) محرفة، وهذا باطل من القول ووهم من الأوهام؛ فإن الدراسات الحديثة تقضي قضاء مبرما بأن سكان العرب القدماء كانوا على عظمة وسطوة بالنظر إلى كثافتهم السكانية، وخرجوا من العرب إلى الشام ومصر وبابل واستوطنوها.

نسب عاد:

قوم عاد من ذرية سام بن نوح. وعليه يطلق عليهم «الأمم السامية».

عاد بن عوس بن إرم بن سام بن نوح.

عصر عاد:

جاء في القرآن الكريم عن قوم عاد ﴿ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ ﴾ (الأعراف: ٦٩) فيه إشارة إلى أنهم بعد عهد نوح عليه السلام، وتقول بعض الكتب أن عهدهم قبل المسيح بألفي عام، وهذا غير صحيح؛ فإن قوم عاد كانت قبل إبراهيم عليه السلام، وبين إبراهيم وعيسى عليهما السلام أكثر من ألفين وخمسين عاما كما يقول ابن الجوزي. (تلقيح فهوم الأثر ١/١٢)

فبين هود عليه السلام وعيسى عليه السلام ما لا يقل عن ثلاثة آلاف سنة. واعلم أن تعيين السنين ظني، وقد اختلفوا في عددها.

منطقة عاد:

أصل عاد من أرض الأحقاف جنوب جزيرة العرب: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ (الأحقاف: ٢١)

وفي شرقي الأحقاف عمان، وشمالها الربع الخالي. واعلم أن كثيرا من مناطق عمان والسعودية كانت في الماضي تحت اليمن، ثم انفصلت عنها. فيصح القول بأن قوم عاد كانت في اليمن.

دين عاد:

كانت عاد تعبد الأصنام، وكانت بارعة في نحت الأصنام وعبادتها شأن من قبلها من أمة نوح عليه السلام، وتسرد بعض الروايات أسماء أصنامهم.

من حالات عاد:

كانت أرضهم خصبة للغاية، بها كل نوع من أنواع الحدائق، كانت هذه القبيلة طويلة القامة قوية الجثة، تقول بعض الروايات: كان واحدهم طوله (١٢) ذراعا، أو (١٨) ذراعا. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ﴾ (الأعراف: ٦٩) (للاستزادة منه راجع: تفسير الطبري؛ الدر المنثور عند قوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ﴾).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعۡبَثُونَ﴾ (الشعراء: ١٢٨)، ولا زالت آثارها قائمة ليومنا هذا. وتقع الأحقاف على بعد مئة كلومتر من مدينة «تريم» -إحدى مدن حضرموت-. تتراءى الجبال على جنبي الطريق مد البصر. وفي كثير من هذه الجبال بصمات واضحة للصنع البشري.

والحاصل أن هذه الأمة كانت في نشوة من قوتها وطاقتها، وكانت تقول كما حكاه الله تعالى: ﴿مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (فصلت: ١٥) فأرسل الله تعالى إليهم هودا عليه السلام ليهديهم إلى الصراط المستقيم.

سيدنا هود عليه السلام:

كان من أعز فروع عاد: خلود، بين الحمرة والبياض، ذا وجاهة، يزينه لحية كثفة. ورد ذكر هود عليه السلام باسمه في ثلاث سور من سور القرآن الكريم.

الدعوة والإرشاد:

دعا هود عليه السلام قومه إلى توحيد الله تعالى وعبادته، إلا أنهم أبوا وأعرضوا. وصبر هود عليه السلام على سوء خلقهم صبرا جميلا، وظل على ذلك مدة مديدة يبين لهم.

القحوط:

فلما طغوا وبغوا منعهم الله تعالى القطر ثلاث سنين، فأرسلوا وفدا مكونا من سبعين رجلا إلى الكعبة المشرفة ليدعوا بها لهم، ولكنهم انكبوا على الخمر والغناء، ثم ذُكِّروا بعد مدة بما جاء بهم إلى الكعبة، وقال لهم مرثد بن سعد -وكان يكتم إيمانه-: لن يغني عنكم الدعوات ما لم تؤمنوا بهود عليه السلام، إلا أنهم أعرضوا وأبوا.

فلما ذهبوا يدعون الله تعالى قال رئيسهم: قَيْل بن عَنْز: «اللهم اسق عادا كما كنت تسقيهم». فقد أخطأ أسلوب الدعاء فلم ينفعهم فتيلا.

العذاب:

الحاصل أن الله تعالى أرسل عليهم ثلاثا من السحب: بيضاء، وحمراء وسوداء. وقيل

لهم: اختاروا واحدة منها، فقالوا: السوداء أكثر حملا للماء، فاختاروها. فسارت السحابة إلى قريتهم، وأحاطت بها، ففرحوا و﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَا﴾ (الأحقاف: ٢٤)

فنشأت عاصفة شديدة من هذه السحابة السوداء، فأهلكتهم جميعا، ونجى الله تعالى هودا والذين آمنوا معه.

روي أنهم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم هودا فكذبوه، وازدادوا عتوًا فأمسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم، وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم إذا نزل بهم بلاء توجهوا إلى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج، فجهزوا إليه قَيْل بن عَنْز ومرثد بن سعد في سبعين من أعيانهم، وكان إذ ذاك بمكة العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر، فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة أنزلهم وأكرمهم، وكانوا أخواله وأصهاره، فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له، فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له أهمه ذلك واستحيا أن يكلمهم فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين:

أَلاَ يَا قِيلَ وَيْحَكَ قُمْ فَهَيْنِم ۞ لَعَلَّ الله يُسْقِينَا الغَمَامَا

فَيُسْقِي أَرْضَ عَادٍ إن عَادا ۞ قَد امْسوا مَا يُبِينُونَ الكَلاَما

حتى غنتا به، فأزعجهم ذلك فقال مرثد: والله لا تسقون بدعائكم؛ ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سبحانه وتعالى سقيتم، فقالوا لمعاوية: احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا، ثم دخلوا مكة فقال قيل: اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم، فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء، ثم ناداه مناد من السماء يا قَيل: اختر لنفسك ولقومك. فقال: اخترت السوداء؛ فإنها أكثرهن ماء، فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا: هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنا، فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه، فأتوا مكة وعبدوا الله سبحانه وتعالى فيها حتى ماتوا.
(تفسير البيضاوي٣/٢٠؛ وفي القصة روايات أخرى، انظر: روح المعاني ١٦١/٨؛ تفسير الطبري ٥١٤/١٢-٥١٧؛ تفسير ابن كثير٢/٢٥٢؛ الدر المنثور ٤٥٠/٧)

لننظر في تعبيرات القرآن الكريم عن هذه العاصفة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ

كَٱلرَّمِيمِ﴾ (الذاريات: ٤١ – ٤٢) ،وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٥ – ٧)، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (فصلت: ١٦)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأحقاف: ٢٤ – ٢٥)، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ (القمر: ١٩ – ٢٠)

وصف القرآن الكريم هذه الريح بالعاتية (OUT OF CONTROL).

وتسرد كتب التفاسير مقدار الريح وتفاصيلها في تفسير سورة الحاقة. فليراجع.

وفي الحديث: « نُصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور».(صحيح البخاري، رقم:١٠٣٥)

الدبور: الريح الشديدة الناشئة من المغرب.

دروس وعبر:

(١) حذارِ أن يفخر الإنسان بقوته وقدرته.

لقد عصف الله تعالى بمن كان يدعي ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، وكانوا طوال القامة أقوياء الجثة، لقد وصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ (الفجر: ٨) ثم عصوا فدمرهم وديارهم تدميرا، وجعل عاليها سافلها. فكانوا –رغم قوتهم الشديدة– كما حكاه الله تعالى بقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٧)، وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ (القمر: ٢٠)

و رد الله تعالى على زعمهم: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ بأن بعض خلقه أشد منهم قوة.

(٢) وفيه للداعي من الدروس أن هودا عليه السلام كان على ذروة من الرزان والجدة، و لم يدع نصح القوم رغم استهزائهم وازدرائهم به وتكذيبهم له؛ بل صبر عليه صبر الرجال، وظل يدعوهم بحسن خلقه.

(٣) من أبرز خصائص الأنبياء عليهم السلام أنهم يعملون من غير مقابل (FREE OF

CHARGE). قال هود عليه السلام فيما حكاه الله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓ﴾ (هود: ٥١). فعلى الداعي أن يتصف بهذه الصفات.

قبر هود عليه السلام:

فيه أقوال عدة:

(١) دفن في وادي الأحقاف من اليمن.

(٢) دفن في جيراش من فلسطين.

(٣) دفن في «السلالة» من عمان.

(٤) دفن في مدينة نجف من العراق.

(٥) دفن في المسجد الحرام.

(٦) دفن في جهة القبلة من جامع دمشق... وغيرها.

ويبدو القول الأول أقرب وأرجح.

(١) يقول الشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي: « غير أن الرواية التي تقول بدفنه في حضر موت من بين هذه الروايات تبدو صحيحة ومنطقية؛ لأن قرى عاد بالقرب من حضر موت. فالقرينة تتطلب أن هودا عليه السلام نزل في قرية قريبة من قراهم بعد هلاكهم. وبها توفي».(قصص القرآن ١/١١٩)

(٢) قال الشيخ عبد الوهاب النجار: ما قيل من أنه حضرموت هو المقبول؛ لأن الأحقاف هذه هي التي تتصل بموطن عاد، لا فلسطين. (قصص الأنبياء، ص٥٣)

(٣) وهو ما يدل عليه أثر علي رضي الله عنه، أورده الحافظ ابن كثير، فقال: عن أبي الطفيل عامر بن واثلة: سمعت علي بن أبي طالب يقول لرجل من حضرموت: هل رأيت كثيبا أحمر تخالطه مدَرة حمراء، ذا أراك وسِدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضر موت، هل رأيته؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، والله، إنك لتنعته نعت رجل قد رآه. قال: لا، ولكني قد حُدِّثتُ عنه. فقال الحضرمي: وما شأنه يا أمير المؤمنين؟ قال: فيه قبر هود عليه السلام. (تفسير ابن كثير٢/٢٥٠)

سرد الحافظ ابن عساكر هذه القصة مفصلة، وجاء فيها أن عليا رضي الله عنه سأل

أحد الحضرميين عن علامات هذا المكان مفصلة، ثم قال: فيه قبر هود عليه السلام. وفي آخره: فقال لنا علي: كذلك سمعته من أبي القاسم. ويمكن الرجوع إلى إسناده في الكتاب. (تاريخ مدينة دمشق ١٣٩/٣٦-١٤٠)

يقول مشايخ حضرموت: يتناقل الناس عندنا نقلا متواترا أن قبر هود عليه السلام في واد الأحقاف. وكذلك في تاريخ حضرموت.

ليس المسجد الحرام مقابر الأنبياء:

واعلم أنه لا يصح ما ورد من وجود قبور الأنبياء عليهم السلام في المسجد الحرام، كما ورد في تاريخ مكة وغيره، إلا أن أسانيده على غاية من الضعف. روى العلامة أبو الوليد الأرزقي في تاريخ مكة، فقال: «كان النبي من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة، فيتعبد فيها النبي ومن معه حتى يموت فيه. فمات بها نوح وهود وصالح وشعيب وقبورهم بين زمزم والحجر». (أخبار مكة١/٦٨)

رد الدكتور/ سراج الإسلام في «المجموعة» هذه الرواية، فإن راويه «محمد بن سابطه ليس صحابيا أو تابعيا. قال الإمام أبو حاتم: مجهول. (المجموعة، ص٥٣٢) كما أن الرواية التي تقول: «قبر إسماعيل عليه الصلاة والسلام في الحجر»، لا يعتد بها أيضا. يقول الإمام السخاوي: «الديلمي عن عائشة مرفوعا، وسنده ضعيف». (المقاصد الحسنة، ص ٣٥٩) كما أنه لا يصح ما ورد: «في المسجد الحرام قبران، ليس فيه غيرهما، قبر إسماعيل وشعيب، فقبر إسماعيل في الحجر مقابل الركن الأسود». رواها الفاكهي وابن عساكر عن ابن عباس، وفي إسنادها محمد بن سائب الكلبي الكذاب. (أخبار مكة للفاكهي، رقم:١٢٧٥؛ تاريخ دمشق ٧٩/٢٣)

العثور على آثار قوم عاد في بعض مناطق اليمن في العصر الراهن:

ظهر كثير من آثار قوم عاد في الحفريات التي شهدتها بعض مناطق اليمن في العهد القريب، وفي عام ١٩٦٠م عثرَ على مدينة أوبار بعد حفريات تبلغ اثني عشر مترا، كما عثر على بعض الهياكل الإنسانية، وكان رأس واحد من عاد على قدر قامة البشر، كما تمت الحفريات عام:١٩٧٥م أيضا، ويرجع لصور ذلك وتفاصيله إلى الإنترنت والمصادر

الخاصة به. (منها: كتاب تبركات أنبياء لأرسلان بن أختر؛ أطلس القرآن الجديد؛ أطلس التاريخ العربي).

عن إرم:

قوم عاد وإرم واحد. وإنما أفرد الناظم كل واحد منهما بالذكر لأن:

(١) القرآن الكريم أفردهما بالذكر، فاتبعه الناظم، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧﴾ (الفجر: ٦ – ٧)

(٢) لضرورة الشعر.

(٣) لأن قصة قوم عاد ومصيرهم يختلفان عن مصير إرم. كما سيأتي.

ما إرم ؟

الأصح أن إرم اسم جد قوم عاد، ونسبهم: إرم بن عوص بن سام بن نوح.

وإليه أشار القرآن الكريم بقوله: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾

موجز قصة شديد وشداد:

ذكر المفسرون هنا قصة واعتبروها من الإسرائيليات، والقصة مفصلة جدا موجزها فيما يلي:

كان أخوان: شديد وشداد، مات شديد وبقي شداد. لم يكن يدانيه ملك من ملوك الأرض، فحمله غروره وكبرياؤه على ادعاء الألوهية، وأنذره ورثة الأنبياء من الواعظين والعلماء الله تعالى. ووعدوه بالجنة إذا أطاع الله تعالى. فسأل عن الجنة وصفاتها، ففصلوا له، فقال: لا أعجز عن بناء جنة مثلها. فاختار ألفا من ملئه، مع كل ألف آلاف من الرجال، وطلب الآجر من الذهب والفضة، وبنى كل قصر على ألف عماد، وكل عماد مرصع بالجواهر واللآلي، وجذور الأشجار من الذهب، وأغصانها وأوراقها من الزمرد، والأثمار من اللؤلؤ والياقوت. والحاصل أنه زينها بكل ما أمكن من أسباب العيش والترف في الدنيا.

أعد هذه الجنة بعد جهود استمرت اثنتي عشرة سنة، فلما تهيأت حدد يوما لتدشينها والدخول إليها، فبدأ يدخلها كما وعد وإحدى رجليه داخلها والأخرى

خارجها، إذ سمع رعدا وصوتا شديدا من السماء، فمات الظالمون كلهم، وسقط الملك مغشيا عليه من الموت. تسرد كتب التفاسير هذه القصة. (راجع: التفسير العزيزي ٤/٢٦٢-٢٦٨؛ الكشاف٤/٧٥١؛ تفسير أبي السعود٩/١٥٤-١٥٥؛ روح المعاني ٣٠/١٢٣؛ تفسير الخازن ٧/٢٤٢-٢٤٣)

لا بأس بذكر الإسرائيليات على سبيل الموعظة إذا لم تصادم أصول الدين:

كما قلنا: إنها رواية إسرائيلية، غير أن كثيرا من المفسرين أوردها، وليس في هذه القصة ما يعارض مبادئ الدين، فلا بأس بذكرها في الوعظ والنصح مع الإشارة إلى أنها من الإسرائيليات.

ويروى أن الله تعالى قال لملك الموت: هل رققت لأحد من العباد حين قبضت روحه؟ قال: نعم، مرتين: الأولى حين انكسرت سفينة وعلى بعض لوحاتها امرأة ووليد، فأوحي إلي أن أقبض روح أمه، فرققت للوليد؛ إذ لم يكن أحد سواها له. والثانية: بنى ملك من الملوك مدينة لم يُرَ مثلها، فلما تهيأت توجه إليها ليراها، فلما وضع قدمه في الباب أوحي إلي أن أقبض روحه، فرققت له، إذ مات وفي قلبه حسرة على عدم رؤيته لها. فقال الله تعالى: هذا الملك هو الوليد الذي ربيناه بغير والديه، ورفعناه إلى هذه المنْزلة، ولكنه عصى. (التفسير العزيزي ٤/٢٦٥)

وجاءت هذه القصة في تفاسير أخرى ببعض الفروق، حكاها العلامة نظام الدين حسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت:٨٥٠هـــ) في تفسيره «غرائب القرآن» نقلا عن بعض التفاسير. وهذا التفسير اعتبره مؤلفو طبقات المفسرين من التفاسير الجيدة. (التفسير والمفسرون١/٢٢٨)

والقصة كما يلي:

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ملك الموت حين عرج به إلى السماء فسأله: هل رققت لأحد من الخلائق الذين قبضت أرواحهم؟ فقال: نعم اثنان: أحدهما طفل ولد بالمفازة ثم أمرت بقبض روح أمه و لم يكن هناك إنسان يتعهد الطفل، والثاني ملك اجتهد في بناء مدينة لم يخلق مثلها ثم لم يرزق رؤيتها بعد أن وضع رجله فيها يعني شدادا، فدعا الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يخبره بذلك فأوحى إليه أن ذلك الملك هو ذلك الطفل الذي ربيناه وآتيناه مملكة الدنيا. وحين قابل النعمة والملك بالكفران وبنى

الجنان التي هي من مقدورات الله الرحمن جزيناه بالخيبة والحرمان. هكذا وجدت الحكاية في بعض التفاسير. (التفسير النيسابوري المسمى: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/٤٩٦)

سرد المفسرون قصة شداد إلا أن المحققين منهم نفوها. قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: فهذه الحكاية لا يصح إسنادها».(تفسير سورة الفجر) وقال ياقوت الحموي: «هذه القصة مما قدمنا البراءة من صحتها».(معجم البلدان١/١٥٧، مادة: إرم) وردها الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/٧٠٢). وقال القاضي الشوكاني في فتح القدير: كذب وافتراء. (تفسير سورة الفجر) وقال الحافظ ابن كثير في قصص القرآن: «ومن زعم أن إرم مدينة من ذهب وفضة، وهي تنتقل في البلاد فقد غلط، وأخطأ، وقال ما لا دليل عليه».(ص١١٠) كما رد الحافظ ابن كثير القصة التي تقول: إن بعض الأعراب وصل إلى مدينة إرم، وحمل بعض الجواهر منها، و وصول إلى معاوية رضي الله عنه وسرد قصته عليه. و رد العلامة الآلوسي في روح المعاني القصة في تفسير سورة الفجر. اللهم إلا أن الشاه عبد العزيز سرد القصة مفصلة في «التفسير العزيزي». وسرد الدكتور/ سراج الإسلام -من العلماء المعاصرين- في «المجموعة» النصوص الرادة لهذه القصة. (راجع: المجموعة، ص ٤٢٨-٤٣٣)

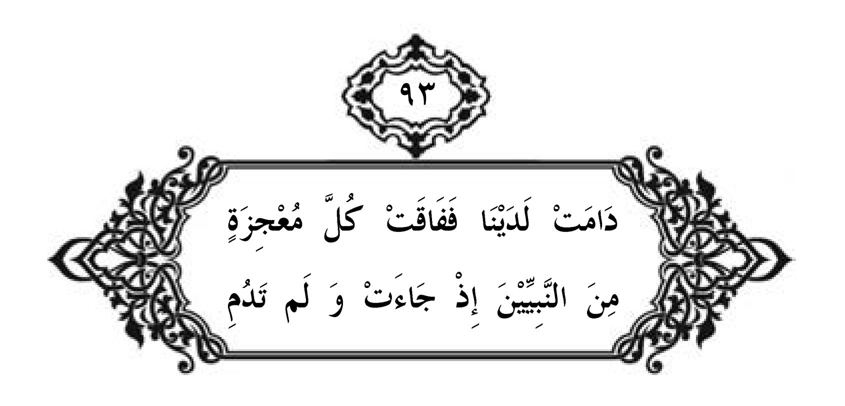
البلاغة:

(١) في البيت طباق -وهو من المحسنات-، وذلك بأن القرآن الكريم يحكي أخبار الماضي والمستقبل، ففيه تقابل، و لم يجتمع فيه الإيجاب والسلب، فكان تقابلا إيجابيا.

(٢) جناس ناقص في (المعاد، عاد) وهو من المحسنات اللفظية.

انتهى، ولله الحمد أولا وآخرا.

****



اللغة:

دامت: سبق تحقيقه في البيت رقم:٣٩. لدينا: سبق تحقيقه في البيت، رقم:٤٠.

فاقَت: سبق تحقيقه في البيت، رقم:٣٨. النبيين: سبق تحقيقه في البيت، رقم: ٣٥، ٣٨.

جاءت: سبق تحقيقه في البيت، رقم:٧٢.

معجزَةً: عجزَ (ض) عن الشيء عَجْزًا وعَجزانًا: ضعف و لم يقدر. وفي التنْزيل: ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ﴾ (المائدة: ٣١)، وهو عاجز، ج: عجَزَة، وعَجَزٌ.

عجِزَ (س) عظمت عجيزته. هو أعجز.

عَجُزَ (ك): أسنَّ.

عاجزَ: ذهب فلم يقدر عليه و لم يُدرَكْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ (سبأ: ٣٨)

العَجَزُ: مؤخر الشيء/ الألية. العَجْزُ: الضعف. العُجْزَة: آخر ولد الرجل.

العجوز: له أكثر من خمسين معنى، والمشهور: المرأة المسنة، كبيرة السن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ﴾ (هود: ٧٢)

المعجزة: أَمر خارق للْعَادَة يظهره الله على يَد نَبِي تأييدا لنبوته وَمَا يعجز الْبشر أَن يَأْتُوا بِمثلِهِ.

الإعراب:

ليس فيه ما يشكل فأعرضنا عنه مخافة الإطالة.

الشرح:

من صفات القرآن الكريم أنه لا يزال قائما عندنا بعد ما نزل، وسيبقى إلى يوم القيامة. وأما غيرها من المعجزات فليست باقية، ظهرت في حينها وانتهت.

فعصا موسى عليه السلام واليد البيضاء لعيسى عليه السلام وناقة صالح عليه السلام وغيرها من المعجزات لم يبق شيء منها، وأما القرآن الكريم فيتلى آناء الليل وآناء النهار.

الصغرى: القرآن نزل ودام، وغيره لم يدم.

الكبرى: كل ما نزل ودام فهو فائق على ما لم يدُم.

النتيجة: القرآن فائق على غيره.

(١) أشار القرآن الكريم إلى وصفه هذا، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (العنكبوت: ٥١)

يقول ابن عجيبة في تفسيره: «وهذا هو القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل زمان ومكان، فلا يزال معهم آية ثانية، لا تزول ولا تنقطع، كما انقطع غيره من الآية». (البحر المديد٥/٣٢٠)

وقال الرازي في تفسيره: «وقوله: «ذكرى»: إشارة إلى أنه معجزة باقية يتذكر بها كل مَن يكون ما بقي الزمان». (تفسير الرازي٢٥/٦٨)

ومثله في كثير من مصادر التفاسير.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ (البقرة: ٢٤)، وفيه إشارة إلى أن القرآن دائم باقٍ، و لا تستطيعون الإتيان بمثله.

(٢) في الحديث: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيتُ وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».(صحيح البخاري، رقم:٤٩٨١)

في الحديث إشارة إلى معجزته وحي يتلى أبد الدهر.

سؤال: كون القرآن كتابا دائما شرف له: كيف كان ذلك ؟

الجواب: له وجوه عدة، منها أن هذه المعجزة لما كانت باقية في كل زمان، فيمكن إدراكها بالحواس والمشاهدة، وأما المعجزات الأخرى فهي مخبر عنها وليست مشاهدة.

فائدة:

عدَّ أهل العلم كون القرآن معجزة دائمة أبدية من وجوه إعجازه.

قال القاضي عياض: ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا». (الشفا، الفصل العاشر: بقاؤه على الزمن. للاستزادة منه راجع: شرح الشفا للخفاجي٢/٥٢٩-٥٣٠؛ وبهامشه: شرح الشفا للقاري٢/٥٢٩-٥٣٠؛ إظهار الحق٢/٥٢)

وعلى كل، يشمل (دامت لدينا) أن فصاحة القرآن الكريم وبلاغته وتأثيره وكافة صفاته ووجوه إعجازه كلها دائمة أبدية. فالقرآن الكريم معجزة كاملة بكل الوجوه والصور.

إيراد: التوراة والزبور والإنجيل وغيرها كتب سماوية، وباقية ليومنا هذا، فكيف يعدُّ ذلك من خصائص القرآن الكريم؟

الجواب: (١) لا توجد هذه الكتب على الوضع الذي نزلت عليه، ولا عبرة بالمحرف منها.

(٢) المقصود بالبقاء: بقاء زمانه، والعمل به. وأما الكتب الأخرى فقد انتهت صلاحيتها.

معجزة: أي: الآية المعجزة.

شرح كلمة «المعجزة»:

يجب الإشارة هنا إلى أن كلمة «المعجزة» لم ترد في القرآن الكريم، والحديث النبوي، وإنما هي مدلول كلمة «آية»، أي الآية/ العلامة التي أعطيها نبي من الأنبياء، وعجز الخلق عنها، فهو معجزة.

متى يوصف بالمعجزة ؟

بعض الأشياء من العادات، كالطعام والشراب والنطق ونحو ذلك، فليس شيء منها من المعجزات، نعم ما كان على خلاف العادة وقام على قدرة الله تعالى، فهو معجزة.

فليس كل ما خالف العادة معجزة. فما كان على خلاف العادة، وجاء نتيجة

الأسباب الخفية (من السحر وغيره)، أو بأسباب ظاهرة لا يقدر عليها كل أحد، لم يكن معجزة، فالشعوذة ونحوها يدخل تحته.

أقسام خوارق العادة:

تذكر الكتبُ المعجزةَ وما يقاربها من الألفاظ، ولها تعريفات مختلفة، وأيسر تقسيم وتعريف لها:

الأمر الخارق للعادة:

(١) إذا صدر من النبي صلى الله عليه وسلم بعد النبوة فمعجزة.

(٢) وإن صدر قبل النبوة فهو إرهاص.

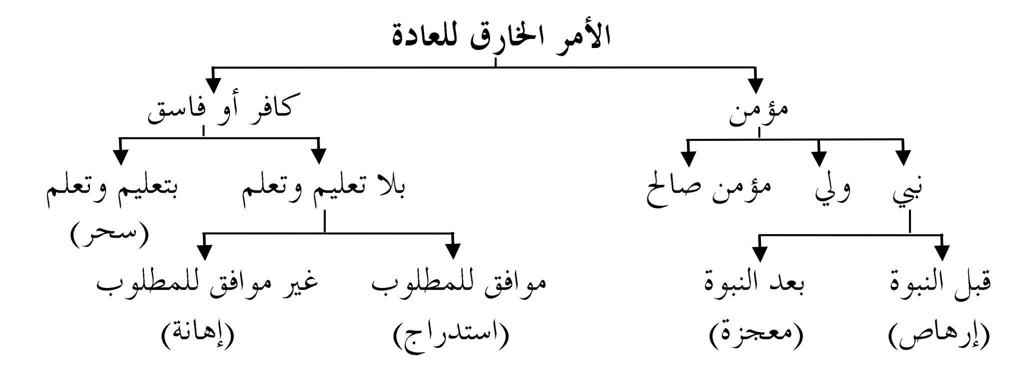
(٣) وإن صدر من ولي فهو كرامة.

(٤) وإن صدر من فاسق أو كافر بتعليم وتعلم فهو سحر.

(٥) وإن لم يظهر بتعليم وتعلم فإن وافق مطلوبه فاستدراج.

(٦) وإن خالف مطلوبه فهو إهانة.

(٧) وإن صدر الأمر الخارق للعادة من عامة المسلمين فهو إعانة /معونة.



١- مثال الإرهاص: سلام الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة: «إني لأعرف حجرا كان بمكة، كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن».(صحيح مسلم، رقم:٢٢٧٧)

٢- مثال المعجزة: انشقاق القمر، والمعراج، والقرآن الكريم. (في انشقاق القمر راجع: صحيح البخاري؛ وصحيح مسلم، باب انشقاق القمر. وفي المعراج راجع: صحيح البخاري، باب المعراج؛ صحيح

مسلم، باب الإسراء. وفي كون القرآن معجزة راجع: سورة البقرة:٢٣؛ صحيح البخاري، باب كيف نزل الوحي)

٣- مثال الكرامة: أسيد بن حضير وعباد بن بشير خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة، وإذا نور بين أيديهما، حتى تفرقا، فتفرق النور معهما. (صحيح البخاري، رقم:٣٨٠٥)

٤- مثال المعونة: خروج الناس للاستسقاء، ونزول المطر بدعائهم على الفور. وكثيرا ما يحدث ذلك.

٥- مثال الاستدراج: يمهل الله تعالى بعض الكفرة والفجرة لمدة معينة أن يحصِّلوا ما يشاؤون، مثل إقداره سبحانه الدجال على قتل ولي من الأولياء، فيقتله، ثم يحييه. (صحيح مسلم، رقم :٢٩٣٨)

٦- مثال الإهانة: مسح مسيلمة الكذاب يده على رأس رجل يريد الشفاء له، فصار أصلع. (لوامع الأنوار البهية ٢/٢٩٠. المعارف لابن قتيبة١/٤٥٤)

أو كما بصق مسيلمة في عين بعضهم فعمي. (تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد)

٧- مثال السحر: تحول عصي السحرة وحبالهم حيات على عهد موسى عليه السلام.(طه:٦٦)

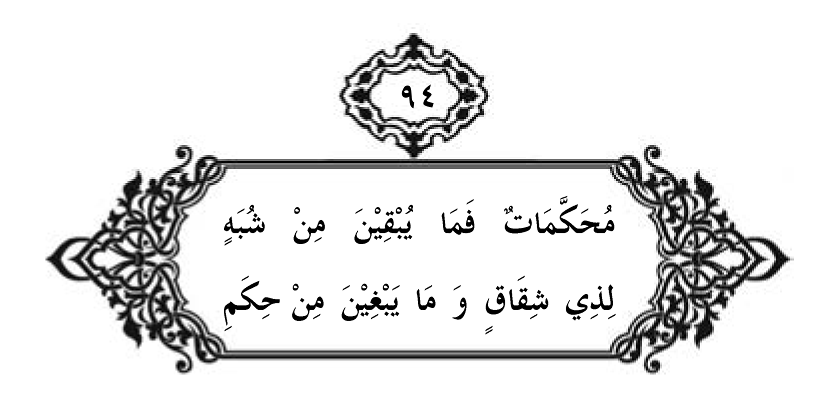
منهم من عد الشعوذة منه، والشعوذة نوع من السحر. يمكن إدخاله في السحر. (للاستزادة من تعريف هذه الأقسام وتفاصيلها راجع: دستور العلماء٢/٥٠ حرف الخاء؛ كتاب الكليات، ص٤٣٣، فصل الخاء؛ التعريفات، ص ٢٣٥، الكرامة؛ فتح الباري ٦/٥٨١، علامة النبوة؛ فتح الباري،١٠/٢٢٣، باب السحر).

ليس من خوارق العادة ما جاء نتيجة الأسباب والآلات والكسب:

يقول أهل العلم: على القول الصحيح: السحر والشعوذة وسحر العين ونحوها ليس من خوارق العادة في شيء؛ لأن ما جاء نتيجة الأسباب والآلات والكسب ليس من خوارق العادة مثل الموت بالسم، والشفاء بالدواء، والإسهال بالسقمونيا، ليس شيء من ذلك من خوارق العادة. والسحر كذلك يظهر نتيجة الأسباب الخبيثة، فلا يوصف بخرق العادة. أما عدم الموت بعد تناول السم،فهو من خرق العادة،كما حدث لخالد بن الوليد الذي شرب السم و لم يضره شيئا، فيكون ذلك كرامة.

انتهى، ولله الحمد كله وله الشكر كله.

****



اللغة:

محكّمات: سبق تحقيقه في البيت رقم:٢٥.

يُبقين: بقِيَ (س) بقَاءً: دام وثبت. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن: ٢٧)

أبقى إبقَاءً: حفظ. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ (المدثر: ٢٧ – ٢٨)

الباقي: (١) القائم الدائم. (٢) ما بقي/ الرصيد.

المستبقى: محفوظ (RESEVED)

شُبَه: أشبهَ الشيءُ الشيءَ/ شابهه/ تشابه: أشبه كل منهما الآخر، وصار مثله في الصورة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ (البقرة: ٧٠)

شَبَّهَ عليه الأمر/ اشتبه: التبس، و لم يُفهَم.

شبَّه الشيءَ بالشيء: جعله شبهه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء: ١٥٧)

الاشتباه: الشك والريب.

الشِّبه: (١) المثل، والنظير. (٢) الصورة. (٣) المشابهة. ج: أشباه.

الشُّبهة: اللبس والشك، وسمي بها لأنه يشبه الحقَ ولا يكون حقا، أو يُظَنُّ دليلا وليس دليلا.

ويرى المرء شبهته حقا، وهو هباء منثور. شُبهة، ج: شُبَهٌ.

شقاق: شَقَّ (ن) الشيءَ شَقًّا: خرقه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ (عبس: ٢٦)

شق الأمر شقا ومشقة: صعب.

شق عليه الأمرَ: صعَّبه عليه، (متعدٍ)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ ﴾ (القصص:٢٧)

شقَّ (س) شَقاقا: ميل الفرس إلى جانب في جريه.

شاقَّ: جادله وخالفه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (الأنفال: ١٣)

الشِّق: (١) الطرف. (٢)جزء الشيء. (٣)نصفه. (٤)الجد والمشقة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ ﴾ (النحل: ٧)

الشقاق: الاختلاف، والجدال، والمخالفة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمًا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ (النساء: ٣٥)

سمي الجدال بالشقاق؛ لأن الجدال بين فريقين يجعل أحدهما في طرف والآخر في طرف آخر.

يبغين: بَغَى (ض) بَغْيًا: (١) اعتدى، وظلم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ (ص: ٢٢) (٢) الزنا.

بغى الشيءَ بُغْيةً: طلبه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾ (الأنعام: ١٦٤)، و قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا ﴾ (يوسف: ٦٥)

سئل مالك عن حديث، وهو سائر، فقال: «هذا إذا جلسنا للبغاة» (أي: للطالبين).

الإعراب:

محكمات: (١) خبر بعد خبر. (٢) صفة بعد صفة.

(فما) الفاء للتفريع.

من شِبهٍ: (من) زايدة، (شبه) منصوب حكما، والمعنى: ما يبقين شبها.

من حكَم: مثل (من شبه).

الشرح:

من بين الخصائص العلية للقرآن الكريم اختصاصه بأن آياته محكمة.

ومحكماتٌ: في بعض النسخ: بالواو قبل البيت. والكاف في (محكمات) مخففة. (شرح الملا علي القاري، ص ٨٨).

اختلاف النسخ:

محكّمات فما يبقين من شُبَهٍ ۞ لذي شقاق وما يبغين من حكَم

وفي بعض النسخ: (محكمات فيما يبقين من شبه) من باب الإفعال، و لا يستقيم وزن الشعر عليه. وأما نسخة الملا علي القاري فهي: (ومحكمات) من باب الإفعال، ووزنه الشعري مستقيم؛ لأنه من البحر البسيط، ووزنه هنا هكذا:

وَمُحْكَمَا تُنْ فَمَا يُبْقِيْنَ مِنْ شُبَهٍ ۞ لِذِي شِقَا قِنْ وَمَا يَبْغِيْنَ مِنْ حَكَمٍ

مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن ۞ مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن

(١) أحكم الشيءُ: قوي، واستحكم. فهو محكَم.

معنى البيت: آيات القرآن الكريم محكمات، لا تحرَّف و لا تنسخ. ويبقى هذا الكتاب على أصله إلى يوم القيامة.

(٢) معنى (ومحكمات): مُتْقَنَاتٌ في النظم والبلاغة، لا شبهة في كونها كلام الله. فالقرآن الكريم مزين بما ظهر وخفي من المحاسن، و لا شك أنه كلام الله تعالى.

(٣) محكَّمات: في عامة النسخ: بالتشديد. فهو من (حكَّمَ) من التفعيل. والمعنى: آيات القرآن الكريم حاكمة/ فاصلة؛ لأن الله تعالى جعلها حاكمة فاصلة، كما أن المسلمين جعلوها حاكمة، فيجب أن تخضع لها القضايا والأحكام كلها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (المائدة: ٤٤)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ (آل عمران: ٢٣)

فما يبقين من شبه:

القرآن الكريم كلام لا يسع معاندا أن يثير فيه شبهة.

من إعجاز القرآن الكريم أنه لا يثار شبهة أو اعتراض إلا ويتقدمه أو يتأخر عنه كشف لها ورد عليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة: ٢)

إيراد: ما أكثر الشبهات التي يثيرها الناس في القرآن الكريم، وكثير منهم يكفرون

به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ (سبأ: ٥٤)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَل هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ (ص: ٨)

الجواب: معنى لا ريب فيه: ليس محلا للريب، وأما إثارتهم الشبهات فيرجع إلى نقص في عقولهم. كما أن العسل حلو يصير مرّا في فم المريض.

وإليه أشار الناظم في آخر بيت من أبيات هذا الفصل:

قَد تُنكِرُ العَيْنُ ضَوءَ الشمْسِ مِنْ رَمَدٍ ۞ وَ يُنكرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَم

(٢) شكهم/ شبهاتهم صارت كالعدم لعدم الدليل عليها. فهي شبهات لاغية.

(٣) الريب: شك مقلِقٌ، كما جاء في المنافقين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ (التوبة: ١١٠)، أي هذا المسجد يسبب لهم القلق. فالمعنى: ليس في القرآن الكريم قلق واضطراب. يقول الشاعر الأردي الملقب بـــ (خمار) الباره بنكوي:

سکون ہی سکون ہے خوشی ہی خوشی ہے ۞ تیرا غم سلامت مجھے کیا کمی ہے

(طمانينة بعدها طمانينة، فرحة في فرحة، ليسلم لك الهمُ، هل ينقصني شيء)

(٤) النفي هنا بمعنى النهي: لا ترتابوا فيه. فإن ثارت شبهة أو إيراد في شيء منه؛ فإنه يقترن به الكشف عنه والرد عليها.

لايبغين من حكم:

(١) لا تحتاج إلى حاكم آخر: فالآيات القرآنية هي الحكم، وفي غنى عن حكم آخر، والقرآن الكريم أصل وما عداه من العلوم تبع له.

(٢) بغى: بمعنى: ظلم، و(من حكم) تمييز. والمعنى: إن الآيات القرآنية –بصفتها حاكمة– لا تظلم، فإذا رفع رافع قضيته إلى القرآن الكريم حكم فيه حكما عدلا، ولا يحابي فريقا دون فريق.

قيل: حِكَم: ليس بمعنى: الحاكم/ الفيصل؛ بل هي جمع حِكمة. والمعنى حينئذ: القرآن الكريم بدوره مصدر الحِكَم؛ فلا يحتاج إلى غيره فيما يخص الحكمة؛ وإنما يلقِّنُ العالَمَ كله الحكمة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ (الإسراء: ٣٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَـٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ (القمر: ٤ – ٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: ٥٨)

وعدَّ أهل العلم علمَ حِكَم القرآن من علوم القرآن الكريم.

إيراد: قلت في المعنى الأول: إن القرآن بدوره حَكَم، في حين لا يعترف به كثير من الناس حتى المسلمون يحتكمون إلى المحاكم الوضعية(COURT)، وحينا إلى أخرى؟

الجواب: يرد عليه بمثل ما رُد على الإيراد على (ما يقين من شبه) أي أن الله تعالى جعل القرآن الكريم حاكما عدلا، فحقيق بألا يتجاوز حكمَ القرآن الكريم، ومن فعل ذلك فقد دل على عناده وضعف إيمانه.

مُحكماتٌ:

من المحكم ما هو من أقسام المتقابلات في أصول الفقه، أي تقسيم من التقسيمات المتعددة للفظ باعتبار «ظهور المعنى وخفائه». وله ثمانية أقسام، يقال لها «متقابلات»، ومنها المحكم. وتعريفه: ما أحكِمَ المراد به عن احتمال النسخ والتبديل. ومثاله قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٣١)

ومحكم آخر: ما يقابل المتشابهات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ (آل عمران: ٧)

مهمات تخص المتشابهات:

تعريف المحكم والمتشابه:

له عدة تعاريف، أيسرها:

(١) المحكم: مفهوم المعنى وواضح المعنى، نحو قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (البقرة: ٢٠)

المتشابه: غير مفهوم المعنى والمراد، نحو قوله تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ﴾ (البقرة: ١) أو قوله تَعَالَىٰ: ﴿حمٓ﴾ (غافر: ١)، أو كان غير مفهوم المراد، نحو قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ (الفتح: ١٠)

(٢) المحكم: ما لا يحتمل إلا وجها واحدا/ معنى واحدا.

المتشابه: ما يحتمل وجوها ومعانيَ.

المتشابه على قسمين:

(١) لا يعلم معناه إلا الله تعالى، ولا يعلم أحد دلالته الحرفية أيضا، نحو: ﴿الٓمٓ﴾

وغيرها من الحروف المقطعات.

(٢) يعلم معناه ولا يعلم مراده، أي معناه الظاهر معلوم، ومعناه الحقيقي مجهول، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥)، فدلالته معلومة، وحقيقته مجهولة.

قوله قَالَ تَعَالَى: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (آل عمران: ٧)، أي: أصل الكتاب. فيرجع المتشابه إلى المحكم الذي هو أم الكتاب، كما يرجع الولد إلى أمها.

معظم آيات القرآن الكريم محكمة، وهي أصل في استفادة الأحكام والقوانين.

قال: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾، و لم يقل (هن أمهات الكتاب)، فيه إشارة إلى أن الأصل واحد، والأم مرجع، و المرجع لا يكون إلا واحدا، وهو أن يرجَع كل شيء إلى المحكمات.

استغلال باطل للمتشابهات:

أوَّل كثير من الفرق المتشابهات تأويلا باطلا واستغلوها لمصالحها، و لم ينتبهوا إلى أن هذه القضية على صلة بعدد من الآيات المحكمات، فإنهم أخذوا متشابها واحدا ضاربين بكافة المحكمات التي تعارض هدفهم- عرضَ الحائط. ومن الأمثلة على ذلك:

يقول الشيعة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة: ١٢٤)، قالوا: المراد به عليٌّ رضي الله عنه. أي علي إمامٌ (صغرى)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (يس: ١٢)، أي والإمام علي عالم بكل شيء (كبرى). والنتيجة: عليٌّ عالم بكل شيء.

وهم يحملون الآيات على ما تمليه عليهم أهواؤهم من المعاني معرضين عن سياق الآيات وسباقها.

يقول البريلوية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١٧٤)، من معانيه: محمد صلى الله عليه وسلم. فتمسكوا بهذه الآية وحدها واعتقدوها، وادعوا أنه –محمدا صلى الله عليه وسلم- نور، ليس بشرا. ثم نبذوا كافة الأدلة المحكمة وقصصه –من مولده إلى وفاته- التي تدل على بشريته وراء ظهورهم، رغم أنه ليس تفسيرا قاطعا للآية. ولو سلمنا –فرضا- أن

المراد به النبي صلى الله عليه وسلم، فالمعنى أنه منير بالنظر إلى صفاته. وسبق بعض التفاصيل في هذه المسألة في البيت: «فمبلغ العلم فيه أنه بشر».

يقول البريليون وأتباعهم: إنه ورد في القرآن الكريم قوله تَعَالَىٰ:﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا﴾ (البقرة: ٢٦٠)، مما يدل على أن الطير تستجيب إذا دعيت. فما الحرج في الاستمداد من الأولياء والصلحاء الكرام غيبا؟ فيصح نداؤهم.

الجواب: من وجوه:

(١) إن القصد من نداء الأولياء ودعائهم هناك أن يدعوهم، وأن الله تعالى يوصل صوته إليها. وذلك معجزة له.

(٢) و لم يكن دعاء إبراهيم إياها استمدادا منها؛ وإنما كان على سبيل تقريب إحياء الموتى إلى الأذهان بضرب مثل دنيوي على ذلك.

(٣) ثمة مئات من الآيات التي تأمر بالاستمداد والاستعانة من الله تعالى وحده.

يقول النصارى:

قد أشار القرآن الكريم إلى ألوهية عيسى عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ (النساء: ١٧١) دلت الآية الكريمة على أن عيسى كلمة الله وروح منه. كلمة الله وكلامه قديم، فعيسى عليه السلام قديم أيضا.

القديم: ما لا ابتداء له ولا نهاية.ولكن غفل هؤلاء عن:

١- أن أحوال عيسى عليه السلام -من مولده إلى وفاته- تدل على بشريته، فكان جنينا في بطن أمه، ووُلِدَ على الطريق المعتاد، كان يأكل الطعام، ويصيبه المرض، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ (المائدة: ٧٥)

٢- علاوة على ذلك قال تعالى حكاية عنه: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ﴾ (مريم: ٣٠)، فلم يلتفتوا إلى أمثالها من الآيات الواضحة.

وأما قوله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ فمعناه: أن عيسى خلق بكلمة (كن) من غير حاجة إلى الأسباب الظاهرة. وقوله: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾، معناه: مرسل من الله تعالى. ولو حملنا قوله (منه) على الجزئية -كما ذهب هؤلاء إليه- لكان معنى قوله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية: ١٣) أن الكون كله جزء من الله تعالى. (العياذ بالله).

وسلك نصارى نجران في إثارة هذه الشبهة على الأسلوب نفسه أمام النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: تقولون: إن عيسى كلمة الله. فكشف النبي صلى الله عليه وسلم شبهاتهم كله بما فيه مقنع. (راجع: تفسير الطبري؛ تفسير ابن أبي حاتم؛ تفسير الخازن في تفسير قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ (آل عمران: ٧)

ويقول الخوارج: حكَّم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري، مع أن القرآن الكريم يقول: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (الأنعام: ٥٧)؛ فيكون المحَكِّمون كلهم كفرة (والعياذ بالله منه)، في حين أن القرآن يقول: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ (النساء: ١٠٥)، ويقول: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ (المائدة: ٤٢)، ويقول: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ (المائدة: ٤٨)

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب وغيرهما من الصحابة حكاما إلى مناطق مختلفة. ومعنى قوله: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾:لا تتجاوزوا حكم الله تعالى.

والحاصل أن الحكم لله وحده، وأما الحكام فيتعددون، ينقلون حكم الله تعالى.

تقول القاديانية:

قوله تعالى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ (آل عمران: ٥٥) يدل على أن عيسى قد توفي مع أن قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء: ١٥٧ – ١٥٨) يوضح أنه سبحانه رفعه إليه. ولكن القاديانية أعرضت عن هذا المحكم و الواضح إلى الاستدلال بقوله ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، وهو لا يدل على ما ذهبوا إليه.

ولكثير من مشايخنا وخاصة الشيخ محمد أنور الشاه الكشميري، والمفتي محمد شفيع والعلامة محمد يوسف البنوري وعلماء ختم النبوة/ باكستان خدمات قيمة في هذا الموضوع. وقد خدم هؤلاء هذا الموضوع خدمة يعز مثيله في كتب المتقدمين.

الخطأ الأساسي الذي صدر من أهل الباطل فيما يخص المتشابهات:

وبصفة خاصة يمكننا أن نعبر عن المعنى السالف بقولنا: إن أهل الباطل وقعوا في خطأين شديدين فيما يخص المتشابهات:

(١) يؤولون المتشابهات من عند أنفسهم، ويرونه تأويلا قاطعا.

(٢) يؤولون المتشابهات بما يمليه عليهم أهواؤهم، في غفلة عن مبادئ الدين، وصدر عنهم هذا الخطأ في الكتاب والسنة جميعا.

سبق بعض الأمثلة على الخطإ في تأويل القرآن الكريم، ومن الأمثلة عليه في الأحاديث النبوية، قوله صلى الله عليه وسلم: «فتجلى لي كل شيء وعرفتُ».(سنن الترمذي، رقم:٣٢٣٥)

يستدل به البريلوية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطي علم الغيب الكلي؛ ولكنهم نسوا أن كثيرا من الأشياء لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم على علمٍ به.

والفساد الثاني أن المراد في القرآن والحديث بـــ كل شيء: الشيء الموصوف، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ (البقرة: ٢٦٠)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٢٣)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ١٦)، وحمل «الكل» فيها على الإحاطة الكلية مما يعارض العقل. و كذلك نقول: قرأت كل شيء، ولا نريد الإحاطة.

وهذا المعنى المذكور يؤيده قوله تَعَالَى: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ (آل عمران: ٧)

تفسير المتشابهات تفسيرا محتملا:

كما سبق أنه من الخطأ تأويل المتشابهات والقطع به، فأما إذا ذكر لها معنى على سبيل الإشارة أو النكتة فلا بأس به. كما يذكرون عدة نكات فيما يخص (ا ل م):

ا	ل	م	ذلك الكتاب
الأول	اللازم	للمؤمن	ذلك الكتاب
الأصل	اللازم	للمستدل	ذلك الكتاب
أنا	الله	أعلم	ذلك الكتاب

الأعلى	اللامع	الماحي الكفر	ذلك الكتاب
الأتم	اللطيف	المفيد	ذلك الكتاب

لا يجزم أحد بهذه المعاني؛ بل يسردها على أنها نكات. وتجد هذه النكات وأمثالها في «تبصير الرحمن» وأمثاله من مصادر التفسير.

مؤلف كتاب «تبصير الرحمن»: علي بن أحمد بن علي الكوكني الدكني الهندي المعروف بمخدوم المهائمي المولود:٧٧٦هـ والمتوفى ٨٣٥هـ، ولد وتوفي في «مهائم» من بنادر كوكن، وهي ناحية من الدكن، وبها قبره. يزدحم عليه الناس. وكان هذا المكان خارج ممباي، ودخلتها بعد توسع عمرانها.

يقول ابن جرير الطبري: «هاجر بعض قريش إلى الهند على عهد الحجاج بن يوسف حين ضاقت عليهم الأرض، واستوطنوا «الدكن» على ساحلها، يقال لهم «نوائت». والمؤلف المذكور من نفس العائلة. عمل تفسيرا مختصرا ممزوجا في مجلدين، سماه «تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما أشار إليه إعجاز القرآن».(الأعلام للزركلي ٤/٢٥٧-٢٥٨). وعُدَّ هذا التفسير من جياد التفاسير.(طبقات المفسرين، ص٤٢٧) وطبع هذا الكتاب في العرب والهند غير مرة. وطبع على هامشه قديما: «نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن» للعلامة أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (المتوفى: ٣٤٠هـ).

وعلى كل فمن خصائص هذا التفسير ما يلي:

١- ذكر نكات الحروف المقطعة وغيرها.

٢- لخص محتوى السورة في بدايتها.

٣- ذكر المعنى المناسب لبسم الله الرحمن الرحيم، الخاص بكل سورة في فاتحتها.

و لم يفرح بهذا التفسير الشيخ أحمد السرهندي المجدد للألف الثاني.

هل يمكن فهم معنى المتشابهات أو لا ؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ (آل عمران: ٧)

يقول الإمام النووي والعلامة ابن الحاجب وغيرهما: «عطف «الراسخون» على

«الله»، فالمعنى: يعلم الله تعالى ويعلم الراسخون في العلم. ويقال: روي عن ابن عباس مثله.

قال النووي: «والأول أصح، وأن (الراسخون في العلم) يعلمونه؛ لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته».(شرح النووي على مسلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن).

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «أنا ممن يعلمه».(تفسير الطبري، في تفسير هذه الآية)

قال مجاهد: «والراسخون في العلم يعلمون تأويله، ويقولون: آمنا به».(تفسير الطبري ٢٠٦/٦)

وقال ابن الحاجب في مختصره: «والظاهر الوقف على »والراسخون في العلم»؛ لأن الخطاب بما لا يفهم بعيد».(رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب٩٧/٢؛ وهو شرح العلامة السبكي على مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه)

أدلة الجمهور:

يقول الجمهور: يجب الوقف على قوله: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ، وقوله:﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ كلام مستأنف، وعلى صلة بما بعده. ومن أدلة الجمهور:

(١) قراءة ابن عباس:

قرأ ابن عباس: « ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ويقول الراسخون في العلم: آمنا به».(المستدرك للحاكم، رقم:٣١٤٣. تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني، ص٣٧٠)

علاوة على ما روي عن ابن عباس هذا ثمة روايات أخرى في هذا المعنى. جاء في الدر المنثور وتفسير الطبري ضمن هذه الآية روايات عن عدد من الصحابة وسلف الأمة ما يفيد الوقوف على «إلا الله»، وأن «الراسخون في العلم» لا يعلمون تأويله، ولا يعلمه إلا الله تعالى.

(٢) الله ذم المبتغين: أي أن الله تعالى ذم الذين يبتغون تأويل المتشابهات في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ (آل عمران: ٧)

(٣) لحديث: «فاحذروهم»:

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «فإذا رأيتم الذين يتبغون ما تشابه منه فألئك الذين سماهم الله فاحذروهم».(صحيح البخاري، رقم:٤٥٤٧)

سمى اللهُ: أي: سماهم الزائغين.

عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم من المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتب يأخذ المؤمن يبتغي تأويله، وليس يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولو الألباب، وأن يروا ذا علمهم فيضيعوه ولا يبالون عليه».(المعجم الكبير للطبراني ٢٩٣/٣ /٣٤٤٢. وقد ذكر هذه الرواية عن الطبراني جمع من المفسرين، منهم السيوطي، وابن كثير بلفظ: وأن يزداد علمهم، فيضيعوه ولايبالوا به).

حديث آخر: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أكثر ما أتخوف على أمتي من بعدي: رجل يتأول القرآن، يضعه على غير مواضعه، ورجل يرى أنه أحق بهذا الأمر من غيره».(المعجم الأوسط ١٨٦٥/٢٤٢/٢؛ وانظر: المستدرك، رقم:٣١٣٩)

فإن ابتغى الراسخون في العلم تأويل المتشابه وزعموا علمهم به، كانوا – وفق هذا الحديث – مذمومين زائغين ممن أمروا باجتنابهم، مع أن الراسخين ليسوا كذلك، فعلم أن الراسخين لا يتصدون لذلك، ولا يعلمون تأويله.

(٤) قصة صبيغ بن شريك: ومن قال: صبيغ بن عِسل، فقد نسبه إلى جده الأعلى.(تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٩٥٤/٣)

جاء عن صبيغ بن شريك التميمي أنه كان يبتغي المتشابهات، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فضربه ضربا مبرحا، وواصل ضربه على رأسه. فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا. فقال عمر: أريد أن أنتزع الشيطان من رأسك. فقال: قد فعلت. ثم أمر عمر رضي الله عنه ألا يجالسه أحد. وكان نصحا له. فتاب صبيغ توبة نصوحا، وقام بجلائل الأعمال فيما بعد.

والحاصل أن الراسخين في العلم لو كانوا يعلمون تأويل المتشابهات، لما عاقب عمر رضي الله عنه صبيغ بن شريك على تصديه له.

لنقرأ القصة:

عن نافع مولى عبد الله، أن صبيغا العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ فقال: في الرحل، قال عمر: «أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجعة»، فأتاه به، فقال عمر: «تسأل محدثة»، فأرسل عمر إلى رطائب من جريد، فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له، ثم تركه حتى برأ، فدعا به ليعود له، قال: فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي، فاقتلني قتلا جميلا، وإن كنت تريد أن تداويني، فقد والله برأت، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن لا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر: أن قد حسنت توبته، فكتب عمر: أن ائذن للناس بمجالسته. (سنن الدارمي، رقم:١٥٠)

وعن سليمان بن يسار: أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر رضي الله عنه وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين، فضربه وقال: أنا عبد الله عمر، فجعل له ضربا حتى دمي رأسه. فقال: يا أمير المؤمنين، حسبك، قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي. (سنن الدارمي، رقم:١٤٦)

رجال إسناده كلهم ثقات إلا أن سليمان بن يسار لم يدرك عمر رضي الله عنه.

فلو عطف قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ على قوله: ﴿ ٱللَّهُ﴾، لكان حرف عطف آخر (الواو) قبل قوله: ﴿ يَقُولُونَ ﴾، والتقدير: ما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ويقولون آمنا به. وليس كذلك، فعلم أن (الراسخون) كلام مستأنف.

(٥) دلت الآية الكريمة على أن الناس على قسمين في هذا الأمر، ويجب أن يختلف حال كل قسم منهم عن غيره. فإذا كان الزائغون يبتغون المتشابهات، فليكن حال الراسخين التفويض والتسليم، الذي عبر عنه بقوله: ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ . فلو عطفنا قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ على قوله: ﴿ ٱللَّهُ﴾ لفسد المعنى، و لم يبق من فرق بين الراسخين والزائغين في اتباع المتشابهات. (للاستزادة منه راجع: أقاويل الثقات، ص ٥٢؛ روح المعاني

٨٣/٣-٩٠؛ الإتقان في علوم القرآن، النوع:٤٣؛ البرهان في علوم القرآن، النوع:٣٦؛ فتح الباري ٨/٢١٠-٢١١؛ التقرير والتحرير لابن أمير الحاج١/٢١٢-٢١٥).

يقول الإمام النووي والعلامة ابن الحاجب ومن وافقهم: حيث إن الله تعالى أنزلها في القرآن الكريم، يجب أن تكون مفهومة، وليجب أن يعلمها الراسخون في العلم، وإلا لم يكن لإنزالها فائدة ؟

وأجاب الجمهور: فائدته الإيمان بها؛ لأن الآيات على ثلاثة أقسام:

١- مطلوب العلم واليقين، نحو: القيامة.

٢- مطلوب العلم والعمل، نحو الصلاة والصوم.

٣- مطلوب الإيمان، نحو المتشابهات.

وعند التأمل يتبين أن الخلاف لفظي، ويمكن التوفيق بين القولين بأن الذين قالوا: لا يعلمها الراسخون: يعنون به أن تأويله الحقيقي واليقيني والكيفية لا يعلمه إلا الله تعالى. والذين قالوا: يعلمها الراسخون، يعنون به القريب والمتبادر من المعنى المحتمل أو أن المتشابهات غير معلومة المعنى نحو ﴿الٓمٓ﴾، فيجب الإيمان بها فقط، وأما ما علم معناه الظاهر، فتأويلهم ظني. والحاصل أن المذهبين يؤولان إلى أمر واحد. [والتفصيل في المطولات].

حِكم وفوائد إنزال المتشابهات:

سؤال: إذا كانت المتشابهات على رأي الجمهور غير معلومة المعنى، فما فائدة إنزالها؟

الجواب: في إنزالها فوائد وحكم عديدة، منها:

(١) شريعتنا تحوي ثلاث دوائر: ١- دائرة الإيمان. ٢- دائرة العلم. ٣- دائرة العمل.

فمنها ما يخص دائرة الإيمان فقط، والذي نحن فيه يخص هذه الدائرة، فيجب الإيمان بها فحسب.

(٢) من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أمي، والأمي يعرف الجملة المركبة دون الحروف الهجائية، فوجودها -رغم عدم علمه بها- معجزة من المعجزات.

إظهار الفرق بين الخالق والمخلوق. فمبدأ علم الخالق حيث ينتهي علم المخلوق،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (الإسراء: ٨٥)

الامتحان على قسمين:

١- امتحان الأبدان.

٢- امتحان العقول.

فامتحان الأبدان بأداء الصلاة والصوم والحج. وامتحان العقول بأن يمسك المرء عن إعمال العقل حيث منع منه، وبما أن الإنسان مفطور على طلب علم الأشياء، فإذا قلنا له: لا تبتغ ذلك، فهو امتحان شاق له.(ذكر هذه الحكم الشيخ شمس الحق الأفغاني رحمه الله)

العقل مثل الفرس:

يقول أهل العلم: العقل مثل الفرس، فبإمكان الفرس أن يمشي في الميدان، ويصعب عليه الصعود إلى الأودية العويصة. فإذا رام الصعود إليها كان امتحانا عظيما له، وقس عليه أن دائرة العقل تنحصر في المحكمات، فلك أن تعمل عقلك فيها (في ضوء النصوص الشرعية)، وحذارِ أن تعمله في المتشابهات.

الآيات القرآنية محكمة ومتشابهة أيضا:

إيراد: نجد تعارضا بين الآيات القرآنية على ثلاثة وجوه:

(١) كلها محكمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ (هود: ١)، وقال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ (الحج: ٥٢)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ﴾ (محمد: ٢٠) هذه الآيات كلها مطلقة، تعم القرآن كله.

(٢) بعضها يفيد بأن القرآن كله متشابه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ (الزمر: ٢٣)

(٣) وبعضها يفيد بأن بعض الآيات القرآنية محكمة، وبعضها متشابهة؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ (آل عمران: ٧)

الجواب: حيث وصف القرآن كله بالإحكام، فبالنظر إلى النظم والمعاني؛ فإن كله محكم رصين بهذا الاعتبار. ولا يمكن أن ينسخ القرآن الكريم شيء، أو أن القرآن كله محكم على معنى أنه مصون من كل عيب ونقص.

وحيث وصف القرآن كله بالتشابه، فالمعنى: يشبه بعضه بعضا في البلاغة، والصدق والحسن والتأثير. ويؤيد بعض معانيه بعضا. أو يتشابه بعضها بعضًا باعتبار أنه كما لا يمكن معارضة آية واحدة منها، كذلك لا يمكن معارضة آية أخرى منه.

وحيث وصف بعضه بالإحكام وبعضه بالتشابه فالمعنى أن بعض الآيات واضحة المعاني، وبعضها غير واضحة المعاني، أو باعتبار أن بعضها يحمل تأويلا واحدا، وبعضها يحمل أكثر من تأويل.

العمل بالمحكمات، والإيمان بالمتشابهات:

وبعد هذه التفاصيل كلها المهم أن يعمل المرء بالمحكمات، ويؤمن بالمتشابهات، ولا يبتغي تأويلها. قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود: «...، واعمل بمحكمه، وقِف عند متشابهه». (المعجم الكبير للطبراني ٨٢٩٦/٢٦/٩)

وأخرج أبو القاسم اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣٩٧/٣) عن أم سلمة في قوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (طه: ٥): الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول، والإقرار به من الإيمان، والجحود به كفر.

وأخرج ابن مردويه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا: «إن القرآن لم ينْزل ليكذب بعضه بعضًا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه فآمنوا به».(مختصر تفسير ابن كثير، تحت هذه الآية، وهكذا أخرج اللالكائي عن محمد بن الحسن في كتابه «اعتقاد أهل السنة»).

والحاصل أن الناظم أشار إلى أن الآيات القرآنية محكمة ومن شروط المحكم ألا يتطرق إليه شبهة، ولا يحتاج إلى حَكَم ووسيط. ولا يرتقى إلى هذا المستوى كتاب من الكتب في العالم غير القرآن الكريم.

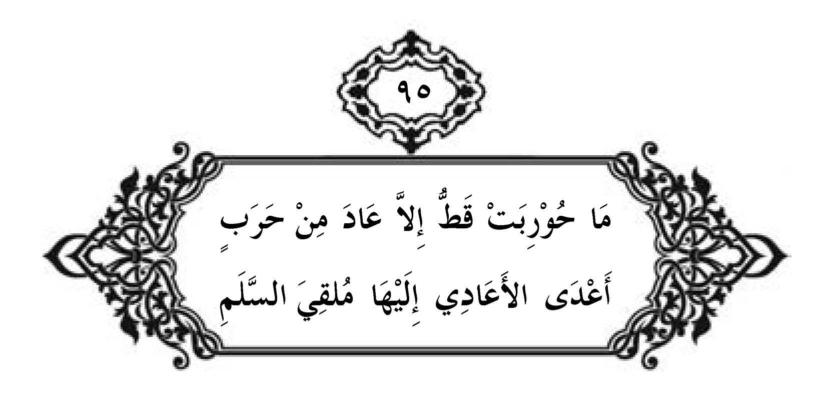
البلاغة:

١- جناس بين (يبقين ويبغين).

٢- محكمات وشبه: جمع بين المتقابلين، فهو طباق ناقص.

انتهى بتوفيق الله وعونه.

****



اللغة:

حُورِبَت: عُورضتْ.

حرَبَ (ن) حَرْبا: طعنه. حرَبَ: سلب ما لديه كله. فهو حارب.

ولعل في هذه اللفظة نكتة وهي أن المرء حين يسلب أحدا قاتله.

حَرِبَ (س) حَرَبًا: (١) غضب. فهو حَرِب. (٢) المسلوب كله، فهو محروب.

حاربَ: قاتله. المحروب: القتال. ج: حروب.

عاد: أي: رجع، وانتقل.

قَطُّ: له ثلاث أحوال:

(١) لنفي الماضي، وهو ظرف، نحو: ما فعلت هذا قط. أي في حال من الأحوال وفي وقت من الأوقات.

وفي الحديث: «لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط». (صحيح البخاري، رقم:٢٩)

(٢) بمعنى «حسبُ»، فهو بفتح القاف وسكون الطاء، مع زيادة الفاء في أولها، نحو: قرأت هذا الحديث فقط.

(٣) اسم فعل بمعنى «يكفي»، ويزاد في آخره الضمير، نحو: قطني، أي: كفاني، قطكَ: أي كفاك.

في الحديث المشهور: «فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها، فتقول: قَطْ قَطْ». أي: حسبي حسبي.(صحيح البخاري، رقم:٤٨٤٩)

وفي كل حالة وُجُوه أُخْرَى مبسوطة في المطولات، منها: النحو الوافي ٤٢٢/١؛ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للعلامة المرادي (ت:٧٤٩هـ) ٣٨٥/١-٣٨٧؛ تاج العروس: ق ط ط.

قَطَّ (ن) الشيء قَطًّا: (١) قطعه عرضا، نحته. (٢) قطعه مطلقا.

قَطَّ (س) قَطَاطا: الشعر: كان قصيرا جعدا. القِطُّ:(١) الهر. (٢) النصيب. (٣)الكتاب.

حرَبَ: (١) غضب. (٢) أعرب عن همه/ ندمه. (٣) حَرْبٌ: في لغة: بفتح الراء، بمعنى المحاربة، والمراد بها المعارضة والمواجهة.

أعدى الأعادي:

عدا (ن) عَدْوًا: سعى. عدى عليه: ظلم. عاداه معاداة وعِداءً: خاصمه.

عداوة: اسم مصدر. أعدى: اسم تفضيل من العداوة.

أعدى الأعادي: ألد الأعداء. العدو: الخصم. ج: أعداء، ج: أعادي.

أعدى الأعادي: أشد الأعادي/ أظلم الأعادي.

وهذا مثل قوله تَعَالَىٰ:﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ (البقرة: ٢٠٤)

مُلقِي: لقِيَ (س) زاره، وعرضه. لقاه الله لقوة: ابتلاه باللقوة، ظهر أثر الفالج على فمه.

ألقى الشيءَ: نبذه، ورماه.

السَّلَم: سبق تحقيقه في البيت رقم:١. سلَمَ (ض) سَلْمًا: صبغ الثوب بورق شجر السلم.

سَلِمَ (س) سلاما وسلامة:حفظه. أسلم: آمن.

السِّلم: (١) الإسلام. (٢) الصلح. (٣) الأمن. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ (الأنفال: ٦١)، ج: سِلام.

السَّلَم: (١) الاعتراف والتسليم. (٢) بيع السلم: بيع المؤجل بالمعجل. (٣) شجر يصبغ بلحاه/ أوراقه الجلود. واحده: سَلَمَة.

السلم في الأصل: الانقياد والاتباع:

قال المفسرون في تفسير قوله تَعَالَىٰ:﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ (البقرة: ٢٠٨): السلم في الأصل: الانقياد والاتباع. ويطلق الإسلام على دين الإسلام بهذا المعنى، ثم استعمل السلم في إنهاء الحرب، وعقد الصلح، ولكن الظاهر أن حاصل معناه الانقياد أيضا. (تفسير الرازي٥/١٧٦)

ومعنى «ملقى السلم» في البيت: أن العدو استسلم (SURRENDER)، واعترف بنكسته وغلبة خصمه.

الإعراب:

حورِبَتْ: فاعله: (هي)، يعود على الآيات.

قَطُّ: ظرف زمان منصوب محلا.

عاد الخ: فيه وجهان:

(١) عاد بمعنى رجع. أعدى الأعادي: فاعل. ملقى السلم: حال من الفاعل.

(٢) عاد من الأفعال الناقصة بمعنى «صار».

عاد: فعل. أعدى الأعادي: اسمه، ملقى: خبره. إليها: أي إلى الآيات.

من حَربٍ:

(١) من المعارضة/ من المقابلة. و(مِن) ابتدائية.

(٢) حرَب بمعنى «غضب»، و(من) أجلية. والمعنى: عاد لأجل الغضب، أي من أجله. ومن أمثلة السببية قوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ (الشورى: ٤٥) وفي الحديث: «فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرا».(صحيح مسلم، رقم:٧٧٨)

الشرح:

لا يسع أحدا معارضة القرآن الكريم:

من إعجاز القرآن الكريم أنه لم يعارضه أحد إلا مُنيَ بالفشل، بل ورد فيه حديث: «لا يمكن معارضة القرآن الكريم؛ لأن الله تعالى صرف عقولهم عنها».ويسميه علماء البلاغة «الصرفة».(للاستزادة منه والرد عليه راجع: إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي، ص ٢-٣، وقد اطلعت

على نسخة منه في المجلس العلمي/كراتشي، واقتنيت صورة منها قبل اثنين وأربعين عاما).

والحق أنه لم يتصدَّ أحد لمعارضة القرآن الكريم أو حاول ذلك إلا ضحك عليه أصحابه وأتباعه، ولعنه عليه قلبه، ويقول في نفسه: أين كلامي من القرآن الكريم حتى أعارضه.

مسيلمة الكذاب:

عارض مسيلمة سورة الفيل فعمل سورة لاغية فقال: «الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل؟ له ذنب عظيم وخرطوم طويل». وقيل: «ذنب وبيل وثيل عظيم». فلينظر كل امرئ: أين هذا الخرف المصنوعة من المعاني العالية التي تتضمنها سورة الفيل في القرآن الكريم.

فسورة الفيل ينم كل آية منها عن أبهة الملوك، وهذا ما جعل أصحاب مسيلمة مقرين بأنه كذاب. وتلا عليهم غيرها من الوحي المفترى، وعارض سورة العاديات فقال: «والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات طحنا، والخابزات خبزا والثاردات ثردا إهالة وسمنا».

وروي: «اللاقمات لقما، والعاجنات عجنا، والطابخات طبخا، والزاريات قُمحا، فالآكلات أكلا».

وكلامه هذا على ما فيه من النقائص، يشينه مفاسد أخرى منها:

(١) محتواه لاغٍ وباطل، عارٌ حتى على الرجل العادي أن يقوله.

(٢) لم يأتِ بطائل، فإن الطفل لا يخفى عليه أن الزرع يزرعونه، ثم يحصدونه ثم يطحنونه ثم يعجنونه، ثم يخبزونه.

(٣) أتى بالواو في كل مكان، والمطلوب أن يأتي بالفاء حينا وبـــ (ثم) حينا آخر.

(٤) نسب الأعمال الخاصة بالرجال أو ما يشترك فيه الرجل والمرأة إلى النساء، فقال: الزارعات، والحاصدات، والآكلات ونحو ذلك.

(٥) لم يأت بشيء من عند نفسه، وإنما استرق الأسلوب القرآني، وهي سرقة علمية، لا وحي من الله.

هذا، وتسرد الكتب علاوة على ذلك عددا من الوحي الذي افتراه مسيلمة، وسوره

الباطلة على سبيل التندر، منها: معارضته لسورة الكوثر، والضفدع، والليل، والشاة، ووحيه المفترى فيما يخص بني تميم.

مسيلمة وسجاح:

يذكر أن سجاح بنت الحارث ادعت النبوة على عهد مسيلمة، وآمن بها كثير من بني تميم، ولما بلغ سجاحَ ادعاء مسيلمة النبوة استعدت لحربه، وفي نهاية المطاف صالحت معه. لقيت سجاح مسيلمة فقالت: هل أوحي إليك شيء؟ فقال مسيلمة: نعم، وهو: «ألم تر كيف فعل ربك بالحبالى، أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى».

وروي: «لقد أنعم الله على حبلى». وزادت بعض المصادر: «فمنهم يموت ويدس إلى الثرى، ومنهم من يبقى إلى أجل مسمى» ونحو ذلك.

هذا الكلام ينقصه أشياء كثيرة واضحة كالشمس في رائعة النهار، ولا يحتاج إدراكها إلى كثير عناء و تفكير، منها:

(١) لم يأت بشيء جديد، فإن ذلك كله معلوم لهم.

(٢) نسمة: حين تخرج النسمة من البطن لا تسعى على الفور.

(٣) أفسده استراقه أسلوب القرآن.

(٤) فيه من الثقل والغرابة وتنافر الكلمات ما لا يخفى، منها: صفاق، حشى. وأما آيات القرآن الكريم فعلى ذروة من الفصاحة والبلاغة، سليمة من العيوب كلها.

(٥) من القبيح ربط ما يخص المرأة أو الحامل بعظيم من العظماء، فقد ربط (ربك) بالحبلى، فكأن الله تعالى سببه الظاهر، مع أن السبب غيره.

فقالت سجاح: هل من مزيد؟ فلما رأى مسيلمة من رغبتها وضع وحيا آخر، أعرب عن هواه فقال: «إن الله خلق للنساء أفراجا، وجعل الرجال لهن أزواجا...»الخ.

ثم ساق كلمات فاحشة يشمئز من سرده الشريف، ولو على سبيل المزاح، فضلا عن أن يكون من كلام رب العالمين، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فصدَّقت سجاح بنبوة مسيلمة، ثم تزوجها مسيلمة، وسمى لها مهرا وهو إسقاط صلاة الفجر والعشاء عنها. معاذ الله.

ونشبت حرب اليمامة الضروس على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه (عام١١-١٢هـ) بين مسيلمة وأتباعه من جانب، والصحابة رضي الله عنهم من جانب آخر. وقتل عدد كبير من الفريقين، انتهت الحرب بانتصار المسلمين وقتل مسيلمة.

وشارك في قتله عدد من الصحابة: الوحشي، وأبو دجانة، وعبد الله بن زيد بن عاصم، ومعاوية رضي الله عنهم. (أسد الغابة، ترجمة عبد الله بن الزبير، وترجمة الوحشي، وترجمة أبي دجانة رضي الله عنهم؛ البداية والنهاية٨/٥١٢، ترجمة معاوية رضي الله عنه).

روي أن سجاح تابت توبة صادقة فيما بعد.

(للاستزادة من أمثلة وحي مسيلمة المفترى والباطل راجع: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي١/٨٧٧-٨٧٨؛ تاريخ الأدب العربي للشيخ مصطفى المراغي، باب التحدي والمعارضة ؛ إعجاز القرآن للباقلاني ١/١٥٧؛ مناهل العرفان ٢/٣٣٣-٣٣٥؛ السيرة النبوية لابن كثير٣/٣٧).

(وللاستزادة من سوء عاقبة مسيلمة راجع: السيرة النبوية٤/٧٢؛ تاريخ الطبري ٢/٢٧٥-٢٨١، ذكر بقية خبر مسيلمة؛ دلائل النبوة للبيهقي٥/٣٣٠-٣٣٥، وفد بني حنيفة؛ الأغاني١٠/٣٧-٣٩ من أخبار سجاح).

تعليق تاريخي من مجرِّب عربي على القرآن الكريم:

هذا مثال واحد على معارضة القرآن الكريم، والتاريخ مليء بمثل هذه الواقعات والقصص التي تدل على أن فصحاء العرب وبلغاءهم من الأدباء والشعراء عجزوا عن معارضة القرآن الكريم؛ بل اضطروا إلى الاعتراف بتأثير القرآن الكريم فيهم بأقوالهم أو أفعالهم، وفيما يلي مثال واحد على ذلك:

قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على الوليد بن المغيرة قوله تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:٩٠) فقال: «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى».

وقيل: قاله الوليد بن المغيرة حين سمع فاتحة آيات سورة المؤمن.(تفسير القرطبي-سورة المدثر).

وقيل: قاله قيس بن عاصم حين سمع فاتحة آيات سورة المؤمن. (تفسير القرطبي-سورة الرحمن).

وقيل: إنما قاله خالد بن عقبة، لا الوليد بن المغيرة.

ساق ابن عبد البر هذا القول ثم قال: «وظني أنه غيره».(الاستيعاب والإصابة في ترجمة خالد بن عقبة رضي الله عنه؛ إحياء العلوم١/٢٨١)

والصحيح أن هذا القول المشهور قاله لوليد بن المغيرة، واتفق عليه الجمهور.

وقيل: قاله حين سمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ...﴾.

و لم يعين بعضهم الآية التي سمعها. (للاستزادة راجع: المستدرك للحاكم، رقم:٣٨٧٢؛ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص ٢٦٢؛ دلائل النبوة للبيهقي٢/١٩٨-١٩٩؛ الخصائص الكبرى ١/١٨٥؛ السيرة النبوية لابن كثير١/٤٩٩؛ عيون الأثر، ص ١٣٣؛ الدر المنثور٨/٣٣٠؛ روح المعاني ٢٩/١٢٣).

روي أن أبا جهل لما بلغه تأثر الوليد بن المغيرة بالقرآن جاءه لينبهه، فقال الوليد: والله، ليس أحد منكم أعلم مني بمحاسن الشعر ونقائصه، والله، ما يقوله محمد ليس بشعر.

وذكرت المصادر السالفة أيضا عن الوليد بن المغيرة أنه قال حين جاء موسم الحج بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معشر قريش، إنه قد حضر الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا. فقيل: هو كاهن، وقيل: مجنون، وقيل: شاعر، وقيل: ساحر. فرد الوليد آراءهم بالدليل والمشاهدة، ثم توصلوا إلى القول بأنه ساحر؛ لأنه يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك. (السيرة النبوية ١/٤٩٩؛ دلائل النبوة للبيهقي ٢/٢٠٠-٢٠١)

تحدي القرآن العظيم:

تحدى القرآن العظيم فصحاء العرب وبلغاءهم، وقال: ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ (الطور: ٣٤)، فلما عجزوا عنه قال لهم: ﴿فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (هود: ١٣)، فلما عجزوا عنه أمهلهم أكثر، فقال: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (يونس: ٣٨) (مناهل العرفان٢/٢٢٩)

ومع هذا التحدي قال لهم: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ (البقرة: ٢٤)

يقول الشيخ شمس الحق الأفغاني: «وآية أخرى أكدت أكثر، وهي قوله تعالى: ﴿قُل

لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ (الإسراء: ٨٨)

هذه الآية الكريمة خاطبت أمة تعتز بقدرتها الأدبية وفصاحتها وبلاغتها، وهي عدو للقرآن الكريم أيضًا، وكانت معارضة القرآن الكريم وتحديهم أكبر همٍّ لها، ولا شك أن هذا التحدي أثارهم بشدة، فلو أمكنهم ذلك لهان عليهم أن يأتوا بسطر مثله، وهزموا القرآن الكريم، ولكنهم رأوا من المستحيل أن يأتوا بمثله، انطلاقا من ذوقهم الأدبي وفطرتهم السليمة؛ فأعرضوا عنه وقابلوا بالمجادلة والقتال. (ملخص من: علوم القرآن، للشيخ شمس الحق الأفغاني، ص ٢٤-٢٥)

تحدٍ باعث على العجب:

قوله تعالى: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ ادعاء باعث على العجب والحيرة، لم يتحدَّ به أحد من الكُتاب والمؤلفين في تاريخ البشرية. ولا يسع أحدا منهم أن يدعي ذلك وهو يملك عقله وحواسه؛ إذ لا يسع بشرا من الناس أن يؤلف كتابا يعجز البشر عن الإتيان بمثله، فبالإمكان إعداد كتاب يماثل كتابا أعده بشر آخر.

يقول القرآن الكريم: إنه كلام يعجز العقل الإنسان عن الإتيان بمثله، و لم يقدر عليه خلال ألف وخمس مئة عام، مما يؤكد أنه ليس من كلام البشر.

وهذا كلام صدر من المنبع الإلهي(DIVINE ORIGIN) والذي يصدر منه لا يسع أحدا معارضته. (العلم يتحدى، ص ١٤٢)

(فائدة: للاستزادة من محاولات معارضة القرآن الكريم، وما اخترع من الكلام في معارضته، وما أثير من الشبهات حوله والرد عليها يراجع: إعجاز التحدي-ثلاث رسائل في إعجاز القرآن لثلاثة من الأعلام- الرماني، المتوفى٣٨٦ه ــ ، والخطابي ٣٨٨هــ، والتصوير الفني في القرآن للسيد قطب؛ البرهان في علوم القرآن٢/٩٠ ومابعده، النوع:٣٨؛ إعجاز القرآن للشيخ شبير أحمد العثماني؛ علوم القرآن للشيخ شمس الحق الأفغاني؛ علوم القرآن للشيخ المفتي محمد تقي حفظه الله. وعلاوة على ذلك تتوفر مئات الكتب حول إعجاز القرآن الكريم)

أثر القرآن الكريم في القلوب:

ذكر في السابق تأثير القرآن في قلوب الكفار، واستسلامهم له، وأن مساعيهم كلها

عجزت عن الإتيان بأقصر آية في القرآن الكريم.

وفي جانب آخر كان تأثير القرآن الكريم في أهل الإيمان أكثر بصورة معجزة. وما أكثر الأمثلة على ذلك في صفحات مصادر السير والتاريخ:

القصة الأولى:

ذكر المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ قصة عجيبة وقعت لعلي بن الحسين المعروف بزين العابدين. وذلك أن جارية له جعلت تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلاة فسقط الإبريق من يدها فشجه فرفع رأسه إليها فقالت: إن الله تعالى يقول: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ فقال لها: قد كظمت غيظي، قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ قال: قد عفا الله تعالى عنك، قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى.(شعب الإيمان للبيهقي، رقم:٧٩٦٤؛ روح المعاني ٥٩/٤؛ وغيره من التفاسير في تفسير هذه الآية؛ تاريخ دمشق ٣٨٧/٤١)

تنبيه:

(١) عزا معظم الناس هذه القصة إلى زين العابدين، وسبقت الإشارة إلى مصادرها.

(٢) قيل: وقع ذلك للحسين رضي الله عنه، وعزي ذلك إليه في غير موضع من ذكر مصدره. (دليل الفالحين١/٢٣٣)

(٣) روي أن ميمون بن مهران وقع له مثله مع جاريته. ولم يرد فيه ذكر سقوط الطعام. (تفسير القرطبي ٢٠٧/٤؛ إحياء علوم الدين ٢٢٠/٢؛ بريقة محمودية ٢٨٤/٣ التواضع وفضائله)

(٤) وقع مثله لجعفر الصادق رحمه الله، وذكر فيه سقوط الطعام من يد الجارية. (المستطرف، ص ٤١٧؛ ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي، ص ١٨٢)

(٥) قيل: وقع ذلك للأحنف بن قيس.(تفسير القرطبي ٢٠٧/٤)

(٦) ذكر بعضهم في دروسه أن عمر رضي الله عنه وقع له مثله مع عبده. (دروس للشيخ نبيل العوضي)، ولم يذكر له مصدرا)

(٧) روي عن المامون الرشيد أن عبده كان يصب عليه الوضوء، وسقط الإبريق من يده. (العقد الفريد لابن عبد ربه، توفي عام ٣٢٨هـ، فضيلة العفو)

(٨) وقيل: وقع مثله لهارون الرشيد.

وقال الشيخ عائض القرني في غير واحد من مواعظه وغيره من العرب في دروسهم: وقع ذلك لهارون الرشيد الخليفة. وأشار الشيخ عائض القرني إلى تفسير ابن كثير. و لم أجده فيه، و لم أجد نسبته إلى هارون الرشيد في مصدر آخر.(دروس الشيخ عائض القرني ٥٩/١٢٦/ ٣١٦، وغيره)

القصة الثانية:

ومن القصص الشهيرة للفضيل بن عياض (توفي عام: ١٨٧هـــ) أنه كان شاطرا يقطع الطريق، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تاليا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (الحديد: ١٦)، قال: فلما سمعها قال: « بلى يا رب، قد آن »، فرجع، فآواه الليل إلى خربة، وإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا. فلما سمع ذلك، تاب في مكانه، وطمأن السابلة. ثم صب الله تعالى عليه نعمه بعد توبته إليه، وقضى ما بقي من حياته مجاورا للبيت الحرام. (للاستزادة من هذه القصة وترجمته المفصلة وأقواله الإيمانية راجع: شعب الإيمان للبيهقي، رقم: ٦٩٣٥؛ حلية الأولياء ٨٤/٨-١٣٩؛ تاريخ مدينة دمشق ٣٧٥/٤٨-٤٥٠؛ سير أعلام النبلاء ٤٢١/٨-٤٤٢؛ صفة الصفوة ٢٣٧/٢-٢٤٧)

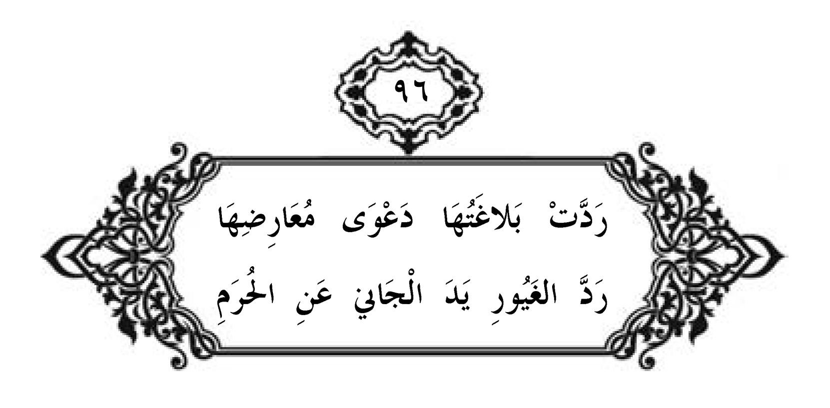
القصة الثالثة:

لا يخفى على أحد ما كان يصيب عمر حين يسمع المنكر من القول، وسردت كتب السيرة عدة قصص في ذلك، ورغم ذلك كيف كان تأثير القرآن الكريم عليه حين يسمعه، لنقدر ذلك من خلال هذه القصة:

ذات مرة قيل له وهو أمير المؤمنين: يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقرأ الحر -وهو في مجلسه- فيه قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩) فوالله ما جاوزها عمرحين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله، وسكت غضبه. (صحيح البخاري، رقم:٤٦٤٢) فكان من تأثير القرآن الكريم أنه رغم قدرته على المعاقبة، عفا عنه.

انتهى بتوفيق الله تعالى.

****



اللغة:

ردت: سبق تحقيقه في البيت رقم:١٦، و٣٦.

بلاغتها: سبق تحقيق (بلغ) في البيت رقم: ٨٣.

وما أكثر الكتب المطولة والمختصرة حول الفصاحة والبلاغة، منها ما هو من المقررات الدراسية في المنهج النظامي الدراسي. فنكتفي بذكر تعريف ومثال بإيجاز:

من شروط فصاحة الكلمة:

(١) خلوها من تنافر الحروف أي ثقلها، نحو: الجرشى، بمعنى النفس.

أو بيت امرأ القيس في ذكر مختلف أجزاء أشعار حبيبته:

غَدائِرهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلَى ۞ تَضِلُّ العِقَاصُ في مُثَنًّى وَمُرْسَلِ

(ديوان امرأ القيس، ص ٤)

يعود الضمير في (غدائره) إلى الفرع، المذكور قبله، وهو بمعنى الجمة من الشعر.

(٢) خلو الكلمة من مخالفة القياس، نحو قول الشاعر أبي النجم فضل بن قدامة:

الحمد لله العلي الأجلل ۞ الواهب الفضل الوَهوب المجزل

(مختصر المعاني، ص ١١)

والقياس: الأجلّ.

(٣) خلوها من الغرابة، أي لا تكون غير ظاهرة المعنى، يحتاج فهمها إلى كثير من التتبع.

ومن أمثلته المشهورة:

سقط عيسى بن عمر النحوي (ت ١٤٩هـ) –شيخ سيبويه– من حماره، فاجتمع

الناس حوله، فقال: «ما لكم تكأكأتم عليَّ تكأكأكم على ذي جنة، افرنقعوا عني».

فقال الناس: «دعوه فإن شيطانه يتكلم بالهندية».(للاستزادة من هذه القصة وترجمته راجع: وفيات الأعيان ٤٨٦/٣ وما بعدها؛ البداية والنهاية١٢٢/١٠، في حوادث سنة ١٤٠هـ؛ تاريخ الإسلام للذهبي ٥٦٢/٩؛ معجم الأدباء: أبو علقمة النحوي؛ صبح الأعشى ٢٥٦/٢ وما بعدها).

سؤال: كيف نعرف ثقل الكلمة من عدمه، فإن الطبائع تختلف من شخص إلى آخر؟

الجواب: يعرف باستعمال أهل اللغة الثقات فصاحة الكلمة من عدمها.

شروط فصاحة الكلام:

(١) خلوه من تنافر الكلمات، وثقلِها، ومثاله:

وقبرُ حرب بمكان قفر ۞ وليس قرب قبر حرب قبر

معنى البيت واضح، غير أن فيه تنافرا كثيرا.

وإنما أورد هذا البيت هنا؛ لأن الثقل هنا ناشئ عن اجتماع الكلمات، وأما كل كلمة فليست ثقيلة برأسها.

البيت السابق للجن:

يذكر أن هذا البيت للذي قتل أمية بن حرب قاله بعد قتله إياه، ولا يسع البشر عادة إعادته ثلاث مرات متتالية. (للاستزادة منه راجع: آكام المرجان في أحكام الجان، باب:٦٧؛ روح المعاني ٧٥/١٢؛ السيرة النبوية لابن كثير ١٣٦/١؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣٨٧/١٧؛ البيان والتبيين للجاحظ، ص ٤٩؛ صبح الأعشى ٢٩٢/٢؛ مختصر المعاني، ص ١٢)

(٢) خلوه من ضعف التأليف، أي عدم مخالفته للقواعد النحوية والصرفية.

وأيسر مثال على ذلك: ضرب غلامَه زيد. هاء الضمير يعود على زيد، فتقدم المرجع على الضمير.

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه يمدح مطعم بن عدي:

وَلَوْ أَنَّ مَجْدا أَخْلَدَ الدَّهْرَ وَاحِدًا ۞ مِنَ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِمًا

من عيبه أن الضمير في (مجده) يعود على (مطعما)، فتقدم المرجع على الضمير العائد عليه، وهذا ما لا يجوز عند الجمهور. (راجع: شرح ابن عقيل١٠٨/٢؛ توضيح المسالك بشرح ألفية ابن مالك٥٩٧/٢؛ البلاغة الواضحة، ص ٦).

(٣) خلوه من التعقيد اللفظي:

والتعقيد: خفاء الكلام لأجل تقديم الكلمات وتأخيرها أو لأجل وضعه على أسلوب غير معروف، نحو: ما قرأ إلا واحدا محمد مع كتابا أخيه.

والتعبير الصحيح عن هذه الجملة هكذا: ما قرأ محمد مع أخيه إلا كتابا واحدا. (البلاغة الواضحة، ص ٦)

وما أكثر الأمثلة على هذا العيب في كتب البلاغة.

(٤) خلوه من التعقيد المعنوي:

وهو التعبير عن شيء بكلمات غير موضوعة له، أو استنتاج بعيد لا قرينة عليه، ويصعب فهمه، وبتعبير آخر: عدم انتقال الذهن من المعنى اللغوي إلى المعنى المراد، نحو: فتح السلطان أبوابَ السجون. فحمله على أن الملك أرسل شرطته لقبض الجناة ومحاكمتهم ثم إرسالهم إلى السجون بعيد، في حين أن المتبادر منه أن الملك عفا عن الجناة.

ومن الأمثلة عليه في الأردية قول الشاعر/ غالب:

مگس کو باغ میں جانے نہ دو ❁ کہ ناحق خون پروانوں کا ہو گا

(لاتدع النحلة تدخل الحديقة، فتتسبب في قتل الفراش بغير حق)

ما أعجب ما قال الشاعر: إن النحلة دخولها إلى الحديقة يسبب موت الفراش، فكيف كان ذلك؟

ذلك بأن النحلة إذا دخلت الحديقة، وتغذت من الشجر والزهر، فتكوِّن خلية النحلة، ويتجمع فيها الشمع، فيستخرجه الناس منها، ويستخدمونه في الإضاءة والإنارة، فإذا أنار المصباح تهافت عليه الفراش فيلقى حتفه من غير مبرر.

فحذف هذه القصة الطويلة كلها، وليس عليه قرينة ،فهو التعقيد.

علاوة على الشروط السابقة تتطلب فصاحة الكلام خلوه من تتابع الإضافات وكثرة التكرار، وفيه اختلاف وتفصيل. ومحل التفصيل كتب البلاغة.

تعريف البلاغة:

التعريف:

(١) مطابقة الكلام للواقع مع الفصاحة.

(٢) مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع الفصاحة.

وبلاغة الكلام بأيسر أسلوب هي: التعبير عما في الضمير بألفاظ فصيحة مع مراعاة المحل. فهذه بلاغة الكلام.

وبلاغة المتكلم: ملكة / قدرة تمكن المرء من مثل هذا الكلام.

دعوى: سبق تحقيقه في البيت رقم :٣٣، والبيت رقم:٣٧.

معارضها: سبق تحقيقه في البيت رقم:١٨، والبيت رقم:٨٧.

عَرَضَ: (ض) عَرْضًا: ظهر، و وقع (قاصرا ومتعديا).

معارض: المتصدي للمعارضة.

المعارضة: إقامة الدليل على خلاف ما أقام عليه الخصم. وذلك في علم المناظرة. فمثلا يقول القائل: ثبت رفع اليدين في الصلاة بالأدلة التالية. فنعارضه ونقول: ثبت عدم رفع اليدين بالأدلة التالية.

الغَيور: غَار (ض) غَيرًا وغِيارًا: نفعه.

غار (ض،ن) غِيَرَةً: أدى الدية.(تاج العروس١٣/٢٨٧)

غار(س) غَيرةً: ثارت نفسه.

وأيسر تعريف للغيرة: كراهية اشتراك الغير في حق مخصوص. (التعريفات، ص ٢١٠؛ شرح النووي على مسلم، باب غيرة الله تعالى)

إذا أطلقت الغيرة لله تعالى فالمراد بها: أن الله تعالى أمر العباد باجتناب المحرمات، فمن وقع فيها، كان على خلاف غيرة الله تعالى. فالمحرمات كالمحارم، والتعدي عليها تحدٍ لله تعالى.

في الحديث: «ما من أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش».(صحيح البخاري، رقم:٥٢٢٠)

وفي الحديث: «إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرَّم الله».(صحيح البخاري، رقم: ٥٢٢٣)

وإذا أطلقت الغيرة للمؤمن، فالمراد بها: كيفية تحثه على اجتناب الحرام.

يد: سبق تحقيقه في البيت رقم:٨١.

الجاني: جني (ض) جِناية: أجرم، وعصى. والجاني في البيت: اسم فاعل بمعنى: من

يأتي بالجناية.

جنى الثمرة جنى وجنيا: قطفه. «كنا نجني الكباث، فقال: عليكم بالأسود منه». (صحيح البخاري، رقم:٥٤٥٣)

الحَرَم/ الحُرُم: سبق تحقيقه في البيت رقم:٢٣.

حَرُمَ (ك) حُرْمًا: وحُرمةً: امتنع.

الْحُرْمَة:(١) المرأة. (٢) الزوجة. (٣) ما يجب رعايته. (٤)خلاف الإباحة. (٥)العظمة والغيرة. ج: حَرَمٌ وحُرُمات.

حريم الرجل: نساء بيته.

الحُرُم: الزوجات.

حَرَم الرجل: ما يدافع عنه/ ما يحفظ، ومجازاً: الزوجة/ الأهل.

ما المراد بالحرم في البيت؟

(١) المراد به: جمع: حرمة، والحُرَم بفتح الراء: بمعنى: ما يكون في حريم الرجال. أي من يكون في حفظ المرء وكنفه.

(٢) هو حُرُم: بضم الحاء والراء: بمعنى الزوجات.

(٣) هو حَرَم: بفتح الحاء والراء، بالمعنى المذكور ثانيا. وحاصل هذه المعاني الثلاثة واحد.

الإعراب:

ردَّت: فعل، فاعله: بلاغتها، دعوى مضاربها: مضاف ومضاف إليه: مفعول به. رد الغيور: حذف منه الجار، و(ردًّا) صفة لمحذوف. وهو مع صفته مفعول مطلق. و(رد) في (رد الغيور) مصدر، (الغيور) مضاف إليه، و(يد الجاني) مفعول به. (عن الحرام) متعلق بـــ (الجاني).

الشرح:

جاء في البيت السابق أن القرآن الكريم معجزة، ولا يسع الناس معارضته.

فإن قيل: كيف كان ذلك ؟

قلنا: إن بلاغة القرآن الكريم تتطلب أن تقاوم معانده وخصمه بشدة ولا تدعه يتغلب عليه، كما أن الغيور يدفع عن أهله أدنى محاولة الفاسق وسوء إرادته بأهله.

القرآن بدوره معجزة:

أشار الناظم رحمه الله في هذا البيت إلى قضية هامة، وهي أن سبب إعجاز القرآن بلاغته هي، أي أن بلاغة القرآن أعجزت الناس عن معارضته.

وجاءت هذه القضية في علوم القرآن في محلها مفصلة. حاصلها أن فيها مذهبين في الأساس:

(١) مذهب الجهور: وهو ما أشار إليه الناظم رحمه الله في قوله: «ردت بلاغتها» أي يعجز المرء عن الإتيان بمثل القرآن الكريم؛ لأنه لا يسعه معارضته. وإعجاز القرآن بمعناه.

(٢) مذهب القائلين بالصرفة:

وهو المذهب الشاذ والمرجوح، وهو أنه يرى بعض الناس أن سبب الإعجاز لا يرجع إلى عجز الناس عن معارضته؛ بل في وسع البشر الإتيان بمثل القرآن، ولكن الله تعالى صرفهم عن الإتيان بمثله.

ويُنسبُ هذا المذهب إلى أبي إسحاق الإسفرائيني من أهل السنة، والنظام من المعتزلة، و المرتضى وغيره من الشيعة. وارتضاه المتجددون/ المستشرقون.

يقول هؤلاء: إن إعجاز القرآن الكريم أقوى على ما نقول، وذلك بأن الشيء إذا كان بوسع البشر، ثم يعجز عنه فهو غاية العجز.

وأورد هؤلاء أدلتهم وقرائنهم على ما ذهبوا إليه. ورد عليهم الجمهور ردا مفصلا محققا لا يسعهم إنكاره، وكشفوا ما غالطوا فيه. فلِلّه الحمد. (راجع: مناهل العرفان ٢/٣١٠-٣١٦، وتحدث مؤلفات علوم القرآن الأخرى عن هذه القضية)

يستلزم قولهم هذا أن القرآن ليس بمعجز بذاته. وهو فاسد.

البلاغة:

(١) يد الجاني: فيه مجاز مرسل. ذكرالسبب (اليد) وأراد المسبب (الفعل). نحو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ (الحج: ١٠)

(٢) في البيت تشبيه بليغ.

المشبه: رد الآيات ببلاغتها.

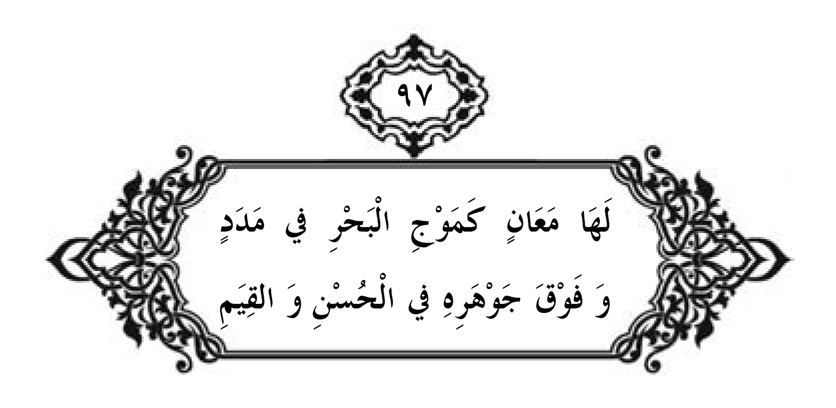
المشبه به: رد الرجل الغيور الجاني عن محارمه.

وجه الشبه: الرد بقوة.

لم يذكر وجه الشبه ولا أداة التشبيه، فهذا تشبيه بليغ.

انتهى بعون الله تعالى وتوفيقه.

****



اللغة:

معانٍ: سبق تحقيقه في البيت رقم:٤١، والبيت رقم:٤٨.

موج: ماج (ن) البحرُ موجا وموجانا: ارتفع ماؤه واضطرب. وهو بمعناه في الأردية، ج: أمواج.

يقول الشاعر الأردي:

دریا کو اپنی موج کی طغیانیوں سے کام ۞ کشتی کسی کی پار ہو یا درمیاں رہے

(لا يهم البحر إلا طغيان أمواجه، ولا يهمه أ تعبره سفينة الناس أم تقف في لجته)

ماجت الفتنة: اضطربت وكانت على أوجها.

الموّاج: كثير الموج والاضطراب.

البحر: النهر الملح والنهر العذب. سبق تحقيقه في البيت رقم:٣٩، والبيت رقم:٥٥.

مدد: مدَّ (ن) الشيء مدًّا: زاد فيه. قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ (لقمان: ٢٧)

مادَّ: ماطل، (فيه معنى الجذب).

مدَّدَ: جذبه، وزاده. المدد: الكثرة والعون والزيادة ونحوها.

فوق: سبق تحقيقه في البيت رقم:٣٨، و٩٣.

جوهر: سبق تحقيقه في البيت رقم:٤٢.

حسن: سبق تحقيقه في البيت رقم:٢١، و٤٢.

القِيَم: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٢٧، و٥٠.

قام (ن) نهض.

بمَ قام لك هذا الثوب؟ أي بكم وصل إليك؟

قيمة: جمعها: قيم. معناه أصلا: ثمن البضاعة. ثم أطلق على الكمال في الشيء، وللدلالة على قيمتها المعنوية؛ لأن المرء ينفق مالا كثيرا للحصول على الشيء الجيد.

الإعراب:

التقدير: ثبتت لها/ ثابتة لها معان كائنة كموج البحر في مدد. (معانٍ) موصوف، ما بعده صفة له، وهو مبتدأ، و(لها) خبره. وعُطِفَ قوله (فوق جوهره) على (كموج البحر)، صفة لــ(معانٍ) بالواو، أي معانٍ كائنة فوق جوهره. و(في مدد) في الشطر الأول، و(في الحسن،والقيم) في العجز كلاهما متعلق بـــ (كائنة).

معانٍ: التنوين فيه للتعظيم، أي: معانٍ عظيمة الشأن.

الشرح:

إلى هنا ذكر محاسن القرآن اللفظية، وبدأ من هنا ذكر محاسنه المعنوية.

لها معانٍ...الخ: هذه الآيات القرآنية بحر مواج من الحقائق والمعاني والعلوم والمعارف والأسرار والرموز والعجائب والدقائق، مما لا يمكن الإحاطة به. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ (لقمان: ٢٧) فكيف يمكن الإحاطة بحقائق القرآن ومعارفه إذ هو من كلمات الله /كلام الله تعالى؟

وفي الحديث: «ولا تنقضي عجائبه».(سنن الترمذي، رقم:٢٩٠٦)

وسيأتي الحديث بكامله لاحقا.

قال الشاعر:

جميع العلم في القرآن لكن ۞ تقاصر عنه أفهام الرجال

ينسب هذا البيت إلى «بدء الأمالي» و لم نجده في عامة نسخه.

وللبحث مفصلا عن هذا البيت يرجع إلى «بدر الليالي شرح بدء الأمالي» (١/٢١٠-٢١٥). فقد أوردنا فيه رأي العلامة الكشميري، ودرسنا ذكر أشياء لا تحصى في القرآن الكريم، و الإشارات العلمية الحديثة.

معاني القرآن الكريم مثل البحر:

كموج البحر: شبه معاني القرآن الكريم بأمواج البحر، ولوحظ في هذا التشبيه أمور كثيرة، منها:

(١) كما أن أمواج البحر متلاطمة، وغالبة، وكثيرة، ومتتالية، يعقب بعضها بعضا، ولا تنتهي عند حد، كذلك معاني القرآن الكريم.

(٢) قد يظن المرء أن الموج قد انتهى، ولا يعقبه موج آخر، إذ يأتيه موج جديد ويتتابع بعضه بعضا، ولا ينتهي. كذلك علوم القرآن الكريم ومعارفه لا تنتهي أبدا. فموج البحر كناية عن عدم النهاية.

(٣) تظهر معاني القرآن الكريم بصورة تسلسلية، حتى يقف إدراك الإنسان وحواسه عند حدٍ، وأما معاني القرآن الكريم فلا تنتهي.

وذلك مثل أمواج البحر، تتسلسل، وتتتابع، ويعود البشر حسيرا، وأما أمواجه فلا تقف عند حد من الحدود.

(٤) كل موج يعقبه موج آخر، ويعضده، كذلك القرآن الكريم يصدق بعض آياته البعض الآخر، ويؤيده.

(٥) ينشأ الموج الجديد من الموج الأول، كذلك تماما يُستنبط معنى واحد معنى آخر، وتوجيه ونكتة وفائدة.

معاني القرآن الكريم عظيمة:

معانٍ: تشمل المقاصد والحقائق والفوائد والنكات وغيرها. يقول القاضي عياض رحمه الله –وهو يذكر خصائص القرآن الكريم/ ووجوه إعجازه– عن معاني كلام الله تعالى:

«قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ (النمل: ٧٦) ففيه إشارة إلى أن القرآن أجمع للأحكام من الكتب المنَزَّلة قبله وأوضح. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٨) أي: لجميع الناس من أهل الكتاب قبله، التي ألفاظها على الضعف منه مرات». (الاقتباس بعضه من المتن وبعضه من الشرح، شرح الخفاجي على الشفا٥٣٩/٢؛ مع شرح الملا علي القاري على الشفا٥٣٩/٢)

معانٍ: كلمة واحدة ولها عدد من المعاني، من الأمثلة عليه: الكوثر.

معانٍ عدة للكوثر:

(١) النبوة. (٢) القرآن. (٣) الإسلام. (٤) حوض النبي صلى الله عليه وسلم. (٥) نهر في الجنة. (٦) الخير الكثير. (٧)كثرة أمته. (٨) سمعته الطيبة: ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ (الشرح:٤) (تفسير الماوردي ٦/٣٥٤)

كذلك ثمة ألفاظ وآيات لها عدد من المعاني، ذكرتها كتب التفسير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (الحشر: ٢١)، إن عظمة ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه وحقائقه ومعارفه بلغت مبلغا عظيما يتفطر له الجبال.

قصة طريفة:

لنضرب لك مثلا على عظمة معاني القرآن الكريم وروعة أسلوبه:

تأمل في المثال التالي لتشاهد عجائب القرآن الكريم والحقائق والمعارف الكامنة في طياته وتأثيراته:

الدكتور/عزينيه من الأطباء الناشطين الموفقين وعضو البرلمان الفرنسي، اعتزل البرلمان بعد ما أسلم، وغادر باريس وسكن في قرية صغيرة من قرى فرنسا، وأكب على خدمة الخلق.

وذات مرة لقيه محمود بي المصري في بيته وسأله عن سبب إسلامه، فقال:

«قضيت شبابي في الرحلات البحرية، وبلغ حرصي على مشاهدة المناظر البحرية وركوب البحر مبلغا كدت معه مخلوقا مائيا. فكنت أقضي سواد ليلي وبياض نهاري على سطح البحر، وكنت مسرورا جدا، فكأنه هدف من أهداف حياتي. وعثرت خلال ذلك على نسخة من الترجمة الفرنسية للقرآن الكريم بقلم «موسوسيوساقاري»، ففتحته فإذا أنا بآية سورة النور هذه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ (النور: ٤٠) قرأت الآية، فملك حسن التمثيل وجودة الأسلوب علي قلبي، فقلت في

نفسي: لا بد أن محمدا رجل يقضي ليله ونهاره في البحر كما أقضيهما أنا ،ورغم ذلك لم يزل عجبي قائما .واعترفت بكمال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعبيره عن غواية الضالين، وضياع جهودهم ومساعيهم بأخصر أسلوب كأنه قائم على سطح سفينة في ليلة مظلمة حالكة الظلام، ومن حولها الأمواج العاتية، ويشاهد منظر رجل حائر يوشك على الغرق.

وأرى أنه لا يسع أعظم الناس مهارة في الأخطار البحرية أن يصف كيفية البحر هذا الوصف الجامع بألفاظ تعد على أصابع اليد.

ثم لم ألبث أن عرفت أن محمدا العربي كان أميا، ولم يركب البحر يوما في حياته، فاستنار قلبي بعد هذه المعرفة، فعرفت أنه ليس صوت محمد؛ بل كلام الله تعالى، الذي يرى ثباط الغارق في البحر في ظلمة الليل، فأمسكت القرآن الكريم بيدي، وبدأت أتأمل في هذه الآيات، ثم لم يمض علي إلا أيام حتى أسلمت». (نقلا عن دارالعلوم، يناير عام ١٩٦٩م، من سيرة سيد الكونين، شرح قصيدة البردة، للشيخ مختار أحمد الإصلاح الأعظمي)

قال الناظم: «وفوق جوهره»؛ لأن الدرر والجواهر مهما زادت قيمتها فهي من ذوات القيم، وأما الآيات القرآنية فلا قيمة لها في الدنيا.

البلاغة:

فيه تشبيه مرسل مفصل.

المشبه: معاني الآيات.

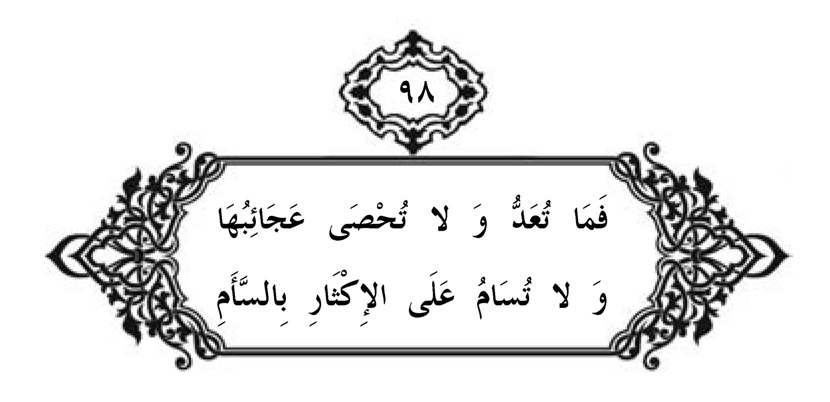
المشبه به: موج البحر.

وجه الشبه: مدد/ الزيادة.

ذكر وجه الشبه وأداة التشبيه؛ فهو تشبيه مرسل مفصل.

انتهى بتوفيق الله تعالى.

****



اللغة:

تعَدُّ: سبق تحقيقه في البيت رقم: ١٤.

تُحصى: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٨.

حصا (ن) حَصوا: منعه، وفي هذا المعنى إشارة إلى الحصاة؛ فإن الحصاة تمنع المرء.

حصى (ض) حَصْيا: قذفه بالحصاة، أحصى: (١) عدّها. (٢) ذكره.

الفرق بين «عد» و«أحصى»:

عدّ (ن): العد واحدا واحدا.

الإحصاء: العد جملة جملة.

العد: الإحصاء مطلقا. والإحصاء: عد الحصى.

يتضمن العد الإحصاء فقط، وأما الإحصاء فيتضمن –بجانب الإحصاء- الضبط والحفظ. وقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾ (مريم: ٩٤) جمع بين الكلمتين، وحمل على هذا المعنى أيضا.

قال الطبري: «لقد أحصى الرحمن خلقه كلهم وعدهم عدا، فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم، وعرف عددهم، فلا يعزب عنه منهم واحد». (تفسير الطبري، مريم:٩٤)

عجائبها: جمعُ عجيبة: ما يتعجب منه. والمراد: الأسرار العجيبة.

عجبَ (س) عَجَبًا وعُجْبًا: تعجب وتحير.

تعجَّبَ: مطاوع عجب.

الأعجوبة: ما يدعو إلى العجب، والعمل العبقري، والشيء العجيب. ج: أعاجيب.

التعاجيب: الأعاجيب، لا مفرد له من لفظه. وردت هذه الكلمة في الحديث: «ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا». (صحيح البخاري، رقم:٣٨٣٥)

العَجَب: اتصف بالعجب. العَجْبُ: مؤخر كل شيء. العُجْبُ: الغرور والزهو.

تُسام: أصله: تُسأَمُ. نقلت حركة الهمزة إلى السين وحولت الهمزة ألفا.

سئِمَ (س) الشيءَ وسَئِمَ من الشيء سَأْمًا: ملّهُ، وتعب معه.

سَأَمَ الإبلَ: تركها. أسْأَمَ الشيء: تركه.

سام (ن) سَومًا: فاوضه في البيع والابتياع، وفاوضه في الثمن، وعرض الثمن.

الإعراب:

تُعَدُّ: فعل. عجائبها: فاعل.

تُحصى: فعل. فاعله (هي) يعود على (عجائب).

على الإكثار: أي مع الإكثار.

(على) قد تكون بمعنى (مع)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ (البقرة: ١٧٧)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾ (الحجر: ٥٤)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ (لقمان: ١٤)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ (إبراهيم: ٣٩)

وفي الحديث: «من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات».(سنن الترمذي، رقم:٥٩)

على الإكثار: متعلق بـــ (تسام).

بالسام: (١) الظرف متعلق بـــ(تسام). والمعنى: لا تترك بسبب الملل. وله معانٍ أخرى تذكر في الشرح.

الشرح:

ما نوع كلمة (تسام) وما المراد بها؟

حاصل معناها في البيت: تُترك. وذلك بأنه من (سئم) بمعنى: ملَّ. والمرء يترك الشيء حين يملّه/ يتعب منه. فكأن (ترك) لازم (سئم). فالمراد به ترك القرآن.

لا تُسامُ: لا تترك. هذه الكلمة تدل بنفسها على معنى الترك. سأم الإبلَ: أي:

خلاها، وتركها. و(تسام) مبني للمجهول منه.

ويحتمل أن تكون كلمة (تسام) بمعنى الترك على أن (أسأم) معناه الترك، فبُني للمجهول منه (تُسامُ).

لا تُسام: لا تقابل بالسوم من: سام (ن) سوما: فاوضه في البيع والابتياع.

والمعنى حينئذ: لا يمكن مساومة القرآن على ثمن، ولا يكون شيء بدلا عنه.

لا تُسام: أي: لا تنقص قيمتها: أي لا تنقص قيمتها مع تكرار قراءته أو تكرار مضمونه، بحيث يمل المرء الآيات، فانتقصت قيمتها.

لا يُسأم القرآنُ:

لا تسام على الإكثار... من خصائص القرآن الكريم أنه لا يبعث على الملل والسآمة وإن تكررت قراءته وتلاوته كثيرا. فلا يزداد المرء تلاوة له إلا ازداد شوقا إليه، فأما التعب فلعارض ولوقت عابر. وهذا دليل على أنه كلام الله تعالى.

لقد اهتم العلماء باعتبار هذا الوصف من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ونقدم لكم نصًّا واحدًا فقط:

قال القاضي عياض رحمه الله: «وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها: أن قارئه لا يمله، وسامعه لا يمجه؛ بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة. وترديده يوجب له محبة. لا يزال غضا طريا. وغيره من الكلام- ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه- يمل مع الترديد، ويعادى إذا أعيد. وكتابنا يستلذ به في الخلوات. ويؤنس بتلاوته في الأزمات. وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك، حتى أحدث لها أصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها؛ ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه: «لا يخلق على كثرة الرد».(شرح الخفاجي على الشفا ٥٣١/٢-٥٣٣؛ ومعه شرح الملا علي القاري على الشفا).

على الإكثار:

عدم الشعور بالملل والسآمة من قراءة القرآن —وإن تكررت وكثرت- يستحق التقدير، ويشكل معجزة من المعجزات؛ لأن الإنسان مطبوع على كراهة تكرار الشيء في عامة الأحوال، وخاصة العرب كانوا يعيبون كثيرا التكرار من غير حاجة إليه. وكثرت

الأمثال المشهورة في العرب تعبيرا عن كراهتهم له، ومنها:

«من العادات: معاداة المعادات». (روح المعاني ٣٠/٩)

«الشيء إذا تكرر تكرج، أي: فسد». (المزهر في علوم اللغة للسيوطي٣٣/١).

«أثقل من حديث معاد». (زهر الأكم في الأمثال والحكم ١٤٧/١). وذلك تعبيرا عن ثقل رجل أو شيء.

قال الشيخ أبو الفتح البستي المتوفى ٤٤٠هـ:

إذا تحدثتَ في قوم لتؤنسهم ❁ بما تَحَدِّث من ماضٍ ومن آتٍ

فلا تَعُدْ لحديثٍ إن طبعهم ❁ موكَّل بمعاداة المعادات

(البداية والنهاية ٣٩٧/١١١، سنة ٤٠١هـ؛ وفيات الأعيان ٣٧٧/٣؛ شذرات الذهب ١٥٩/٣، سنة: ٤٤٠هـ)

في أهل أمثال هذه الطبائع نزل القرآن الكريم، وكانوا يتلونه آناء الليل وأطراف النهار، فاتصاف القرآن بذلك معجزة لا تُجحدُ.

حديث مشهور في فضائل القرآن الكريم:

ما ذكر الناظم في البيت يوافق ما في الأحاديث النبوية، وكلام الناظم يشير إليها، ساق القاضي عياض رحمه الله هذا الحديث مفصلا في هذا المبحث.

نسوق هذا الحديث لأنه يؤيد معنى البيت ويدل عليه:

قال الإمام الترمذي: «حدثنا عبد بن حميد، حدثنا حسين بن علي الجعفي، حدثنا حمزة الزيات، عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث الأعور، قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث، قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا إنها ستكون فتنة». فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا

يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ (الجن: ١ – ٢)

من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هديَ إلى صراط مستقيم». خذها إليك يا أعور».(سنن الترمذي، رقم:٢٩٠٦. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال).

تنبيه: وقع في لفظ الحديث اختلاف يسير جدا بين نسخ سنن الترمذي.

قال الحافظ ابن كثير بعد أن ساق الرواية عن الترمذي: «قلت: لم ينفرد بروايته حمزة الزيات؛ بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي، عن الحارث الأعور، فبرئ حمزة من عهدته، على أنه وإن كان ضعيف الحديث، فإنه إمام في القراءة. والحديث مشهورمن رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه؛ بل كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا. والله أعلم».

وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وَهِمَ بعضهم في رفعه، وهوكلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم.(فضائل القرآن لابن كثير،ص ٤٦؛مقدمة تفسير ابن كثير،ص ٢١).

روى هذا الحديث عن علي رضي الله عنه عددٌ من المصادر غير سنن الترمذي. وروي معناه مرفوعًا عن عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما. (راجع: تخريج الزيلعي للأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف ٢١١/١–٢١٢؛ وانظر رواية عبد الله بن مسعود في: المعجم الكبير للطبراني١٠/٢٠٤/١٠٤٧٣؛ المستدرك على الصحيحين، رقم:٢٠/٨٤/١٦٠؛ مجمع الزوائد ٣٤٢/٧؛ الدر المنثور ٤٨٧/٨؛ حلية الأولياء ٢٣٥/٥)

حديث علي موقوف، وأما الحديثان المؤخر ذكرهما فمرفوعان.

وجملتان في الحديث المذكور وهما: «لايشبع منه العلماء»، و«لا يخلق عن كثرة الرد» على صلة بهذا المعنى. وهذا المعنى ورد في الأحاديث بألفاظ مختلفة، حاصلها واحد.

«لا يخلق على كثرة الرد».(سنن الترمذي، رقم:٢٩٠٦)، و «لا يخلق عن كثرة الرد». (شعب الإيمان ،رقم:١٠٤٧٥)، و«لا يتفه لكثرة الرد».(مسند أحمد،رقم:٣٨٤٥)، «ولا يخلقه كثرة الرد». (مسند الشاميين، رقم:٢٢٠٦)

لا يمل المرء تكرار قراءة القرآن الكريم، عبر عن هذا المعنى غير الناظم في النظم، فمنه:

قال الإمام الشاطبي في قصيدته المعروفة:

و خَيرُ جليسٍ لا يُمَلُّ حديثُه ۞ و ترداده يزداد فيه تَجمُّلا

(حرز الأماني، البيت:١١)

وقيل:

جميع الكتب يدرك من قراها ۞ ملال أو فتور أو سآمة

سوى هذا الكتاب؛ فإن فيه ۞ بدايع لا تمل إلى القيامة

(الكشكول للشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي١/١٢)

قال أحمد شوق في قصيده نهج البردة:

آياته كلما طال المدى جُدُد ۞ يزينهن جلالُ العتق و القِدم

يكاد في لفظة منه مشَرَّفة ۞ يوصيك بالحق والتقوى وبالرحم

(ثلاثية البردة لحسن حسين، ص ١٨٥، قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي)

فلا تعد و لا تحصى...:

شُبِّهت الآيات القرآنية في البيت السابق بموج البحر، والبحر وموجه مما له نهاية وحد، وأما القرآن الكريم فليس كذلك، فصرح في هذا البيت بأن علوم القرآن الكريم ومعارفه وأسراره ورموزه لا يمكن الإحاطة بها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّوْكَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ (لقمان: ٢٧)

الشطر الأول من هذا البيت يدل على معنى الحديث. وحديث الترمذي الذي أسلفناه سبق فيه: «و لا تنقضي عجائبه».

وفي رواية: «ولا تنقضي عبَره ولا تفنى عجائبه».(سنن الدارمي، رقم:٣٣٧٥)

وعليه الشطر الأول من البيت يتعلق بالشطر الأول من البيت السابق، وتوضيحه

وتفصيله فيما يلي:

ولا تسام... والشطر الثاني من البيت يتعلق بالشطر الثاني من البيت السابق، وذلك بأن قوله: وفوق جوهر... ذكر فيه أن الآيات القرآنية تفوق درر البحر حسنا وقيمة، ثم ذكر هنا علته فقال: إن الدرر واللآلي – مهما ازدادت حسنا وقيمة وإعجابا-يمل الإنسان إذا أعاد النظر إليها وأكثر من لمسها حتى يأتي عليه زمان يتركها، وأما القرآن الكريم فيمتاز بأن المرء لا يشبع منه ولا يمل ولو أكثر من قراءته وتلاوته.

الاستدلال على السبحة السائدة بلفظ «الإحصاء»:

كان الناس في قديم الزمان يعدون بالحصى وحبات النواة، ثم شهد التطور حتى أصبح اليوم أنواع من السبحات، ينظم فيها أنواع من الحبات.

وعلى الذين يبدِّعون السبحة السائدة اليوم للذكر ويعتبرونها خلاف السنة أن ينظر في أصل معنى كلمة الإحصاء، فإن هذه الكلمة تدل على معناها تلقائيا، وهو أنها في الأصل للعد بالحصى.

وما أكثر ما ورد في الأحاديث من «أحصاها» وما شابهها من الكلمات، التي تعم التسبيح بالحصى والسبحات ذات الخيوط السائدة اليوم.

لهذا السبب ولأسباب أخرى كثيرة لا يصح تبديع السبحة السائدة اليوم، وأما استخدام السلف الصالح الحصى والنوى والسبحات ذات الخيوط للذكر، ففيه روايات كثيرة، ليس هذا موضع تفصيلها وبسطها. قد درسنا بعض الروايات الخاصة به في فتاوى دارالعلوم زكريا، ورسالة «ذكر جهري»، فليرجع إليهما. كما سبق ذكره باختصار في البيت رقم:٧٠: «أو عسكر بالحصى من راحتيه رُم».

انتهى بتوفيق الله تعالى.

****



اللغة:

قَرَّت: قَرَّ (ض) قَرًّا: برد. قرَّت عينه: بردت، وفرح.

جاء ذلك تعبيرا عن الفرح وطمانينة القلب؛ لأن مناطق العرب حارة، فالراحة عندهم في البرد والقر، فقولهم: قرت العين، كناية عن الراحة.

سبق في البيت رقم :١، أن دمع الفرحة باردة، فإذا قيل: قرت العين، كان معناه: فرح، ولذا عبر عنه بـــ قرت عينه.

علاوة على ذلك ساد في كلامهم: «قرة العين» للفرحة والشيء الحسن، و «سخنة العين» للكراهية. يقال في الدعاء: أبرد الله عينَه. وللدعاء على أحد: أسخن الله عينه.

قد يكون قرَّ بمعنى سكن. فإن المرء حين يرى ما يسره، يفرح ويطمئن قلبه، ثم يتركز نظره فيه، ولا يعدوه إلى غيره. وعلى العكس من ذلك رؤية المخوف. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ (الأحزاب: ١٩)

ولذا أطلقوا «قرت عينُه» بمعنى «سكنت عينه» للتعبير عن الفرح والراحة.

للاستزادة منه راجع تفسير الآية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾ (مريم: ٢٦)

والآية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾ (القصص: ٩)

قاريها: أصله: قارئها، بالهمزة، استبدلت كسرة الهمزة سكونا، ثم استبدلت الهمزة ألفا.

قرأ (ف) قِراءةً وقُرآنا: تتبع كَلِمَاته نظرا ونطق بِهَا وتتبع كَلِمَاته وَلم ينْطق بِهَا. قرأ عليه: تلاه عليه.

قرأ الشيء قرءًا/ قري (ض) جمعه وحازه.

لم سمي القرآن قرآنا؟

الأصل فيه: هل القرآن مشتق أم لا؟ فيه قولان:

(١) هو عَلم، غير مشتق من غيره، مثل أسماء التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب، فالقرآن علم مثلها.

حكى الشافعي عن شيخه إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين (توفي عام ١٧٠هـ)، أنه كان ينطق بالفعل (قرأ) بالهمزة، وأما (القرآن) فكان يعده علما بغير همزة، وكان الشافعي يذهب إليه. (راجع: المستدرك على الصحيحين، رقم:٢٠٥؛ الأسماء والصفات للبيهقي ٢٧/٢؛ سير أعلام النبلاء١٠/١٣؛ غاية النهاية في طبقات القراء للجزري ١٦٦/١).

اختاره كثير ممن جاء بعدهم، واختاره السيوطي أيضًا.

(٢) الجمهور على أن (القرآن) مشتق.

ثم اختلف في مأخذ اشتقاقه ووجه تسميته:

١- قرن بمعنى جمع، والقرآن يجمع السور والأجزاء. (الأشعري)

٢- مشتق من: قرنت الشيء، والقرآن بعضه مقرون ببعض. فحروف القرآن وآياته مقرونة بعضها ببعض، فسمي قرآنا.

٣- مشتق من القرائن، جمع: قرينة، فالآيات القرآنية يصدق بعضها بعضا، ومعناها يشبه بعضها بعضا. وهذه كلها قرائن على تصديقه، وحذفت الهمزة تخفيفا، (الفراء)، ولكن لم يقبل كثير من الناس هذه التسمية.

وعلى هذه الأقوال الثلاثة ليست الهمزة أصل الكلمة من (القرآن)، والنون أصل الكلمة.

٤- المشهور من الأقوال أن (قرآنا) مصدر قرأ، وسمي به لكثرة تلاوته. وذلك كما يطلق الشراب على المشروب. والكتاب على المكتوب، وقس عليه القرآن، أطلق على المقروء.

٥- قرأ: أظهر وألقى، والقارئ يلقي الألفاظ من فيه.

اشتهر في العرب قولهم: «ما قرأت الناقة سلى قط». والسلى: ما يكون الجنين

بداخله.

فعلم أن (قرأ) يأتي بمعنى أخرج وألقى. وبما أن القارئ يلقي الكلمات من فيه، فسمي قرآنا.

نُقل هذا المعنى عن محمد بن مستنير المعروف بقطرب (المتوفى ٢٠٦هـ)، وصححه جماعة من المتأخرين. (البرهان في علوم القرآن ٢٧٧/١؛ وللاستزادة من تفاصل وجه تسمية القرآن به راجع: الإتقان في علوم القرآن، النوع:١٧؛ البرهان في علوم القرآن ٢٧٧/١-٢٧٨؛ المفردات، ص ٤٠٢؛ بصائر ذوي التمييز، ص ٥٨؛ تهذيب اللغة للنووي٢٦٢/٣).

ظَفِرتْ: ظَفِرَ (س) بشيء ظَفَرًا: فاز به، (حصَّله بعد جهد).

قال الشاعر:

يا إمام الهدى ظَفِرْ ۞ تَ ولكن ببنتِ مَن؟

هذا البيت لمحمد بن حازم الباهلي (المتوفى:٢١٥هـ) وكان هجاءً، قاله حين تزوج مامون الرشيد بوران بنت كر. وهذا البيت لا يعرف أذمه به أو مدحه؟ ويذكر هذا البيت في كتب البلاغة مثالا على الإبهام. (راجع: سير أعلام النبلاء ٣٠/٦؛ الوافي بالوفيات ٢٠٠/١٠؛ خزانة الأدب ١٧٨/١؛ نهاية الأرب في فنون الأدب١٧٤/٢).

وقال الشاعر:

تعاللتِ كي أشجى وما بك علة ۞ تُريدينَ قتلي قد ظفرتِ بذلك

وهذه الأبيات على ذروة التنميق والتخييلات اللطيفة فيطيب لي أن أسوق بيتين قبلها، وهم:

قفي قبل وشك البَين يا ابنة مالك ۞ و لا تحرمينا نظرة من جمالك

لئن ساءني أن نلتني بمساءة ۞ لقد سرني أن خطرت ببالك

(معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١٥٩/١؛ ديوان عبد الصمد بن المعزل المتوفى ٨٠هـ؛ مختصر المعاني، ص٦٩؛ سمط اللآلي للمعاني، ص ٣٩؛ في بعض كلمات الشعر اختلاف يسير).

ظَفَرَ (ض) ظَفْرًا: غرز ظفره في الوجه. الظُفر: معروف. ج: أظفار.

الظَّفَر: الفوز. المِظفار: كثير الظفر، الفائز في كل أمر.

بِحبْل: سبق تحقيقه في البيت رقم:٣٧.

حَبَل (ن) حَبلا: شده بالحبل. حَبِلتْ (س) حَبَلا: حملت.

فاعتصم: سبق تحقيق كلمة (العصمة) في البيت رقم:٣٢.

عَصَمَ (ض) عَصْمًا: حفظه وصانه.

عَصِمَ (س) عَصَمًا وعُصْمًا الحيوان: كان في ذِراعَيْه أو إحداهما بَياض. فهو أعصم. وعَصِمَ يعمُّ. ويطلق على البياض في إحدى ذراعيه أو كلتيهما. وبياض الحيوان ما يناسبه.(تاج العروس١٠٢/٢٣)

الإعراب:

بها: بسبب الآية: الباء سببية.

فقلت: الفاء فصيحة، والمعنى:

١- إذا كان الأمر كذلك فقلت له.

٢- إذا كان الأمر كذلك فلا بد أن أقول لقارئها.

توضيح فاء الفصيحة وأمثلتها مرَّ في البيت رقم:٣.

لقد: والله لقد: اللام موطئة للقسم. كما في قوله تعالى:﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ (التوبة: ٢٥)، وقوله:﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ (البقرة: ٦٥)

بحبل الله: الباء جارة. حبل الله: مضاف ومضاف إليه: مجرور، والجار مع مجروره متعلق بـــ :

(١) ظَفِرتْ، و(فاعتصم) مرتب عليه. والمعنى: لقد حصلت على حبل الله، فاستمسك به.

(٢) بحبل الله متعلق بـــ (اعتصم)، وقوله: «فاعتصم» قرينة عليه وتفسير له. والمعنى: لقد اهتديت إلى النجاح، فاستمسك بحبل الله بقوة.

الشرح:

ما المراد بـــ (قرت بها) ؟

(١) الماضي على أصل معناه، وهو أن الذي يتعلق قلبه بالقرآن، لا شك أنه يطمئن به وينشرح له صدره، وهذا المعنى واضح.

(٢) قرَّت: بمعنى: لتَقَرَّ .أي من وفقه الله تعالى لتعليم القرآن وتعلمه فليفرح؛ لأنه

هو أصل النعمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ (يونس: ٥٨)

روي عن أبي سعيد الخدري في تفسير هذه الآية: «فضل الله: القرآن. وبرحمته: أن جعلكم من أهله».(شعب الإيمان، رقم:٣٢٦٠؛ مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٠٦٨٩)

(٣) قرّت: دعاء. أي من أكب على تلاوة القرآن الكريم وخدمته ليجعل الله ذلك له قرة عين.

عين قارئها:

(١) عين باصرة. أي المراد به الجارحة، وقرار العين كناية عن الراحة.

(٢) المراد بالعين: نفس القارئ، أي لتطمئن نفس القارئ بتلاوة القرآن.

قرَّت بها: أي بآيات القرآن.

وهو عام، يشمل كافة أنواع خدمة القرآن الكريم، من التلاوة وتصحيح أداء حروفه، (تعليم التجويد والقراءة) وكذلك التعليم والتعلم في الكتاتيب، وبيان معانيه/ تعلما وتعليما، ونشر القرآن الكريم بصورة أو أخرى، وكشف الشبهات المثارة في القرآن الكريم، وأعظم ذلك كله العمل به. والحاصل أن من التمسك بحبل الله خدمة القرآن الكريم بالإخلاص على أي وجه كانت.

فقلت له:

(١) قال لمزيد الترغيب والحث: لا تدع هذه النعمة.

(٢) قاله له غبطة به على هذه النعمة.

حبل الله: اسم/ وصف للقرآن الكريم، ومعناه في حق القرآن الكريم:

(١) كما يصل المرء بالحبل إلى هدفه، وقد استبدل اليوم بالمصعد الكهربائي، الذي يصل به المرء إلى الأعالي، وكان الناس في قديم الزمان يصعدون إلى الأعالي بالحبال. وكذلك القرآن الكريم يصل بصاحبه إلى هدفه، وخاصة إذا كان الحبل متينا، يأمن الأخطار، وكذلك القرآن الكريم، فإنه يسهل -كثيرا- الوصول إلى الله تعالى. وهو حبل الله.

(٢) كما أن الإنسان يتخلص بالحبل من الغرق والهلاك في الدنيا، كذلك المتمسك بالقرآن الكريم يتخلص به من الهلاك في الدنيا والآخرة.

قال القاضي عياض في شرح الشفا: (حبل الله المتين)، أي: عهده المحكم، الذي لا ينقطع، وسبب وصول وعده الذي لا يمتنع. وقال ابن الأثير: حبل الله: نور هداه. وقيل: عهده وأمانه الذي يؤمن به من العذاب.

ومثله في شرح الخفاجي، وزاد: ويتوصل به إلى ما ينجيه ويوصله لمطالبه، والمتين بمعنى القوي. (شرح الخفاجي على الشفا، ومعه شرح القارئ على الشفا ٥٣٧/٢)

وقال الرازي: «وإنما سمي به؛ لأن المعتصم به في أمور دينه يتخلص به من عقوبة الآخرة، ونكال الدنيا، كما أن المتمسك بالحبل ينجو من الغرق والمهالك. ومن ذلك سماه النبي صلى الله عليه وسلم عصمةً، فقال: إن هذا القرآن عصمة لمن اعتصم به».(تفسير الرازي ٢٦٢/٢)

والحديث المذكور أخرجه جمع من المحدثين في كتبهم. (المعجم الكبير للطبراني ١٣٠/٩/ ٨٦٤٦؛ مصنف عبد الرزاق ٢٧٥/٣؛ مسند أبي يعلى ٣٠٢/١، وغيرهم)

وللاستزادة من الشرح والتفصيل حول هذه الكلمة يرجع له إلى تفسير قوله «بحبل الله» في كتب التفاسير، وإلى شروح الأحاديث ضمن شرح حديث «وهو حبل الله المتين».

حبل الله:

وردت هذه الكلمة في النصوص للقرآن الكريم، بل التعبير بـــ «الاعتصام بحبل الله» في البيت جاء من الكتاب والسنة. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ (آل عمران: ١٠٣)

ومن الأقوال في تفسير هذه الآية أن المراد به القرآن الكريم. قال الماوردي رحمه الله تعالى: «﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ فيه خمسة تأويلات: أحدها: الحبل: كتاب الله تعالى، وهو قول ابن مسعود، وقتادة، والسدي، روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كتابُ اللهِ هو حَبلُ اللهِ الممدود من السماء إلى الأرض». والثاني: أنه دين الله وهو الإسلام. وهذا قول ابن زيد. والثالث: أنه عهد الله، وهو قول عطاء. والرابع: هو الإخلاص لله والتوحيد. و هو قول أبي العالية. والخامس: هو الجماعة، وهو مروي عن ابن مسعود. (تفسير الماوردي ٤١٣/١)

أما الأحاديث في تسمية القرآن بحبل الله:

(١) حديث علي مرفوعا: «وهو حبل الله المتين».(سنن الترمذي، رقم:٢٩٠٦)

(٢) حديث زيد بن أرقم مرفوعا: «ألا وإني تارك فيكم ثَقلين: أحدهما: كتاب الله عز وجل، وهو حبل الله». الحديث. (صحيح مسلم، رقم:٢٤٠٨). وقد أخرجه جمع من المحدثين في كتبهم من عدة طرق. وله شواهد من حديث جابر وعلي وحذيفة بن أسيد الغفاري، وأبي هريرة.

(٣) عن ابن مسعود مرفوعا: «إن هذا القرآن حبل الله».(المستدرك للحاكم، رقم:٢٠٤٠؛ شعب الإيمان للبيهقي، رقم:١٨٣٢)

(٤) قال عبد الله: «إن هذا الصراط محتضر يحضره الشياطين، ينادون: يا عبدَ الله، هذا الطريق، فاعتصموا بحبل الله؛ فإن حبل الله القرآن».(شعب الإيمان، رقم:١٨٦٧)

البلاغة:

(١) استعارة تصريحية أصلية... الخ.

الآيات: مشبه. حبل قوي: مشبه به. ذكر المشبه به وأريد المشبه. فالاستعارة تصريحية. وحبل الله ليس مشتقا، فهي أصلية. ذكر ما يناسب المشبه به وهو (فاعتصم)، فكانت ترشيحية.

(٢) حيث إنه أريد بـــ(عين قاريها) نفسُ قاريها، فهو مجاز مرسل؛ ذكر الجزء وأريد به الكل، ولما كانت عين الجزاء شرفا، كان تعبيرا عن الجسد كله.

أسماء القرآن الكريم:

حبل الله: من أسماء القرآن الكريم. وله أسماء أخرى كثيرة. وذلك لأن كثرة أسماء الشيء تدل على جلالة قدره وعلو منْزلته. وقد أشار القرآن الكريم نفسه إلى عدد من أسمائه في آيات متفرقة، ويفسره المفسرون ويذكرون وجه تسميته في موضعه، بيد أن الذين أفردوا هذا الموضوع بالذكر، نذكر أسماء بعضهم ونشير إلى المصادر خوف الإطالة:

(١) عدد الإمام الرازي (ت:٦٠٦هـــ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ اثنين وثلاثين اسما للقرآن الكريم. ثم شرح كل اسم، وذكر وجه تسميته به.

(٢) وذكر أبو حفص عمر بن محمد النسفي (ت:٥٣٧هـــ) في مقدمة تفسير «التيسير» مئة وعشرة أسماء للقرآن الكريم، وتم خدمة هذا التفسير في جامعة الملك خالد

/الرياض. وهو صاحب العقائد النسفية، وشرحه العلامة التفتازاني (ت:٧٩٣هـ) وسماه: «شرح العقائد النسفية». وأما «مدارك التنزيل» المعروف بتفسير النسفي لصاحبه العلامة أبي البركات (ت:٧١٠هـ) فكتاب آخر.

(٣) وللعلامة محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم (ت:٧٥١هـ) كتاب سماه «أسماء القرآن الكريم» أو «شرح أسماء الكتاب العزيز».

(٤) وعدد العلامة محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت:٨١٧هـ) في مقدمة كتابه «بصائر ذوي التمييز» مئة وعشرة أسماء للقرآن الكريم، وشرح كل اسمه، وبين مادة اشتقاقه. (الفصل الرابع في ذكر أسماء القرآن الكريم، ص ٦١-٦٤)

(٥) وذكر العلامة السيوطي نقلا عن كتاب «البرهان في مشكلات القرآن» لصاحبه العلامة عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيذله (ت:٤٩٤هـ) خمسة وخمسين اسما له، ثم ذكر وجه تسمية كل اسم منها. (الإتقان في علوم القرآن، النوع:١٧)

(٦) وللعلامة محمد بن أحمد بن عقيلة المكي (ت:١١٥٠هـ) كتاب «الزيادة و الإحسان في علوم القرآن». وهذا الكتاب أكبر موسوعة لعلوم القرآن الكريم. وذكر العلامة الزركشي في كتابه (٤٨) نوعا من علوم القرآن، وذكر السيوطي (٨٠) نوعا منه في كتابه. في حين ذكر العلامة ابن عقيلة (١٥٤) نوعا منه. وأعد خمسة من أهل العلم رسالة ماجستير حوله، وطبع الكتاب في عشرة مجلدات من جامعة الشارقة (الإمارات العربية المتحدة). وهو متوفر في كثير من الأماكن. وجاء فيه في الرقم الثالث: موضوع علم أسماء القرآن.

(٧) «الهدى والبيان في معرفة أسماء القرآن» لصاحبه الشيخ صالح بن إبراهيم البلهي (ت:١٤١٠ه) في مجلدين.

(٨) أسماء القرآن للشيخ محمد محروس البغدادي (المولود:١٣٦٠هـ) رئيس منتدى الإمام أبي حنيفة في الأعظمية.

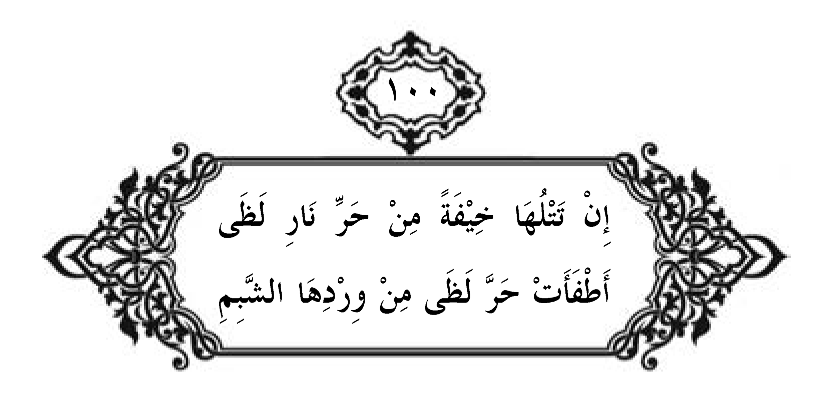
(٩) «أسماء سور القرآن وفضائلها» للدكتورة/ منيرة، الأستاذة المساعدة بكلية الآداب للبنات، الدمام. وهو في (٧٦٦) صفحة.

(١٠) «أسماء القرآن و أوصافه في القرآن الكريم» رسالة الماجستير للشيخ عمر بن عبد العزيز الدهيشي، كلية التربية، جامعة الملك سعود.

(١١) وألف العلامة محمد بن حسن بن زياد المعروف بالنقاش (ت:١٣٥١هـ) كتابًا في أسماء القرآن الكريم.

انتهى بتوفيق الله تعالى.

****



اللغة:

تتلها: تلا (ن) جاء في عقبه، اقتفى أثره. تلا الكتاب: قرأه.

تلى(ض) تَلْيًا/ تَلِيَ (س) تَلَى: تبعه.

خيفة: خاف (س) خوفا ومخافة وخيفة: ارتاع، فزع مما يكره.

أخاف الطريقُ: احتف بالخطر. أخاف فلانا: هدده.

خيفة: حالة من الخوف تطرأ على الإنسان.

خيفةً: أصله خِوَفة: استبدلت الواو ياء لكسرة ماقبلها. فصار «خيفة».(تاج العروس٢٣/٢٨٧)

حَرّ: سبق تحقيقه في البيت رقم:٧٤. حَرَّ (س،ض،ن) حرارة: سخن.

نار: سبق تحقيقها في البيت رقم:٦٢، ٦٤.

لظى: لظِيَتْ النار لظى: هاجت واشتعلت. التظت/ تلظّيت النار تلظِّيا: هاجت. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ (الليل: ١٤)

لظى: الاشتعال. ولظى: (١) من أسماء جهنم. لم ينصرف للعلمية والتانيث. (٢)الطبقة الثانية من طبقات جهنم.

جاء ذكر (لظى) في القرآن الكريم أيضا، ووصفت بأنها نار تشتعل، تنْزع جلود الأيدي والأرجل والدماغ.

ولجهنم أسماء عدة، تدل على هيبتها. (أعاذنا الله منها). يكثر المفسرون من ذكرها.

الفرق بين الدركات والدرجات:

طبقات جهنم يطلق عليها «الدركات»، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ

ٱلنَّارِ﴾ (النساء: ١٤٥). وأما طبقات الجنة فيطلق عليها «الدرجات». في الحديث: «إن في الجنة مئة درجة». (صحيح البخاري، رقم: ٢٧٩٠)

والحق أن النازل يطلق عليه «أدراك»، نحو للبئر أدراك. والصاعد يطلق عليه الدرجات. (تفسير القرطبي ٤٢٥/٥؛ روح المعاني ١٧٧/٥)

كما يطلق في سياق العقاب «الدركات»، وفي سياق الثواب «الدرجات». (تفسير القرطبي ٨٨/٧؛ روح المعاني ٢٢/٢٦)

لجهنم سبع طبقات/دركات، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (الحجر: ٤٤)

جمعت أسماء هذه الطبقات في قولي: «حَسَّ جَهْلٌ».

ومناسبة هذه الكلمات لطبقات جهنم هكذا: حَسَّ: قتله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ (آل عمران: ١٥٢). أي قتلهم الجهل والضلال، ووصلا بهم إلى النار. ومن معاني (حَسَّ) التدمير.

ح: حطمة، حطيم، س: سعير، ج: جهنم، جحيم. هـــ :هاوية. ل: لظى.

هذه الطبقات كلها ذكرها القرآن الكريم، وأوردت كتب التفاسير تفاصيلها.

وأحيانا تدل الكلمة الواحدة على اسم من أسماء جهنم، وطبقة من الطبقات. نحو: لظى.

من يدخل هذه الطبقات؟ والتفاصيل الأخرى، راجع تفسير قوله تَعَالَىٰ:﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ ﴾. (للاستزادة منه راجع: صفة النار لابن أبي الدنيا (ت:٢٨١هـــ)؛ التخويف من النار لابن رجب (ت:٧٩٥هـــ)؛ صفة النار للذهبي (ت:٧٤٨هـــ)؛ تنبيه الغافلين للسمرقندي (ت: ٣٧٣هـــ)؛ صفة النار وأهلها).

أطفأت: طَفِئَت النار طفئا وطُفوءا: خمدت.

يطلق هذه الكلمة على انتهاء وخمود كثير من الأشياء.

أطفأ/ طفَّأَ: أخمده. الإطفائي: من يقوم بإطفاء النار (FIRE FIGHTER)

مِطفأة: آلة يطفأ بها النار. ج: مطافئ.

رجال المطافئ: طاقم يقوم بإطفاء النار (FIRE BRIGADERS).

وِردِها: سبق تحقيقه في البيت رقم:٦٣.

الوِرد: (١) مورد الماء. (٢) ما يقرأ دائما. المقدار المعين من القرآن والأذكار، يواظب عليه.

وربما أطلقوا الورد أو الأوراد على الأذكار؛ لأنها تكرر وتعاد كما يتكرر ورود الناس إلى مورد الماء –كما كان قديما–، ويعم «الورد» المواظبة على الأعمال اليومية.

وأريد في البيت واحد من هذين المعنيين للورد، أو كلاهما. وله معانٍ أخرى.

الشبم: شَبِمَ: (س) برد. ماء شبيم.

شَبَمَ (ن) وضع الشبام –قطعة طويلة من العود– في فَم الرَّضِيع من الشاة ليمنعه الرَّضَاع.

الإعراب:

إن تتلها: شرط. أطفأت: جزاؤه. سقطت الواو في (تتلوها) للجزم.

الضمير في (تتلها) يعود على الآية.

خيفة: (١) مصدر بمعنى الخوف. (٢) أو بمعنى اسم فاعل بمعنى الخائف. (٣) لحصول الخوف: مفعول له حصولي.

المفعول له على نوعين:

(١) لأجله: أي ما كان موجودا من قبل، ونتج الفعل عنه، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ (البقرة: ١٠٩)

وفي الحديث: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه». (صحيح البخاري، رقم:٣٨)

(٢) الحصولي: ما لم يكن موجودا قبل، ثم وجد، أي حصل نتيجة للفعل. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ (البقرة: ٢٣١)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: ٣٥)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ (ق: ٩ – ١١)

من حر نار: متعلق بـ(خيفة).

حر لظى: أظهر مكان الإضمار (الضمير في حرها) لضرورة الشعر.

وردها: الضمير يعود على الآيات.

من وردها: وردها: موصوف: الشبم: صفة له، والجار مع المجرور متعلق بـــ (أطفأت).

الشرح:

ذكر فيما سبق فضائل القرآن الكريم ومحاسنه، ويذكر هنا بركات قراءته وفوائدها بإيجاز. ومعنى البيت: يصون المرء نفسه من النار ببركات قراءة القرآن الكريم.

ما المراد بـــ (وِردِها الشَّبِم)؟

(١) المراد بالوِرد: القدر المعين من تلاوة القرآن الكريم، ويؤيد ذلك أن (ورد) أضيف إلى الآيات في قوله (وردها)، ومعنى (الشَّبِم) حينئذ:

١- دافع الحرارة. أي ينجو المرء ببركة هذه الآيات من حر النار.

٢- أو أن (الشبم) بمعنى البرد. أي المواظبة على الأوراد تورث في العيون البرودة، وفي القلبَ السرور، وفي البدن الراحةَ.

(٢) المراد بالورد ورد الماء، ويؤيده وصفه بـــ (الشبم).

وحينئذ شُبِّه ورد القرآن الكريم بورد الماء (المورد)، لأن القرآن سبب حياة الروح كما أن الماء سبب حياة البدن. وكما أن الماء يطفأ به نار الدنيا، أو يبل به العطش وشدته، كذلك القرآن الكريم يطفأ ببركته نار جهنم.

أطفأت حر لظى: كناية عن النجاة.

أي المراد نجاة صاحب القرآن من النار، وليس المراد خمود النار حقيقة.

حر لظى: في بعض النسخ: «أطفأت نار لظى»، كما في النسخة المتوفرة لابن مقلاش والشيخ الباجوري (ت:١٢٧٧هـــ) عند شرحهما، كان فيها «نار لظى»، ويناسبه «أطفأ».

الأجر والثواب على الأعمال الصالحة فضل من الله تعالى لاغير:

قوله: «أطفأت نار لظى» يشير عرضا إلى مسألة وهي أنه ليس من حق العبد على العبادة والطاعة إلا النجاة من العذاب. وأما الأجر والثواب على ذلك ففضل من الله تعالى

فحسب. وفي حديث معاذ: «وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا». (صحيح البخاري، رقم :٢٨٥٦؛ صحيح مسلم، رقم:٣٠)

فصلت كتب علم الكلام هذه المسألة.

قراءة القرآن عن ظهر القلب أفضل أم في المصحف؟

إن تتلها: درس الشراح في شرح هذا البيت: أن الفضل المذكور يحصل بتلاوة القرآن بالإخلاص، بغض النظر عن تلاوته عن ظهر القلب وتلاوته في المصحف. ولكن ما الأفضل: قراءته عن ظهر القلب، أو القراءة في المصحف؟

تذكر مصادر علوم القرآن قولين أو ثلاثة أقوال في ذلك:

القول الأول:

القراءة في المصحف أفضل.

وهذا ما ذهب إليه عامة السلف الصالح وأخذوا به. ومن أدلة هذا القول:

١- القراءة في المصحف يشتغل به القلب والعين واليد واللسان في العبادة. فاجتمع عدد من العبادات.

٢- فيه الأمن من الخطإ في القراءة.

٣- كان معظم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤون في المصحف. واخترق مصحفان لعثمان رضي الله عنه لكثرة ما كان يقرأ فيه.

«وخرق عثمان مصحفين لكثرة قراءته منه. فكان كثير من الصحابة يقرؤون في المصاحف ».(إحياء علوم الدين١/٢٧٩).

٤- عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قراءة القرآن في غير المصحف ألف درجة، وقراءته في المصحف تضعَّف على ذلك ألفي درجة».(شعب الإيمان للبيهقي، رقم :٢٠٢٦؛ المعجم الكبير للطبراني ٢٢١/١)

٥- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فضل قراءة القرآن نظرا على من يقرؤه ظاهرا كفضل الفريضة على النافلة».(فضائل القرآن للقاسم بن سلام ١/١٠٤؛ الترغيب لابن شاهين، رقم:١٩٥؛ وقال الحافظ في الفتح (٤١١/٩): «وإسناده ضعيف». وفي الباب روايات

كثيرة.ينظر:شعب الإيمان ،فصل في قراءة القرآن من المصحف؛مصنف ابن أبي شيبة،باب في إدامة النظر في المصحف، وباب في النظر في المصحف؛مقدمة تفسير ابن كثيروفضائل القرآن لابن كثير،باب القراءة عن ظهر القلب).

القول الثاني:

القراءة عن ظهر القلب أفضل؛ لأن التلاوة بهذه الصورة:

١- باعثة على زيادة الخشوع، وهو المطلب القرآني، قَالَ تَعَالَى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ (ص: ٢٩)

٢- أبعد من الرياء.

٣- كان من عادته صلى الله عليه وسلم القراءة عن ظهر القلب.

التوفيق بينهما أو القول الثالث:

قرر الإمام النووي رحمه الله أن الفضيلة ترجع إلى المرء، فمن كانت قراءته في المصحف أبعث على التدبر والتفكير، أو كانت القراءة عن ظهر القلب والقراءة في المصحف سيان، فالأفضل له القراءة في المصحف. ومن كانت قراءته عن ظهر القلب أبعث على التدبر كان القراءة عن ظهر القلب أفضل له.

قال الإمام النووي رحمه الله في الجمع بين القولين: «إن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبر والتفكّر وجمع القلب والبصر أكثر مما يحصل من المصحف، فالقراءة من الحفظ أفضل، وإن استويا، فمن المصحف أفضل، وهذا مراد السلف».(الأذكار للنووي، ص ١٠٧، ومثله في آداب حملة القرآن، ص ١٠٠؛ و في آخره: والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفضيل).

وذكر الحافظ ابن حجر أيضا هذا الجمع بين القولين، وقال: «والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص».(فتح الباري٩/٧٩)

ومن وجوه تفضيل القراءة من المصحف أن العمل فيها أكثر، فكان الأجر أكثر.

سماع القرآن أفضل أو قراءته؟:

يقال مثل ذلك في: هل سماع القرآن أفضل أو قراءته؟

فمن ذهب إلى تفضيل السماع، استأنس فيما استأنس- بما يلي:

١- هو أبعث على التفكر والتدبر.

٢- قراءة القرآن مستحبة، وسماعه فريضة -في رواية- أو واجبة. وفي رواية: فرض على الكفاية. (الدر المختار مع رد المحتار١/٥٤٦؛ فتح القدير١/٣٤٦)

وعلى كل، سماع القرآن -سواء كان فرضا على العين أو فرضا على الكفاية - أجره أكثر من المستحب.

يستحب سماع القرآن خارج الصلاة:

ينبغي -بمناسبة استماع القرآن الكريم- أن نشير إلى أن الشيخ حكيم الأمة أشرف علي التهانوي استحب استماع القرآن خارج الصلاة. يقول: «سماع القرآن فيه قولان، وأختار استحبابه خارج الصلاة تيسيرا».(إمداد الفتاوى ٥٩/٤) ولكن لم أجد رواية الاستحباب في كتب الفقه.

إن تتلها خيفة من حر نار لظى:

خمود النار ببركة القرآن الكريم في ضوء النصوص:

(١) في الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ القرآن واستظهره، فأحل حلاله، وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار».(سنن الترمذي، رقم:٢٩٠٥، وإسناده ضعيف لضعف حفص بن سليمان)

هذه الفضيلة لحفظة القرآن الكريم بالنظر إلى بداية الدخول.(فضائل القرآن للشيخ محمد زكريا رحمه الله)

(٢) في الحديث: «لو أن القرآن جعل في إهاب ثم ألقي في النار ما احترق».(مسند أحمد، رقم:١٧٤٢٠، وإسناده ضعيف لضعف حجاج الأعور)

ومن معاني هذا الحديث العديدة أن حافظ القرآن الكريم إذا ألقي في النار لمعصية، لم تفعل النار فيه فعلها. ويؤيد هذا المعنى حديث آخر، فيه: «إن الله لا يعذب قلبا وعى القرآن».(فضائل القرآن للشيخ محمد زكريا رحمه الله)

وعبر بعضهم عن هذا المعنى بقوله: من وفق لحفظ القرآن الكريم (وعاش حياته وفق الشريعة) أمن العذاب.

وللحديث معانٍ عدة أخرى غير ما ذكر من المعنيين، حاصلها:

١- هذه معجزة خاصة بزمن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- أصل كلام الله لا يحترق أبدا. (راجع: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٢٩١/١؛ مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ٢٣٨/١، ٢٥٨/١؛ شرح مشكل الآثار ٢٦٣/٢؛ فضائل القرآن وتلاوته للرازي ١٥٤/١؛ شرح السنة ٤٣٦/٤-٤٣٧)

(٣) قال أبو موسى الأشعري: «من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن زج في قفاه، فقذفه في النار».(فضائل القرآن للفريابي، رقم:٢٢)

(٤) حديث: «فإن الله لن يعذب قلبا وعى القرآن».(سنن الدارمي، رقم:٣٣٦٢، عن أبي أمامة بإسناد صحيح)

(٥) قال ابن مسعود رضي الله عنه: «يجِيءُ القرآنُ يومَ القيامةِ فيَشفعُ لصاحبِه، فيكونُ له قائِدًا إلى الجنةِ، ويَشهدُ عليه ويكون له سائقا إلى النار».(سنن الدارمي، رقم:٣٣٦٨)

(٦) حديث: «إنَّ النارَ تقول يومَ القيامةِ: يا مؤمنُ، جُزْ فقد أطفأَ نُورُكَ لَهَبِي».(شعب الإيمان، رقم:٣٦٩)

فإذا كان هذا للمؤمن الصالح العادي، فكيف بقارئ القرآن؟

البلاغة:

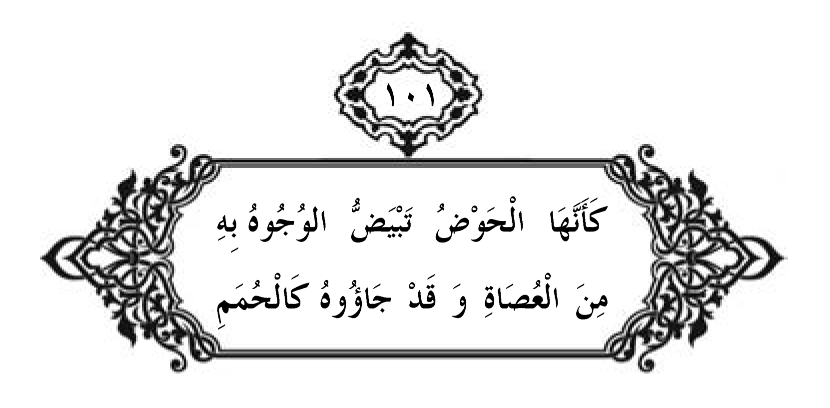
آيات: مشبه. ورد الماء: مشبه به.

وجه الشبه: كلاهما سبب الحياة.

ذكر المشبه، فالاستعارة تصريحية. والإطفاء مع الورد، فهي تخييلية. ويناسبه البرودة، فهي ترشيحية.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

الحوض: مجتمع الماء ذو الحافات.

حاض (ن) الماءَ حوضًا: جمعه و أحاط به. حوَّضَ/ احتاض/ استحوض: اتخذ حوضا.

الحوض: (١) مجتمع الماء ذو الحافات. (٢) البركة. (٣) خزان الماء. (٤) السد ونحوه.

تبيضُّ: باض: ألقت بيضها. وهي بائض، ج: بوائض.

باض فلانا: فاقه في بياض اللون. ابيضَّ: صار أبيض، تهلل وجهه.

الوجوه: وَجَهَ (ض) يَجه وَجْهًا: سمت منْزلته. وجَهَ فلانا: ضربه في وجهه.

وَجَهَ (ن) يَوجُه وَجاهةً: صار ذا قدر ومنْزلة.

الوجه: له عشرات المعاني، من أشهرها:

(١) سيد الْقَوْم وشريفهم. وورد في شأن ابن عباس رضي الله عنهما: «ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، و من وجوه المسلمين».(صحيح البخاري، رقم:٤٧٥٣)

(٢) ما يواجهك، والصورة وما يقبل من كل شيء. «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها».(صحيح البخاري، رقم: ٣٥٤٩)

(٣) من المسألة ما ظهر لك منها.

(٤) ذات الشيء، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص: ٨٨

وفي الدعاء المأثور: «أعوذ بوجهك». قاله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله

تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا﴾ (الأنعام: ٦٥)(صحيح البخاري، رقم:٤٦٢٨)

(٥) «ثم خرج فصلى في وجه الكعبة ركعتين». (صحيح البخاري، رقم:٣٩٧)

(٦) الصحة. (٧) السبب، والأساس. (٨) القدر والحرمة. «وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة».(صحيح البخاري، رقم:٤٢٤٠)

العصاة، جاءوا: سبق تحقيقهما. عصاة: جمع: عاصٍ.

الحُمَمُ: حَمَّ (ن) حَمًّا: (١) سخن، (٢) قصد، (٣) اغتم.

حم الماء (س) سخن. حَمَّ الشيءُ: اسود. حُمَّ حُماما: أصابه الحمى.

الحِمام: (١) الموت. (٢) النصيب. الحُمام: الحمى. الحَمام:

الحُمَم: (١) الفحم. (٢) الرماد. (٣) ما احترق بالنار.

حُمة مثل همة: مفرد. ويطلق بفك الإدغام: حمُمة.

الفرق بين الحُمم والفحم:

(١) الفحم: مادة سوداء تتخلف من إحراق الخشب ونحوه مطلقا.والحمم: الفحم المحرق. والفحم: ما تخلف من إحراق الخشب ونحوه. حُمَم: ما تخلف من إحراق الفحم.

(٢) الحُمم أعم من الفحم.

الفحم: مادة سوداء كما سبق، والحُمم يعم الفحم وما احترق من الأشياء. يقول الملا علي القاري: «الحممة الفحم، وما احترق من الخشب والعظام ونحوهما». (عمدة القارئ ٣٠٠/٢، باب الاستنجاء بالحجارة)

الإعراب:

كأنها الحوض: (ك): حرف تشبيه، والتقدير: شبهتها بالحوض.

الحوض: اللام للعهد الخارجي، وهو حوض الكوثر المعروف. ورد ذكره كثيرا في الأحاديث وثبت بإجماع الأمة.

تبيض الوجوه: (١) حال من الحوض. أي المقصود ذكر حالة من حالات الحوض، أي شبه بالحوض حال تهلل وجوه الناس به.

إيراد: الحال إما من الفاعل أو المفعول، فكيف كان من الحوض؟

الجواب: معنى (كأنها) شبهتها بالحوض. وتتخلف كثيرا القاعدةُ القائلة: بأن الحال

إما من الفاعل أو المفعول.

الوجوه: أي ذوو الوجوه: بحذف المضاف؛ لأن ما بعده (العصاة) بيان له.

به: الحوض.

من العُصاة (مِن) بيانية، أي أن (العصاة) بيان للوجوه.

و: حالية، جاءوا: فعل. والضمير المستتر فاعله، (هـــ) مفعول، يعود على الحوض.

كالحُمم: حال كونهم كالحمم. وهو حال من (جاءوا).

والفعل مع فاعله وحاله جملة فعلية حالية، من العصاة.

الشرح:

الحوض: في الآخرة حوضان: (١) في المحشر حوض الكوثر. (٢)في الجنة نهر الكوثر.

سيأتي بيان حوض الكوثر في ضوء الأحاديث لاحقا.

تبيض الوجوه: بيان وجه الشبه. أي شرح كون الآيات القرآنية مثل حوض الكوثر بقوله: تبيض الوجوه. وفيه وجهان من التشبيه:

(١) الشارب من حوض الكوثر منور ومبارك. وقارئ القرآن منور ومبارك كذلك. ولا يناله كل أحد، وإنما هو فضل من الله تعالى.

(٢) كما أن الغوص في نهر الحياة يزيل من وجوه العصاة وأبدانهم آثار جنهم، و يذهب السواد، وتستنير الوجوه، كذلك القرآن الكريم يذهب ببركته ظلمة المعاصي من العصاة، ويستنير الوجه، ويتوفق للتوبة من الذنوب.

وحاصل البيت أن القرآن الكريم يفعل في الدنيا فعل نهر الحياة في الآخرة، حيث إن تلاوته والعمل به مما ينير الوجه وينظف الجسد، كما أن نهر الحياة في الآخرة ينير وجوه العصاة وينظف أبدانهم.

نهر الحياة وحوض الكوثر واحد أم مختلفان؟

يوحي صنيع الناظم رحمه الله إلى أن نهر الحياة فرع من فروع حوض الكوثر. وبتعبير آخر: إن نهر الحياة صورة من صور حوض الكوثر. فإن من دخل الجنة أولا (اللهم اجعلنا منهم) يتوجهون إلى حوض الكوثر مباشرة، ويشربون من مائه. ثم يدخلون الجنة.

وأما الذين يدخلون النار أولا، فيخرجون حين يخرجون منها إلى نهر الحياة، فهو مثل فرع من فروع حوض الكوثر، فيبيض به وجوههم، ثم يدخلون الجنة، وإلى حال هذه الجماعة يشير قوله: «قد جاءوا كالحُمم»، لا إلى حال من يأتي إلى حوض الكوثر.

إيراد: قيل: المراد به نهر الحياة، رغم أن قوله: كأنها الحوض «يتبادر منه أنه حوض الكوثر. و لم يرد في حوض الكوثر أن أهل النار يخرجون منها ويلقون فيه، ثم يخرجون منه أطهارا منَزهين. وهذا الوصف ليس إلا لنهر الحياة. إلا أن الناظم عبر عنه بالحوض؟

الجواب: قد يجاب عنه بأن المراد بالحوض: حوض الكوثر. وبقوله: تبيض: الفرح والسرور. كالحُمم: أي يأتون قلقين مغتمين؛ لأن البياض يدل على الفرح، والسوادَ يدل على الحزن والهم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ﴾ (آل عمران: ١٠٦)

حمل المفسرون في تفسير هذه الآية (تسود) على الحزن والهم بالتفصيل ،وسردوا بعض الأحاديث نكتفي بذكر حديث واحد. قال العلامة الرازي:

«قولان: أحدهما: أن البياض مجاز عن الفرح والسرور، والسواد عن الغم، وهذا مجاز مستعمل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ﴾ (النحل: ٥٨) ويقال: لفلان عندي يد بيضاء، أي جلية سارة. ولما سلم الحسن بن علي رضي الله عنه الأمر لمعاوية (رضي الله عنه) قال له بعضهم: يا مسود وجوه المؤمنين.

وتقول العرب لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه: ابيض وجهه، ومعناه الاستبشار والتهلل ... فعلى هذا معنى الآية... ابيض وجهه بمعنى استبشر بنعم الله وفضله، واسود وجهه بمعنى شدة الحزن والغم».(تفسير الرازي ٨/١٣١-٣١٨)

والمعنى في ضوء هذا التفصيل: يفر الناس في أهوال القيامة قلقين مغتمين، إلى حوض الكوثر، ويشربون من مائه، فيزول قلقهم، ويفرحون. ثم ينتقلون إلى المراحل اللاحقة من الآخرة، كذلك تماما يزول متاعب القلقين والمغتمين، ويفرحون ويسرون وتنشرح صدورهم.

وإلى مثله ذهب العلامة ابن عاشور، فقال: «وفيه الدعاء المعروف: «اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا»».

الوجه الثاني من الجواب: يقول العلامة ابن عجيبة: المراد بالحوض مجتمع الماء مطلقا، فيعم نهر الحياة أيضا، ولا داعي إلى حمله على حوض الكوثر.

وذكر الشراح معنى آخر: إن القرآن يفعل في الآخرة فعل نهر الحياة، أي يشفي لقارئه، فيستنير وجهه ويدخل الجنة. وذلك كما أن العصاة يلقون في نهر الحياة، فتستنير وجوهم ويدخلون الجنة. (الخربوتي).

والمعنى الأول أولى وأوفق، وهو أن القرآن الكريم يفعل في الدنيا فعل نهر الحياة في الآخرة.

شفاعة القرآن الكريم:

كون القرآن شفيعا ظاهر على المعنى الذي ذكره العلامة الخربوتي. واعلم أن شفاعة القرآن الكريم ورد ذكرها في عدد من الأحاديث النبوية، منها:

(١) مر في شرح البيت السابق حديث أن حافظ القرآن يشفع في عشرة من أهله وجبت لهم النار. (سنن الترمذي، رقم:٢٩٠٥، وفي إسناده حفص بن سليمان الكوفي ضعيف، وكثير بن زاذان مجهول، قاله بشارعواد في تعليقه على سنن الترمذي).

(٢) « إن القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق».(ابن حبان؛ والبيهقي؛ وابن أبي شيبة، وغيرهم)

(٣) «الصيام والقرآن يشفعان للعبد فيقول الصيام: أي رب، إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه **فيشفعان**».(المستدرك للحاكم، رقم:٢٠٣٦؛ شعب الإيمان للبيهقي، رقم:١٨٣٩)

(٤) « ثلاثة تحت العرش يوم القيامة: القرآن يحاج العباد...».(شرح السنة للبغوي، رقم: ٣٤٣٣)

الحوض: جاء ذكر معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم عرضًا في البيت. وهي حوض الكوثر.

تبيض الوجوه: كناية عن التنعم. فالمراد به التنعم وليس استنارة الوجه فقط، وخصت الوجوه به؛ لأن أثر التنعم يظهر فيه.

ذكر الناظم رحمه الله في هذا البيت حوض الكوثر. وفي البيت الآتي الصراط،

والمحشر. وهذا الصنيع يشير إلى أن الحوض مقدم على الصراط والميزان في الترتيب. وهذا هو القول المشهور. وسيأتي ذكره في البيت التالي.

كأنها الحوض:

ذكر نهر الحياة في ضوء الأحاديث:

(١) هذا النهر في فاتحة طريق الجنة وعلى أفواهها.

(٢) اسمه نهر الحياة، أو نهر الحياء، أونهر الحيوان، أو نهرالجنة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...فيبثون على نهر الحيا أو قال: الحيوان، أو قال: الحياة، أوقال: نهر الجنة».(مسند أحمد رقم:١١٠١٦)

(٣) فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر، أو إلى الشجر، ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض»؟ فقالوا: يا رسول الله، كأنك كنت ترعى بالبادية، قال: «فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم، يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله...». الحديث.

وفي رواية: «فيخرجون كأنهم عيدان السماسم».(صحيح مسلم، رقم:١٨٣، ١٩١)

وفي رواية: «فينبتون فيها كما تنبت الحبة في حميل السيل، أو كما تنبت الثعارير».(المطالب العالية، رقم:٤٥٦٠)

وفي رواية: «فيبرؤون من حرقهم كما يبرأ القمر من كسوفه، فيدخلون الجنة».(المعجم الأوسط للطبراني، رقم:٧٢٩٣)

(٤) ينادون: عتقاء الله/ عتقاء الجبار/ عتقاء الرحمن/ محررو الرحمن. وتُنقش هذه الكلمات في نواصيهم أو على عيونهم. قال: «فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم، يعرفهم أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله».(صحيح مسلم، رقم:١٨٣)

وفي رواية: «فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه،

ولا خير قدموه». (صحيح البخاري، رقم:٧٤٣٩)

وفي رواية: «فيقول الجبار: بل هؤلاء عتقاء الجبار». (مسند أحمد، رقم:١٢٤٦٩؛ سنن الدارمي، رقم:٥٣)

وفي رواية: « فيقال: هؤلاء محررو الرحمن». (مسند أبي يعلى، رقم:٦٥٨٦)

ذكر موجز لحوض الكوثر في ضوء الأحاديث:

طول الحوض وعرضه:

(١) حوضي مسيرة شهر، متساوية أطرافه الأربعة، أي متساوي الطول والعرض. (٢) ما بين أيلة وعدن. (٣) ما بين صنعاء إلى المدينة. (٤) ما بين المدينة والشام. (٥) ما بين المدينة وعمان. (٦) ما بين عمان إلى أيلة. (٧) ما بين أيلة إلى صنعاء.

وهذه الروايات السبع كلها في صحيح مسلم. وثم روايات أخرى تفيد مسافات أخرى، منها: ما بين الكوفة إلى مكة المكرمة، وغير ذلك.

تنبيه:

حاولت الروايات تقريب مسافة الحوض بالمسافات بين مختلف المدن، على قدر عقول المخاطبين. وليس الغرض تحديدها بها، بل المقصود التقدير والتخمين. وحاصلها جميعا أن حوض الكوثر أطول وأعرض. وحاول أهل العلم الجمع بين مختلف الروايات على عدة وجوه. (راجع: فتح الباري ٤٧٠/١١-٤٧٢؛ شرح النووي على مسلم،باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم؛ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٩٢/٦، ٩٤-٩٥).

صفات ماء حوض الكوثر:

(١) أشد بياضا من الثلج/ أشد بياضا من الفضة/ أشد بياضا من اللبن.

(٢) أحلى من العسل/ أحلى من العسل مع اللبن.

(٣) أبرد من الثلج.

(٤) أطيب ريحا من المسك.

آنيته:

(١) آنيته عدد النجوم.

(٢) أكثر من عدد النجوم.

(٣) أكثر من عدد النجوم في ليلة مصحية مظلمة لا غيم فيها.

(٤) وروي: كيزانة.

(٥) ورد «أباريق من الذهب والفضة» بدلا من «كؤوس من ذهب».

(٦) هذه الآواني من الجنة.

مزيد من الصفات:

- حافتاه مرصعتان بالجواهر. ورد في كثير من الأحاديث.
- حافتاه من الذهب.
- يجري النهر على اللآلي واليواقيت.
- الحوض في المحشر، ويشخب فيه ميزابان من الجنة.
- في رواية: أحد ميزابيه من الذهب والآخر من الفضة.
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم: والله، إني لأرى حوضي الآن.
- أنا فرطكم على الحوض.
- يريده ناس فيذادون منه.
- وتذكر بعض الروايات الأعمال التي يحرمُ بها المرء ورود الحوض.
- لكل نبي حوض.

وفيما يلي نص الروايات التي أشرنا إليها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، لهو أشد بياضا من الثلج، وأحلى من العسل، ولآنيته أكثر من عدد النجوم».

وفي رواية: « أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا».

وفي رواية: «حوضي مسيرة شهر. وزاياه سواء. وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه لا يظمأ بعده أبدا».

وفي رواية: «وإني لأنظر إلى حوضي الآن».

وعن حارثة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما بين صنعاء والمدينة». فقال له المستورد: ألم تسمعه، قال: الأواني؟ قال: لا. فقال المستورد: ترى فيه الآنية مثل الكواكب.

وعن أبي ذرقال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة الظلماء المضحية، من آنية الجنة، من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، طوله ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل. فسئل عن عرضه فقال: من مقامي إلى عمان. وسئل عن شرابه: فقال: أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل. يغتُّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من ورق».

وفي رواية: « قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن. ترى فيه الذهب والفضة، كعدد نجوم السماء».

وفي رواية: «وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة».(الروايات كلها من صحيح مسلم، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته)

وفي حديث آخر: «حوضي كما بين الكوفة إلى الحجر الأسود». (سنن الترمذي، رقم:٢٤٤٥)

وفي رواية: «حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت. تربته أطيب من المسك».(سنن الترمذي، رقم:٣٣٦١)

وفي رواية: «إن لكل نبي حوضا، وإنهم ليتباهون أيهم أكثرهم واردةً، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة».(سنن الترمذي، رقم:٢٤٤٣)

الروايات الخاصة بحوض الكوثر:

يقول العلامة القرطبي: « أحاديث حوض الكوثر رواها أكثر من ثلاثين صحابيا، عشرون منها رواها الشيخان. ورواها عدد جم من التابعين بعد الصحابة رضي الله عنهم».(المفهم ٦/٩٠)

وعمل العلامة ناصر الدين الدمشقي (ت:٨٤٢هــ) رسالة في الأحاديث الواردة

في حوض الكوثر. (إتحاف السادة ٢/٣٩)

علاوة على ذلك طبع كتاب «الحوض الكوثر» للمحدث بقي بن مخلد (ت:٢٧٦هـ) ، وبذيله «الذيل على جزء بقي بن مخلد» لابن بشكوال (ت:٥٧٨هـ) مطبوعان معا. وهو في (١٧٠) صفحة. جمع فيه المؤلف ما رواه أكثر من مئة وعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حوض الكوثر.

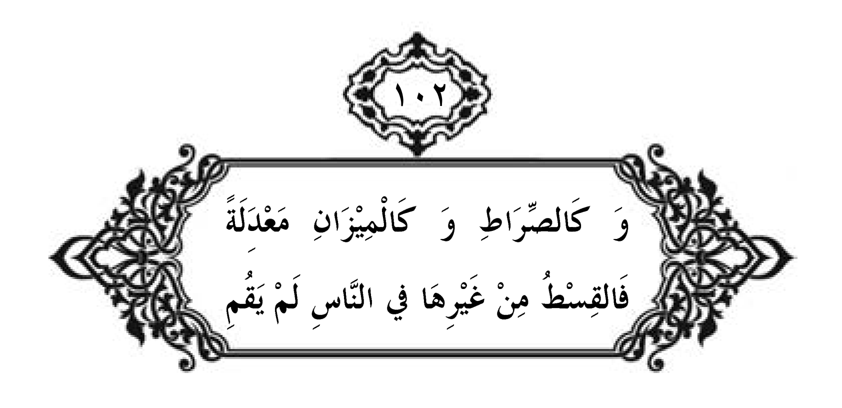
البلاغة:

كالحُمم: تشبيه مرسل مجمل.

عصاة: مشبه. حمم: مشبه به. وجه الشبه: السواد.

ذكرت أداة التشبيه، دون وجه الشبه، فهو تشبيه مرسل مجمل.

****



اللغة:

الصراط: ليس لصرط مجرد. نعم جاء (سرط) بالسين مجردا.

سرط (ن) سَرطا، و(س) سَرْطا: ابتلعه، وسير الطعام في حلقه. انسرط: مطاوع «سرط».

السِّراط: الطريق الواضح. ومناسبته بالمعنى اللغوي: كما أن اللقمة تلقى في جانب وتخرج في جانب آخر، كذلك السراط/ الصراط يؤدي بالمرء من جانب إلى جانب آخر يقصده.

السرطان: (١) حَيَوَان بحري. (٢) اسم برج من أبراج السماء. (٣) مرض (CANCER).

الميزان: وَزَنَ (ض) وزنا وزنة: قدره بوساطة الميزان. قابله وعادله.

الزنة: (١) المقابل. (٢) المقدار.

«سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته».(صحيح البخاري، رقم: ٢٧٢٦)

الميزان: (١) ما يوزن به. (٢) السنجة. (٣) المنْزلة والقدر. (٤) العدل. ج: موازين.

معدِلة: عَدَل (ض) أنصف.

معدِلة –بكسر الدال وفتحها- بمعنى الإنصاف والتساوي. (تاج العروس ٤٤٤/٢٩)

عدل: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٦، ورقم: ٥٨.

القسط: بكسر القاف، دون فتحها. قَسَطَ (ض) قِسطًا: عدل.

قَسَطَ (ض) قَسطًا وقُسوطاً: جار. هو قاسط، ج: قُسَّاط، وقاسطون.

أقسَطَ: أنصف. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة: ٤٢)

وفي الحديث: «المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الله عزوجل بما أقسطوا في الدنيا».(مسند أحمد، رقم:٦٨٩٧؛ مصنف عبد الرزاق ٣٢٥/١١)

ورد في هذا الحديث اسم الفاعل والفعل من (الإقساط) وهو بمعنى العدل والإنصاف.

وفي حديث آخر: « ليوشكن أن ينْزل فيكم ابنُ مريم حَكمًا مقسطا».(صحيح البخاري، رقم: ٢٢٢٢)

كيف كان القاسط: بمعنى الظالم. والمقسط بمعنى العادل؟

(١) القِسط: النصيب. قَسَطَ: بخس غيره حقه، وهو ظلم.

أقسط: أعطاه حقه. وهو عدل، ثم نقل (قَسَطَ) إلى الإفعال، فكان بمعنى انتهى بخس غيره حقه. فكان بمعنى العدل والإنصاف.

فكان (قاسط) بمعنى (ظالم)، و(مقسط) بمعنى العادل.

(٢) «قاسط» بمعنى ظالم، مشتق من «قَسط»، ثم نقل الفعل إلى الإفعال فكان «إقساط»، من خواص هذا الباب سلب المأخذ، فمعنى «أقسط»: نفى الظلم، ونفي الظلم عدل. فكان «مقسط» بمعنى العادل على هذا الاعتبار.

تبين بهذا التفصيل أن قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ دل على معنى الظلم بحيث:

(١) «القسط» أو «القسوط» يدل على معنى الظلم.

(٢) قاسطون: الباخسون غيرهم حقه.

قصة طريفة من قصص الحجاج بن يوسف:

وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه: أنّ الحجاج قال له حين أراد قتله: ما تقول فيّ؟ قال: قاسط عادل، فقال القوم: ما أحسن ما قال! حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل، فقال الحجاج -وكان لسنًا-: يا جهلة، إنه سماني ظالما مشركا، وتلا لهم قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ (الجن: ١٥)، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام: ١)(تفسير الرازي٣٠/ ١٤١؛ فيض القدير٢/٥٩٩؛ تفسير الزمخشري ٤/٦٢٨)

تحكي كتب التاريخ والتراجم قصتين في قتل سعيد بن جبير، إحداهما شهيرة، تسرد حوارًا بين سعيد بن جبير والحجاج طويلا. روى هذه القصة كثير من الناس بإسناد وبغيره. ولا يخلو إسناد من أسانيده من ضعف. والقصة الثانية غير مشهورة، إسنادها صحيح، وهي أن الذي دفع إلى قتل سعيد بن جبير هو وقوفه بجانب عبد الرحمن بن الأشعب في الخروج على الحكومة الراهنة.

(١) والقصة التي تحكي حوارًا طويلا، رواها أبو العرب المحن (١/٢٣-٢٣٥)، (١/٢٤٧-٢٤٨)، وأبونعيم في حلية الأولياء (٤/٢٩٤)، والمزي في تهذيب الكمال (١٠/٢٧٤-٢٧٥)، (١٠/٣٦٨)، و(١٠/٣٦٩)، وابن الجوزي في المنتظم (٧/٨-٩)، وفي الثبات عند الممات (ص ١٣٩)، و نقلها عن ابن الجوزي: ابنُ عدي في بغية الطلب في تاريخ حلب (٥/٢٠٩) بأسانيد مختلفة. ولا يصح سند منها. ففي بعضها محمد بن ذكوان منكر الحديث، ضعيف الحديث، وكثير الخطأ. وفي بعضها أبو عمر بشر بن إبراهيم، متروك ومتهم بالوضع. وفي بعضها: سالم بن أبي حفصة من غلاة الشيعة. وفي بعضها حفص بن سلم أبو مقاتل السمرقندي، قال فيه الذهبي: «وهاه قطيبة شديدا، وكبه ابن عدي». وقال الترمذي: «سمع ابن أخي أبي مقاتل يسرد روايات طويلة في قتل سعيد بن جبير ونحوه، فقال: «يا عمُ، لا تقل: حدثنا عون، فإنك لم تسمع هذه الأشياء».

يرجع إلى كتب التراجم والعلل في الكلام على هذه الروايات مفصلا، أعرضنا عن سرد التفاصيل في تراجمهم، و لم نشر إلى المصادر مخافة الإطالة.

والحاصل لم نعثر على إسناد صحيح لهذا الحوار الطويل. ساق الذهبي هذا الحوار الطويل في سير أعلام النبلاء (٤/٣٣٢) ثم قال: «هذه حكاية منكرة غير صحيحة». وقال الحافظ ابن كثير: «وقد رويت آثار غريبة في مقتله». (البداية والنهاية٩/١٢٠)

ساق عدد من المصادر هذه القصة بدون إسناد، منها: مروج الذهب (٣/١٦٤) سير السلف الصالحين (١/٧٨٣)، وصفة الصفوة (٢/٤٦)، وآثار البلاد (١/٢٥٥)، والإكمال في أسماء الرجال (٥٨٩)، ومرآة الجمان (١/١٥٧) وشرح الشفا للقاري

(٤٧/١)، وشذرات الذهب (٣٨٤/١)، ونحوها.

(٢) وتقول القصة الثانية: خرج عبد الرحمن بن الأشعث على الحكومة، وبايع سعيد بن جبير عبد الرحمن بن الأشعث، وانهزم أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث في «دير الجماجم»، وخرج سعيد إلى مكة المكرمة. ثم عرض سعيد بن جبير على الحجاج بعد هذه الحرب باثني عشر عاما. فترفق به الحجاج. قال الراوي: فظننا أنه سيخلي سبيله. فقال له الحجاج : ألم أحسن إليك؟ ألم أنصبك قاضيا على الكوفة؟ ولا يلي قضاءها إلا العرب؟ ألم أشركك في أمانتي؟ ألم أمنحك من المال ما أنفقته على المحتاجين؟ فكان سعيد يقول في كل مرة: بلى. فقال الحجاج: فما حملك على أن خرجت علي؟ قال سعيد: بيعة عبد الرحمن الأشعث. فطار الحجاج شقتين غضبا. قال: هيه أفرأيت لعزيمة عدو الرحمن عليك حقا، و لم تر لله ولا لأمير المؤمنين عليك حقا؟ اضربا عنقه.

سرد ابن سعد هذه القصة في الطبقات الكبرى (٢٦٥/٦، ط: دارصادر) بسند صحيح. وقال محمد طاهر البرزنجي -محقق «صحيح وضعيف تاريخ الطبري«-: «ورجال إسناد ابن سعد ثقات سوى الفضل بن سويد، ولا بأس بحديثه، كما قال أبو حاتم». (صحيح تاريخ الطبري ٢٠٤/٤)

ورواها ابن سعد بإسناد آخر، وفيه عثمان بن عمير البجلي ضعيف.

وأسند هذه القصة الوجيزة -علاوة على ابن سعد-: أبو العرب المحن (٢٤٣/١)، والدينوري في المعارف (٤٤٥/١)، وأبو يوسف البسوي في المعرفة والتاريخ (٧١٣/١)، والبلاذري في أنساب العرب (٣٦٨/٧)، والطبري في تاريخ الأمم والملوك (٤٨٩/٦)، وابن الجوزي في المنتظم (٧/٧). ورجال هذه الأسانيد كلها ثقات، وبعضهم صدوق أو مقبول.

وسرد عدد من المؤرخين هذه القصة بلا إسناد، منهم: أبو العباس المبرد في الكامل(٧٣/٢)، و المقدسي في البدء والتاريخ (٣٨/٦)، وأبو علي مسكويه في تجارب الأمم (٧٣/٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٢٢/١٢)، والحموي في معجم الأدباء (١٣٦٣/٣)، وابن الأثير في الكامل (٥٨٠/٤)، والذهبي في تاريخ الإسلام (٣٦٨/٦)، والصفدي في الوافي بالوفيات (٢٠٦/١٥)، و ابن خلدون في التاريخ (٧٣٩/١).

هذه النصوص تفيد بأن قتل سعيد بن جبير يرجع إلى نقضه بيعة الخليفة ومبايعته عبد الرحمن الأشعث، والدخول في أصحاب عبد الرحمن الأشعث الخارجين على الحكومة. والله أعلم.

روي أن الحجاج أرق بعد قتل سعيد بن جبير، وكان يقوم من نومه ويقول: منعني سعيد بن جبير النوم فلم ينشب بعد ذلك إلا يسيرا.

رواه أبو نعيم في الحلية (٢٩١/٤)، والمزي في تهذيب الكمال (٣٦٩/١٠)، و(٣٧٣/١٠)، والطبري في تاريخ الملوك والأمم (٩٥/٨)، والبلاذري في أنساب الأشراف (٣٦٩/٧)، و(٣٧٢/٧)، وأبو العرب المحن (٢٤٨/١)، وابن حنبل في العلل (٥٨٢٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (١١٥/١٦)، وابن الجوزي في المنتظم (٤/٧).

وهذه الروايات كلها –على الرواة الضعفاء فيها– تنتهي بقولهم: بلغني. وفي بعضها رواة مجهولون، وبعضها لم تصرح بالسماع.

واشتهر أن الحجاج بن يوسف رئي في المنام بعد وفاته فقيل: ما فعل الله بك؟ فقال: قتلني بكل قتيل قتلة وبسعيد بن جبير سبعين قتلة.

رواها إسماعيل حقي في روح البيان (٣٧٥/٩)، والذهبي في تاريخ الإسلام (٣٦٩/٦)، واليافعي في مرآة الجنان (١٥٧/١)، والصدفي في الوافي بالوفيات (١٢٩/١٥)، والقزويني في آثار البلاد (١٠٠/١)، والدميري في حياة الحيوان (٤٢٨/٢)، بلا سند، و بصيغة التمريض. و لم نعثر على إسناد واحد لهذه القصة.

الناس: اسم جمع، لا واحد له. وقريب منه (أناسي) جمع (إنسان) أو (إنسي).

اشتقاق «الناس»:

القول الأول: أناس وزان «فعال»، و(ناس) منقوص منه. ويطلق كثيرا (ناس) و(أناس) بغير اللام. وأما باللام فـــ (الناس)، وأما (الأناس) فخاص بالشعر.(الفراء وغيره)

القول الثاني: الناس: كلمة برأسها، وأصله (نوس)، ناس (ن) بمعنى تحرك، والقرينة عليه أن تصغير (ناس) على (نويس). فلو كان أصله (أناس) لكان تصغيره على (أنيس). وليس كذلك. وهذا مذهب الكسائي وأتباعه. (نهاية الأرب في فنون الأدب٢/١٠-١١؛ الإنصاف في مسائل الخلاف ٨٠٩/٢-٨١٢).

لم سمي الإنسان إنسانا؟:

(١) مشتق من الأنس؛ لأن الإنسان يأنس بعضه ببعض. والمدة التي قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء أربعون يوما، وفي رواية: ستة أشهر. ثم قضى ما عداها من حياته مع الناس، فغاية المدة التي تذكر في ذلك هي ستة أشهر.

مدة نزوله في غار حراء:

اختلفت الروايات في مدة مكثه صلى الله عليه وسلم في غار حراء:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جاورت بحراء شهرا».(صحيح مسلم، رقم:١٦١)

«أنه كان يجاور في حراء في كل سنة شهرا».(عن عبيد بن عمير مرسلا، فتح الباري ٦٧٨/٨، ١٠/ ٤٢٥؛ السيرة النبوية ٤٠٢/١)

«ولابن إسحاق أنه شهر رمضان، ولم يصح عنه أكثر منه. وروى سوار بن مصعب أربعين يوما، لكنه متروك الحديث».(شرح الزرقاني على المواهب٢١/١).

والحاصل أن الروايات الصحيحة تقول: مدة نزوله شهر واحد فقط.

قال الشاعر:

و ما سمي الإنسان إلا لأنسه ۞ و لا القلب إلا أنه يتقلب

(نهاية الأرب ١٠/٢؛ أدب الدنيا والدين، ص ٦٦)

(٢) الإنسان مأخوذ من النسيان، وبين هاتين الكلمتين اشتقاق كبير، أي حروفهما مشتركة ولم توافق في الترتيب. فيهما نونان وسين. فلما اشتركا في الحروف اشتركا في المعنى أيضًا.

أقسام الاشتقاق:

الاشتقاق على ثلاثة أقسام:

(١) الاشتقاق الصغير: نحو (نَصَرَ) ماضٍ من (النَصر).

(٢) الاشتقاق الكبير، نحو: جبذ من (جَذْب). (أي تغيير الترتيب).

(٣) الاشتقاق الأكبر، نحو: نعق من نهق. فاستبدل حرف من الأصل. ومخرجهما واحد، كذا في مراح الأرواح في بحث الاشتقاق.

وعلى كل، الإنسان مأخوذ من النسيان، قال ابن عباس: «سمي إنسانا؛ لأنه عهد

إليه فنسي». (تفسير ابن كثير ١٨٥/٣؛ تاريخ مدينة دمشق ٣٨٧/٧)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ (طه: ١١٥)

وقال الشاعر:

و ما سمي الإنسان إلا لِنَسْيِهِ ۞ و لا القلب إلا أنه يتقلب

(تاج العروس١/٦٥)

ومن كلام الشيخ أبي الفتح البستي:

نسيتُ وعدَك والنسيان مغتفر ۞ فاعذر فأول ناس أول الناس

(الوافي بالوفيات ١٠٦/٢٢ في ترجمة أبي الفتح البستي؛ طبقات الشافعية ٣٠/١٠)

(٣) قيل: من الإيناس بمعنى الإبصار.

(٤) من النوس بمعن الحركة. (راجع: روح المعاني١/١٤٢؛ تفسير القرطبي١/١٩٣)

الإعراب:

كالصراط وكالميزان: خبر. والمبتدأ (هي) محذوف، معدلة: ظرف، أي في معدلة، أو تمييز، من النسبة إلى الميزان والصراط: هي مشبهة بالصراط من حيث العدل.

الشرح:

كالصراط: في أي شيء شبَّه؟

(١) في الاستواء، فكما أن الصراط طريق مستوٍ، كذلك القرآن الكريم صراط مستقيم. لا عوج فيه.

(٢) القرآن في الهداية إلى الجنة كالصراط، كما أن الصراط يؤدي بالمرء إلى الجنة، كذلك العمل بالقرآن الكريم يمنح الإنسان تصريحا لدخول الجنة، وسبقت أحاديث في هذا المعنى.

(٢) ليس المراد: هو الصراط، بل الطريق مطلقا، فكما أن الطريق السوي يؤدي بالسالك إلى المقصود، كذلك تماما ييسر القرآن الكريم الوصول إلى المقصود.

الصراط:

ذكر الصراط في الأحاديث:

من أهم صفات الصراط، الواردة في الأحاديث ما يلي:

- جسر بين ظهراني جهنم.
- أدق من الشعر.
- أحد من السيف.
- يعبره العالم كله بأمره سبحانه.
- أول من يعبره أنا وأمتي.
- لا يجترئ على الكلام حينئذ إلا الرسل، ويقولون: اللهم سلم سلم.
- على طرفي الصراط كلاليب مثل السعدان، لا يدري عظمها إلا الله تعالى.
- في حديث: قالوا: يا رسول الله، كيف الصراط؟ قال: مزلقة.
- يقف الأمانة والرحم على يمين الصراط وشماله.

كيفية العبور على الصراط:

يعبره المسلمون كلمح بالبصر، بعضهم كالبرق، وبعضهم كالهواء، وبعضهم كالطير، وبعضهم كالفرس السريع، وبعضهم كالجمل.

والناس على ثلاثة أقسام بالجملة:

منهم من يمر به سالما من جهنم. بعضهم مخدوش مرسل، وينجون من النار، ومنهم مكدوس في نار جهنم. أعاذنا الله منها.

وورد في حديث ترتيب المارين به هكذا:

كالبرق، ثم كالريح، ثم كأجواد الخيل، ثم كراكب الجمل، وكشد الرجل، ثم كسير الماشي.

يمر المرء على قدر عمله، حتى يمر بعضهم زحفا.

يقول المؤمنون الكاملون عند المرور بالصراط: رب، سلم سلم. (سنن الترمذي)

وسبق حديث مسلم أن الأنبياء هم الذين يقولون ذلك، وفي رواية: يقول الملائكة ذلك.

أدق من الشعر:

وفي بعض المصادر: لبعضهم أدق من الشعر، ولبعض أولياء الله تعالى كوادٍ موسع عريض.

يقول الشيخ شمس الحق الأفغاني: نقطة ثقل المتقين في الأعلى، فيمرون به مرتاحين، ونقطة ثقل العصاة في الأسفل، فيسقطون أو يخدشون.

وفيما يلي نصوص الأحاديث السابقة:

«فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل ثم ينجو». (صحيح البخاري، رقم:٨٠٦)

« ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم، سلم». قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، و مخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم ...».الحديث.

قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأحد من السيف.

«وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق. قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب، سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا». (الروايات كلها من صحيح مسلم، باب معرفة طريق الرواية، وباب إثبات الشفاعة، وإخراج الموحدين من النار، وباب أدنى أهل الجنة منْزلة فيها).

عن أبي سعيد بن أبي هلال، قال: «بلغنا أنه يكون على بعض الناس أدق من الشعر، وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع». (الأولياء لابن أبي الدنيا، رقم:١٧؛ فتح الباري١١/٤٥٤؛ التذكرة للقرطبي ٣٨٤)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شعار المؤمن على الصراط: رب سلم

سلم».(سنن الترمذي، رقم:٢٤٣٢)

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «شعار أمتي إذا حُملوا على الصراط: لا إله إلا أنت».(المعجم الكبير للطبراني ١٣/٦٩/١٦٨)

«الصراط على جهنم، مثل حد السيف، فتمر الطائفة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود الإبل والبهائم، ثم يمرون والملائكة تقول: رب، سلم سلم».(المستدرك، رقم:٣٤٣٢، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي)

أعمال تعين على المرور على الصراط بيسر وسهولة:

تشير الكتب إلى أعمال كثيرة يسهل الله تعالى بها المرور بالصراط:

(١) اجتناب البدعة:

«وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة، فلا تحدث في دين الله حدثا برأيك».(قاله أبو هريرة). (كنْز العمال، رقم:٢٩٣٧٧)

(٢) التصدق مراعيا للآداب:

قال صلى الله عليه وسلم: «من أحسن الصدقة في الدنيا جاز على الصراط».(حلية الأولياء ٣/٢٢٠)

(٣) اتخاذ المسجد بيتا. (أي قضاء أكبر وقت فيه).

«من يكن المسجد بيته ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة» . (المعجم الأوسط للطبراني، رقم:٧١٤٩)

وردت الأحاديث بألفاظ مختلفة بذكر الضمان بجواز الصراط لمن يكثر من قضاء وقته في المسجد، و روي ذلك عن عدد من الصحابة، ويقول العلامة الزرقاني: «وهذا الحديث رواه سعيد بن منصور والطبراني والبزار، وحسنه عن أبي الدرداء».(شرح الزرقاني على المواهب، الفصل الثالث في أمور الآخرة، وهو آخر فصل في الكتاب).

(٤) إقامة الصلاة مع مراعاة كافة الشروط والآداب:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حافظ على الصلوات المكتوبات في جماعة كان أول من يجوز على الصراط، كالبرق اللامح».(المعجم الأوسط للطبراني، رقم:٦٦٤١،

٦٥٦٦، عن أبي هريرة وابن عباس، قال الهيثمي: «وفيه بقية بن الوليد، وهو مدلس، وقد عنعن». مجمع الزوائد ١٦٣/٢)

(٥) الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

«الصلاة عليَّ نور على الصراط».(الترغيب لابن شاهين، ص١٤؛ الفردوس بمأثور الخطاب ٤٠٨/٢)

ورويت أحاديث كثيرة مماثلة تفيد جواز الصراط ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

«ورأيت رجلا من أمتي يرعد على الصّراط، كما ترعد السعفة، فجاءته صلاته عليّ فسكنت رعدته».(راجع: الدرالمنضود، الفصل الرابع؛ القول البديع، الفصل الثاني؛ القربة إلى رب العالمين بالصلاة على محمد سيد المرسلين لابن بشكوال؛ أمالي ابن بشران)

(٦) التفريج عن مسلم:

«من فرج عن مؤمن كربة جعل الله له يوم القيامة شعبتين من نور على الصراط، يضيء بضوئهما عالَمٌ لا يحصيهم إلا رب العزة».(المعجم الأوسط، للطبراني، رقم:٤٥٠٤)

(٧) قضاء حاجة مسلم:

«من مشى مع أخيه في حاجة حتى أثبتها له، أثبت الله عز وجل قدمه على الصراط يوم تزل الأقدام».

وفي رواية: «من رفع حاجة ضعيف...».الحديث. (المعجم الأوسط للطبراني، رقم:٦٠٢٦، ١٣٩/٦؛ الترغيب والترهيب لابن شاهين ٤٨٤/١؛ التمهيد لابن عبد البر ٥٦/١٣-٥٧)

إنكار المعتزلة الصراطَ أو تأويلهم له:

ورد ذكر الصراط في الأحاديث بكثرة، ويؤمن به أهل السنة والجماعة من غير تأويل، وقال البعض: أنكر المعتزلة الصراط في حين أن كتب عبد الجبار وغيره من المعتزلة تفيد أنهم قائلون بنفس الصراط، وإنما يحملونه على طريق بين الجنة والنار، يتوسع لأهل السنة ويضيق على أهل النار. أو المراد بالصراط الدلائل التي تدل على الطاعات والمعاصي، فالمطيع ناج وفي الجنة، و العاصي يستحق النار. يقول عبد الجبار: «ومن جملة ما يجب الإقرار به واعتقاده الصراط؛ وهو طريق بين الجنة والنار، يتسع على أهل الجنة ويضيق على أهل النار، إذا راموا المرور عليه،... وقد حكي في الكتاب عن كثير من

مشايخنا أن الصراط إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا، وأفضى إلى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك واستحق من الله تعالى النار».(شرح الأصول الخمسة، ص ٧٣٧-٧٣٨؛ وعزا بعضهم هذا الكتاب إلى أحمد بن أبي هاشم الحسين (ت:٤٢٥هـ)

يقول المعتزلة: الكيفية التي وردت للصراط في الأحاديث لا يمكن المرور عليه معها؛ لأنه يصعب تصور طريق أدق من الشعر، وأحد من السيف، وهو تكليف ما لا يطاق. ويحملون «أدق من الشعر وأحدّ من السيف» على أن العبادات الشاقة تفضي إلى الجنة، وكذلك حفّت الجنة بالمكاره. ونحو ذلك من التأويلات.

الجواب:

(١) ثبت الصراط بالأحاديث الصحيحة، ولو أنه لم يرد به إلا بضعة أحاديث فربما قلنا بأنه يجوز تأويله، غير أنه ورد فيه من الأحاديث الكثيرة وبألفاظ واضحة مفصلة ما لا يدع مجالا للتأويل.

(٢) الله تعالى قادر مطلق، فهو يُسَيِّر المؤمن عليه.

وإن الوقوف على الريح أشد عجبا منه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (النحل: ٧٩)

وما أكثر القصص التي تدل على المشي على الماء.

(٣) إن جاذبية الناس (GRAVITY) في الآخرة يتحول إلى الأعلى، ويتم السيطرة (CONTROL) من الأعلى، فيمكن المرور به، ويمر به الناس على قدر درجات أعمالهم.

قال الشيخ سعد بن عبد العزيز الخلف في تحقيقه لكتاب «الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار» (٢/٢٢٣) للعلامة أبي الحسن يحي بن أبي الخير الشافعي (ت:٥٥٨هـ): « أما الصراط، فلم يذكر الأشعري [أي في كتابه: الإبانة عن أصول الديانة] خلافا، إنما اختلف في وصفه، وعزا الإيجي إنكاره إلى أكثر المعتزلة وأن الجبائي تردد فيه نفيا وإثباتا. وذكره القاضي عبد الجبار المعتزلي وقال: هو طريق بين الجنة والنار، يتسع على أهل الجنة، ويضيق على أهل النار، إذا راموا المرور عليه. وأنكر أن يكون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف، كما أنكر أن يجوزه المكلفون فيكون من مر

عليه أهل الجنة ومن لم يتمكن منه فهو من أهل النار».(شرح الأصول الخمسة، ص٧٣٧)، وهذا المعتزلي وإن كان أثبت الصراط في الجملة إلا أنه أنكر الصفات الواردة في الأحاديث. انتهى.

قال التفتازاني: «ومنها الصراط...، وأنكره القاضي عبد الجبار وكثير من المعتزلة زعما منهم أنه لا يمكن الخطور عليه، ولو أمكن ففيه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة قالوا: بل المراد به طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾، وطريق النار المشار إليه بقوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾، وقيل: المراد الأدلة الواضحة. وقيل: العبادات كالصلاة والزكاة ونحوها. وقيل: الأعمال الردية التي يسأل عنها ويؤاخذ بها كأنه يمر عليها، ويطول المرور بكثرتها ويقصر بقلتها. والجواب: أن إمكان العبور ظاهر، كالماشي على الماء والطيران في الهواء، غايته مخالفته العادة. ثم الله تعالى يسهل على من أراد. كما جاء في الحديث: «إن منهم من يمر كالبرق ... ومنهم...، ومنهم...». (شرح المواقف للتفتازاني ٢/٢٢٣)

«وأنكر أكثر المعتزلة وتردد قول الجبائي فيه نفيا وإثباتا».(كتاب المواقف للعلامة عضد الدين الأيجي، ت:٧٥٦هـ: ٣/٥٢٥. للاستزادة راجع: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم: ٧١) في كتب التفاسير، وكذلك درسته بالتفصيل كتب العقائد. وبحث هذا الموضوع الشيخ عبد الله الراجي (شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣١٦-٣١٧) وكثيرون غيره في شروح العقيدة الطحاوية).

نوع آخر من المؤولين:

منهم من يقول بالأحاديث الواردة في الصراط، ولكنهم يؤولها، فيقول مثلا: معنى: أدق من الشعر: بيان العسر أو اليسر للناس، وليس المراد الدقة حقيقة. وإنما سمي أدق؛ لأن الخفي يطلق عليه لغة «أدق»، وتفاصيل الصراط كذلك خفية.

معنى «أحد من السيف»: الأمر الصادر من الله تعالى إلى المؤمنين للمرور عليه ينفد بالسرعة كالسيف. وكما أن السيف إذا انطلق لم يمنعه مانع. كذلك لا يمنع أحد هذا الحكم، ولا يرده. وغير منطقي أن يكون الصراط أحد من السيف في حين ورد أن الملائكة واقفون على جانبي الطريق.

الجواب: هذا كله لغو من القول، ويجب الإيمان به بعد ما وردت الأحاديث بتفاصيله، والله تعالى قادر مطلق، ولا يصار إلى المجاز ما أمكنت الحقيقة». (للاستزادة من السؤال والجواب راجع: التذكرة للقرطبي، ص ٣٨٥-٣٨٦)

نكتة:

قال أهل العلم: يحتاج المرء في المرور على الصراط إلى أن يمر بسبعة جسور: فيسأل في الأول عن الإيمان، وفي الثاني عن الصلاة، وفي الثالث عن الزكاة، وفي الرابع عن الصوم، وفي الخامس عن الحج والعمرة، وفي السادس عن الطهارة، وفي السابع: عن حقوق العباد. وهو أشدها خطورةً.

واعلم أن السؤال في الصراط السادس، اختلف فيه الأحاديث. (للاستزادة راجع: تفسير ابن أبي حاتم؛ تفسير القرطبي؛ الدر المنثور؛ تفسير ابن كثير؛ كلهم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر: ١٤).

كالميزان: أي القرآن كالميزان في العدل ورفع الخصومة.

(١) الميزان: هو الميزان المعروف، أي كما أن الميزان يعدل، ويعطي كل ذي حق حقه كاملا غير منقوص، كذلك القرآن الكريم، يعطي كل ذي حق حقه.

(٢) الميزان: هو ميزان العمل.

من دونها العدل بين الناس لم يقم:

سبق حديث الترمذي الطويل في البيت رقم: ٩٨، وفيه ذكر صفة من صفات القرآن الكريم: «و حُكم ما بينكم»، أي أن هذا الكتاب يفصل في كل ما يحدث بينكم.

ولا يقوم العدل في العالم من غير القرآن الكريم، وصدر عدد من الرسائل والبحوث والكتب في هذا الموضوع، منها كتاب الشيخ محمد ميان رحمه الله المسمى بـــ«القضايا السياسية والاقتصادية المعاصرة والتوجيهات والإرشادات الإسلامية».

وصفة القرآن التي أشار إليها الناظم في هذا البيت، يجب مطالعة الكتب الخاصة بالتدبر في القرآن وغيره من الموضوعات لتعرف مدى سعته. ولا يقوم الاعتدال في شيء من المعاملات سواء كانت شخصية أو اجتماعية أو إقليمية أو عالمية أو اقتصادية وتجارية أو المجتمعية إلا بميزان العدل الذي أرشد إليه القرآن الكريم. و لم ينجح نظام من الأنظمة التي وضعها البشر بعيدا عن مبادئ القرآن الكريم في حل المشكلات، وإنما زاد فتنة

وفسادا.

ويحاول كثير من غير المسلمين المنصفين نشر وتعميم نظام العدل الذي جاء به القرآن الكريم.

وما أعدل التوجيهات القرآنية، وما أحسنه بإزاء كافة الأنظمة الحياتية!، وسبقت الإشارة إلى جانب منها في البيت: «آياتُهُ الغُرُّ لا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ...مِنْ دُوْنِهَا العَدْلُ بَيْنَ النَّاسِ لَمْ يَقُمِ». وهذا البيت بعد البيت رقم: ٨٥ من القصيدة. ولا يوجد في كافة النسخ، ويوجد في النسخ السائدة عندنا.

من غيرها: أي مغاير لها.

لا يخرج منه السنة والإجماع والقياس؛ لأن السنة شرح القرآن الكريم، والإجماع عماده القرآن الكريم والسنة والآثار. ولا يعتبر من القياس إلا ما كان مؤسسا على المبادئ والأصول.

في الناس: خص الناس لأن:

(١) الناس يحتاجون إلى هذا القانون.

(٢) الإنسان أشرف الخلق.

الناس: ليس احترازا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى الجن والإنس عامة، وسبق بيان هذا المعنى في البيت رقم:٣٤.

بحث وزن الأعمال:

دلت الآيات القرآنية وعدد من الأحاديث النبوية وإجماع أهل السنة على أن وزن الأعمال في الآخرة حق.

يقول القاضي ثناء الله رحمه الله: «أحاديث الميزان متواترة بالمعنى».(التفسير المظهري)

وفصل العلماء الكلام على وزن الأعمال، ونسوق هنا بعضا منه.

الدليل من القرآن على وزن الأعمال:

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ (الأعراف: ٨ – ٩)

(٢) وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (الأنبياء: ٤٧)

(٣) وقال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ (المؤمنون: ١٠٢ – ١٠٣)

(٤) وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ (الكهف: ١٠٥)

(٥) وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ (القارعة: ٦ – ٩)

من الأحاديث النبوية:

(١) ورد في كثير من طرق حديث جبريل في السؤال عن الإيمان: ماهو؟ ذكرُ الإيمان بالميزان.

ورد هذا الحديث بهذا اللفظ عن ابن عباس وابن عمر، وأبي عامر الأشعري، وأبي هريرة رضي الله عنهم في عدد من مصادر الحديث.

(٢) كلمتان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

(٣) الحمد لله يملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله يملآن ما بين السماء والأرض.

(٤) سبحان الله يملأ نصف الميزان، والحمد لله يملأ الميزان كله.

ما أثقل خمسة خصال في الميزان: لا إله إلا الله، الله أكبر، سبحان الله، الحمد لله، وطفل مات وصبر عليه أبوه (وكذلك أمه).

(٥) أثقل شيء في ميزان المسلم الأخلاق الحسنة.

هذا، وثمة عشرات الأحاديث الدالة على الميزان صراحةً، سيأتي بعضها في المباحث التالية.

وهذه النصوص توضح أن الميزان الذي يوزن به الأعمال جسدي وحسي، وليس المراد الميزان المعنوي بمعنى الإنصاف، كما سيأتي.

إجماع الأمة:

(١) قال ابن بطال: «أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان ووزن الأعمال».(شرح البخاري لابن بطال)

(٢) يقول القاضي ثناء الله الباني بتي: «أجمع أهل السنة على أن وزن الأعمال حق».(التفسير المظهري)

(٣) يقول العلامة السفاريني: «ثبت الإيمان بالميزان بالكتاب والسنة والإجماع».(لوامع الأنوار البهية)

(٤) يقول العلامة أبو الحسن الأشعري: «يقول أهل الحق بالميزان، وينكره أهل البدعة».(مقالات الإسلاميين)

تنبيه:

سردنا نص العلامة ابن بطال في الإجماع. وقال الحافظ ابن حجر: حكى هذا الإجماع أبو إسحاق الزجاج. ثم نسب كثير من الناس إلى ابن حجر أنه نقل الإجماع على وجود الحوض عن أبي إسحاق الزجاج، والصحيح أن انعقاد إجماع الأمة من كلام ابن بطال نفسه. و سها الحافظ ابن حجر في الحكاية. وذلك أن ابن بطال حكى عن أبي إسحاق الزجاج تحقيق «القسط»، ثم قال من عند نفسه: «وأجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان». ولكن تسلسل الكلام أوهم الحافظ ابن حجر أنه كلام إبي إسحاق، في حين الكلام حول الإجماع لم يرد في كتابه».(راجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج٣/٣٩٤)

طعون منكري الوزن والرد عليها:

يقول المعتزلة وبعض الفرق الباطلة: يستحيل وزن الأعمال؛ لأن الوزن إنما يحصل للأجساد، وبتعبير آخر: إنما يوزن المحسوسات، والأعمال أعراض، فكيف توزن؟ مثلا: توزن الأزهارُ، وأما رائحتها فيستحيل وزنها.

الجواب:

(١) القول بأن «الجواهر باقية، فيمكن وزنها، وأما الأعراض ففانية فلا يمكن وزنها» نظرية قديمة جدا، وقد يسرت الاختراعات الجديدة في العصر الحاضر فهمَ أن الأعراض

أيضا باقية، فكم يموت المرء، وصوته مستمر في التلفاز، والراديو، والسي دي، ونحوها. وتقول الدراسات الفلسفية: إن الأصوات الصادرة من لدن العهد الأول في الفضاء لا زالت موجودة فيه، و لم ينعدم شيء من ذلك.(فيض الباري)

(٢) وأما وزن الأعراض فلم يعد فهمه صعبا في العصر الراهن، فما من شيء إلا ويوزن اليوم، من الأصوات والحرارة والضوء ووحدات الكهرباء، والحمى، وشدة أشعة الشمس، والتلوث البيئي، والسكري في الجسد، وسير الهواء، وشدة الزلزال ونحو ذلك.

(٣) وإن أمكن وزن الأعمال، غير أنه من الممكن أن يوزن صحائف الأعمال عند وزن الأعمال، والصحائف من الأجساد والجواهر كما لا يخفى.

(٤) أو نقول: لا توزن الأعراض؛ بل يضفى على العمل جسم من الأجسام، ثم يوزن الجسم، وأشار الحديث الشريف إلى إتيان سورة البقرة وآل عمران في صورة السحاب.

(٥) وزن الأعمال من أمور الآخرة، ولا يقاس ما في هذا العالم على ما في عالم الآخرة؛ فلكل عالم أوضاع تخصه.

إيراد: يقول المعتزلة: ليس المراد وزن الأعمال حيث ورد ذكر الميزان ووزن الأعمال، بل المراد به الحكم العادل، والعدل الإلهي.

الجواب: إنه مردود من وجوه عدة، منها:

(١) وصف الكتاب والسنة الميزان بالثقل والخفة، ولا يوصف العدل بالخفة والثقل.

(٢) اشتهر عند الأصوليين القاعدة القائلة: لا يصار من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي من غير مبرر.

(٣) وخص القرآن الكريم لإثبات العدل ونفي الظلم كلمات، منها: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨١)، و﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ (الأنبياء: ٤٧)، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (النساء: ٤٠)

ومن الناس من يقول بإمكانية وزن الأعمال ثم ينكر وقوعه.

الجواب: حيث أمكن ذلك عقلا، ودل عليه الكتاب والسنة، فلا معنى لإنكاره.

إيراد: لا فائدة من الوزن وإن أمكن؛ لأن الله تعالى يعلم الأعمال وعواقبها كلها،

فهذا عبث؟

الجواب: لا مصلحة ذاتية لله تعالى في وزن الأعمال، ولا يقصد منه علمها؛ بل فيه حكم كثيرة كما سيأتي.

من يوزنُ أعمالُه؟:

يقول الإمام الغزالي: لا توزن أعمال ثلاث فئات من الناس، وأما سائرهم فتوزن أعمالهم:

(١) الأنبياء المعصومون عليهم السلام.

(٢) الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا كتاب.

(٣) الكفار، إذ لا حسنة لهم.

ملحوظة: سيأتي ذكر وزن أعمال الكفار في العنوان التالي.

عدد من يدخل الجنة بلا حساب ولا كتاب:

ورد في رواية أن عدد من يدخل الجنة بلا حساب ولاكتاب (٧٠٠٠٠)، وفي رواية: في كل ألف من (٧٠٠٠٠) ألف.

وفي رواية: (٧٠٠٠٠)، ومع كل واحد منهم: (٧٠٠٠٠)، فهم (٤٩٠٠٠٠٠٠٠٠).

والأحسن أنه ليس المراد بـــ ٧٠٠٠٠ × ٧٠٠٠٠ تحديدهم به، بل التكثير، أي من يدخل الجنة بلاحساب ولا كتاب كثيرون جدا. اللهم اجعلنا منهم.

هل يوزن أعمال الكفار أم لا ؟

القول الأول: يقول الآلوسي: ذهب كثير من أهل العلم إلى أن أعمال الكفار لا توزن.

والدليل عليه: قوله تعالى:﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾ (الكهف: ١٠٥)؛ لأن الوزن يتطلب الأعمال المتضادة (الحسنة والسيئة)، والكفار ليس لهم عمل حسن، فإن أعمالهم قد حبطت.

القول الثاني: القول المختار أن أعمالهم توزن، وعقد البخاري رحمه الله باب: «وأن

أعمال بني آدم وقولهم يوزن».

إليه ذهب كثير من المحققين المشهورين، أمثال: الحافظ ابن حجر، والملا علي القاري، والعلامة الآلوسي رحمهم الله تعالى.

الدليل عليه: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝١٠٤ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٠٥﴾ (المؤمنون: ١٠٢ – ١٠٥)

فالشطر الأول من الآية والذي فيه ذكر تكذيبهم الآيات يؤكد كفرهم، والشطر الأخير منها ﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ يؤكد أن أعمالهم موزونة.

الجواب عن دليل القول الأول:

المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ ليس المراد به الوزن، بل المراد أن أعمال الكفار لا يقوم لها قدر ومنْزلة عند الله تعالى.

وأما قولهم: إن الوزن يتطلب أعمالا متضادة، فالجواب عنه:

١- أن كفة من كفف الكفار خالية من الحسنات؛ فإن الكفر لا يجتمع معه حسنة، وفي الكفة الأخرى كفرهم وسيئاتهم، فترجح هذه الكفة، ويُدخَلون النار.

٢- ولو قلنا: إن صدقات الكفار ولها تأثير في تخفيف العذاب عنهم (كيفا لا كما) فإن هذه الأعمال الحسنة تكون في كفة وفي الكفة الأخرى الكفر والسيئات فترجح هذه الكفة. (البيهقي والقرطبي)

القول الثالث: يقول الإمام أبو منصور الماتريدي: للكفار ميزان تمييز، أي يوزن بها أعمال مختلف طبقات الكفار، فيعرف مَن أعماله كثيرة، ومَن أعماله قليلة. وذلك لتحديد طبقاتهم على قدر أعمالهم، وإن كانوا يشتركون في قلة العذاب الأبدي وكثرته.

أثر الأعمال الحسنة من الكفار:

قد يكون لأعمال الكفار الحسنة تأثير في تخفيف العذاب عنهم، وجاء ذكر أحوال أبي طالب وأبي لهب. وفصل المحدثون الكلام عليه، وصرح الحافظ ابن حجر، والعلامة ابن تيمية، والشيخ محمد أنور شاه الكشميري بأن الكفار يستفيدون من حسناتهم.

ماذا يوزن في الميزان؟:

القول الأول: توزن الأعمال، وله صورتان:

١-توزن الأعمال نفسها من غير أجسامها.

الأدلة :

(١) كلمتان ثقيلتان في الميزان.

(٢) أثقل شيء في الميزان حسن الخلق.

(٣) يقام الميزان يوم القيامة، ثم توزن الحسنات والسيئات.

(٤) يسبح عشرا، ويحمد الله عشرا، ويكبر الله عشرا بعد الفريضة، فهذه ثلاثون، وهي في الميزان (١٥٠٠).

(٥) بشارة لمن اشتملت صحيفة أعماله كثيرا من الاستغفار.

(٦) وضعت في كفة راهب عبادة ستين سنة، وفي الكفة الأخرى الزنا، فرجحت كفة الزنا. ثم وضع في كفة الحسنات خبز، تصدق به عند موته، فرجحت كفة الحسنات. وغفر له.

(٧) تقول فاطمة رضي الله عنها: «يوضع دم الأضحية ولحمها في ميزانكم».

فهذه الأحاديث وأحاديث أخرى تشير إلى وزن الأعمال نفسها.

٢- تحول الأعراض والأعمال أجساما ثم توزن:

الأدلة:

الدليل العام على ذلك أن ما يفعله الإنسان في الدنيا يتصور صورة حسنة أو سيئة، فتوزن، وقد ورد ذكر تحويل الأعمال أجساما عند ذكر وزن الأعمال بصفة خاصة بصراحة.

١- يقول ابن عباس رضي الله عنه: «إن الله يقلب الأعراض أجساما فيزنها».

٢- يقول ابن عباس رضي الله عنه: «تصور الحسنات صورة حسنة والسيئات صورة سيئة، فتوزن».

٣- تأتي سورة البقرة، وسورة آل عمران، يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما فرقان من طير صواف.

٤- من شهد الجنازة وحضر الدفن فله قيراطان مثل أحد.

٥- يأتي عمل الرجل الصالح في صورة حسنة، له رائحة طيبة، ويأتي عمل الكافر/ الفاسق في صورة سيئة له نتن.

وزن الأعمال روي عن ابن عباس، وإليه ذهب الإمام أحمد بن حنبل والإمام البخاري، و علي بن المديني وغيرهم، ورجحه الحافظ ابن حجر.

القول الثاني: توزن مصاحف الأعمال:

الأدلة:

(١) تنقص حسنات رجل مؤمن يوم القيامة، فيخرج النبي صلى الله عليه وسلم رقعة قدر الأنملة، ويضعها في الميزان، فترجح كفة الحسنات، ثم يقول: «هذه صلاة منه علي، عرضتها عند ما احتجت إليها».(في إسناد هذا الحديث كلام طويل).

(٢) حديث البطاقة: ينشر على رجل يوم القيامة تسعة وتسعون سجلا، كل سجل مثل مد البصر،... فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. فتوزن، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة.

والقول بوزن الصحائف روي عن ابن عمر رضي الله عنه، ورجحه العلامة القرطبي، والعلامة ابن عبد البر، وإمام الحرمين، وغيرهم، أو صححوه. وقال في تفسير البيضاوي: «هو قول الجمهور». وقال في تفسير الرازي: «هو قول عامة المفسرين».

إيراد على حديث البطاقة:

إيراد: هذا الحديث يوجب عدم دخول مؤمن من المؤمنين النار؛ فما من أحد إلا ومعه هذه البطاقة ؟

الجواب: (١) يوزن مرتين: ١- الإيمان بإزاء الكفر. ٢- الأعمال الصالحة بإزاء الأعمال السيئة. وحديث البطاقة محمول على الوزن الأول.

وهذا غير مفهوم؛ لأن الحديث يدل على أن الرجل يدخل الجنة بعد ما تثقل كفة البطاقة. لا أنه يوزن الأعمال بعد البطاقة مرة أخرى. كما أنه لم يثبت الوزن مرتين.

(٢) إنه نطق بهذه الكلمة وروحه تنْزع، فغفر له، وفي الحديث: «من كان آخر

كلامه «لا إله إلا الله دخل الجنة».(سنن أبي داود، رقم:٣١١٦)

ويرد على هذا التوجيه أنه كان مسلما من ذي قبلُ، وله حسنات أخرى. وأما حديث البطاقة فيدل على أنه لم يكن معه حسنة أصلا.

والجواب عنه أنه كان له حسنات، غير أنها كان مرجوحة.

(٣) قال هذه الكلمة عند موته ليؤمن.

واعترض عليه: إذًا يجب أن تزول ذنوبه؛ لأن الإسلام يهدم ما كان قبله. وهنا عليه تسعة وتسعون سجلا من الذنوب.

والجواب عنه: ربما كان عليه حقوق العباد، ولا تسقط حقوق العباد عنه بالإيمان.

(٤) قال هذه الكلمة بغاية من الإخلاص في مرحلة من عمره، ولا يقولها عامة الناس بمثل هذا الإخلاص. (العلامة ابن تيمية وغيره)

إيراد: ما أكثر من يقولها بغاية من الإخلاص مثله، ومن يقولها وروحه تنْزع، و من يقولها قبل الموت ليؤمن، فما وجه تخصيص الرجل في الحديث؟

الجواب: المراد به كل من يقولها لا فرد بعينه.

(٥) حديث البطاقة قصة مستثناة من القانون العام، وفضل خاص من الله تعالى. (الشيخ الكنكوهي، والقاضي ثناء الله الباني بتي، وغيرهما)

القول الثالث: يوزن صاحب الأعمال نفسه:

الأدلة:

(١) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أو ساقاه أثقل في الميزان من جبل أحد.

(٢) يأتي رجل سمين، ولا يعدل عند الله تعالى جناح بعوض. وفي رواية: لا يعدل شعيرة.

(٣) روي عن عبيد بن عمير في تفسير قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ (القلم: ١٣): يوزن رجل أكول قوي فلا يعدل شعيرة، يدفع الملك سبعين ألفا مثله دفعة واحدة إلى النار.

(٣) يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «وضعت امرأة في كفة، و وضع جبل أحد في

كفة أخرى، فرجحت، فعجب الناس فقيل: مات لها اثنا عشر ولدا فصبرت.

(٤) ورد في بعض طرق حديث البطاقة: يوزن المرء أولا، فتثقل كفة سيئاته، ثم توضع البطاقة معه في كفة، فترجح كفة البطاقة.

الجمع والتوفيق:

لا تعارض بين هذه الصور الأربع من الوزن، فالمقصود منها جميعا العدل. ولم ينف النصوص شيئا من هذه الطرق. فيُعمل بكل واحد منها، وذلك بأن:

(١) لبعضهم طريقة، وللآخرين طريقة أخرى. ولبعضهم كلها.

(٢) يوزن على الصور الثلاث، فيوزن ثلاث مرات واحدة بعد أخرى. (الحافظ ابن كثير)

(٣) تُجَسد الأعمال، فتوضع مع صاحبها في كفة، أو يوضع صاحب العمل مع الحسنات في كفة، وحاصلهما واحد. (العلامة النسفي والمظهري وغيرهما)

وقد يستدل عليه بحديث البطاقة، الذي ورد فيه أنه يدعى الرجل أولا، ثم توضع البطاقة معه.

من عنده الميزان، ومن يقوم بالوزن؟

فيه أقوال:

(١) الله تعالى يقوم بالوزن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (الأنبياء:٤٧)

وفي الحديث: «بيده الميزان، يخفض ويرفع».(صحيح البخاري، رقم:٤٦٨٤)

ويجاب عنه أنه ليس المراد في الحديث بالميزان، ميزان القيامة؛ بل ميزان الرزق.

(٢) يتولى جبريل الوزن. (روي ذلك عن حذيفة موقوفًا)

(٣) يتولى ملك الموت الوزنَ. (روى عددٌ هذا المعنى عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا)

(٣) يتولى ذلك آدم عليه السلام. يقول الله تعالى له: «جعلتك حاكما بيني وبين ذريتك. فقم عند الميزان. (عن أبي هريرة مرفوعا)

الجمع بين مختلف الأقوال:

جمع مشايخنا بين هذه الأقوال الأربعة جمعا حسنا، فقال الشيخ شمس الحق الأفغاني:

«الأقوال الأربعة صواب. فالله سبحانه وتعالى وازن باعتبار أنه آمر به. فنسب ذلك إليه سبحانه وتعالى. و يتولى ملك الموت إرسال الموتى إلى الآخرة كما ترسل الشرطة المتهمين إلى المحكمة. فيتطلب مثول القائمين بالإرسال أي ملك الموت، وكذلك بيانه وتصريحه في المحكمة الإلهية. كما تأخذ المحاكم الدنيوية بأقوال الشرطة. وبما أن جبريل يحمل القانون الإلهي فيجب مثوله أيضا في المحكمة لعرض القانون الذي تم انتهاكه. وبما أن دعاوي أولاد آدم معروضة فيجب حضوره بصفته وليا لهم».(علوم القرآن، ص٢٤٣)

تمييز الراجح من المرجوح:

كيف يعرف الكفة الراجحة؟ فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: عند الجهور: تنْزل الكفة الراجحة، وترتفع الكفة المرجوحة،كما يحصل في الدنيا عند الوزن.

القول الثاني: على العكس من عادة الدنيا، فترتفع الكفة الراجحة وتنْزل الكفة المرجوحة؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ (فاطر: ١٠) فعلم أن الأعمال الصالحة تصعد وترتفع.

حكاه الزركشي عن البعض. واختاره الشاه عبد العزيز أيضًا.

القول الثالث: يخرج النور من كفة الحسنات، فعرف رجحان كفتها، وتخرج الظلمة من كفة السيئات، فيعرف نزول كفتها. حكاه الآلوسي.

الحكمة في وزن الأعمال:

ذكر أهل العلم عددًا من الوجوه والحكم في وزن الأعمال، منها:

(١) ليعلم صاحب العمل عمله، ويتذكر إن نسيه. وإليه يشير قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء: ١٤)

(٢) يظهر فضل الله تعالى ومنته بجزاء الأعمال الصالحة، ويظهر عدل الله تعالى بجزاء الأعمال السيئة وأنه سبحانه لم يظلم المسيء. كما أنه إذا عومل صاحب العمل الصالح المخلوط بالسيئات بالعفو، علم أنه فضل من الله تعالى.

(٣) تُبين شهادات الأنبياء عليهم السلام، وشهادات العلماء، وشهادات الأعضاء،

وشهادة قطع الأرض أن الإجراءات التي تتخذ قائمة على الحق والصواب، دون الإجحاف.

(٤) هذه الإجراءت كلها القصد منها بيان أن هذه التدابير كلها لإظهار أهمية أعمال الإنسان، فإن الهدف من خلق الكون نتائج الأعمال هذه. ولذا اتخذت هذه التدابير الموسعة. (ذكر هذه الحكم الأربعة الشيخ شمس الحق في علوم القرآن، ص ٢٤٤)

(٥) توزن لإتمام الحجة.

(٦) لامتحان المكلف: هل يؤمن بوزن الأعمال أم لا ؟

(٧) يتجلى فضل أصحاب الصالحات بوزن أعمالهم، ويتجلى ذل أصحاب السيئات بوزن سيئاتهم وهوانُهم.

(٨) يزداد المرء فرحا وسرورا برجحان كفة الحسنات، وبالعكس يزداد حزنا.

(٩) ليعلم كم نال من الجزاء على الأعمال الحسنة؟ وبأي عمل رجحت كفته.

(١٠) يزداد المرء عناية بأداء الواجب عليه، وباحتناب الذنوب إذا علم أن كل عمل يُوزنُ.

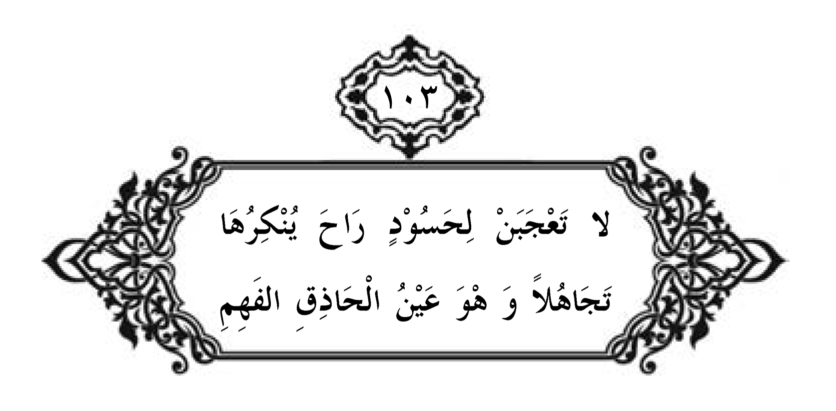
ورد أن الميزان يرجح بحبة، ويفوز المرء، وقد يخسر بحبة.

علاوة على ذلك، ثمة مباحث فرعية ضمن وزن الأعمال، منها: هل خلق الميزان أو لا ؟ من أي شيء الميزان؟ صفات الميزان في ضوء الأحاديث؟ الحكمة في سعة كفف الميزان؟ مجادلة الناس عند الميزان، وحضور النبي صلى الله عليه وسلم عنده، أي الأعمال أثقل في الميزان؟ وأين يوزن؟ يقام الميزان عند الحساب أو بعده؟ الأدعية المأثورة المعينة على ثقل الميزان، هل يوزن أعمال الجن أو لا ؟ كم مدة يأخذها وزن المخلوق كله؟ ويعلن الملك النتائج متزامنا مع الوزن، ونحو ذلك.

هذه المسائل وأمثالها من المسائل الخاصة بوزن الأعمال، يُرجع لها إلى كتب التفسير، وكتب العقائد، والكتب المفردة بأمور الآخرة.

انتهى بعون الله تعالى.

****



اللغة:

تعْجَبَن: تعجَّب: أدرك الأمر الغريب. عَجِبَ (س) عَجَبًا، وعُجْبا: تعجب. تعَجَّبَ: احتار. سبق تحقيق (عجب) في البيت رقم: ٩٨.

حسود: حَسَدَ (ن) تمنى أن تتحول إليه نعمته أو أن يسلبها. والتألم من رفاهية غيره.

التعريف المشهور للحسد: تمني زوال النعمة من الغير، سواء حصلت له إن كان أهلا أم لا إن لم يكن أهلا.

وقيل: الحسد أن يتمنى زوال النعمة من الغير وحصولها له. والصحيح أنه يعم الأمرين.

من الألفاظ ذات الصلة: الحقد، والغبطة، والمنافسة، والشماتة، ونحوها.

الفرق بين الحسد والحقد:

الحسد: أن يظهر له أثر في الخارج، أي يحاول إزالة النعمة، ويحتال له.

الحقد: لا يظهر له أثر في الخارج، أي لا يحاول إزالة النعمة، بل يسر في نفسه البغيضة والعداوة والضغينة، فيضره إذا وجد فرصة.

وقد يطلق الحسد على الحقد، نحو قولهم: في قلبه حسد. أي حقد وضغينة. فإن اجتمع الحقد والحسد، حمِل الحقد على إسرار الضغينة في النفس، وحُمِل الحسد على محاولة إزالة النعمة.

غبطة: تمني حصول مثل نعمة الغير. فلا يتمنى زوال النعمة عن صاحبها، وإنما يتمنى أن يحصل له من النعمة ما حصل لغيره، والحسد مذموم، وليست الغبطة مذمومة.

المنافسة: السعي للحصول لنفسه ما لغيره من الكمال والاجتهاد له.

وهذا مطلوب في أمور الدين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ (المطففين:٢٦)

وحيث ورد في الحديث: «ولا تنافسوا ».(صحيح مسلم، رقم:٢٥٦٣)، فالمراد به: الحرص على الدنيا و المسابقة للحصول عليها.

الشماتة: الفرح بما يصيب غيره. ويدخل فيه أن يتمنى نزول المصائب على غيره، فيفرح به. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ (الأعراف:١٥٠)

وقال الشاعر:

كل المصائب قد تمر على الفتى ۞ فتهون غير شماتة الأعداء

ويُروى: شماتة الحساد.

وهذا البيت لعبد الله بن محمد بن أبي عيينة. (الكامل في اللغة والأدب للمبرد ٢٦/٢؛ التمثيل و المحاضرة للثعالبي ٨١/١)

استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من شماتة الأعداء، وأمر بالاستعاذة منها.

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء».(صحيح البخاري، رقم:٦٣٤٧)

وفي حديث: «تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء».(صحيح البخاري، رقم:٦٦١٦)

راحَ: فعل ناقص.

أصله: السير في العشي، ويستعمل للسير مطلقا.

ويؤخذ من إطلاق كلمة (راح) لمنكري القرآن الكريم ومعانديه وحساده أن الأشرار يتحينون العشي لأعمالهم السوداء.

تجاهلا: جَهَلَ: (ض) جَهْلاً: لم يعلم.

تجاهل: تظاهر بالجهل، تظاهر بالجهل مع علمه. وسبق مزيد تحقيقه في البيت رقم:١٣.

الحاذق: حَذَقَ (س، ض) حِذْقًا وحِذاقا وحَذاقة: مهر و برع.

يأتي الفعل على وزن نصر وضرب. (تاج العروس ١٤٥/٢٥)

حَذَقَ الصبي القرآن: تعلم القرآن كله وبرع فيه.

الحَذِق: فَعِلٌ: زنة الصفة المشبهة أو المبالغة.

الفَهِم: فَهِمَ (س) فَهمًا: عقل. فَهِمَ الرجل: أحسن تصور الشيء. الفَهِم: مبالغة على زنة (فَعِل).

الإعراب:

راح : فعل ناقص، والضمير المستتر فاعله، والجملة صفة حسود.

تجاهلا: (١)مفعول له، أي للتجاهل. (٢) حال، أي حال التظاهر بالجهل.

وهو عين: الواو حالية، (هو)مبتدأ، (عين الحاذق) خبر والجملة اسمية حالية.

الشرح:

لم لا يؤمن بالقرآن كثير من الناس رغم ما يحمل من الفضائل والمحاسن ؟

والجواب: لا يؤمنون به حسدا، لا لأنهم لا يعرفون أن القرآن حق؛ بل يعلمون كل شيء ثم يتظاهرون بالجهل. ولا دواء لهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ (البقرة: ١٤٦)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ (البقرة: ١٠٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ (البقرة: ٨٩)

الحسد ذنب ومرض خبيث. يقال: أول ذنب اقترف على الأرض الحسدُ، حسد قابيل هابيل على أن نال –هابيل– فتاة جميلة؟ ثم قُبِل قربانه، ولم يقبل قربان قابيل، فكان أول ذنب على وجه الأرض.

فصَّل العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد (٤٣٧/١–٥٢١،ط:مكتبة المؤيد) الكلام على هذا الموضوع ضمن تفسير المعوذتين، ثم أفرد بالطبع باسم «تفسير المعوذتين»، قام بتحقيقه غير واحد من أهل العلم، كما اختصره بعض آخرون، كما قام بعضهم بالمقارنة بين كتاب ابن القيم هذا، وكتاب تفسير المعوذتين لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وعلى كل، فمن أبحاث الكتاب: من أسباب رفع حسد الحاسد:

(١) التعوذ بالله تعالى من شره والتحصن به واللجوء إليه وهو المقصود بهذه السورة التعوذ.

(٢) التقوى.

(٣) الصبر، دون مقاومته أو التشكي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ (آل عمران: ١٢٠)

(٤) التوكل على الله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ (الطلاق: ٣)

روي عن بعض السلف أن الله تعالى جعل لكل عمل جزاء من جنسه وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ و لم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال؛ بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبيه وواقيه.

(٥) فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له.

مثل ذلك رجل تبعه عدوه ليمسكه ويؤذيه، فإذا ابتعد من العدو لم يضره، فإن قاومه لم يحصل إلا الشر، وكذلك المرء إذا فكر في الحاسد تضرر به.

(٦) الإقبال على الله والإخلاص له وجعل محبته وترضيه والإنابة إليه في محل خواطره، فلا يضره أحد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ (الإسراء: ٦٥)، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ (الحجر: ٤٠)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤)

(٧) أن يتوب المحسود، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ (الشورى:٣٠) وأمثالها من الآيات في هذا المعنى.

(٨) الصدقة والإحسان ما أمكنه فإن لذلك تأثيرا عجيبا في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد. وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ (فصلت: ٣٤ – ٣٥)

وقال العلامة ابن قيم: «وفي الجملة ففي هذا المقام من الفوائد ما يزيد على مئة

منفعة للعبد عاجلة وآجلة سنذكرها في موضع آخر إن شاء الله تعالى».

(٩) وهو تجريد التوحيد، ولا يملك أحد شيئا إلا بإذنه.

ورد في الكتاب والسنة بأساليب مختلفة أنه لا يملك أحد شيئا من الضر لأحد إلا بأمره سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام: ١٧)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ (يونس: ١٠٦ – ١٠٧)

وفي الحديث: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك».(سنن الترمذي، رقم: ٢٥١٦)

وموضوع الحسد طويل الذيل، وفصل أهل العلم الكلام في ذمه وقصصه وأسبابه وأضراره، وعلاجه ونحو ذلك، وفي هذا الموضوع عدة كتب مفردة. علاوة على ذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ (النساء: ٥٤) ،و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ (البقرة: ١٠٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (غافر: ٥٦) وسلط المفسرون الضوء عليه في تفسير سورة الفلق.

لا تَعجَبَنْ: لأن العجب من الأمر الغريب، وهنا ظهر السبب.

لا تعجبنْ: بنون خفيفة. على وزن: مُستفعِلٌ فَعِلٌ مستَفْعِلٌ فَعِلٌ.

وفي بعض النسخ: لا تعجبوا. كما في شرح المقلاش، والحاصل واحد.

وفي بعض النسخ: (ظل ينكرها) بدل قوله: (راح ينكرها)، ومعناهما واحد.

ينكرها: أي: ينكر كونها حقا/ ينكر إعجازها. وليس المراد إنكار أصلها، فإنه معلوم.

انتهى بعون الله وتوفيقه.

****



اللغة:

أنكر: رفض، و لم يسلم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ (النحل: ٨٣)

سبق تحقيقه في البيت رقم: ٦، ٨٣.

العين: المراد بها العين الباصرة، ج: عيون.

وللعين معانٍ أخرى كثيرة، سبق في شرح البيت رقم: ٣.

ضوء: ضاء (ن) الشيءُ ضَوءا وضياءً: استنار، ولمع.

أضاء الشيءُ: لمع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ (النور: ٣٥)

الضياء والنور: سبق أن (١) الضوء والنور واحد. (٢) الضوء أقوى من النور، كما أن ضوء الشمس أقوى من نور القمر. (٣) الضوء هو النور الذاتي، كضوء الشمس، والنور هو الذي يستفاد من الغير، نحو نور القمر، المستفاد من غيره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ (يونس: ٥)

إيراد: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥) يدل –وفق القول الثاني– على أن نور الله تعالى أقل من نور غيره؟ ويدل –وفق القول الثالث– على أن نوره مستفاد من نور غيره ؟

الجواب: ليس المراد في الآية معاني النور السابقة؛ بل المراد به:

١- النور: المنور، أي منور السماوات والأرض. وبتعبير آخر: الظاهر بنفسه المظهر لغيره.

٢- عن أبي بن كعب رضي الله عنه: «المراد بالنور في الآية الضياء».(تفسير الماوردي ١٠٢/٤)

الشمس: كوكب نهاري مضيء للعالم، ج: شموس، وسبق تحقيقه في البيت رقم:٤٩.

ويقول الفلاسفة: مركوز في الفلك. ومصطلح الفلاسفة هذا باطل.

رَمَد: رَمَدَ (ض) رَمدًا، ورِمادَةً: هلك بالبرد، رَمَدَ (ن،ض) الشيءَ: أهلكه.

رَمِدَت العينُ: آلمت، ومرضت. هو أرمد وهي رمداء.

الفَمُ: فَوِهَ (س) فَوهًا: اتسع فمه، هو أفوه وهي فوهاء.

فاه (ن) فَوهًا: انطلق الفم بالقول، تفوَّهَ: نطق.

المفَوَّهُ: (١) كثير الكلام. (٢) البليغ، القادر على الكلام. (٣) التوابل/ الطعام ذو الرائحة الطيبة.

فَم: أصله: فَوْه، أو: فَوَه – بفتح الواو أو سكونها–، والقرينة عليه أن (فم) يجمع على (أفواه)، ويصغر على (فُويهٌ). والقاعدة تقول: يرجع جمعُ التكسيرِ والتصغيرُ الكلمة إلى أصلها. وقد يستعمل (فم) على الإبدال.

فَوْهٌ: حذفت منه الهاء أولا، يقول أبو الهيثم: لأن العرب يستثقلون الوقف على الهاء والحاء والياء الساكنة ما قبلها، فيحذفون هذه الحروف، وتبقى الكلمة على حرفين، نحو: أب و أخ و غد و هن. فقد حذفت منها الواو، وحذفت الياء من (يد) و(دم)، وحذفت الهاء من (فوه).

فإذا حذفنا الهاء من (فوه) عاد(فَو)، والواو ساكنة، ويستثقل الوقوف عليها، فاستبدلت ميما، فصار (فم).

هذا، وثمة تعليلات أخرى مختصرة وطويلة في هذه الكلمة. (راجع :تاج العروس ٤٦٤/٣٦–٤٧٥؛ المخصوص لابن سيد الناس ١٢٠/١–١٢٢؛ الباب في علل الإعراب والبناء للعكبري ٣٢٨/٢–٣٣٠ الإبدال).

لم استبدلت الواو ميما ؟

علاوة على ما ذكره علماء اللغة من التوجيهات، ثمة توجيهان آخران:

التوجيه الأول لاستبدال الواو ميما:

ينفتح الفم في النطق بالواو والهاء في (فوه)، فاستبدلت ميما، لأن الفم ينغلق في النطق بالميم. وفيه إشارة إلى أنه يجب إغلاق الفم في معظم الأوقات، ولا يليق فتح الفم

كثيرا، نعم يفتح الفم لذكر الله وللعلم.

الأضرار الدينية والدنيوية للإكثار من الكلام:

ما أكثر أضرار الإكثار من الكلام في الدين والدنيا، ولا يختلف فيها اثنان، حتى جاء في بيت لعبد الله بن عباس رضي الله عنه أن الإكثار من الكلام يهلك الدين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

إذا كثر الطعام فحذروني ۞ فإن القلب يفسده الطعام

إذا كثر الكلام فسكتوني ۞ فإن الدين يهدمه الكلام

إذا كثر المنام فنبهوني ۞ فإن العمر ينقصه المنام

إذا كثر المشيب فحركوني ۞ فإن الشيب يتبعه الحمام

(تفسير روح البيان للعلامة إسماعيل حقي المتوفى (١١٢٧هـ) ١٩٢/٥؛ روض الأخبار المنتخبة من ربيع الأبرار ٤١٨/١ للعلامة محمد بن قاسم الأماسي الحنفي المتوفى عام:٩٤٠).

وذكر البيت الثاني في بعض الكتب باختلاف يسير:

إذا كثر الكلام فسكتوني ۞ فإن الوقت يظلمه الكلام

(الكشكول ٢٣٧/١ للعلامة محمد بن حسين العاملي الهمداني المتوفى١٠٣١هـ)

وردت تأكيدات شديدة على حفظ اللسان، نسوق بعضها على سبيل المثال:

(١) عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله؛ فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي». (سنن الترمذي، رقم:٢٣١١)

(٢) عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة».(صحيح البخاري، رقم:٦٤٧٤)

(٣) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من صمت نجا».(سنن الترمذي، رقم:٢٥٠١)

(٤) عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله». قال أحمد قالوا: من ذنب قد تاب منه. (سنن الترمذي، رقم:٢٥٠٥)

(٥) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وإن العبد ليتكلم بالكلمة

من سخط الله، لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم».(صحيح البخاري، رقم:٦٤٧٨)

(٦) عن معاذ بن جبل، قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت». ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، و صلاة الرجل من جوف الليل»، قال: ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ (السجدة: ١٦)، حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧). ثم قال: « ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه»؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد». ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله»؟ قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: «كف عليك هذا»، فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم».(سنن الترمذي، رقم: ٢٦١٦)

قال مالك: «و لم يكونوا يهذرون الكلام هكذا، ومن الناس من يتكلم بكلام شهر في ساعة».

وقال مالك: «وكان الربيع بن خثيم أقل الناس كلامًا». وقال مالك: «يقال: إن البلاء موكل بالقول».(مقدمة موطأ مالك، بعض أقاويل مالك رحمه الله تعالى، تحقيق: الشيخ محمد مصطفى الأعظمي)

اكتفينا بسوق بعض الأحاديث المشهورة من بين مئات الأحاديث في هذا الباب، وكثرت الأشعار والقصص حول حفظ اللسان وفوائد قلة الكلام وأضرار كثرته، كثرةً يستعصي معها جمعها [١].

---

(١) للاستزادة منه راجع: ١- شعب الإيمان، الباب:٣٤، وهو باب في حفظ اللسان. ٢-إحياء علوم الدين، كتاب آفات اللسان، وفيه أبواب ١٠٨/٣-١٦٣؛ ذكر فيه فضل السكوت، وذنوب اللسان وعلاجها وما يتعلق به بالتفصيل. ٣-بريقة محمودية، الصنف الثاني في آفات اللسان ١٦٥/٣، ٤٨/٤، بحث مفصل في نحو ١٨٥ صفحة، وفي نهايته =

وعلى كل ينغلق الفم عند أداء الميم منه، فلنأخذ منه أن يكثر الإنسان من السكوت، و ورد في صفات النبي صلى الله علي وسلم:

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل السكت لا يتكلم في غير حاجة».(الشمائل المحمدية للترمذي، رقم:٢٢٦)

حكمة أخرى في استبدال الواو ميما:

ومن الحكم في استبدال الواو ميما أن «الميم» تدل على المحبة، فؤخذ منه أن يقول الإنسان بلسانه قولا لينا حلوا.

وكلمة «الأم» تتضمن ميما، والكلمة التي تدل على «الأم» في معظم اللغات تتضمن الميم. وقد جمع بعض شعراء الأردية كثيرًا من الكلمات الطيبة المبدوءة بالميم، ومنها: المركز، والمعجزة، والمنْزل، ومكة، والمدينة، وغيرها. وعلى العكس من ذلك تدل كلمة «فوه» على «أوه»، بمعنى الحسرة و الحزن، فيجب صون اللسان من مثل هذه الكلمات، وتعويده الكلمات الدالة على المحبة. يقول الشاعر الأردي:

جو بات کہو صاف ہو، ستھری ہو، بھلی ہو ۞ کڑوی نہ ہو، کھٹی نہ ہو، مصری کی ڈلی ہو

(لا تتلفظ إلا بكلمة صافية نزيهة خيرة، لا مرة، ولا حامضة، ولتكن قطعة من الشيرج)

سَقِمَ : سبق تحقيقه في البيت رقم:٦. سقِمَ: (س) سَقَمًا: مرض.

الإعراب:

قد: للتعليل. من رمد: متعلق بـــ تنكر. أي: لأجل الرمد. من سقم: متعلق بـــ تنكر.

= لخص المؤلف البحث وسرد سبعين من آفات اللسان. ٤-الصمت لابن أبي الدنيا (ت:٢٨١هـــ). ٥-حسن السمت في الصمت للسيوطي (ت:٩١١هـــ)، اختصر فيه كتاب الصمت لابن أبي الدنيا زاده عليه. ٦-كتمان السر وحفظ اللسان للجاحظ (ت:٢٥٥هـــ) وهي مجموعة رسائل للجاحظ. ٧- كفاية الإنسان في حفظ اللسان للعلامة محمد عمر زعتير النابلي الحنفي (ت:١٣٣٤هـــ). ٨-فقه الكلام و مسؤوليتها في القرآن والسنة، لمحمد بن عبد الرحمن عيض. ٩-آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة للشيخ سعيد بن علي بن وهب القحطاني. ١٠-و للاستزادة من أقوال السلف في حفظ اللسان راجع: غرر الخصائص الواضحة للعلامة محمد بن إبراهيم، المعروف بالوطواط(ت:٧١٨هـــ).

الشرح:

قد تنكر: ذكر وجه عدم الإنكار على عجب الحاسدين وضرب مثلا حسيا عليه:

لو عفنت القوة الشامة في أحد من رائحة المسك ونحوه، واستمحلت القوة الذائقة الماء العذب الفرات، ولا تصبر عينه المصابة بالرمد على ضوء الشمس التي تنير العالم كله، فلا يعني ذلك أن المسك فقد رائحته، وتلاشت العذوبة في الماء العذب، وحرمت الشمس ضوءها؛ بل العيب في قوة الإنسان الشامة والذائقة والباصرة.

وعبر بعض الشعراء عن هذا المعنى بقوله:

نقصان ز قابل است وگرنه على الدوام ❁ فيض عنايتش همه كس را برابر است

(النقص يرجع إلى القابل، وأما النفحات الإلهية فعامة شاملة للناس كلهم، ولا فرق إلا أن بعض الناس يحمل صفة القابلية، دون بعض، مثل ضوء الشمس يقبله الزجاج دون الطين.

وقس عليه إعجاز القرآن الكريم وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإنهما من الحقائق الجلية الواضحة، لا يسع أحدا إنكارها إذا كان معافا سليما، وإنما يرجع إنكاره إلى الحسد والعصبية والعناد. وهذا ما دفع الناس في الماضي إلى الكفر بالقرآن، ولا يرتفع صوت ينادي بكفره اليوم إلا من تداعيات مرض الحسد. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ ﴾ (البقرة: ١٤٦)

أي يعرفون كل المعرفة أنك رسول الله، ثم لا يؤمنون به، فالمعرفة شيء، والإيمان شيء آخر. ومن الأمثلة على ذلك أن رجلا غصب كتابك؛ فإنه يعرف أنه كتابك، ولا يؤمن بأنه يجب رده إليك.

من الأمثلة على الإنكار عن عمد:

(١) ورد في تفسير هذه الآية أن عمر رضي الله عنه سأل عبد الله بن سلام: كيف هذه المعرفة التي أشارت إليها الآية؟ فقال عبد الله بن سلام: أنا أشد معرفة بمحمد مني بابني، وقد نعته الله في كتابنا، ولا أدري ما تصنع النساء». (الدر المنثور ١/٣٥٧)

وفي رواية: «نحن أعرف به منا بآبائنا». (الدر المنثور ١/٣٥٦)

وروي في هذا المعنى أقوال أخرى عن غير عبد الله بن سلام ممن أسلم.

(٢) وكان أبو طالب يعرف أن هذا الدين حق، و لم يؤمن به خشية أن يتهمه الناس بالخوف من الموت، قال أبو طالب: «لولا أن تعيرني قريش يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك».(صحيح مسلم، رقم:٢٥)

ولأبي طالب أبيات معروفة تنم عن معرفته أن دين الإسلام حق:

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ۞ حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا

فَامْضِي لِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ۞ أَبْشِرْ وَقِرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عُيونَا

وَدَعَوتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحِي ۞ فَلَقَدْ صَدَقْتَ وَ كُنْتَ قَبْلُ أَمِينَا

وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَرَفْتُ بِأَنَّهُ ۞ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا

لَوْلا الْمَلامَةُ أَوْ حِذَارِي سُبَّةً ۞ لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا

(سيرة ابن إسحاق، ص١٥٥ بفرق يسير في نسخها؛ دلائل النبوة للبيهقي٢/١٨٨؛ السيرة النبوية لابن كثير١/٤٦٤؛ روح المعاني٧/١٢٧)

ووقع في بعض الكتب باختلاف يسير:

ودعوتني وعلمتُ أنك صادق ۞ ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

ولقد علمتُ بأن دين محمد ۞ من خير أديان البرية دينا

(تاريخ أبي الفداء ١/١٧٩)

وعلمت أنك ناصحي. (السيرة النبوية لابن كثير١/٤٦٤)

وعرضتَ دينا لا محالة إنه ۞ من خير أديان البرية دينا

(المواهب اللدنية ١/١٣٥)

(٣) ومن الأمثلة على ذلك الوليد بن المغيرة، الذي سبق شيء عنه في البيت رقم:٩٥. تلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض آيات القرآن الكريم، فتأثر بها كثيرا. وقال: «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه يعلو ولا يعلى...» وهذا صريح في أنه كان يعرف أن هذا الكلام حق.

بلغ ذلك قريشا فشكت إلى أبي جهل، فقال: أنا أكفيكم. فجاء أبو جهل الوليد بن المغيرة، وطعن فيه من غير حق، وقال: سمعت أنك تدخل على محمد وأبي بكر لتصيب من طعامه، وتتملق له وتشيد بكلامه. فاشتاط الوليد غضبا، وقال: تحدث بهذا عشيرتي؟

فوالله، لا أقرب ابن أبي قحافة ولا ابن أبي كبشة».

وفي رواية: تأتي إليه لتصيب من ماله. فقال الوليد: أنا أكثركم مالا. فقال أبو جهل: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له. فقال: والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا. فقال أبو جهل: لا يرضى قومك حتى تقول فيه. فقال الوليد: فدعني أفكر. فلما فكر قال: هذا سحر، فإنه يفرق بسحره بين المرء وزوجه، وبين الولد وأبيه، فإنه لا يؤمن به أحد إلا فارق أبويه، وأعز أقاربه.

فهذا الشقي رغم جزمه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، حمله غضبه وحميته على مناوأة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذا كرر القرآن الكريم اللعنة عليه، وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ (المدثر: ١١)

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول «فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا و والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته». قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: «هذا سحر يؤثر يأثره من غيره فنزلت: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾.(المستدرك على الصحيحين للحاكم، رقم:٣٨٧٢، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي)

وفي الدر المنثور: وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر فسأله عن القرآن... فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه. فقال الوليد: تحدث بهذا عشيرتي؟ فوالله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة. (الدر المنثور٨/٣٣١؛ تفسير الطبري ٢٤/٢٤؛ دلائل النبوة لأبي

نعيم، ص ٢٣٣، الفصل الخامس عشر، ذكر أخذ القرآن)

(٤) تفيد عدة قصص أن أبا جهل كان يعرف صدقه صلى الله عليه وسلم، ومنعه من الإيمان به حسده وحميته. ومنها:

استمع أبو جهل والأخنس بن شريق وأبو سفيان في ظلمة الليل من النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث ليالٍ متواليات. وورد في نهاية القصة أن الأخنس سأل أبا جهل عن رأيه فيه. فقال أبو جهل: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه، والله لا نؤمن به أبدا.

بل تفيد الروايات أن أبا جهل كان يعترف بفضله صلى الله عليه وسلم وعلو مكانته منذ صباه. روى الشاه عبد العزيز في تفسير سورة الضحى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ضل طريقه وهو صبي في مكة إذ أتاه أبوجهل على ناقته، فحمله على ناقته، ثم قال لعبد المطلب: «وجدته تائها في الطريق في الشعب الفلاني، إني أنخت الناقة وأركبته من خلفي فأبت الناقة أن تقوم، فلما أركبته أمامي قامت الناقة، وسارت».(التفسير العزيزي ٣٦٥/٤. وهذه القصة ذكرها غيره من التفاسير)

عن ابن إسحاق: حدثني الزهري قال: «حدثت أن أبا جهل، وأبا سفيان، والأخنس بن شريق، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي بالليل في بيته وأخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا.

ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة.

ثم انصرفوا فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق، فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا

ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها. فقال الأخنس وأنا والذي حلفت به. ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه، والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه فقام عنه الأخنس بن شريق». (السيرة النبوية لابن إسحاق ١٨٩/١؛ دلائل النبوة للبيهقي ٢٠٦/٢)

قال عليه السلام: «ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي ضائع، كاد الجوع يقتلني، فهداني الله».

ذكره الضحاك وذكر تعلقه (أي عبد المطلب) بأستار الكعبة، وقوله:

يا ربِّ رُدَّ ولدي محمدا ۞ اردده ربي واصطنع عندي يدا

فما زال يردد هذا عند البيت حتى أتاه أبوجهل على ناقة وبين يديه محمد وهو يقول: لا ندري ما نرى من ابنك، فقال عبد المطلب: ولِمَ ؟ قال: أنخت ناقتي وأركبته من خلفي فأبت الناقة أن تقوم، فلما أركبته أمامي قامت الناقة، وكانت تقول: يا أحمق هو الإمام فكيف يقوم خلف المقتدي؟». (تفسير الرازي ١٩٧/٣١-١٩٨؛ تفسير النيسابوري ٥١٧/٦؛ السيرة الحلبية ١٥٥/١).

هذا، وقد سردنا كثيرا من القصص المماثلة في شرح البيت رقم:٧٧: «فالصدق في الغار...» التي تدل على أن الكفار كانوا يجزمون بصدقه صلى الله عليه وسلم وإن لم يؤمنوا به حسدا وعنادًا.

وعلى كل، حاصل البيت أن المريض قد يجد الماء العذب مرا، فالعيب في المريض لا في الماء.

قال أبو الطيب:

ومن يك ذا فم مر مرير ۞ يجد مرا به الماء الزلالا

(ديوان المتنبيء، ص ١٤١)

وقال الشاعر:

ما ضرَّ الضحى و الشمس طالعة ۞ أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وفي بعض الكتب: ما عاب شمس الضحى في الجو مشرقةٌ.

وهذا البيت للعلامة منصور بن إسماعيل التميمي الشافعي رحمه الله (ت:٣٠٦هـــ).

(طبقات الشافعية الكبرى ٤٧٨/٣؛ الفتاوى الحديثية، ص ١٤٧)

وقال المعري:

و النجمُ تستصغر الأبصار صورتَه ۞ والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

(ديوان أبي العلاء المعري المسمى سقط الزند، ص ٤٤)

البلاغة:

في البيت تشبيه تمثيل. أي شبهة هيئة بهيئة.

حاسد منكر: مشبه. و «من في عينيه رمد»: مشبه به.

تجاهل: مشبه. رمد: مشبه به. وجه الشبه: إنكار الظاهر.

آيات: مشبه، ضوء الشمس: مشبه به. وجه الشبه: الظهور والاشتهار عند كل واحد.

انتهى بعون الله تعالى وتوفيقه.

وبه ينتهي الفصل السادس، ولله الحمد.

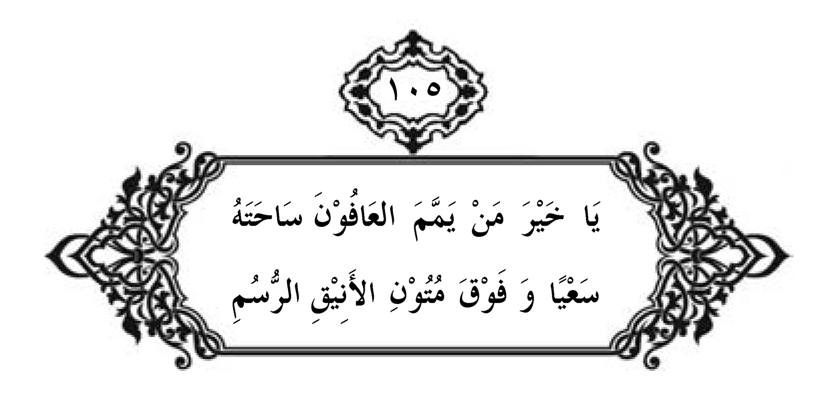
****


اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

الفصل السابع

في معراج رسول الله ﷺ





اللغة:

يَمَّمَ: قصد. ليس له «يَمَّ» ماضيا. وله «يُمَّ» بالبناء للمجهول: ألقاه في البحر.

التيمم: القصد إلى الصعيد الطيب لحصول الطهارة.

قال الشاعر:

تيممتكم لما فقدت أولي النهى ۞ ومن لم يجد ماءً تيمم بالتراب

(إعانة الطالبين ١/ ٧٠)

يمٌّ: البحر. وسمي البحر به؛ لأن الناس يقصدونه للتنْزه. وسمي البحر به؛ لأنه يبحر أي يشق الماء.

العافون: عفا (ن) عَفوًا وعفوا: (١) انطمس. (٢) غفر. (٣) عفا الشيءَ: أطاله وزاده. (٤) دخل على أحد يطلب معروفه.

العافي: له عدة معانٍ. والمراد: طالب الغذاء الروحاني، والمغفرة من الله تعالى. ج: عافون، وعفاة.

ومن النكت في كلمة العافي أنه ربما سمي السائل به؛ لأن معظم الناس يرد عليه بقولهم: عفوا، تقدَّم.

ساحته: الساحة: المكان الواسع. المكان الواسع بين الدور. فناء البيت الواسعُ، القاعة الكبيرة. وربما سميت الساحة بها؛ لأن المرء يسيح ويتجول فيه.

ساحَ (ض) فلان سيحا وسيحانا: له عدة معانٍ: (١) التجول.(٢) تطويف البلاد المختلفة للعبادة.

ومعنى قوله تعالى: ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ (التحريم: ٥): النساء المتوجهات إلى المناطق المختلفة

للدعوة والتبليغ، (مع التقيد بالشروط والحدود) ولوكان المراد بها المهاجرات؛ فإن الخروج مع الجماعة الدعوية يعد هجرة البيوت بصورة جزئية. يقول العلامة القرطبي: «السياحة : الجولان في الأرض. قيل: ذاهبات في طاعة الله عزوجل، من: ساح الماء إذا ذهب».(تفسير القرطبي ١٩٤/١٨)

سعيا: سعى (ف) سعيا: (١) جدّ واجتهد. (٢) السير والجري.

سعى به سِعاية: نم عنه، اشتكاه.

متون: مَتُنَ (ك) الشيءُ مَتانةً: اشتد وصلب. هو متن ومتين.

وسمي صلب الكتاب بالمتن؛ لأنه يصعب لاختصاره، فإنه (١) يجمع البحر في كوز، ثم يتم شرحه أو يعلق عليه. (٢) أو لأن المتن يشتمل —في الغالب– على المفتى به والقوي من الأقوال، ويُحْذَر من ضعيف الأقوال.

متَنَ (ن) مَتْنًا: قام. مَتَنَ (ن،ض) مَتْنًا: ضربه ظهره. المتن: الظهر. ج: متون.

الأنيق: الناقة: أنثى الجمل، ج: نوق وأنوق.

أنيق: أصله: أنوق، استثقلت الضمة على الواو، فنقلت إلى ماقبلها، فصار: أنوق. ثم استبدلت الواو ياء لمزيد من التخفيف.

وفي هذه الكلمة تعليلات أخرى.(تاج العروس ٤٤/٢٦-٤٤١)

ناق (ض) نَوقًا: نزع الشحم عن اللحم.

نوِق (س) نَوقًا: ضرب بياضه إلى الحمرة. نوَّق الحيوانَ: عَلَّمَ الحيوانَ السير.

فائدة:

(١) الذكر من الإبل يطلق عليه «الجمل» وعلى الأنثى «الناقة». (٢)كما يطلق «الثور» على الذكر و«البقرة» على الأنثى. (٣) والذكر من المعز هو «الكبش»، والأنثى هي «النعجة».(٤) والذكر من الغنم «تيس» والأنثى «عنَزة». (٣) والشاة والغنم عامتان. فالشاة تعم الذكر والأنثى منها. وإن كان إطلاقه على الشياه أكثر. وعلى العكس من ذلك الغنم تعم الشياه والضأن، وإن كثر استعماله في الضأن.

الرُّسم: رَسَمَ: له عدة معانٍ: منها: رَسَمَ (ن) رَسْمًا ورِسَمَانًا: (١) أحسن مشيته. (٢) خفّ إلى أحد. (٣) كتب. (٤) صوَّرَ. (٥) أمره به.

رسمت الناقة (ض) رسيما: عدت عدوا فَوق الذميل وأثرت فِي الأَرْض من شدَّة الْوَطْء.

أرسمت الناقة: أسرعت في مشيها.

الرسوم: (١) الَّذِي يبْقى على السّير يَوْمًا وَلَيْلَة. (٢) من النوق مَا تُؤثر فِي الأَرْض من شدَّة الْوَطْء (ج) رُسُمٌ.

الإعراب:

سعيا: (١) في معنى الجمع: حال كونهم ساعين. (٢) يسعون سعيا.

وفوق: عطف على (سعيا)، و هو حال أيضا: أي: راكبين فوق الأينق.

الشرح:

يا خير: فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، وللالتفات أهداف كثيرة، منها: زيادة تنشيط السامع.

عبر عن القدوم من الأطراف المجاورة إلى الروضة المطهرة بـــ(سعيا) وعبر عن القدوم من الأماكن البعيدة بـــ (فوق متون الأينق).

يا خير: يا: حرف نداء للبعيد. فإن أطلقت على النداء من القريب قصد منها التعظيم أو التنبيه أو الاستبعاد.

حكم النداء عن غيب:

اعتراض: لا يجوز نداء الرسول أو غيره من أصحاب القبور من البعيد، و أما نداء غير الله عن غيب فمن عمل المشركين. فإن قلت: وإن قال أحد أن أصحاب القبور يسمعون عند بعض العلماء، فنقول: لا يجوز اعتقادهم حاضرين ومغيثين وناظرين. فما بال الناظم نادى النبي صلى الله عليه وسلم من بعيد؟

الجواب: النداء لأغراض شتى، وليس النداء هنا ما يعتقد فيه المنادَى حاضرا وناظرا؛ بل هو نداء ما في القلب، أو للإعراب عن الحب والمودة. وهذا معتاد في كلام الناس، ولا يخفى على أحد أن «الياء» لا يقصد بها النداء في كل مكان؛ بل قد يكون الغرض منه الإعراب عن الحب والمودة، أو نداء ما في القلب، أو غرض آخر، كما لو قال المتألم: يا

أمي، فليس القصد منه النداء؛ بل الإعراب عن المودة، ويجري عند الشعراء أمثال هذا النداء:

أيا منْزِلَتَي مَيٍّ سلام عليكما ۞ هل الأزمنُ اللائي مضين رواجعُ

وهل يرجع التسليمَ أو يكشف العمى ۞ ثلاث الأثافي والرسومُ البلاقع

(ديوان ذي الرمة، ص٧٨؛واسم ذي الرمة: غيلان بن عقبة المتوفى عام ١١٧هـ)

وجاء في بعض الكتب باختلاف يسير:

أيا منْزِلَى سلمى سلام عليكما ۞ هل الأزمنُ اللائي مضين رواجعُ

(جواهر البلاغة للعلامة أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي المتوفى ١٣٦٢هـ)

خاطب فيه الشاعر خربتين،ولايخفى أنه ليس المقصود إسماعهما؛ بل الإعراب عن الحب والمودة.

ونقول في الصلاة: السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته: فهو (١) خطاب لما هو حاضر في القلب. (٢) أو حكاية قصة المعراج. (٣) أو الاعتقاد بأن الملائكة يبلغون هذا السلام الرسولَ صلى الله عليه وسلم، أي على سبيل الإنشاء.

وللصحابة والتابعين ما لا يحصى من القصائد جاء فيه إطلاق «الياء» من بعيد في حق الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس القصد خطابه، ومن هذه القصائد ما رثى بها الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم عند وفاته. ونكتفي بمثال واحد، وهو ما رثت به صفية رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ۞ وكنتَ بنا برًّا ولم تك جافيا

نحو عشرة أبيات، خاطبت فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بقولها: كنتَ رحيما، لِيَبكِ عليكَ اليومَ، عليكَ من الله السلام إلى آخره.

وفيما يلي رثاؤها كاملا:

أَلا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ رَجَاءَنَا ۞ وَكُنْتَ بنَا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جَافِيَا

وَ كُنْتَ رَحِيمًا هَادِيًا وَ مُعَلِّمًا ۞ لِيَبْكِ عَلَيْكَ الْيَوْمَ مَنْ كَانَ بَاكِيَا

لَعَمْرُكَ مَا أَبْكِي النَّبيَّ لِفَقْدِهِ ۞ وَلَكِنْ لِمَا أَخْشَى مِنَ الْهَرْجِ آتِيَا

كَأَنَّ عَلَى قَلْبِي لِذِكْرِ مُحَمَّدٍ ۞ وَمَا خِفْتُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ الْمَكَاوِيَا

أَفَاطِمَ صَلَّى اللهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ ۞ عَلَى جَدَثٍ أَمْسَى بِيَثْرِبَ ثَاوِيَا
فِدًى لِرَسُولِ اللهِ أُمِّي وَ خَالَتِي ۞ وَ عَمِّي وَآبَائِي وَ نَفْسِي وَ مَالِيَا
صدقتَ وبلغتَ الرسالة صادقا ۞ ومُت صَليب الْعُودِ أَبْلَجَ صَافِيَا
فَلَوْ أَنَّ رَبَّ النَّاسِ أَبْقَى نَبِيَّنَا ۞ سَعِدْنَا، وَلَكِنْ أَمْرُهُ كَانَ مَاضِيَا
عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ تَحِيَّةً ۞ وَأُدْخِلْتَ جَنَّاتٍ من العدن رَاضِيَا
أَرَى حَسَنًا أَيْتَمْتَهُ وَ تَرَكْتَهُ ۞ يُبَكِّي وَ يَدْعُو جَدَّهُ الْيَوْمَ نَاعِيَا(١)

ومن رثاء أبي بكر رضي الله عنه:

كم لي بعدك من هَمٍّ يُنصِّبني ۞ إذا تذكرت أني لا أراك أبدا
كان المصفاء في الأخلاق قد علموا ۞ و في العفاف فلم نعدل به أحدا
نفسي فداؤك من ميت ومن بدن ۞ ما أطيب الذكر والأخلاق والجسد

(إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع للمقريزي ٥٩٤/١٤؛ سبل الهدى والرشاد ٢٧٨/١٢؛ الطبقات الكبرى ٣٢٠/٢)

وقالت عاتكة:

فعليك رحمة ربنا و سلامه ۞ يا ذا الفواضل والندى والسؤدد

(الطبقات الكبرى ٣٢٧/٢؛ إمتاع الأسماع للمقريزي ٥٩٨/١٤؛سبل الهدى والرشاد ٢٨٣/١٢)

وقالت هند:

قد كان بعدك أنباء و هَنبثة ۞ لو كنتَ شاهدها لم تكثر الخُطبُ
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ۞ فاحتل لقومك واشهدهم ولا تغب

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢٤/٤. ورُويت الأبيات في المعجم الكبير عن عروة بفروق يسيرة، وعروة لم يلق صفية رضي الله عنها، فمن أهمها: عجز البيت الثالث: «ولكن لَيَهرج كان بعدك آتيا».(بصيغة الخطاب) وعجز البيت السابع بلفظ: «مِتُّ صليب الدين أبلج صافيا».(بصيغة الخطاب أيضًا) وعجز البيت الثامن بلفظ: «فلو أن رب العرش أبقاك بيننا» (بصيغة الخطاب أيضا) (المعجم الكبير ٣٢٠/٢٤، قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن. مجمع الزوائد ٦١٧/٨) وفي بعض الكتب: "وقمتَ صليب الدين أبلج صافيا"(الطبقات الكبرى ٣٢٦/٢)وفي بعضها: "وقومتَ صلب الدين أبلج صافيا ".(سلوة الكئيب بوفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم،ص ٢٠٧، للعلامة محمد بن عبد الله الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي(ت:٨٤٢هـ). وينظر: سبل الهدى والرشاد ٨٦/١١؛ الطبقات الكبرى ٣٢٦/٢).
قلتُ: نسب بعض العلماء -منهم ابن سعد- هذه الأبيات لأروى بنت عبد المطلب، وهي أخت صفية ؛لكن الأكثر على أنه لصفية رضي الله عنها. والله أعلم).

قد كنت بدرا و نورا يستضاء به ۞ عليك تنْزل من ذي العزة الكتب

(الطبقات الكبرى٢/٣٢٧؛ إمتاع الأسماع ١٤/٦٠٢)

فتاوى أهل العلم:

بعد سرد أمثلة على استعمال صيغة الخطاب أحرى بنا أن نسوق نصوص أهل العلم في خصوص هذه المسألة، التي تبين أن قارئ أمثال هذه الأبيات إذا كان يعتقد أنه (١) لا يستطيع النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأولياء بدورهم كشف مشكلة؛ بل هم في حاجة إلى الله تعالى. (٢) ولا يعتقد حضور الأنبياء والصلحاء ومشاهدتهم، فلا حرج عليه أن يقرأ هذه الأبيات، إلا إذا خاف على العامة فساد عقيدتهم فلا.

١- يقول المفتي فريد رحمه الله: « المحظورهو النداء بــ «يا محمد» على عقيدة علم الغيب واعتقاد التسلط الغيبي علما وقدرة، لا محض النداء».(فتاوى فريدية ١/٧١؛ انظر أيضا: فتاوى محمودية ١/٣٦٦-٣٧٠)

٢- يقول المفتي تقي حفظه الله تعالى: « ما أكثر المجاز والاستعارة في الأشعار، وقد يخاطب الشاعر أشياء لا تستطيع السماع والإجابة، منها: البحر والجبال ونحوهما. وهذا الخطاب تخييلي، لا حقيقي؛ فإذا خاطب المرء غير الله تعالى على هذا الأسلوب، ولا يعتقد أنه كاشف الضر والبلوى أو مغيثا في الحقيقة؛ بل يخاطب مجازا واستعارة على سبيل التخييل، فلا بأس بمثل هذه الأبيات؛ أما إذا قال ذلك مع فساد عقيدته فحرام».(فتاوى عثمانية ١/٦٢-٦٣)

٣- يقول حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي: «ينهى عنه إذا كان بإرادة الاستعانة والاستغاثة أو على اعتقاد حضوره ومشاهدته، وأما بدون هذا الاعتقاد بأن كان شوقا واستلذاذا فيؤذن به. وبما أن الغرض من إنشاد الأشعار هو مجرد الشوق والاستلذاذ، فتوسعوا في النقل، وأما إذا حصل خلاف ذلك في مكان، فيجب المنع عنه».(إمداد الفتاوى ٥/٣٨٥)

٤- يقول فقيه النفس الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي رحمه الله: «من المعلوم بداهةً أن نداء الله تعالى من بعيد شرك حقيقي؛ بحيث يعتقد أنه عالم وسامع بالاستقلال، وإلا فليس شركا، مثلا: (١) يعتقد أن الله تعالى سيطلعه عليه. (٢) أو ينكشف له بإذن الله تعالى.

(٣) أو يبلغه الملائكة بإذن الله تعالى، كما ورد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. (٤) أو يقول ذلك صادرا عن مجرد الحب والمودة. (٥) أو لبيان حاله من التحسر والحرمان، فإن هذه المناسبات يطلق فيه كلمات الخطاب ولا يقصد منها الإسماع على الإطلاق، ولا يعتقد ذلك. ومن هذا الباب ما ورد عن الأولياء من المناجاة والأشعار، فليست في ذاتها شركا، ولا معصية، نعم يكره إتيانها في المجالس العامة لكونها موهمة، خشية أن تجلب على العامة ضررا، وهي موهمة في ذاتها كذلك. فلا يمنع قراءة أمثال هذه الأشعار، ولا يطعن في مؤلفها». (فتاوى رشيدية، ص ١٥٤-١٥٥)

٥- يقول الشيخ شمس الدين- رئيس جماعة إشاعة السنة والتوحيد في باكستان: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»: قلت: هو من قبيل نصب العين الذي يتخيل المتكلم فيه من يخاطب هو كأنه بمرآى منه ومسمع، ولا يعتقد أنه يعلم ويسمع. كما قال قائل في الفارسية:

جمال یار پیش دیده بنشاد ❁ هم از دیده هم از لب گوهر افشاند
که اے پاکیزه گوهر از چه کانے ❁ که روئے تست صبح زندگانی

(جعلت جمال الحبيب نصب عيني، وهو ينثر الدرر بعيونه وشفاهه، أيها الدر الصافي، أين معدنك، حتى صار وجهك صبح الحياة)

وكما قال قائل:

ألا يارسول الله كنت رجاءنا ❁ وكنت بنا برا ولم تك جافيا

(إلهام الباري، ص ٦٤)

وبهذا التفصيل يتبين حال أمثالها من الأشعار، ومنها القصيدة الشهيرة للملا جامي رحمه الله، التي كانت تتلى على مجلس الشيخ زكريا رحمه الله، وأوردها الشيخ في كتابه «فضائل الأعمال». وبيته الأول هو:

ز مهجوری بر آمدن جانِ عالم ❁ ترحم یا رسول الله ترحّم

(أي يكاد الخلق يلفظ نفَسَه لفراقك..، ترحم يا رسول الله ترحم. أي أني أتمنى أن أراك فترحم بالزيارة فإني حاضر عند مرقدك. فهذا من قبيل التمني للزيارة عند القبر الشريف)

وقس عليه أبيات الشيخ محمد قاسم النانوتوي رحمه الله (التي جاءت في قصائد قاسمي)، ومنها قوله:

مدد کرا ے کرم احمدی کہ تیرے سوا ۞ نہیں ہے قاسم بے بس کا کوئی حامی کار

(نصرًا أيها الكرم الأحمدي، فليس لقاسم البائس ناصر سواك)

المراد بالكرم الأحمدي: شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، والمعنى: (أيتها الشفاعة الأحمدية، انصريني، فأنا راجي الشفاعة، ولا يغني غير شفاعتك).

يَمَّمَ العافون ساحته:

شبهة الاستمداد بغير الله وكشفها:

إيراد: يأتيك السائلون، مع أن الشرع يوجهنا إلى دعاء الله تعالى. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ (الإسراء: ١١٠)، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ (يونس: ١٠٦)، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (الأحقاف:٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ (النمل:٦٢)

من أهم مضامين القرآن الكريم النهي عن دعوة غير الله تعالى. والتفصيل في ذلك أن الاستعانة على ثلاثة أوجه:

(١) سؤال غير الله تعالى بالغيب، أو سؤال الحاضر ما ليس في يده، نحو: أن يقول قائل لولي من أولياء الله تعالى: ارزقني ولدا، فهذا حرام.

(٢) الاستعانة الواجبة: يجب الاستعانة بالله تعالى، «وإذا استعنت فاستعن بالله».(سنن الترمذي، رقم: ٢٥١٦).

(٣) الجائزة: سؤال أحد ما يدخل تحت الأسباب، أي ما في قدرته ومكنته. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة: ٢)، المراد فيه الاستعانة بما هو تحت الأسباب. و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ (الضحى: ١٠)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾ (الكهف: ٧٧)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ (الكهف: ٩٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ٥٢)، وقَالَ تَعَالَى:﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ (محمد: ٧) هذا كله سؤال ما يدخل تحت الأسباب، وأما قوله «يمم العافون» فليس من هذا الباب، فمامعناه ؟

الجواب: معنى البيت: يا خير من قصد ساحته السائلون اللهَ للسؤال من الله في المقام المتبرك راغبين في إجابة الدعاء.

والحاصل أن السؤال غير موجّه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، بل إلى الله تعالى، إلا أنه قصد المكان المبارك، فإن قبور الصالحين يستجاب الدعاء عندها. ويشهد به قصص وشواهد كثيرة، نسوق بعضها فيما يلي:

استجابة الدعاء عند قبور الصالحين:

(١) معروف بن فيروز، أبو محفوظ (٢٠٠-٢٠١هـ) اشتهر بمعروف الكرخي، يذكر أن قبره ترياق مجرب.

حكاه الخطيب البغدادي، وابن خلكان، واليافعي، وابن الملقن، وغيرهم بصراحة.

قال الخطيب: «ذكر معروف الكرخي... سمعت إبراهيم الحربي، يقول: قبر معروف الترياق المجرب. حدَّثنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمَّد الزهري، قال: سمعت أبي يقول: قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج، ويقال: إنه من قرأ عنده مئة مرة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله له حاجته... يقول: سمعت أبا عبد الله بن المحاملي، يقول: أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه. (تاريخ بغداد ٤٤٥/١؛ ومثله في مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لليافعي ٣٥٣/١،سنة:٢٠٠؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ٢٣٢/٥؛ وطبقات الأولياء لابن الملقن الشافعي المصري ٢٨١/١)

(٢) جاء في ترجمة إبراهيم بن عبد الواحد بن علي (المتوفى ٦١٤هـ) –أخي الحافظ المحدث الشهير: عبد الغني المقدسي(٦٠٠هـ) صاحب «الكمال في أسماء الرجال»: قال الذهبي: «إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور... وكان بين الصلاتين يوم الأربعاء يمضي إلى مقابر الشهداء بباب الصغير، فيدعو ويجتهد له وللمسلمين إلى قرب العصر، لا يكاد يفوته ذلك، لما روي عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا في بعض الأيام، فلما كان يوم الأربعاء بين الظهر والعصراستجيب له، قال جابر: فما أصابني أمر

غائظ فتوخيت ذلك الوقت، فدعوت إلا رجوت الإجابة».(تاريخ الإسلام ٤٤/١٨٥)

ذكر ابن رجب في ترجمته: «يواظب على الدعاء يوم الأربعاء بين الظهر والعصر بمقابر الشهداء من باب الصغير، وقال: ما رأيت مثل هذا الدعاء، أو قال: أسرع إجابة منه».(ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢٠٧/٣؛ تاريخ الإسلام للذهبي ٣٩٥/١٣)

(٣) قال الذهبي: «نفيسة بنت الحسن بن زيد الحسن بن علي العلوية... والدعاء مستجاب عند قبرها؛ بل وعند قبور الأنبياء والصالحين، وفي المساجد وعرفة ومزدلفة، وفي السفر المباح، وفي الصلاة، وفي السحر، ومن الأبوين، ومن الغائب لأخيه، ومن المضطر». (سيرأعلام النبلاء ١٠٧/١٠؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٤٣/٣؛. وقال الصفدي: «واشتهر إجابة الدعاء عند قبرها»).

(٤) قال علي بن ميمون: سمعت الشافعي يقول: «إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم، يعني زائرا، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين، وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تقضى».(تاريخ بغداد ٤٤٥/١؛ والجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ص ٥١٩، ولكن إسناده لم يصح)

وحكى العلامة الكوثري ضمن هذه الرواية عن الفقيه الشافعي شرف الدين الدمشقي المدرس بنظامية بغداد أنه جرب هذا المروي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه في مهمته أقلقته، فجاءه الفرج السريع.(تأنيب الخطيب، ص ٣٢)

(٥) قال ابن حبان: «علي بن موسى الرضا... وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يزار بجنب قبر الرشيد. وقد زرته مرارا كثيرة، وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا –صلوات الله على جده وعليه– ودعوت الله إزالتها إلا استجيب لي وزالت عني تلك الشدة، وهذا شيء جربته مرارا، فوجدته كذلك. أماتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين».(الثقات لابن حبان ٤٥٧/٨)

وذكر الخطيب: قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال يقول: «ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر، فتوسلت به إلا سهل الله لي ما أحب».

وقال الحافظ ابن حجر: « وسمعت أبا بكر محمد بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا

مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا بطوس، قال: فرأيت من تعظيمه يعني ابن خزيمة لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحيرنا».(تهذيب التهذيب ٣٢٧/٧ ترجمة علي بن موسى)

(٦) قال الذهبي: « ابن لال... قال شيرويه... والدعاء عند قبره مستجاب. قلت: والدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والأولياء وفي سائر البقاع لكن سبب الإجابة حضور الداعي وخشوعه وابتهاله».(سير أعلام النبلاء١٧/٧٦-٧٧، ومثله في: العبر في خبر من غبر ١٩٣/٢؛ وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥١٤/٤)

(٧) دفن أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه (خالد بن زيد المتوفى عام ٥٢هـــ) في تركيا، ولا زال السلف الصالح على تعاهد قبره والعناية بتنظيفه، والاستسقاء به إذا قحطوا.

قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: وتوفي أبو أيوب عام غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية بن أبي سفيان، سنة اثنتين وخمسين، وصلى عليه يزيد بن معاوية، وقبره بأصل حصن القسطنطينية بأرض الروم، فلقد بلغني أن الروم يتعاهدون قبره ويرمونه (وفي صفة الصفوة: يزورونه) ويستسقون به إذا قحطوا».(الطبقات الكبرى ٤٨٥/٣؛ سير أعلام النبلاء ٤٠٥/٢، ٤١٢؛ تاريخ مدينة دمشق ٦١/١٦؛ الروض المعطار في خبر الأقطار للحِميري، ص ٤٠٠، وذكره ابن الجوزي في غير موضع من مؤلفاته، ومنها: صفة الصفوة٤٧٠/١؛ وتلقيح فهوم الأثر، ص٩٣)

(٨) روي عن أبي بكر بن أبي علي قال: كان ابن المقرئ يقول: كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ بالمدينة، فضاق بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضرت القبر، وقلت: يا رسول الله، الجوع. فقال لي الطبراني: اجلس، فإما أن يكون الرزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشيخ، فحضر الباب علوي ففتحنا له، فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شيء كثير، وقال: شكوتموني إلى النبي -صلى الله عليه وسلم، رأيته في النوم، فأمرني بحمل شيء إليكم».(سير أعلام النبلاء ٤٠٠/١٦-٤٠١؛ تاريخ الإسلام للذهبي ٣٩/٢٧؛ تذكرة الحفاظ ١٢١/٣-١٢٢)

ولا يخفى على أحد مكانة الإمام الذهبي، فهو إمام محقق في الرجال والتراجم، علاوة على أنه من تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. ذكر الذهبي هذه القصة في

غير واحد من مؤلفاته.

وثمة روايات وقصص تاريخية أخرى كثيرة لاستجابة الدعاء عند قبور الصالحين أعرضنا عنها خشية الإطالة.

فإذا كان حال عامة الصلحاء والأولياء في هذه الأمة فما بال قبر النبي صلى الله عليه وسلم في استجابة الدعاء، ففيه قصص لا تحصى. وسبق ذكر ثلاثة من المحدثين، وقد سرد العلامة ابن النعمان المراكشي (المتوفى:٦٨٣هـــ) في كتابه: «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام» قصصا كثيرة من هذا النوع.

واعلم أنه جاء كتب أخرى في هذا الموضوع.

وسبق ذكر شيء من مثل هذه القصص في شرح البيت رقم:٨٠، ٨١، ٨٥. وعلى كل المراد بقوله: يمم العافون ساحته: هو التوجه إلى قبره صلى الله عليه وسلم والدعاء عنده.

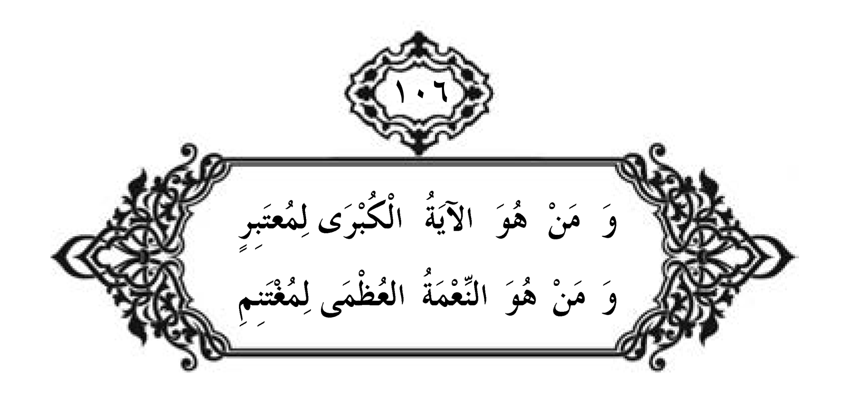
ومن الجدير بالذكر أن إمام السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله يقول بأنه لا ينكر على دعاء الله تعالى عند القبور، فإنه مسألة مجتهد فيها.

«سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن قولهم في الاستسقاء: «لا بأس بالتوسل بالصالحين، وقول أحمد: يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، مع قولهم: إنه لا يستغاث بمخلوق. فالفرق ظاهر جدًا، وليس الكلام مما نحن فيه؛ فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه، فهذه المسألة من مسائل الفقه وإن كان الصواب عندنا: قول الجمهور: إنه مكروه، فلا ننكر على من فعله؛ ولا إنكار في مسائل الاجتهاد، لكن إنكارنا على من دعا لمخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى، ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره، يطلب فيه تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإعطاء الرغبات. فأين هذا ممن يدعو الله مخلصًا له الدين لا يدعو مع الله أحدًا، ولكن يقول في دعائه: أسألك بنبيك، أو بالمرسلين، أو بعبادك الصالحين، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده، لكن لا يدعو إلا الله مخلصا له الدين، فأين هذا مما نحن فيه».(فتاوى الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في مجموع المؤلفات، القسم الثالث، ص ٦٨، التي نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).

وعندما سار النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ليلة المعراج صلى في طور سيناء، وبيت اللحم حيث ولد عيسى عليه السلام، وفي المدينة المنورة. وفي رواية البيهقي في مدين شعيب عليه السلام بأمر جبرئيل عليه السلام، والصلاة تشمل الدعاء. بل الصلاة لغة هو الدعاء. فعلم أن الصلاة والدعاء في الأمكنة المباركة يجلب البركة.

راجع لهذه الروايات: سنن النسائي رقم:٤٥٠، كتاب الصلاة باب فرض الصلاة، عن أنس رضي الله عنه. وروى البيهقي عن شداد بن أوس. ورواه الطبراني في المعجم الكبير برقم:٢٧٧٥. ولكن يجب تجنب الإفراط والتفريط في ذلك، وهذه الروايات برجال ثقات عند أهل الفن.

****



اللغة:

الآية: العلامة التي تميز بين الحق والباطل.

الكبرى: كَبَرَ (ن)كَبْرًا: أسنَّ. كبِرَ (س) كِبَرًا: أسن. وهو كبير، ج: كبار وكبراء. كَبُرَ (ك) كِبَرًا وكُبْرًا: سمت منْزلته. وأسنَّ. وعظم جسدا أو حجما. استفحل. كبير، كُبار، وكُبَّار: كلها بمعنى: كبير الشأن.
الكُبرى: مؤنث أكبر.

المعتبر: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٧.
عَبَرَ (ن) عَبْرًا: سال دمعه، مضى، مات، أول الرؤيا.
اعتبر به: اتعظ به. العبرة: الاتعاظ بما سبق.

والمناسبة بين هذه الكلمة ومعناها: اعبروا وتأملوا في تراجم السابقين، وانظروا إلى أعمالهم، و مصيرهم. أو نقل حكم المقيس عليه إلى المقيس بالعبور. مثلا: ما فعل قوم نوح؟ وكيف كان مصيرهم؟ فاتعظوا بها وتجنبوا ما فعلوا.

النعمة: سبق تحقيقها في البيت رقم: ٣٥. نَعِمَ (س) نَعَمًا ونَعمةً: لطف، ولان. نَعِمَ الرجل: حسنت حالته. النِعمة: ما يسر المرء، ومنة من الله تعالى.

مغتنم: آخذ الخير، آخذ الغنيمة. غَنِمَ (س) الشيءَ غَنْمًا: ناله، وحصَّله. اغتنم الشيءَ: عده غنيمة، واستفاد منه، الغنيمة: ما كان بلا تبعة.

الإعراب:

ومن هو: (١) عطف على (يا) في البيت السابق. والتقدير: يا خير من يمم العافون

... ويا من هو... والمعنى واضح. (٢) قيل: عطف على (مَن)، والتقدير: يا خير من يمم العافون... ومن هو... ولا يتضح كثيرا. (٣) قيل: عطف على (خير) والتقدير: يا خير من يمم العافون... ويا خير من هو النعمة الكبرى... وهذا يفسد المعنى، فإن المعنى على هذا التقدير أن غيره أيضًا آيات كبرى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلهم، مع أن المقصود أنه صلى الله عليه وسلم وحده النعمة الكبرى.

الشرح:

لمعتبر: له معنيان: (١) المتعظ. (٢) المتأمل والمتفكر؛ فإن الاتعاظ يسبقه التفكير والتأمل،فمعنى البيت الأول إذا:

(١) الذي يعيش حياته على الصراط المستقيم، ينظر في الأحاديث والتوجيهات النبوية ويتأمل فيها ويحدد له سبيله. فمن بركات توجيهاته الصافية أن الأمة التي كانت تعيش جاهلية جهلاء، لا يحكمها ملك من الملوك، حين اعتنقت توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم عادت خير الناس في الدنيا والآخرة وأكثرهم توفيقا ونجاحا.

(٢) إن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته الطيبة كفت أهل البصائر علامة عظيمة ومعجزة فاقدة النظير. فالنبي صلى الله عليه وسلم شخصيته هي التعريف بالله تعالى، ويدفع وجهه المنير إلى الاعتراف بأنه شخصية غير عادية. وعليه كان أعداؤه –حين ينظرون إلى وجهه المبارك– يندفعون إلى الشهادة بأن وجهه ليس وجه كذاب.

والحاصل أن المعجزات الكبرى التي أظهرها الله تعالى في الدنيا، أعظمها شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم. وهذه المعجزة تستمر بكامل تأثيرها متمثلة في السيرة الكاملة حتى تطلع الشمس من مغربها.

النعمة: النعمة على نوعين: (١) دنيوية: تحصيل المنافع، وتوقي المضار، ونعمة الصحة والرزق والأمن. (٢) أخروية: النجاة من النار، ودخول الجنة. وتذكر بعض الكتب ستة أقسام للنعمة. وبعضها أكثر من ذلك. والنعمة أيا كان نوعها –ترشد التوجيهات النبوية المباركة إلى طرق تحصيلها.

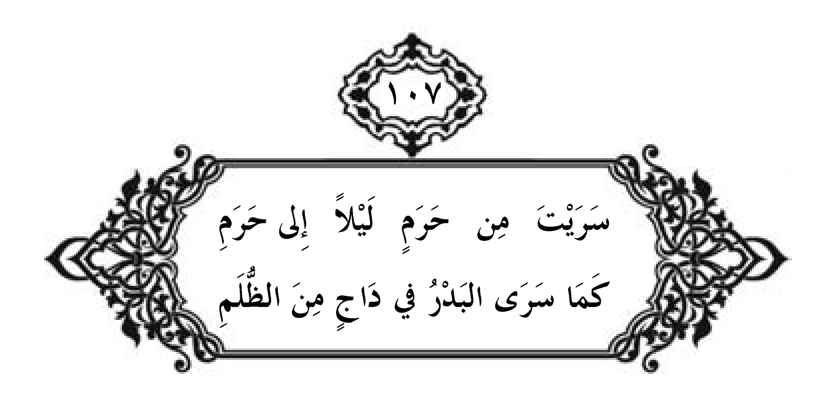
مغتَنم: الغنيمة: ما يحصل من غير تبعة من المال. فالجهاد– مثلا– الغرض منه إعلاء كلمة الله تعالى وابتغاء مرضاته. فإن حصل المال فيه كان علاوةً (Bunous). وكذلك النبي

صلى الله عليه وسلم تشرفنا به من غير سؤال أو جد، فما دعونا الله تعالى أن يمنَّ علينا بمثل هذا النبي الأعظم، فهو من نعم الله تعالى الخاصة، فهلا نقدرها.

فمن طلب غنيمة عظمى، (وقدر النعمة) فإن النبي صلى الله عليه وسلم نعمة عظمى له حقا، فإن السير على ما أرشدنا إليه، يكمن فيه فلاح الدنيا والآخرة.

انتهى بعون الله تعالى.

****



اللغة:

سرَى (ض) سَرَيًا: معناه في الأصل: السير ليلا. وسبق شيء من تحقيق الكلمة. ونسرد بعض التحقيقات لكلمتي: سرى وأسرى.

تحقيق كلمة «سرى»:

يقول عامة أهل اللغة: سرى وأسرى بمعنى واحد: السير ليلا.

يقول العلامة السهيلي (ت:٥٨١هـ): بينهما فرق؛ لأن:

(١) الروايات كلها تنص على (الإسراء) من الإفعال، ولم يرد مصدر الفعل المجرد (سرى) في رواية، فلو كانا بمعنى لورد -ولو في روايةٍ- مصدر الفعل المجرد.

(٢) القراء اتفقوا على القراءة بـــ ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾، ولم ترد قراءة بـــ(سرى).

فهذان الوجهان ووجوه أخرى تؤكد أن الصحيح أن (سرى) لازم، و(أسرى) متعدٍ. وبما أن مفعول (أسرى) يحذف كثيرا، فظن أهل اللغة أنهما بمعنى واحد.

وحذف المفعول من (أسرى بعبده) والتقدير: أسرى الدابة أو أسرى البراق بعبده. وحذف المفعول هنا للدلالة القوية على ذلك أو للاستغناء عنه؛ لأن المقصود ليس بيان حال الدابة؛ بل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

علاوة على ذلك بحث العلامة السهيلي أن النحاة تسامحوا في الباء والهمزة (همزة الإفعال) فجعلوهما بمعنى واحد في حكم التعدية، فلا فرق بين «أذهبته» و«ذهبت به»؛ لأن الباء تعطي مع التعدية طرفا من المشاركة في الفعل ولا تعطيه الهمزة فإذا قلت: قعدت به، فمعناه جعلته يقعد، ولكنك شاركته في القعود فجذبته بيدك إلى الأرض أو نحو ذلك فلا

بدّ من طرف من المشاركة، وأما أقعدته فليس كذلك. فافترقا.

ولو كانت الباء والهمزة بمعنى واحد في التعدية، لجاز أن تقول: مرضت به وأمرضته. وأسقمت وسقمت به. ويأبى الله ذلك والعالمون.(الروض الأنف ٣/٤١٢-٤١٤)

فإذا أفادت الباء معنى المصاحبة، حمل العلماء ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ على أن الألطاف الرحمانية والعنايات الإلهية شملت النبي صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة. كما نقول في أدعية السفر: «أنت الصاحب في السفر». والمراد مصاحبة رحمة الله وعنايته ونصره، وليس المراد المصاحبة الحقيقية. ثم إن عامة الناس يحملون الباء والهمزة على معنى التعدية، وحاولوا الرد على السهيلي. (راجع: شرح الزرقاني على المواهب ٦/١٠)

أثار ابن القيم رحمه الله نكتة، فقال:

سؤال: فإن قيل: فهذا المعنى يفهم من الفعل الثلاثي، لو قيل: سري بعبده، فما فائدة الجمع بين الهمزة والباء؟

الجواب: أن الثلاثي المتعدي بالباء يفهم منه شيئان:

أحدهما: صدور الفعل من فاعله.

الثاني: مصاحبته لما دخلت عليه الباء.

فإذا قلت سريت بزيد وسافرت به كان قد وجد منك السري والسفر مصاحبا لزيد فيه...، وأما المتعدي بالهمزة فيقتضي إيقاع الفعل بالمفعول فقط، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ (النحل: ٧٨)، وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الشعراء: ٥٧) ونظائره فإذا قرن هذا المتعدي بالهمزة بالمتعدي بالباء [أسرى بعبده] أفاد إيقاع الفعل على المفعول مع المصاحبة المفهومة من الباء [كما يليق بشأنه]، ولو أتى فيه بالثلاثي فهم منه معنى المشاركة في مصدره وهو ممتنع فتأمله. (راجع: بدائع الفوائد ٢/٢١٠، ٢١١)

حرُمَ (ك،ن) لم يحل. (٢) صار ذا حرمة. أي يحرم انتهاكه.

الحرم: ميقات المسجد الحرام، أي حرم بيت الله، كله (الحمى) المسجد الحرام. وحرم المسجد الحرام مكة كلها، وحرم مكة المنطقة الخاصة بحرمة الصيد واختلاء خلاها.

داجٍ: مظلم راكد ظلمته.

دجا (ن) دَجْوا ودُجُوا: اكتمل. دجا الليل: أظلم كل جانب.

داجَ (ض): المشي رويدا.

داجٍ: الليل ذو الظلام الحالك. ما انتشر ظلامه وسكن، أو الظلام الهادئ، وأظلم. سبق تحقيقه.

الإعراب:

من حرم إلى حرم: متعلق بـــ(سريت)، ليلا: مفعول فيه لـــ(سريتَ). في داجٍ: متعلق بـــ(سرى). من الظلم: صفة لـــ(داج). في داج مركب من الظلمات. ولا يخفى ما فيه من المبالغة.

الشرح:

ما وجه إيراد (ليلا) بعد (سَريتَ) ؟

حاصل الجواب:

(١) سريتَ يدل على الليل، فجرد منه. فهو تجريد.

التجريد: إرادة بعض مدلول اللفظ والإعراض عن بعض. ومعنى «سريت» ذهبت ليلا، فأطلق على مجرد «الذهاب»، وجرد من معنى «الليل»؛ لأنه سيأتي لاحقا.

(٢) «سريتَ» أريد به «ذهبت ليلا»، ثم ذكر «ليلا» فالمراد به في جزء قليل من الليل. فهي فائدة جديدة فكان تأسيسا.

سريتَ من حرم: بدأ بهذا البيت ذكر الإسراء والمعراج. وقصة المعراج طويلة الذيل، فصّل أهل العلم كافة نواحيها تفصيلا، ومنهم من أفرد به في كتاب. ولا يسعنا الإحاطة بتفاصيلها كلها، فنوضح الناحية التي يرد ذكرها أو يشير إليها الناظم في كلامه، وننهي هذا الفصل بذكر بعض المهمات. والله الموفق لكل خير.

ما المعراج؟

بالبساطة هي قصة لم تحدث في التاريخ الإنساني إلا مرة واحدة، ومعجزة عظمية اختص بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

أخرج الله تعالى القدير محمدا صلى الله عليه وسلم بجسده في اليقظة، إلى السماوات، وأراه عجائب قدرته. ولذا بدأها الله تعالى بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ﴾، كيلا

يعدها قصير النظر مستحيلة. ولا تعجز قدرة الله تعالى ومشيئته عن شيء مهما استغربه عقولنا القاصرة.

الإسراء والمعراج:

الإسراء: هو المسافة الأرضية، والمعراج هو المسافة السماوية. أي يطلق على السفر من مكة المكرمة إلى بيت المقدس «الإسراء»، وعلى السفر من بيت المقدس إلى السماوات «المعراج»، وإن أطلقنا المعراج أو الإسراء على السفر كله في الكلام العادي.

تاريخ هذه الرحلة:

متى كانت هذه الرحلة؟ فيه أقوال، قال الحافظ ابن حجر: فيه أكثر من عشرة أقوال: «فإن في ذلك اختلافا كثيرًا يزيد على عشرة أقوال». (فتح الباري ٢٠٣/٧)

على أصح الأقوال: في السنة الحادية عشرة من النبوة، وقبل الهجرة بنحو عام واحد. كما اتفق عليه الأقوال الثمانية الأول. و ردّ المحققون من العلماء القول بأنها وقعت قبل الهجرة بثلاث سنوات أو خمس سنوات، وأجابوا عن استدلالات هذين القولين، و لم يسلموهما. أي المقدمات التي ينبي عليه هذا القول غير مسلمة بنفسها، فأنى تؤدي إلى نتيجة صحيحة؟ (فتح الباري ٢٠٣/٧؛ شرح الزرقاني ٣٠٧/١)

الشواهد والقرائن:

وقوع هذه القصة في السنة الحادية عشرة من النبوة هو قول أكثر أهل العلم. ولهذا القول قرائن، منها: (١) توفيت خديجة قبل فرض الصلوات الخمس. (٢) مما لا خلاف فيه أن خديجة كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في شعب أبي طالب. (٣) ومن المعلوم أن النبي صلى الله وسلم وأصحابه خرجوا من شعب أبي طالب في السنة العاشرة من النبوة. فهذه المقدمات مجموعة تدل على أن واقعة المعراج كانت في شهر من الشهور بعد السنة الحادية عشرة من النبوة وبعد رحلته صلى الله عليه وسلم إلى الطائف.

الشهر:

فيه خمسة أقوال: (١) ربيع الأول. (٢) ربيع الآخر. (٣) رجب. (٤) رمضان. (٥) شوال. والمشهور أنها وقعت في ٢٧/رجب. وهذا ما ذهب إليه العلامة عبد الغني

المقدسي والعلامة ابن عبد البر. وفي بعض الكتب: إليه مال الإمام النووي.وحكى بعضهم عن النووي أنها كانت في ربيع الأول.

التعامل:

قال ابن عطية فيمن ذهب إلى ٢٧/رجب: إذا اختلف السلف في شيء، ولم يوجد ما يرجح أحد الأقوال، فما عمل به الناس، وتلقوه بالقبول كان ذلك دليلا على رجحانه.(شرح الزرقاني ١/٣٠٨)

اليوم:

فلو ذهبنا إلى التاريخ واعتبرنا به لوصلنا إلى أنها وقعت يوم الاثنين.(سبل الهدى والرشاد)

من حرم:

بداية السفر:

أطلق الناظم في ذكر محل بداية السفر كلمة لا شبهة واعتراض فيها. وبما أن الروايات اختلفت في المكان الذي ابتدأ منه هذا السفر، ومنها: عند البيت، في الحطيم، في الحجر، فُرِج سقف بيتي، بيت أم هانئ، شعب أبي طالب وغيرها، ولا تتعارض هذه الروايات كثيرا، وجمع المحدثون وأصحاب السير فيها، ولكن كلمة «حرم» الواردة في البيت تعم هذه الروايات كلها. (للجمع بينها راجع: شرح الزرقاني ٦/ ٢٠-٢١؛ فتح الباري ٧/٢٠٤)

ليلا: كان هذا السفر ليلا، ذكر العلامة القسطلاني فيه أربعا من الحكم.

والتشبيه الذي ذكره الناظم في قوله: «كما سرى البدر في داجٍ من الظلم» يتجلى منه حكمة، هي: أن النبي صلى الله عليه وسلم مثل القمر، والقمر يطلع ليلا، أو نقول: النبي صلى الله عليه وسلم مصباح، والمصباح يضيء ليلا.

ورد في الشعر العربي أن رجلا قال لحبيبه: ما لك لا تزور إلا ليلا؟ وما الحكمة فيه؟ فأجاب: (١) أنا مثل القمر، وهو لا يطلع إلا ليلا. فلا أنسى هذه العادة. (٢) ومن فوائد زيارتي في الليل أنه يشرق من أجلي.

قال الشاعر:

قلتُ: يا سيدي تؤثر الليـــ ۞ ـــل على بهجة النهار المنير

قال: لا أستطيع تغيير رسمي ۞ هكذا الرسم في طلوع البدور
إنما زرت في الظلام لكي ما ۞ يشرق الظلام من أشعة نور

هذا البيت لسعيد بن إبراهيم المعروف بابن التستري. (معجم الأدباء ١٣٨/٣؛ شرح الزرقاني ٩/٦؛ شعراء النصرانية ٢٥٢/٩)

المعراج بجسده:

سريتَ: أخذ من هذه الكلمة أن المعراج كان يقظة وبالروح مع الجسد. وفيه تفصيل كثير نشير إلى بعض جوانبه:

اتفق جمهور السلف والخلف على أن المعراج كان بالروح مع الجسد، قال ابن كثير: «فالأكثرون من العلماء على أنه أسري ببدنه وروحه يقظة لا مناما».(تفسير ابن كثير٣/٢٧)

الأدلة والشواهد:

(١) «سبحان الله» يذكر عند العجائبات، لتنْزيه الله تعالى عن التعجب. فبدأ القصة بـــ«سبحان الله»، وهذه الكلمات تطلق عند التعجب. ومن الواضح أن الذهاب إلى السماوات بالبدن والعودة منها من آيات القدرة العظيمة، ويثير العجب أيضًا، وليس رؤية الشيء في المنام مما يبعث على العجب؛ فإن المرء يرى في المنام أي شيء.

(٢) يطلق «أسرى» على الروح مع الجسد، وحيث وردت هذه الكلمة في القرآن دلت على هذا المعنى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ (هود: ٨١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا ﴾ (الدخان: ٢٣)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى ﴾ (طه: ٧٧)

(٣) قوله ﴿ بِعَبْدِهِۦ ﴾ يدل على الروح مع الجسد. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ (الجن: ١٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ ﴾ (العلق: ٩ – ١٠)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ (الزمر: ٣٦)

(٤) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾ (النجم: ١٧ – ١٨)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ (النجم: ١١)

يؤخذ منه أيضا أن القصة وقعت مع البدن. فإن البصر من آلات الذات، وليس من

آلات الروح، وفيه بيان لقوة ثبات الرسول صلى الله عليه وسلم خلال هذه القصة، وهو أنه رأى ما أمر برؤيته كل الرؤية، و لم يمد عينه إلى ما لم يؤمر برؤيته حتى أمر بذلك.

(٥) التفاصيل التي ذكرتها الأحاديث لهذه الرحلة، ومنها: شرب اللبن، وركوب البراق ونحو ذلك؛ هذه التفاصيل كلها شاهدة بأن المعراج كان بالجسد.

(٦) ولو كان رؤيا منام لم يكذبه الكفار، ولما كان تصديق المسلمين به (وخاصة تصديق أبي بكر به) جالبا للثناء عليهم؛ فإن المرء يدعي أنه رأى ما شاء في المنام، ولا يكذبه أحد. و لم يكن حينئذ من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم العظيمة.

(٧) دلت الأحاديث أن المشركين احتجوا على رد هذه القصة بأنه إذا كانت دعوى محمد صلى الله عليه وسلم صحيحة فليذكر لنا تفاصيل بيت المقدس؛ لأنهم كانوا على علمٍ بأنه لم يقم بزيارة بيت المقدس أبدا، فرفعت الحجابات عن النبي صلى الله عليه وسلم، فشاهد كل شيء فيه و ردَّ على أسئلة المشركين كلها ردا صحيحا.

فعلم منه أن المشركين كانوا يرون أنه صلى الله عليه وسلم يتحدث عن المعراج في اليقظة وبجسده العنصري هذا، و لم يرد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يتحدث عن المنام. (انظر روايات في هذا المعنى في: صحيح البخاري، باب حديث الإسراء، وباب قوله: أسرى بعبده ليلا؛ مصنف ابن أبي شيبة، حديث المعراج حين أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم٢٠/٢٤٧-٢٤٨؛ مسند أحمد، رقم:٢٣٢٨٥؛ الأحاديث المختارة للمقدسي١٠/٣٩، ٤٣)

(٨) عن شداد بن أوس أنه قال صلى الله عليه وسلم: «فأتاني أبوبكر، فقال: يارسول الله، أين كنت؟ فقد التمستك في مكانك».(البيهقي)، وفي الروايات: «التمستك في مظانك». (الطبراني)، (للاستزادة من هذه القصة راجع: دلائل النبوة للبيهقي ٢/٣٥٦؛ المعجم الكبير للطبراني ٧/٢٨٢؛ دلائل النبوة للأصفهاني (قوام السنة، ت:٥٣٥هـ)، ص ١٤٤؛ تاريخ الإسلام للذهبي ١/٢٤٣).

وقصة أبي بكر رضي الله عنه هذه أوضح دليل على أن المعراج كان ببدنه وفي اليقظة، علاوة على ذلك سرد تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، والدر المنثور وغيرها من الكتب عدة روايات عن مختلف الصحابة مختصرة ومفصلة في المعراج في تفسير آية الإسراء. وفي هذه الروايات كثير مما يدل على أنه المعراج كان بجسده.

ذهبت المعتزلة ومن تابعهم إلى أن المعراج كان مناما لا يقظة. (ونسب هذا القول إلى عائشة ومعاوية رضي الله عنهما). قال الإمام الغزالي: «وزاد المعتزلة عليهم... وأولوا

المعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد».(قواعد العقائد، ص ١٣٧)

دراسة مذهب المعتزلة:

درس بعض العلماء المعاصرين مذهب المعتزلة في هذا الصدد، وقالوا: لا يوجد تصريح في كتب المعتزلة بأن المعراج كان مناما، بل تذكر السفر من مكة إلى بيت المقدس، ثم لا تذكر سفرا آخر، لا بالإثبات ولا بالنفي؛ لأن بعض الروايات في قصة المعراج يرونه يعارض مذهبهم.

قال العلامة أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى ٥٥٨هـ) في كتابه «الانتصار في الرد على المعتزلة والقدرية الأشرار»: «وقد أنكر المعتزلة والقدرية الإسراءَ، وقالوا: إنما كان ذلك رؤية في المنام».

وقال الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف في حاشيته: «مراده بذلك المعراج؛ لأنه يطلق عليه اسم الإسراء. فقد ترجم البخاري في كتاب الصلاة (باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء)، وكذلك النووي في شرح مسلم، في كتاب الإيمان حيث ترجم بـ (الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات).

والمعتزلة يثبتون الإسراء من مكة إلى بيت المقدس بالجسد والروح، فإن القاضي عبد الجبار المعتزلي قال في كتابه «تثبيت دلائل النبوة» ما نصه في بيان المعجزات الحسية: «إنه صلى الله عليه وسلم أسري به في ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عاد من ليلته إلى مكة، ومدة السفر في ذلك مقدار شهرين أي ذهابا وإيابا. وهذا لا يفعله الله إلا للأنبياء في زمن الأنبياء».(تثبيت دلائل النبوة ٤٦/١) فقد صرح هنا بأن الذهاب إلى المسجد الأقصى يحتاج لشهرين، وهذا بالطبع خاص بالجسد والروح، وقد بين هنا أيضا أن الله خرق العادة للنبي صلى الله عليه وسلم فذهب وعاد من ليلته، فلو كان يرى أن الإسراء كان مناما لم يجعله من دلائل النبوة؛ لأن المنام يقع فيه مثل هذا وأكثر، للأنبياء وغيرهم؛ فإنهم لا يثبتونه ولا يصرحون بعدم وقوعه، فقد قال القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه المغني (٤١٩/١٦) في الكلام على المعجزت...الخ.

وأثبت أبو الحسن أحمد بن الحسين الهاروني الزيدي (ت٤٢١هـ)- صاحب كتاب

إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم- في كتابه الإسراءَ إلى بيت المقدس وأغفل الكلام عن المعراج.

والذي يظهر أن إغفالهم للمعراج ليس سببه عدم ثبوت نصوصه؛ لأنهم أثبتوا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ما هو أقل شهرة وأضعف إسنادا من قصة المعراج؛ لأن قصة المعراج ثابتة متواترة كما سيأتي بيان المصنف لذلك، وإنما السبب لإغفالهم المعراج أن فيه إثباتا لأمور ينكرونها...

وقد عزا الإسفرائيني (أبو المظفر شهفور بن طاهر الشافعي، المتوفى:٤٣١هـــ) في «التبصير في الدين» (ص٦٦) إلى المعتزلة إنكار المعراج، وأن هذا من الأمور التي أجمعوا عليها، وتابعه على هذا صاحب «فرق وطبقات المعتزلة» عبد الرحمن بن أحمد المعروف بـــ القاضي عبد الجبار، المتوفى ٤١٥هـــ، وانظر: ص ١٣٤.

و لم أقف على من عزا إليهم القول بأن المعراج كان مناما، فلعل المصنف رحمه الله وقف على شيء من هذا؛ لأن القول بأن المعراج كان مناما لا يورد عليهم ما ينكرونه من الصفات وغيرها، فلعلهم قالوا به، والله أعلم. (الانتصار في الرد على المعتزلة والقدرية الأشرار٢/٦٥١)

شبهات القائلين بأن المعراج رؤية في المنام، وكشفها:

من هذه الشبهات ما يثيره المنكرون للمعراج على الإطلاق:

الشبهة الأولى: «الرؤيا» الواردة في الآية تدل على أنه منام:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ (الإسراء: ٦٠) في الآية إشارة إلى قصة المعراج، وأطلق عليها «الرؤيا»، وهو بمعنى المنام. فعلم أن المعراج كان مناما.

الجواب:

(١) ليس المراد بالرؤيا قصة المعراج، بل رؤيا دخوله مكة المكرمة، وإنما سمي فتنة؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما حبسوا عن دخول مكة يوم الحديبية، فقيل: ما بال رؤيا دخوله مكة المكرمة؟ وثمة أقوال أخرى في تحديد الرؤيا، منها ما لا يوثق به، و لم يرد بسند صحيح.

(٢) و لو كان المراد بها قصة المعراج، فلا إشكال فيه؛ لأن المراد بالرؤيا هو الرؤية

أي بالعين، ولا في المنام. وسرد المفسرون في تفسير هذه الآية عن عدد من الصحابة والتابعين أقوالهم التي تصرح بأن المراد بالرؤيا مشاهدة عجائبات القدرة في رحلة المعراج.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: «هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به، وليست برؤيا منام».(تفسير الطبري ٤٨٠/١٧)

رواه ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري وأبي مالك ومسروق وإبراهيم النخعي، وقتادة وابن جريج وغيرهم.

ووصفت هذه الرحلة بالفتنة؛ لأن المشركين لم يؤمنوا بأن هذه المسافة الطويلة يمكن قطعها في هذه المدة اليسيرة، فقوله: ﴿فِتۡنَةٗ﴾ أيضا تشير إلى أن المعراج كان يقظة، وإلا لم يكن للفتنة معنى.

وتفسير الآية هذا يوافق اللغة بجانب موافقته للأحاديث المروية في هذا الصدد، وقد وردت «الرؤيا» بمعنى رؤية العين كثيرا في كلام العرب. نكتفي بمثالين: قال أبو الطيب:

مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضي ۞ ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

قاله المتنبئ ثناء على بدر بن عمار الأسدي، والمراد بالرؤيا الرؤية حال اليقظة.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن المتنبئ أخطأ في ذلك، فإن الرؤيا لا تطلق إلا على المنام. ورده المحققون منهم، وقالوا: (١) الرؤيا تطلق على المنام واليقظة كليهما. (٢) كان المتنبئ ماهرا في اللغة العربية. (٣) و لم يتفرد المتنبئ بهذا الإطلاق، فقد أطلق كثيرون غيره الرؤيا على الرؤية حال اليقظة. ومن الأمثلة على ذلك:

قال الراعي:

فكبّر للرؤيا وهاش فؤاده ۞ وبشّر نفسا كان قبل يلومها

(ديوان الراعي النميري، ص ١٨٣؛ فتح الباري ٣٩٨/٨)

وفي بعض الكتب: «وبشَّر قلبا كان جمًّا بَلابِلُه».(الروض الأنف ١٩٠/٢)

رأى الصياد الصيد فكبَّر، ففرح، وكان يراوده الشك في نيله من عدمه، فلما أدركه طار فرحا. فلا يخفى أن التكبير على رؤية الصيد لا يكون حال النوم؛ بل حال اليقظة. فالرؤيا في البيت محمولة على الرؤية في اليقظة. وهذا البيت لشاعر جاهلي شهير اسمه عبيد بن الحصين بن معاوية البصري الراعي النميري (المتوفى:٩٠هـ)، وهو عربي خالص،

وليس سند أوثق لكلام العرب من شعراء الجاهلية.

وعلى كل حال، فحاصل ما قلنا أن الرؤيا محمولة على المشاهدة بالعين في اليقظة.

الشبهة الثانية: الاستدلال بما روي عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما:

روي عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما أن المعراج كانا منامًا.

قال ابن إسحاق: حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: «ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولكن الله عزو جل أسرى بروحه». (السيرة النبوية لابن إسحاق، ص ٢٩٥)

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كانت رؤيا من الله تعالى صادقة».(سيرة ابن هشام١/٤٠٠)

الإجابة عما روي عن عائشة رضي الله عنها:

(١) لم يثبت إسناده، وفيه جهالة. فبعض آل أبي بكر مجهول، لا يُدرى من هم؟

(٢) يقول العلامة ابن دحية الكلبي (أبو الخطاب عمر بن حسن المتوفى عام ٦٣٣هـ) في كتابه «التنوير في مولد السراج المنير»: «إنه موضوع عليها».

وقال في كتابه الخاص بموضوع المعراج: وضعه واضع ردًّا للحديث الصحيح في المعراج. قال إمام الشافعية القاضي أبو العباس بن سريج (المتوفى: ٣٠٦هـ): «هذا حديث لا يصح، وإنما وضع ردًّا للحديث الصحيح». وقال قوام السنة العلامة أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصفهاني (المتوفى: ٥٣٥هـ): «هذا حديث موضوع». (الحجة في بيان المحجة١/٥٤٠)

(٣) ولو سلمنا صحته فرضًا، فالجواب عنه أن المعراج وقع قبل الهجرة، ولم تكن عائشة يومئذ مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلا بد أنها سمعت من غيرها وروت عنه، فلا يدرى أ ثقة هو أم لا؟ فقد وردت أحاديث صحيحة عديدة بأن المعراج كان بالروح مع الجسد.

(٤) ولوسلمنا أنه صحيح، فنؤوله تأويلا صائبا. كما قال الحافظ ابن كثير رحمه

الله: «وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أن جسده صلى الله عليه وسلم ما فقد، وإنما كان الإسراء بروحه، أن يكون مناما كما فهمه ابن إسحاق؛ بل قد يكون وقع الإسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم، وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعاين ما عاين حقيقة ويقظة لا مناما.

لعل هذا (أي: الإسراء بالروح، لا في المنام، وليس فيه نفي إسراء الجسد) مراد عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ومراد من تابعها على ذلك، لا ما فهمه ابن إسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام».(السيرة النبوية لابن كثير ٢/١٠٥)

ومثل ذلك قاله العلامة التفتازاني: «والمعنى ما فُقِدَ جسده عن الروح؛ بل كان مع روحه، وكان المعراج للروح والجسد جميعا».(شرح العقائد النسفية، ص ١٤٤)

ويؤيد ذلك أن حديثا مفصلا يرويه أصحاب السير عن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأم سلمة، وعائشة، وأم هانئ، وغيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يصرح بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غاب عن بيته يومذاك.

قال ابن سعد: أنا محمد بن عمر الأسلمي... عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده... وحدثني موسى بن يعقوب... عن أم سلمة... قال موسى: وحدثني أبو الأسود عن عروة عن عائشة... قال محمد بن عمر: وحدثني... عن أم هانئ... وحدثني... عن ابن عباس. وغيرهم أيضا. قد حدثني... ثم ساق الحديث بطوله، إلى قوله: «فُقدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، فتفرقت بنو عبد المطلب يطلبونه ويلتمسونه».(الطبقات الكبرى ١/٢١٣-٢١٤؛ ومثله في: الخصائص الكبرى ١/٢٩٥؛ وتاريخ الإسلام للذهبي ١/٢٧١-٢٧٢)

(٥) قال القاضي عياض: ومن الجدير بالذكر أنه صح عن عائشة أنها كانت تنكر الرؤية البصرية في المعراج، ومما يؤيد ذلك أنها كانت تقول بالمعراج بالجسد، نعم كانت تنكر الرؤية البصرية، فلوكان المعراج عندها مناما لم يكن لإنكار الرؤية البصرية معنى. (شرح الشفا للخفاجي ٢/٢٨٤)

ولم يذكر أحد أن عائشة قطعت الكلام بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسري به حين تحدثوا عن رؤية الله تعالى فضلا عن رؤيته إياه. وهذه نكتة يسيرة، فلو أن عائشة أنكرت المعراج بالجسد لم يفتها ذكرها والإشارة إليها.

الجواب عما روي عن معاوية رضي الله عنه:

(١) لا يصح؛ لأن المحدثين اتفقوا على أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة (المتوفى: ١٢٨هـ) لم يثبت لقاؤه معاوية رضي الله عنه، ويروي عن التابعين عامة، فلا بد أنه سقط راوٍ من الرواة بين يعقوب بن عتبة ومعاوية رضي الله عنه. ولا يدرى من هو؟ فالرواية منقطعة.

(٢) ولو صحت الرواية عنه، فلا يحتج بها؛ لأن معاوية لم يكن آمن يومذاك.

(٣) ولو صحت الرواية فلا إشكال؛ لأن معاوية لم يطلق على هذه الرحلة «المنام»؛ بل جعلها رؤيا. وليس المراد به المنام، بل رؤية العجائب والغرائب بالعين. كما مر تفصيل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ﴾.

خلاصة تحقيق أحمد شاكر:

سلط المحدث الشهير الشيخ أحمد محمد شاكر (المتوفى: ١٣٧٨هـ) في محاضرة له بعنوان «الإسراء والمعراج» الضوء على بعض الأمور الخاصة بالمعراج، وتكلم فيما روي عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما، وخلاصته فيما يلي:

(١) كلام ابن إسحاق: «فالله أعلم أي ذلك قد كان (نائما أويقظان)» ثم الاستدلال بهذين من قبل السلف على ذلك أول كلام من نوعه، ولم يوجد مثله عند السلف قبل ابن إسحاق. (مع أنه من المعجزات الهامة).

(٢) وأما إسناده، فإن يعقوب بن عتبة لا يروي إلا عن التابعين، ولم يصح روايته عن معاوية رضي الله عنه، وكل واحد منهما منقطع الإسناد وراويهما مجهول. ولم أجد إسنادا له رغم البحث الكثير.

(٣) ثم إن ابن إسحاق –رغم روايته ذلك– لم يقطع بشيء، ولم ينفِ أنه حدث في اليقظة.

(٤) و ردَّ عليه ابن جرير وغيره في تفسيرهم بشدة.

(٥) روي عن عائشة نفسها ما يدل على أنها كانت تقول بوقوعه يقظة.

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم

إلى المسجد الأقصى، أصبح يحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به و صدقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أسري به الليلة إلى بيت المقدس...؟ قال: نعم،... فلذلك سمي أبوبكر».(المستدرك على الصحيحين، رقم:٤٤٠٧، ٤٤٥٨؛ دلائل النبوة ٣٦١/٢؛ مصنف عبد الرزاق ٣٢٨/٥؛ وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي).

فعُلمَ أن عائشة تقول: أسفرت قصة المعراج عن تصديق بعض وإنكار بعض. وسمي أبوبكر به؛ لأنه صدق بها من غير تردد، ولو كان ذلك مناما عند عائشة لما كان للتصديق والتكذيب معنى. (مجلة المنار، المجلد (٣٥)، رجب سنة ١٣٥٩هـ، الإسراء والمعراج).

لا يصح ما جاء أن الصحابة ارتدوا بعد سماع قصة المعراج:

وحديث عائشة رضي الله عنه لا يصح سندًا ومتنًا وإن صححه الحاكم والذهبي. وأما إسنادًا فلأن فيه راويًا اسمه محمد بن كثير الصنعاني قال فيه الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب»: «صدوق كثير الغلط». وعلّق عليه الشيخ شعيب الأرناؤوط والشيخ بشار عواد: «بل ضعيف، يعتبر به في المتابعات والشواهد، فقد ضعفه أحمد جدًّا، وقال البخاري: لين جدا. وقال أبو داود: لم يكن يفهم الحديث. وقال في موضع آخر: هو دون بقية. وقال النسائي وأبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي. وضعفه ابن المديني والعقيلي. ووثقه الحسن بن الربيع و ابن سعد. وقال صالح جزرة: صدوق كثير الخطإ، وقال ابن معين: ثقة. وقال مرة: صدوق. وقال أبو حاتم: كان رجلا صالحا.. .وفي حديثه بعض الإنكار. وقال ابن عدي: له روايات عن معمر والأوزاعي خاصة عداد لا يتابعه عليها أحد».(تحرير تقريب التهذيب ٣١١/٣)

وأما متنا فلا يصح لأن قصة الإسراء والمعراج كانت في السنة الحادية عشرة قبل الهجرة من مكة المكرمة، وهو أول عهد الإسلام، الذي بلغ من أسلم فيه من الرسوخ في الإيمان والقوة فيه ما يستحيل معه أن يتطرق إلى إيمانهم ذرة من شك رغم المصائب الكبرى التي كانوا يتعرضون لها، فضلا عن الارتداد عن الإسلام. وكتب تراجم الصحابة مليئة بمثل هذه الأحداث، ولا يسعنا تفصيله.

وسبق أن سردنا عن دلائل النبوة للبيهقي رواية لم تذكر ارتداد الصحابة.

الشبهة الثالثة: حديث: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان:

من الشبه أنه ورد في بعض روايات قصة المعراج: «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان».(صحيح البخاري،رقم:٣٢٠٧،باب ذكر الملائكة)، وفي نهاية رواية شريك: «واستيقظ وهو في المسجد الحرام».(صحيح البخاري، رقم:٧٥١٧) فعلم أن المعراج كان مناما.

الجواب:

(١) هذا وهم من الراوي، وفي رواية شريك أوهام أخرى غير هذا الوهم، نبه عليه المحدثون. ولا يصح ما تفرد به شريك. قال المحدثون: روى حديث المعراج جماعة من حفاظ الحديث، وهم أئمة مشهورون، منهم: ابن شهاب، وثابت البناني، وقتادة وغيرهم؛ وليس في رواية أحد منهم ما رواه شريك. فالراجح منها الروايات التي تنص على أن المعراج كان يقظة.

(٢) هذا بيان لأول ما كان عليه صلى الله عليه وسلم، أي كان نائما، فأيقظه، وأخذه معه. كما في رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «إذ أتاني آتٍ فأيقظني... حتى خرجت من المسجد». (دلائل النبوة للبيهقي ٣٩٠/٢؛ وذكره جمع من المفسرين منهم الطبري، وابن كثير، والسيوطي في أول سورة الإسراء)

وحديث البخاري الذي يوهم أن المعراج كان مناما، لم يرد في شيء منه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان نائمًا خلال ما حدث.

وفي نهاية القصة ورد أنه استيقظ عند المسجد الحرام، فمعناه أنه لما عاد من رحلة المعراج على الكرة الأرضية قضى بقية الليل في المسجد الحرام، واستيقظ كالمعتاد صباحا. (العلامة القرطبي)

وقال القاضي عياض والحافظ ابن حجر وغيرهما: كان قلبه صلى الله عليه وسلم مشتغلا في مشاهدة عجائب الملكوت وعالم الآخرة، واكتمل السفر وعاد إلى عالم البشرية حين وصل إلى المسجد الحرام.(شرح الشفا للخفاجي٧٨/٢؛ فتح الباري ٢٠٤/٧)

وأجاب عنه الحافظ ابن كثير جوابا مماثلا، وقال: يطلق اليقظة على الانتقال من حال إلى حال. كما في قصة الطائف: «فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب». (صحيح البخاري، رقم:٣٢٣١؛ صحيح مسلم، رقم :١٧٩٥)

الشبهة الرابعة: لا يمكن الخرق والالتئام في الأجرام السماوية:

لا يمكن الخرق والالتئام، أي: لو سلمنا أنه صلى الله عليه وسلم عرِجَ به بجسده لاستلزم ذلك الخرق والالتئام في الأجرام السماوية، والنظام الإلهي المحكم فوق ذلك؟

الجواب:

١- لا دليل على امتناع الخرق والالتئام. فهي عقيدة مزعومة. والله تعالى قادر على الخرق واللاالتئام ما دام هو قادر مطلق. وحيث إن السماوات لها أبواب فلا داعي إلى الخرق والالتئام.

٢- هذا النظام كله قائم بأمره سبحانه، وأي عيب لوحدث الخرق والالتئام بأمره سبحانه.

وطعنوا بمثل ذلك في معجزة انشقاق القمر، وسبق تفاصيل هذا الطعن والجوابات عنه في شرح البيت رقم: ٧٥.

يا للعجب! يذهب منكروا المعراج إلى استحالة الخرق والالتئام، وهم يقرون به في غيره من الأشياء، بل بوقوعه، فمثلا يقول النصارى:

(١) جاء في «حنوك» -ولد قبل عيسى عليه السلام بـــ (٣٣٨٢) سنة- أنه صعد إلى السماء بجسده. (راجع: الكتاب المقدس،كتاب الولادة، باب ٥، الآية:٢٤، عن طريق الأولياء وليم اسمث (WILLIAM SMITH

(٢) رفع إيلياء حيًّا إلى السماء. (كتاب السلاطين الثاني، الباب:٢، الآية :١)

(٣) رفع اليسوع –عيسى عليه السلام- إلى السماء، وأقعد عن يمين الله تعالى.(إنجيل مرقس، باب :١٦، الآية:١٩)

(٤) اختطف رجل مقدس إلى السماء الثالث والفردوس. (الرسالة الثانية إلى كورنتوبس، باب:١٢، الآيات: ٢-٤، ورد فيه ذكر كيفية الصعود إلى السماء)

هذا كله يعترف به النصارى، فلا يسعهم أن يطعنوا في معراج النبي صلى الله عليه وسلم عقلا أونقلا.

قصة طريفة:

وإليكم في نهاية البحث قصة طريفة، حكاها الشيخ رحمت الله الكيرانوي: « قال جواد بن ساباط في البرهان السادس عشر من المقالة الثانية من كتابه أن القسيس

كياروس سألني في حضور المترجمين: ماذا يعتقد المسلمون في معراج محمد صلى الله عليه وسلم؟ قلت: إنهم يعتقدون أنه سار من مكة إلى أورشليم ومنه إلى السماء. قال: لا يمكن صعود الجسم إلى السماء. قلت: سألت بعض المسلمين عنه فأجاب أنه يمكن كما أمكن لجسم عيسى عليه السلام. قال القسيس: لِمَ لَمْ تستدل بامتناع الخرق والالتئام على الأفلاك؟ قلت: استدللت به لكنه أجاب أنهما ممكنان لمحمد صلى الله عليه وسلم كما كانا ممكنين لعيسى عليه السلام. قال القسيس: لِمَ لَمْ تقل: إن عيسى إله، له أن يتصرف كيف يشاء في مخلوقاته؟ قلت: قد قلت ذلك لكنه قال: إن ألوهية عيسى باطلة؛ لأنه يستحيل أن يطرأ على الله علامات العجز كالمضروبية والمصلوبية والموت والدفن. انتهى.(بحث الخرق والالتئام كله مستقى من إظهار الحق، وراجع أيضا: إعلام الفئام، ص١٠٠-١٠١، من التوراة إلى القرآن ٣/١١٨-١٢٠).

الشبهة الخامسة: وجود الطبقة النارية:

لا يمكن الدخول إلى السماوات- وإن أمكن الخرق والالتئام-؛ لأن دون السماء طبقة نارية، وهي حارة جدا، وطبقة زمهريرية وهي باردة جدا، ومرور البشر بها مهلكة له.

الجواب:

١- الحرارة والبرودة ليستا من الصفات الذاتية للشيء، هي كلها خلق الله تعالى، فله أن يزيل عنه هذه الصفات متى شاء،كما أزال صفة القطع من السكين في حق إسماعيل عليه السلام.

٢- والله تعالى قادر على أن يحفظ البشر رغم وجود هاتين الطبقتين؛ لأنه قادر مطلق. كما حفظ إبراهيم من النار.

٣- وجود الطبقة النارية والزمهريرية تحت السماء من معتقدات الفلاسفة المزعومة والباطلة، ولا يؤمن بها إلا فلاسفة اليونان. (إعلام الفئام، ص١٠١).

الشبهة السادسة: يستحيل قطع هذه المسافة الطويلة في هذه المدة القصيرة:

الجواب:

(١) جعل الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم قادرا على أن يقطع هذه المسافة بسرعة فائقة، وقد حدث أمثال ذلك لغيره من الأنبياء عليهم السلام، منها:

١- ثبت نزول آدم عليه السلام حيا من الجنة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ (البقرة: ٣٨)

٢- دل الكتاب والسنة على رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ونزوله منه مثله تمامًا.

٣- سخر الله تعالى لسليمان الريح، فكانت تقطع في يوم واحد مسافة شهرين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ (سبأ: ١٢)

٤- جاء آصف بن برخيا- أحد أصحاب سليمان عليه السلام- بعرش بلقيس في اليمن (مأرب) إلى سليمان عليه السلام في الشام، والمسافة بينهما ألفان وخمسة مئة كيلو على أقل تقدير. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ (النمل: ٤٠)

(٢) يقول علماء الطبيعة في العصر الحاضر: إن السرعة صفة من الصفات، لا يمكن تحديدها، فمثلا: ١- بلغنا قبل أربعين سنة أن مسافرا فضائيا وصل إلى الفضاء بسيارته الصناعية، وجاب العالم كله خلال عشرين دقيقة من الفضاء. (مستفاد من «من الكتاب المقدس إلى القرآن» ٣/١١٧).

هذا فيما يخص الرحلة الفضائية، ولنسمع تقرير طائرة تطير مثل الطائرات العادية:

مثال: ٢- تم اختبار أكثر الطائرات سرعة في أغسطس عام ٢٠١١م، اسمها: (FOLCON HTV/2 HIGHPER SONIC JET) وسرعتها ١٣/ ألف ميل في ساعة واحدة (نحو عشرين ألف كيلو). وهذه السرعة تفوق سرعة عامة الطائرات بعشرين مرة. والطائرة العادية تقطع مسافة ٨٠٠ كيلو في ساعة واحدة.

مثال: ٣- يقول علماء الطبيعة: سرعة الضوء (١٨٦٠٠٠ميلا/٣٠٠٠٠٠ كيلو في ثانية واحدة.

(٣) لا يصح قياس هذه الرحلة على الرحلات العادية؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أسري به على البراق، والبراق من البرق وهو الضوء. كأن القوة الملكية تجلت في البراق، فتم قطع هذه المسافة بسرعة فائقة جدا. وسبق بيان سرعة البرق آنفا، فقدروا بها.

(٤) يقول الشاه ولي الله رحمه الله: «قد يضفي الله تعالى على الجسم خصائص

الروح، ومن خصائص الروح أن سرعتها لا يمكن تحديدها، فإذا أصبح الجسد كالروح، فلا يمكن تحديد سرعته، يقول الشاه ولي الله: «وأسري به إلى المسجد الأقصى، ثم إلى سدرة المنتهى، وكل ذلك بجسده في اليقظة، ولكن ذلك في موطن هو برزخ بين المثال والشهادة جامع لأحكامهما، فظهر على الجسد أحكام الروح، وتمثل الروح والمعاني الروحية أجسادا، ولذلك بان لكل واقعة من تلك الوقائع تعبير». (حجة الله البالغة ٣٦٥/٢، سير النبي صلى الله عليه وسلم)

(٥) الأجسام العلوية جاذبة، اتجهت جاذبية السماء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأمر من الله تعالى، وجذبته إليها. (راجع أيضا: أبحاث المفسرين المفصلة في بداية سورة الإسراء)

جواز المعراج عقلا:

من البحوث المتعلقة بالمعراج وقوعه عقلا ونقلا، فقدَّم العلامة الرازي مقدمتين على جوازه عقلا: المقدمة الأولى: هذه الحركة السريعة ممكنة في ذاها، ثم ذكر له سبعة وجوه. والمقدمة الثانية: فإذا أمكنت في ذاها، فلا مانع من جوازها في حق النبي صلى الله عليه وسلم. كما كشف الرازي الشبهات الواردة عليه عقلا. (تفسير الرازي: أول سورة الإسراء ١١٧/٢٠-١٢٠)

خلاصة القول:

ثبت المعراج بجسده صلى الله عليه وسلم في اليقظة بالأدلة القاطعة والأحاديث المتواترة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم، ويجوز عقلا.

إلى حرم:

من حرم: مكة المكرمة. إلى حرم: بيت المقدس.

حرم: الحرم لغة: ما يحترم. والحرم شرعا/ اصطلاحا: مكان يمنع فيه من اختلاء الخلى، والصيد، ونحو ذلك. وأحكامه الأخرى مبسوطة في كتب الفقه.

والمراد بالحرم في البيت: الحرم الشرعي الحقيقي، وهو مكة المكرمة. حيث يجب التقيد بكافة الأحكام، وأما قوله: إلى حرم، فالمراد به بيت المقدس، ولم سمي بالحرم؟

(١) أريد به الحرم اللغوي. وهو المسجد الأقصى وما حوله، وإن لم يجرِ عليه أحكام مكة المكرمة.

(٢) سمي بيت المقدس حرما مشاكلةً، أي سمي به بإزاء الحرم. وكثيرا ما يسمى الشيء باسم ما ذكر معه لاقترانه به في الذكر لأدنى مشابهة. منها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤) فسمي الجزاء اعتداء مشاكلة، إلا فإنه يستوفي حقه. وقس عليه قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾(الشورى: ٤٠) وما أكثر الأمثلة عليه في الكتاب والسنة.

من الجدير بالذكر أن إطلاق الحرم على بيت المقدس سائد عند العلماء حقا، فقد أطلق ذلك العلامة السخاوي (الضوء اللامع ٩/٢٩٠)، والحافظ ابن كثير (البداية والنهاية، سنة ٧٢٤هـ)، والعلامة المقريزي (المواعظ ٤/٤٠٨) وغيره. ومن علماء السلفيين من يمنع من إطلاق الحرم على بيت المقدس بشدة.

كما سرى البدرُ:

شبَّه البيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالقمر؛ لأن:

(١) القمر يقطع منازله في الفضاء، كذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقطع سفره في الفضاء.

(٢) شبهه به في سرعة السير.

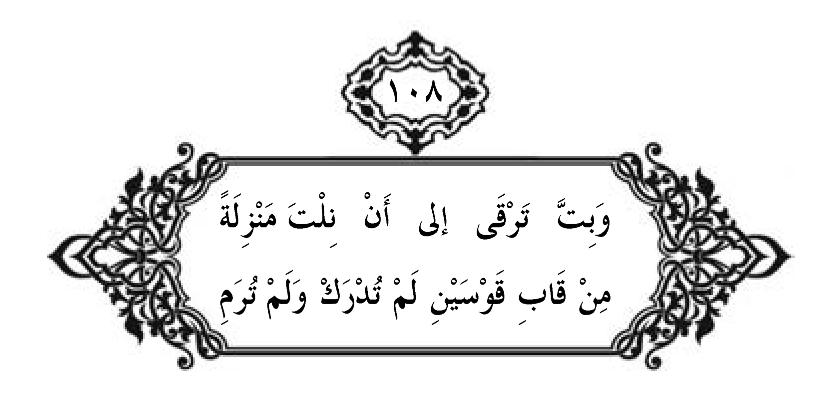
(٣) شبهه به في كمال النور. البدر: قمر الرابع عشر الكامل النور. والبدر منور، و النبي صلى الله عليه وسلم أيضا منور.

(٤) يسهل قطع السير في ضوء القمر، كذلك اهتدت الأمة التي كانت تعيش في ظلمات الضلال إلى الطريق المستقيم.

وسبق وجوه أخرى لتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم بالقمر في البيت رقم: ٥٥.

انتهى، ولله الحمد كله.

****



اللغة:

بِتَّ: مذكر مخاطب من «بات». باتَ (ض) بيتا وبياتا ومبيتا: أمضى الليل.

البيت: ما يبات فيه. وسبق التحقيق في البيت رقم: ٦١.

ترقى: رَقِيَ (س) رَقْيًا ورُقِيًّا: (١) صعد. (٢) ازدهر. رَقَّاه: أصعده، وقدَّمه.

رَقَى (ض) رَقيًا ورُقيًا ورُقيَّةً: عوَّذه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ (القيامة: ٢٧)

وفي الأدعية المأثورة: «بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك، من كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك بسم الله أرقيك». (صحيح مسلم، رقم:٢١٨٦)

قصة غريبة بمناسبة كلمة الرقية:

تذكر بعض كتب التصوف والتفسير قصة غريبة، وهي أنه قرئ ذات مرة في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الأبيات التالية:

قَد لَسَعَتْ حيةُ الهوى كبِدي ۞ فلا طبيب لها و لا راقي

إلا الحبيب الذي شُغفت به ۞ فعنده رقيتي و ترياقي

فما إن سمعوها حتى أصيبوا بالوجد، وسقط رداء النبي صلى الله عليه وسلم وأردية الصحابة، ثم وزع رداؤه صلى الله عليه وسلم على أربع مئة نفر. (عوارف المعارف للشيخ عمر بن محمد السهروردي المتوفى ٦٣٢هـ، ص ١٠٨-١٠٩، وص ١٢٢-١٢٣، ط: دار الكتب العلمية، مسألة السماع، وصفة التصوف كلاهما للعلامة محمد بن طاهر المقدسي الحافظ المشهور صاحب التصانيف الكثيرة المتوفى ٥٠٧هـ؛ التفسيرات الأحمدية، ص ٥٧٦، سورة لقمان؛ الكتاب للشيخ ملا جيون أحمد بن أبي سعيد المتوفى ١١٣٠هـ)

مكانة الرواية السابقة:

سردنا هذه الأبيات بمناسبة أن «راقٍ» في البيت بمعنى المعوِّذ؛ ليتم التنبيه على حيثيته.

والحق أن هذه القصة موضوعة، نسوق إليكم نصًّا واحدا فقط يدل على ذلك، قال العلامة الآلوسي: «وهو لعمري كذب صريح وإفك قبيح، وما أراه إلا من وضع الزنادقة».(روح المعاني ٧٢/٢١)

يسوقه جل كتب الموضوعات، ونبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في غير واحد من كتبه على وضعه.

يقول العلامة الذهبي: «العل الذي وضع هذه القصة هو عمار بن إسحاق؛ لأن باقي رواتها ثقات». (ميزان الاعتدال ١٦٤/٣، للاستزادة منه راجع: مجموع فتاوى شيخ الإسلام في مواضع منها: ٥٨/١١-٥٩ و٥٦٣/١١؛ أحاديث القصاص لابن تيمية، ص ٦٠، حرف اللام؛ كشف الخفاء١٦٥/٢؛ أسنى المطالب، ص ٢٢٦؛ سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣٤/٢؛ ميزان الاعتدال ١٦٤/٣).

وأفرد العلامة ابن الهادي [محمد بن أحمد عبد الهادي المقدسي المتوفى ٧٤٤هـ] هذا الموضوع برسالة. وهذه الرسالة ضمن الرسائل التي حققها علماء «لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام»، في المجلد السابع، الرسالة رقم: ٧٨. جزء في كلام العلماء على حديث التواجد تحقيق: زياد تكلة.

و لم يقبلها السهروردي نفسه، فقال: «ويخالج سري أنه غير صحيح... ويأبى القلب قبوله». وهذا النص حكاه الملا جيون، فنسبة الافتراء على النبي صلى الله عليه وسلم إليه كما دأب عليه بعض المعاصرين لا تصح، في حين أنه سرد إسنادها.

نلتَ: نال ينال (س) نيلا: وصل إليه. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾ (الحج: ٣٧)

نال الشيءَ: حصَّله. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢)

وله معانٍ عدة أخرى يحمل عليها عند المناسبة.

منْزلة: نزل (ض)نزولا: هبط. نَزِلَ (س) نَزَلا: أصيب بالزكام.

أنزل/ نَزَّلَ: ذكر بين الكلمتين بعض الفروق إلا أن إحدهما تنوب عن الأخرى. منْزلة: المكانة والقدر والدرجة.

قاب: قاب (ن) قَوبًا الأرض: حفرها حفرة مقوَّرة.

القاب: (١) المقدار. (٢) ما بين وسط القوس إلى نهايتها طولا. (٣) وتر القوس،

أي ما بين وترها ومقبضها.

قوسين: قاسَ (ض) قيسا وقَياسا، وقاس (ن) قوسا وقياسا: طبق الشيء على غيره، قاسه به، القوس: آلَة على هَيْئَة هِلال ترمى بها السِّهَام (يذكر ويؤنث)، ج: أقواس، وقِسيٌّ.

الإعراب:

من قاب قوسين: تفسير المنْزلة. (من) بيانية. أي وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنْزلة التي هي قاب قوسين.

من قاب قوسين:

(١) فإن كسرت الباء كان مجرورا بالباء كما لا يخفى.

(٢) وإن فتحت الباء، كان الإعراب حكاية. أي أبقي في كل الأحوال الإعرابُ الذي كان في الأصل، أي القرآن الكريم، نصبا كان أو جرًّا، تقول: قرأت في كتاب الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، سنن أبو داود ونحو ذلك. وقس عليه ما هنا؛ فإن القرآن الكريم جاء فيه «قاب قوسين» بفتح الباء، فأبقوا عليه في النقل.

لم تدرك، لم تُرمَ: صفة (منْزلة)، أي منْزلة لن ينالها أحد؛ بل لا يريدها أحد.

الشرح:

سريت من حرم: بيان لابتداء الرحلة.

منْزلة من قاب قوسين: بيان لانتهاء الرحلة.

بتَّ: في بعض النسخ: ظلتَ، والمعنى واحد.

لم تُرم: لا يسع أحدا أن يقصد هذه المرتبة؛ لأنه لا يخفى عليهم أن هذه المرتبة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا ينالها أحد.

المراد بقاب قوسين؟:

خشبة القوس أي مقبضها، وبإزائها وتر القوس وحبلها، وما بينهما «قاب». وبتعبير آخر: المسافة ما بين مقبض القوس وطرف الوتر، ويقدر بنحو ذراع.

لِمَ قال: «قاب قوسين»: كان من عادات العرب أنهم -إذا تصالحوا وتصادقوا- أن

يجعل كل واحد منهم خشبة قوسه إلى جانبه، ويجعل وتره إلى صاحبه، فإذا التقى الوتران كان دليلا على إعلان المودة والقرب. (ملخص من معارف القرآن ١٩٨/٨)

وفي الآية الكريمة:

(١) «قاب قوسين» المراد به ما بين القوسين من القرب، وليس المراد به القوسين حقيقة. والعرب يطلقون القوسين لبيان غاية القرب، فجاء ذلك على أسلوبهم.

(٢) فيه قلب، وأصله: «قابي قوس» والمعنى على هذا التوجيه (ومن معاني القاب: ما عطف من طرفها) ما بين طرفي قوس واحد، فهي قوس واحدة لا قوسان.

(٣) المراد بالقاب: ما بين المقبض والوتر، وعليه ليس فيه قلب.

والحاصل أنه لم يكن بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين جبرئيل إلا ما بين القوس ووترها من البعد.

إيراد: يرد على الوجه الثاني والثالث أن ما بين طرفي قوس واحد، وكذلك ما بين المقبض والوتر من المسافة يوجد في قوس واحد، فما الداعي إلى تثنية القوس؟

الجواب: جاء على عادة العرب؛ فإنهم كانوا يضمون القوس إلى الأخرى، والمراد البعد في قوس واحدة.

حاصل الكلام أن المراد به القرب على أي الوجوه الثلاثة.

منْزلة مَن قاب قوسين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ (النجم: ٨-٩)

(١) يقول الجمهور: ثم دنا ذلك الملك (إلى النبي صلى الله عليه وسلم)، ثم دنا حتى لم يبق بينهما إلا ما بين قوسين، ثم تقلص البعد أكثر لتدنيه أكثر.

(٢) الظاهر أن الناظم أراد أن النبي صلى الله عليه وسلم دنا إلى تجلي الرب تعالى، فسجد، ثم لم يبق بينه وبين الله إلا مقدار قوس أو أقل، ونال الحظوة والقرب من الله تعالى.

ورد سجود النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث، فيؤيد ما ذهب إليه الناظم هذا الحديث. ونصه:

«ثم صُعدَ بي فوق سبع سماوات فأتينا سدرة المنتهى، فغشيتني ضبابة فخررت

ساجدا».(سنن النسائي، رقم: ٤٥٠، باب فرض الصلاة)

هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج؟:

ثبت قربه صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى وكلامه ولكن هل رأى ربه أو لا ؟

من أهم مظان هذه المسألة أول آيات سورة النجم: هل المراد بالرؤية ثمة رؤية جبرئيل أو رؤية الله تعالى؟ فإليكم تفسير هذه الآيات بإيجاز:

روي عن أئمة التفسير قولان في تفسير هذه الآيات:

حاصل أحدهما أنه يجعل هذه الآيات خاصة بقصة المعراج، وتحمل على التلقي من الله تعالى مباشرة، ورؤية الله تعالى والقرب إليه. ثم يحمل قوله: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ (التكوير: ٢٣) على رؤية الله تعالى وزيارته، روي ذلك عن أنس وابن عباس رضي الله عنهما من الصحابة.

وحاصل القول الثاني -وهو ما ذهب إليه كثير من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير- حمل هذه الآيات على رؤية جبرئيل على صورته، ومما يؤيده:

الأصل فيه أن الحديث المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآيات ينص على رؤية جبرئيل عليه السلام.

عن مسروق، قال: كنت متكئا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني، ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ (التكوير: ٢٣)، ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ (النجم: ١٣)؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إنما هو جبريل».(صحيح مسلم، رقم:١٧٧)

أي: الرؤية الواردة في الآية المراد بها رؤية جبرئيل عليه السلام، وهو ينْزل من السماء إلى الأرض.

وحمل ابن كثير رحمه الله في ضوء التفسير المرفوع إلى النبي صلى الله وسلم وأقوال الصحابة في تفسير آية سورة النجم على أن المراد رؤية جبرئيل وقربه. والرؤية الأولى كانت في هذا العالم في أفق مكة المكرمة، والرؤية الثانية التي أشار إليها آية النجم ﴿وَلَقَدۡ

رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ (النجم: ١٣) كانت ليلة المعراج.

وبناء على ما سبق ها ما اختاره عامة المفسرين، وإليه ذهب القرطبي وأبو حيان والرازي والحافظ ابن كثير رحمهم الله تعالى.(معارف القرآن ١٩٥/٨-١٩٧، بحذف وتغير يسير)

تحقيق آخر مفيد:

وحمل العلامة أنور شاه الكشميري هذه الآيات على ما يجمع بين معظم الروايات الواردة في هذا الباب، وحاصله: الآيات الإحدى عشرة الأول تنطبق على جبرئيل من غير تكلف، واعتبارها من صفات الله تعالى لا يخلو من تكلف.

والآية الثانية عشرة وهي قوله تعالى:﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ تتحدث عن قصة الإسراء والمعراج. فما ورد فيها من الرؤية تحتمل رؤية جبرئيل ورؤية الله تعالى. و طلب الشيخ شبير أحمد العثماني من العلامة الكشميري أن يفسر الآيات ثم ضمّ تفسيره إلى كتاب شرح مسلم. (راجع لتحقيقات الشاه الكشميري: معارف القرآن ٢٠٣/٨-٢٠٤؛ مشكلات القرآن، ص ٣٨٩-٤٢١؛ فتح الملهم ٤٠٩/٢-٤١٣)

المراد بالقرب القرب المعنوي:

و لم يحمل الناظم ومن تابعه في القول بأنه قرب إلى الله تعالى على القرب الحسي؛ بل على القرب المعنوي، أي المراد بالقرب سمو منْزلته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وانفتاح باب المعرفة الإلهية عليه، ومشاهدة القدرة وأسرار الغيب.

قال القاضي أبو الفضل: اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله، أو إلى الله، فليس بدنو مكان، ولا قرب مدى؛ بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد... وإنما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه، وقربه منه، إبانة عظيم منْزلته، وشريف رتبته، وإشراق أنوار معرفته، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته... ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام. ويتأول فيه ما يتأول في قوله: «ينْزل ربنا إلى سماء الدنيا». (الشفا١/٢٠٥)

هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه في المعراج؟:

ذهبت جماعة من الصحابة إلى أنه رأى ربه، ونفته جماعة أخرى منهم، وروي عن بعض منهم القولان.

القائلون بالرؤية مطلقا من الصحابة:

(١) يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى، والرؤية لمحمد».(السنن الكبرى للنسائي١٠/٢٧٦؛ الحاكم في المستدرك في مواضع: رقم: ٢١٦، و٣١١٤، ٣٧٤٧، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي؛ وابن خزيمة في التوحيد، ص ٤٧٩؛ والدارقطني معناه عن أنس بن مالك في كتاب رؤية الله، ص ١٩٩؛ وذكره ابن حجر في الفتح ٨/٦٠٧؛ وقال: أخرجه النسائي بسند صحيح).

وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: «رأى محمد ربه. قلت: أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ (الأنعام: ١٠٣)؟ قال: ويحك، ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره. وقد رأى محمد ربه مرتين».(سنن الترمذي، رقم ٣٢٧٩)

عن عكرمة عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت ربي تبارك وتعالى».(مسند أحمد، رقم:٢٥٨٠، ٢٦٣٤، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط، في الموضع الأول: صحيح موقوفا، وهذا إسناد رجاله رجال الصحيح)

وروي عن ابن عباس في معناه عدة روايات.

(٢) عن أنس أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد رأى ربه تبارك وتعالى.(ابن أبي عاصم في السنة، رقم: ٣٤٢؛ وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٢/٤٨٧)

(٣) سأل مروان أبا هريرة: هل رأى محمد ربه عز وجل؟ فقال: نعم، قد رآه. (السنة ١/١٧٦ لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المتوفى عام ٢٩٠هـ؛ تفسير القرطبي ٧/٥٦؛ الشفاء ١/١٩٧ نقلا عن ابن إسحاق)

(٤) عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر: لو رأيتُ صلى الله عليه وسلم لسألته. فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله: هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألتُ،فقال: «رأيتُ نورا».

وفي رواية عن أبي ذر قال: سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ قال: «نوراني أراه».(صحيح مسلم، رقم:١٧٨، باب معنى قوله: نورانيٌّ أراه)

(وهذا إنما يدل على ثبوت الرؤية لو صحت الرواية بهذا الضبط، أي بفتح النون والراء بعده ألف، فنون مكسورة وتحته مشددة منونة (أُراه) بضم الهمزة. لكن المشهور في جميع الأصول والروايات: «نور أنى أراه». وقال المزي: «وهذا تصحيف». مستفاد من

شرح الشفا للملا علي القاري ٢/٣٠٢، بهامش شرح الشفا للخفاجي)

(٥) عن الشعبي قال: لقي ابن عباس كعبا بعرفة، فسأله عن شيء، فكبر حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم. فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلم موسى مرتين، ورآه محمد مرتين».(سنن الترمذي، رقم:٣٢٧٨؛ والمستدرك للحاكم، رقم:٤٠٩٩، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي)

من ذكر الرؤية بقيد:

(١) ورد حديث ضعيف عن محمد بن كعب عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: قلنا: يا نبي الله، هل رأيت ربك؟ قال: «لم أره بعيني، ورأيته بفؤادي مرتين، ثم تلا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ (النجم: ٨)(تفسير الطبري ٢٢/٥٠٥؛ الشفا ١/٣٧٨).

(٢) عن عطاء وأبي العالية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «رآه بفؤاده مرتين».(صحيح مسلم، رقم:١٧٦)

والقائلون بمطلق الرؤية من التابعين: كعب الأحبار ومجاهد، وأبو العالية، وأبو صالح مولى أم هاني، وربيع بن أنس وآخرون. رواه ذلك عنهم الكتب والمصادر.

النافون لرؤية الله تعالى:

(١) في حديث طويل عن عائشة أنها قالت: من قال: إنه رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله تعالى:

عن مسروق، قال: كنت متكئا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني، ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ (التكوير: ٢٣)، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (النجم: ١٣)؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض»، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ

ﵟٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُﵞ (الأنعام: ١٠٣)، أو لم تسمع أن الله يقول: ﵟوَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞﵞ (الشورى:٥١)؟ الحديث. (صحيح مسلم، رقم:١٧٧)

(٢) وينفي ابن مسعود وأصحابه الرؤية، فحمل آيات النجم على رؤية جبريل:

قال الشيباني: سألت زرّ بن حبيش عن قول الله عزوجل: ﵟفَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰﵞ (النجم: ٩)، قال: أخبرني ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبرئيل وله ست مئة جناح.

وعن عبد الله، قال: ﵟلَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓﵞ (النجم: ١٨) قال: رأى جبريلَ في صورته له ست مئة جناح. (صحيح مسلم، رقم: ١٧٤)

(٣) وحمل أبو هريرة قول الله عزوجل: ﵟوَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰﵞ (النجم: ١٣) على روية جبريل:

عن عطاء عن أبي هريرة، ﵟوَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰﵞ (النجم: ١٣) قال: رأى جبريل. (صحيح مسلم، رقم: ١٧٥)

(٤) قال أبوذر رضي الله عنه: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ فقال: «نورٌ أنى أراه». أي حال دون رؤيتي له النور.

أسماء بعض أهل العلم المثبتين للرؤية:

(١) كان الإمام أحمد رحمه الله يقول بالرؤية.

روى الخلال في كتاب السنة عن المروزي، قال: قلت لأحمد: إنهم يقولون: إن عائشة قالت: من زعم أن محمدا رأى ربه، فقد أعظم على الله الفرية، فبأي شيء يدفع قولها؟ قال: بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «رأيت ربي»، قول النبي صلى الله عليه وسلم أكبر من قولها. (فتح الباري ٦٠٨/٨).

(٢) كان ابن خزيمة (المتوفى عام: ٣١١هـ) يقول بذلك، فاستدل في كتاب «التوحيد» على الرؤية بالبسط والتفصيل. (باب ذكر الأخبار المأثورة في إثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم خالقه العزيز العليم، والأبواب بعده).

وجمعا بين مختلف الروايات سلك ابن خزيمة مسلكا يشبه ما سلكه الإمام أحمد رحمه الله. فقال: القول بثبوت الرؤية أرجح.

وجوه ترجيح القول بثبوت الرؤية:

(١) قال معمر: ليست عائشة رضي الله عنها أعلم من ابن عباس بذلك. (٢) قال بنو هاشم كلهم بالرؤية على خلاف رأي عائشة رضي الله عنه. وقال بثبوت الرؤية في الجملة كل من (٣) العلامة الآجري في كتاب الشريعة، (٤) والعلامة الآلوسي في روح المعاني. (٥) والعلامة ابن جرير الطبري في جامع البيان. (٦) والعلامة أبو الحسن الأشعري (الشفا، والبداية والنهاية). (٧) والإمام النووي في شرح صحيح مسلم. (٨) والقاضي عياض في الشفا. (٩) والعلامة القرطبي في الجامع لأحكام القرآن. (١٠) والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية. (١١) والحافظ ابن حجر في فتح الباري. (١٢) والعلامة أنور شاه الكشميري (فتح الملهم) وغيرهم. ثم قيد بعضهم بــ عيني رأسه، وبعضهم بــ فؤاده، وأطلقها بعضهم. و لم يقطع القاضي عياض بشيء، بل ساق عددا من الروايات في الرؤية وجعلها ممكنة. ويقول النووي: الراجح عند أكثر العلماء أنه صلى الله عليه و سلم رأى ربه بعينه.

قال ابن كثير: «وممن أطلق الرؤية أبو هريرة، وأحمد بن حنبل، وصرح بعضهم بالرؤية بالعينين، واختاره ابن حجر وبالغ فيه، وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين، وممن نص على الرؤية بعيني رأسه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيما نقله السهيلي عنه، واختاره الشيخ أبو زكريا النووي في فتاويه».(البداية والنهاية ١٣٩/٣)

وقال الإمام النووي بعد سرد أقوال الأئمة في المسألة: فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء، لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم. وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما لا ينبغي أن يتشكك فيه».(شرح النووي على مسلم، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾. وللاستزادة من أقوال العلماء في هذه المسألة انظر: رؤية الله للدارقطني)

الترجيح أو الجمع بين الرؤية ونفيها:

الترجيح: حاصل مذهب الترجيح أن الإمام أحمد وابن خزيمة (وكثيرين من

أتباعهم) رجَّحوا روايات إثبات الرؤية على نفي عائشة رضي الله عنه وابن مسعود رضي الله عنه.

وجه الترجيح: قول عدد من الصحابة بالرؤية على خلاف قول عائشة. (٢) أو تقديم المثبت على النافي. (٣) ولوجوه أخرى بعضها ضعيف.

والجمع بينها أولى من الترجيح، وذلك: (١) أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى حجاب نوره تعالى، لا الذات الإلهية. فمراد من نفى الرؤية مثل عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما، وغيرهم: منهم: الإمام الدارمي (الرد على بشر المريسي)، والإمام ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، وأبو حيان (البحر المحيط في التفسير)، وغيرهما أنه لم يرَ ذاته سبحانه، وأما من أثبت من أهل العلم الرؤية فيريدون بها الحجاب النوري.

ومما يؤيد هذا الجمع:

١- عن أبي ذر: «هل رأيت ربك؟ قال: رأيت نورا».(صحيح مسلم) أي رأيت نورا، والمراد به الحجاب النوري، لا ذات الله تعالى قطعا.

٢- في حديث: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خَلقه».(صحيح مسلم، رقم:١٧٩)

وبضم الروايتين بعضهما إلى الآخر يتجلى الجمع المشار إليه سابقا، وفي حديث: «رأيت نورا». فما المراد بالنور؟ ورد تفسيره في حديث آخر، وهو نور حجاب الله تعالى.

ليس المراد بقوله: «رأيتُ نورًا» ذاتُ الله تعالى:

(١) لايراد بقوله: «رأيت نورا»، ذات الله تعالى، فإن النور أيضًا من الأجسام، وهو مبرئ من الجسم. فيحمل النور الوارد في حق الله تعالى على ما يناسبه من المعاني، قال القاضي عياض في شرح قوله: «رأيت نورا»: هذه الرواية لم تقع إلينا، ولا رأيتها في شيء من الأصول إلا ما حكاه الإمام أبو عبد الله، ومن المستحيل أن تكون ذات الله نورا، إذ النور من جملة الأجسام، والله تعالى يتعالى عن الاتصاف بذلك. هذا مذهب جميع أئمة المسلمين، خلافا لبعض المجسمة: هشام الجُواليقي ولِمَّته، ممن قال: نور كالأنوار. ومعنى

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (النور: ٣٥) وما جاء في الحديث المأثور من تسميته بالنور فمعناه: ذو نورهما. وربُّه وخلاقه، وقيل:...، وقيل:...».(إكمال المعلم بفوائد مسلم١/٥٣٣-٥٣٤)

والمجسمة التي أشار إليها القاضي عياض هي الهشامية، نسبة إلى هشام بن سالم الجواليقي. (للاستزادة من هذه الفرقة راجع: الفرق للإسفرائيني؛ الملل والنحل للشهرستاني، بيان تلبيس الجهمية في تاسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية؛ مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه: إطلاق النور على الله تعالى، حقيقة. فذاته نور. وهؤلاء يشددون النكير على من جعل صفة النور في حق الله تعالى مجازا.

توضيح «حجابه النور»:

حجابه النور: ومن أبسط الأمثلة على ذلك الشمس، فقد توصل علماء الطبيعة إلى أن بين الشمس وأهل الأرض غلاف يطلق عليه (OZON LAYER)، يمتص حرارة الشمس، فتخف وطأتها على الأرض، فتعود قابلة للصبر عليها ونافعة ثم تفعل في الأرض فعلها. ومنذ عهد قريب قال علماءالطبيعة: تعرض الغلاف للخرق، وبالتالي تزداد الحرارة عاما بعد عام، حتى ارتفعت الحرارة في الدول الباردة أيضًا أكثر من ذي قبل.

شاهد أخر للجمع:

ولعل الرواية التالية تقطع بضرورة الجمع والتطبيق بين الروايات، وذلك أن ابن عباس على رأس قائمة المثبتين للرؤية، وروي عنه عشرة أحاديث في هذا الصدد، وأما الحديث الذي صرح فيه النبي صلى الله عليه وسلم بتفسير الرؤية، فما رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأى محمد ربه، فقلت: أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ قال: ويحك، ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره».(سنن الترمذي، رقم: ٣٢٧٩)

وفي رواية: «ذاك نور، وهو نوره، إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء».(المستدرك للحاكم، رقم: ٣٢٣٤؛ تفسير ابن أبي حاتم ١٣٦٤/٤)

فقد اعترف ابن عباس بعدم إمكانية رؤية الله تعالى في الحياة الدنيا، فما ورد عنه من إثباته للرؤية فمحمول على رؤية الحجاب النوري، لا رؤية ذات الله تعالى.

الجمع (٢):

وهو تكملة للجمع الأول بينهما وتوضيح له، وهو أن نفي الرؤية في درجة، وإثباتها في درجة، يقول العلامة الآلوسي: «وجمع بعضهم بين قولي ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما بأن قول عائشة محمول على نفي رؤيته تعالى في نوره الذي هو نوره، المنعوت بأنه لا يقوم له بصر، وقول ابن عباس محمول على ثبوت رؤيته تعالى في نوره الذي لا يذهب بالأبصار، بقرينة قوله في جواب عكرمة عن قوله تعالى:﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره. وبه يظهر الجمع بين حديثي أبي ذر [نورٌ أنى أراه، ورأيتُ نورا]».(روح المعاني ٥٣/٢٧)

وزاد العلامة شبير أحمد العثماني هذا المعنى بيانا وتوضيحا فقال: قوله: «ويحك! ذاك إذا تجلى...» علم منه أن تجليات الله تعالى وأنواره تتفاوت، بعض أنواره قاهرة للبصردون بعض. وتصدق رؤية الرب في الجملة على الدرجتين، ونظرا إلى ما في هذه الأنوار والتجليات من التفاوت والتنوع يمكننا القول بأنه لا تعارض بين قولي عائشة وابن عباس، فربما تنفيها في درجة، وهو يثبتها في درجة، وكذلك يمكننا الجمع بين حديثي أبي ذر: «رأيت نورا»، و«نور أنى أراه»، والله سبحانه وتعالى أعلم.(التفسير العثماني، ص ٦٩٩)

الجمع (٣):

وهذا الجمع يبدو أوضح من الأول، وهو كما يقول الملا علي القاري: الإثبات لتجلي الصفات، والنفي لتجلي الذات.

يقول: «أقول -والله سبحانه وتعالى أعلم-: إنه يمكن الجمع بين الأدلة في هذه المسألة المشكلة بأن ما ورد مما يدل على إثبات الرؤية إنما هو باعتبار تجلي الصفات، وما جاء مما يشير إلى نفي الرؤية فهو محمول على تجلي الذات، وإذا تجلى للشيء إنما يكون بالكشف عن حقيقته، وهو محال في حق ذاته باعتبار إحاطته وحياكته،كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ ».(شرح الملا علي القاري ٣٠٣/٢ بهامش شرح الشفا للخفاجي)

الجمع (٤):

المراد بإثبات الرؤية رؤية القلب، والمراد بنفي الرؤية نفي رؤية البصر.

قال الحافظ ابن حجر: «فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب».(فتح الباري ٦٠٨/٨)

وقال أهل العلم: لا يخلو هذا الجمع من النظر.

الجمع (٥):

وهذا لا يعرف كثيرا، إلا أنه احتمال من الاحتمالات، وهو:

استدل مسروق بقوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ (التكوير: ٢٣) على إثبات رؤية الباري تعالى، ونفت عائشة رضي الله عنها حمل هذه الرؤية على رؤية الباري تعالى، لا النفي مطلقا، ولكن المشهور أن عائشة تنفي رؤية الله تعالى مطلقا.

يقول العلامة الآلوسي: «وشاع أنها تنفي أن يكون صلى الله عليه وسلم رأى ربه سبحانه مطلقا، وتستدل لذلك بقوله تعالى:﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾، وقال بعضهم: إنها تنفي رؤية تدل عليها الآية التي نحن فيها، وهي التي احتج بها مسروق...، والإنصاف أن الأخبار ظاهرة في أنها تنفي الرؤية مطلقا».(روح المعاني ٥٣/٢٧)

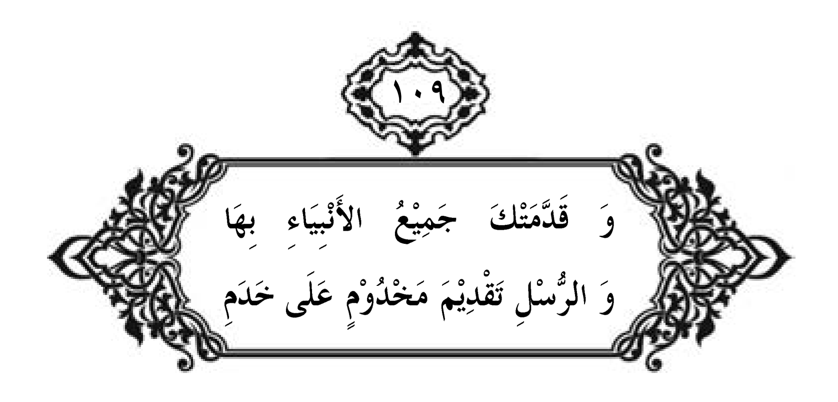
تنبيه:

(١) ما ذكر من الاختلاف فهو في رؤية الله تعالى في الدنيا، وأما في الآخرة فيسعد المؤمنون برؤية ربهم، وهو مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وتفصيلها مذكور في علم الكلام.

(٢) من قال برؤية القلب، أراد أن الرؤية تكون عامة بالعين، وأراه الله تعالى بالقلب، وليس المراد برؤية القلب معرفة الله تعالى فحسب، فإنها حاصلة له صلى الله عليه وسلم من قبل.

انتهى، ولله الحمد كله.

****



اللغة:

قدمتك: قدَّم فلانا: جعله أمامه، ورجحه، أي يطلق التقديم على التقديم حسيا كان أو رتبيا.

قَدَّم الكتاب: عمل له مقدمة. وسبق التحقيق في البيت رقم: ٢٩، ٧٢، ٩١.

جميع: جَمَعَ (ف) جَمْعًا: لَمَّه، وحازه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ (الهمزة: ٢)

جمعَ الناسُ: اجتمعوا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ (آل عمران: ١٧٣) فهو متعد ولازم.

أجمع القوم: اتفقوا، أجمع الأمر: أحكمه. الجميع: المجتمع، والكل. ومن ألفاظ التاكيد.

مخدوم: خَدَمَ (ض،ن) خِدمةً: قام بحاجته. استخدمه: اتخذه خادما.

خادم: ج: خدام، خدمان. خدَم: اسم جمع.

هو خادم وهي خادم: للمذكر والمؤنث، وما أكثر ورود «خادم» للمؤنث في الأحاديث النبوية، أي شخص خادم، أو إنسان خادم. واعلم أن «حائضا» و«عاتقا» بدون التاء مما يختص بالمؤنث، فإنهما من الصفات الخاصة بالنساء.

الإعراب:

قدمتك:

قدمت: فعل. وجميع: فاعل.

بها: (١) بالليلة، وسبقه «ليلا»، فالضمير يعود عليه.

(٢) الأفضل الظاهر: بها: أي بتلك المنْزلة، أي بسبب تلك المنْزلة قدِّم النبي صلى الله عليه وسلم على الأنبياء. والضمير في (بها) عائد على «منزلة» في البيت السابق.

(٣) بأرض بيت المقدس.

سؤال: لَمَ أنث الفعل (قدمت) و «جميع» مذكر؟

الجواب : (١) جميع: بمعنى الجماعة. وهي مؤنث.

(٢) اكتسب «جمع» التأنيث من المضاف إليه (الأنبياء)، فكأن الفاعل مؤنث، فأنث الفعل. ويطلق عليه الاكتساب اصطلاحا. وعده بعضهم من ضرورة الشعر. والمشهور أنه لا يختص بالشعر. ومن الأمثلة عليه قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، وقوله تَعَالَى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ (الأنبياء:٤٧)

وقال مجنون:

وما حب الديار شغفن قلبي ۞ ولكن حب من سكن الديار

(ديوان قيس بن الملوح)

والرسل: عطف على (الأنبياء)، وهو من عطف الخاص على العام.

الرسلِ: بالكسر فمعناه: جميع الرسل. والرسلُ: بالضم: عطف على (جميع).

الرسل: عام، يشمل الرسل كلهم، والحاصل واحد.

تقديم مخدوم:

(١) تقديما مثل تقديم مخدوم. (٢) كتقديم مخدوم، منصوب بنَزع الخافض.

والإضافة في (تقديم مخدوم) من الإضافة إلى المفعول.

الشرح:

النبي صلى الله عليه وسلم إمام في كل فضيلة، وهنا جاء ذكر كونه إماما ومقتدى في بيت المقدس.

قدمتكَ:

(١) المراد التقديم الحسي. كما وقع في المعراج حيث قدمه الأنبياء للإمامة في المسجد الأقصى، كما سيأتي ذكره، وهو المراد في البيت.

(٢) التقديم رتبةً، أي اعترف الأنبياء كلهم في حياتهم بأنه صلى الله عليه وسلم إمام و أرفع مكانة منهم. وسبق ذكر شيء منه في الفصل الثالث.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ (آل عمران: ٨١) يؤيد هذا المعنى.

الأنبياء بها والرسل:

عطف الخاص على العام، فالنبي أعم من الرسول. وسبق تفصيله في البيت رقم:٣٥.

مخدوم على خدم:

المخدوم: هو الإمام، والخدم: هو المقتدي، كما يتقدم الإمام المؤتمين كذلك تقدم النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء. أو المراد بالمخدوم والخادم معناهما الحقيقي، أي تقدم النبي صلى الله عليه وسلم كما يتقدم المخدوم الخادم.

قدَّمتك:

وردت عدة أحاديث بأن النبي صلى الله عليه وسل أمَّ الأنبياء عليهم السلام في المعراج، وفي بعضها تصريح بأنهم قدموه. وأما ما ورد فيه من أن جبريل هو الذي قدمه، فكان بأمر الله تعالى ورضى أنبيائه عليهم السلام.

وفي الحديث: صليت بآدم ومن بعده من الأنبياء، وحانت الصلاة فقدموني، فلما انصرفت قال لي جبريل عليه السلام: صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل.

إمامة النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء في المعراج:

تفيد بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم أمَّ الأنبياء قبل أن يصعد إلى السماء، ثم صلى بهم مرة أخرى بعد ما عاد من المعراج.(سبل الهدى والرشاد)

وعزا بعضهم ذلك إلى الحافظ ابن كثير رحمه الله، ولا يصح؛ لأن الحافظ ابن كثير يقول بأنه صلى الله عليه وسلم لم يؤم الأنبياء قبل أن عرِجَ به إلى السماء، وإنما صلى بهم بعد ما عاد منه.

وفيما يلي بعض الأحاديث الدالة على إمامة النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء:

(١) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...وقد رأيتني في

جماعة من الأنبياء... فحانت الصلاة فأممتهم».(صحيح مسلم، رقم:١٧٢)

(٢) عن أنس بن مالك: «... ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم السلام فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة».(دلائل النبوة للبيهقي ٣٦٢/٢؛ فتح الباري ٢٠٠/٧؛ الخصائص الكبرى ٢٥٨/١)

(٣) عن أم هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «... فنُشرَ لي رهط من الأنبياء، منهم: إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فصليت بهم، وكلمتهم».الحديث.
(معجم أبي يعلى الموصلي، رقم:١٠؛ ومثله في تاريخ الإسلام للذهبي ٢٤٥/١؛ والخصائص الكبرى ٣٤٢/١-٣٤٤)

(٤) قال الإمام السيوطي: وأخرج ابن عرفة في جزئه وأبونعيم وابن عساكر من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل... ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد، ...ثم أقيمت الصلاة فأممتهم».(الخصائص الكبرى ٢٦٩/١؛ والخبر مذكورفي: تاريخ مدينة دمشق ٥٠٧/٣؛ جزء ابن عرفة/ أبو الحسن بن عرفة العبدي البغدادي المتوفى ٢٥٧هـ، ص ٨٠، رقم : ٦٩؛ تاريخ الإسلام للذهبي ٢٦٩/١؛ فتح الباري ٢٠٨/٧)

(٥) «ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم».(المعجم الأوسط ١٦٦/٤؛ فتح الباري ٢٠٠/٧؛ الخصائص الكبرى٢٨٨/١)

(٦) «ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الأنبياء عليهم السلام، فقدمني جبريل حتى أممتهم، ثم صُعد بي إلى السماء الدنيا». الحديث.(سنن النسائي، رقم:٤٥٠)

(٧) قال الحافظ ابن كثير: « وقال ابن أبي حاتم: حدثني أبي...، عن أنس بن مالك قال: لما كان ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم...، قال: «فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا، فأخذ بيدي جبريل عليه السلام، فقدمني فصليت بهم، فلما انصرفت قال جبريل: يا محمد، أتدري من صلى خلفك؟ قال: قلت: لا، قال: صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل».(تفسير ابن كثير أول سورة الإسراء)

قال صاحب السراج: «وما المانع من أنه صلى بهم مرتين، فإن في بعض الأحاديث ذكر الصلاة بهم بعد ذكره المعراج».(سبل الهدى والرشاد ١١٢/٣)

تنبيه:

نقل أصحاب السير منهم القسطلاني والحلبي عن ابن كثير أنه قال: صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده، فإن في الحديث ما يدل على ذلك، ولا مانع منه، انتهى.

وهذا غير صواب، فلا يوجد هذا الكلام في تفسيره ولا في تاريخه؛ بل صرح بأنه صلى بهم بعد نزوله فقال: «ثم اختلفوا في اجتماعه بالأنبياء وصلاته بهم، أ كان قبل عروجه إلى السماء؟ كما دل عليه ما تقدم، أو بعد نزوله منها؟ كما دل عليه بعض السياقات، هو أنسب، كما سنذكره على قولين. فالله أعلم. (البداية والنهاية ٣/١٢١)

وقال ابن كثير: «ولهذا كان كلما مر على واحد منهم يقول له جبريل عندما يتقدم ذاك للسلام عليه: هذا فلان فسلم عليه، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرُّفٍ بهم مرة ثانية، ومما يدل على ذلك أنه قال: فلما حانت الصلاة أممتهم».(البداية والنهاية ٣/١٢٣)

إيراد: يورد عليه البعض بأنه لم يكن في جماعتهم من كان خادما وآخر مخدوما، فلا يصح اعتبار الناظم الأنبياء عليهم السلام خادمين والنبي صلى الله عليه وسلم مخدومًا؟

الجواب: لم يخطئ الناظم في كلامه، ولا تطرق إليه شبهة، فإنه لم يقل: إن الأنبياء كلهم كانوا خدمة له صلى الله عليه وسلم، وإنما قال: قدمه الأنبياء عليهم السلام كما يقدم المرء إمامه، أو كما يقدم الخادم من هو أكبر منه.

والأصل أنه منصوب بنَزع الخافض، (١) مثل تقديم مخدوم على خدم. فحذف حرف التشبيه من قوله: كتقديم مخدوم على خدم؛ فنصِب التقديم. وما أكثر مثله في الأشعار، فلا يصح هذا الإيراد.

وقد أفرد الشارح بوجوه التشبيه مشيرا إلى هذا الشطر من البيت. ومن التشبيه المحتمل هنا ما يلي:

المشبه: تقديم الأنبياء محمدا صلى الله عليه وسلم.

المشبه به: تقديم الإنسان إمامه ومقتداه/ مخدومه.

وجه الشبه: كونه سيدا وإماما.

طعن الشيخ عبد الله بن الصديق في بعض أبيات قصيدة البردة:

وهذا البيت من الأبيات الأربعة التي طعن فيها الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري، واستبدلها بغيرها، وقال: ليس في جماعة الأنبياء بعضهم خادم وبعضهم مخدوم، فلا يصح من الناظم اعتبار بعضهم خادما وبعضهم مخدوما، وفيما يلي نصه:

«هذا خطأ لا شك فيه؛ لأن الأنبياء بعضهم مع بعض ليس فيهم خادم ومخدوم، وليس تفضيل بعضهم يقتضي أن يكون المفضول خادما للفاضل، بل هم سواء في النبوة، وفي حديث المعراج المتواتر ذكر الني صلى الله عليه وسلم أن يحيى وعيسى ويوسف وهارون وغيرهم حين تلقوه حياه كل واحد منهم بقوله: «مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد». الحديث رواه أحمد وأبو داود، وصححه ابن حبان والحاكم.

وقد عدّلت هذا البيت بقولي:

و قدَّمَتْك جميع الأنبياء بها ❁ وكرموك لفضل فيك من قِدم

وطبعت (البردة) بهذا الإصلاح في الإمارات العربية المتحدة. (مقالة عن قصيدة البردة للعلامة عبد الله بن الصديق الغماري الحسني، وهي ملحقة في آخر كتاب «البوصيري مادح الرسول الأعظم»، تاليف: عبد العال الحمامصي)

وشبهة العلامة الغماري هذه غير صحيحة، كما سبق آنفا.

الحكمة في ترتيب لقاء الأنبياء عليهم السلام:

وحاصل الترتيب الذي وردت به الأحاديث في لقاء النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء ما يلي:

أعياهما: (معناه: أن النبي صلى الله عليه وسلم أرهق جبريل والبراق بالسفر الطويل المتواصل) و لم يثبت بالحديث عيهما وتعبهما، وإنما هو تخييل.

يشير «أعياهما» إلى هذه الأسماء:

(أ) آدم عليه السلام في السماء الأولى.
(ع) عيسى عليه السلام في السماء الثانية.
(ي) يحيى عليه السلام في السماء الثانية.
(ي) يوسف عليه السلام في السماء الثالثة.
(أ) إدريس عليه السلام في السماءالرابعة.
(ه) هارون عليه السلام في السماء الخامسة.
(م) موسى عليه السلام في السماء السادسة.
(أ) إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة.

يقول المحدثون: الأحاديث التي لم يهم فيها راوٍ من الرواة تذكر هذا الترتيب في اللقاء. (صحيح البخاري، (١) باب ذكر الملائكة (٢) باب المعراج).

وعلى العكس من ذلك تشير بعض الأحاديث إلى أسماء الأنبياء الذين لقيهم في المعراج، دون ترتيب. وخلط بعض الرواة (مثل شريك بن عبد الله) الأسماء بعضها ببعض. (راجع: صحيح البخاري، (١) باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء. (٢) باب ذكر إدريس عليه السلام. (٣) باب قوله: وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا).

يقول أهل العلم: الأنبياء الذين لقيهم النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم مناسبة خاصة و فيه عدد من الحكم.

وفيما يلي بعض الحكم التي ذكرها أهل العلم مع زيادة شيء منها:

- **آدم عليه السلام:**

(١) هو أبو البشر، والنبي صلى الله عليه وسلم أفضل رسول في ذرية آدم عليه السلام.

(٢) كلاهما هاجر، فقد هجر آدم الجنة، وهجر النبي صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة.

(٣) علم آدم عليه السلام ذريته أمور المعاش، فعمر الأرض بهم، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم قام بتربية المسلمين (أبنائه الروحانيين) تربية دينية وأعدهم لنشر الدين في العالم كله، فأُرِيَ النبي صلى الله عليه وسلم أنه أعطي مشارق الأرض ومغاربها، فقال النبي

صلى الله عليه وسلم: «وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها».(صحيح مسلم، رقم: ٢٨٨٩).

فقام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة وتبليغ دين الحق في العالم منذ عهد الرسالة. ثم فتحت الفتوحات الكثيرة في الخلافة الراشدة، ثم شهد الإسلام الانتشار، حتى وصل إلى المسلمين خراج مشارق الأرض ومغاربها على عهد عبد الملك (المتوفى: ١٢٥هـ) كان يقول إذا رآى سحابة: «أمطري حيث شئت».

تنبيه:

«أمطري حيث شئت...» نسب هذا القول إلى عدد من الناس:

١- هشام بن عبد الملك. (سبل الهدى والرشاد ١٢٨/٣؛ شرح الزرقاني ٦٨/٦)

٢- عبد الملك بن مروان الأموي. (إمتاع الأسماع للمقريزي ٨١/١٢)

٣- خالد بن عمر بن سعيد بن خالد الأموي.(أنساب الأشراف ٦٠٤/٥)

٤- هارون الرشيد العباسي، نسب إليه هذا القول في عدد من مصادر المواعظ من غير توثيقه.

- **عيسى عليه السلام:**

١- أقرب الرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة».(صحيح البخاري، رقم:٣٤٤٣)

وفي حديث: « أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات، وليس بيني وبينه نبي».(صحيح البخاري، رقم:٣٤٤٢)

٢- «يبعث عيسى عليه السلام إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليتقدم للشفاعة الكبرى».

الشفاعة الكبرى التي تعم الناس كلهم، يرشد إليها عيسى عليه السلام الناس، ويرسلهم إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

٣- يأتي لتبليغ دين رسول الله صلى الله عليه وسلم. سينْزل عيسى عليه السلام مرة أخرى إلى الدنيا فيكون على هذا الدين ويدعو الناس إليه.

٤- كذبه اليهود وآذوا أذى كثيرا حتى عزموا على قتله، ولكن الله تعالى صانه،

وحدث مثل ذلك كله للنبي صلى الله عليه وسلم على أيدي اليهود، وذات مرة أجلسوه وأرادوا إلقاء صخرة عليه من فوقه والقضاء عليه نهائيا، وأخبره الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام، فحفظه منهم.

٥- أعد عيسى عليه السلام الحواريين لنصرة دينه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، كذلك أعد محمد صلى الله عليه وسلم الأنصار بمناسبة يوم بدر وغيرها من المواقع.

- **يحيى عليه السلام:**

قتله اليهود، ويشبه ذلك بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث سموه في طعامه، وتغلغل السم في جسده، حتى قطع حبل وريده لأجل ذلك، وتوفي. «كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم».(صحيح البخاري، رقم:٤٤٢٨)

- **يوسف عليه السلام:**

١- المشابهة في الحسن، وسبق هذا المعنى في الفصل الثالث.

٢- آذى يوسفَ عليه السلام إخوتُه، فلما قدر عليهم عفا عنهم، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لقي من أقربائه أذى كثيرا، ثم إنه صلى الله عليه وسلم عفا عنهم.

وبلغ التشابه بينهما في هذا الأمر أن اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم يوسف عليه السلام نموذجا حين عفا عن أعدائه، فأطلق الكلمات التي أطلقها يوسف حين عفا عن إخوته. (السنن الكبرى للنسائي، رقم: ١١٢٣٤)

٣- وبما أن الأمة المحمدية تدخل الجنة وعليها حسن يوسف، كما روي ذلك عن سليم بن عامر والمقداد بن الأسود رضي الله عنهما.(المعجم الكبير للطبراني٢٠/٢٨٠/٦٦٤. وقال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين، وأحدهما حسن. (مجمع الزوائد١٠/٣٣٤)، فكان لقاء يوسف عليه السلام بشارة له).

- **إدريس عليه السلام:**

١- رفع مكانا عليا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٧)

٢- هو أول من كتب بالقلم، «إن إدريس كان نبيا رسولا، وإنه أول من خط بالقلم». (فتح الباري ٦/٣٧٥، والحديث صححه ابن حبان). كذلك رفع النبي صلى الله عليه وسلم مكانا أعلى، وأرسل الكتب يدعو الناس إلى الدين، وأمر الأمة أن ينشروا الدين بالكتابة.

وهذه الكتب دليل كافٍ على عظمته له صلى الله عليه وسلم. وقرأ هرقل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فكان حاله كما وصفها بأبو سفيان قبل أن يسلم: « فقلت لأصحابي حين أخرجنا: ولقد أمِرَ أمر ابن أبي كبشة؛ إنه يخافه ملك بني الأصفر».(صحيح البخاري، رقم:٧).

- **هارون عليه السلام:**

آذاه قومه أذى كثيرا، وعبدوا العجل، فقتل ناس كثيرون، وكذلك قتِلَ مشركو مكة في بدر لعبادتهم الأصنام.

- **موسى عليه السلام:**

١- لقي موسى عليه السلام الأذى في تربية بني إسرائيل، وبالغ في الاجتهاد في ذلك، و حدث مثل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم ذات مرة وهو يشير إلى ذلك: «يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر».(صحيح البخاري، رقم: ٣٤٠٥)

٢- هو أفضل أنبياء بني إسرائيل، ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء كلهم.

٣- كان موسى رسولاً جاء بالأحكام والكتاب والجهاد، وكان محمد صلى الله عليه وسلم على مثل ذلك.

٤- كلاهما هاجر، واضطرهما إلى الهجرة الأوضاع التي عاشاها.

٥- فتح بيت المقدس على يد يوشع عليه السلام – خليفة موسى عليه السلام-، كذلك فتح بيت المقدس في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه- ثاني خلفاء محمد صلى الله عليه وسلم-.

- **إبراهيم عليه السلام:**

١- هو أبو الأنبياء، وينتسب إليه النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أمه وأبيه.

٢- كلاهما حطم الأصنام. فحطم إبراهيم الأصنام في عيد للكفرة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ﴾ (الصافات: ٩٣) وحطم محمد صلى الله عليه وسلم الأصنام يوم فتح مكة وغيره من المناسبات.

٣- كلاهما بنى الكعبة.

٤- وأحيى محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا من سنن إبراهيم، وكان دينه أقرب الأديان إلى دين إبراهيم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ (آل عمران: ٩٥)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ (الأنعام: ١٦١)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الحج: ٧٨)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ (النحل: ١٢٣)

ومناسك الحج والأضحية وغيرهما من السنن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه الناس بإبراهيم فيها؛ بل كان دين إبراهيم بمثابة متن الكتاب وصلبه، ودين رسول الله صلى الله عليه وسلم شرح له. (وبعض ما سبق بيانه جاء في المصادر التالية: الروض الأنف ١٢٧/٣-١٣١؛ شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٦٧/٦-٧٠؛ فتح الباري ٢١٠/٧-٢١١؛ بهجة النفوس ١٩٤/٣-١٩٥ المختصر والشرح، كلاهما لعبد الله بن أبي جمرة الأندلسي، المتوفى ٦٠٠هـ).

عدد لقائه صلى الله عليه وسلم الأنبياء عليهم السلام وكيفيته:

تفيد الروايات بالجملة أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي الأنبياء ليلة المعراج ثلاث مرات:

١- أمَّ الأنبياء عليهم السلام حين وصل إلى المسجد الأقصى وقبل صعوده إلى السماوات.

٢- لقي بعض الأنبياء خاصة في السماوات.

٣- اجتمع الأنبياء كلهم مرة أخرى حين عاد من السماوات، فأمَّهم مرة أخرى.

سؤال: في الحديث: « أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به مر على موسى عليه السلام وهو يصلي في قبره».(سنن النسائي، ذكر صلاة نبي الله موسى عليه السلام؛ مصنف عبد الرزاق ٥٧٧/٣، باب السلام على قبر النبي صلى الله عليه وسلم)، فكيف اجتمع الأنبياء كلهم بما فيهم موسى عليه السلام؟ وسبق قبل صفحات في شرح هذا البيت الحديثُ الذي يصرح بأن موسى عليه السلام كان ثمة.

وهنا يتساءل المرء: كيف رأى موسى عليه السلام ثلاث مرات في ليلة واحدة في ثلاثة أماكن؟ وكيف كان لقاؤه مع الأنبياء الآخرين؟ كثير من المتطورين لا يفهمون

ذلك؟

الجواب:

القول الأول: المشهور من الأقوال أن لقاء النبي صلى الله عليه وسلم مع الأنبياء عليهم السلام كان لقاءً روحيا، إلا عيسى عليه السلام فقد كان بجسده حقيقة؛ فإنه حي، ولم يأته الموت. وأما سائر الأنبياء فكان لقاؤه معهم بأن تشكلت أرواحهم بالأجساد، ولم تكن أجسادهم موجودة ثمة حقيقة، وعبر عنه أهل العلم بقولهم: «كانت أرواحهم مصورة في صور أبدانهم/ أرواحهم تشكلت بصور أجسامهم/ أرواحهم مشكلة بشكل أجسادهم.

وهذا التوجيه يرجع إلى أسباب:

١- في حديث طويل عن المعراج: «ثم سار حتى أتى بيت المقدس...، ثم لقي أرواح الأنبياء». (تفسير الطبري؛ تفسير ابن كثير؛ الدر المنثور، كلهم في أول سورة الإسراء؛ البداية والنهاية ٣١٦/٦)

وفي رواية: «ثم لقوا أرواح الأنبياء».(مسند البزار، رقم:٩٥١٨؛ مجمع الزوائد ٦٨/١)

٢- هذه الكيفيات للروح، فأولا في القبر، ثم في بيت المقدس بعد لحظات، ثم في السماوات، كل ذلك يرجع إلى الروح.

٣- الأصل أن الأجساد في القبر، ثم تخرج منه إلى المحشر، وأما الأرواح فتنتقل.

وأفرد العلامة ابن القيم رحمه الله هذا الموضوع بالحديث في كتابه «الروح»، وقال: الأصح أن هذا اللقاء كان روحيًّا.

القول الثاني: من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم أنه أذِن لجميع الأنبياء عليهم السلام أن يخرجوا من القبور بأجسادهم، وذلك زيادة في إكرامه صلى الله عليه وسلم.

ويؤيد ذلك الأحاديث التالية:

١- «فنشر لي رهط من الأنبياء».(معجم أبي يعلى، رقم: ١٠، وسبق مزيد من المصادر في أول البيت)

٢- «ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم السلام فأمَّهم».(دلائل النبوة للبيهقي ٣٦٢/٢)

و ردَّ أصحاب هذا القول على كثير مما ذكره ابن القيم رحمه الله في تأييد قوله

باللقاء الروحاني. (راجع: حاشية الزرقاني على المواهب ٧٣/٦)

القول الثالث: حين وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماوات ورأى الأنبياء عليهم السلام، فكان صلى الله عليه وسلم في السماوات، وكان الأنبياء في قبورهم كما كانوا، و لم يكونوا في السماوات. و يؤيده الأسلوب العربي. قال ابن أبي حمزة رحمه الله: يحتمل ذلك.

وقال غيره من أهل العلم: فيه نظر:

١- فيه هجر الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة.

٢- جاء لاحقا ذكر إبراهيم عليه السلام، وتفاصيل أخرى، مما يردّ هذا التوجيه.

القول الرابع: وعد العلامة الزرقاني قول أبي الوفاء (علي بن عقيل بن محمد البغدادي المتوفى ٥١٣هــ) قولا رابعا. (حاشية الزرقاني على المواهب ٧٣/٦) ولكن ليس فيه أمر جديد. وعليه جعل الحافظ ابن حجر القول الأول –أي اللقاء الروحي- مذهب أبي الوفاء. (فتح الباري ٢١٢/٧)

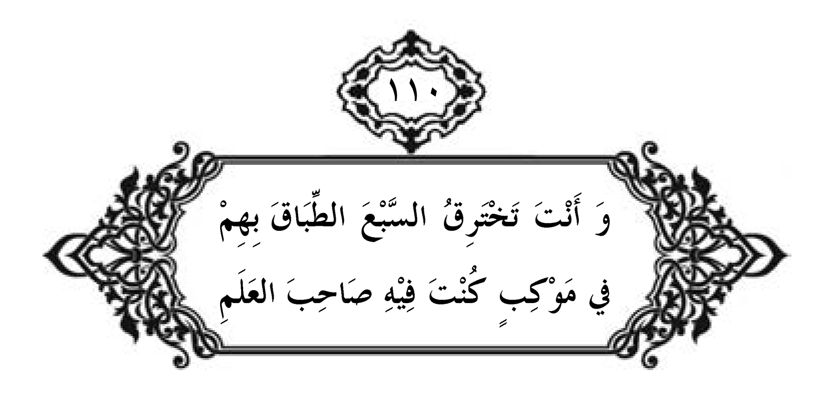
للاستزادة من هذا البحث راجع: الروح، ص ٤٤-٤٥؛ فتح الباري ٢١٠/٧-٢١٢؛ شرح الزرقاني على المواهب ٧٢/٦-٧٣؛ سبل السلام ١٣١/٣-١٣٣؛ بهجة النفوس ١٩٥/٣-١٩٦.

تنبيه:

«مررت على موسى عليه السلام وهو يصلي في قبره» حديث يدل على أن الأنبياء عليهم السلام أحياء في قبورهم حياة روحية.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

تخترق: خرَقَ (ض،ن) الشيء خرقا: شقه.

خرق الأرض: قطعها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ (الإسراء: ٣٧) والخرق في الأصل: الشق والمزق. ويطلق على قطع المسافة مجازًا.

خرِقَ (س) خَرَقًا (١) خاف. (٢) حمق. خرُق (ك) خُرقًا: حمق.

اخترق القومَ: مضى وسطهم.

اخترق الأرض: مر فِيهَا عرضا على غير طَرِيق.

السبع: سبع (ف،ض،ن) القومَ سبعًا: كان سابعهم. (تاج العروس ١٧٢/٢١)

سبع الذئبُ الغنم: افترسه. أسبوع: سبعة أيام. ج: أسابيع.

السَّبْع: العدد المعروف، السبُعُ: الحيوان المفترس. (وفي لغة: السبْع بسكون الباء) ج: سباع.

السُبْعُ/ السُّبُع: الجزء السابع.

الطباق: طبق (س) طَبَقًا: انغلق. أطبق الشيء: غطاه.

الطباق له معنيان: ١- مطابقة بعضها بعضا. ٢- ذات الطبق. وهما كما يلي:

(١) مصدر بمعنى اسم الفاعل (مطابق)، طابق في مشيه مطابقة وطباقا: وضع رجليه موضع قدميه في المشي. وطابقَ: من الطباق معناه: مطابقة بعضها من بعض.

(٢) طباق جمع طبق أو طبقة. ومعناه: بعضه فوق بعض.

فمعناه هنا: السماوات السبع بعضها فوق بعض، أو السماوات ذات درجات.

الطباق في علم البلاغة: الجمع بين المتقابلين.

موكب: وكب (ض) وكبا ووَكبانا: ١- مشى مشيا وئيدا. ٢- نهض مستقيما.

وكِب الثوبُ (س) وَكبا: وسخ. أوكب: انضم إلى المسيرة.

الموكب: ١- قافلة من الجمال خرجت للزينة. ٢- جماعة المشاة أو الركبان في صورة المسيرة، ج: مواكب.

سمي الموكب به؛ لأنه يسير بطيئا، والغرض منه المشي البطيء لا غير، ليعلم الناس بذلك، فإن أسرع فات تأثير الموكب.

صاحب: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٦١.

العلم: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٥، ٣٨.

الإعراب:

وأنت: الواو عاطفة.

تخترق: وضع الفعل المضارع موضع الماضي. وهذا من قبيل استحضار الحال الماضي/ حكاية الحال الماضية. وما أكثر الأمثلة عليه في النصوص، منها قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٧)، وقوله تعالى: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ (الفيل: ٤)، وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص: ٥)

وذكر العلامة الألوسي أيسر تعريف لهذا النوع من البلاغة وفائدته فقال: «حكاية الحال الماضية: ومعنى ذلك: أن تقدر نفسك كأنك موجود في ذلك الزمان الماضي، أو تقدر ذلك الزمان كأنه موجود الآن. (روح المعاني ٤/١٠٠)

وصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ (فاطر: ٩) لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة. وكثيرا ما يفعلون ذلك بفعل له نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرق أو تهم المخاطب أو غير ذلك». (روح المعاني ٢٢/١٧١)

السبع الطباق:

حذف موصوفها: السماوات. فالسبع: صفة أولى، والطباق: صفة ثانية.

وكثيرا ما يحذف الموصوف كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

(الأعراف: ٥٦) : أي شيء قريب، وقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ (النجم: ١٨) أي: الآيات الكبرى، وقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (الرعد: ١٨)

بهم:

(١) حال، أي: تخترق السماوات السبع حال كونك مارا بالأنبياء.

(٢) أو حذف متعلق بهم، وهو (تمرّ)، فالجملة خبر ثاني لقوله: أنت.

أنت: مبتدأ. تخترق...الخ خبر أول، تمر بهم: خبر ثانٍ.

في موكب...:

في: جار. موكب: مجرور. كنت فيه.الجملة صفة، والجار مع مجروره متعلق بالفعل، الذي تعلق به «بهم». والتقدير: حال كونك مارًّا بالأنبياء وحال كونك مارا في موكب.

وأهون منه أنه حذِف متعلق (في موكب)، أي: كائنا في موكب. والمعنى واحد.

الشرح:

تخترق: فيه رد على الفلاسفة، القائلين بعدم الخرق والالتئام. وسبق هذا البحث في بداية هذا الفصل ومبحث شق القمر. راجع البيت رقم: ٧٥، ١٠٧.

السبع الطباق: مأخوذ من القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ (الملك:٣)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ (نوح: ١٥)

أيسر تفسيرين للطباق: ١- بعضهن فوق بعض. ٢- متفق، مطابق،متشابه (أي: يشبه بعضه بعضا في الحسن وجودة الصنع). (تفسير الماوردي ٤٩/٦، للاستزادة منه راجع كتب التفاسير الأخرى)

عدد السماوات والأرض:

ورد أن السماوات سبع بعضها فوق بعض ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾، و لم يرد في الأرض أنه «سبع أرضين» ولا أنها «طباق». ففيه إشارة إلى أن الأرض واحدة. وسبق هذا في البيت رقم: ٦٨.

موكب: المراد به جماعة الأنبياء، وذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم حين انطلق من بيت المقدس إلى السماوات، صحبته جماعة من الأنبياء، وحيث ثبتت إمامته صلى الله

عليه وسلم للأنبياء فلزم وجودهم. وأما ما يقوله الناس: إن جماعة من الملائكة كانت لاستقبال النبي صلى الله عليه وسلم فلم نعلم عليه دليلا.

صاحب العَلم:

(١) العلَم يكون على العنَزة، ورافع العلم يرتكز عليه الأنظار، والمراد بصاحب العلم في البيت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان زينة الموكب. ويؤيده حديث المعراج الذي ورد فيه أنه كان يسأل في كل سماء: من؟ فقال جبريل: جبريل. ثم سئل: من معك؟ فقال جبريل: محمد. قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم. وكان ذلك في السماوات السبع. وذلك ليدل على سمو منْزلته صلى الله عليه وسلم.

(٢) كناية عن الرياسة: فالأمير بيده العلم، والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان أمير الركب.

تنبيهات وفوائدة هامة حول قصة المعراج:

لم يثبت بلوغ جبريل مقامَ القرب:

لم يثبت بلوغ جبريل مقامَ القرب، وسبق حديث المعراج آنفًا، ولم يرد فيه أو في شيء من أحاديث المعراج أن الله تعالى حين كلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وفرضت عليه الصلوات كان جبريل معه صلى الله عليه وسلم.

لا يعرف المكان الذي تشرف فيه النبي صلى الله عليه وسلم بالكلام مع الله تعالى، وحيث كان مقام القرب هذا فإنه لم يثبت بلوغ أحد إليه. نعم ورد في المجلد الثاني من صحيح البخاري في باب «كلم الله موسى تكليما»: «فعلا به إلى الجبار». وهذا من رواية شريك بن عبد الله، الذي قال فيه الحافظ ابن حجر: «صدوق يخطئ». ويقول الشيخ بشار عواد والشيخ شعيب الأرنؤوط: «قلنا: إنما أُنزل إلى مرتبة «صدوق» بسبب خطئه في حديث المعراج، قال المؤلف في مقدمة «الفتح»: احتج به الجماعة، إلا أن في روايته عن أنس لحديث الإسراء مواضع شاذة. قلنا: مجموع هذه المواضع تزيد على عشرة ذكرها الحافظ في «الفتح».٣/٤٨٥-٤٨٦ ».(تحرير تقريب التهذيب ٢/١١٤)

وفي بعض الروايات أنه تعالى تفضل على النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المقام

خلال كلامه معه أفضالا كثيرة، وبشره بأشياء، وأمره بأوامر. (للاستزادة من هذا الكلام راجع: الخصائص الكبرى ١/٢٩٨-١٩٩؛ دلائل النبوة للبيهقي ٢/٤٠٢-٤٠٣؛ شرح الزرقاني على المواهب ٦/١٠٢-١٠٥؛ الشفا ١/١٨٣-١٨٤؛ سبل الهدى والرشاد ٣/٩١).

لم يثبت تجاوزه صلى الله عليه وسلم سدرةَ المنتهى:

لم يثبت تجاوزه صلى الله عليه وسلم سدرةَ المنتهى. وذلك لأسباب، هي ما يلي باختصار:

(١) لم تذكر مصادر الحديث تجاوزه سدرة المنتهى. وفصَّلوا سدرة المنتهى كثيرا، ولم يرد فيه تجاوزه؛ ويفيد سياقات الحديث أنه رجع منها.

قال القاضي: «جوَّد ثابت رحمه الله هذا الحديث عن أنس ما شاء، ولم يأت أحد عنه بأصوب من هذا».(الشفا ١/١٨-١٧٩)

وفي رواية: «ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا أوراقها... فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم، فنَزلت إلى موسى...». (صحيح مسلم، رقم: ١٦٢؛ ومثله في صحيح البخاري، رقم:٣٨٨٧)

وهذه الروايات نص في أنه بلغ سدرة المنتهى، ثم فرضت عليه الصلوات، ثم نزل، ولقي موسى عليه السلام. ولم يرد في شيء منه أنه تجاوز سدرة المنتهى.

(٢) ورد عن السلف الصالح أن سدرة المنتهى هي منتهى أمر كل نبي. عن كعب قال: «سدرة المنتهى ينتهي إليها أمر كل نبي وملك». (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٧٧٣٦)

وقال القرطبي: «واختلف لم سميت سدرة المنتهى على تسعة أقوال...، الرابع: لانتهاء الملائكة والأنبياء إليها، ووقوفهم عندها، قاله كعب».(تفسير القرطبي١٧/٦٣)

(٣) نص كثيرون على أن سدرة المنتهى لم يتجاوزها أحد، دون استثناء:

«وتسميتها المنتهى: إما لأنها في منتهى الجنة وآخرها، أو لأنها لم يجاوزها أحد».(البحر المديد لابن عجيبة ٧/٢٣٣؛ الكشاف للزمخشري ٤/٤٢٢؛ تفسير النسفي ٢/١٩٥)

والحاصل أنه لم يثبت تجاوز النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى؛ إذ لم يرد له ذكر.

إيراد: صرح كثير من شروح الحديث بأنه لم يتجاوز سدرة المنتهى أحد سوى

النبي صلى الله عليه و سلم.

الجواب: لا شك أن كثيرا من الشراح ذكر ذلك، ولكن من غير توثيقه بمصدر من المصادر.

يقول الإمام النووي في شرح سدرة المنتهى: « قال ابن عباس رضي الله عنهما، و المفسرون وغيرهم: سميت سدرة المنتهى؛ لأن علم الملائكة ينتهي إليها، و لم يجاوزها أحد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم».(شرح النووي على مسلم، باب الإسراء)

وحكى ذلك عن النووي غير واحد من أهل العلم في شروحهم، منها: فتح الباري ٢١٣/٧؛ عمدة القارئ ٥٦٨/١٠؛ شرح السيوطي على مسلم المسمى «الدبياج» ١٩٩/١؛ مرقاة المفاتيح ٢١٣/١١.

ولكن لم يذكر أحد منهم إسناده، ولا حققه أحد أكثر. وأشار الإمام النووي إلى المفسرين، فذكره بعض كتب التفسير منها: تفسير الخازن المسمى «الباب التنْزيل» ١١٥/٣، والسراج المنير ٢٨٠/٢، وتفسير النيسابوري «غرائب القرآن» ٢٠٢/٦. و لم يسند هؤلاء المفسرون قول ابن عباس. وهؤلاء الثلاثة جاءوا بعد الإمام النووي.

وحاصل ذلك كله أن قول ابن عباس هذا لم يثبت بإسناد. والمفسرون الذين التزموا ذكر أسانيد أقوال السلف الصالح، لم يذكروا له إسنادا؛ بل وردت روايات بإسناد تدل على أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يختار تفسيرا آخر لسدرة المنتهى. فقد ورد أن ابن عباس سأل كعبا عن ذلك، فقال: إليها ينتهي علم الخلق...، فقبله ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الطبري في تفسيره: «ثنا ابن حميد...عن شمر قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال له: حدثني عن قول الله تَعَالَىٰ:﴿ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾ ، فقال كعب: إنها سدرة في أصل العرش، إليها ينتهي علم كل عالم، ملك مقرب أو نبي مرسل.

وبإسناده عن هلال بن يساف: سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى، وأنا حاضر، فقال كعب: «إنها سدرة على رؤوس حملة العرش وإليها ينتهي علم الخلائق، ثم ليس لأحد وراءها علم». (تفسير الطبري ٥١٤/٢٢)

ومعنى الروايتين واحد، و ذكر عدد من مصادر التفسير في شرح سدرة المنتهى أن ابن عباس كان يفسر سدرة المنتهى بـــ«ينتهي إليها علم كل عالم». كما جاء في تفسير القرطبي، وتفسير الماوردي، وروح المعاني، وتفسير البغوي، وتفسير الخازن؛ كلهم في تفسير سورة النجم.

الخلاصة:

حاصل ما قلنا:

١- لم يثبت تجاوز النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى، إذًا أنى يستدل عليه.

٢- وما نسب إلى ابن عباس فلا إسناد له. بل قد روي عنه رضي الله عنه تفسير آخر لسدرة المنتهى.

تحقيق رواية الرفرف:

إيراد: قلت: لم يثبت تجاوز النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى، في حين ذكر كثير من المصادر أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ سدرة المنتهى، جاءه الرفرف، فركبه ووصل إلى العرش، فعلم منه أنه تجاوز سدرة المنتهى إلى العرش؟

الجواب:

(١) ذكر ذلك كتب التفسير، دون إسناد، ولا اسم الراوي، وإنما قالوا: ورد في حديث المعراج، أو: ذُكِرَ لنا كذا.

قال القرطبي في تفسيره: «وروي لنا في حديث المعراج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى، جاءه الرفرف، فتناوله من جبريل، وطار به إلى مسند العرش، فذكر أنه قال: طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بين يدي ربي».(تفسير القرطبي ١٢٤/١٧؛ وذكره القرطبي في غيره من المؤلفات)

وقريبا من هذا المعنى أورد غيره من التفاسير.(راجع: روح البيان٢٨٩/٩؛ تفسير الثعلبي المسمى بالكشف والبيان٦/٦٥؛ اللباب في علوم الكتاب ١٧٧/١٨؛ البحر المديد ١٠٢/٤)

(٢) نعم ورد هذا المعنى في حديث طويل من أحاديث المعراج: أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب عند سدرة المنتهى الرفرفَ، ووصل إلى العرش، ولكن هذا الحديث اتفق المحدثون على وضعه. وحاصل الكلام على هذا الحديث: ذكره العلامة ابن مردويه في

تفسيره بطريقين، وذكر ابن حبان له إسنادا واحدا، وفيه رجال متهمون بالوضع.

واضع هذا الحديث كما يقول ابن حبان– هو ميسرة بن عبد ربه. و ذكر العلامة الذهبي والحافظ ابن حجر ذلك في ترجمة ميسرة تبعًا لابن حبان.

أو واضعه عمر بن سليمان، كذا قال ابن حجر في ترجمة عمر بن سليمان، وقال السيوطي: هذا الأخير أحسن.

والحاصل أن الإمام الذهبي، والحافظ ابن حجر، والشيخ ابن عياش، وابن حبان، والسيوطي، وابن عراق الكناني وغيرهم رحمهم الله قالوا: موضوع. والحديث طويل جدا وجاء في صفحات عدة، نأتي على أهم أجزائه:

قال العلامة السيوطى رحمه الله تعالى في اللآلي المصنوعة: «(ابن حبان) حدثنا محمد بن سدوس النسوي حدثنا حميد بن زنجويه حدثنا محمد بن خداش حدثنا علي بن قتيبة عن ميسرة بن عبد ربه عن عمر بن سليمان الدمشقي عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا: لما أسري بي إلى السماء رأيت فيها أعاجيب من عباد الله وخلقه...، قال ابن حبان: وذكرحديثا طويلا في قصة المعراج شبيها بعشرين ورقة.

قال المؤلف [أي: ابن حبان]: موضوع، والمتهم به ميسرة كذاب وضاع.

قلت: [أي السيوطي]: وكذا قال ابن عياش والذهبي في الميزان وابن حجر في اللسان. و قد أخرجه بطوله ابن مردويه في التفسير، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد البلخي حدثنا إسحاق بن الهياج بن مربون أبو يعقوب البلخي، حدثنا محمد بن حفص الجوزجاني، حدثنا العلاء بن الحكم البصري عن ميسرة بن عبد ربه عن عمر بن سليمان الدمشقي عن الضحاك وعكرمة عن ابن عباس. قال: وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا عبد الله بن أحمد بن أسيد الأصبهاني حدثنا محمد بن عيسى بن يزيد السعدي حدثنا سليمان بن عمر بن سيار التميمي حدثني أبي حدثنا سعيد بن رزين عن عمر بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم وعكرمة عن ابن عباس به.

وكتب الذهبي بخطه عليه في الحاشية أنه موضوع، وهذا الطريق الثاني يدل على أن الآفة من غير ميسرة؛ وقد قال الذهبي في الميزان في ترجمة عمر بن سليمان: أتى عن الضحاك بحديث الإسراء بلفظ موضوع، و تبعه ابن حجر في اللسان، مع ذكرهما له في

ترجمة ميسرة: فإنه المتهم به، لكنهما تبعا هناك ابن حبان، والأشبه ما ذكراه هنا أن الآفة من عمر بن سليمان. والله أعلم».(اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ٦٢/١، ٧٥. ومثله في: المجروحين من المحدثين والضفعاء والمتروكين لابن حبان ١١/٣-١٢، ترجمة ميسرة. وتنْزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ١٦٩/١).

وحكى الحافظ ابن حجر أنه لم يتجاوز أحد سدرة المنتهى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم إن الحافظ ابن حجر نفسه اعتبر هذا الحديث- الذي ورد فيه ذلك فيما ورد- موضوعا، فعلم منه أن الحافظ ابن حجر خطر بباله دليل آخر يدل على هذا المعنى، وأما هذا الحديث فلا يدل عليه على الإطلاق.

مقام سدرة المنتهى يتأخر عن صريف الأقلام:

سؤال: قلتَ: لم يثبت تجاوز النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى، في حين تفيد بعض الأحاديث أن مقام صريف الأقلام بعد سدرة المنتهى. وثبت بالأحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع صوت كتابة الملائكة في مقام صريف الأقلام، فعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم تجاوز سدرة المنتهى إلى مقام صريف الأقلام ؟

الجواب: كلاهما صحيح، ولا تعارض بينهما.

١- دلت الأحاديث على أنه صلى الله عليه وسلم سمع صريف الأقلام، و لم يرد فيها أن هذا المقام بعد سدرة المنتهى.

٢- رغم البحث الكثير لم نعثر على حديث له إسناد، فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوز سدرة المنتهى.

٣- سياقات الأحاديث الصحيحة تفيد أن صريف الأقلام يتقدم على سدرة المنتهى: « ثم مررت بإبراهيم عليه السلام،... أن ابن عباس وأبا حبَّةَ الأنصاري كانا يقولان: قال النبي صلى الله عليه وسلم: حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام...، ثم انطلق بي جبريل حتى نأتي سدرة المنتهى».(صحيح البخاري، رقم:٣٤٩؛ صحيح مسلم، رقم: ١٦٣)

فهذا الحديث يدل على أن صريف الأقلام يتقدم على سدرة المنتهى. وقال بعض أهل العلم: مقام صريف الأقلام يتأخر عن سدرة المنتهى.

وإليه ذهب الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي؛ لأن الأحاديث ذكرت العروج إلى

مقام صريف الأقلام بعد سدرة المنتهى بكلمة (ثم).

لا شك أن بعضهم قدم سدرة المنتهى على صريف الأقلام في الذكر، مما يوهم ذلك. (السيرة الحلبية ١٢٧/٢؛ فتح الباري ١٢٦/٧)

وذكر الشيخ محمد إدريس شواهد على ذلك. (راجع: سيرة المصطفى ٣٤٧/١-٣٤٨) ولكن يبدو أن الصحيح أن الراوي ذكر مختلف أجزاء الرحلة بترتيبه هو، والترتيب في الذكر لا يستلزم الترتيب في الوقوع.

وعلى كل تدل أحاديث الصحيحين على أن صريف الأقلام مقدم على سدرة المنتهى. والله أعلم.

لم يثبت بلوغه صلى الله عليه وسلم العرشَ:

يذكر بعض الوعاظ أن النبي لما أسري به ليلة المعراج إلى السماوات العلى و وصل إلى العرش المعلى أراد خلع نعليه أخذا من قوله تعالى لسيدنا موسى حين كلمه: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه: ١٢) فنودي من العلي الأعلى: يا محمد! لا تخلع نعليك فإن العرش يتشرف بقدومك متنعلا ويفتخر على غيره متبركا، فصعد النبي إلى العرش وفي قدميه النعلان. (الآثار المرفوعة، ص ٢٦)

وهذه القصة باطلة، وكذلك القصة الموضوعة التي يذكرها بعض الناس بقولهم: قال الله تعالى: تقدم على بساط العرش بنعليك ليتشرف العرش بغبار نعال قدميك ويصل نور العرش. أو لأنه كان استثني من آداب الحضرة الإلهية. (روح البيان ٣٦٨/٥)

ظل الواعظون قديما يذكرون هذه القصص، وينظمها الشعراء في أشعارهم، وللعلامة محمد بن فرج المغربي السبتي (توفي نحو: ٤٩٧هـ) قصائد في نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه ذكر بركات النعلين، و وصوله صلى الله عليه وسلم بهما إلى العرش.

ذكر هذه القصائد كتاب «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض» للعلامة شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت: ١٠٤١هـ).

أفرد القصائد التي جاءت قوافيها على حروف الهجاء.(راجع: أزهار الرياض ٢٢٩/٣-٢٨٢)

وقصيدة بهذا المعنى توجد في ديوان عبد الرحيم بن أحمد البرعي اليماني

(ت:٨٠٣هـ) أيضًا، وعبد الرحيم البرعي من شعراء الصوفية.

والصحيح أن وصوله صلى الله عليه وسلم إلى العرش لم يثبت بحديث، ولا أنه عرِجَ به تلك الليلة بالنعال.

وحديث المعراج روي عن أربعين من الصحابة، و لم يذكر أحد منهم أنه صلى الله عليه وسلم وصل إلى العرش، فمثل هذا القول على غاية من الوقاحة والجرأة.

وحقق العلامة عبد الحيي اللكنوي تحقيقا قيما، فقال:

«ولنذكر ههنا بعض القصص التي أكثر وعاظ زماننا ذكرها في مجالسهم الوعظية، وظنوها أمورا ثابتة مع كونها مختلقة موضوعة.

فمنها: ما يذكرون من أن النبى لما أسري به ليلة المعراج إلى السماوات العلى و وصل إلى العرش المعلى أراد خلع نعليه أخذا من قوله سيدنا موسى حين كمله: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ فنودي من العلي الأعلى: يامحمد، لا تخلع نعليك؛ فإن العرش يتشرف بقدومك متنعلا و يفتخر على غيره متبركا، فصعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى العرش وفي قدميه النعلان، وحصل له بذلك عز وشأن...، وقد نص أحمد المقري المالكي في كتابه «فتح المتعال في مدح خير النعال»، والعلامة رضي الدين القزويني، ومحمد بن عبد الباقي الزرقاني في شرح «المواهب اللدنية» على أن هذه القصة موضوعة بتمامها، قبح الله واضعها، و لم يثبت في شيء من روايات المعراج النبوي مع كثرة طرقها أن النبى كان عند ذلك متنعلا، ولا ثبت أنه رقى على العرش...، وقد بسطت الكلام في هذا المرام في رسالتي «غاية المقال فيما يتعلق بالنعال» فلتطالع. (الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للعلامة عبدالحي اللكنوي، ص٢٦-٢٧)

وقال العلامة اللكنوي في غاية المقال:

«قال في فتح المتعال: قد صرح السبتي في عدة قصائد وغيرها بأن النبي صلى الله عليه وسلم أسري بنعله الكريمة، و زاد أنه قد أراد خلعها فنودي لا تخلع. وتبعه على ذلك صاحبنا أبو الحسن علي بن أحمد الخزرجي حفظه الله، و وقع مثل ذلك في كلام الشيخ عبد الرحيم البرعي و غير واحد من مادحيه صلى الله عليه وسلم، مع أني لم أر ما يعضد ذلك من كتب السنة بعد الفحص الشديد،فالصواب ترك ذلك؛ إذ لم يثبت الآن، ومثل

هذا لا يقدم عليه إلا بتوقيف، وقد أنكره غير واحد من حفاظ الإسلام وحملة السنة ونقاد الحديث وصيارفته، وشنعوا على من قاله، وصرحوا بأنه موضوع مختلق، فعهدة وضعه على من نقله غير مبين لوضعه، واتباع المحدثين في هذا المقام متعين؛ فإن صاحب البيت أدرى بما فيه. وقد سئل الإمام رضي الدين القزويني رحمه الله عن وطئ النبي صلى الله عليه وسلم العرش بنعله، وقول الرب جل جلاله: لقد شرف العرش بنعله، فليس بصحيح وليس بثابت؛ بل وصوله إلى ذروة العرش لم يثبت في خبر صحيح، ولا حسن و لا ثابت أصلا، وإنما صح في الأخبار انتهاؤه إلى سدرة المنتهى فحسب، وأما إلى ما وراءها فلم يصح، وإنما ورد ذلك في أخبار ضعيفة أو منكرة لا يعرج عليها. انتهى جوابه.

وقد قال البعض المعتمد عليهم من المحدثين بعد ما نقل الجواب المذكور ما ملخصه أن ما ذكره الشيخ رضي الدين هو الصواب، وقد وردت قصة الإسراء مطولة ومختصرة عن نحو أربعين صحابيا، وليس في حديث أحد منهم أنه صلى الله عليه وسلم كان في تلك الليلة في رجله نعل، و إنما ذلك شيء وقع في نظم بعض القصاص الجهلة و لم يذكر العرش، وإنما قال: أتى البساط، فهم بخلع نعليه، فنودي لا تخلع. وهذا باطل لم يذكر فى شيء من الأحاديث بعد الاستقراء التام، و لم يرد في حديث صحيح ولاحسن ولا ضعيف أنه عليه الصلاة والسلام جاوز سدرة المنتهى؛ بل ثبت أنه انتهى إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، ومن ذكر أنه جاوز ذلك فعليه البيان، وأنى له بذلك، و لم يرد في خبر ثابت ولا ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم رقى العرش، ولا أعلم خبرا ورد فيه أنه رأى العرش، إلا ما رواه ابن أبي الدنيا عن أبي المخارق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مررت ليلة أسرى بي برجل مغيب في نور العرش، قلت: من هذا؟ الملك؟ قيل: لا، قلت: نبي، قيل: لا، قلت: من هو؟ قيل: هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله، وقلبه معلق بالمساجد. الحديث. وهو خبر مرسل لا تقوم به الحجة في هذا الباب، وما ذكر فى السؤال السابق من أنه رقى العرش بنعله، ما أعدم حياؤه وآدابه، وما أجرأه على اختلاق الكذب على سيد المتأدبين صلى الله عليه وسلم. انتهى كلام المقرئ».(غاية المقال فيما يتعلق بالنعال، ص٧٣-٧٤)

اقتبس الشيخ عبد الحيي اللكنوي الكلام السابق من «فتح المتعال في وصف النعال»

(ص ٣٠٥-٣٠٦) وهو لأحمد بن محمد بن المقرئ التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ) وقال العلامة اللكنوي في حاشية الآثار المرفوعة (ص ٢٦): توفي عام ١٠٧١هـ، والصحيح ١٠٤١هـ كما صرح العلامة اللكنوي في طرب الأماثل بتراجيم الأفاضل، ص ٧ أنه توفي عام ١٠٤١هـ. ولعل ١٠٧١هـ من خطإ النساخ.

وكلام التلمساني هذا حكاه غير العلامة اللكنوي أيضا. (راجع: شرح الزرقاني على المواهب ١٠٦/٦؛ نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، ص١٣٩-١٤٠ للعلامة رفاعة بن بدوي بن علي الطهطاوي الحسيني من كبار علماء الأزهر الشريف، المتوفى ١٢٩٠هـ).

وتحدث عن بطلان هذا الكلام كتب أخرى منها:

١- السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة للدكتورمحمد بن محمد أبو شهبة ١٤/١. وهو صاحب الكتاب المحقق: «الإسرائيليات في كتب التفسير» توفي عام ١٤٠٣هـ.

٢- ليلة المعراج: مقال كتبه العلامة محمد رشيد رضا المصري المتوفى ١٣٥٤هـ في مجلة المنار ٣/شعبان ١٣١٦هـ، ونقل الشيخ عن الغزالي: «والصحيح أنه لم يرتق إلى العرش».

٣- وهو بالأفق الأعلى، ص ٢٥٤، أحاديث المعراج في الميزان، للسيد محمد علوي المالكي، واعترف الشيخ العلوي بأنه لم يثبت الرقي إلى العرش.

واعلم أننا لا نتفق معه في كل ما هو عليه. نعم هذا المقال صحيح.

حديث جلوس النبي صلى الله عليه وسلم على العرش يوم القيامة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم بعض الناس تبعا لهم: إن الله تعالى يُجلِّس النبي صلى الله عليه وسلم على العرش يوم القيامة، وحاول كل واحد منهم إثبات هذه العقيدة الباطلة في كتبهما، وهي غير صحيحة. ومخلص ما قاله أهل العلم في هذا الباب ما يلي:

١- ليس عليه دليل يعتبر.(الكوثري)

٢- نسب إلى الدارقطني هذه العقيدة وبعض الأبيات حولها، ولم تثبت هذه النسبة، وأبطله العلامة الكوثري والشيخ الألباني نفسه.

٣- ولا يصح نسبتها إلى ابن جرير الطبري أيضا، قال الطبري:

سبحان من ليس له أنيس ۞ و لا له في عرشه جليس

وقد اختار الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ أنه الشفاعة، لا جلوسه على العرش.

٤- ولا يصح ما عزاه في تفسير الطبري إلى مجاهد؛ فإن رجاله كلهم قد تكلموا فيهم. وقال أهل العلم: لا يعتد به. وقد رجح ابن جرير الطبري تفسيرها بالشفاعة وكأنه رد ما روي عن مجاهد. (مستفاد من فتاوى دارالعلوم زكريا، المجلد الأول، راجعها للاستزادة منه)

تخلف جبريل:

يقول الوعاظ: بلغ جبريل عليه السلام سدرة المنتهى فقال للرسول صلى الله عليه وسلم: هذا منتهاي، ها أنت وربك. ولو جاوزت قيد شعرة لاحترق جناحي. وقيل: لو جاوزت بقدر أنملة لاحترقت. ونظم الشيخ سعدي هذا المعنى في البيت فقال:

اگر یک سرِ موئے برتر پَرم ۞ فروغِ تجلی بسوزد پَرم

(لو تجاوزتُ قيد شعرة لأحرق بريق التجليات أجنحتي)

وقال قبله:

چناں گرم در تیہِ قربت براند ۞ کہ در سدرہ جبریل ازو باز ماند

(ساق راحلته في مقام القرب بسرعة، خلَّفَت جبريلَ عليه السلام في سدرة المنتهى عن النبي صلى الله عليه وسلم).

والصحيح أنه لم يثبت بإسناد، ولا يذكرونه حيث يذكرونه إلا على وجهين:

١- ساق كثير من المصادر الأحاديث في هذا المعنى بدون إسناد. والأحاديث المروية بالأسانيد، منها حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الطويل المار في الوصول إلى العرش بالرفرف - سبق مفصلا أنها موضوعة.

وفي حديث آخر عن أبي هريرة، رواه الخطيب، وفي إسناده إبراهيم بن عيسى القطري مجهول.

وقال الذهبي، والخطيب البغدادي، وابن الجوزي، وابن كنان، والعراقي -مؤلف تنْزيه الشريعة- وغيرهم من أهل العلم: موضوع. وسيأتي نصوصهم.

لم تثبت حرارة فراشه صلى الله عليه وسلم إلى عودته من المعراج:

لن يثبت أن فراشه ظل حارا حتى عاد من المعراج.

يقال: عاد النبي صلى الله عليه وسلم من المعراج عاجلا حتى كان فراشه حارا. (روح المعاني١٥ /١٢؛ في ظلال القرآن ٢٢١٠/٤؛ نزهة المجالس ١٢٥/٢) و لم يثبت ذلك، جاء في أسنى المطالب: «حديث «ذهابه ورجوعه ليلة الإسراء و لم يبرد فراشه» لم يثبت ذلك، و لم يرد شيء في مدة غيبته».(أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ٧٢)

الأحاديث الورادة فيما سبق من التنبيهات:

(١) ويروى أن جبريل لما وصل إلى مقامه، وهو سدرة المنتهى فوق السماء السابعة، قال له صلى الله عليه وسلم: «ها أنت وربك، هذا مقامي لا أتعداه، فزج بي في النور»... وفي تاريخ الشيخ العيني شارح البخاري عن مقاتل بن حيان، قال: «انطلق بي جبريل حتى انتهى إلى الحجاب الأكبر عند سدرة المنتهى، قال جبريل: تقدم يا محمد، قال: فتقدمت حتى انتهيت إلى سرير من ذهب عليه فراش من حرير الجنة»... وفي رواية: «إنه لما وقف جبريل، قال له صلى الله عليه وسلم: في مثل هذا المقام يترك الخليل خليله؟ قال: إن تجاوزت احترقت بالنار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا جبريل، هل لك من حاجة إلى ربك؟ قال: يا محمد، سل الله عز وجل لي أن أبسط جناحي على الصراط لأمتك حتى يجوزوا عليه...».(السيرة الحلبية٥٦٥/١، باب ذكر الإسراء و المعراج وفرض الصلوات الخمس)

(٢) و ذكرالقسطلانى مثله فقال: وذكر أبو الحسن بن غالب وعزاها لأبي الربيع بن سبع في شفاء الصدور من حديث ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد أن ذكر مبدأ حديث الإسراء، كما ورد في الأمهات، فذكرالقصة. (ينظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٩٣/٦).

ذكره بالإسناد: قال الخطيب البغدادي:

(٣) أخبرنا أبو طالب عمر بن إبراهيم الفقيه، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك إملاءً، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن حازم المروزي، قال: حدثنا إبراهيم بن عيسى القنطري، قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري، قال: حدثنا الوليد

بن مسلم، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن الزهري، قال: قال لي عبد الرحمن الأعرج، حدثني أبوهريرة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لما أسري بي إلى السماء انتهى بي جبريل إلى سدرة المنتهى، فغمسني في النور غمسة ثم تنحى، فقلت: حبيبي جبريل أحوج ماكنت إليك تدعني وتتنحي؟ قال: يا محمد، إنك في موقف لا يكون نبي مرسل ولا ملك مقرب يقف ههنا! أنت من الله أدنى من القاب إلى القوس». الحديث.

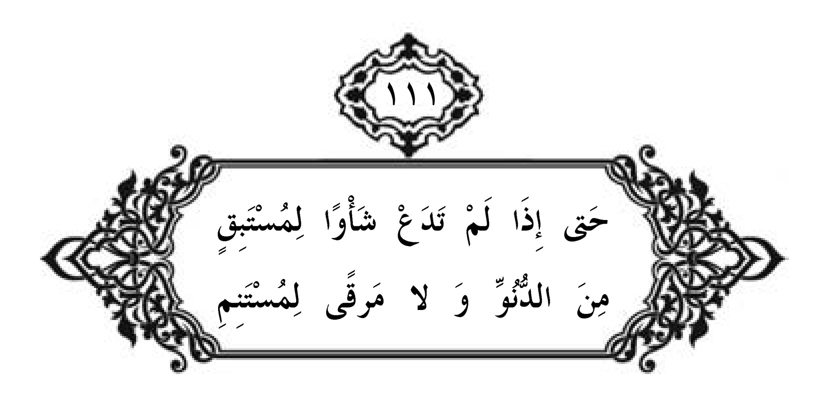
قال الخطيب: «هذا حديث منكر، ورجال إسناده كلهم معروفون بالثقة إلا إبراهيم بن عيسى القنطري، فإنه مجهول».(تاريخ بغداد٦/١٤٦)

(٤) ورواه ابن الجوزي بسنده ثم ذكر كلام الخطيب المذكور. (الموضوعات١/١١٩، باب من روى من تسبيح الله عزوجل نفسه. و مثله في: تنْزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ١/١٤١-١٤٢).

(٥) قال الذهبي: إبراهيم بن عيسى القنطرى...، قلت: وخبره باطل، فروى عن ابن أبي الحوارى...، عن أبي هريرة مرفوعا: غمسني جبريل عند سدرة المنتهى في النور، وقال: أنت من الله أدنى من القاب إلى القوس...، وذكرالحديث، فآفته القنطري، قال الخطيب: «رجاله موثقون إلا القنطري». (ميزان الاعتدال١/٤٤)

انتهى ولله الحمد.

****



اللغة:

حتى: لبيان الغاية (الحد). أي نهاية استمراره في التقدم أن بلغ مستوى لا يصل إليه أحد.

تَدَع: من «ودَع يدع»، تركه. سبق تحقيقه في البيت رقم: ٤٣، ٨٨.

شأوًا: شأى يَشؤو (ن) شأوا: تجاوز وسبق.

شاءاه: سابقه في التجاوز. الشأو: (١) الغاية، والمنتهى، وآخر الشيء. وهو المراد في البيت. (٢) العزيمة والهمة. (٣) السير. (٤) المدة. (٥) شوط واحد.

مستبق: سبَقَ (ض) سَبقًا: تجاوزه. سُبقتُ إلى كذا: سبقني سابق، وتخلفت. استبق: نافسه في السباق.

ومستبق: في البيت: اسم فاعل: المتقدم، ومن يحاول التجاوز والسبق.

الدنو: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٣٨. دَنا: (ن) دُنُوا: قرب.

مرقى: سبق تحقيقه في البيت رقم: ١٠٨.

رقي (س) رَقْيًا، ورُقِيًّا: صعد. ومنه مرقى: ظرف مكان. أي موضع الصعود/ موضع الرقي.

مستنم: أسنم/ سنِمَ (س) سَنَمًا البعير: عظم سنامه.

سَنم النبت: ارتفع على وجه الأرض وعلا. سَنَّمَ الشيءَ: رفعه كالسنام.

تسَنَّمَ/ استنَمَّ الشيءَ: صعد، وارتفع، ومن «مستنم» اسم الفاعل، بمعنى طالب السنام/ طالب الرفعة.

الإعراب:

لمستبق: جار ومجرور، متعلق بصفة (شأوا) والتقدير: شأوا (كائنا/ مطلوبا) لمستبق.

من الدنو: بيان لـــ(شأوا). و(من الدنو) الجار مع مجروره متعلق بصفة (شأوا). والتقدير: غاية كائنة من الدنو.

ولا مرقى: كرر النفي بـــ(لا)، وهو للتاكيد.

لمستنم: إعرابه مثل إعراب (لمستبق).

الشرح:

لم تدَع شأوا: أي خلفت جميعا، فإبراهيم –مثلا– كان في السماء السابعة، لم يكن له أن يصعد منها، ورسول الله صلى الله عليه وسلم صعد منها، حتى وصل إلى مستوى صريف الأقلام وسدرة المنتهى.

الدنو: القرب إلى الله تعالى. وليس قربا حسيا، بل هو مجازي، كما سبق كلام القاضي عياض في البيت رقم: ١٠٨.

المراد بـــ(مستبق ومستنم): جبريل.

المعنى: وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مستوى القرب، فلم يكن معه أحد ثمة، و لم يثبت صعود جبريل إليه، ولا تخلفه عنه. والتفاصيل في فتاوى دارالعلوم زكريا. نعم قال الغماري: لم يفارقه طرفة عين. وبه فرضت الصلوات. وقوله: «من الدنو» إشارة إلى مقام القرب هذا، الذي لم يصل إليه أحد.

نظرة عابرة على قصة المعراج:

تفاصيل المعراج سردها معظم كتب السير، وفيما يلي بعض أجزائها الهامة باختصار:

أيقظ جبريل (ومعه ملائكة آخرون) النبيَّ صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ، ثم أخذه إلى المسجد الحرام، وأضجعه، وشق صدره، وغسل قلبه بماء زمزم، ثم أتي بما يشبه الحيوان، فوق الحمار ودون البغل.

ومن هنا بدأ السفر، ومر في الطريق على منطقة يكثر فيها النخل، فقال له جبريل:

صل هنا. ثم قال له: هذه مدينة/ يثرب، تهاجر إليها.

ثم مرَّ به على بلد آخر، فقال له جبريل: صل هنا. ثم قال له جبريل: صليتَ في وادي سيناء بالقرب من شجرة موسى.

ثم مر به على بلد آخر، و صلى به. ثم قال له جبريل: هذه مدين (موطن شعيب عليه السلام).

ثم مر به على بلد آخر، و صلى به، وقال له جبريل: هذا بيت اللحم، حيث ولد عيسى عليه السلام. (قصة المعراج ذكرها شرح الزرقاني على المواهب ٣٨/٦، ٣٩، وسيرة المصطفى مفصلة، ورويت هذه القصص في سنن النسائي وغيره بأسانيد ثابتة).

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم عجائب في طريقه من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، فيها كثير من الدروس والعبر، وفيما يلي ننقله من سيرة المصطفى:

عجائب السفر، والأمثال الغريبة من عالم المثال:

(١) ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم البراق وسار، فإذا هو بعجوز على جانب الطريق، فنادته. فقال له جبريل: سِر. ولا تلتفت إليها. قال: فسار ما شاء الله أن يسير، فإذا شيخ كبير يدعوه عن الطريق، فقال له جبريل: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير، قال: فلقيه خلق من الخلق فقالوا: السلام عليك يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا حاشر، فقال له جبريل: اردد السلام يا محمد. ثم قال له جبريل: أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق، فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز، وأما الذي أراد أن تميل إليه، فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه، وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام.(أخرجه ابن جرير والبيهقي عن أنس؛ الخصائص الكبرى؛ تفسير ابن كثير٦/٨).

(٢) روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: «امررت على موسى ليلة أسري بي، فإذا قائم يصلي في قبره».(الخصائص الكبرى١/١٥٦)

وفي رواية ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت ليلة أسري بي موسى عليه السلام، وخازن النار: مالكا».(أخرجه الشيخان عن ابن عباس، ولينظر: هل كانت هذه الرؤية في الأرض أو في السماء. والله أعلم. الخصائص الكبرى ١٦٠/١)

(٣) لما عرج به مرّ بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقال: «من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم».(أخرجه أبو داود وأحمد عن أنس بن مالك)

(٤) ورأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يسبح في نهر ويلتقم الحجر. فسأل جبريل، فقال: هذا آكل الربا.(أخرجه ابن مردويه عن سمرة بن جندب)

(٥) فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم،كلما حصدوا عاد كما كان، فقال النبي: يا جبرئيل، ما هذا؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبع مئة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه. ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء. فقال: ما هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والنعم ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها. قال: ما هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيئا، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر و لحم آخر نيّ خبيث، فجعلوا يأكلون من النيّ الخبيث ويدعون النضيج الطيب. قال: ما هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا، فتأتي رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح. ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته و لا شيء إلا خرقته، قال: ما هذا يا جبرئيل؟ قال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه، ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها، فقال: ما هذا يا جبرئيل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها، وهو يريد أن يزيد في حمله ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء، قال: ما هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك، يقولون ما لا يفعلون. (أخرجه ابن جرير، والبزار وأبو يعلى والبيهقي عن أبي هريرة. (الخصائص الكبرى١/١٧٢؛ شرح الزرقاني٦/٤١؛ وحديث «قرض الشفاه بمقاريض من الحديد» أخرجه ابن مردويه عن أنس) ثم أتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة

وريح مسك، قال جبريل: هذه ريح الجنة. ثم أتى على ريح خبيثة، فقال: ما هذا؟ فقال جبريل: هذه ريح النار». (الخصائص الكبرى١/١٧٢)

والظاهر أن هذه الأحداث وقعت قبل الصعود إلى السماء، لأن ذكرها جاء بعد ركوبه البراق مباشرة، وقبل وصوله إلى المسجد الأقصى. فعلِمَ منه أنها وقعت قبل العروج إلى السماء. والله أعلم.

وبذلك وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس، وقد اجتمع له الأنبياء عليهم السلام من ذي قبل، فصلى بهم. ثم دخل مسجد بيت المقدس -وكان صغيرا يومذاك- فصلى لنفسه. وكيف كان المسجد آنذاك؟ سيأتي ذكره باختصار لاحقا إن شاء الله تعالى.

ثم صعد إلى السماء وجبريل معه، فقيل له: من؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد. فقيل: هل أرسل إليه؟ قال: نعم. ففتح الباب. فدخلوا، ولقي آدم عليه السلام، فاستقبله ودعا له.

وإذا عن يمين آدم صور منيرة إذا نظر إليها ضحك واستبشر، وعلى شماله صور قبيحة إذا نظر إليها بكى. فقال جبريل: على اليمين أرواح أهل الجنة، وعلى الشمال أرواح أهل النار.

ثم صعد إلى الثانية والثالثة،... ولقي نبيا من الأنبياء في كل سماء، ولقي عيسى ويحيى عليهما السلام في السماء الثانية.

لم يلقَ نبيا من الأنبياء إلا استقبله ودعا له، (فعلم منه أن المرء إذا زار أحدا طلب منه الدعاء لنفسه). حتى لقي إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة، فوجده وقد أسند ظهره إلى البيت المعمور، وهو قبلة الملائكة، بإزاء الكعبة في الأرض، و يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه.

ثم صعد به إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، «ثم عُرِج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام». (صريف الأقلام: صوت كتابة الملائكة).

ثم ذهب به إلى سدرة المنتهى، وهي نبقة، ووردت صفاتها المثالية في الأحاديث.

وفي هذه الليلة فرضت عليه خمسون صلاة، ثم نزل حتى انتهى إلى موسى فقال لي:

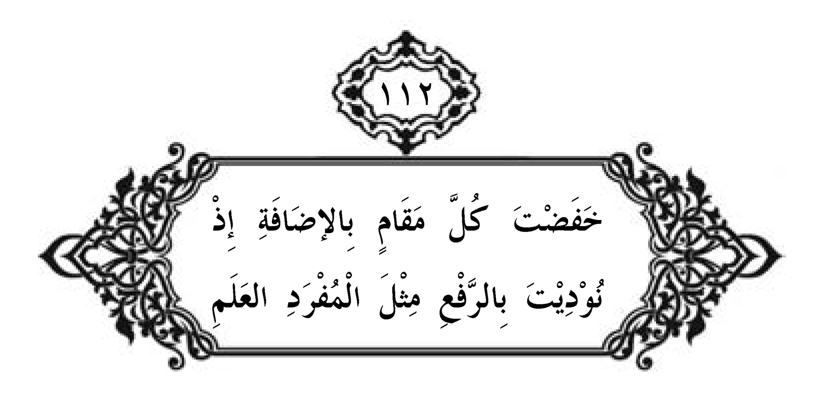
ما فرض ربك عليك وعلى أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف... فرجع إلى ربه ثم نزل حتى انتهى إلى موسى عليه السلام، فقال له: ارجع واسأل التخفيف، ومازال يطلب من ربه التخفيف حتى بقيت خمس صلوات، فقال الله تعالى: لا يبدل القول لدي. فأجر خمس صلوات هي أجر خمسين صلاة.

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم الجنة: القبة من لؤلؤ، والطين من مسك.

وأكثره مما ورد في صحيح البخاري، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، باب ذكر الملائكة، باب المعراج وغيرها.

انتهى، والحمد لله.

****



اللغة:

خفض (ض) الشيءَ خَفْضًا: (١) حطه بعد علو. (٢) نقصه.

خفض الصوت: أسر الحديث. خفض العيشُ: اتسع وتيسر.

خفُض العيشُ (ك) اتسع وتيسر.

اختفض/ انخفض/ تخفَّضَ: انحط بعد علو.

مقام: سبق تحقيقه في البيت رقم:٢٧، ٥٠. مقام: المنْزلة والموقف، والدرجة.

الإضافة: ضاف (ض) ضيفا وضيافة: مال إليه. ضافَ فلانا: صار ضيفا عليه. سمي الضيف به؛ لأن صاحب البيت يميل إليه.

أضاف الشيء إليه إضافة: نسبه إليه وضمه إليه. أضاف فلانا إضافة: جعله ضيفا. والبيت يحتمل المعنيين.

الإضافة في علم النحو: ربط اسمين أحدهما بالآخر على وجه يفيد تعريفًا أو تخصيصًا.

إذ: وهي على أربعة أوجه:

(١) ظرف زمان، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ (التوبة: ٤٠)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ (الفتح: ١٨)

(٢) بدلا من المفعول، نحو قوله تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ (مبدل) ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ (مريم: ١٦) إِذِ بدل من مَرْيَمَ. أي فصّل (إذ) إجمال ما قبله.

(٣) مفعولا به، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ (الأعراف: ٨٦)

(٤) مضافا إليها، نحو: يومئذ، وحينئذ.

نُوديتَ: نادى الشيءَ مناداة ونداءً: ظهر.

نادى فلانا: (١) طلبه بصوت مرتفع. (٢) جالسه.

مثل: سبق تحقيقه في البيت رقم:٧، ٤٧.

المفرَد: (١)الوحيد. (٢) المنادى غير المضاف، نحو يا زيد. فرد (ن،س، ك): توحد.

الإعراب:

خَفَضَت: جواب (إذا) الشرطية في البيت السابق.

بالإضافة: جار مع مجروره متعلق بـــ(خفضت)، أي خفضتَ جميعا لسمو منْزلتك.

مثلَ: حال كونك مماثلا للمفرد العلم. (مثل: حال من نوديت)

إذ نوديتَ بالرفع:

(١) حين نوديتَ بسبب رفعتك، ومقامك الذي كان لك.

إذ: للتعليل. بالرفع: الباء للسببية. أي دعيتَ إلى القرب الخاص لأجل مرتبتك العليا. فخضت الناس جميعا.

(٢) إذ: سببية. بالرفع: الباء بمعنى اللام، أي: للرفع.

والتقدير: خفضت كل مقام بسبب نداء الله تعالى إياك للرفع.

الشرح:

بالإضافة:

(١) بنسبتك إلى مقامك الرفيع/ بالنسبة إلى مقامك.

والغرض أن الأنبياء كلهم أصحاب كمال، ولكنهم دون مرتبتك.

(٢) بالإضافة: بإضافة العبد إلى ذات الله تعالى. أي: أضافك الله تعالى إلى نفسه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ (الإسراء: ١) فأنت أعلى منْزلة منهم جميعا.

يحمل الشراح ذلك عامة على هذين المعنيين، ولكن لا يتجلى منهما مكانة النبي صلى الله عليه وسلم الخاصة التي قصدها هذا البيتُ؛ لأن إضافة العبد إلى الله تعالى قد جاءت في مواضع أخرى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان: ٦٣)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (الصافات: ٤٠)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ

أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٣)

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ (الكهف: ١)

وخير منه أن نحمل على:

(٣) بالإضافة، أنت إمام الأنبياء. إمام: مضاف. الأنبياء: مضاف إليه، فمنْزلته أسمى بالإضافة.

(٤) بالإضافة: بسبب كونك ضيفا، فأنت كنت ضيفا على الله تعالى في السماوات، دون غيرك، فأنت تمتاز عمن سواك.

نوديتَ بالرفع:

(١) طولبتَ بالارتفاع.

(٢) قضي لك بسمو المنْزلة وعلو الشان، وأعلن ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤) وقرن الله تعالى اسمك باسمه في الشهادتين، والكلمة الطيبة، والأذان والإقامة، والخطبة والتشهد ونحوها، فجاء ذكرك بذكر الله تعالى.

ولكن ليس في نهاية الأذان، والذبح، وتشميت العاطس، إرشادًا إلى أنه يأتي به حيث ثبت ذلك شرعا، واحذروا ما لم يثبت، و لم يتطلب ذلك.

وثمة حكم أخرى لعدم ذكر اسم الرسول صلى الله عليه وسلم.

مثل المفرَد:

١- نحو: يا زيد، مرفوع لأجل النداء، كذلك أصبحت مرفوع القدر، عظيم المرتبة لنداء الله تعالى إياك.

٢- المفرد: المنفرد العالي في المحاسن والفضائل. لم يشاركه في الكمالات أحد، وصلت إلى مقام القرب، و لم يصل إليه أحد.

المفرد العَلَم: المراد بالعلم: نداء المعرفة. نحو: يا زيد، فإذا نوديتِ المعرفة كذلك،كان مرفوعا، وأما إذا كان المنادى نكرة لم يرفع، كقول الأعمى: يا رجلا خذ بيدي.

نكتة:

بالإضافة: القرى.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعراج ضيفا، وأسري به إلى السماوات، وأري عجائب القدرة، ويؤخذ منه أن الأصل أن المضيف إذا دعا الضيف العالِم الداعي فيطوف به لدعوة الدين أو يذهب به إلى مقامات العبر، وأما ما سواهما فتبع.

وبحث الشراح هنا، وتوسعوا في الرفع هنا. أي أن المنادى يبنى على الضم، لا على الرفع، والحكمة في قوله: (يرفع) مكان (يضم) أن الرفع هو الإعلاء، والضم هو الجمع واللف.

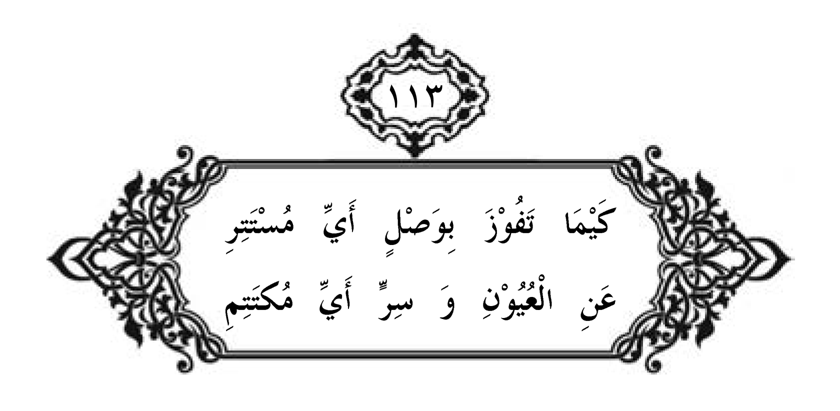
البلاغة:

ذكرت أداة التشبيه، فهو تشبيه مرسل. ووجد وجه التشبيه، فهو مفصل.

وفي البيت تورية، أي: ترِك المعنى القريب إلى المعنى البعيد. خفضت، الإضافة، نوديت، الرفع، المفرد العلم، لهذه الكلمات دلالات نحوية، وهي المتبادرة، ومعانيها الأخرى بعيدة، وهي المقصودة، ويحتمل المعنيين.

انتهى بعون الله تعالى.

****



اللغة:

تفوز: سبق تحقيقه. فاز (ن) فوزا ومفازا ومفازة: ظفر بالخير. نجح في تحصيله.

المفازة: (١) الفوز. (٢) الصحراء. (٣) البرية القفر. سميت الصحراء مفازة تفاؤلا.

كي: حرف ناصب. ١- لبيان علة الفعل. ٢- قد يحول الفعل مصدرا، نحو: ﴿ كَيْ تَقَرَّعَيْنُهَا﴾ (طه: ٤٠)، أي: لتقر عينها.

ولهذا الحرف معانٍ أخرى، مذكورة مفصلة في كتب اللغة.

أيٌّ: بتشديد الياء: لها معان كثيرة، منها:

١- لبيان كمال الشيء، نحو: رأيت رجلا أي رجل. وهو المراد في البيت.

٢- أي للشرط، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ (القصص: ٢٨)

٣- أيّ: للاستفهام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ﴾ (التوبة:١٢٤)

٤- أي موصولة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ (مريم: ٦٩)

٥- أي: الذي هو أشدهم عتيا.

الإعراب:

كي ما تفوز:

١- قدرت اللام في أوله، وما: زائدة للتاكيد. كي: ناصبة بنفسها، لكي تفوز.

٢- اللام غير مقدرة، ومعناه التعليل في الوجهين.

(ناداك الله/ رفعك الله) للفوز بوصل.

(رفعك الله) لتفوز بوصله.

بوصل أي مستتر:

وصل: موصوف. أي مستتر: مضاف ومضاف إليه صفة. عن العيون: متعلق بـــ(مستتر).

سر: موصوف، أي مكتتم: صفة. والموصوف مع صفته عطف على (وصل)، أو حذفت صفة من صفات (وصل). والتقدير: وصل (مستتر) كامل في الاستتار.

سر (مكتتم) كامل الاكتتام.

الشرح:

تفوز بوصل:

١- الناظم رحمه الله من الصوفية، فمال إلى الرؤية البصرية، كما ذهب إليه غيره من الصوفية. قال: الرؤية القلبية حاصلة لغيره من الأنبياء والأولياء، واختص الرسول صلى الله عليه وسلم بالرؤية البصرية، وفي البيت إشارة إليها.

٢- نعني بالوصل مقام القرب، أي: نال الرسول صلى الله عليه وسلم المنْزلة العظيمة من مقام القرب، لم ينلها أحد، نبي مرسل أو ملك.

وصل: له معانٍ مختلفة في مواضع مختلفة:

١- معناه في الحب والعشق: لقاء المحبوب. والفصل: فراقه، وأكثر الشعراء من إطلاق الوصل.

٢- عند النحاة: عطف كلمة على أخرى، والفصل خلافه.

٣- عند الفقهاء: الوصل أن يقرن المضمضة بالاستنشاق، وهو المختار عند الشافعية. والفصل: إفراد المضمضة عن الاستنشاق. وهو المختار عند الأحناف. وصوره وأحكامه المختلفة مذكورة في كتب شروح الحديث وكتب الفقه.

أي مستتر:

مقام القرب هذا، وغيره من الأمور في خفاء عن كافة المخلوقات كلها كل الخفاء.

لا يطلع عليه ملك مقرب أو نبي مرسل.

سر أي مكتتم: السر الخفي. المراد به ما جرى بين الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم من الكلام. وسبقت تفاصيله ومصادره.

حديث موضوع عن ابن عباس في الإسراء:

أورد الشراح ومؤلفو السيرة هنا في تحديد السر حديثًا عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال عليه الصلاة والسلام: «علمني ربي ليلة الإسراء علوما شتى، علمٌ أخذ علي كتمانَه، وعلمٌ خيرني فيه، وعلمٌ أمرني أن أبلغه».

يروى هذا الحديث بغير إسناد، ولم يذكر أحد من المحققين مصدرا له، وقد ورد في كثير من الكتب بغير إسناد «ورد في حديث المعراج...».

جاء ذكره في شروح القصيدة وغيرها من المصادر، منها: روح المعاني ١٣٣/٤؛ روح البيان ١٠٢/٥؛ السيرة الحلبية١٣٠/٢؛ بريقة محمودية ١٤٩/١؛ المواهب اللدنية ٨٤/٣.

وأورد بعضهم هذا الحديث وزاده إيضاحا فقال: ولذا أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم الخلفاء الأربعة (وخاصة الشيخين) بما لم يعلمه غيرهم. ويرد عليه أن عليا رضي الله عنه رد على ما كان يزعمه كثير من الناس في عهده من أن لديه علوما خفية، وقال: « لا، إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم».(صحيح البخاري، قم:١١١).

وعلم خيَّرني فيه:

يذكر في مِصداق هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علَّم حذيفة رضي الله عنه أسماء المنافقين، وأحوالهم، وغيرها، ولذا كان يدعى «صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وعليه جاء عن أبي هريرة أنه قال: «حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين: فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم».(صحيح البخاري، رقم:١٢٠)

والحاصل أنه يؤخذ من كلام حذيفة وكلام أبي هريرة رضي الله عنهما أنه ثمة أمور

علّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة أصحابه.

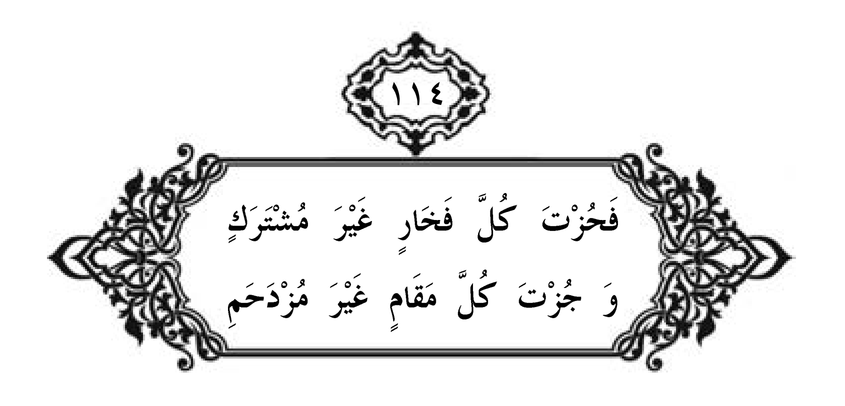
فنقول: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم علّمَ حذيفة بعض الأشياء فكان ذلك لأسباب أخرى، لا أنه لم يسمح بإخباره غيره.

والمراد بالنوع الثاني من العلم، ما يخص الفتن والخلافة، نحو: الصراع بين بني أمية وبني هاشم، أو المراد بالعلم الذي يستحق الإخفاء إخفاء معاني بعض أحاديث الصفات. كما في الحديث القدسي: «مرضت فلم تعدني».(صحيح مسلم، رقم:٢٥٦٩) أو قوله صلى الله عليه وسلم: «إنه ليغان على قلبي».(صحيح مسلم، رقم:٢٧٠٢) وغيره من الأحاديث التي يطلب إخفاؤها، أو المراد أن من حدَّث قوله صلى الله عليه وسلم: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة».(سنن الترمذي،رقم:٢٦٣٨) في كل مكان، منِعَ الْمُحدِّث عنه.

وهذه الأشياء كان يعلمها كثير من الصحابة غير أبي هريرة، فقول أبي هريرة: «حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين» ليس معناه: أنه لم يسمعها غيره، وإنما يعني أن بيان هذه الأشياء يسبب الخطر. والله أعلم.

انتهى بعون الله تعالى.

****



اللغة:

حُزتَ: حاز (ن) فلان حَوزا: سار سيرا لينا. حاز الشيءَ حِيازة: جمعه، وحصّله، وقبضه.

احتاز: ملك، وضمه.

فخار: فخر (ف) فَخرا وفَخارا وفَخارةً (١) تباهى (اعتز بشيء). (٢) تكبر واغتر. فَخِرَ (س) تكبر.

فاخر مُفاخرة وفِخارا: عَارضه بالفخر، وأثبت علوه في منافسة.

مصدر فَخَر (ف) فَخار –بفتح الفاء– ومصدر (فاخر) فِخار– بكسر الفاء.

وفي البيت (فَخار) بفتح الفاء، ومعناه: مرتبة ذات عز/ أمر يعتز به.

الفَخَّار: الطين، أوانٍ مطبوخة من الطين.

وإنما سميت به؛ لأنه إذا قرعها صوّتت صوتا عاليا ..تنك تنك.. وهو صوت الفخر، مما ينم أن الإناء ناضج أو لا.

جُزتَ: جاز (ن) جَوزًا، وجوازا: جريان الحديث، وإصابته، واستساغته.

جاز المقامَ: مر به، وعبره. وهو بمعنى (عبر).

أجاز: (١) سوّغه. (٢) منحه جائزة. (٣) أذن له به. (٤) منحه شهادة.

مزدحم:

زحم (ف) زَحَمًا وزَحْمةً: دفعه في مضيق، وضيق عليه.

زاحم: واجهه، ودافعه، وحال في سبيله.

ازدحم: أصله: ازتحم، استبدلت التاء دالا لقرب المخرج، ومعناه: مدافعة الناس،

واجتماعهم في عدد كبير، واعتراضهم في سبيل أحد.

الإعراب:

فحُزت: الفاء فصيحة. والقصد منه بيان نتيجة ما سبق من المضمون.

فقد ظهر مما تقدم أنك حزت../ فحاصل الكلام أنك حُزتَ ...

غير مشترك:

(١) غيرَ: منصوب على الحال من الضمير في (حزتَ)، أي: حزت الكمال حال كونك لا يشارك أحد فيه.

(٢) غير مشترك: صفة لـــ(كل فخار)، أي: اختص بك كل شيء يفتخر به، ولا يشاركه أحد فيه.

١- جمعتَ كل مرتبة يُفتخر بها حال كونها غير مشترك فيها بينك وبين غيرك.

٢- جمعتَ كل مرتبة يفتخر بها حال كونك غير شريك فيها للآخرين.

(٣) غير مشترك: صفة فخار، فـــ(غير) مجرور حينئذ.

غير مشترك، وغير مزدحم: اسم المفعول فيهما بمعنى المصدر، أي: من غير اشتراك ومن غير ازدحام.

وحذفت صلة (مشترك، و مزدحم) والمعنى: من غير اشتراك فيه ومن غير ازدحام فيه.

وجُزتَ: عطف على (حزت).

الشرح:

معنى البيت واضح وهو أن الله تعالى أفاض على محمد صلى الله عليه وسلم من الكمالات والمراتب ما لم يتصف به أحد سواه.

ومن الأمثلة عليه: رحلة المعراج، ونعم الله تعالى فيها، والشفاعة العظمى، وحوض الكوثر، والوسيلة، والمقام المحمود، وكونه سيد المرسلين، وإعطاؤه جوامع الكلم، ومخافة عدوه منه على مسيرة شهر، ونحو ذلك.

ومعنى البيت رقم:٤٢ «منَزه عن شريك في محاسنه» يقرب من هذا المعنى.

وفصل علماء السيرة خصائص النبي صلى الله عليه وسلم. (راجع: رحمة للعالمين للعلامة

السيد سليمان المنصور فوري؛ الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض؛ المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني).

لا يشاركه في كمالاته صلى الله عليه وسلم:

إيراد: كيف يصح قوله: كل فخار غير مشترك، في حين يشاركه في الكمالات غيره من الأنبياء والملائكة، فما معنى قوله: لا يشاركه في الكمالات أحد؟

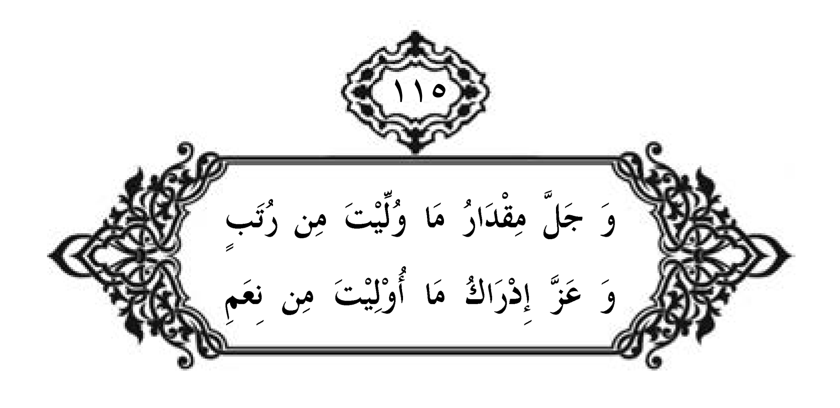
الجواب: غير مشترك: صفة لـــ(فخار)، وغير مزدحم: صفة لـــ(مقام).

والمعنى أن الخصائص التي كتبها الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم من غير مشاركة لأحد فيه، فكانت هذه الأشياء خاصة به صلى الله عليه وسلم، و لم ينلها غيره صلى الله عليه وسلم.

وليس المعنى: كل خير ناله النبي صلى الله عليه وسلم فقط، بل المعنى كثير من الخصائص والنعم كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم. وعنه أجوبة أخرى.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

جَلَّ: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٦. جَلَّ (ن) عن وطنه جلولا: ابتعد عنه.

جَلَّ (ن) الشيءَ جَلاًّ: أخذ الكل أو الأكثر. جَلَّ (ن) الجِلة: جمع البعرة والروث.

جَلَّ (ن) الدابة الجلة: أكل الحيوان البعرة. فهو جالّ، وجلال. والمسألة الفقهية الشهيرة في هذا المعنى.

جَلَّ: (ض) جَلاًّ، وجَلالة: ١- سمت منْزلته، هو جلٌّ وجليل، ج: أجلة وأجلاء. ٢- أسنَّ.

جَلَّ (ض) عن موضعه: فارقه وابتعد عنه.

والمراد في البيت من (جل) صار ذا مرتبة سامية وقدر عظيم.

مقدار: قَدَرَ (ض) عظَّمه. قدرَ عليه: استولى عليه، وتمكن منه.

المقدار: (١) مِقدار الشَّيْء مثله في الوزن أو الحجم، وقدره. (٢) المنْزلة والصفة، يعظم قدرها، تعَظَّم. فالمقدار بمعنى الصفة والدرجة. وهو بهذا المعنى في الأردية.

سبق تحقيق كلمة المقدار في البيت رقم: ٤٤، ٤٦.

وُلِّيتَ: جعلتَ واليا عليه و أعطيتَ.

وَلَى يلي (ض) وليا: قرب منه، واتصل به. ولِيَ يلي (س) وَلْيًا: قرب.

ولِيَ الشيءَ وعليه ولاية: دبَّره، وتصرف فيه و قام عليه.

ولَّى فلانا الشيءَ: فوضه إليه، وأعطاه، وجعل تدبيره إليه.

رُتَب: جمع: رُتبة.

رَتَبَ (ن) رُتوبا: (١) ثَبت وَاسْتقر في الْمقَام الصعب، ثبتت قدمه. والمناسبة بينه

وبين معنى الرتبة: أن الدرجة العليا التي يستقر عليها أحد. (٢) انتصب قَائِما.

الرتبة: الدرجة، والمرتبة، والمنصب، والمسؤولية. ج: رتب.

عَزَّ: عَزَّ (ض) عِزا وعِزة وعِزازَة: (١) قوي. (٢) صار عزيزا.

عَزَّ الشيءُ: ندر وجوده وقلَّ. عَزَّ الأمر: صعب. والمناسبة بين المعنيين أن الشيء القليل يعز مناله.

والمراد في البيت أن المراتب التي حازها النبي صلى الله عليه وسلم يعز على غيره نيلها.

عَزَّ (ن) عَزًّا: غلبه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ (ص: ٢٣)

أوليتَ: أولى فلانا: نصبه مسؤولا عن شيء، منح غيره شيئا، وأحسن إليه.

إدراك: أدرك الشيءَ: ناله وحصَّله، وليس للإدراك فعل مجرد، نعم يطلق مصدر الفعل المجرد.

العجز عن درك الإدراك إدارك ۞ والبحث عن سر ذات الله إشراك

ورد هذا البيت بألفاظ مختلفة في مصادر عديدة، ونسب إلى غير واحد. والمشهور أنه لأبي بكر الصديق رضي الله عنه. (التفسير المظهري١/١٦؛ فيض القدير٦/١٨؛ شرح الشفا للملا علي القاري؛ إحياء علوم الدين ٤/٢٥٢)

يقول العلامة الآلوسي: المصراع الأول لأبي بكر رضي الله عنه، والمصراع الثاني لعلي رضي الله عنه. (روح المعاني ١٧/٢٠٢)

يقول العلامة ابن تيمية رحمه الله: لم يثبت أن هذا الكلام لأبي بكر بإسناد صحيح، نقله ابن أبي الدنيا عن بعض التابعين، و لم يسمهم، نعم روي مرسلا عمن يكثر الخطأ في مراسيلهم. (مجموع الفتاوى ٢/٢١٦)

وعلى كل، سواء ثبت ذلك عن أبي بكر أو غيره، فمعناه صحيح تماما. والله أعلم.

نعِم: نَعِمَ (س) نَعْمًا ونعمة ونعيما: لان، ولطف.

نَعِمَ الرجل: كان ذا عيش رغيد. النعمة: الرخاء والرغد.

النعمة: (١) الإنعام، والنعمة. (٢) ما يستحق التقدير. (٣) الإحسان. ج: نِعَم.

الإعراب:

وجلّ: (١) جملة مستأنفة. (٢) عطف على البيت السابق.

ما وُليتَ وما أوليت: ما موصولة فيهما، وما بعدهما صلتهما.

والتقدير: ما وليته، ما أوليته.

من رُتَب: بيان لـــ (ما). من نعم: بيان لـــ(ما) أيضا.

الشرح:

ذكر في البيت السابق أن الله تعالى اختص النبي صلى الله عليه وسلم بالنعم، وهذا البيت بيان لعظم هذه النعم.

جل مقداره: المراتب والمنازل التي نالها النبي صلى الله عليه وسلم عظيمة دون ريب. ولا مثيل لها، ومنها: المعراج، والشفاعة الكبرى، وحوض الكوثر والمقام المحمود، وكونه أول الداخلين إلى الجنة.

قال: (وليتَ)، دون غيرها من الكلمات المرادفة، ولعلها تشير إلى أن بعض الأمور جعل النبي صلى الله عليه وسلم واليا عليها.

الشفاعة الكبرى عامة للإنسانية جمعاء. والشفاعة لأول الداخلين، والشفاعة لإخراج الناس من النار بعد مضي مدة ونحو ذلك.

عَزَّ إدراك:

١- النعم التي أعطيتها لا ينالها بشر؛ لأن الله تعالى اختصه بها فضلا منه سبحانه وتعالى.

٢- النعم التي أعطيتها تعجز عقولنا عن إدراكها كلها، ومهما بالغنا في الوصف والمدح، لا يسعنا الإحاطة بها.

وإلى هذا المعنى يشير هذا البيت:

دفتر تمام گشت وبپایاں رسید عمر ۞ ما ہمچنیں در اول وصف تومانده ایم

(انتهت السجلات وانتهت الأعمار، ونحن كذلك في بداية وصفك)

وبهذا المعنى يوافق هذا البيت، البيتَ رقم: ٤٨، ٤٩، ٥٠.

وقيل: من نعم: النعم الحسية. ومن رتب: النعم المعنوية. ويطلق عليه في البلاغة: التقسيم.

البلاغة:

١- مراعاة النظير: جمع بين المناسبات: إيتاء الرتب، وإيلاء النعم.

٢- في (أوتيت، وأوليت) جناس، فمعظم حروف الكلمات متساوية. كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٤)

٣- وفي البيت تقسيم. وأيسر تعريف للتقسيم: أن تذكر أحوال الشيء مضافا إلى كل منها ما يليق به.(الخلاصة في علوم البلاغة، ص ٦٩)

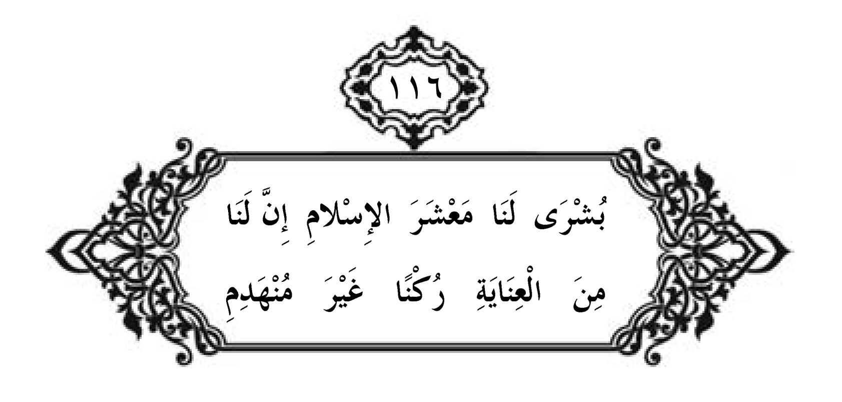
إذا حملنا (النعم) على النعم المحسوسة، و(رتب) على النعم المعنوية كان تقسيما، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ (محمد: ٤) فمحل (منا) غير محل (فداء). وليس الأمران معا.

اختلاف النسخ:

في بعض النسخ قوله في البيت السابق: «فحُزت كل فخار» بعد هذا البيت.

قال العلامة ابن مقلاش والهراني: والمشهور أحسن وأوجه. وهذا هو الترتيب في روايتنا، ولكن رأيت بعض العلماء يذكرون (جل مقدار) قبل (فحزت كل فخار) فتبعتهم.

****



اللغة:

بشرى: سبق تحقيقه في البيت رقم: ٥١، ٥٤.

بشرَ(ن) بُشرا: فرح. البشرى: الخبر السار، ما يسر من الأمر/ الخبر.

معشر: كل جماعة أمرهم واحد.

عشَرَ (ض) عَشْرًا: (١) الجزء العاشر. (٢) إكمال عدد العشرة.

عَشَر (ن) عشرا وعُشورا: أخذ الجزء العاشر.

عاشَرَ: عاش مع أحد، تعاشر: بمعناه.

معاشرة: الاستواء في العيش.

المعشر: (١) كل جمَاعَة أمرهم وَاحِد، نحو: معشر الطلاب. (٢) الأهل والأقارب.

ج: معاشر.

الإسلام: سَلِمَ (س) سلاما وسلامة: أمن الآفات وغيرها.

أسلم: انقاد، ودخل في الإسلام.

الإسلام: هو الانقياد، وشرعا: العمل بما جاء في حديث جبريل: قول لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتار الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت.(صحيح البخاري، رقم:٥٠)

وأطلق على هذه الأعمال في حديث آخر «الإيمان».(صحيح البخاري، رقم:٥٣)

أو: الإسلام الانقياد بكلمتي الشهادة مع إتيان المأمورات وترك المنهيات.

العناية: عنا الشيءَ عَنيا: أخذ الشيء بقوة وقهر. عني (ض) عنيا: عرض له.

عنى كذا عَنيا: أراد وقصد.

عنى بأمرفلان: اهتم به، وهو المراد.

عنِيَ (س) عَنًا، وعناءً: تعب، وأصابته مشقة. عنى الرجل: صار أسيرا، وتورط.

عنى بالأمر: توجه إليه، واشتغل فيه.

عُنِيَ بالأمر: اهتم به، هو معني به.

ركنا: ركن (ف) ركنا وركونا: مال إليه، وتعلق قلبه به. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ (هود: ١١٣)، لجأ إليه واعتمد عليه.

ركِنَ (س) ركنا وركونا: نزل. ركُنَ (ك) ركانة وركانة: رزن ووقر.

الركن: حقيقةً: الجانب القوي، وما يقوم به الشيءُ. ومجازا: ما يستند إليه، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: ٨٠) وله معانٍ أخرى.

منهدم: هدَم: (ض) البناءَ هدما: نقضه. هدمت البئر (س) هَدْمًا: سقطت حافة البئر.

انهدم: سقط، وانقض.

الإعراب:

بشرى لنا:

(١) بشرى: مبتدأ، (ثابتة/كائنة) لنا: خبر.

(٢) هذه المناقب: مبتدأ. بشرى: خبر أول، (ثابتة/كائنة) لنا: خبر ثانٍ.

ولا يقال: بشرى: نكرة، فأنى يسوغ الابتداء بها؟ لأن صفتها محذوفة، أي: عظيمة. والموصوف مع صفته مبتدأ، أو التنوين في (بشرى) للتعظيم. وأيضًا يسوغ الابتداء بالنكرة إذا أفادت، نحو قولهم: «تمرة خير من جرادة».

معشر الإسلام:

(١) يامعشر الإسلام. (٢) أمدح معشر الإسلام. (٣) أخص معشر الإسلام.

ويطلق عليه «المنصوب للاختصاص»، ويقصد به عامة المدح أو الذم. ويشترط فيه أن يكون المنصوب على الاختصاص معرفة بدخول أل في أوله أو بالإضافة أو بالعلَمية أو بأي سبب آخر، وقبله ضمير. (الدر المصون للشيخ السمين أحمد بن يوسف، المتوفى: ٧٥٦هـ)

مثاله: قَالَ تَعَالَى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ (الإسراء: ٣)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ

مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ﴾ (النساء: ٩٨)

ويقال عند الدخول إلى المقبرة: «السلام عليكم دارَ قوم مؤمين». (صحيح مسلم، رقم: ٩٧٤)

وفي حديث وفد عبد القيس: «إنا هذا الحيَّ من ربيعة».(صحيح البخاري، رقم:١٣٩٨)

وحديث: «إنا معشر الأنبياء لا نورث».(السنن الكبرى للنسائي، رقم:٦٢٧٥)

(إن لنا): إن: حرف مشبه بالفعل. ركنا: موصوف. غير منهدم: صفة. والموصوف مع صفته اسم (إن)، وقوله: (لنا) مع متعلقه خبر. من العناية: حال من (ركنا)، وقدم لضرورة الشعر. والتقدير: ركنا حال كونه من العناية.

الشرح:

يقول الناظم: وصلت بركات النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأمة. و(العناية) كلمة عامة، يشمل: الاعتناء المزيد، والتوجه، والرحمة. أي نِلنا كرم الله تعالى الخاص.

رُكنا غير منهدم:

(١) تمثلت عناية الله تعالى في النبي صلى الله عليه وسلم. وتوجيهاته عماد لا ينهدم أبدا.

(٢) عناية الله تعالى ركن لا يزول أبدا، وبتعبير آخر: الشريعة التي نِلناها بفضل من الله تعالى، قوية محكمة باقية ما بقي الليل والنهار. والمراد بالعناية: التيسير، والرقي، واللفتة الخاصة.

(٣) وحمل بعضهم الركن على الهدية الغالية (الصلاة) التي أعطيتها النبي صلى الله عليه وسلم في المعراج.

العناية:

بعض خصائص الأمة المحمدية:

منن الله تعالى كثيرة على هذه الأمة، منها:

(١) أحلت لنا الغنائم، و لم تحل لأحد قبلنا.

(٢، ٣) تجوز الصلاة على وجه الأرض كله، وأذن لنا بالتيمم إذا فقدنا الماء. «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا».(صحيح البخاري، رقم:٣٣٥)

(٤) إشراق الأعضاء بالوضوء، «غرا محجلين من آثار الوضوء».(صحيح البخاري، رقم:١٣٦. وأما مجرد الوضوء فليس من خصائص هذه الأمة).

(٥) أعطيت خمس صلوات.(حديث المعراج)

(٦) الأذان والإقامة.

(٧) بسم الله الرحمن الرحيم، التي لم يعطها غير سليمان عليه السلام.

(٨) التأمين في الصلاة، ومغفرة الذنوب بسببها.

(٩) صفوف الصلاة مثل صفوف الملائكة.

(١٠) التسليم بـــ «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته». (وأما «السلام عليكم» مجردا فليس من خصائص هذه الأمة).

(١١) ساعة الإجابة في يوم الجمعة.

(١٢) رمضان، وخصائصه كثيرة. «أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان، لم يعطهن أمة قبلهم: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، ويزين لهم الله عزوجل كل يوم جنته... ويُصفد فيه مردة الشياطين... ويغفر لهم في آخر ليلة».(مسند أحمد، رقم:٧٩١٧)

(١٣) قول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وفضيلته.

(١٤) وضع عنها كثير من الأحكام الشاقة التي كانت على الأمم قبلها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ١٥٧)

سبق بيان الرفق في الشريعة الإسلامية. وسبق هذا المعنى في البيت رقم:٤، ضمن أسباب حب الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي البيت رقم: ٤٧،: «لم يمتحنا بما تعيي القلوب به».

علاوة على ذلك، لها خصائص كثيرة، مذكورة في كتب السيرة بصورة مستقلة. وبلغ بها بعضهم أكثر من مئتين. (راجع: المواهب اللدنية ٧٠١/٢، ٧٣٥؛ سبل الهدى والرشاد ٣٤٣/١٠).

وأفرد أهل العلم هذا الموضوع بالتأليف والتصنيف.

غير منهدم:

(١) لا يقبل النسخ. (٢) يبقى أتباع هذا الدين إلى قرب قيام الساعة، وكذا يستمر

ديننا إلى الأبد. ومن خصائص هذا الدين أن موسى عليه السلام تمنى أن يكون من هذه الأمة. قال موسى عليه السلام: «يا رب، فاجعلني من أمة محمد».(دلائل النبوة لأبي نعيم، ص:٣١)

وقال أيضا: «يا ليتني من أصحاب محمد».(حلية الأولياء ٣٨٦/٥)

سينْزل عيسى عليه السلام فيدعو إلى هذا الدين، ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، وأما الفروع فيجتهد فيها، أو يقضي بما يعلمه، ولا يقلد مذهبا بعينه من المذاهب الأربعة.

ويقوم المهدي رضي الله عنه أيضًا بالدعوة إلى هذا الدين. (وإلحاق «عليه السلام» إلى اسم المهدي من شعائر الروافض، فيجب الحذر منه، وهذا ما أفتى به الشاه عبد العزيز رحمه الله). والتفصيل في «فتاوى دارالعلوم زكريا» المجلد الأول، فراجعه.

البلاغة:

دين: مشبه. ركن: مشبه به. الإحكام: وجه الشبه.

ذكر المشبه به، فكانت تصريحية، وذكر «ركن» فهي أصلية.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

لَمّا: واستعمالها على وجوه:

١- تدخل على المضارع، فتجزمه، وتفيد معنى النفي. و(لم) تحول المضارع ماضيا، مثل (لما)، وبينهما فروق خمسة، محلها المصادر المفصلة.

٢- لما الشرطية: إذا دخلت على الفعل، كانت ظرفا بمعنى (حين)، وبعدها جملتان: يتوقف وجود أحدهما على الآخر.

وفيه كلام أكثر،: ما يقع جوابا لـــ (لما)؟ وما نوع جملته؟ فيه تفاصيل كثيرة.

٣- لما: حرف استثناء بمعى إلا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (الطارق: ٤)
،وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس: ٣٢)

تدخل على الماضي في معنى الاستثناء، غير أنه ماضٍ لفظا، لامعنى. نحو: أنشدك لما فعلت كذا. فالفعل الماضي هنا بمعنى المصدر بالنظر إلى معناها.

٤- قد تكون (لَمَّا) فعلا مثنى: لَمَّ يَلُمُّ.

داعينا: أي: باعثنا على الخير. عنده داعٍ لهذا الأمر.

الطاعة: المراد بها العبادة. طاع (ن) طَوعا: أطاعه /خضع له.

الأمم: جمع: أمة.

الأمة: (١) جماعة ذات دين واحد. وأصله: أَمَّ يؤمُّ: قصد. فمن كان قصدهم واحدا كانوا أمة.

(٢) بمعنى الدين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ (الأنبياء: ٩٢)

(٣) مدة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ (يوسف: ٤٥)

الإعراب:

لما : حرف شرط. دعا: فعل الشرط. كنا الخ: جزاء.

دعا الله...

دعا: فعل. الله: فاعل. داعينا: مفعول. وأصل (داعِيْنا) بفتح الياء، وجُزِمَ لضرورة الشعر.

لطاعته:

١- الضمير (هـــ) يعود على لفظ الجلالة «الله». ٢- يعود على الداعي؛ لأن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى في الواقع.

الشرح:

دعا الله داعينا: أي سمى الله ووصف الله رسولَنا بأكرم الرسل.

والحاصل أن الله تعالى إذ جعل الرسول صلى الله عليه وسلم أكرم الرسل كنا أكرم الأمم تلقائيا.

أكرم الرسل: كون رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل ظاهر وجلي، وسبق تفصيله في الفصل الثالث. وفي الحديث: «أنا سيد الناس يوم القيامة».(صحيح البخاري، رقم: ٤٧١٢)

«وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي يوم القيامة».(سنن الترمذي، رقم:٣١٤٨)

معاني البيت:

ما المراد بقوله: لما دعا الله داعينا... كنا أكرم الأمم؟

١- المعنى الواضح أن أكرمية التابع بحسب أكرمية المتبوع. وحيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الرسل، فنحن أكرم الأمم.

وكما أن سائق (DRIVER) الحاكم أو الوزير حاكم لغيره من السائقين (DRIVERS) وفوقهم، كذلك أمة أكرم الرسل، أكرم الأمم.

٢- داعينا: عطف بيان لـــ(الله) أو بدل منه، فإن الله تعالى هو الداعي. لطاعته:

متعلق بـــ (دعا).

والمعنى: إن الله تعالى الذي يدعو إلى الخير، دعانا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، ووفقنا للهداية، ودعانا على لسان أكرم الرسل -لا غيره من الأنبياء- فكنا أكرم الأمم. ولا يخفى ما في هذا المعني من التكلف.

٣- المراد بالداعي: القلب؛ لأنه يدعو إلى الإصلاح بعد قبول الدعوة، وفي الحديث: «ألا إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». (صحيح البخاري، رقم:٥٢)

وحيث هدى الله تعالى قلوبنا إلى طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي طاعة الله تعالى في الواقع، فلأجل طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم -وهو أكرم الرسل- أصحبنا أكرم الأمم.

وجعل بعضهم هذ البيت دليلا على معنى البيت السابق وربطه به هكذا:

نحن أكرم الأمم: صغرى. وأكرم الأمم ممن منَّ الله عليهم وأكرمهم: كبرى. فنحن ممن منَّ الله عليهم وأكرمهم: نتيجة.

انتهى الفصل السابع بتوفيق الله تعالى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

****

الفصل الثامن

في ذكر جهاد النبي ﷺ





اللغة:

راعت: راع (ن) رَوعًا: خاف وفزع.

راع الأمرُ فلانا: (١)أخافه، وأفزعه. (٢) أعجبه، وعظم شأنه. هورائع، ج: رُوَّعٌ.

رَوِعَ (س) رَوعًا: كان ذكي الفؤاد، وعظم شأنه.

أروع/ رَوَّعَ: خاف، وأخافه. ارتاع/ تروع: خاف، وفزع.

قلوب: ج: قلب. معناه: لحم صنوبري مركوز في الجانب الأيسر.

العَدى: عادى معاداة وعِداءً: خاصمه، وناوأه.

العدو: ذُو الْعَدَاوَة (للمذكر والمؤنث) وَقد يثنى وَيُؤَنث وَيجمع. في الحديث: «إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير **ميعاد**». (صحيح البخاري، رقم:٣٩٥١)

عدو: يجمع على أعداء، وجمع الجمع: أعادٍ.

أنباء: نبأ (ف) الرجل نبأً: أخبره. النبأ: الخبر العظيم والقاطع. ج: أنباء.

بعثته: بعث (ف) بعثا وبِعثة: أرسله، أرسله رسولا، وأوفد. البِعثة: المندوب، وفد بعث لهدف معين (DEIECATION).

النبأ: زئير الأسد، وهذا ما ذكره معظم الشراح، ولم نعثر على هذا المعنى لهذه الكلمة في المعاجم اللغوية بصراحة. نعم يمكن حملها عليه بالنظر إلى ما يلي:

(١) قال خليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى عام:١٧٠هـ (إمام النحو واللغة الشهير): «والنبأة: صوت الكلاب وغيرها».(كتاب العين ٣٨٣/٨)

(٢) وتذكر عامة كتب اللغة معنى آخر للنبأ وهو مطلق الصوت. «وقيل: هي الجرس أيا كان».(تاج العروس ٤٤٩/١)، «وسمعت نبأة صوتا».(أساس اللغة ٢٤٠/٢)

(٣) النبأ: الخبر العظيم، والنبأة –بالتاء– بمعنى واحد. ويمكن حمله هنا على «النبأ العظيم»، ويشمل الصوت العظيم: زئير الأسد – الذي يدل على مجيئه– أيضا. وعلى كل، يمكن حمل «النبأ» على زئير الأسد، كما ذكره الشراح. ولكن صوت الكلب يطلق عليه «النباح»، وصوت الأسد يطلق عليه «الزئير». فإذا حملنا النبأ على الصوت الضئيل، فمعنى البيت الواضح: إن أخبار بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم أثارت في قلوب الأعداء هلعا وذعرا كما تتفرق الشياه بصوت الذئب يمينا وشمالا. وليس المراد هنا الصوت الخفي؛ بل الصوت عامة. وأطلق المؤلف «النبأة» بمناسبة الأنباء. وعد الثعالبي في فقه اللغة «النبأة» في الأصوات الخفية. وقال: «هي الصوت ليس بالشديد». (ص٢٣٣) أو المراد بالخفي: قليل الخفاء.

أجفلت: جَفَل (ض) جُفولا: (١) هرب. (٢) فزع، وقلق. (٣) نفر. أجفله/ جفَّله: طرده واستنفره.

غُفُلا: ج: غافل.

غَفَلَ (ن) غفولا وغفلة: سها، ونسي لعدم العناية. أغفل الشيءَ: سها، وأعرض عنه.

و(غفل) له أكثر من عشرة معانٍ، والمراد هنا جمع غافل.

غنِم (س) غَنمًا: حاز مال الغنيمة. وربما أطلق الغنم على الشاة لأن الأغنام والشياه بمنْزلة الغنيمة. وتفيد المشاهدة والتجارب أنها أقل إرهاقا، وأكثر نفعا من غيرها من الحيوانات. كما أن فيها محاسن كثيرة. وسميت الغنيمة بذلك؛ لأنه نفع محض. أي نال فائدة زائدة، فقد كان الجهاد لله تعالى، وحصل على الغنيمة مجانا.

الإعراب:

راعت: فعل. أنباء: فاعل. قلوب: مفعول. أجفلت غفلا: الجملة صفة لـــ(نبأة).

كنبأة: (١) الجار مع مجروره متعلق بـــ(راعت). (٢) روَّعَت ترويعا مثل ترويع نبأة.

الشرح:

ضرب مثلا على خوف الأعداء وفزعهم بأكبر قطيع غنم في ميدان، يسمع زئير الأسد أو حسيسا فتصاب الشياه كلها بالهلع والذعر، وتتفرق يمينا وشمالا خوفا منه. وقس عليه الأعداء، سمعوا أنباء بعثة النبي صلى الله علي وسلم، فقلقوا قلقا شديدا؛ لأنهم سبق أن سمعوا الكهنة والمنجمين وأحبارهم يقولون: إنه النبي الخاتم، الذي نسمع أخباره ونقرأها في كتبنا، وفوق ذلك أن دينهم يغلب على الأديان كلها.

وسبق في الفصل الرابع في مولد النبي صلى الله عليه وسلم بيان مدى هلع الأعداء و فزعهم حين سمعوا أنباء بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

الأمثلة: لننظر في تأثير كتاب من كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتجلى منه أن حكومات كبار ملوك الأرض وعظمائها(SUPER POWER) أصيبت بالخوف الشديد حين سمعت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، فضلا عن عامة الناس.

١- قال أبو سفيان في هرقل: «إنه يخافه ملك بني الأصفر». وجاء في الحديث: «فإن كان ما تقول حقا، فسيملك موضع قدمي هاتين... فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه».(صحيح البخاري، رقم:٧)

٢- المقوقس: «قبَّل الكتابَ وأكرم حاطبا، وأحسن نزله، وسرحه إلى النبي صلى الله عليه و سلم».(دلائل النبوة للبيهقي ٣٩٥/٤؛ السيرة النبوية لابن كثير ٥١٤/٣)

٣- خوف أحبار نجران وموادعتهم أخيرا: «فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فظع به وذعره ذعرا شديدا...». ورد في هذه القصة أنه استشار –بعد ما استلم الكتاب- ثلاثة من زعمائه، دون أن يتوصل إلى حل، فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدا، والقصة بطولها مذكورة في كتب السيرة. (دلائل النبوة ٣٨٥/٥؛ السيرة النبوية لابن كثير ١٠١/١ ما بعدها)

٤- وفي الحديث: «نصرت بالرعب مسيرة شهر».(صحيح البخاري، رقم:٣٣٥). فصل أهل العلم الكلام على هذا الحديث شرحا وتوضيحا.

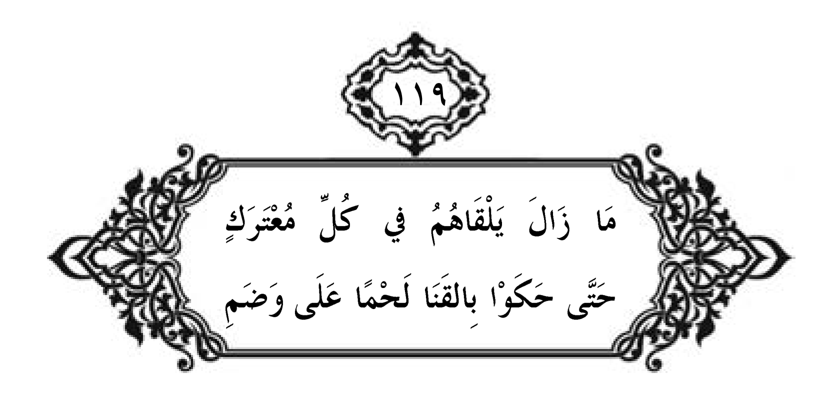
أنباء: جمعَه؛ لأن: (١) المخبر به كثير. (٢) أبلغ كثيرون هذا الخبر مناطقهم، أي كان المخبرون كثيرين. (٣) تعظيمًا له.

البلاغة:

مجاز عقلي في «أنباء بعثته»، نسب إلى السبب، وإلا فملقي الرعب هو الله تعالى.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

يلقاهم: لقي (س) يلقى العدو: قابله وواجهه.

معترك: (١) محل الحرب. (٢) الحرب. عرَكَ (ن) عَرْكًا: حكّه، والتقاه، وقاتله.

ومنه المعترك: (١) ميدان الحرب، ظرف مكان. (٢) أو مصدر ميمي، بمعنى الاعتراك، أي الحرب الضروس.

حكوا: شابهوا. حكى يحكي حكاية: (١) أتى بمثله. (٢)شابه.

القَنا: قنا: (ن) قُنُوًّا: احمر، هو قانٍ.

قنى (ض) قَنْيًا: جمع. قَنِيَ (س) رضي. القُنو: العذق بِما فيه من الرطب. ج: أقناء، وقِنوان.

القناة: (١) حربة لا سن فيها. وما كانت بسن فهو رمح. (٢) خشبة الحربة. (٣) مجرى الماء، ج: قنوات وقنا.

المراد بالقنا في البيت: الحربة. وسميت بذلك؛ لأنها تحمر من الدم.

لحما: لَحَمَ (ن) لَحْمًا: أحكمه. لحم (ف) لَحْمًا: (١) نزع اللحم من العظم. (٢)أطعمه اللحم.

لَحِمَ (س) لَحَمًا: نشب، وتورط فيه. لَحُمَ (ك) لحامة، ولَحِمَ (س) لَحَمًا: سمن. اللحم: الْجُزْء العضلي الرخو بَين الْجلد والعظم. ج: لحوم، لحمان وغيرهما.

وَضَم: وَضَمَ (ض) يضم وضما: وضعه على الوضم. ووضوما: جمعه، وحازه.

الوضم: (١) خشبة/ لوحة يوضع عليه اللحم: الخشب الذي يقطع عليه اللحم ويدق. (٢) الحديد الذي يعلق عليه اللحم حثا للراغبين. ومن معاني الوضم: سفرة الطعام

أو طاولته. ج: أوضام وأوضمة. ولم يضم: سبق في البيت رقم:٨٠. وهو من (ضام يضيم) وهنا من (وضم يضم).

وضم (ض) (١) اجتمع. (٢) وضع اللحم على الوضم.

الإعراب:

ما زال: فعل ناقص. (هو) ضمير اسمها، يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم. يلقاهم: خبرها. و الضمير يعود على العدى. وقرئ (هُمُوا) لضرورة الشعر.

في كل معترك: جار ومجرور متعلق بـــ (يلقاهم).

حتى: يدل على غاية الفعل، والتقدير: يلقاهم ويقتلهم حتى شابهوا اللحم.

لحما: مفعول (حكوا)، بالقنا: (١) بالباء سببية، أي: بسبب ضرب القنا، أي بسبب جرح الحرب. (٢) الباء بمعنى في، أي: في القنا. أي تعلق الأعداء بحرب المسلمين.

على وضم: الجار مع مجروره متعلق بالصفة المحذوفة لـــ(لحما)، والتقدير: لحما (كائنا/ معلقا) على وضم.

الشرح:

كل معترك: بنفسه أو بخيله.

شارك النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه في بعض الغزوات، وأرسل سرايا الصحابة في بعضها.

معترك: (١) مكان الحرب الضروس. (٢) الحرب. والحمل على ميدان الحرب أولى.

ما المراد بقوله: حتى حكوا بالقنا لحما على وضم؟

(١) مُنِيَ الكفار في الحرب بقتل ذريع حتى عادوا كأن الجزار قطع اللحوم وعلقها على الحديد، وقس عليه لحوم الكفار كانت عالقة بأطراف حرب المسلمين.

كأن الصحابة كانوا كالجزارين، والكفار كانوا كاللحوم المقطوعة، أو كانت أسلحة الصحابة/ حربهم مثل سكاكين الجزار، أو كانت أطراف الحرب مثل الحديد الذي يعلق عليه الجزار اللحم. وحينئذ يكون (بالقنا) بمعنى في القنا.

(٢) أو المشبه به اللحم المقطوع على وضم الجزار، أي كان الكفار مثل اللحم

المقطوع على الوضم.

(٣) المراد بـــ (لحما على وضم) معناه المجازي، لا الحقيقي، أي وصل الكفار إلى أقصى قعر الذل والهوان بسبب الضربات المتواصلة، وعادوا كاللحم على الوضم. أي الميت بيد الحي.

لحم على عظم: يطلق على الشيء الحقير، والمناسبة مع البيت السابق بالنظر إلى هذا المعنى: كما أن ذعر الشياه ونفورها عند سماع الصوت لا ينقذها من الموت؛ بل تعود بيد الجزار أو غيره، كذلك قلق الكفار من سماع أخبار البعثة لم ينقذهم؛ بل مُنوا بغاية من الذل والهوان.

شجاعته صلى الله عليه وسلم:

في البيت بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم، لنقرأ بعض قصص شجاعته النادرة في الحرب:

(١) يقول الصحابة رضي الله عنه: «كنا إذا احمر البأس نتقي به».

(٢) « إذا احمر الحرب فما يكون منا أحد أدنى إلى القوم منه».

(٣) «إن الشجاع منا للذي يحاذي به».

(٤) «كنا نتقي به يوم بدر، وكان أقرب الناس إلى القوم، وأشجعهم».

(٥) «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأسمح الناس».

قال البراء: «كنا و الله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي صلى الله عليه وسلم».(صحيح مسلم، رقم:١٧٧٦)

وعن علي قال: «إذا احمر البأس ولقي القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون منا أحد أدنى إلى القوم منه».(السنن الكبرى للنسائي، مباشرة الإمام الحرب بنفسه؛ المستدرك للحاكم، رقم :٢٦٣٣. مسند أحمد، رقم:١٣٦٤)

وعن أنس قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم من أجرأ الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس».(سنن الترمذي، رقم:١٦٨٧)

وعن أنس أيضًا، قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس،

أشجع الناس».(صحيح البخاري، رقم:٣٠٤٠)

(٦) وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وتفرق الناس حين باغت الكفار بالهجوم عليهم.

عن المقداد بن عمرو، فذكرحديثا في يوم أحد، وقال: «فأوجعوا والله فينا قتلا ذريعا، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نالوا، لا و الذي بعثه بالحق إن زال رسول الله صلى الله عليه وسلم شبرا واحدا، إنه لفي وجه العدو، و تثوب إليه طائفة من أصحابه مرة، وتفرق عنه مرة، فربما رأيته قائما يرمي على قوسيه، ويرمي بالحجر، حتى تحاجزوا، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو في عصابة صبروا معه».(دلائل النبوة للبيهقي ٣/٢٦٤)

(٧) تفرق الناس يوم حنين وثبوت رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن أبي إسحاق، سمع البراء، وسأله رجل من قيس: «أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر، كانت هوازن رماة، و إنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكببنا على الغنائم، فاستقبلنا بالسهام، ولقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها، وهو يقول: «أنا النبي لا كذب».(صحيح البخاري، رقم:٤٣١٧)

(٨) انطلق أبي بن خلف يوم أحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يحمل عليه، وأراد الصحابة أن يأخذوه قبل أن يبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «دعوه، فلما دنا منه ناول الحربة من بعض أصحابه، وطعنه، فأصابت عنقه إصابة خفيفة. وسقط أبي بن خلف، وصرخ صرخات، حتى مات. وردت هذه القصة مفصلة في كتب السيرة والتاريخ.

عن عروة بن الزبير، قال: «كان أبي بن خلف أخو بني جمح قد حلف وهو بمكة: ليقتلن رسول الله صلى عليه وسلم، فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أنا أقتله إن شاء الله! فأقبل أبي متقنعا في الحديد و هو يقول: إن نجوتُ لا نجا محمد، فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم

بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، و أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع و البيضة، فطعنه بحربته، فوقع أبي عن فرسه و لم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور، فقالوا: ما أجزعك؟ إنما هو خدش، فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أقتل أبيا، ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي الحجاز لماتوا أجمعون، فمات إلى النار فسحقا لأصحاب السعير». (دلائل النبوة للبيهقي ٢٥٧/٣-٢٥٩)

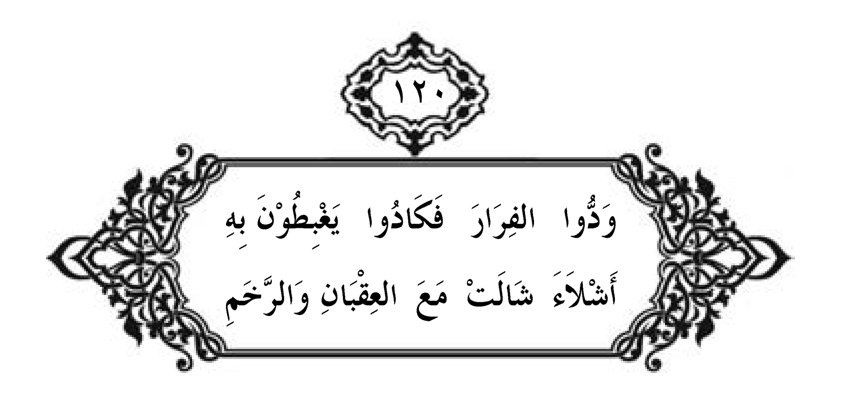
(٩) قال ابن عمر: «ما رأيت أحدا أنجد، ولا أجود، ولا أشجع، ولا أضوأ، و أوضأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم». (سنن الدارمي ٤٤/١)

(١٠) عن عمران بن الحصين قال: « ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان أول من يضرب». (أخلاق النبي وآدابه ٣٢٧/١، فأما ما ذكر من شجاعته)

(١١) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي قال: « أعطيت قوة أربعين في البطش و النكاح». (المعجم الأوسط للطبراني، رقم:٥٦٧)

(١٢) قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى: «والشجاعة تفسر بشيئين: أحدهما: قوة القلب وثباته عند المخاوف. والثاني: شدة القتال بالبدن بأن يقتل كثيرا، و يقتل قتلا عظيما. والأول: هو الشجاعة، وأما الثاني فيدل على قوة البدن وعمله. وليس كل من كان قوي البدن كان قوي القلب، ولا بالعكس، ولهذا تجد الرجل الذي يقتل كثيرا، ويقاتل حينما كان معه من يؤمِّنه، وإذا خاف أصابه الجبن، وانخلع قلبه. وتجد الرجل الثابت القلب الذي لم يقتل بيديه كثيرا، ثابتا في المخاوف مقداما على المكاره. و هذه الخصلة يحتاج إليها في أمراء الحروب وقواده ومقدميه أكثر من الأولى، فإن المقدم إذا كان شجاع القلب ثابتا أقدم وثبت لم ينهزم، فقاتل معه أعوانه، و إذا كان جبانا ضعيف القلب ذل لم يقدم و لم يثبت ولو كان قوي البدن، والنبي صلى الله عليه وسلم كان أكمل الناس في هذه الشجاعة التي هي المقصودة في أئمة الحرب، و لم يقتل بيده إلا أبي بن خلف...». (منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ٧٧/٨، فصل قول الرافضي: إن عليا كان أشجع الناس والرد عليه. والاستقامة له أيضا ٢٧١/٢، فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و غيرهما من كتبه)

انتهى بعون الله تعالى وتوفيقه.



اللغة:

ودوا: وَدَّ (س) وُدًّا ووِدادا: أحب، وحرص، وتمنى. وادَّ موادَّةً:حابَّه.

الفرار: فَرَّ (ض) فَرًّا وفرارا: هرب.

يغبطون: غَبَطَ (ض،س) غَبْطًا: حسده. (٢) فرح. الغِبطة: تمني مثل نعمة الغير من غير زوالها عنه. وسبق الفرق بين الحسد والغبطة مفصلا.

أشلاء: ج: شلو. بمعنى العضو. شلا (ن) شَلْوًا: رفعه وأصعده.

أشِلاّء: الأعضاء بعد التفرق.

شِلو: (١) عضو. (٢) قطعة لحم. (٣) بقية الشيء. ج: أشِلاّء.

وقال خبيب رضي الله عنه عند شهادته:

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ۞ يبارِكْ على أوصال شِلوٍ ممزع

(صحيح البخاري، رقم:٤٠٨٦)

شالت: شال (ن) شَولا وشَوَلانا: صعد. ومنه شال الذئب، وشال الشيءَ: رفعه. يأتي قاصرا ومتعديا.

ومنه شوال، وسمي به لأن:

(١) قبائل العرب كانت تشول فيه، أي: تترك مكانها. أي كانوا يخرجون من بيوتهم للقتال وغيره؛ لأنه يعقب هذا الشهر ثلاثة أشهر متتاليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، لا يقاتلون فيها. وكذلك كانوا يخرجون في شوال من بيوتهم إذا أرادوا الحج من مكان بعيد، ليصلوا مكة على الميعاد.

(٢) السباع كانت تشول فيه.

(٣) لشولان النوق اللقاح بأذناها فيه.(تفسير الثعلبي ٤٢/٥) أي: ترفع الإبل أذناها للحرارة.

وقيل:

(٤) وافق الوقت الذي تشول فيه الإبل.(تاج العروس ٣٠٤/٢٩)

(٥) الألبان كانت تشول فيه. أي تقل. (لقلة النبات وشدة الحرارة).(تاج العروس ٣٠٤/٢٩)

(٦) في حديث موقوف: عن سالم عن أبيه: « وإنما سمي شوال؛ لأنه يشول الذنوب كما تشول الناقة ذنبها».(تاريخ مدينة دمشق ٣٣٥/٤٧؛ كنْز العمال ٥٨٨/٨)

العقبان: جمع عقابٍ. مؤنث لفظا، ويذكر ويؤنث معنًى. ج: أعقب وعِقبان. يطلق عليه في الإنجليزية (EAGAL). وفي الأردية «شاهين» و«عقاب».

وقال بعض الشراح: و النسر. وهذا غير صحيح؛ لأنه غير العقاب والنسر غير مراد هنا؛ إذ سيأتي ذكره مفردا.

عَقِبَ (س) عقبًا: أصيب بوجع العقب.

عَقَبَ (ض) فلانا عقبا: تبعه، والعقاب يتبع صيده.

الرخم: النسر. ج: رخوم.(VULTURE) رَخَمَ (ن) دق صوته، ولان.

رخِمَ (س) الفرس: ابيض رَأسه واسود سائره. هو أرخم.

رخم فلانا: رحم به وأشفق عليه.

الإعراب:

فكادوا: الفاء لعطف التفسير. به: بالفرار.

أشلاء شالت: (١)مفعول «يغبطون» أي يتمنون أن يصيروا مثل الأعضاء المقطعة.

(٢) يغبطون به: يتمنون الفرار، انتهت به الجملة، ثم (الأشلاء) حال من «يغبطون» أو «كادوا». أي كانوا في حالٍ كأنهم قطع اللحم المقطعة. أو: أشلاء: خبر لـــ(كادوا).

أشلاء:موصوف، شالت الخ: صفة.

مع العِقبان: حال. والتقدير: شالت/ ارتفعت حال كونها مع العقبان. وليس (مع) هنا للظرفية، فإنها لها مواقع خاصة.

الشرح:

ودوا الفرار: كان الفرار من الحرب عند العرب ذميمة، و الموت خير منه، ولكن ساءت حالتهم في القتال مع المسلمين حتى أصبحوا يريدون اللجوء إلى عمل أسوأ وأشنع.

وكثر الأشعار العربية في الدلالة على أن الموت في وجه العدو خير من الفرار. والهروب خصلة أسوأ.

أشلاء شالت مع العِقبان والرَخم:

(١) معناه الأبسط والأوضح: كان الكفار يتمنون الخلاص من أيدي المسلمين بصورة أو أخرى، أو يفرحون بالفرار، وإن عادوا أشلاء وقطعا، يطير بها الطيور في الهواء. وأن يكونوا قوتا للطيور أيسر عليهم أن يقعوا في أيدي المسلمين. كما نشاهد اليوم يؤثر بعض الناس الانتحار على أن يقعوا في أيدي أعدائهم خشية أن يصبوا عليهم سوط العذاب. وليس المراد هنا خوف ظلم المسلمين؛ بل هيبتهم وخوفهم.

(٢) أشلاء شالت...جملة حالية. المعنى: كما يطير العقاب والنسر بلحم الميتة في الفضاء، كذلك ارتفعت سيوف المسلمين وحربهم بلحوم الكفار، وقد مُنوا بالنكسة والذل والهوان فلاذوا بالفرار.

(٣) بلغت حالتهم من السوء أن حسدوا موتاهم على أن أصحبوا لقمة سائغة للطيور قبلهم، ليتهم كانوا كذلك لقمة للطيور، فيطيروا بهم، فلا يقعوا في أيدي المسلمين على أقل تقدير. ونظرا إلى هذا المعنى في البيت استتباع، أي بيان حكم شيء آخر عرضا.

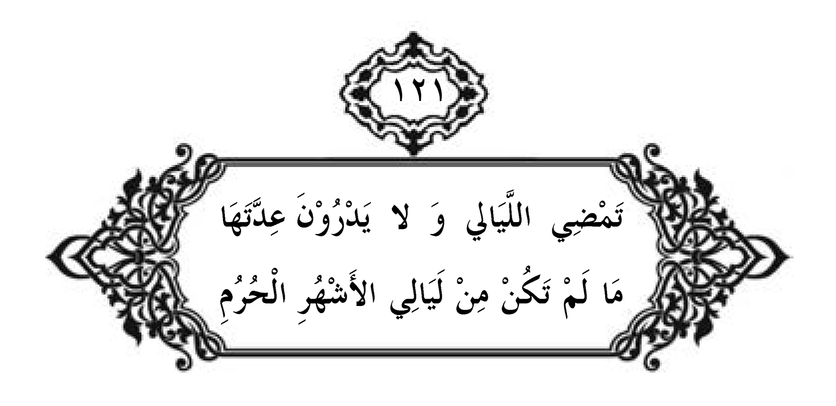
وذكر الناظم رحمه الله –بجانب ذكر تعرض الكفار الموجودين للنكسة والذل والهون– أن الذين ماتوا أصبحوا لقمة للطيور، وهؤلاء يتمنون ذلك.

العقبان: جمع كثرة، يشير إلى كثرة مثل هذه القصص.

أشلاء: تمنوا أن يكونوا مثل الأعضاء؛ فإنهم أشبه بذلك. وهو أن اللحم لاحس فيها ولاحياة، ولا قوة أصلا، كذلك الكفار بلغوا من العجز هذا المبلغ؛ فتمنوا أن يكونوا مثل الأعضاء، و لم يتمنوا أن يكونوا مثل هذي الطيور.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

تمضي: مضى: (ض) مُضيا: مر، وانطلق. قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (الزخرف:٨)

الليالي: ليلة:ج: ليالٍ، ج: ليلات.

سؤال: ذكر الليل دون النهار؟

الجواب: (١) لأن الليل هو الأصل في التاريخ العربي، ويعد اليوم بالليل، فمثلا اليوم يوم السبت، فمبدأه عقب غروب الشمس أمس؛ لأن القمر يطلع ليلا، أو: كما يبدأ العيد ورمضان بالليل.

(٢) من قبيل التغليب: يغلب المذكر على المؤنث غالبا، فيذكر اللفظ، ويعم المؤنث، مثل: القمرين، والأبوين، ونحوهما، وهنا غلبوا المؤنث على المذكر على خلاف عادة العرب، ولفظ المؤنث يعم المذكر.

(٣) أشار بذكر الليالي إلى المصائب، فحالتها تشبه حالة الليل.

يدرون: درى (ض) دِراية: علم. وسبق تحقيق العلم والدراية مفصلا.

عدتها: عَدَّ (ن) عَدًّا وتعدادا: أحصاه.العدة :التعداد، مقدار ما يعد.

الأشهر: شهر: ج: أشهر، وشهور. شَهَرَ (ف) شهرا وشهورة: (١) أذاعه. (٢)نشره.

شهر السيف: أخرجه من غمده. ولعل تسميته بالشهر يرجع إلى أن بداية الشهر تتعلق بالقمر، وطلوع القمر معروف لا يعزب عن أحد، أو لأن الشهر يُذكر، كما يذكَر ما اشتهر، وأما العام فقد ينساه المرء.

الحُرُم: جمع حرام. حَرُمَ (ك) منع.

الشهر الحرام: الشهر المقدس. وسمي به لأنه حرام هتكُه. ويحرم فيه القتال، وهي أربعة أشهر. (كما سيأتي).

الإعراب:

تمضي: فعل. الليالي: فاعل. ولا: الواو حالية. يدرون: فعل، وفاعل. عدمًا: مفعول. ما: مصدرية ظرفية. وما المصدرية تحول ما بعدها إلى المصدر، و يقدر الظرف قبل المصدر. أي: مدة كونها من غير الأشهر الحرم.

تكن: فعل ناقص. هي: اسم. كائنة: خبر. من: جار. ليالي: مضاف. الأشهر الحرم: موصوف مع صفته مجرور، وهو خبر كان. أي: كائنة من الليالي.

الشرح:

كان الكفار لا يشعرون بالشهر أو السنة التي هم فيها. فكانوا يعيشون حالة من القتل والإغارة والخوف والذعر، فإذا دخلت الأشهر الحرام ضبطوا تاريخه وكم يوما مضى منه؛ إذ كان يوقفون القتال فيها، ويستجمون من الحرب.

والحاصل أنهم كانوا يفقدون رشدهم خوفا من شدة القتال والإغارة، ويغفلون عن الأمور الأساسية التي لا تخفى على أحد من أيام الشهر، فضلا عن الأمور الهامة. ولا يهمهم إلا الخلاص من ذلك، كما ينسى الخائف المذعور ما أحكم ضبطه وحفظه من الدروس خوفا وهلعا، وربما فتحوا عليه في قراءة سورة الفاتحة فيأخذه.

الليالي: وقت الليل وقت راحة واستجمام، وإذا كانت هذه حيرتهم في الليل فلا تسأل عن حالهم في النهار؟

الأشهر الحرم: الأشهر المحترمة، والمقدسة التي كانوا يعظمونها في الجاهلية، إلا من شذَّ منهم. وهذه الأشهر الأربعة: ثلاثة سرد، و واحد فرد. وقد جاء تحديد هذه الأشهر في الحديث الشريف، فلا عبرة بخلافه من الأقوال:

في الحديث: عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها

أربعة، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، و رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان)).(صحيح البخاري، رقم:٤٦٢٢)

وفرَّق بينها بعض الناس فرقا دقيقا وهو أنهم بعد اعترافهم بحرمة هذه الأشهر الأربعة، كانوا يختلفون في عدها على وجهين: فمنهم من يبدأ برجب وينتهى بالمحرم من العام القادم. ومنهم من يبدأ بالمحرم وينتهي بذي الحجة. وفي الوجه الأول تقع هذه الأشهر الأربعة في عامين، على العكس من الوجه الثاني حيث تقع في عام واحد.

وجوه تسمية الأشهر العربية باختصار:

المحرم: (١)شهر ذا حرمة وأدب، فكان يحترمه الناس جميعا. (٢) لتحريم القتال فيه.

صفر: (١) تخلو فيه البيوت من الناس؛ لأنهم كانوا يخرجون للاستعداد للقتال والثأر، فقد سبقته ثلاثة أشهر من أشهر الحرام، كانوا يمسكون فيه عنهما. (٢) انتشرت فيه الأوبئة في العرب، فاصفرت وجوههم. (٣) تخلو فيه أواني اللبن لتنقلهم للحرب والقتال.

ربيع الأول وربيع الآخر: (١) كان الجو ربيعا حين سمي به الشهر، وحملت كتب اللغة الربيع على الخريف، وهو فصل الاعتدال والمطر.والربيع هو المطر. (٢) لارتباعهم أي إقامتهم في الدار. وربيع الأول: موصوف وصفة. وشهر ربيع الأول: مضاف ومضاف إليه.

وجمادى الأولى وجمادى الآخرة: لجمود الماء فيه، حين سموهما كان البرد قارسا جمَّد الماءَ. وجاءت هذه التسمية في أوقات مختلفة فلا يقال: كيف تبع الربيعَ البردُ. والأولى أن الربيع هو شهر المطر، حيث يعتدل الجو وينْزل المطر، ويعتدل الجو في الخريف، ويعقب الخريفَ فصل البرد.

رجب: لتعظيمهم له. رَجبته/ رَجَّبته: عظمه.

شعبان: تشعب القبائل للغارات. التشعب: التفرع، وكان الناس يتفرقون في القبائل للقتال.

رمضان: رَمَض: سمي بذلك حين كان الحر شديدا.

شوال: ارتفاع، لأنهم كانوا يرفعون فيه الأسلحة ويقاتلون ما شاؤوا، ثم يعقبه ثلاثة أشهر من الأشهر الحرم ويقعدون فيها عن القتال.

ذو القعدة: لقعودهم عن القتال فيه؛ لأنه من الأشهر الحرم.

وذو الحجة، لأن الحج اتفق فيه، فسمى به.

تنبيه:

(١) أشهر السنة كلها مذكر إلا جمادى الأولى وجمادى الآخرة.

(٢) ولهذه الأشهر أسماء أخرى في الجاهلية، مذكورة في الكتب.

(٣) سموا بذلك لاتفاق مثل هذه الحالات عند التسمية، ولا يستلزم وجودها اليوم.

قال النويري: « إنما وضعوا هذه الأسماء على هذا الشهر لاتفاق حالات وقعت في كل شهر». (نهاية الأرب١/١٥٨)

وذكرت كتب الأدب أسماء الشهوروتفاصيلها خاصة.(صبح الأعشى ٢/٤٠١؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٦/٩٣ ما بعدها؛ الأزمنة لقطرب/محمد بن المستنير بن أحمد النحوي، المتوفى٢٠٦هـ)

حرمة الأشهر الحرم:

مسألة: اتفقوا على أن الكفار إذا بدأوا القتال جاز للمسلمين قتالهم دفاعًا عن أنفسهم فيها.

مسألة: ما حكم الابتداء بالقتال ؟

يقول عامة المفسرين والفقهاء: لم يكن الابتداء بالقتال مأذونا به في أول الأمر، ثم أذن به؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل في ذي القعدة، فنسخت حرمة هذه الأشهر. وذهب المحققون والقاضي ثناء الله الباني بتي رحمه الله إلى أنه لا دليل على نسخه، ولا يصح ما استدل به أصحاب القول الأول. درس القاضي ثناء الله هذه المسألة في موضعين من كتابه دراسة مفصلة وحقق تحقيقا جيدا، وخلاصة ما قال في هذين الموضعين ما يلي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢١٧)

يقول الأكثرون: هذه الآية منسوخة،وناسخها قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ

وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ (التوبة: ٥) قال ابن الهمام: وهو بناء على التجوز بلفظ «حيث» في الزمان ولا شك أنه كثير الاستعمال.

الجواب عنه: (١) قلت: لفظ حيث للمكان حقيقة ومجيئه للزمن تجوز لا دليل عليه.

(٢) ولو فرضنا أنه مشترك في الزمان والمكان ففى شموله للأزمنة شك ولا يجوز النسخ مع الشك.

(٣) واستدل ابن همام على نسخ الحرمة بالعمومات نحو قوله تَعَالَى:﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾(التوبة: ٣٦). وقوله عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس...». (صحيح البخاري، رقم:٢٥)

الجواب: قلت وهذا ليس بسديد فإن عموم تلك الآيات في المكلفين وأحوالهم دون الأزمنة. فلا بد من دليل مفرد.

(٤) قال ابن الهمام:حاصر النبي صلى الله عليه وسلم الطائف من ٢٠/ذي الحجة إلى نهاية المحرم. فهذه الآية منسوخة بعمله صلى الله عليه وسلم.

الجواب: (١) فصل القاضي رحمه الله الجواب عنه في ضوء السيرة، حاصله أن القتال كان في شوال، ولم يدخل ذو القعدة حتى أمسك عنه. وانتهى إلى القول بأن مدة خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة وعودته إليها وبعبارة أخرى: مدة غيابه عن المدينة المنورة شهران و٢٦/ يوما، فكيف يصح قول ابن الهمام أن النبي صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف حتى نهاية المحرم. (ساق هذا الرد في تفسير سورة البقرة).

الجواب(٢): ولو فرضنا أن الحصار استمر إلى الأشهر الحرم، فهو خبر واحد، لا ينسخ به القرآن الكريم. (هذا الرد ذكره في تفسير سورة التوبة).

(٥) قال البغوي: نسخ قوله:﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ بقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾.

الجواب: ما أعجب هذا الاستدلال! فإن الناسخ يتأخر زمنا عن المنسوخ، ونزل قوله تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ متزامنا مع قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، ثم إن العموم في قوله:﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ليس زمانيا، فلا يصلح ناسخا.

ذكر التفسير المظهري هذه المسألة باختصار أو تفصيل في المواضع التالية:

١- البقرة:٢١٧، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ .

٢- التوبة ٥، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ .

٣- التوبة: ٢٦، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ .

٤- التوبة: ٣٦، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ .

٥- التوبة:٣، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ .

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

الدين: لغة: (١) العادة، قال كعب:

فمرّ على نحره و الذراع ۞ و لم يك ذاك له الفعل دِينا

(ديوان كعب بن زهير،ص ٦٨)

أي: مرّ السهم على نحر الصيد وذراعه، و لم يكن إصابة الرمي من عادته.

(١) الجزاء: كما تدين تدان. وقَالَ تَعَالَى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٤)

(٢) الحساب: فُسِّرَ يومُ الدين بيوم الحساب.كما في التنْزيل:﴿ أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ (الصافات: ٥٣) أي: محاسبون. ومن معاني الحديث المشهور: «الكيس من دان نفسه».(سنن الترمذي، رقم:٢٤٥٩): حاسب نفسه. والدين له معانٍ أخرى كثيرة: الطاعة، والغلبة، والسلطة، والملك، والحكم، والسيرة، والتدبير ونحوها.

الدين اصطلاحا:

(١) ما شرعه الله لنفع عباده بواسطة الأنبياء. ولعل العلامة ابن الكمال عبر عن هذا المعنى بقوله:

(٢) وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عن الرسول.

(٣) وضع إلهي سائق لذوي العقول إلى الخير بالذات لاختبارهم المحمود.

(٤) تعريف ميسور: ما يعتقده الإنسان حقا كان أو باطلا. فعلم أن الأديان الباطلة توصف بالدين.

وللدين أسماء مختلف باعتبارات مختلفة : ١- الدين؛ لأنه يتبع. ٢- الملة: لأنها تملل

وتحفظ بالكتابة. ٣-الشريعة: لأنه مثل شارع واسع مفتوح (HOGHWAY) ، أو مكان يبل فيه العطش، فالشريعة يبل به روح الإنسان. ٤- مسلك: لأنه الناس يسلكونه، وما عليه إمام بعينه يوصف بالمذهب.

ضيف: النازل عند غيره. ج: ضيوف، ضياف، ضيفان.

والضيف يستوي فيه المفرد والجمع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾ (الحجر: ٦٨)

حل: حَلّ (ن) حلولا: نزل، وأقام. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ﴾ (الرعد: ٣١)، أي تنْزل. حل (ض) حلالا: أبيح.

ساحتهم: (١) القاعة (COURTYARD). (٢) الفناء. ما حول البيت.

قَرْمٌ: سيد. قَرَمَ (ض) قَرمًا وقروما وقَرَمانا: أكل قليلا قليلا.

قَرِمَ اللحمَ (س) رغب فيه، واشتاق إليه.

القَرْم: (١) الرئيس الأكب. وربما سمي به الرئيس لأنه يتناول الطعام قليلا قليلا، لتوفره عنده كل وقت، أو لأنه يشتهي اللحم.

قريم: شديد الاشتهاء إلى اللحم.

قرِمَ: وصف بمعنى: شديد الشهوة إلى لحوم الأعداء.

الإعراب:

كأنما: حرف مشبه بالفعل. ما: كافة. الدين: مبتدأ. ضيف: موصوف. حل ساحتهم: الجملة صفة، والموصوف مع صفته خبر.

بكل: الباء جارة، كل: مضاف. قرم: موصوف. إلى: جار. لحم: مضاف. العدى: مضاف إليه. و الجار مع مجروره متعلق بـــ(قرم) في نهاية البيت، و(قرم) في آخر البيت صفة. والموصوف مع صفته مضاف إليه لـــ (كل).

كل قرم الخ: المضاف مع المضاف إليه مجرور، الجار مع مجروره متعلق بـــ(حل) أو حال منه. أي: حال كونه مصحوبا بكل قرم...

الشرح:

الدين: (١) المراد به دين الإسلام. (٢) صاحب الدين وهو رسول الله صلى الله

عليه وسلم. و هو مجاز مرسل، أطلق الدين وأريد به صاحبه، فهو من إطلاق المسبب وإرادة السبب.

ساحتهم: (١) الأقرب أن الضمير (هم) يعود على الكفار. (٢) هم: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. أي نزل الدين على الصحابة. ولا يتغير معنى البيت به.

ما معنى «كأنما الدين...» الخ ؟

(١) نزل هذا الدين من الله تعالى ضيفا، فعلى الكفار أن يحترموا هذا الضيف ويكرموه، و يعتنقوه، ويقبلوه، ولكنهم أبوه. ولما كان هذا الدين مثل الملك، والملك له حفظة وحرس، يتحركون ويعاقبون من أساء إليه. قس عليه أن الكفار لما أساءوا إلى الدين، تحرك حفظته وحرسه وهم الصحابة رضي الله عنهم، وعاقبوهم وجاهدوهم. (لحم العدى قرم): أي اضطر حفظة الدين إلى أن يقضوا عليهم من على وجه الأرض، وهم يرغبون فيه؛ لأن هؤلاء الأعداء يحولون دون إكرام ضيف الله العظيم، فلا يحق لهم البقاء في الدنيا.

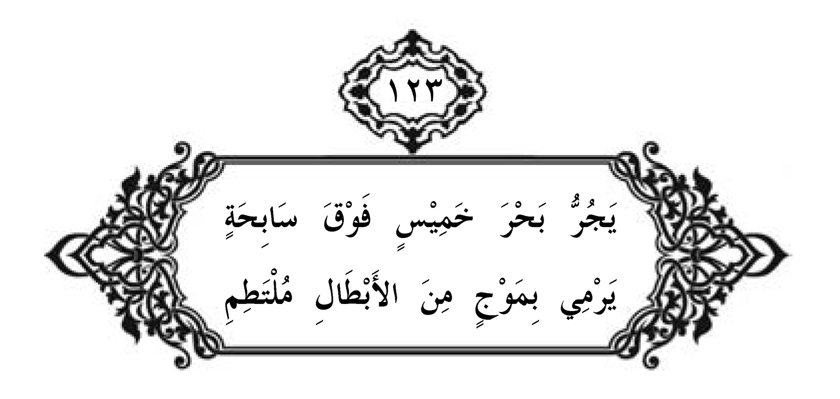
(٢) نزل الدين مع جماعة من الرؤساء (الصحابة رضي الله عنهم) ضيفا على الأعداء. والضيف أحرص على أكل لحم الأعداء. فانتزع الضيف -وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم- حقهم وهو اللحم من المضيف غصبا عنه. وفي اعتبار الصحابة ضيفا والكفار مضيفين تهكم واستهزاء.

وفيه إشارة إلى أن الكفار لما لم يقبلوا دين الحق، ووصل الأمر إلى القتال والجهاد، فما أسرع أسلحة الصحابة إلى الوقوع والتأثير فيهم. وما أسرعهم إلى اجتثاث الأعداء، كأن ذلك كله وقع برضى منهم، بل جاء ذلك جريا على عادتهم في القرى.

الفرق بين المعنيين:

حاصل المعنى الأول: عادت قطع أجسامهم زينة للحِرَب، نتيجة عدم قدرهم لضيفهم. وحاصل المعنى الثاني: لعدم قدرهم للضيف، انتزع -الضيف- منهم اللحم غصبا عنهم، وذلك قوتا لِحرَبِهم. وهذا يذكر بقرى العرب. ففي المعنى الأول تقطع لحمهم علامة على عدم قدرهم للضيف. وفي المعنى الثاني الضيافة والقرى. والمعنى الأول هو المتبادر.

انتهى، ولله الحمد.



اللغة:

يجر: جر (ن) الشيءَ جرا: سحبه، وأتبعه بنفسه.

خميس: الجيش الكبير، الذي يضم الفرق الخمس الهامة:

(١) مقدمة الجيش: ما يتقدم الجش.

(٢) الساقة: ما يتأخر في الجيش.

(٣) الميمنة: ما يكون على يمين الجيش

(٤) الميسرة: ما يكون على يسار الجيش.

(٥) القلب:ما يكون وسط الجيش.

خَمَس: (ن) خَمْسًا: أخذ الخُمس. خَمَسَ (ض) خمسًا: كان خامسهم.

سابحة: الفرس حسن الجري بلا إتعاب.

سبَحَ (ف) سبحا وسِباحةً: (١) طاف في الأرض. (٢) عام.

سبوح: فرس سريع الجري، حسن المشي، ولا يتعب صاحبه.

قال المتنبئ:

وتسعدني في غمرة بعد غمرة ۞ سبوح لها منها عليها شواهد

يسرع الفرس الجري، فتحتك أرجله بالأرض مرة بعد مرة، فيخرج منه النار، كما تخرج النار باحتكاك الزند.

موج: ماج البحرُ: (ن) موجا ومَوَجانا: ارتفعت أمواجه وتلاطمت. الموج: ما على من سطح الماء و تتابع. ج: أمواج.

الأبطال: جمعُ بطل. والبطل: الشجاع القوي. (١) الجريء. (٢) الفارس. وسمي الجريء بطلا؛ لأن دماء الناس تبطل عنده.

ملتطم: لطَمَ (ض) لِطْمًا: مكث، ضرب، ضرب خَدّه أَو صفحة جسده بالكف مبسوطة أَو بباطن كَفه. التطمت الأمواج: تطاطمت.

الإعراب:

يجر: فعل. هو (أي الدين أو صاحب الدين): فاعل. بحر: مضاف. خميس: موصوف. فوق سابحة: صفت. الموصوف مع صفته مضاف إليه، وهو مع المضاف مفعول أو فوق سابحة: ظرف متعلق بـــ (يجر).

يرمي: فعل. هو: فاعل. ب: حرف جر. موج: موصوف. من الأبطال: صفة أولى. ملتطم: صفة ثانية. الموصوف مع صفته مجرور وهو مع الجار متعلق بـــ (يرمي). والفعل مع الفاعل والمتعلق به جملة فعلية خبرية.

الشرح:

يجر بحر خميس فوق سابحة...:

(١) وصل هذا الدين إلى الكفار، ومعه جند المسلمين، على حال:

١- هذا الجند مثل البحر، في الالتطام، وإهلاك الناس، وإثارة الخوف والذعر. وكما أن الأمواج تعلو من سطح البحر، فيبدو أن بعضها تسابق البعض، قِس عليه الجيش الإسلامي حين يتقدم على الأفراس السبوحة يبدو أن الأمواج تعلو من البحر المائج الهائج، يجرف بالكفار.

٢- فوق سابحة: وكان جند الصحابة رضي الله عنه على حال يبدو معها أن الجيش على سفن من الخيول.

٣- يرمي بموج: حين تتلاطم أمواج البحر تقذف كل شيء خارج البحر، كذلك الجيش الإسلامي كان يرمي بجيش الكفار تحت أقدامه.

(٢) المراد بالموج في البيت التالي: أسلحة المسلمين، التي أدت إلى القتل والجرح في جيش الأعداء، وأطلق هذه الأسلحة الأبطال والشجعان.

فالمعنى حينئذ: كما يرمي البحر بالأمواج بشدة، كذلك كان جيش الكفار يرمي

بالأسلحة وهذه الأسلحة كانت تموج بعضها في بعض مثل موج البحر.

المشبه: إطلاق الأسلحة. والمشبه به: الأمواج. ملتطم: استعارة ترشيحية، ذكر ما يناسب المشبه به.

(٣) المراد بـــ يرمي بموج: كما تتعاقب أمواج البحر بعضها وراء بعض، كذلك قواد هذا الجيش الخميس كانوا يواصلون التقدم: متعاقبة أبطاله في الإقدام تعاقب أمواج البحر.

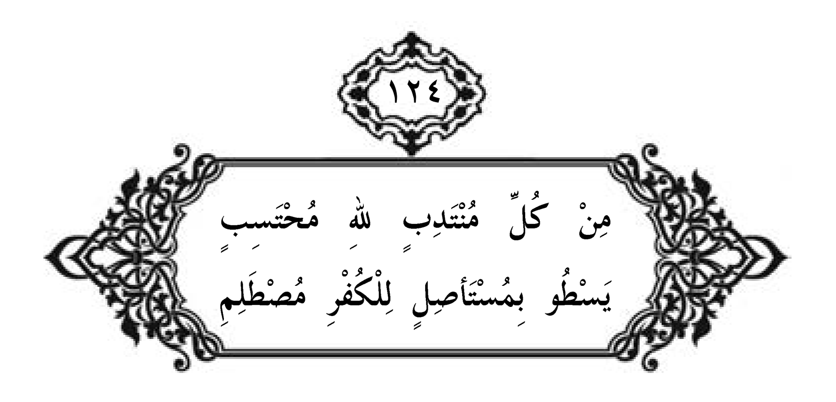
وعبر عنه بعضهم بقوله: كما يرمي البحر بالأمواج، كان يرمي هذا الجيش أمواج الأبطال أمامه، فهؤلاء الشجعان مثل الأمواج، في الاضطراب والتسلسل، أي في التطام بعضهم مع بعض، وتعاقب بعضهم وراء بعض.

يجر: فاعله: الدين أو صاحب الدين. وفيه حكاية الحال الماضية بالمضارع لاستحضار هذه الواقعة العجيبة، ويطلق عليه «حكاية الحال الماضية».

(٤) أو المراد بالموج في الشطر الثاني: جيش الكفار، أي كان جيش المسلمين مثل البحر، وجيش أبطال الكفار مثل الأمواج، وكان جيش المسلمين يرمي بهم هنا وهنا.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

منتدب: أي مجيب.

نَدَبَ (ن) إلى الأمر نَدْبًا: دعا إليه، وحثه عليه. ندَبَ الميتَ: بكاه.

ندِبَ (س) نَدْبًا وندوبا: ظَهرت فِيهِ ندوب. ندُبَ (ك) نَدابَةً: صار ذكيا.

انتدب له: أجاب إلى ما دعِيَ. قال: لبيك.

محتسب: حَسَبَ (ن) حَسَبًا، وحِسابا، وحُسبانا: أحصى، وعدد.

حسبَ (س،ح) حِسبانا، ومحسُبة: ظن، وتخيل.

حَسُب (ك) حَسبا وحَسابة: شرف ونجب.

احتسب: الأَجْر على الله ادخره، فعله مدخرا أجره عند الله، كأن المرء يظن أن الله تعالى يثيبه. ولا يقطع بقبول الأعمال، ويخاف الرد وعدم القبول حيث لم يرتق إلى المطلوب عند الله تعالى، أو فقد الشروط والآداب. نعم، ورد ذكر القطع بقبول الدعاء أو معنى الاحتساب: رجاء ثواب أكثر.

يسطو: سطا (ن) عليه سَطْوا وسَطْوَة: هجم عليه، باغته.

مستأصل: الاستئصال: القلع بحيث لا يبقى له أثر. استأصل الشيءَ: اجتثّه.

أصل (ن): أصلا: استقصى بَحثه حَتَّى عرف أَصله. أصل (ك) أصالة: استحكم.

مصطلم: صلم (ض) صَلمًا: قطعه، واستأصله. اصطلم: أهلكه، ودمّره.

الإعراب:

من: حرف جار بدل من (خميس). كل: مضاف. منتدب: مضاف إليه، والجار مع مجروره متعلق بــ(مجتمع) مقدرا. لله: متعلق بــ(منتدب). محتسب: صفة لــ(شجاع)

مقدرا قبل (منتدب).

يسطو: فعل. هو: فاعل. ب: جار. مستأصل: صفة أولى لـــ(سلاح) مقدرا. للكفر: متعلق بـــ (مستأصل)، ملتطم: صفة ثانية. والموصوف مع صفته مجرور، والجار مع مجروره متعلق بـــ(يسطو).

والجملة برمتها: (١) صفة «خميس»، كما كان «ترمي» الجملة برمتها صفة لـــ«خميس». (٢) حال من فاعل «منتدب». أي يلبون دعوة الله تعالى وهم يخرجون للجهاد.

الشرح:

كل جندي من الجيش الإسلامي يلبي متطلبات الدين، ومخلص في عمله يبتغي رضوان الله تعالى في جهاده. وهذا حالهم الديني، وأما حالهم الدنيوي، فلا يتأخرون عن أحد في الجهاد والقتال؛ بل كانوا مهرة ذوي تجارب كثيرة فيها، وكانت أسلحتهم تقتل الكفرة وتستأصلهم.

فإذا اجتمعت الأسباب الروحية مع الأسباب الظاهرة للنجاح، فلا يخفى آثارها على العدو، فكأن هذا البيت دليل على معنى البيت السابق.

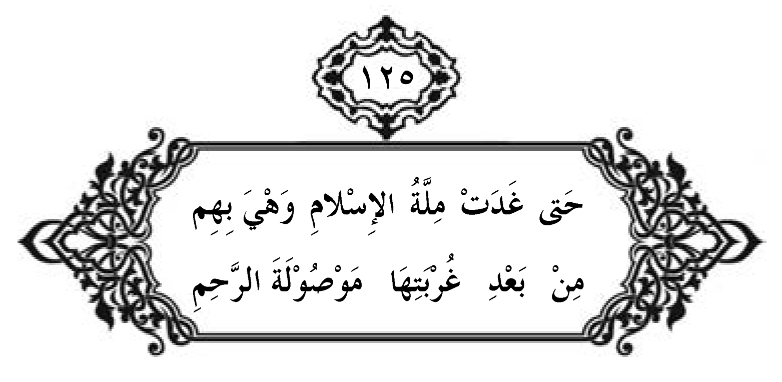
منتدب: تلبية الصحابة رضي الله عنه دعوة الدين غير مبالين بالأوضاع الآنية مما يمتاز به الصحابة رضي الله عنهم عن غيرهم. وما أكثر القصص في كتب السيرة والمغازي، التي تدل على مدى إخلاص الصحابة في الحرب بعينها.

للكفر: (١) مستأصل للكفر. (٢) أو مستأصل لأهل الكفر.

مصطلم: (١) مجتث. وهو تأكيد لقوله: مستأصل. (٢) المراد به المدمر والمهلك. فله معنى غير الأول.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

ملة الإسلام: أي: ملة هي الإسلام. فالإضافة بيانية. كما في: شجرة الأراك.

ملة: سمي الدين ملة؛ لأنها تملل، أي تكتب.

غربتها: غربَ: (ن) غَربا وغُربة: فارق وطنه، وسافر. غرب (ك) غَرابة وغُربة: سافر.

غرُب الكلام: خفي مراده. صعب فهمه. من شروط فصاحة الكلام خلوه من الغرابة. وسبق تفصيله في البيت رقم: ٩٦.

من أمثلة الغرابة: ما لكم تكأكأتم عليَّ تكأكؤكم على ذي جنة، افرنقعوا عني.

موصولة: وصلَ: (ض) رحمه. وأحسن إلى القرابة.

موصول: اسم مفعول من (وصل)، أي من تم وصله.

الرحم: القرابة، ج: أرحام. رحِمَ (س) رَحمة ورُحما: مَنَّ عليه، وأشفق عليه.

الإعراب:

حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم:

حتى:حرف عطف يدل على الثمرة والغاية، معطوف على (يجر بحر خميس). غدت: فعل ناقص. ملة الإسلام: اسم، خبرها: موصولة الرحم مقدرا؛ فإنه نص على «موصولة الرحم» في الأخير. «موصولة الرحم»: خبرها. أو: موصولة الرحم: خبر «غدت»، وحذف «موصولة الرحم» خبر «هي». أو خبرها «بهم»، أي وهي قوية بهم.

وهي بهم: (١) هي: مبتدأ. قائمة بهم: خبر. والجملة اعتراض.

(٢) هي: مبتدأ. موصولة الرحم: خبر. بهم: أي بنصرتهم: فهو مرفوع؛ لأنه خبر

«هي».

من بعد غربتها:

من: حرف جر، بعد: مضاف، غربتها: مضاف إليه، والمجرور مع الجار متعلق بـــ «موصولة الرحم». والفعل مع فاعله والحال والمفعول، ومتعلقه جملة فعلية.

الشرح:

من ثمرات الجهاد وفائدته أن تقوى الإسلام بعد أن لم يكن أحد ينصره، وقد نصره الصحابة رضي الله عنهم وجاهدوا.

حتى: (١) غاية لـــ يجر. أي توالى جيش الدين في الميدان، حتى غلب الدين.

(٢) أ حتى: غاية لـــ «يسطو»، أي واصل الصحابة الكرام الهجوم على الكفر، حتى غلب الدين.

شُبِّه الدين بالغريب، أي المسافر، أي كما أن المسافر لا ناصر له ولا معين ولا حفيظ، كذلك كان الدين لا يعتنقه ولا يؤويه إليه أحد، ثم نصره الصحابة رضي الله عنهم واعتنقوه. وجاهدوا الأعداء، فعُرِفَ، وكان له الآلاف من الأتباع والحماة.

وفيه إشارة إلى الحديث الشهير، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء».(صحيح مسلم، رقم:١٤٥)

أي بدأ هذا الدين مثل مسافر وغريب، ثم يعود إلى ما بدأ به، فبشرى للغرباء الذين يؤون الدين إليهم.

صلة الرحم: حسن الخلق، وزيارة القرابة ومراعاقم، والإنفاق عليهم ونحو ذلك.

وأحاديث خاصة بالإحسان إلى القربى سبقت ضمن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ (النحل: ٩٠) راجع البيت الملحق بعد البيت، رقم:٨٤.

البلاغة:

(١)دين: مشبه. رجل غريب: مشبه به. وجه الشبه: الضعف وقلة الأعوان. حذف المشبه به، فالاستعارة مكنية. (٢) قوة المسلمين: مشبه. صلة الرحم: مشبه به. وجه الشبه: النصرة والوحدة. اشتق من المشبه به «موصولة»، فكانت الاستعارة تصريحية تبعية.

انتهى، ولله الحمد.



اللغة:

مكفولة: كفل (ن) الرجلَ كفلا وكفالة: ضمنه، وتكفله.

كفل الصغيرَ: رباه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: ٤٤)

كفل: في الأصل: الضم. في حديث البخاري: «كفَلها زكريا» أي ضمها.(صحيح البخاري، باب واذكر عبدنا زكريا...).

وهذا المعنى يتضمه معاني «كفل» الأخرى، مثلا: كفل: ضمنه. معناه: شارك غيره في مسؤوليته، وضم نفسه إليه.

والكفالة في الفقه: ضم ذمة الكفيل إلى ذمة الأصيل. وعلى العكس منه الحوالة: وهي نقل المسؤولية إلى غيره.

أَبَدًا: أبدَ (ض) أبودا: أقام به، ومكث به. أبدَ (ن) أبودا/ أبد (ض) كان وحشيا.

أبدًا: ظرف. الوقت الغير المتناهي المستقبل. ويدل على تاكيد نفي الفعل أو إثباته في المستقبل. فمعنى «أبد» في البيت: مكفولة أبدا: محفوظة في جميع الأزمنة.

أب: أبأَ (ن) يأبؤُ أبوة وإباوة: صار أبا. أبَّاه تأبيةً: قال: بأبي أنت.

الأب: (١) الوالد. (٢) الجد من الأب أو الأم. (٣) المخترع. وله معانٍ أخرى.

بَعل: بَعَلَ (ف) بَعلا وبُعولة: تزوج. صار زوجا. بَعِلَ (س) بَعَلا: تحير ودهش.

البعل: (١) السيد/ المالك. (٢) الزوج. (٣) الصنم. والمناسبة بين المعنيين الأول والثاني: كما أن الزوج يدبر وينظم الأمور في البيت كذلك الأمير يدبر وينظم الأمور. فأطلق عليهما البعلُ. ج: بعال، وبعول.

تيتَم: يَتَمَ (ض) يُتْمًا يَتْمًا: انفرد، فقد أباه. يَتُمَ: (ك) يُتْمًا: صار يتيما.

يَتِمَ (س) يَتما ويُتمًا: عيي.

اليتم: الانفراد. ويطلق على الدر الوحيد في الصدف: الدر اليتيم. وسبق تفسير الدر اليتيم في البيت رقم: ٥٧: «كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف».

يتيم: في البشر: من مات والده وهو صغير.

في الحيوانات: من ماتت أمه وهو صغير.

في الطيور: من مات والداه وهو صغير.

تئم: آم: (ض) يئيم أيمة وأيما: (١) صارت أرملة. آمت المرأةُ: إذا مات زوجها. (٢) تعزب.

و ورد هذا المعنى في الأبيات التالية أيضا، وذلك أن سعد بن أبي وقاص أصيب بعرق النسا في القادسية، وأصيب بجروح كثيرة. فلم يشارك الحرب، وكان يشاهد الحرب من مكان عالٍ، ويصدر توجيهاته منه. ورغم هذا العجز أبت شجاعته أن يغلق على نفسه باب البيت الذي كان عليه، وكما يقول الحافظ ابن كثير، كان من الميسور أن يمسكه أهل فارس لو فرَّ الجيش الإسلامي... قال أحد الجند:

نُقَاتلُ حَتى أَنزَلَ اللهُ نَصْرَه ۞ وَسَعَدٌ بِبَابِ القَادِسِيةِ مُعْصَم

فَأُبْنَا وَقَدْ آمَتْ نِساءٌ كَثِيرَةٌ ۞ وَنِسْوَةُ سعْدٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أيم

فقوله: آمت: بمعنى صارت أرملة.

وصلت هذه الأبيات على الهواء أو بصورة أخرى إلى سعد، فأقلقه كثيرا، فدعا عليه: « اللهم إن كان كاذبا، أو قال: الذي قال رياء وسمعة وكذبا فاقطع لسانه ويده».

فأصاب الجندي سهم من السهام فقطع لسانه، فلم يستطع الكلام طوال حياته. وتذكر بعض الروايات قطع يده أيضا. (المعجم الكبير للطبراني ١/١٤١/٣٠٨؛البداية والنهاية ٥٣/٧)

الإعراب:

مكفولة أبدا منهم بخير أب:

مكفولة: بدل من «موصولة»، أبدا: ظرف، متعلق بـــ «مكفولة». بمعنى:في جميع

الأزمان. منهم: متعلق بـــ«موصولة»، والضمير يعود على الكفار، أي: محفوظة من شر الكفار. أو يعود على المجاهدين، أي: بسبب المجاهدين. بخير أب: الجار متعلق بـــ«مكفولة».

وخير بعل فلم تيتم و لم تئم:

وخير بعل: عطف على «خير أب»، فلم: الفاء فصيحة. لم تيتم: جملة فعلية. و لم تئم: عطف على «تيتم».

مكفولة: منصوب على أنه:

(١) حال من «غدت»، غدت موصولة الرحم حال كونها مكفولة.

(٢) خبر ثانٍ لـــ«غدت»، غدت موصولة الرحم ومكفولة.

(٣) بدل من «موصولة»، كأن قوله: «مكفولة» بيان وتوضيح لـــ«غدت موصولة الرحم».

مكفولة: بالرفع: (١) (هي) مكفولة الرحم. خبر المبتدأ. (٢) هي مكفولة: خبر ثانٍ لـــ «غدت».

الشرح:

مكفولة: من كُفِلَ. ومن لازم معناه: المحفوظ، ومن كفِل بحفظه. قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (الصف: ٨)

فالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والتابعون لهم، علماء الأمة من أسباب حفظ الدين، فلا يدخله التبديل والتغيير، فالمعنى: مكفولة: أي: محفوظة من النسخ والتغيير بالزيادة والنقصان وغيرهما.

منهم: أي: من شر الكفار ومكايدهم، أو بسبب المسلمين.

أب: المراد به الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم إن الأب مربٍّ روحي، ومسؤول عن النفقة. والأم مربية تربية جسدية. ولذا أمرت الشريعة الإسلامية بالحضانة للأم بعد الطلاق إلى سبع سنوات بالنسبة للولد، وتسع سنوات في حق البنت أو إلى أن تبلغ. فإن

الحاجة ماسة إلى التربية الجسدية إلى مثل هذه المرحلة من العمر. ثم الحضانة للأب، الذي يعنى بدراسته وتربيته الدينية والنفقة والتزويج ونحوها.

وعلى كلٍ، كما أن الأب مربٍّ روحي لأولاده ويدبر أمورهم ويوفر حاجاتهم، كذلك الرسول صلى الله عليه وسلم مربٍّ لأمته، وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما أنا لكم بمنْزلة الوالد أعلِّمكم». (سنن أبي داود، رقم:٨)

معنى البيت:

(١) معنى البيت: لم يُحرمِ الدين مِمَّن يربيه. فقد خدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في أول أمره، ثم تبعهم علماء الأمة في خدمته وتربيته وهكذا، فما نزل من الدين بقي على ما كان عليه، لم يتطرق إليه يد التغيير، نعم تحدث المستجدات، فيقومون بالاستنباط حسب متطلبات العصر، ويشهد الدين الرقي والازدهار.

ومن حفظه: أن يستعد أهل العلم للدفاع عن الدين إذا تعرض لفتنة من الفتن، وتشهد آلاف صفحات التاريخ بأن علماء الحق قاموا بالحفاظ على الدين، وقاوموا الباطل وقهروه.

خير أب، وخير بعل:

لا علاقة بين الناس أقوى من العلاقتين اللتين ذكرهما الناظم رحمه الله، فتقوي الدين بهاتين العلاقتين.

(٢) مصداقه الرسول صلى الله عليه وسلم و أصحابه، والمعنى حينئذ: كما أن الأب يشفق على أولاده، ويرحمهم، ويكفلهم ويحفظهم، ويدبر أمورهم، كذلك بل فوق ذلك، كفل النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه إلى قيام الساعة. وأخرج رجالا يقومون بحفظه وصونه إلى القيامة، ويعلمون غيرهم ذلك.

وكما أن الزوج يوفر حاجات الزوجة كلها، ويوفر لها ما يحليها بالحسن والجمال، و يحفظها من أن يمد إليها أحد يده بسوء؛ بل بصره إليها بسوء، كذلك الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه زينوا الملة الإسلامية بجهودهم ومساعيهم الفاقدة النظير، و لم يسول للكفرة والمبطلين نفوسهم الحيلولة دونَ الحق، إلا أبعدوه من طريقه. ولا تعارض بين المعنيين، وقام بذلك الصحابة رضي الله عنهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تولوا

وحدهم بعده، وتبعهم علماء الأمة وصلحاؤها فيه.

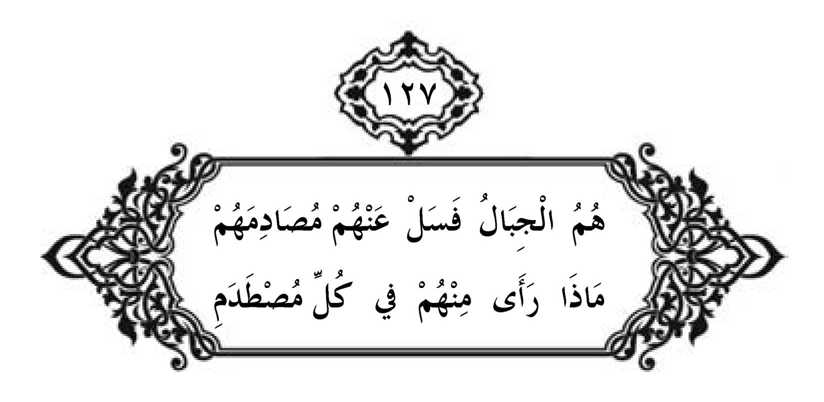
البلاغة:

(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة: مشبه. أب: مشبه به. وجه الشبه: كونه حافظا وساعيا لحمايته.

(٢) خدمة الدين وتربيته: مشبه. تدبير الأب والزوج الأمور: مشبه به. ذكر المشبه به وحذف المشبه، فالاستعارة تصريحية أصلية.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

جبل: ج: جبال.

مصادم: بضم الميم في أكثر النسخ. ومعناه: المواجه. صادمه مصادمة صِداما: صكه ودفعه. وصدم: (ض) صَدْمًا: صكه ودفعه.

وفي النسخ الهندية ونسخ الخربوتي: مَصادمهم ماذا رأوا. فهو جمعُ: مَصدم. أي ميدان الحرب، وموضع الصدام والاحتكاك. وحينئذ في الشطر الثاني: رأوا. وفي النسخ المطبوعة هنا: مَصادم، وفي الشطر الثاني: رأى مفردا. وهذا غير صحيح.

مُصطدم: ظرف مكان.

اصطدم: احتك، اندفع. مصطدم: مكان الصدام، ومكان المواجهة. وأصله: مصتدم (بالتاء)، ثم استبدلت التاء بالطاء.

الإعراب:

هم: مبتدأ. الجبال: خبر. جملة اسمية. فسل: فعل وفاعله: أنت. عنهم: متعلق بـــ «سل». مصادمهم: مضاف ومضاف إليه مفعول، والفعل مع فاعله ومفعوله ومتعلقه جملة تفريعية على «هم الجبال».

ماذا رأى منهم في كل مصطدم:

ما: أي شيء، مبتدأ. ذا: الذي، موصول. رآه: صلته. منهم: جار ومجرور متعلق بـــ (رأى). في كل مصطدم: الجار مع مجروره متعلق بــ«رأى» أيضا. جملة إنشائية. والجملة برمتها سدت مسد المفعول الثاني لـــ «سل».

فسل عنهم مصادمهم:

(١) «سل» جاء في جواب: كيف أصدق ذلك؟ فهي استيناف.

(٢) (إذا لم تصدق ذلك) فسل عنهم: فهذه جملة الشرط حينئذ.

الشرح:

هم الجبال في التمكن والثبات وعدم الفرار. واشتهر الجبل بعظمته واستقلاله ورفعة قيمته، فشبه الناظم الصحابة رضي الله عنهم بالجبال. وإلا فإن الصحابة رضي الله عنهم يفوقون الجبال صبرا وثباتا ورفعة.

فسل عنهم: لا يقدر رفعة شأن الصحابة إلا من جربها. ولذا قال: سل من بارزهم، ثم سَل -بعد موتهم- المؤرخين الذين حفظوا قصص غزواتهم، ماذا قاموا به من المآثر والأعمال العبقرية.

ذكرت كتب الغزوات مآثر الصحابة القتالية بالتفصيل. ويمكن استيعاب قوله: «ماذا رأى عنهم في كل مصطدم» بعد مراجعة هذه المصادر.

هم الجبال: فيه تشبيه بليغ، حيث حذِف حرف التشبه نحو: زيد أسد.

التشبيه بالجبل على وجهين:

(١) كان الصحابة مثل الجبال في الثبات والاستقلال. وهو الأقرب.

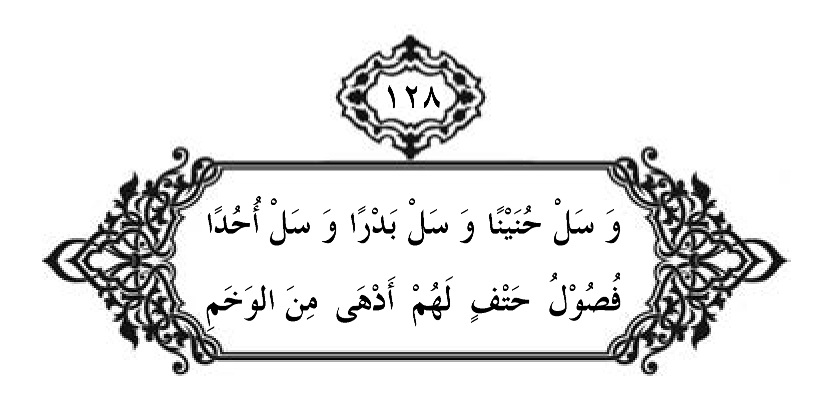
(٢) كما استقرت الأرض بعد زلزلتها وتحركها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (النحل: ١٥) ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ (المرسلات: ٢٧)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (النبأ: ٧)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ (النازعات: ٣٢)

في هذه الآيات إشارة إلى ذلك. كذلك أثبت الصحابة رضي الله عنهم الدين وأقروه بعد أن زلزل واضطرب. فاستحكم الدين بمساعيهم وجهادهم ونحو ذلك.

كل مصطدم: فيه إشارة إلى استقامة الصحابة وأعمالهم العبقرية لم تأتِ بالصدفة؛ بل كان فيهم أمر عادي، وكانوا مفطورين عليه.

انتهى بعون الله تعالى وتوفيقه.

****



اللغة:

حنين: بين الطائف ومكة المكرمة.

بدر وأحد من أسماء الأمكنة التي شهدت الحروب المشهورة. وسيأتي تفصيلها لاحقا.

فصول: جمعُ فصل. الفصل: في السنة أربعة فصول: الربيع، والخريف، والشتاء، والصيف.

فصل (ض) فَصلا وفُصولا: (١) أبعده. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ (البقرة: ٢٤٩)

حتْفٌ: الهلاك، والموت. ليس فعل من لفظه.

أدهى: دهَى (ف) دَهاءً ودهاءةً ودَهْيًا: كان ذا بصيرة وذكاء.

دها (ن) دَهوًا: (١) ورطه في مصيبة. (٢)كان ذكيا.

الوخم: وَخَمَ (ض) وَخْمًا، وخِمَ (س) وَخْمًا: أصابته تخمة. الوخم: تعفن الْهَوَاء الْمُورث للأمراض الوبائية وَالضَّرَر(COMMUNICABLE DISEASE, EPIDEMIC DISEASE).

الإعراب:

وسَل حنينا وسَل بدرا وسَل أحدا: الواو استينافية. سَل: فعل. حنينا: مفعول (والجملة معطوف عليها) وسَل: فعل وفاعل. بدرا: مفعول (والجملة معطوف عليها). وسَل: فعل وفاعل. أحدا مفعول. (والجملة معطوف).

فصول حتْفٍ لهم أدهى من الوخم:

فصول: (١) مضاف ومضاف إليه مبتدأ، لهم: مع متعلقه خبر. (٢) حال. (٣)

مفعول ثانٍ. (٤) تمييز. من حيث كونها فصول حتف. أدهى: حال من الضمير في «كائنة». من الوخم: جار ومجرور متعلق بـــ «أدهى».

الشرح:

ذكر الناظم في البيت ثلاث غزوات، وفيما يلي موجز عنها:

غزوة حنين:

كانت يوم السبت من ٦/شوال عام ٨هـــ خضعت أعناق القبائل –إلا هوازن وثقيف في حنين و طائف– للمسلمين بعد فتح مكة. فلما بلغهم فتح مكة، بيتوا الهجوم على المسلمين، وتجمع نحو عشرين ألفا من القبيلتين في حنين بقيادة مالك بن عوف. بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث عبد الله بن حدرد الأسلمي لتقصي الأخبار، فعاد وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الجيش جاهز، فأعد النبي صلى الله عليه وسلم الجيش، بمن فيهم ألفان من مسلمة فتح مكة، وعشرة آلاف من المدينة المنورة.

وانطلق يوم السبت من ٦/شوال عام ٨هـــ، إلى حنين، ونصب الأعداء كمينا قرب حنين في الشعاب وأحنائه و مضايقه، فمر المسلمون بها، في الهزيع الأخير من الليل أو الشطر الأول من الصباح، وهم في غفلة عن كمين العدو، فشدوا عليهم شدة رجل واحد. وكانت هوازن أولي بأس شديد وحرب و رمي. فانقطعت المقدمة من مؤخرها وفرَّ المسلمون.

أسباب فرار المسلمين من المعركة:

ما مني به المسلمون من الهزيمة في أول أمرهم يرجع في الظاهر إلى أن كثيرا منهم كانوا مسلمة، والعدو بالمرصاد. والسبب الباطني له كما نبه الله تعالى عليه بقوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (التوبة: ٢٥) تقول الروايات: حين انطلق الجيش إلى حنين بدر من لسان بعضهم: «لن نغلب اليوم من قلة».(تفسير الطبري، رقم: ١٦٥٧٦) وفيه إعجاب بكثرتهم، مما لا يليق بأولئك المقربين عند الله، فأخذهم الله تعالى عليه.

رغم الوضع الحرج ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتفق الصحابة كلهم

على أنه صلى الله عليه وسلم ثبت وبقي. وحين رأى النبي صلى الله عليه وسلم من الناس ما رأى، قال: يا عباس، اصرخ. قال العباس: فأجابوا: لبيك، لبيك! فلما اجتمع نحو مئة منهم، بارزوه وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا، وقال: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب».

وفي رواية مسلم: نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من البغلة، وقبض قبضة من التراب وقال: شاهت الوجوه، وقذف بها إلى الكفار، فأصاب عين كل واحد منهم. فلاذ الكفار بالفرار وانتصر المسلمون.

واستشهد في هذه الغزوة أربعة من الصحابة، وقتل أكثر من سبعين من الكفرة.

وأكبر غنيمة غنمها المسلمون هي غنيمة حنين. ومن الجدير بالذكر أن هوازن حين انطلقت لقتال المسلمين، وساقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم. فلما انتصر المسلمون غنموا ذلك كله، وفيه ستة آلاف أسير، وأربعة وعشرون ألفا من الإبل، وأكثر من أربعين ألفا من الشاة، وأربعة مئة أوقية من الفضة.

فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة في جعرانة، وذهب إلى الطائف؛ فإن فريقا من الكفار فرَّ إليها من حنين، وحاصرها أياما عديدة. (واختلفوا في تحديدها).

ثم عاد إلى جعرانة، وقسم الغنائم، ثم جاءت هوازن بعد تقسيم الغنيمة، وكانوا قد أسلموا، فقالوا: امنن علينا، مَنَّ الله عليك، رُدَّ علينا نساءنا وأبناءنا وأموالنا. وذكروا أشياء وأنشدوا أبياتا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد انتظرتكم كثيرا (فقد ذهبتُ إلى الطائف عن المغانم، لتعلموا أن أموالكم وسباياكم على ما كانت عليه)، ولم تأتوني. وأتيتم الآن وقد قسمت الغنائم، فأبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ فقالوا: يا رسول الله، ترد إلينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحب إلينا، فقال لهم: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وأما ما كان للمسلمين فأنا أشفع لكم. فشفع لهم، وأطلق المسلمون سباياهم.

ثم أسلم مالك بن عوف –رئيس الكفار يوم حنين–، فبالغ الرسول صلى الله عليه وسلم في إكرامه، وكان له فعل كبير في نفسه، ثم شهد القادسية وفتح دمشق.

وبهذه المناسبة منح الرسول صلى الله عليه وسلم بعض المجاهدين أموالا طائلة، مئة

من الإبل علاوة على الورق، لكل واحد منهم، ومنهم: (١) أبوسفيان. (٢) معاوية. (٣)الحارث بن هشام. (٤) سهيل بن عمرو. (٥) حويطب بن عبد العزى. (٦) علاء بن جارية. (٧) عيينة بن حصن. (٨) الأقرع بن حابس. (٩) مالك بن عوف. (١٠)صفوان بن أمية وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

غزوة بدر:

كانت يوم الجمعة ١٧/ رمضان المبارك عام ٢هـــ، وبدر على بعد (٨٠) ميلا من المدينة المنورة، و اختلفوا في وجه تسميته بذلك. كانت عير قريش عائدة من الشام، بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجهز جيشا قوامه ٣١٣، أو٣١٤، أو ٣١٥ نفرا لاعتراض عير قريش؛ لأنها كانت تحمل أموالا لقريش تستخدمها ضد المسلمين، و لم يقصد الحرب فلم يجهز كبير تجهيز. فكان معهم فرسان، وسبعون إبلا. و لم يكن أبو سفيان أسلم آنذاك. وكان أمير عير قريش، وحين بلغه أن المسلمين يتابعون عير قريش، أرسل إلى قريش بذلك، وطلب منهم النجدة، وسلك طريقا آخر على الساحل.

ولما بلغ قريشا ذلك جهزت ألف مقاتل لحرب المسلمين، معهم مئة فرس، وسبع مئة من الإبل. وبلغ المسلمين مقدم جيش قريش، و لم يكونوا خرجوا للحرب، فاستشار الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين: كيف يفعل؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، سِر بنا حيث شئت، نحن معك. وقام عدد من المهاجرين وقالوا مثل ذلك. منهم المقداد بن الأسود قام فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ (المائدة:٢٤)، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال: أشيروا علي أيها الناس، فتفطن سعد بن معاذ أنه يريدهم. فقام وألقى كلمة إيمانية مخلصة منها قوله: فو الذى بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، فسر بنا على بركة الله. فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد، وتقدم.

ثم إن أبا سفيان أخذ طريقا آخر ونجا بالعير وأرسل إلى قريش أن ارجعوا، لقد نجانا الله، فقال أبو جهل: لا نرجع حتى نرد بدرا، فنقيم عليه ثلاثا، ونحتفل به.

وبلغ المسلمون بدرا وقد استولى الكفار على المكان الطيب، وبقي للمسلمين الرمل، ثم أنزل الله تعالى الماء فوحلت أرض المشركين، وصارت دحضة. وصلب الرمل، وتيسر السير فيه.

وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة يدعو الله ويتضرع إليه، واشتغل في الدعاء خلال الحرب. وهويقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض». فلما أصبحوا بدأت الحرب، فبارز عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا وحمزة وعبيدة بن الحارث، وقتلوا الكفرة الثلاثة وكان مصيرهم إلى النار، وقطعت رجل عبيدة و لم يلبث أن قتل شهيدا. ثم بدأت الحرب عامة، وقتل في هذه الغزوة أبو جهل وصناديد قريش. واستشهد من المسلمين أربعة عشر، وقتل من الكفار سبعون، وأسر مثلهم. وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من الحصى ورمى بها إلى الكفار. وانتصر المسلمون في هذه الحرب.

غزوة أحد:

كانت يوم السبت ١١/شوال عام ٣هـ. وأحد جبل على ثلاثة أميال من المدينة المنورة. جهز الكفرة عام ٣هـ جيشا قوامه ثلاثة آلاف جندي ليأخذوا بثأرهم يوم بدر. وكان العباس رضي الله عنه أسلم وأخفى إسلامه عن الكفار، فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. فاستشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه: هل ندعهم حتى يدخلوا المدينة أو نخرج إليهم؟ فأشار بعضهم بالأول، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يميل إلى ذلك. وأشار كثير من الصحابة بالخروج إليهم رغبة في الشهادة في سبيل الله فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولبس لأمته، فندم الذين ألحوا عليه، وقالوا: يا رسول الله إن شئت فاقعد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل.

فصل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ألف مقاتل يوم الجمعة في العاشر من شوال عام ٣هـ بعد صلاة العصر. فلما قرب إلى أحد رجع عبد الله بن أبي رئيس المنافقين مع ثلاث مئة من أصحابه، فبقي من المسلمين سبع مئة. معهم مئة دروع، وفرسان.

وصل إلى أحد صباح السبت ورتب الجيش، ونصب خمسين من الرماة خلف أحد، وأمّرَ عليهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه، وأمره أن لا يبرحوا مكانهم غلبوا أو انهزموا.

بدأت الحرب، وكفة المسلمين راجحة، فاضطر الكفار إلى اللجوء إلى الجبل، فلما رأى ذلك الرماة غادروا مكانهم، ولم يبق منهم إلا قليل. ورأى خالد بن الوليد -ولم يسلم يومئذ- المكان خاليا فَكرَّ عليهم واستشهد من بقي به، وهذه الهجمة المباغتة حولت انتصار المسلمين إلى أضرار بالغة، وقلق الناس قلقا عظيما، وأشاع الشيطان أن محمدًا قد قُتِلَ. وكسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم اليمنى والسفلى بحجر، وهشمت البيضة فى رأسه المقدس. وأبلى في هذه الغزوة طلحة وأبو طلحة، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم بلاء حسنا. واستشهد من المسلمين سبعون بمن فيهم حمزة رضي الله عنهم.

انتصر المسلمون بالنظر إلى النتائج:

حاصل هذه الغزوة أن المسلمين انتصروا في أول الحرب ثم أصابهم ضرر عظيم لمخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن النتيجة كانت لصالحهم، ولم ينهزموا، لأن المنهزم من فرَّ من المعركة، ولم يفر المسلمون منه.

ووقعت في تلك الأيام غزوة حمراء الأسد. وهي على سبعة أميال من المدينة المنورة. وأراد الكفار أن يقضوا على ما تبقى من قوة المسلمين، بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم ،وحذر معبد الخزاعي بأن محمدا قادم إليكم بجيش عظيم، فارجعوا إلى مكة. فعاد أبو سفيان بالجيش إليها.

وتواعد الكفار -في نهاية غزوة أحد- المسلمين بالقتال ببدر في العام القابل، وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك. وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام القابل عام ٤هـ ومعه ألف وخمس مئة من أصحابه إلى بدر وأقام بها، ولم يأت الكفار فإنهم رجعوا من الطريق. فباع المسلمون واشتروا بها أياما ثم رجعوا إلى المدينة.

والمراد بانتصار المسلمين في أحد انتصارهم في أول الحرب، أو عدم فرارهم من الميدان إلى الجبل، فإن الكفار كانوا فروا من المعركة، وثبت المسلمون في مكانهم.

فصول حتف لهم أدهى من الوخم:

يهلك عدد كبير من الناس في مدة يسيرة أيام الوباء، وقد هلك في هذه الغزوات

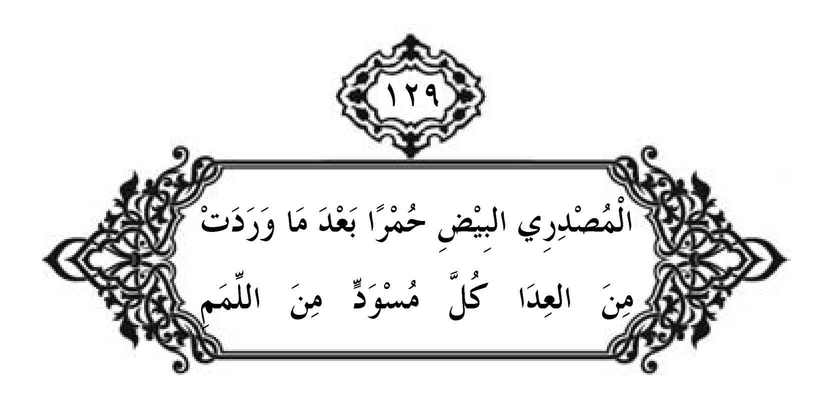
أكثر من ذلك على أيدي المسلمين.

وهذه الحروب أخطر من (PLAGUE) ولعله يرجع إلى أن الأوبئة ينجو منها من لا يتأثر بها أو يكون لديه ما يتقيها به. وأما هذه الحروب، فلا ينجو من وصلت إليه يد المسلمين.

وهذه الحروب الثلاث كبيرة وشهيرة، وما عداها ليس كذلك. فاكتفى الناظم بذكرها.

انتهى بعون الله تعالى وتوفيقه.

****



اللغة:

المصدري: صدَرَ عن المكان (ن) صَدرا وصَدَرًا: عاد منه.

صدر فلانا: أرجعه. يأتي قاصرا ومتعديا. أصدر: أرجعه، ورده.

المصدري في البيت: أصله اسم الفاعل من (أصدر) يجمع على «مصدرون» رفعا و«مصدرين» نصبا، وسقطت النون للإضافة. واللام في أوله للتعريف، نحو: الضارب الرجل.

البيض: من معاني الأبيض: السيف،وجمعه بيض.وهو المراد هنا،واللام فيه للتعريف.

حُمْرًا: جمعُ أحمر. حَمِرَ (س) حَمَرًا: نتن فمه. حَمَرَ (ن)حَمْرًا:قشره.

اللمم: جمعُ لِمَّة. واللمة من الشعر ما وصل إلى شحمتي الأذنين.

أنواع الشعر:

(١) الترتيب الشهير هو ما يدل عليه كلمة «ولج»: أي: الوفرة: ما وصل إلى شحمتي الأذنين، لمة: ما تجاوز الأذنين، وجمة: ما وصل إلى الكتفين. (فتح الباري ٤٨٦/٦؛ عمدة القارئ؛ شرح النووي على مسلم، باب صفة شعره صلى الله عليه وسلم).

(٢) قيل: بعكس الأول: أي ما كان إلى شحمتي الأذنين هو الجمة. فإن تجاوز كان لمة. وإن تجاوز كان وفرة. ويدل على هذا الترتيب كلمة «جلو».

(٣) جمة، ثم وفرة، ثم لمة. (للاستزادة راجع: تاج العروس ٣٧٢/١٤، مادة: وفر)

الإعراب:

المصدري البيض حمرا بعد ما وردت:

المصدري: (١) مضاف. البيض: مضاف إليه. وهو مفعول لفعل مقدر تقديره: أمدح. (٢) المصدري: اسم فاعل غير مضاف. وسقطت النون للتخفيف. البيض مفعول به. حمرا: حال. بعد ظرف متعلق بـــ (مصدري) ما وردت: فعل وفاعل.

من العدى كل مسود من اللمم:

من العدى: حال من «كل مسود»، أي حال كونه من العدى. كل مسود: مفعول «وردت». من اللمم: الجار مع مجروره بيان لـــ «مسود» ومتعلق به.

الشرح:

قال في سياق ذكر أعمال الصحابة الجهادية: حين يضربون بسيوفهم هامات الأعداء، تعود محمرة. ومن اللمم: المراد به منبت الأشعار. أي يضربون بها رؤوسهم.

المصدري: فيه إشارة إلى أن السيوف تدخل الرؤوس برغبة و نهم، ولا تعود ما لم يعيدوها. كما لو ورد حيوان موردا ليشرب الماء، فيواصل الشرب، ولا يخرج من المورد إلا إذا أخرجه أحد، فقس عليه السيوف، فإنها كانت شديدة العطش إلى دماء الأعداء.

من اللمم: عُلم منه أن الأعداء كانوا من الشباب. وحاربهم الصحابة رضي الله عنهم وهذا دليل على شجاعتهم.

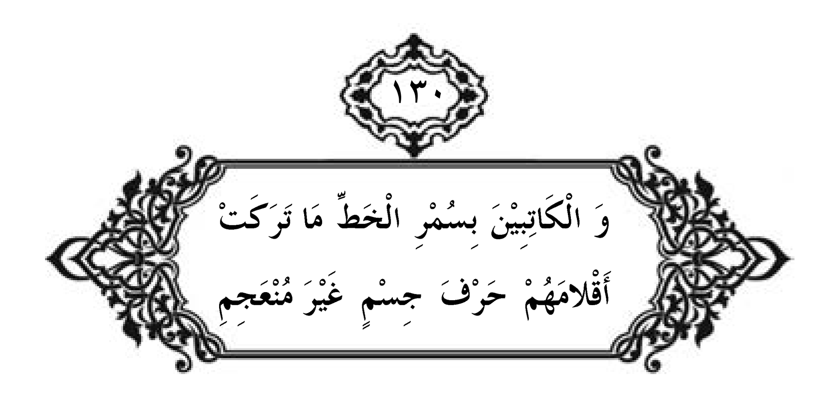
وفي معنى بيت القصيدة هذا قول عمرو بن كلثوم- ومن شعراء المعلقات السبع-:

بأنا نورد الرايات بيضا ۞ ونصدرهن حمرا قد روينا

فسلك الناظم الأسلوب الذي سلكه عمرو بن كلثوم.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

الخط: اسم مكان على ساحل البحرين، به قرى كثيرة، وإليه ينسب الرماح الخطية، ومن أطلقها على أنها اسم، لم يذكر «الرماح»، بل يقول: خطية بالكسر. وهذه الرماح ما كانت تصنع هنا، بل تستورد من الهند، وتباع في «الخط». فأطلق عليه «خطية».

معنى آخر لـــ «رماح خطية»: رماح حسنة عالية غالية.

الخطي: مفرد. وفي هذه الكلمة والمكان، ورماحه تفاصيل أخرى كثيرة. ينظر إليها في الكتب المؤلفة على البلدان. (١- معجم البلدان٢/٣٧٨؛ ٢- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٢/٥٠٣؛ لأبي أبي عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي المتوفى٤٨٧هـــ؛ ٣- الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله بن محمد بن عبد الله الحميري المتوفى ٩٠٠ هـــ ،١/٢٢٠).

سمر: جمعُ أسمر. الأسمر: (١) الرمح. (٢) اللون الأسمر. وله معانٍ كثيرة في كتب اللغة. (تاج العروس)

سمر (ن) سَمْرًا وسُمورا العينَ (١) أدخل المسمار الحار في عينه. (٢) تحدث مع جليسه ليلا.

سمر (س، ك) كان في لونه منْزلة بين السواد والبياض. وكان الناس يستامرون في ضوء القمر، و ضوؤه أسمر، فأطلق على من لونه كذلك: أسمر.

ويطلق على الحنطة «السمراء»: وفي الحديث:

أتيناكم أتيناكم ۞ فحيُّونا نُحَيِّيْكم
ولولا الحبة السمراء ۞ ما سمنت عذاريكم

(المعجم الأوسط للطبراني، رقم:٣٢٦٥)

تركت: ترك (ن) تَركان وتركانا: ودعه، وأعرض عنه.

أقلامهم: قلم جمعه أقلام. قلَمَ (ض) قَلْمًا: قطعه، وشذبه. والمراد بالأقلام السهام أو أطراف السهام.

حرف: حرَفَ (ض) حَرفا: فصل. (٢) اعوج. حرَف لعياله: كسب العيش لهم. انحراف: انصراف.

الحرف: (١) الطرف. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ (الحج: ١١) (٢) من حروف الهجاء، التي تتكون منها الكلمة. (٣) قسم من أقسام الكلمة.

الجسمُ: البدن، والهيكل، والجوهر الذي يقبل الأبعاد الثلاثة.

جَسُمَ (ك) جسامة: سمن. وضخم.

منعجم: غير منقوط، والمراد: غير مطعون.

عجَمَ (ن) عَجْمًا: عضه ليعلم صلابته من رخاوته.

عجَمَ فلانا (ن) اختبره، وامتحنه. عجَمَ الكتاب: نقطه وأعربه.

عجُم (ك) فلانة عُجمة: كان في لسانه عجمة. الحروف المعجمة: المنقوطة. الحروف المهملة: غير المنقوطة.

أعجم: أزال إبهامه بالنقط. والهمزة للسلب، أي إزالة اللكن والإبهام. ومطاوعه: انعجم: تبين وزال إبهامه. منعجم: اسم فاعل منه.

الإعراب:

و(أمدح) الكاتبين: مفعول. ب: جار. سمر: مضاف. الخط: مضاف إليه، وهو مجرور ومتعلق بـــ(كاتبين). ما: حرف نفي. تركت: فعل. أقلامهم: فاعل. حرفَ جسم: مفعول. غير منعجم: حال من الحرف. والفعل مع مفعوله وحاله جملة حالية من كاتبين.

حرف جسم: (١) الإضافة بيانية. حرف أي جسم. (٢) جسم: مشبه. حرف: مشبه به. فهو من إضافة المشبه به إلى المشبه.

الشرح:

ما تركت... غير منعجم:

نفي النفي إثبات. نحو: لا إله غيرك. ففيه نفيان، ومعناه الإثبات: أي أنت المعبود؛

لأنه لو كان نفي النفي نفيا للزم اجتماع النقيضين، فهو نفي النفي، والنفي أيضا.

يقول الشاعر الأردي:

دو منفیوں کے ضرب سے آتا ہے یار مثبت ❁ تم بھی خدا کے واسطے کہدو: نہیں نہیں

(بنفي النفي يحصل الإثبات يا صديقي، أنشدك الله أن تقول: لا، لا).

ومثله في البيت، ففيه (ما) للنفي، و(غير) للنفي. فإذا أخرجتهما كان المعنى واضحا هكذا:

تركت أقلامهم حرف جسم منعجما، أو: جعلت رماحهم أجسامهم منعجمة.

المعنى:

نقطت رماح الصحابة رضي الله عنه أطراف أجسام الأعداء، أي كما ينقط المرء بالقلم، كذلك الدم على الجروح الناشئة من الرماح يبدو كأنه نقطة. وإنما جعل الجرح بالرماح كالنقطة؛ لأنهما يخلفان أثرهما.

فيه تشبيهات واضحة:

(١) شبه الصحابة بالكاتبين.

(٢) شبهت الرماح بالأقلام، وأطراف الأسنة بأطراف الأقلام. والرمح يشبه القلم شكلا، وتأثيرا.

(٣) شبهت أجسام الكفار والمشركين بصفحة القرطاس.

(٤) شبهت أطراف الجسم أو الأعضاء بالحرف، لأنه كما ينقط الحرفُ، كذلك يُجرَح الجسم.

(٥) شبه جروح الكفار بنقط الحروف.

يؤخذ مما ذكر في البيت ما يلي:

١- يجري القلم باليد بيسر وسهولة كذلك الرماح كانت تنطلق من أيدي الصحابة بيسر وسهولة. مما يدل على حذقهم لاستخدام الحربة.

٢- لا توضع النقط كيفما اتفق، بل على المواضع الصحيحة، كذلك كانت رماح الصحابة تصيب الموضع الصحيح من أجسام الأعداء.

٣- كما أن الحرف يتجلى ويتضح بالنقط، ويزول الإبهام، كذلك كانت ضربات

الحرب من قبل الصحابة تفرق أجساد الأعداء من أجساد الصحابة رضي الله عنه.

انتهى بعون الله تعالى وتوفيقه.

تنبيه:

يقول الشراح: بعد هذا البيت في بعض النسخ قوله الآتي:

إن قَامَ فِي جَامعِ الهَيجَاء خَاطبهُم ۞ تَصَامَمَت عَنْهُ أذنًا صَمَّةُ الصَمَم

أي إذا بارز أحد من الصحابة في ميدان الحرب تعمد أكبر قواد العدو الصمم، كأنه لم يسمع.

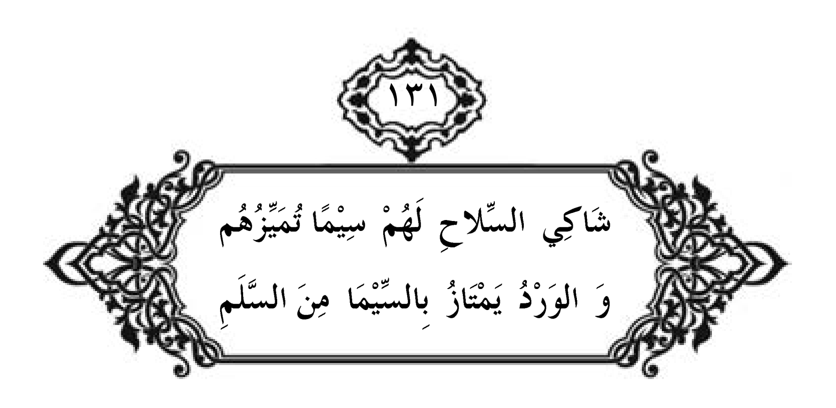
هذا البيت ملحق، ولا شك فيه لأنه:

(١) لا يوجد في عامة النسخ والشروح.

(٢) يقول العلامة مرزوق رحمه الله: والظاهر أنه ليس من كلام الناظم.

(٣) وفوق ذلك كله معنى البيت لا ينسجم مع معنى السياق. وأما البيت الوارد في عامة النسخ وهو قوله: «شاكي السلاح...» فهو الذي يتفق وما سبقه.

****



اللغة:

شاكي: تامي السلاح أي كاملي الأسلحة. شاك (ن) شوكا: نشبت الشوكة. أصابته. شاك (س) شيكة: وقع على الأشواك. شاكٍ: اسم فاعل واحد.

(١) أصله: شاوك، شاك (ن) أصله: شَوَك. نحو قال (ن) أصله قَولَ. وقلب (شاوك) قلبا مكانيا، فصار (شاكِو)، واستبدل الواو ياء لكسرة ما قبلها. فصار (شاكي) ثم استثقلت الضمة على (شاكي) فحذفت. فصار (شاكينْ)، وسقطت الياء لاجتماعها ساكنة مع النون. فصار (شاكٍ).

(٢) وأما إذا جعلنا «شاكٍ» على وزن (سمِعَ)، ففيه من التعليل ما في الأول، وأصله: شاوِك؛ لأن شاكٍ (س) أصله شَوِكَ يَشْوَك. مثل سمع يسمع. واسم الفاعل منه (شاوك). ودخله القلب المكاني، فصار شاكي، ثم دخله من التعليل ما دخل في الوجه الأول لاستثقال الضمة، وصار: شاكٍ.

شاكٍ: مفرد. وجمع: شاكين. وسقطت النون: (١) للإضافة. شاكي: مضاف. السلاح: مضاف إليه. (٢) شاكي: ليس مضافا؛ بل اسم فاعل، والسلاح: منصوب على المفعولية. وسقطت النون تخفيفا.

وشاكي: في البيت جمع. ويوهم أنه مفرد. ولذا شرحناه.

ملحوظة:

١- شاك السلاح: قد يقال: شائك السلاح -بالهمزة-. وذلك لأن (شاك) أصله شاوك. نحو: قائل من (قاول)، كذلك شائك من شاوك.

٢- وقد يأتي «شاكي السلاح» للمفرد. نحو: رجل شاكي السلاح. وهو مقلوب من «شائك»، ثم دخله من التعليل ما دخله، فصار «شاكي» بالياء.

٣- قد يقال: شاكُ السلاح بالضم، نحو مالُ من المائل، ونالُ من النائل، بحذف الهمزة. (تاج العروس ٢٣٧/٢٧)

٤- السلاح: آلة الحرب. ج: أسلحة.

سلح (ف) سَلحا وسِلاحا: راث الطير. و راث الحيوان.

سلح فلانا: زوده بالسلاح. تسلح: اتخذ السلاح.

سيما: علامة في وجه الإنسان تدل على بعض الأحوال والصفات. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (الفتح: ٢٩) ورد في باب الإمامة فيمن هو أحق بالإمامة؟ فقال: أحسنهم وجها. ومعناه: أشرق وجهه للعبادة.

تميزهم: ماز (ض) ميزا: فصله. ميَّز الشيءَ: أبرزه وأظهره. امتاز: تميز وبرز، وانفصل.

الورد: (١) زهرة الورد. (٢) الأزهار عامة.

السَّلَم: شجر ذو شوك. شجرة السمرة. شجرة يؤخذ ورقه في الدبغ، يقال له: ذو سلم.

الإعراب:

شاكي السلاح: (١) أمدح أصحابا (موصوف) شاكي السلاح (صفة). (٢) حال.

(موجود) لهم: خبر مقدم. سيما: مبتدأ مؤخر. تميزهم: الجملة صفة «سيما».

والورد: مبتدأ. يمتاز: فعل. (هو) فاعل. بالسيما: متعلق بـــ يمتاز. عن السلم: متعلق بـــ «يمتاز».

الشرح:

سيما: من علامات الصحابة الخاصة: إشراق وجوههم، وحسن خلقهم، وحسن أخلاقهم. وكان على وجوههم نوع من النور خاص، لصلاتهم ليلا. فكان العدو يتأثر به.

معنى البيت:

(١) كان الشوك (الأسلحة) عند الفريقين: مسلمين وكافرين، وأما أسلحة

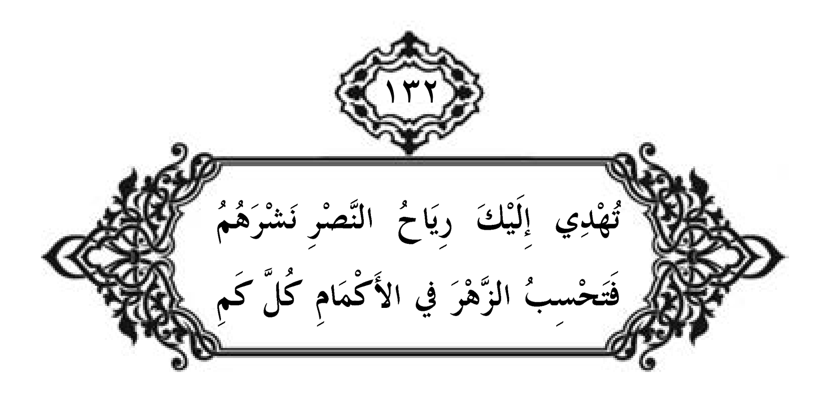
المسلمين فكأنها ورود، وفيها أشواك، ولكن معها أزهار أيضا، وأما أسلحة الكفار فيشبه شجر السمرة ففيها أشواك لا غير، لا زهر فيها. وأما الصحابة فكان معهم الأسلحة بجانب الأزهار. يجمعون بين الجلال والجمال؛ والغيظ والرحمة؛ والقهر والرحمة؛ والشدة والرحمة؛ والثأر والعفو، والشدة والرقة.

والورد يمتاز: فيه بيان الفرق، فالشجرتان (الورد والسمرة) ذات أشواك. وبينهما فرق، فالصحابة عندهم حسن الخلق، وبهاء المنظر، وطيب الرائحة وغيرها من الصفات التي لا يتصف بها الكفار.

(٢) الهدف الأساسي من رفع الأسلحة استعماله في الوجه الصحيح، فكلهم رفعوا الأسلحة، ولكن النتيجة والفائدة لم يترتب إلا على أسلحة الصحابة. ولا بد من أن نعترف بأن الاستخدام الصحيح للأسلحة الذي اتصف به الصحابة لم يتصف به أحد من الجنود في العالم. وامتازوا بهذا الاستخدام الصحيح. فكانت أعمالهم النضالية منقوشة على صفحات التاريخ مثل الورود على العكس من أعمال المقاتلين الآخرين.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

تهدي: (١) ترسل هدية. (٢) توصل إليك.

هدى (ض) هُدى، وهَديا وهِداية: اهتدى، وسار على الطريق المستقيم. هدى فلانا: أرشده، وأراه الطريق المستقيم. فهو قاصر ومتعدٍ. أهدى يهدي هدية: أرسل إليه هدية أو أتحفه.

رياح: جمعُ ريح. رياح النصر: هواء العون وأسبابه، والتأييدات الإلهية.

النصر: العون، ودفع الضرر، والمعونة أعم.

نشرهم: أي : الرائحة الطيبة المنتشرة.

تحسب: حَسَبَ (ح، س) حِسْبانًا: ظنه. حَسَبَ: (ن) حِسابا: عده وأحصاه.

حَسُبَ (ك) حَسَبًا: شرف نسبه. هو حسيب.

الزَّهْرُ والزَّهَر: نور النبات وطلعه. واحده: زهرة وزَهَرة. زهرة الدنيا: رونقها وجمالها. ج: أزهر، وأزهار، وزُهور.

زَهَرَ (ف) زُهورا: لمع، وأشرق. زهر (س) زَهَرا وزَهُرَ (ك) زُهورةً الرجلُ: جمل وراع.

أزهر النبات: طلع النور. الزهر: أول ثلاث ليال من الشهر. الزُهرة: الجمال، واسم كوكب.

في بعض النسخ: الورد بدل: الزهر.

الورد: (١) الزعفران. (٢) الورد، زهر الورد. وهو المراد. وله معانٍ كثيرة أخرى.

وردَ (ض) وُرودا: أتى الماء. قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّـةً ﴾ (القصص: ٢٣)

ويؤخذ منه أن الورد ينبت عادة بالقرب من الماء، حيث الأنهار والجداول. فكانوا يرزعون الورد بحيث يقع على طرف الماء. ولعله سمي به لأجل ذلك.

الأكمام: كَمَّ (ض) كمًّا وكموما: اجتمع، كمَّ (ن) الشيءَ كُمًّا: غطاه، وستره.

أكمام: جمعُ كُمٍّ. والكِمّ: النور، والغلاف، والطلع، غيرها من المعاني.

كُم: (١) مدخل اليد ومخرجها. ج: أكمام. (٢) غلاف النور.

كِمام: ما يكم به فم الحيوان، لمنعه من الرعي، أو منع فصيل البقرة من شرب اللبن في غير أوانه، أو للوقاية من عض النحل.(MOZZEL). كُمٌّ، وكِمٌّ: كلاهما يغطي. فالكاف والميم تدلان على التغطية.

كَمِ: الشجاع. كمي (ض) نفسهَ كَميًا: غطى نفسه بالدرع والبيضة. والصفة منه «كمي» على فعيل. أصله كميي، خفف لضرورة الشعر. فصار كمِيَ. وسمي الشجاع به لأنه يكم ويغطي نفسه بالدرع ولا يفعل ذلك إلا الشجاع. المعنى: لابس الدرع.

الإعراب:

تُهدي: فعل. إليك: متعلق به. رياح: مضاف. النصر: مضاف إليه، وهو فاعل. نشرهم: مضاف ومضاف إليه مفعول.

فتحسب: فعل. (أنت) فاعل. الورد: مفعول ثانٍ، في الأكمام: حال من «ورد». أي: حال كون الورد في الأكمام. كل كمي: مفعول أول متأخر.

والورد في البيت مفعول أول، و«كل كمي» مفعول ثانٍ لضرورة الشعر، وفي الأصل «كل كمي» مفعول أول، و«الورد» مفعول ثانٍ. كما لا يخفى. والمعنى: تظن كل مسلح وردا، أو على كل مسلح وردا.

الشرح:

رياح النصر: هواء العون وأسبابه. ورد كثير من الأحاديث التي تفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم نصر بالرياح، وبين ذلك في عدة مواضع.

(١) قال عليه الصلاة والسلام: «نصرتُ بالصبا وأهلكت عاد بالدبور».(صحيح البخاري، رقم: ١٠٣٥، ورقم: ٤١٠٥)

(٢) كان من أهم أسباب انتصار المسلمين في غزوة الخندق أن الله تعالى أرسل رياحا عاصفة على الكفار، فانقلبت الأرض ظهرا لبطن. وذكر الله تعالى هذه الرياح في موضع الامتنان، وتفصيله في كتب التفسير والسيرة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (الأحزاب: ٩)

(٣) ساق الإمام البخاري حديث: «نصرت بالصبا» في باب غزوة الخندق. وجعل الله تعالى الرياح سببا من أسباب الانتصار في بدر. كما ورد في بعض الأحاديث: «قيل: وما رأى يوم بدر؟... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: «هذا جبريل يسوق الريح كأنه دحية الكلبي، إني نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور».(المغازي للواقدي، ص ٧٨؛ سبل الهدى والرشاد ٤/٤٠؛ إمتاع الأسماع للمقريزي ١/١٠٧)

(٤) عن النعمان بن مقرن قال: غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم... ثم أمسك حتى يصلي العصر، ثم يقاتل، قال: وكان يقال عند ذلك: «تهيج رياح النصر». الحديث. (سنن الترمذي، رقم: ١٦١٢، باب ما جاء في الساعة التي يستحق فيها القتال)

يقول أهل العلم: أعطي النبي صلى الله عليه وسلم المعجزات الخاصة بالبر والبحر والجو والأرض كلها. وهبوب الرياح لنصرته صلى الله عليه وسلم من معجزاته الجوية.

رياح النصر: أي رياح النصر من الله. فإضافة النصر إلى الرياح لكونها سببا للنصرة.

نشرهم: الطيب الرائع. والمراد: الأخبار الطيبة بفتح الصحابة.

ويطلق «الرياح» على الأخبار والأحوال لأن:

١- الإنسان يفرح بالرياح الطيبة ويطمئن نفسه بها، كذلك يفرح المسلم بقراءة فتوحات الصحابة وسماعها ويلتذ بها أكثر من ذلك.

حاصل البيت: (١) ترسل إليك الرياحُ أخبارهم الطيبة، فتظن كل مسلح كأنه ورد في الأكمام.

جاهد الصحابة رضي الله عنهم جهادا كثيرا، وانتصروا في الغالب، حتى أصبحت رياح النصر والذين يقصون أحوالهم، كل واحد منهما تتلو عليك قصص الفتح، وحين

تسمع هذه الأحوال والوقائع تحدثك نفسك بأن الصحابة كانوا على غاية من الحسن والجمال، كأنهم ورود في الأكمال.

(٢) ولوجعلنا «الورد في الأكمام» مفعولا أول، و«كل كم» مفعولا ثانيا على ترتيب الشعر، فالمعنى: إن سبق لك أن سمعت أحوال الصحابة وقصص انتصاراتهم، فلا ترى الورود في الأكمام إلا ذكرت الصحابة رضي الله عنهم، لأن الورد في الكم، كثير الرائحة، فكذلك الصحابة في دروعهم، وينبعث من أعمالهم رياح طيبة، أي تظن الورود مثل الصحابة، فهي تشبه الصحابة رضي الله عنهم، وهو أبلغ. يقول الشاعر الأردي:

گلستان میں جاکر ہر اک گل کو دیکھا ۞ یہ تیری سی رنگت یہ تیری سی بو ہے

(دخلت إلى الحديقة، فرأيت فيه كل زهرة، فلونها لونك، وريحها ريحك)

في جميع النسخ والشروح العربية: الزهر. وأما النسخ الهندية والباكستانية ففيها: الورد. ويبدو «الزهر» أصح.

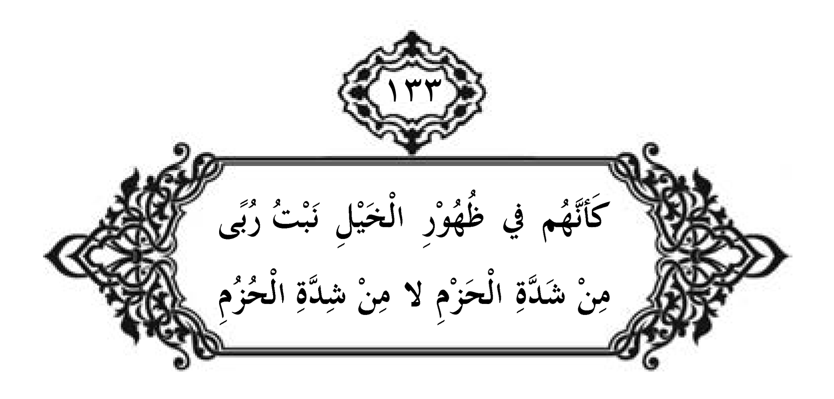
في الأكمام: قاله لأن الزهر في الكم أجمل منه في غيره.

ذكر الورد لأن الورد ملك الأزهار الأخرى، كما أن الأنبج ملك الثمار كلها. والأسد ملك السباع و الحيوانات. والباز ملك الطيور.

(٣) ومعنى البيت الظاهر: أن في عهد الصحابة حين كانت سيوفهم تصيب الأعداء وتلمع، تحمل الرياح الطيبة المارة بالمجاهدين —من غير هاتف — إلى سائر المسلمين بشارة النصر والفتح. وتنتشر أخبار النصر والفتح هذه على عواتق الرياح. كما أن الورد في الكم حين يخرج منه يتعطر ماحوله كله.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

كأنهم: أشَبِّه الصحابة على ظهور الخيل بنَبت الربى أو شبهوا بنبت الربى الخ.

ظهور: الظهر: المتن.

الخيل: الفرس/ الفارس. خيل: جمعُ فرس من غير لفظه.

قال المتنبئ:

لا خيل عندك تهديها و لا مال ۞ فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

خال (ف) يخال الشيءَ خيلا وخيَلانا: ظنه.

خيلاء: التكبر. والمختال والأخيل، والخائل: المتكبر؛ لأنه يستكبر نفسه.

سمي الخيل به؛ لأن الفارس في قديم الزمان كان يعد نفسه كبيرا، إذ الفرس كان خير مركوب بمثابة السيارة من الطراز الجديد في عصرنا.

خيال: صورة الشيء في الذهن؛ لأن الإنسان يعيش تصورات عالية.

نَبت: نبَتَ (ن) نباتا ونَبْتًا: خرج، ونشأ.

النبت: النبات: العشب، والخضرة، والزرع، والشجر، وما يخرج من الأرض. وهو المراد في البيت.

ربى: ربا (ن) رَبْوًا: ورُبوًّا: زاد، وتطور. ربِيَ (س) رَبْوًا، ورُبُوًّا: تربى.

الربوة: الأكمة، ما ارتفع من الأرض. ج: رُبَى.

الشدة: القوة، الصلابة . شدَّ (ض) غلظ، واستحكم.

الحزْم: حزُم (ك)حَزامة: لزم الذكاء والحذر. الحَزْم: كمال التجربة، والحذر، والبصر

بالعواقب، والعزم.

شَدَّة الحُزُم: شَدَّ (ن) شَدًّا أحكم ربطه. الشدَّة: بفتح الشين: العقدة، والسد. شدَّة: مرة من (شَدَّ).

الحُزُم: جمع: حزام. الحِزام: (١) ما يشد به السرج على ظهر الفرس. (٢) الرباط مطلقا(BELT). ويطلق على حبال الربط «الحزام».

الإعراب:

كأنهم: كأن: حرف مشبه بالفعل. هم: اسم. (جالسين) في ظهور الخيل: حال من الضمير في (كأنهم)، وشبه بالمفعول به. أي: أشبههم. نبت الربى: خبر (كأن).

من شدة الحزم: جار ومجرور معطوف عليه، متعلق بـــ(كأنهم، أو أشبههم).

الشرح:

ذكر في السابق مهارة الصحابة في استخدام الأسلحة. ويذكر هنا فروسيتهم.

نبتُ ربى: نبت الجبل يكون قويا جدا. ونبت الرمل ميسور قلعه دون نبت الجبل. ومعنى البيت: الصحابة على الخيل كالنباتات على الربوة في الثبات والاستحكام. ولا يرجع ثباتهم هذا إلى أنهم شدوا رباطهم بقوة، وإنما يرجع إلى مهارتهم في الفروسية وبلوغهم كمالها. كما سبق آنفا أن الحزام على معنيين: (١) ما يشد به السرج. (٢) الرباط مطلقا. والبيت يتضمن نفيهما، أي: ليس أن الصحابة كانوا يربطون أنفسهم بالحزام مخافة السقوط من ظهر الفرس، ولا أنهم كانوا يربطون ما يجلسون عليه من تحتهم، بل كانوا يجلسون مطلقين.

ونظرا إلى هذا الكمال والمهارة قال الناظم: في ظهور الخيل، ولم يقل: على ظهور الخيل. فقوله: «في» إشارة إلى أن المرء يخاف السقوط إذا جلس فوق الشيء، وأما إذا جلس في داخله فلا. وكان الصحابة يتمكنون من الجلوس على الأفراس تمكنا يجعلهم كأنهم في داخلها، وأيضا قال «في» دون «على» مراعاة للقافية.

نبتُ ربى: كان الصحابة في الثبات مثل نبت الجبل؛ بل كانوا أثبت منه في الواقع. وذلك لأن جذور نبت الجبل متعمق جدا في الأرض، وكان الصحابة جالسين من غير عماد، ورغم ذلك كانوا ثابتين ومستقلين.

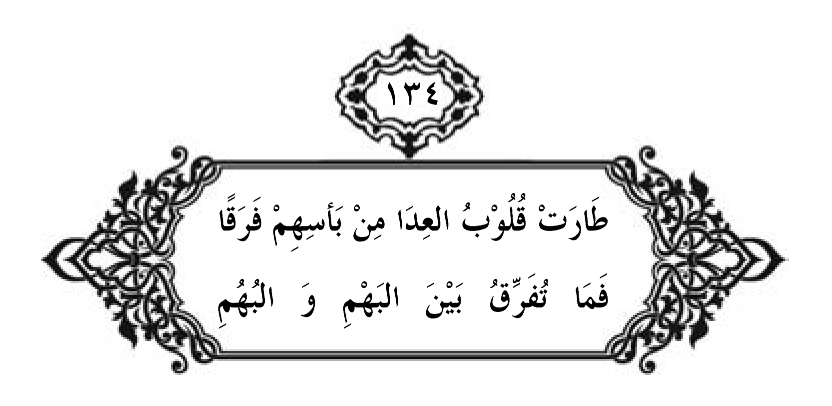
نبتُ ربى: في نبت الربى صفتان يتصف بهما الصحابة رضي الله عنهم: (١) الثبات والاستقرار. وجذور هذا النبت طويلة، ولا يستقر الماء على التلال، فلا ينقلع بسرعة. وأما غيره من النباتات فيجري تحتها الماء، فتكون الأرض رخوة، ويسهل قلعه.

(٢) بما أن الماء لا يستقر به، فينبت نبت الربى بالهواء والشمس أكثر، ويكون أشد خضرة من النباتات الأخرى. وغيره من النباتات يصيبه الماء فيضعف ويصفرُّ. وكان الصحابة على الأفراس مثل نبت الجبل. أي كانوا على حظ عظيم من هاتين الوصفتين: الاستحكام والجمال.

وفي «نبت» إشارة إلى أن الصحابة ما كانوا يسقطون من ظهر الخيل وإن أكثروا من التحرك والتنقل عند الضرب والقتال. كما أن النبت القوي يهزه الرياح يمنة ويسرة كثيرا ولا ينقلع، لأن جذوره قوية، وليس له ساق حتى ينقضه الرياح. وكذلك كانت قلوب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على غاية من الثبات والاستحكام.

انتهى بعون الله تعالى وتوفيقه.

****



اللغة:

طارت: طار (ض) طَيرا وطَيرانا: تحرك في السماء وارتفع. وهنا بمعنى الاضطراب، أي القلق.

بأسهم: بئِسَ: (س) بأسا وبُؤْسًا: اشتدت حاجته. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ (الحج: ٢٨)

بَؤُسَ (ك) بَأسا وبأسَةً: (١) قوي وَاشْتَدَّ (٢) شجع. البأس: (١) الهجوم، وهو المراد هنا. (٢) الحرب. (٣) شدة الحرب.

فَرَقا: فَرَق (ض،ن) فرقا وفُرقانًا: فصله، وميزه.

فَرِقَ (س) فَرَقًا: فزع، وخاف خوفا شديدا. وهو المراد في البيت.

البَهم: جمعُ بَهمة. والبهمة: السخلة: صغار الذئب أو الشاة (ذكرا كان أو أنثى)، ج: بَهْمٌ وبِهام.

البُهُم: بُهمة: الشجاع. ج: بُهْمٌ. فيهما معنى الإبهام. سميت السخلة بهمة؛ لأنه يعجز عن الكلام. وسمي الشجاع به؛ لأنه يصعب قيادته والتغلب عليه كما يصعب فهم الأمر المشكل. وكذلك بعض قصص شجاعتهم مبهمة لا يكاد يفهمها المرء.

في تاج العروس: « البُهمة: الشجاع... لا يُدرى من أين يؤتى من شدة بأسه...، وفي التهذيب: لا يدري مقاتله من أين يدخل عليه... للشجاع الذي يستبهم على أقرانه مأتاه».(تاج العروس ٣٠٩/٣١)

الإعراب:

طارت: فعل، قلوب العِدى: فاعل، من بأسهم: متعلق بـــ طارت، فرقا: مفعول له.

فما: ف: تفريعية، حرف عطف، ما: للنفي، تفرق: فعل، هي: فاعل راجع إلى «قلوب». بين: مضاف، البَهم: مضاف إليه معطوف عليه. والبُهُم: معطوف. الجار والمجرور ظرف ومتعلق بـــ تفرق.

فرقًا: فيه احتمالات:

(١) مفعوله له. (٢) مفعول مطلق؛ تفرق تفرقًا. (٣) تميز. (٤) حال.

الشرح:

يذكر هذا البيت مدى مهابة الصحابة في قلوب الأعداء:

معنى البيت الواضح:

(١) ما تفرق قلوبهم بين البهائم والإنسان. تحير الأعداء وقلقوا قلقا شديدا، وفقدوا رشدهم فلا يكادون يميزون بين الإنسان والشاة.

جمع فيه بين ضدين، فأضعف الحيوانات قلبا هي السخلة، وأقواها قلبا الإنسان. فبلغ الرعب والذعر من قلوب الكفار مبلغا لا يكادون يميزون بين متضادين.كما لا يفرق الفزِع بين النور والظلمة والليل والنهار.

(٢) وقيل: معناه: سيطر على الأعداء من الخوف ما يجعلهم يذعرون حين يسمعون صوت الذئب والشاة، حتى لا يكادون يميزون بين صوت الشاة وصوت مجاهدي الإسلام. ويخاف الإنسان ويذعر بسقوط ورقة من أوراق الشجر حين يستولي الخوف على قلبه. ويقول المثل الأردي: «اللديغ يخاف الحبل».

(٣) ما تفرق أيها المخاطب الكافر: أصبت بحالة لا تكاد تفرق بين الإنسان والحيوان.

(٤) تفرق أيها المخاطب المسلم، والبهم هو الجبان مجازا، والمعنى حينئذ: ألقيت في قلوب الكفار المهابة بجهاد الصحابة، فلو رأيت هؤلاء الكفرة ما فرقت بين شجاعهم وجبانهم؛ فإن الخوف استولى عليهم على حد سواء.

البلاغة:

(١) اضطراب: مشبه. طيران: مشبه به. الاستعارة تصريحية تبعية.

(٢) على المعنى الثالث: الجبان: مشبه. والبَهم مشبه به. فالاستعارة تصريحية أصلية.

انتهى بعون الله وتوفيقه.

****



اللغة:

تَلقه: من: «لقِيَ يلقى»: زاره. إن: جازمة. فسقطت الألف، وبقي (تلق) و(هـ) ضمير.

الأسد: الليث (ذكرا أو أنثى) ج: آساد، وأسود وأسُد، وأسْد.

أسِدَ (س) أسْدًا: تخلق بصفات الأسد. وَرَأى الأسد فدهش وفزع لرُؤْيَته.

أسَدَ (ض) أسْدًا: (١) حثه وأرغمه. (٢) أفسد في الناس.

وللأسد أسماء كثيرة في اللغة العربية، بلغ بها العلامة ابن خالويه (حسين بن أحمد بن خالويه، من كبار النحاة، المتوفى عام:٣٧٠هـ) وغيره من أهل العلم (٥٠٠) اسم، وقيل: أكثر من ذلك.

وذكر العلامة الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب المتوفى:٨١٧هـ) في الروض المسلوف فيمن له اسمان إلى الألوف كثيرا من الأسماء. (تاج العروس٧/٣٨٤)

وقد يطلق الأسد على الشجاع مطلقا، قال بعض الشعراء في الحجاج بن يوسف:

أسد علي وفي الحروب نعامة ۞ فتخاء تنفر من صفير الصافر

(هذا البيت لعمران بن حطان، المتوفى:٨٤هـ، تاريخ مدينة دمشق ٤٣/٤٨٨؛ البداية والنهاية ٩/٣٨٣؛ ونسب هذا البيت إلى غيره).

آجامها: أجَمَة: (١) أرض كثيرة الأشجار. (٢) مأوى الأسد. ج: آجام.

تَجِمَ: وَجَمَ (ض) وَجْمًا ووَجوما: (١) سكت عَن الْكَلام لشدَّة الْحزن وأطرق. (٢) سكت عن غيظ و لم يتكلم.

الإعراب:

ومن: اسم شرط مبتدأ. تكن: فعل ناقص. (حاصلة) برسول الله: خبر. نصرته: اسم مؤخر. والفعل الناقص مع اسمه وخبره جملة فعلية شرطية.

إن: حرف شرط، تلقه: فعل. الهاء: مفعول. الأسدُ: فاعل. في آجامها: الجار متعلق بـــ «تلق». الفعل والفاعل والمفعول والمتعلق فعل الشرط. تجم: فعل. (هي) فاعل، يعود على الأسد. والجملة جزاء الشرط.

من: اسم شرط مبتدأ. تكن: فعل الشرط. و«إن تلقه» جزاء الشرط. وفعل الشرط مع جزائه خبر «مَن».

تكن نصرته: فيه وجهان: (١)كان: تامة. أي توجد نصرته برسول الله. (٢)ناقصة: أي: تكن نصرته حاصلة برسول الله.

الشرح:

لا نقول: إن البركة من غير الله تعالى، ولكن نقول: البركة من الله تعالى لأجل أحد أو به أو إكرامًا له.

برسول الله نصرته:

إيراد: العون من الله تعالى لا غير، وهي قضية أساسية في الدين، وموضوع القرآن الكريم، فما معنى النصر برسول الله صلى الله عليه وسلم؟

الجواب: لم يقل الناظم: من رسول الله نصرته. كما في قوله: ﴿نَصۡرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الصف: ١٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ (العنكبوت: ١٠)

وإنما قال الناظم: برسول الله، أي العون لا يكون إلا من الله تعالى؛ ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة وسبب للعون. فالباء للسببية، وتحتمل معانيَ: (١) بوسيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٢) بواسطته. أي بالخروج في نشر دينه. (٣) ببركته. (٤) بالتمسك بدينه.

نسبة البركة إلى غير الله تعالى:

إيراد: قلت: جاء العون ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقول السلفيون:

البركة تختص بالله تعالى،وليست لغيره ؟

الجواب: الصحيح أن نسبة البركة إلى غير الله تعالى جائزة، ومن الأمثلة عليه ما يلي:

(١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: قال: «غزوت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم. فتلاحق بي النبي صلي الله عليه وسلم وأنا على ناضح لنا قد أعيى فلا يكاد يسير، فقال لي: ما لبعيرك؟ قال: قلت: عيي، قال: فتخلف رسول الله صلي الله عليه وسلم، فزجره و دعا له، فمازال بين يدي الإبل قدامها يسير، فقال لي: كيف ترى بعيرك؟ قال: قلت: بخير قد أصابته بركتك».(صحيح البخاري، رقم:٢٩٦٧)

وفي رواية: «فزجره النبي صلي الله عليه وسلم، فانتشط حتى كان أمام الجيش، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا جابر ما أرى جملك إلا قد انتشط. قلت: ببركتك يا رسول الله».(سنن النسائي، رقم:٤٦٣٨. وينظر: سبل الهدى والرشاد ٥١٥/٩، الباب الثالث في بركته صلي الله عليه وسلم في جمل جابر وناقة الحكم بن أيوب، وناقة رجل آخر).

(٢) نزل حكم التيمم فقال أسيد بن الحضير رضي الله عنه: «ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر».

ونص الحديث: «فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر». (صحيح البخاري، رقم:٣٣٤)

(٣) عقدت كتب السيرة أبوابا خاصة بنيل المرضى من الإنسان والحيوان الشفاء ببركة مس رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس أحدهم أو جسده فلم يشكُ وجعا أو ضعفا فيما بعد، ولا أبيض شعره، وثمة مئات من القصص من هذا الباب يسردها المحدثون ضمن بركة النبي صلى الله عليه وسلم الخاصة، ونسوق حديثين على سبيل المثال:

عن سهل بن سعد، قال: جاءت امرأة إلى النبي صلي الله عليه وسلم ببردة، فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال: هي الشملة، فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها حاشيتها، فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه. فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجًا

إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه! فاكسنيها، فقال: نعم. فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم لامه أصحابه، فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه و سلم أخذها محتاجا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وسلم، لعلي أكفن فيها».(صحيح البخاري، رقم٦٠٣٦)

عن أنس بن مالك، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها، وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فرا شها، فأتيت، فقيل لها: هذا النبي صلى الله عليه وسلم نام في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق، واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما تصنعين؟ يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله، نرجو بركته لصبياننا. قال: أصبتِ».(صحيح مسلم، رقم:٢٣٣١)

وعلى كل، فقد أعان الله تعالى الصحابة ببركة نبيه صلى الله عليه وسلم، وثبت تحقق الغرض ببركة غيره صلى الله عليه وسلم، منها:

١- عن مصعب بن سعد، قال: رأى سعد رضي الله عنه، أن له فضلا على من دونه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم».(صحيح البخاري، رقم:٢٨٩٦)

قوله: «إلا بضعفائكم» يعني يعينكم بوجودهم وبركتهم، ووسيلتهم.

٢- عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم».(صحيح البخاري، رقم:٣٦٤٩)

قوله: «يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام...» حاصل الحديث أنهم يفتحون ببركة

الصحابي والتابعي وتابع التابعي.

قوله: «فيفتح لهم»: يحتمل ثلاثة وجوه:

(١) يفتح بوجود الصحابي/ التابعي.

(٢) يفتح بدعاء الصحابي.

(٣) يفتح بوسيلته.

وليس المراد الوجه الأول، فإن الصحابي كان موجودا في الحرب مسبقا، فوجوده وقت الحرب ليس هاما. وكذلك الوجه الثاني غير مراد... يقول السلفيون: «هو المراد أي يفتح وينصر بدعائه». وهذا غير معقول؛ فإن المسلم يواصل الدعاء بالنصر في كل وقت في السفر و الجهاد. فليس هذا من أثر الدعاء فيما يبدو، والأحسن هو الوجه الثالث، أي ينصرون بوسيلته وببركته.

ومعنى البيت واضح، وهو أنه إذا دعي ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ووسيلته لأحد، خافه الأسد، وإن كان في أجمته، فإنه يختفي خوفًا منه.

في آجامها: إنما قال ذلك لأن الأسد في أجمته أشجع، وأضر مما سواه، ورغم ذلك يستسلم الأسد حين يرى الصحابة رضي الله عنهم.

إن تلقه الأسد في آجامها تجِم:

(١) المراد به المعنى الحقيقي، وهو الأولى أي أن الأسد يطأطئ رأسه حين يرى الصحابة رضي الله عنه، ويخضع لهم. والقصص التي تدل على أن الأسد يطأطئ رأسه عندئذ كثيرة:

بعض القصص الدالة على أن الأسد طأطأ رأسه حين رأى أصحاب النبيﷺ:

١. قصة سفينة رضي الله عنه:

رويت هذه القصة على وجوه عدة، خلاصتها أن سفينة رضي الله عنه يقول: «ركبت سفينة فانكسرت سفينتي، فركبت لوحا من ألواحها، فألقاني في أجمة فيها أسد، فأقبل إلي يريدني، فقلت: أبا الحارث، أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطأطأ رأسه، وأقبل إلي ودفعني بمنكبه، حتى أخرجني من الأجمة. وهمهم فظننت أنه يودعني.

وفي رواية: كان معة جماعة، وفي رواية: إنه تخلف عن عسكره في الروم، فوقعت هذه القصة وأرشده الأسد إلى عسكره، ثم رجع.

الرواية الأولى في قصة سفينة رضي الله عنه:

عن محمد بن المنكدر أن سفينة، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها فركبت لوحا من ألواحها فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد فأقبل إلي يريدني فقلت: يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطأطأ رأسه، وأقبل إلي فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة، ووضعني على الطريق وهمهم فظننت أنه يودعني».(أخرجه الحاكم، رقم:٦٥٥٠؛ أبو نعيم في الدلائل، ص٥٨٣-٥٨٤؛ البيهقي في الدلائل ٤٥/٦-٤٦؛ وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٦٩/٩-٣٧٠، وقال: رواه البزار والطبراني بنحوه، ورجالهما وثقوا).

الرواية الثانية: عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «كنت في البحر فانكسرت سفينتنا فلم نعرف الطريق، فإذا أنا بالأسد قد عرض لنا فتأخر أصحابي فدنوت منه فقلت: أنا سفينة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أضللنا الطريق فمشى بين يدي حتى أوقعنا على الطريق ثم تنحى ودفعني كأنه يريني الطريق، ثم جعل يهمهم فظننت أنه يودعنا».(مسند البزار، رقم:٣٨٣٨).

الرواية الثالثة: عن ابن المنكدر أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطأ الجيش بأرض الروم أو أسر في أرض الروم، فانطلق هاربا يلتمس الجيش، فإذا هو بالأسد...، فذكر بنحوه.(أخرجه البيهقي في الدلائل ٤٦/٦؛ ونقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية ١٦٣/٦)

٢- قصة ابن عمر رضي الله عنهما:

كان ابن عمر في سفر، فإذا هو بقوم وقوف، فقال: ما بال هؤلاء؟ قالوا: أسد في الطريق. فنَزل عن دابته ومشى إليه، وعرك أذنه ثم غمز قفاه ونحاه عن الطريق.

عن وهب بن أبان القرشي عن ابن عمر أنه خرج في سفر له، فبينما هو يسير إذا قوم وقوف، فقال: ما بال هؤلاء؟ قالوا: أسد على الطريق قد أخافهم، فنَزل عن دابته، ثم مشى إليه حتى أخذ بأذنه فعركها، ثم غمز قفاه، ونحاه عن الطريق، ثم قال: ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما يسلط

على ابن آدم من خافه ابنُ آدم، ولو أن ابن آدم لم يخف إلا الله لم يسلط عليه. وإنما وكل ابن آدمَ لمن رجا ابن آدم، ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يكله إلى غيره». (تاريخ مدينة دمشق ١٧١/٣١؛ الديباج، ص ١١٢؛ للعلامة إسحاق بن إبراهيم أبوالقاسم الختلي المتوفى ٢٨٣هـ، وذكره السيوطي، وقال الذهبي: لم يصح هذا. سير أعلام النبلاء ٢٢٢/٣)

٣- قصة عوف بن مالك رضي الله عنه:

عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: كنت قائلا في كنيسة بأريحا، وهي يومئذ مسجد يصلى فيه، قال: فانتبه عوف بن مالك من نومته وإذا معه في البيت أسد يمشي إليه، فقام فزعا إلى سلاحه، فقال له الأسد: مه، إنما أرسلت إليك برسالة لتبلغها، قلت: من أرسلك؟، قال: أرسلني إليك الله، لأن تعلم معاوية الرحال أنه من أهل الجنة، قلت: من معاوية؟، قال: ابن أبي سفيان».(المعجم الكبير للطبراني ٣٠٧/١٩؛ الشريعة للآجري ١٣٩/٥؛ قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه أبو بكر بن أبي مريم، وقد اختلط. مجمع الزوائد ٣٥٧/٩)

٤- قصة إبراهيم بن الأدهم رحمه الله:

تقدمت الأسد إلى إبراهيم بن الأدهم فشمته ورجعت.

وذكروا أنه مر مع رفقة، فإذا الأسد على الطريق، فتقدم ابن أدهم، فقال له: يا قسورة، إن كنت أمِرتَ فينا بشيء فامض لما أمرتَ به. وإلا فعودك على بدئك. قالوا: فولى السبع ذاهبا يضرب بذنبه، ثم أقبل علينا إبراهيم، فقال: قولوا: اللهم راعنا بعينك التي لا تنام.

وروي أنه كان يصلي ذات ليلة فجاءه أسد ثلاثة فتقدم إليه أحدهم، فشم ثيابه، ثم ذهب فربص قريبا منه، وجاء الثاني ففعل مثل ذلك، وجاء الثالث ففعل مثل ذلك، واستمر إبراهيم في صلاته، فلما كان وقت السحر قال لهم: إن كنتم أمرتم بشيء فهلموا، وإلا فانصرفوا.(البداية والنهاية ١٣٨/١-١٤٩؛ تاريخ مدينة دمشق ٣١٩/٦)

(٢) المعنى المجازي: يعترض كبار الشجعان الذين يتصفون بصفات الأسد الصحابةَ رضي الله عنهم، فتخشع أبصارهم لمهابتهم وجلالهم الإيماني. وفيه قصص كثيرة في مصادر التاريخ، ونكتفي بمثال واحد:

تفصل كتب التاريخ دخول ربعي بن عامر إلى بلاط رستم، فإنه داس البساط،

ونزل عن فرسه وزج النمارق والبسط، وهو وحده من المسلمين في البلاط، وبيده رمح، ثم كلمه، وقال رستم بعد ما خرج من عنده لأصحابه: «انظروا إلى فهمه وكلامه وسيرته، ولا تنظروا إلى ثيابه».

وفي اليوم التالي دخل حذيفة بن محصن، وفي اليوم الثالث دخل المغيرة بن شعبة رضي الله عنهما البلاط، بجلال ومهابة، وكلماه غير هيابين ولا وجلين، فارتاع رستم منهما، وفصَّل الحاكم في المستدرك والطبري في تاريخه القصة:

قال الطبري: كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعمرو وزياد بإسنادهم مثله قالوا: وأرسل سعد إلى المغيرة بن شعبة وبسر بن أبي رهم وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن و ربعي بن عامر وقرفة بن زاهر التيمي ثم الواثلي ومذعور بن عدي العجلى، والمضارب بن يزيد العجلي ومعبد بن مرة العجلي- وكان من دهاة العرب- فقال: إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم، فما عندكم؟ قالوا جميعا: نتبع ما تأمرنا به، وننتهي إليه، فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثل ما ينبغي وأنفعه للناس، فكلمناهم به فقال سعد: هذا فعل الحزمة، اذهبوا فتهيئوا، فقال ربعي بن عامر: إن الأعاجم لهم آراء وآداب، ومتى نأتهم جميعا يروا أنا قد احتفلنا بهم! فلا تزدهم على رجل، فمالئوه جميعا على ذلك، فقال: فسرحوني، فسرحه، فخرج ربعي ليدخل على رستم عسكره، فاحتبسه الذين على القنطرة، وأرسل إلى رستم لمجيئه، فاستشار عظماء أهل فارس... وأقبل ربعي يسير على فرس له زباء قصيرة، معه سيف له مشوف، وغمده لفافة ثوب خلق، و رمحه معلوب بقد، معه حجفة من جلود البقر، على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف، ومعه قوسه ونبله، فلما غشي الملك، وانتهى إليه وإلى أدنى البسط، قيل له: انزل، فحملها على البساط، فلما استوت عليه، نزل عنها وربطها بوسادتين فشقهما، ثم أدخل الحبل فيهما، فلم يستطيعوا أن ينهوه،... فقالوا: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني، فإن أبيتم ان آتيكم كما أريد رجعت فأخبروا رستم، فقال: ائذنوا له، هل هو إلا رجل واحد! فأقبل يتوكأ على رمحه، وزجه نصل يقارب الخطو، ويزج النمارق والبسط، فما ترك لهم نمرقة ولا بساطا إلا أفسده وتركه منهتكا مخرقا،... قال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه فكلمه، فقال: ما جاء

بكم؟ قال: الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبدا، حتى نفضي إلى موعود الله... قال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض، يجير أدناهم على أعلاهم فخلص رستم برؤساء أهل فارس، فقال: ما ترون؟ هل رأيتم كلاما قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل؟ ..إلى آخر ما ذكره. (تاريخ الرسل والملوك والأمم ٣/٥١٨-٥٢٠، ذكر ابتداء أمر القادسية، ومثله في عامة كتب التاريخ)

شرح بعض المفردات الصعبة:

١- فرس له زباء قصيرة: على فرسه شعرات صغيرة.

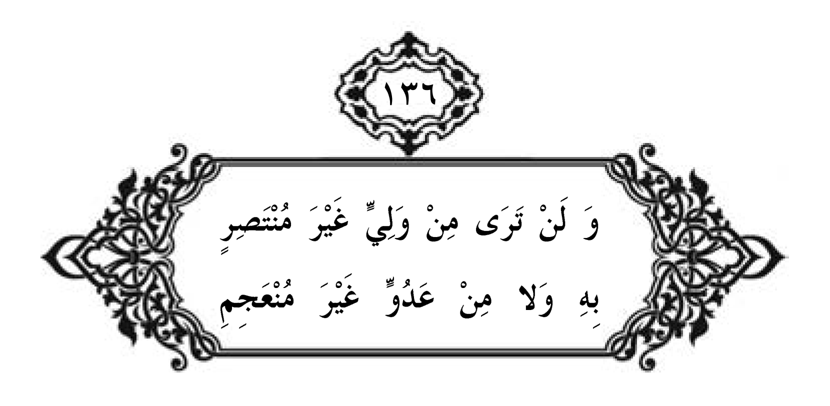
٢- سيف مشوف: سيف وسخ.

٣- غمده لفافة ثوب خلق: كان غمده من ثوب قديم.

٤- رمحه معلوب بقد: رمحه في كيس من جلد.

٥- زجه نصل: صوَّب نصل الرمح إلى الأرض.

****



اللغة:

ولي: ولِيَ (ح) وَلْيًا: دنا منه، وتصرف، وأحب.

ووليٌّ الله تعالى من يعمل الصالحات، ويجتنب الكبائر ولا يصر على الصغائر، ويحترز من كثير من اللذات. وإنما سمي به؛ لأنه:

(١) صفة من «ولي يلي» بمعنى: قريب من الله تعالى.

(٢) صفة من «ولي» بمعنى تصرف، ومعناه: من يتولاه الله وحفظه من الذنوب.

غير منتصر: غير مؤيد: الانتصار: الثأر، وقد يأتي بمعنى الانتقام والتشفي، وبمعنى الفتح والظفر.

غير منقصم: قَصَم (ض) قَصْمًا: كسره، ونقضه.

الفرق بين «قصم»، و«فصم» أن القصم هو الكسر مع افتراق الأجزاء، والفصم هو الكسر من غير تفريق الأجزاء. والقصم أشد ففيه دلالة على القوة.

الإعراب:

ولن: حرف ناصب. ترى: فعل. (أنت) فاعل. من: جار. ولي: موصوف. غير منتصر: صفة. والموصوف مع صفته مجرور، والجار مع مجروره معطوف عليه.

به: جار ومجرور، متعلقان بـــ«منتصر». من: جار. عدو: موصوف. غير منقصم: صفة. والموصوف مع صفته مجرور، والجار مع مجروره معطوف، والمعطوف مع المعطوف عليه مفعول به لـــ ترى. ومن: زائدة للتأكيد.

غير منتصر بالجر-: صفة «ولي». وبالرفع خبر مبتدإ محذوف. أي: ولي (هو) غير

منتصر. وبالنصب (١) إذا كانت الرؤية بصرية فـــ «غير منتصر» حال، و«من» في قوله: «من ولي» للعموم و التاكيد، بمنْزلة التخصيص. أي: لن ترى وليًّا غير منتصر. أو: لن ترى وليًّا حال كونه غير منتصر. (٢) إذا كانت الرؤية علمية، فـــ غير منتصر: مفعول ثانٍ: لن ترى وليا: مفعول أول، وغير منتصر: مفعول ثانٍ.

الشرح:

ينصر الله تعالى أولياءه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (غافر:٥١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد:٧)

ومن شروطه: الإيمان والأعمال الصالحة، واتباع السنن. ولا بد من الاجتهاد في الدين، وما قاله الناظم في هذا البيت يشهد التاريخ الممتد على أربعة عشر قرنا بأن المحب الصادق للرسول صلى الله عليه وسلم نجح دائما ، و لم يفشل قط.

وعلى العكس من ذلك، لم يعص أحد الرسول صلى الله عليه وسلم وتظاهر بالعداوة له في أي ناحية من النواحي،إلا أصبح أثر بعد،وتفرق شمه رغم توفر الأسباب المادية كلها، فكأنه تفسير لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ (الكوثر: ٣)

ولي غير منتصر:

لابد أن يغلب المسلمون على وجه من الوجوه الستة:

(١) الغلبة بالخلافة والحكومة: أي حكومة المسلمين غالبة على من سواها، وذلك في عهد الخلافة الراشدة وبداية عهد بني أمية، ووصل الإسلام إلى أكثر بلاد العالم. وتوسع نطاقه في عهد بني العباس بعض التوسع، ثم قامت الخلافة العثمانية، فدخل الإسلام في كثير من البلاد الجديدة، وفتِحَت الشيشان، وبوسنة وروسيا.

(٢) الغلبة بالحجة: يغلب الإسلام بالأدلة والحجج. وهذا مستمر في كل حال وسيستمر؛ لأن الأديان كلها ضعيفة بجنب الإسلام، فالنصرانية تعتقد التثليث، فلا يدري أحد: هل الواحد ثلاثة، أو الثلاثة واحد؟ فيه تفاصيل كثيرة.

(٣) الغلبة بالدعوة: استمرت الدعوة إلى الإسلام ودخول الناس فيه في كل عصر.

(٤) الغلبة بالأسباب: الأسباب يملكها اليوم الكفار، وليس للمسلمين حتى القوة

الإيمانية، حتى تتحول الأسباب الضعيفة قوة بقوة الإيمان.

(٥) الغلبة في الآخرة: لا شك أنه للمسلمين.

(٦) الغلبة بمحو الأديان: أي تنتهي الأديان الأخرى، ولا يبقى إلا الإسلام، وهذه الغلبة تتحقق على عهد عيسى عليه السلام؛ حيث ينْزل من السماء، وينتشر الإسلام بمساعدة من المهدي لعيسى عليه السلام. ولو أضفنا إلى ما سبق: الغلبة بالمدارس الإسلامية، ومعابد الصوفية لكانت ثمانية.

والأصل في الدعوة حين نزول عيسى هو نفسه؛ لأنه نبي، وأما المهدي فيعين عيسى عليه السلام في مهمته وإن سبقه في الدنيا. وينْزل عيسى عليه السلام فيقدم المهدي للإمامة، وكذلك يكون عيسى عليه السلام أميرا للمسلمين في أمورهم. ومن العجب أن الناس يكثرون من ذكر المهدي ولا يذكرون عيسى عليه السلام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم». (صحيح البخاري، رقم:٣٤٤٩)

ونظرا إلى وجوه الغلبة الستة المذكورة آنفا يتساءل المرء: فيمَ ازدادت حال المسلمين سوءًا ؟

والجواب واضح وميسور، وهو أنه لم يبق من فرق بين الحكام المسلمين والحكام غير المسلمين في أعمالهم، فالمسلمون منهم ينفرون عن الدين، فعادوا منقصمين مخذولين.

لأن معنى «من عدو غير منقصم»: من كان عدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم –سواء كان في صورة المسلمين أو صورة الكافرين–، وكل من عصى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وعادى مهمته صلى الله عليه وسلم، لا بد أن يخسر وينهزم. ولا يغني الانتساب الصوري إلى الإسلام.

لابد من اتخاذ الأسباب للتغلب:

ومما يوضح هذه الغلبة والانتصار أن الله تعالى وضع أسبابا تجلب الانتصار والنجاح؛ لأن الدنيا دار الأسباب. وهذه الأسباب هي:

(١) الأسباب الروحانية.

(٢) الأسباب الجسدية.

(٣) الأسباب العادية: من توحيد الكلمة، والتناصر وتوفر الوسائل والآلات.

ألا أن الصحابة رضي الله عنهم وإن كانوا لا يملكون الأسباب الجسدية والعادية إلا القليل، ولكن توفرت لديهم الأسباب الروحانية من الإيمان والأعمال الصالحة. فحالف النجاح دائما، وأما مسلمو اليوم فلا يملكون شيئا، فكيف يتحقق لهم النجاح؟ والأسباب المادية التي لديهم لا يستطيعون التصرف فيها؛ بل هي في أيدي غير المسلمين، فضلا عن الأسباب الروحانية. فترى الدول الإسلامية لا يستخرج في واحدة منها البترول إلا تغلب عليه غير المسلمين، وما أكثر الذين أودعوا ما لديهم البنوكَ، مما يقوم عليه البنوك الغربية. وأفلس كثير منها.

ومثل أموال المسلمين مثل طفل صغير يلعب بالطيارة فطرف الحبل بيد رجل من الرجال الكبار، ويكل جزء من الحبل إلى الولد، ليفرح به، وهذا حال مال المسلمين، فإن المتصرف فيه غير المسلمين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)

ٱصْبِرُواْ: أي: إذا كانت الحكومة بيد الكفار، فاصبروا على دينكم.

وَصَابِرُواْ: ١- اصبروا على مواجهة الكفار، أي تقووا بحربهم.

٢- اصبروا على مواجهة الكفار، أي اغلبوهم في الصبر، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ (النساء: ١٠٤)، فاصبروا أكثر منهم.

وَرَابِطُواْ: اجتهدوا للحفاظ على حكومتكم والحكومة الإسلامية وهذا ما كان عليه عدد من السلف الصالح، منهم: بلال رضي الله عنه، ووردت الأحاديث بفضل كبير وعظيم على ذلك.

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ: إتيان الأعمال الصالحة واجتناب الذنوب، فإذا تحققت هذه الخصال الأربع فيكم، كنتم «مفلحون».

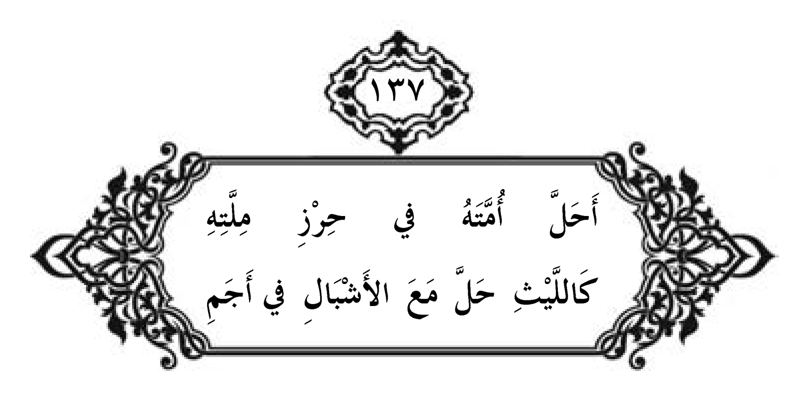
فانظر في هذه الخصال الأربع: أيها تتوفر في المسلمين حقا، ولذا لم يعدْ كبير فرق بين حال المسلمين وحال غيرهم. بل فاقهم غير المسلمين في توفر الوسائل وتوحيد

الكلمة، والتناضر وغيرها من الأساب. وليس الكفار غالبين لصلاحهم؛ بل بالوسائل، فهي من أسباب الغلبة والتفوق.

وليكن نصب أعيننا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)، وقوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ (الأنفال: ٦٠)، فقد زالت هذه الآيات من ذاكرة المسلمين، واقتصر العمل الصالح على الصلاة والصوم.

انتهى، بفضل الله وتوفيقه.

****



اللغة:

أحل: أنزل. حَلَّ (ن،ض) حُلولا: نزل، وأقام.

حِرز: حَرِزَ (س) حَرَزا: حذر، واتقى. حَرَزَ (ن) حفظه وجمعه.

حَرُزَ (ك) حَرازة: حُفظَ، واستحكم. الحِرزُ: (١) القلعة، والمكان الحصين.(٢) ما يتقى به.

الليث: (١) من أسماء الأسد. (٢) القوة.

لايث : (١) سابقه في القفز. (٢) واجهه كالأسد.

الأشبال: شَبَلَ (ن) شُبُولا: شبَّ الطفل في الدل والنعيم.

الشِّبل: (١) ولد الأسد؛ فإنه يترعرع في النعيم. (٢) الولد الشجاع. ج: أشبال.

أجَم: جمعُ أجمة، ومعناه: مكان يعيش فيه الأسد.

أجمَ (ض) النهار أجما وأجِيمانا: اشتدت حرارته.

الإعراب:

أحلَ: فعل. (هو) فاعل. أمته: مفعول. في: جار، متعلق بـ«أحل». حرز ملته: مضاف ومضاف إليه، مجرور.

كالليث: حال من الضمير في «أحل». مشبها بالليث. أوكائنا كالليث. وهذه حال أولى. حَلَّ: فعل. (هو) فاعل، يعود على الليث. مع الأشبال: مضاف ومضاف إليه متعلق بـ «حل».

في أجم: جار مع مجروره متعلق بـ«حل». والفعل مع فاعله ومتعلقه جملة حالية من الضمير في «أحل».

الشرح:

قال تعليلا لما سبق: لأنه أحل أمته في ...

الأمة على قسمين:

(١) أمة الدعوة. أي غير المسلمين الذين ندعوهم إلى الدين.

(٢) أمة الإجابة: الذين قبلوا الدعوة وأسلموا.

ملته: (١) سبق أن من وجوه تسمية الدين ملةً: لأنها تملل أي تكتب.

(٢) ووجه آخر: أنه من ملَّ يَملّ: تعب، فمثلا: صلاة التجهد فيها أجر كبير، ولكنها شاقة ومتعبة. وفي الحديث: «أرحنا بالأذان» ومن معانيه: أنه إذا يزول عنهم الهم ومسؤليتها بعد أن يؤديها.

ومعنى البيت واضح وهو أن الأماكن التي تعيش فيها أشبال الأسد، تكون مصونة ومحفوظة، لا يدخل إليها أحد، كذلك المسلم الذي دخل قلعة الشريعة، أَمِن معظم آفات الدنيا وعذاب الآخرة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝﴾ (النازعات: ٤٠ – ٤١)

وما دام المسلمون في حصن الدين كانوا آمنين، ولذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢٩)

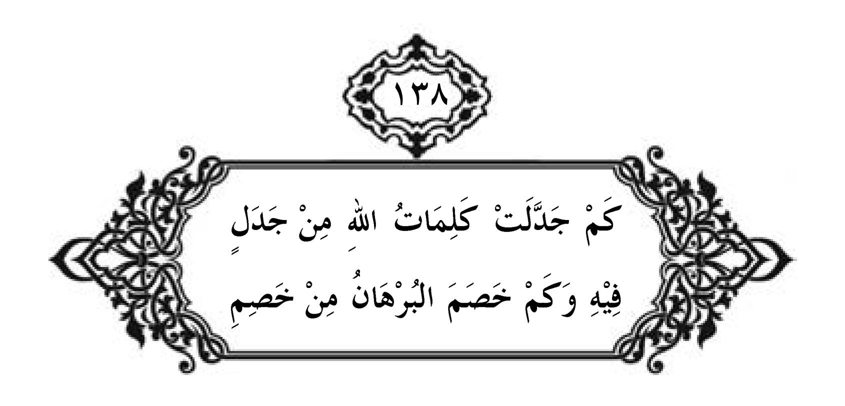
وقد يوهم النظر في أحوال المسلمين أنهم غير آمنين، فالجواب عنه أن المسلمين خرجوا من حصنه، واللبنات التي صنع منه هذا الحصن منها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ (الأنفال: ٦٠) وقعد عن هذا الأمر الرباني الحكام المسلمون بصورة نهائية.

وللبيت تفصيلات كثيرة أخرى، وكيف أن الأمة الإسلامية تشبه الحصنَ، وما الأسباب التي تؤَمِّن الأمة الإسلامية وشروط هذا التأمين ونحو ذلك.

البلاغة:

تشبيه الهيئة بالهيئة يسمى تشبه تمثيل. وضع النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتوجيهات الدينية في حصن حصين يشبه نزول الأسد في الأجمة، ويشبه الصحابة والأمة الإسلامية الأشبال في الحفظ والصون.

****



اللغة:

كم: في الشطرين تحتمل وجهين:

(١) كم خبرية، أي حدث ذلك كثيرا، وهو الأولى. (٢) استفهامية: أي كم مرةً حدث ذلك؟

جَدَّلت: أوقعت على الأرض/ وضعت على الأرض.

جَدَل (ن) جُدولا، جَدَلَ (ض) جَدلا: (١)صلب. (٢)صرعه، وألقاه على الأرض.

جَدِلَ: صفة من «جَدِلَ». جَدِلَ (س) جَدَلا: أكثر من الخصومة، هو جَدِل، ومجدال، ومِجدل.

من جدل: (١) من: زائدة للتاكيد. جدلا: مفعول. بكسر الدال صفة، (٢) جدَلٍ: بفتح الدال معناه: ١- من ذي جدل. ٢- جدل بمعنى كثير الخصومة، نحو: زيد عدل.

فيه: الضمير يعود على الإسلام أو القرآن الكريم.

خَصَّمَ: غلب في الخصومة.

خَصَمَ (ض) خَصْمًا وخِصاما وخُصومة: غلبه في الخصومة.

خَصَّم: خَصمَ: أي: غلب في الخصومة مبالغةً.أي حصل ذلك بكثرة.

البرهان: الدليل الواضح.

بَرِهَ (س) بَرَهًا: (١) عاد الجسد إلى الوضع الطبيعي بعد المرض. (٢) أبيض.

برهن الشيءَ وعليه: أقام الدليل عليه وأوضحه.

البرهرهة: المرأة البيضاء. البَرَه: البياض. البُرهة: قليل من الوقت، وطويل الزمان.

خَصِم: صفة من «خَصِمَ». خَصِمَ (س) خَصَمًا وخِصاما: (١) برع في الخصومة. (٢) جادله.

من خصم: من: زائدة كما في «من جدل». المعنى: خصم البرهان خصِمًا. وجوَّز الأخفش زيادة «من» في الإثبات أيضا. نحو: قد كان من مطر. ففيه «من» زائدة. والأصل: قد كان مطر.

الإعراب:

١- كم: مميَز، من جدل: جار ومجرور تميز. والمميز مع التمييز مفعول به مقدم، جدلت: فعل. كلمات الله: فاعل. الفعل مع الفاعل والمفعول به جملة فعلية.

٢- كم: مميز. محذوف تمييزها: أي: كم من مرة. مبتدأ وخبره. جدلت: فعل. كلمات الله: فاعل. من جدل: من: زائدة، وجدل: مفعول به لـــ «جدلت»، والفعل مع الفاعل والمفعول به جملة فعلية.

قاعدة: إذا لم يذكر المفعول به مع الفعل بعد «كم» كانت مفعولا به لما بعدها، وأما إذا ذكر المفعول به بعد فعل كم، كانت مميزة مبتدأ.

الشرح:

حاصل البيت أنه طالما نهض ناس لمقاومة القرآن الكريم ففشلوا، وطالما جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في دينه فرد عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم ردودا بينة واضحة جلية، وغلبهم في ذلك.

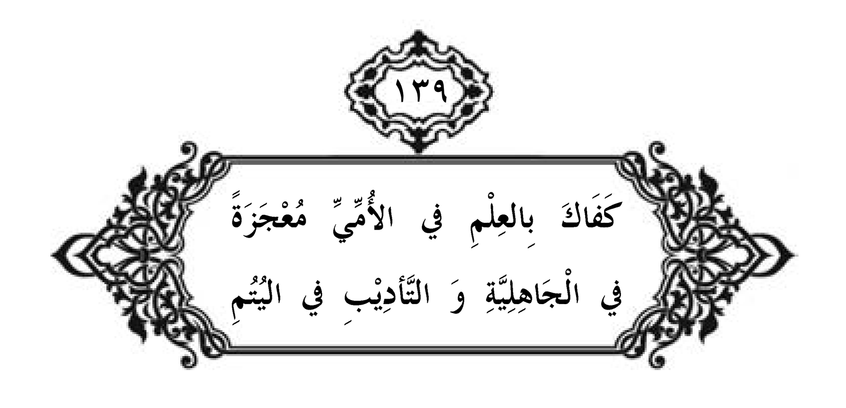
هذا البيت يتحدث عن الغلبة بالدليل، وقد حصل للمسلمين ذلك دائما، وأما في غيره فليس للمسلمين اليوم.

اختلاف النسخ:

في بعض النسخ: خصم القرآن، بدل قوله: «خصم البرهان».

انتهى ولله الحمد.

****



اللغة:

كفاك: كفى: (ض) كِفاية: استغنى به، وأغناه.

الأمي: من لا يقرأ ولا يكتب.لِمَ سمي أميًّا ؟

(١) منسوب إلى الأم، كأنه ولدته أمه حالا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ (النحل: ٧٨)

(٢) الأم. الأصل، أي ما بقي على أصله وخلقته.

(٣) منسوب إلى أمة العرب، لأن العرب لا يقرأون ولا يكتبون. وكانت بنو إسرائيل تقرأ وتكتب.

الجاهلية: عهد تحريف الشرع السابق وعدم إتيان الوحي اللاحق. ويطلق عليه عهد الفترة.

التأديب: مصدر بمعنى المفعول، يعني كونه مؤدبا.

أدُبَ (ك) أَدبًا: حصله، وفطِنَ. أدَب (ض) أدْبًا: أعدت المرأة طعام المأدبة. ومنه المأدبة. المأدبة: طعام دُعِي إليه.

أدبَ (ض) أصله: مأدِبة، وجاء بضم الدال: مأدُبة على خلاف القياس؛ لأن طعام الدعوة يجمع ويضم إلى المعدة أو لأن السفرة تلف بعد الطعام.

مناسبة علم الأدب بهذا المعنى: أدبَ فلانًا: دعاه، وعلم الأدب يدعو إلى الأخلاق الحسنة، و جعله الناس علم العربية والأشعار، وأدخلوا إليه كل شيء.

يُتم: موت الوالد وبقاء الابن بلا أب في الصغر.

الإعراب:

كفاك: كفا: فعل. ك: مفعول. بالعلم: بالباء زائدة. العلمُ: فاعل. في الأمي: ١- حال من المعجزة، أي حال كون المعجزة في الأمي. ٢- جار ومجرور متعلقان بصفة محذوفة: أي: العلم الحاصل في الأمي. معجزة: تمييز من كفاك.

في الجاهلية: جار ومجرور متعلقان بـ«علم». والتأديب: عطف على «العلم»، في اليتم: جار ومجرور متعلقان بـ «التأديب».

بالعلم: الباء زائدة، والتقدير: كفاك العلم.

معجزة: تمييز.

الشرح:

معجزة: بمعنى: خصلة معجزة أو آية معجزة.

تعريف المعجزة: أمر خارق للعادة إذا صدر على يد النبي عليه السلام بعد النبوة.

وسبق بحث المعجزات، ومعجزة النبي معجزة للأبد، فمثلا طيران سرير سليمان عليه السلام كانت معجزة؛ لأنها كانت بغير ماكينة وآلة (MACHINERY) وأما الطائرات اليوم فتطير بالماكينات والآلات(MACHINERY) فليست معجزة.

العلم: يشمل العلوم الدينية، والعلوم الدنيوية، والقصد أن الإجابة عن كل سؤال يتضمه علم النبي صلى الله عليه وسلم- من قرآن وحديث- إشارة أو صراحة أو دلالة.

ذات مرة قال الإمام الشافعي محمد بن إدريس بمكة: «سلوني ما شئتم أجبكم من كتاب الله عز وجل، ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم»، قال: فقلت له: أصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل زنبورا؟ قال: «نعم، بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ (الحشر: ٧) وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر». ثم حدث بإسناده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمر المحرم بقتل الزنبور. إذًا فلا دم فيه.

قال بعض أهل العلم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ (التكوير): هذا كله يوم القيامة. ويتقدمه مقدمته في الدنيا، لأن كل شيء يتقدمه مقدمته، فمثلا:

قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾، واليوم يكوِّرون ضوء الشمس فيخرجون منه الكهرباء. وهذه مقدمة لتكوير الشمس. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴾، واليوم تبدو الكواكب مكدرة في ضوء الليل. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴾، واليوم عطلت العشار، وحلت محلها السيارات والمروحية والطائرات. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴾ واليوم تصدر الصحف ليلاً نهارًا.

جميع العلم في القرآن لكن ۞ تقاصرت عنه أفهام الرجال

معنى البيت: معجزات النبي صلى الله عليه وسلم متكاثرة، ويغني عنها كلها دلالة على صدقه وحقانيته أعظم المعجزات وهو كونه أعلم الناس مع كونه صلى الله عليه وسلم أميا؛ وكونه نموذجا أعلى لحسن الخلق رغم كونه يتيما.

العلم: وعلى سبيل المثال من علمه صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، قال عليه السلام: «أوتيتُ جوامع الكلم». وما أكثر الأمثلة على أنه صلى الله عليه وسلم شرح العلوم الكثيرة في أسلوب مختصر موجز، نحو قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات»، وقوله: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وقوله: «البينة على المدعي واليمين على من أنكر». ونحوها.

والحاصل أن المتأمل بنظرة الإنصاف والعدل أن الذي لم يتعلم من أحد جاء بهذه العلوم الكثيرة. قال الشيخ سعدي:

يتيمے كہ ناكرده قرآن درست ۞ كتب خانہ چند ملت بشست

(اليتيم الذي لم يتعلم القرآن الكريم، أتى على المكتبات الخاصة بالأديان القديمة من اليهودية والنصرانية).

فيضطر إلى القول بأنه معجزة عظيمة حقا. ودليل على صدقه واضح وجلي.

ولو ذهبنا نفصل أكثر أن أميته صلى الله عليه وسلم معجزة عظيمة، لقلنا: لم يجلس إلى أحد للعلم؛ ولكنه أرشد إلى حقائق الدين وأسراره، ورموز الكون، والأصول والعقائد، والأخلاق ومهمات القانون، وكافة الطرق المؤدية إلى الحياة السعيدة.

لم يأخذ بيده قلما قط، غير أنه جعل الناس كتبة وأصحاب الأقلام، ولم يؤلف

كتابا، ولكنه بدأ بعهد التأليف والتدوين. ولم يتعلم في مدرسة، ولكنه أسس الجامعات والكتاتيب والمدارس والكليات. ولو لا قدومه إلى الدنيا لجهلت بداية عهد الحكمة والعلم الطبيعي.

وبالإمكان أن نتحدث حديثا مماثلا عن نواحي الثقافة والحضارة والتعليم والتربية، بأنه ما فيه من خير فهو ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهذا ما حمل كبار المؤلفين المتعصبين الإنجليز إلى الاعتراف بذلك. فقال توماس كارلائل (THOMAS CARLYE) في كتابه (HEROES AND HERO WORHIP AND THE HEROIC IN HISTORY) ما حاصله: «من الجدير بالذكر أن محمدا لم يجلس قط إلى أستاذ يتعلم منه؛ ولكن الكلمات التي صدرت من فيه كانت مليئة بالحكمة العملية. يسكت في غير موضع الكلام، ويتكلم فينثر دررا من العقل والأخلاق والحكمة. (وبالإمكان قراءة هذا الكتاب على الشبكة العنكبوتية، وميسور اقتناؤه).

وأشار القرآن الكريم إلى معجزة الأمية فقال الله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ (العنكبوت: ٤٨)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا ﴾ (الشورى: ٥٢)

وحيث ملأ الله تعالى صدره علما وحكمة فاستغنى عن التلقي من غيره.

الجاهلية–الأمي: بالجمع بين الكلمتين أشار إلى أن من طرق تحصيل العلم أن يقرأ المرء الكتب بنفسه، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك. والطريقة الأخرى لتحصيل العلم أن يتلقى من أهل العلم، ولم يتوفر ذلك أيضًا له، فإنه كان على عهد الجاهلية، وكان الناس لا يقرأون ولا يكتبون، فعلم أن الله تعالى هو الذي علمه.

التأديب: كان ذا خلق. قالت عائشة رضي الله عنها: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة؛ ولكن يعفو ويصفح». (سنن الترمذي، رقم:٢٠١٦)

سبقت أحاديث وتفاصيل كثيرة في خلقه العظيم في الفصل الثالث.

التاديب في اليتم: معجزة عظيمة؛ لأن اليتيم لا يتلقى التربية الصحيحة غالبا، ولا

يُعنى بتحليته بالأخلاق الحسنة، فيُحرم عامة الخصال الحسنة فضلا عن الأخلاق السامية. وأما هو صلى الله عليه وسلم فرغم يتمه عاش حياة اضطرت الناس إلى وصفه بالأمين الصادق.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».[1]

والنظر في بطولات الصحابة رضي الله عنهما في فصل الجهاد قد يريب بعض الناس أن الإسلام انتشر بالقوة والسيف. فأورد الناظم هذا البيت في نهاية الفصل درءا لهذه الشبهة. وأكد على أن انتشار الإسلام يرجع في الواقع إلى معجزة القرآن والسيرة النبوية. وأما الحرب فكانت آلة آنية، لم يلجأ إليها إلا عند الضرورة القصوى.

انتهى، ولله الحمد أجمع، وبه انتهى الفصل الثامن، ولله الحمد على عونه وتوفيقه.

****

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص٧٣): وسنده ضعيف جدا. وإن اقتصر شيخنا [الحافظ ابن حجر] على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاواه. ولكن معناه صحيح. وزاد العجلوني في كشف الخفاء: ولكن قال في الدرر: صححه أبو الفضل بن ناصر. وقال في اللآلي: معناه صحيح، لكن لم يأت من طريق صحيح. ذكره ابن الجوزي في الأحاديث الواهية، فقال: لا يصح. وأسنده سبطه في مرآة الجنان بطرق كلها تدور على السدي، عن علي بن أبي طالب أنه قال: يا رسول الله، كلنا من العرب فما بالك أفصحنا؟ فقال: «أتاني جبريل بلغة إسماعيل وغيرها من اللغات فعلمني إياها». قال السبط: والسدي اسمه عبد الرحمن، إمام كل فن، وعنه نقل التفسير والقصص وغيرهما. قال: وقد ذكره جدي في زاد المسير وعامة كتبه. وكذا عامة العلماء. ووثقه الترمذي في السنن، وقد تكلم على الحديث الأصمعي وأبو عمرو بن العلاء والأزهري، وصححه أبو الفضل بن ناصر، وجعله من معجزات نبينا، وختم به جدي كتابه المسمى بالمنتخب، وتكلم عليه.(كشف الخفاء ١/٨-٨١)، وينظر لشرح الحديث: فيض القدير للمناوي وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية وكتب السيرة).

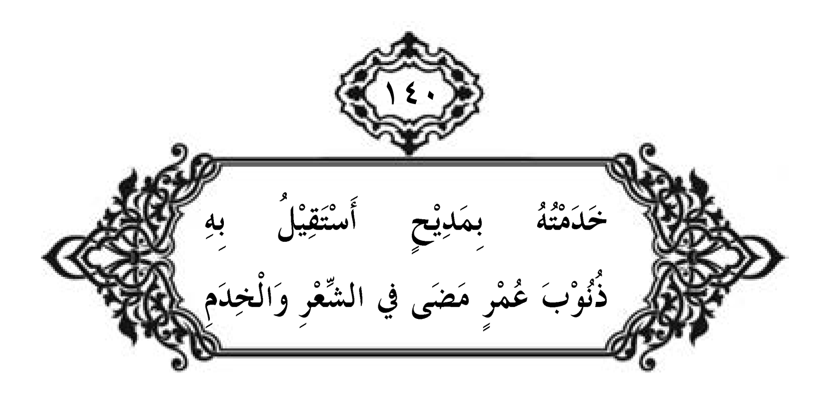
الفصل التاسع

في طلب مغفرة من الله تعالى



وشفاعة من الرسول ﷺ





اللغة:

خدم (ص، ن): قام بحاجته.

مديح: ما يمدح به، القصيدة المدحية.

أستقيل: أطلب العفو. قال: (ن) قولا: نطق.

إقالة: إنهاء مقالة البيع. فإن البيع التي تم قد استوثق بالقول. وإنهاء هذا القول يطلق عليه «الإقالة».

استقال البيع: ١- طلب الإقالة. طلب أن يفسخ القول الذي استوثق. ٢- استقال: طلب العفو عن خطئه، طلب أن يعفي عنه.

ذنب: إثم. ج: ذنوب.

ذنب (ض، ن) ذَنْبًا: تبعه. وسمي المعصية ذنبا، وذيل الحيوان ذنبا؛ لأن وبال المعصية يتبع الإنسانَ كالذنب، اللهم إلا أن يعفو الله عنه. ويتبع آثار الذنب الإنسان في الدنيا والآخرة، كما لو قتل أحد غيره، فإنه معرض للمشكلات في الدنيا والآخرة أيضا.

عُمر: الحياة، مدة العيش. عمَرَ (ن): سكِنَ. وسمي عمر الإنسان به لأنه يعمر الدنيا ما بقي على قيد الحياة. ثم يغادرها أو تعمر الروح البدن في الحياة، ويفنى الجسد بعد الموت. إلا ما شاء الله.

الشعر: شعر: (ن) به شعورا: أحس، وعلم. ومنه الشعور، ويطلق على علم الحواس الخمس الشعورُ، وعلم القلب والدماغ «العلم».(الفروق اللغوية، ص ٣٧٣)

وورد ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ في كثير من المواضع في القرآن الكريم، ومعناه: لا

يشعرون شعور الحيوانات، فإنها تميز بين الخير والشر، وبين ما ينفع وما يضر بالنظر بعينها، فمثلا: يتقي الحيوان الوقوع في البئر، ويقرب إلى الكلإ، وأما الكفار فلا يحملون حتى هذا القدر من الشعور، فيميزوا الضار من النافع.

وإنما سمي الشاعر شاعرا؛ لأنه يحمل شعورا خاصا، ويشعر بما لا يشعر به غيره بالنظر إلى الأشياء، فمثلا يرى عامة الناس الزهر والحديقة والهواء فلا يشعرون بشيء، ويتمتعون ويمضون. أما الشاعر فيرى الهواء فيأتي بأحسن كلام:

لو نِلت يا ريح الصبا يوما إلى أرض الحرم

بلّغ سلامي روضة فيها النبي المحترم

ودخل بعض الشعراء الحديقة ورأى الأزهار فأنشأ يقول:

گلستان میں جاکر ہر اک گل کو دیکھا ۞ یہ تیری سی رنگت یہ تیری سی بو ہے

(دخلت الحديقة، فرأيت فيه كل زهرة، فلونها لونك، وريحها ريحك)

وينهك العشق بعض الناس ويضنيه فلا يوليه الناس كبير اهتمام وعناية، ويقولون: هذا غير بعيد، وأما المتنبئ فيعده شيئا غريبا للغاية، ويقول:

ولو أن ما بي من ضَنى وصبابة ۞ على جمل لم يدخل النار كافر

أي: لو أصيب جمل بما أصبت من الضنى والصبابة، لأصابه الهزال الشديد حتى تمكن من الدخول في سم الخياط، وإذًا لم يدخل كافر النار؛ بل دخل الجنة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ (الأعراف: ٤٠)

أو الشعر بمعنى الشَعرة، أي أن الشاعر يدرك الأشياء الدقيقة الشبيهة بالشعر بدقة تصوره وخياله.

تعريف الشعر:

الشعر: الكلام الموزون على قصد الوزن. فإن جاء على الوزن دون قصد منه لم يكن شعرا.

وكثير من كلام النبي صلى الله عليه وسلم جاء موزونا، ولكن كان من غير قصد، فلا يطلق عليه الشعر. وقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ﴾ (آل عمران: ٩٢)وزنه: فاعلاتن

فاعلاتن فاعلن. وجاء على هذا الوزن تبعا وليس قصدا.

البيت: ما يكون مركبا من مصراعين. فيه شطران: عجز البيت، وصدر البيت. فالمصراع الأول هو صدر البيت، والمصراع الثاني هو عجز البيت.

قصيدة: ما يشتمل على عشرة أبيات أو أكثر.

الخِدم: جمعُ «الخِدمة» الخدمُ. خدَمَ (ض، ن) خِدمة: قام بحاجته.

الإعراب:

خدمته: فعل، وفاعل. (ه) الضمير مفعول. بمديح: موصوف، أستقيل: فعل وفاعل، صفة. به: متعلق بـــ «أستقيل». ذنوب: مضاف. عمر: موصوف. مضى: فعل. (هو) فاعل. في: جار. الشعر: معطوف عليه. والخدم: معطوف مجرور. والجار مع المجرور متعلق بـــ «مضى». الفعل والفاعل والمتعلق صفة. والموصوف مع صفته، مضاف إليه. والمضاف مع المضاف إليه مفعول «أستقيل». والفعل مع الفاعل والمفعول والمتعلق صفة لـــ«مديح». والموصوف مع صفته «أستقيل» مجرور، والجار مع المجرور متعلق بـــ «خدمت».والفعل مع الفاعل والمفعول والمتعلق جملة فعلية خبرية.

أستقيل الخ: يحتمل وجهين:

(١) الجملة برمتها صفة لـــ «مديح».

(٢) الجملة حال من (أنا) فاعل «خدمت»، والمعنى: خدمتك حال ابتغائي بها مغفرة الذنوب.

الشرح:

جاء في تراجم الناظم أنه كان من المقربين إلى السلاطين في أول أمره، وقيل: كان كاتبا أو مستشارا. وبصفته شاعرا عمل القصائد في مدحهم وذم أعدائهم، ومثل ذلك يؤدي إلى ضياع الوقت، والقول بغير الحق، فقال:

خدمت الملوك والوزراء والأغنياء بالقصائد، ونسجت الأشعار وتملقت للدنيا، فأستغفر لما صدر من ذنوبي، وعملت قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يعفى عني، فتكون هذه القصيدة المدحية ماحية لهذه الذنوب، وتكفر عني سيئاتي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (هود: ١١٤)

من أتى ذنبا فليفعل حسنة من جنسه:

في البيت إشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل أو أن العقوبة من جنس العمل. فمن أتى ذنبا فليأت بحسنة من جنسه. ومن الأمثلة عليه:

ورد في الحديث فيمن حلف بغير الله تعالى أن يقول: لا إله إلا الله، و فيمن دعِيَ إلى القمار أن يتصدق؛ لأنه خطر بباله كسب المال عن حرام.

«من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعالَ أقامرك، فليتصدق».(صحيح البخاري، رقم: ٦٦٥٠)

قتل وحشي- قبل أن يسلم- حمزة رضي الله عنه، فقتل بعد إسلامه مسيلمة الكذاب، فتكون هذه الحسنة كفارة لتلك السيئة.

«قلت: لأخرُجنَّ إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة». الحديث.(صحيح البخاري، رقم:٤٠٧٢)

وروي أن معاوية بن الحكم السلمي لطم جاريته، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعتقه، فكأنه ظلمها فَلْيُحسِنْ إليها.

«قال: لكني صككتها صكة. قال: أعتقها؛ فإنها مؤمنة».(صحيح مسلم، رقم:٥٣٧)

فصل الإمام الغزالي الكلام عليه في ثنايا حديثه عن طرق التوبة:

«وأما المعاصي فيجب أن يفتش من أول بلوغه... ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها، فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات... والمتضادات هي المناسبات، فينبغي أن تمحي كل سيئة بحسنة من جنسها». (إحياء علوم الدين ٣٥/٤-٣٦، ومثله في فيض القدير ٥٢٠١، ومرقاة المفاتيح ٢٩٥/٩ باب الرفق)

فأتى الناظم رحمه الله من العبادة وهي القصيدة المدحية، من جنس ما يناسب الفعل الشائن.

أستقيل: ينتهي حكم البيع الأول بالإقالة، وكذلك أود أن تنتهي نتائج وآثار حياتي السابقة.

مدح: الثناء على أحد. وأيسر تعريف للمدح: وصف شيء أو إنسان بخير، حيا أو

ميتا، سواء كان الوصف اختياريا أم لا؟ يقال: مدحت اللؤلؤ على صفاته. وسبق تفصيله، كما سبق بيان الفرق بين المدح والحمد أيضا.

مدح الإنسان في وجهه:

ورد في هذا الباب أحاديث المنع والإباحة، فصل المحدثون الكلام عليها، وأيسر ما نجمع بينها ما يلي: إذا لم يكن بباطل، ولم يؤد إلى باطل جاز.

لم يكن بباطل: فلا يمدح بغير حق، ولا يبالغ فيه، ولا يمدح الظالم.

لم يؤد إلى باطل: لا يورث الكبر والخيلاء، ولا يخشى منه مفاسد أخرى، ومنها أن مدحه يخشى منه حسد الناس إياه، أو يُخشى أن يترك الممدوح الأعمال الصالحة.

وقيل: إنما يمنع إذا اتخذ ذلك وسيلة إلى كسب الدنيا.

أحاديث ظاهرها إباحة المدح في وجه الإنسان:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أهل الجنة مَن ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيرا، وهو يسمع، وأهل النار من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس شرا، وهو يسمع».(سنن ابن ماجه، رقم:٤٢٢٤) أي من أثنوا عليه حقًّا فهو من أهل الجنة.

وأثنت خديجة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: « كلا، والله، ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». (صحيح البخاري، رقم:٣)

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم مناقب كثير من الصحابة في وجوههم:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينا، وأن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».(سنن الترمذي، رقم:٣٧٩١، باب مناقب معاذ بن جبل، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح).

قال نبي الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله:

الحلم والأناة».(صحيح مسلم، رقم: ١٨)

هذا، وللمناقب أبواب برمتها، كما أنشد كثير من الصحابة رضي الله عنهم قصائد في مديح النبي صلى الله عليه وسلم في حضرته.

أحاديث المنع:

عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم يثني على رجل ويطريه في مدحه، فقال: «أهلكتم، أو قطعتم ظهر الرجل». (صحيح البخاري، رقم:٢٦٦٣، باب ما يكره من الإطناب في المدح. وفي الباب روايات أخرى، ينظر: صحيح مسلم، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخيف منه فتنة على الممدوح؛ ومصنف ابن أبي شيبة، باب في الرجل يمدح الرجل).

الجمع:

قال العيني: «فيه جواز مدح الإنسان في وجهه لمصلحة، ولا يعارض قوله: « احثوا في وجوه المداحين التراب؛ لأن هذا فيما يمدح بباطل، أو يؤدي إلى باطل».(عمدة القاري ١٠٨/١. و ينظر: شرح النووي على مسلم، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح؛ فتح الباري١٠/٤٧٦-٤٧٨؛ وفيض القدير ٢٣٧/١).

ماذا يقول إذا سمع مدح نفسه في وجهه؟:

ساق الحافظ ابن حجر أحاديث أخرى كثيرة في التحذير من المدح في وجه الرجل، ثم جمع بينها. وحمل حديث: «احثوا في وجوه المداحين التراب» على خمسة وجوه. ثم ساق في نهاية الباب عن السلف الصالح دعاء يقوله المرء حين يسمع من يمدحه في وجهه.(فتح الباري ١٠/٤٧٦-٤٧٨)

وهذا الدعاء هو: « اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يقولون، واجعلني خيرا مما يظنون».(شعب الإيمان، رقم:٤٥٣٤)

وتفيد بعض الروايات أن أبا بكر كان يقوله. (كنْز العمال ٥٣٠/١٢)

ويقول في نهاية المدح: «أحسبه هكذا، ولا أزكي على الله أحدا».

انتهى بتوفيق الله تعالى.

****



اللغة:

إذ: للتعليل، تعليل لطلب العفو.

قلَّدا: قلَدَ (ض) عطفه، قلد الحبل: (١) فتله. (٢) عطف خيط على آخر.

قلَّد: (١) وضع في عنقه قلادة، (٢) تبعه. وله معاني لازمة كثيرة.

تُخشى: خشيَ (س) خشية: خاف.

عواقب: جمعُ عاقبة.

العقبى: تستعمل في الخير غالبًا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد:٢٤) والعقوبة تطلق على السوء والعقاب. كما في الحديث: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك».(صحيح مسلم،رقم:٤٨٦). والعاقبة تعمهما. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٤)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص: ٨٣)

هَدْي: الهدي: ما يهدى إلى الحرم للذبح. وكانوا يقلدون الهدي في قديم الزمان.

هدى (ض) هِداية: أرشده.

النَّعم: – مفردا– الإبل، وجمعا (الأنعام) يعم الإبل والبقر والغنم. (تاج العروس ٣٣/٥١٠-٥١١)

نعْمَ (س) نَعَمًا ونعمة: من معانيها: التنعم. وسميت الإبل نعما؛ لأنها خير نعمة عند العرب. و لا يطلق «الأنعام» على الحيوان ما لم يكن فيه الإبل. «إنما خصت النعم بالإبل؛ لكونها عندهم أعظم نعمة». (تاج العروس ٣٣/٥١٠)

الإعراب:

إذ: حرف تعليل. قلداني: فعل، ألف: فاعل. النون: للوقاية، ي: مفعول أول. ما: موصولة. تخشى: فعل مبني للمفعول، عواقبه: نائب الفاعل. والجملة صلة. وهي مع الموصول مفعول ثانٍ.

كأنني: حرف مشبه بالفعل. ي: اسمه، بهما: حال، أي: (متصفا) بهما. أي بالشعر والخدمة، ومكبا عليهما. وكنت هديا. (٢) ليس حالا؛ بل متعلق بـــ «شبهت». شبهت نفسي بهما، أي بهدي النعم بسبب الشعر والخِدم. وهذا المعنى الثاني أوضح، وفي اعتباره حالا بالنظر إلى المعنى الأول كلفة. هدي: موصوف، من النعم: متعلق بـــ كائن، محذوفا، صفة له، وهي مع الموصوف خبرا.

الشرح:

إذ قلداني: أستغفر الله وأتوب إليه؛ إذ قد صدرت مني اعتداءات كثيرة إبان الخدمة الملكية والاشتغال بالشعر.

ما تخشى عواقبه: الذنوب التي نهايتها وخيمة.

هدي من النعم: الإبل، الأضحية. يساق إلى المنحر، ولا تدري أنه يُذبح. وكذلك كنت أساق إلى الهلاك بالشعر وخدمة الملوك دون شعور مني. والآن شعرت به، وسهوت من غفلتي، فكافأت ذلك بإنشاد القصيدة المدحية في شأن النبي صلى الله عليه وسلم.

هدي من النعم: فإن قيل: ما قام به الناظم من إنشاد الشعر وخدمة الملوك كان عن قصد وعمد، و لم يكن كرها، فكيف شبه بعمل الحيوان؟

الجواب: شبهه في الغفلة عن العاقبة، كما أن الحيوان يغفل عن عاقبته، كنت كذلك في غفلة. وليس القصد التشبيه في كل جزء. وهذا المعنى واضح. وذهب بعض الشراح إلى أن وجه الشبه:

«كما أن الهدي يعرفه كل واحد للقلادة في عنقه، ولا يتعرض له الناس، كنت كذلك فلا يراني أحد إلا عرف حالتي السيئة وكسبت يداي من الذنوب إبان إنشاد الشعر والخدمة».

قلدابي:

معنى تقليد الأئمة:

إيراد: «المقلد» فيه تشبيه بالحيوان، والذي يضع القلادة في عنقه هو متقلد، لا مقلد؟

الجواب: (١) التشبيه بالعزيز من الحيوان تشبيه طيب، فإن هذه القلادة إذا وضع في عنق الإنسان كان قلادة، وإذا وضعت في عنق الحيوان سميت ربقة. وبما أن المقلد يضع في عنق إمامه الذي يتبعه قلادة من حبه واعتقاده، فأطلق عليه «المقلد»، أو أن المقلد بمعنى المتقلد. نحو: «من وجهك الجميل لقد نور القمر» فنور بمعنى تنور. ويضع المرء قلادة اتباعه في عنق الإمام.

(٢) تفيد القواميس اللغوية أن هذه الكلمة ليست مختصة بالحيوان؛ بل يطلق على الإنسان أيضا، و وردت هذه الكلمة في حق الإنسان في الأحاديث النبوية، وما أكثر الأحاديث المماثلة، منها:

«فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس لأبي طلحة عُرْي، وهو متقلد سيفه».(صحيح البخاري، رقم:٣٠٤٠)

قلَّدَ: له معانٍ كثيرة جدا، ولا يقتصر على وضع القلادة، بل يطلق على الاتباع أيضًا.

تعريف التقليد اصطلاحا:

له تعريفات عدة، أيسرها:

(١) اتباع الغير في القول أو العمل من غير مطالبة الدليل.

(٢) اتباع إمام من الأئمة في فهم الحكم من الدليل.

التقليد على نوعين:

(١) محمود، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (النساء: ٥٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٤٣)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (لقمان: ١٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ

وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾ (التوبة: ١٢٢)

(٢) مذموم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ (لقمان: ٢١)

ثم التقليد على نوعين آخرين:

(١) تقليد عام: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (لقمان: ١٥)

(٢) تقليد خاص، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر». (سنن الترمذي، رقم:٣٦٦٢)

من الأمثلة على التقليد الخاص:

١- قال أهل المدينة: لا نأخذ بقول أحد إلا زيد بن ثابت:

عن عكرمة: «أن أهل المدينة سألوا ابن عباس رضي الله عنهما، عن امرأة طافت ثم حاضت، قال لهم: تنفر. قالوا: لا نأخذ بقولك، وندع قول زيد».(صحيح البخاري، رقم:١٧٥٨)

و لم يقل ابن عباس لهم على ذلك: قد أذنبتم بحصر التقليد في زيد بن ثابت.

٢- أجاب أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن مسألة من مسائل الفرائض، ثم قال للسائل: سَل ابن مسعود. وخالفت فتوى ابن مسعود فتوى أبي موسي الأشعري، فقال ابن مسعود: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم».(صحيح البخاري، رقم:٧٦٣٦)

وفي رواية: «لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر بين أظهركم». (السنن الكبرى للنسائي، رقم:٦٢٩٥)

ويرجع لمزيد من الأمثلة على ذلك إلى «**تقليد کی شرعی حیثیت**» (التقليد في الشريعة الإسلامية).

تقسيم للتقليد: ١- تقليد شخصي. ٢- تقليد غير شخصي.

تقسيم آخر للتقليد:

(١) تقليد في أصول الحديث: الأخذ بأقوال الأئمة في تراجم الرواة وتحديد مكانة الحديث، مما يتفق عليه الناس جميعًا، ثم ما أعجب أن يجعلوا النوع الثاني من التقليد شركًا.

(٢) تقليد في فروع الدين: العمل بشرح الأئمة لأحكام الدين.

هذه إشارات، والتفاصيل في الكتب المؤلفة حول التقليد، فيرجع إليها.

بعض المؤلفات حول التقليد:

(١) سبيل الرشاد للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي رحمه الله تعالى.

(٢) إيضاح الأدلة لشيخ الهند الشيخ محمود حسن الديوبندي رحمه الله تعالى.

(٣) الأدلة الكاملة لشيخ الهند الشيخ محمود حسن الديوبندي رحمه الله تعالى.

(٤) خير التنقيد في إثبات التقليد للشيخ خير محمد الجالندهري رحمه الله تعالى.

(٥) تحقيق مسألة التقليد للشيخ محمد أمين صفدر أكاروي رحمه الله تعالى.

(٦) الكلام المفيد في إثبات التقليد للشيخ سرفراز صفدر رحمه الله تعالى.

(٧) تقليد كي ضرورت –الحاجة إلى التقليد- للشيخ المفتي عبد الرحيم اللاجبوري رحمه الله تعالى.

(٨) تقليد كي شرعي حيثيت – التقليد في الشريعة- للمفتي محمد تقي العثماني حفظه الله تعالى.

(٩) خلاصة التحقيق في حكم التقليد والتلفيق للعلامة عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى.

(١٠) الاقتصاد في التقليد والاجتهاد لحكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله تعالى.

(١١) اجتهاد وتقليد (أمالي حكيم الأمة أشرف علي التهانوي) ترتيب: الشيخ محمد زيد المظاهري، في ضوء عدد من كتب حكيم الأمة.

(١٢) قواعد في علوم الفقه للشيخ حبيب أحمد الكيرانوي رحمه الله تعالى.

عمل الشيخ ظفرأحمد العثماني مقدمة في الحديث لكتابه إعلاء السنن، طبع باسم «قواعد في علوم الحديث» بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وعمل الشيخ حبيب أحمد الكيرانوي مقدمة للمباحث الفقهية.

جاءت تسميته في الطبعات القديمة «إنهاء السكن»، فكانت مقدمة الحديث هي المجلد الأول، ومقدمة الفقه هي المجلد الثاني منه. ثم طبعت المقدمتان مع إعلاء السنن، فكان المجلد الأول والمجلد الثاني منه. ثم ألحقت هذه المقدمات بآخر الكتاب في الطبعة الجديدة

لإعلاء السنن مع تعليقات الشيخ المفتي محمد تقي، قام بطباعته إدارة القرآن الكريم.

وفي هذا الكتاب رسالة مفردة باسم رسالة مستقلة في الاجتهاد والتقليد تحت «الفائدة الثانية»،من ص: ٨ -٩٩ مفصلة محققة. رد فيه الشيخ اعتراضات العلامة ابن القيم على التقليد واحدا بعد واحد وبصورة مفصلة مقنعة.

(١٣) حجة الله البالغة، فيه بحث حول الموضوع.

(١٤) الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف للشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالى، في نهايته بحث حول التقليد.

(١٥) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، للشاه ولي الله الدهلوي، نقله إلى الأردية الشيخ محمد أحسن النانوتوي.

(١٦) كلمة الفصل للشيخ عبد الحيي الكفليتوي، خطيب جامع رنغون.

(١٧) الاجتهاد والتقليد لحكيم الإسلام الشيخ المقرئ محمد طيب رحمه الله تعالى، بحث عقلي وفكري لمبحث التقليد، وكشف للشبهات العقلية فيه.

(١٨) ***تقليد ائمہ اور مقام ابو حنیفہ*** -تقليد الأئمة ومكانة أبي حنيفة- للشيخ إسماعيل السنبهلي.

(١٩) نشرت جامعتنا: جامعة دارالعلوم زكريا رسالة باسم التقليد الشخصي باللغة الإنجليزية.

البلاغة:

قلداني: نسب إلى السبب، فهو مجاز مرسل.

في البيت تشبيه تمثيل، شبهت الهيئة بالهيئة، شبه الناظم نفسه بالحيوان المساق إلى المنحر، وهو غافل عن عاقبته.

وشبه القلادة بالآثام. الآثام والذنوب: مشبه. القلادة: مشبه به. ذكر المشبه به فالاستعارة تصريحية. واشتق من القلادة: «قلد»، فهي استعارة تبعية.

انتهى بعون الله تعالى وتوفيقه.

****



اللغة:

غَيّ: غَوَى: (ض) يغوي غيا وغَواية: أوغل في الضلال، أغوى: أضله.

الغي: الضلال الشديد. قَالَ تَعَالَى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦)

غاوٍ: اسم فاعل، ج: غاوون، وغواة. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ (الشعراء:٢٢٤)

قال أبو نواس:

ولقد نهضتُ مع الغواة بدلوهم ۞ وأسمتُ سرحَ اللحظ حيث أساموا

أي: صحبت الغواة، فأدليت دلوي حيث أدلوا دلاء ذنوبهم، وسرحت أنعام نظري حيث سرحوا.

فالغواة جمعُ غاوٍ. ونعم ما قال فيما بعد:

وبلغتُ ما بلغ امرؤ بشبابه ۞ فإذا عصارة كل ذاك آثام

المشهور أنه شعر أبي نواس. (طبقات الشعراء لابن المعتز ٢١٢/١؛ أخبار أبي نواس؛ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١٦٤/٢؛ البلاغة الواضحة، ص ١٦٠، أضرب الخبر)

الصِّبا: صبا(ن) صَبوًا وصبوة: مال إلى الصبا أو اللعب.

صبا إليه: اشتاق إليه، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (يوسف: ٣٣)

صبا (ن) من معانيه: الميل إلى الدنيا. (تاج العروس١٨٥/٣)

الصبا: (١) الصغر، والحداثة. (٢) الشوق والميل.

الحالتين:

الحالة: الكيفية، والحال، والموقف، والوضع.

حال (ن) حولا: (١) مضت السنة. (٢) تغير. والمناسبة بين المعنيين أن الوضع يتغير مع مرور الوقت والسنة.

حَوِل (س) صار أحول. هو أحول وهي حولاء. كأنه ينظر إلينا ونحن نظن ذلك، وليس الأمر في الواقع كذلك.

الآثام: جمعُ الإثم. أثِمَ (س) أَثَمًا وإثمًا وأثاما: أذنب.

أَثَم: (ض، ن) عاقبه، وأدانه.

الفرق بين المعصية والإثم:

يقول الشيخ محمد أنور شاه الكشميري رحمه الله تعالى: «وفي اللغة: الذنوب: العيوب والخطايا: ما ليس بصواب. والمعصية: العصيان. السيئة: السوء. فالمعاصي في أعلى مراتب الإثم، ودونها السيئات، ودونها الخطايا ودونها الذنوب».(راجع: فيض الباري ٩٦/١؛ معارف السنن ٣٧/١)

الندم: التحسر. ندِمَ (س) نَدْمًا: تحسر، وأسف.

الإعراب:

أطعت: فعل وفاعل. غي الصبا: مفعول. في الحالتين: جار ومجرور متعلق بـ«أطعت». و: حرف عطف. ما: نافية.

حصلت: فعل وفاعل. إلا: أداة استثناء. والاستثناء مفرغ. والمستثنى منه «على شيء» محذوف، متعلق بـ«حصلت». على: جار. الآثام: معطوف عليه. والندم: معطوف. جار ومجرور مستثنى، و المستثنى منه مع المستثنى متعلق بـ «حصلت». والفعل مع الفاعل والمتعلق جملة فعلية. والجملة معطوف على «أطعت».

الشرح:

والمعنى واضح. أي علمت علمين: إنشاد الشعر، وخدمة الملوك. ونلت بهما مذلتين: الإثم، والندم. و لم أجلب بهما نفعا. وأما ما نلت من قليل الدنيا، قد خسرت أكثر منه.

فلا اعتداد بهذا المال.

قيل: فيه لف ونشر مرتب. الآثام متعلق بالشعر، والندم متعلق بالخدم. أي حصلت الذلة بالشعر.

غي الصبا:

(١) خسرت لأجل الانهماك في أهواء النفس.

(٢) عمل في نشوة الصبا والحداثة أعمالا جلبت إثما وندامة.

الندم: المراد به: ما يترتب عليه الندم. يقصد الناظم رحمه الله تعالى أني عملت بالانصراف إلى هذه الخدمات أعمالا انتهت إلى الندم والتحسر، لِمَ عصيت الله تعالى لأجل هؤلاء الملوك ؟!

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

خسارة: خسِرَ (س) التاجر خَسْرًا وخَسارا وخُسرانا: بارت تجارته ونقص المال فيها.

تجارتها: تَجَرَ (ن) تَجْرًا وتِجارة: بايع، واتجر. التجارة: طلب الربح بالبيع والشراء.

تشترِ أي: لم تختر و لم تستبدل.

اشترى: أخذه.

شرى (ض) شِرًى (١) باع. ويطلق عليه عموما. (٢) ابتاع. قَالَ تَعَالَى:﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ (يوسف: ٢٠)، وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ٢٠٧)

وحقق الباجي أن النبي صلى الله عليه وسلم صار كاتبا في أخرياته. وعارضه علماء الأندلس حتى وصل الأمر إلى الملك، فطلبه وسأله عنه، فقال: لم أقصد ما حمل عليه العلماء كلامي، وإنما قصدت أن أمية النبي صلى الله عليه وسلم معجزة، ثم إن كونه كاتبا فجأة أيضا معجزة، فإنه صار كاتبا من غير التلقي من أحد. فأقول بمعجزتين للنبي صلى الله عليه وسلم. وهي مسألة اجتهادية لا معنى للكفر فيها.

وعلى كل، قال أحد علماء العصر شعرا فيه:

برئت ممن شرى دنيا بآخرة ۞ وقال: إن رسول الله قد كتبا

فقوله: شرى: بمعنى اشترى.

وقول القاضي عياض وبعض من وافقه فيه من أن النبي صلى الله عليه وسلم صار

يكتب في آخر عمره، ومذهب الجمهور، وتفاصيل أدلة الطرفين، والجمع بينها، والإيرادات والأجوبة عنها وغير ذلك، مسألة طويلة الذيل. ولتحقيق المسألة يرجع إلى المصادر التالية:

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ٨/١٢٢-١٢٤.
(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ١/٣٨٠-٣٨١.
(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/٢٤٧-٢٤٨.
(٤) سير أعلام النبلاء ١٨/٥٤٠-٥٤١.
(٥) سراج المريدين للقاضي أبي بكر ابن العربي.
(٦) فتح الباري ٧/٥٠٣-٥٠٤.
(٧) فيض القدير ٤/٣٣٦.
(٨) إمتاع الأسماع للمقريزي ١٣/١٠٥-١٠٧.
(٩) شرح الزرقاني على المواهب، صلح الحديبية.
(١٠) التراتيب الإدارية، نظام الحكومة النبوية للعلامة عبد الحيي الكتاني ١/١٦٨-١٧٠.

وتفاقم الأمر حتى ألف الباجي في إيضاح مذهبه وتأييده كتابا سماه: «تحقيق المذهب». وطبع الكتاب بتحقيق أحد علماء العرب من دار عالم الكتب، الرياض. وفي نهايته تقريظات كثيرة لمن وافقه ولمن خالفه.

لم تَسُمِ: أي: لم تقصد.

سام (ن) سَومًا: فاوضه في البيع. والإتيان بمقدمات البيع. وفي الحديث: «لا يسُم المسلم على سوم أخيه، ولايخطب على خِطبة أخيه».(صحيح مسلم، رقم:١٤١٣)

قالت عائشة رضي الله عنها:

فلو علموا في مصر أوصاف خده ۞ لما بذلوا في سوم يوسف من نقد

(شرح الزرقاني على المواهب، ذكر أزوجه الطاهرات؛ تاريخ الخميس١/٢٨٥)

الإعراب:

فيا: بمعنى: أدعو: فعل وفاعل. خسارة: مضاف، نفسي: مضاف، والمضاف مع

المضاف إليه ذو الحال، في تجارتها: جار ومجرور متعلق بـــ«خسارة».

لم: حرف نفي: تشتر: فعل وفاعل. الدين: مفعول. بالدنيا: متعلق بـــ «تشتر». والجملة معطوف عليها. و لم تسم: معطوف. وهو مع المعطوف عليه حال من نفسي. والحال مع صاحبها مضاف إليه، لـــ «خسارة». والمضاف مع المضاف إليه مفعول. والفعل و الفاعل والمفول جملة ندائية، أو جواب النداء لـــ « لم تشتر الدين». وهو ظاهر.

اختلاف النسخ:

في البيت روايتان:

(١) في أكثر النسخ: خسارة نفس: بدون ياء النسبة. (٢) في بعض النسخ: نفسي بياء النسبة.

(١) وإعرابه على رواية «نفس»: نفس: موصوف، لم تشتر: ...الجملة صفة، والموصوف مع صفته مضاف إليه، والمضاف إليه مع المضاف مفعول. (٢) على رواية: «نفسي» لم تشتر...الخ الجملة حالية، أو جواب النداء.

الشرح:

فيا خسارة نفسي:

(١) يخاطب الحسرة والعجب، والشيء العظيم، وكذلك هنا خوطبت الخسارة مجازا: يا خسارتي، ويا ضياعي،احضر، فهذا أوانك.

(٢) ليس المقصود الخطاب؛ بل التعبير عن الأسف، أي: ما أشد أسفا على أني خسرت كثيرا في تجارتي.

ومعنى البيت: ضحيت بالدين لأجل الدنيا، وبئس ما فعلت. أي قصصت على الملوك الغث والسمين، وامتثلت أمرهم ،وتملقتهم، وهذا خطأ. والصحيح أن يضحي المرء بالدنيا لأجل الدين حين الحاجة إليه.

وهنا كلمتان: المداراة والمداهنة. والفرق بينهما:

(١) بذل الدنيا لأجل الدين: هذا مداراة. كما تقدم جماعة الدعوة والتبليغ العطور أو غيرها من الهدايا، ثم يطلبون منك الخروج. وبذل الدين لأجل الدينا يطلق عليه

المداهنة.

(٢) المداهنة: الرضا بفسق الفاسق. ومحاولة إخراجه من الفسق هو المداراة. وسبق تفصيله.

لم تشتر الدين: المراد به الدين الكامل الذي هو عماد النجاة. أي لم أنل الدرجة المطلوبة من الدين.

سبق تعريف الدنيا. ومن تعاريفها: دنياك ما شغلك عن مولاك.

خسارة نفسي في تجارتها: عِلِم منه أنه ما أسوأ أن يعرض المرء عن الدين والطاعة بالإكباب على الأهواء والشهوات في الدنيا. وهذا يشبه الخسارة في التجارة، إذ خسر التجارة بما كسبت يده من السوء، وهي خسارة أية خسارة. وعلى هذا لاخفاء في معنى البيع والشراء. وفيه عبرة وموعظة هي أن يعد لآخرته بإتيان الطاعات والحسنات أكثر فأكثر كما أن التاجر الناجح يبذل أقصى جهده في البيع والشراء،ويكسب الربح أكثر فأكثر.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

يَبِعْ: أي يستبدل. المراد به المعنى المجازي، يترك الآجل ويأخذ العاجل، واختيار الآجل (الآخرة) بالعاجل (الدنيا) أطلق عليه البيع.

والبيع من الأضداد: يدل على الشراء والبيع. واستعماله في معنى البيع أكثر. كما يأتي الشراء للمعنيين: البيع والشراء.

باع (ض) بيعا مبيعا: أعطاه بثمن.

آجلا: ما يأتي مؤخرا، وهو الآخرة. أجِلَ (س) أجلا: تأخر.

الآجل: الآتي لاحقا، ويطلق على الآخرة والحياة الأخروية؛ لأن الآخرة بعد الدنيا.

عاجله: العاجل: ما يكون معجلا، وهو الدنيا. عجِلَ (س) عَجَلا وعَجلة: بادر.

العاجل: الآني، والمتبادر. ضد الآجل. ويطلق على الدنيا، لأنها موجودة حالا، أو لأنها تزول سريعا، فيطلق عليها: العاجلة.

بين: بان (ض) بيانا: وضح، وبرز.

الغبن: الضرر الكامل الزائد زيادة فاحشة.

غبنَ: (ن) غبنًا الرجل: مَرّ به وَهُوَ قَائِم فَلم يره وَلم يفْطن لَه. وفيه معنى الخداع.

غبن (ن) غبنًا:خدعه في البيع. غبن (س) غبنا: نسيه وأخطأ فيه.

سلم: سلم: من معانيه: بيع السلم. وللبيع تقسيمات كثيرة، منها تقسيمه بالنظر إلى كون الثمن مؤجلا أو معجلا.

البيع المعجل: كون المبيع والثمن كليهما عاجلا.

البيع المؤجل: كون المبيع معجلا، والثمن مؤجلا.

بيع السلم: تعجيل الثمن وتأجيل المبيع.

بيع الدين بالدين/ بيع الكالئ بالكالئ: تأجيل الثمن والمبيع كليهما.وهذا لا يجوز.

الإعراب:

ومَن: الواو للاستنياف. من: مبتدأ، اسم شرط. يبع: فعل وفاعل. آجلا: مفعول به. منه: جار ومجرور متعلقان بـــ«كائن». بعاجله: الجار مع مجروره متعلق بـــ«يبع». الفعل مع الفاعل والمفعول شرط.

يبن: فعل. له: متعلق بـــ «يبن». الغبن: فاعل. في بيع: معطوف عليه. وفي سلم: معطوف. ومتعلق بـــ «يبن». والفعل مع الفاعل والمتعلق جزاء الشرط. والشرط والجزاء خبر «من». والمبتدأ والخبر جملة اسمية شرطية.

آجلا منه: على أي شيء يعود الضمير؟

(١) منه: أي من الدين. في قوله في البيت السابق: لم تشتر الدين.

(٢) والأيسر أن المراد بـــ«منه» من البائع. فالضمير يعود على «من».

بعاجله: الضمير يعود على «من»، له: أي للبائع.

الشرح:

المعنى واضح، وهو أن الذي يبيع الدين بالدنيا سرعان ما يرى خسارته. فالنفع الدينوي عارض وطارئ، ونفع الآخرة دائم وخالد. فمن أخذ النفع العارض بالشيء الدائم المستقل، خسر خسرانا مبينا في بيعه، وسفه نفسه.

في بيع وفي سلم:

فيه إيراد ظاهر وهو أنك قلت: السلم: بيع آجل بعاجل. فإذا أخذ الرجل الآجل (الآخرة) بالعاجل (الدنيا)، فقد أحسن؛ فإنه ممن آثروا ما يبقى على ما يفنى. فكيف خسرت تجارته ورأى ضرره؟

الجواب: ١- يبِن له الغبن في اختيار بيع الدِّين بالدنيا وفي ترك سلم، فحذف المضاف والدليل عليه قوله: «بيع». أي كان عليه أن يؤتي العاجل (الدنيا) ويأخذ الآجل

أي الآخرة. ولكنه لم يفعل ذلك.

٢- في بيع الدنيا وفي سلم: أي لم أسلِم في البيع إلا قليلا، وكان علي أن أُكثرّ منه، فقد اكتفيتُ بالفرائض، وكان علي أن أصلي النوافل والتهجد وغيرها، وبما أن مبيعي ومطلوبي هي الجنة، فكان علي أن أدفع ثمنا (العبادات والطاعات) أكثر.

والفرق بين المعنيين: أنه لم يُسلم في المعنى الأول، فيتحسر على عدم إسلامه في البيع، وأما المعنى الثاني فإنه أسلم في البيع، فيتحسر على أنه لم يكثر منه.

السلم سائد، يكثر الناس من السلم؛ بل بعض التجار يدفعون الثمن أولا، ويقولون: أعطني مئة ريند وأعطيك مئة كيلو من الحنطة بعد شهر. وهذا رخيص جدا. وإنما يسلمون لأن الربح دائما يكون لرب السلم، وأما المسلم إليه فيخسر؛ إذ حصل على الثمن القليل.

في بيع وفي سلم: البيع يخالف السلم، أو عطف تفسيري، كما في قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ (الحجر: ١)

فإن اختلفا فالفرق بين البيع والسلم ما يلي:

الدنيا والنفس مبيعان. والجنة هي الثمن. أي هلا عقدنا هذا البيع، فبعنا أنفسنا بالجنة. وهلا عملنا بقوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ (التوبة: ١١١)، أو يتحسرون على أنهم عقدوا هذا البيع ولكن قليلا جدا. وكان عليهم أن يكثروا منه.

وإن كان الأمر على العكس، أي كانت الدنيا ثمنا معجلا، ونعم الآخرة مبيعا، فهو سلم، فيتحسرون على أنهم أخذوا الدنيا بالآخرة، وهي تجارة خاسرة. وكان عليهم أن يأخذوا نعم الآخرة بالدنيا. أو يتحسرون على أنهم أسلموا ولكن قليلا جدا، وكان عليهم أن يدفعوا الثمن (الطاعة والعبادة) أكثر فأكثر لأجل المبيع (نعم الآخرة). ولكنهم لم يقموا به إلا قليلا.

وأما ما قاله الشراح فهو كما يلي: هذا العطف تفسيري، والمراد بالبيع: بيع السلم. أي: يبن له الغبن في البيع الذي هو السلم. وذلك لأن البيت ذكر أخذ الآجل (الآخرة) بالعاجل (الدنيا)، وهو السلم، ولم يذكر نوعا آخر من البيع. أي دفع المسلم

الآجل(الآخرة) وأخذ العاجل (الدنيا).فهذا هو السلم الخاسر. أي: من يعطي الآخرة ويأخذ الدنيا يتبين له الخسران في هذا السلم.

فإن كان المراد بـــ«من» رب السلم، قدر قبل السلم: «ترك السلم» أو «تقليل السلم». وإن كان المراد به «المسلم إليه»، استغنينا عن التقدير؛ لأن المسلم إليه يأخذ العاجل، ويدفع الآجل. وفيه خسارة في الغالب.

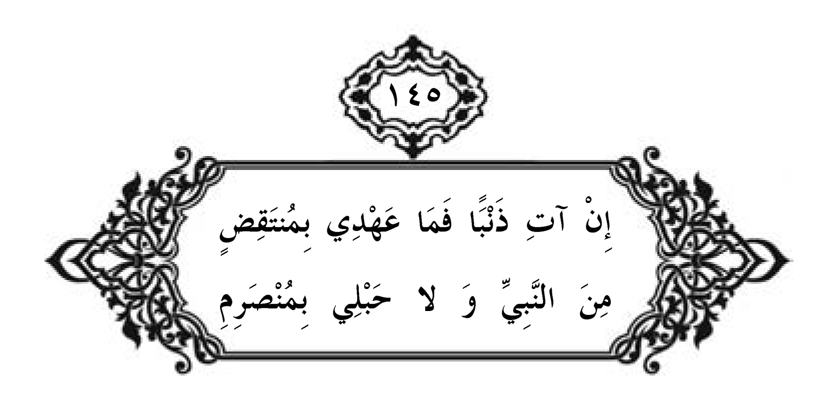
وهذا المعنى هو الظاهر بدليل «ومن يبع» لأن بائع المؤجل يأخذ المعجل، وهو المسلم إليه.

تنبيه:

في بعض النسخ على العكس من ذلك: من بيع عاجلا منه بآجل. وثواب الآخرة محقق ومقطوع به فأطلق عليه «العاجل»، ونيل مال الدنيا مظنون غير مقطوع به، فأطلق عليه «الآجل». يقول المثل العربي: «بُرَّة عاجلة خير من دُرَّة آجلة». أي المقطوع به خير من غيره.

انتهى، ولله الحمد.

****



اللغة:

عهدي: عهِدَ (س) عَهدا: وكل إليه أمرا، أوصا به، وله معانٍ كثيرة، وإطلاقات عدة.

العَهْد: (١) العلم. (٢) الوصية والمسؤولية. (٣) الزمان. (٤) القسم. (٥) الميثاق. (٦) الوجود، ومنه الوجود الذهني والوجود الخارجي. (٧) الأمان والضمان. وهو المراد في البيت. وله معانٍ أخرى كثيرة.

حبلي: حبَل (ن) فتل الحبل.

الحبل. (١) مَا فتل من لِيف وَنَحْوه (٢) الذمة والعهد والقرابة. (٣) العلاقة، ونحوها، وهو المراد في البيت.

منصرم: انصرم: (١) انقطع (٢) مضى الليل. صرَمَ (ض) صرما: قطع.

الصرم: الجلد، والإهاب. معرب «جرم» الفارسية بمعنى الجلد، صار بعد التعريب «صرما». ويستخدم الجلد ويتخذ منه الأشياء بعد القطع غالبا، فأطلق عليه القطع «الصرم».

الإعراب:

إن: حرف شرط. آتٍ: فعل وفاعل. ذنبا: مفعول به. الفعل مع الفاعل والمفعول به شرط. فما: فاء الجزاء، ما: نافية مشابهة بليس. عهدي: اسم. بمنتقص: الباء زائدة. منتقص خبر. و«ما» مع اسمها وخبرها جملة معطوف عليها.

من النبي: جار ومجرور متعلقان بـــ«منتقص». لا: مشابهة لـــ ليس. حبلي: اسم

بمنصرم: الباء زائدة. ومنصرم: خبرها. وهي مع اسمها وخبرها جملة اسمية، والمعطوف مع المعطوف عليها جزاء الشرط، وهي جملة فعلية.

من النبي: (١) متعلق بـــ «منتقص». (٢) متعلق بـــ عهدي. أي: عهدي من النبي غير منتقص.

إن آتِ: شرط حذفَ جزاؤه. وما عهدي: سبب الجزاء أو علته. وليس هو الجزاء، والتقدير: إن آتِ ذنبا فلا ينقطع رجائي، أو: فلا أحزن؛ لأن عهدي غير منتقص.

ولو جعلنا قوله: «ما عهدي» هو الجزاء مباشرة، لاختل المعنى. فإن إتيان الذنب لا يترتب عليه عدم انتقاض العهد؛ بل يترتب عليه انتقاض العهد. ولا يخفى ترتب «لا ينقطع رجائي».

الشرح:

إن آتِ ذنبا: أي: رغم أني قضيت معظم حياتي في الخطيئات، لست قانطا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (الزمر: ٥٣) ويرجع رجائي هذا إلى أن صلتي بالنبي صلى الله عليه وسلم لم تنفصم.

فما عهدي بمنتقض: يطلق العهد في الغالب على ما كان من الجانبين، من الوعد، والاتفاقية.

المراد بالعهد هنا:

(١) الإيمان، التزام التوحيد والعقيدة، أي الإيمان قائم. وفي الحديث: «إن الله قد حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله». (صحيح البخاري، رقم:١١٨٦)

وفي حديث آخر: «من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة».(صحيح البخاري، رقم: ٢٣٨٨)

(٢) المراد به العهد الذي أخذ في عالم الأرواح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ (الأعراف: ١٧٢)، ويصعب حمله على ذلك؛ فإنه أخذ من الكافر والمسلم جميعا.

(٢) المراد به أن اسمي يوافق اسم الرسول صلى الله عليه وسلم وهو محمد. أي

عهدي بالرسول صلى الله عليه وسلم قائم للتوافق في الاسم.

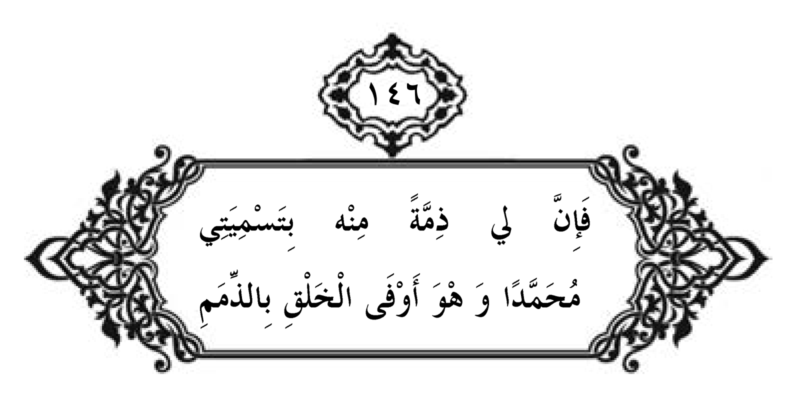
قال بعض الشراح: هو الراجح؛ لأن الناظم شرح هذا العهد في البيت التالي، ولا يصح حمله على الإيمان.

ولا حبلي بمنصرم: أي: الوسيلة التي بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منقطعة. فهو رسولنا، ونحن المرسل إليهم، وأمته. فنحن مؤمنون، وهو مؤمَنٌ به. وهذه العلاقة قائمة بالرسول صلى الله عليه وسلم، ولا تنقطع بسبب الآثام.

والمراد بــ«حبلي» هو التوافق في الاسم مع النبي صلى الله عليه وسلم. فكان «عهدي» و«حبلي» بمعنى واحد.

انتهى بتوفيق الله وعونه.

****



اللغة:

الذمة: (١) العهد، والميثاق، والأمان، والحفظ، والضمان. في الحديث: «وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم».(صحيح البخاري، رقم:٣١٧٩) أي يجوز لأدنى المسلمين أن يجير الكافر.

وسمي العهد والميثاق «ذمة»؛ لأن نقض العهد مذموم للغاية،كما أن نقض الأمان مذموم أيضا؛ لأن نقضه مذمة. ج: ذِمَمٌ. (٢) القرض. (٣) العز والحرمة ونحوهما.

ذَمَّ (ن) ذما ومذمة: عابه، ولامه. ذمَّ (ض) ذميما: سال مخاطه.

تسميتي: سمى يسمي تسمية: (١) وضع له الاسم. (٢) وضعه عنوانا أو علامة.

سما (ن) سموًّا وسماء: ارتفع. وهو في قول: مشتق من السمو، والارتفاع فيه بأن الفعل والحرف لا يستغنيان عن الاسم، وأما الاسم فيستغني عن الفعل والحرف. نحو: زيد عالم. فلا يحتاج الإسم إلى شيء منهما، فهو عالٍ ومرتفع.

أوفى: اسم تفضيل من «وَفَى». وفى (ض) وفاءا ووفيًا: تمَّ، وأتمَّه.

أوفى يوفي إيفاء: أتمه وعده، وأعطاه حقه كاملا. وله معانٍ أخرى كثيرة.

و«أوفى» في البيت اسم تفضيل من«وفى». والمعنى: أكثر الناس وفاء، ومراعاة وأداء للحق.

الذِمَم: جمعُ ذِمة. بمعنى: عهود.

الإعراب:

فإن: الفاء تفريعية أو فصيحة. إن: حرف مشبه بالفعل. لي: متعلق بـــ «ثابتة» وهو

خبر مقدم. ذمة (ثابتة) منه. الموصوف مع صفته اسم. بتسميتي: البار حرف جر. تسميتي: مصدر مضاف. ي: مفعول أول، محمدا: مفعول ثانٍ. (والفاعل محذوف، تقديره: بتسمية والدي إياي محمدا) والمصدر مع مفعوليه مجرور والجار مع المجرور متعلق بـــ ثابتة. و «إن» مع اسمها وخبرها جملة اسمية خبرية.

وهو: الواو حالية، هو: مبتدأ. أوفى الخلق: خبر. بالذمم: متعلق بـــ أوفى.

إن لي ذمة... محمدا: على وجهين من الإعراب:

ما سبق آنفا، وحاصله: إن لي ذمة ثابتة منه بسبب تسمية والدي إياي محمدا. والقصد أن لي عهدا كما لا يخفى عليكم، وذكر هنا أن هذا العهد بسبب تسميتي محمدا. ويحتمل وجها آخر من الإعراب، لا يخفى على المتأمل فيه.

والمعنى: ما لي أحزن؟ وقد نلت من محمد صلى الله عليه وسلم عهدا بسبب تسميتي بهذا الاسم، قال الشاعر الأردي:

اس دور کے رندوں کو گنہگار نہ سمجھو ۞ یہ بھی کسی رحمت کا پتا پائے ہوئے ہیں

جن کو بھی گلستاں کی ہوا راس نہ آئی ۞ شاید کسی دامن کی ہوا کھائے ہوئے ہیں

(لا تظن عصاة هذا الدهر آثمين... فإنهم قد اهتدوا إلى رحمة.

كل من اجتوى الحديقة، فلعله أصابته نفحة من أحد العظماء)

الشرح:

أي ببركة تسميتي محمد ينجيني الله تعالى. وذلك لأن الأحاديث وعدت بالجنة كل من كان اسمه محمدا (كما يقول البوصيري)، وحيث إنه صلى الله عليه وسلم وعد بذلك، فلابد أن هذا الوعد سيوفى، ويدخلني الله تعالى الجنة.

المراد بالذمة: تاشيرة الجنة، والإقامة فيها، والصون من العذاب، وحصول الملجإ، ووفاء الوعد، يحتمل ذلك كله.

المراد بقوله: «منه»: (١) الوعد من الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث. (٢)وعد من الله تعالى؛ لأن ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، من عند الله تعالى.

البيت يشير إلى الأحاديث التي ورد في بالتسمية بمحمد في الكتب والمصادر.

بعض الأحاديث الخاصة بالتسمية بمحمد:

(١) من سمى ولده محمدا، كان هو وولده في الجنة.

(٢) عهدي لمن سمي بمحمد أنه لا يُعَذَّب.

(٣) يُدخل رجلان الجنة، فيقولان: ما عملنا عملا، فيقول الله تعالى لهم: أوجبت على نفسي ألا يدخل النار من كان اسمه محمدا أو أحمد.

(٤) من أتى أهله ونوى أنه يسميه محمد إن ولد له ابن، رزقه الله تعالى ابنا.

(٥) لا يدخل الفقر مكانا فيه من اسمه محمد.

(٦) لا خير في مشورة ليس فيه أحد اسمه محمد.

(٧) يبارك مرتين في مائدة جلس إليها من اسمه محمد أو أحمد.

(٨) يزور الملائكة كل بيت فيه من اسمه محمد أو أحمد.

(٩) يستغفر له الملائكة.

(١٠) ينادى يوم القيامة: يا محمد، ادخل الجنة. فيقوم كل من كان اسمه محمدا، فيُدخلون جميعا، ولا يمنع أحد منها إكراما لاسم نبي الله صلى الله عليه وسلم.

وبهذا وأمثاله من الأحاديث قال الناظم رحمه الله: إن له وعدا بالمغفرة. وهذه الروايات لا تصح، وبما أن الناظم من الصوفية، فقبلها. ومن العجب أن الشراح سردوا هذه الروايات و لم يتكلموا فيها.

وأمثل رواية في هذا الباب هو: «من ولد له مولود، فسماه محمدا تبركا به، كان هو و مولوده في الجنة».(قال السيوطي في اللآلي المصنوعة (٩٧/١): هذا أمثل حديث ورد في هذا الباب، و إسناده حسن).

والحق أن هذا الحديث أيضًا من الموضوعات، في إسناده: حامد بن حماد العسكري، واضع الحديث. قال العلامة الذهبي في ميزان الاعتدال (٤٤٧/١): «حامد بن حماد العسكري عن إسحاق بن يسار بخبر موضوع هو آفته». ثم ذكر له هذا الحديث. وأقره الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان».

والروايات في هذا المعنى كثيرة. سرد كثيرا منها العلامة ابن عراق الكتاني، وابن الجوزي، وابن القيم، والملا علي القاري.

وعقد العلامة ابن الجوزي بابا مفردا سماه »باب التسمية بمحمد«، ثم ساق كثيرا من هذه الروايات، وتكلم فيها واحدة بعد واحدة.

وأشار ابن القيم إلى العلامات والضوابط للوضع، وساق عددا من الأحاديث في هذا الباب، وقال: «وفي ذلك جزء كله كذب». (المنار المنيف، ص ٦١)

وهذه الروايات تعارض المبادئ الدينية المسلمة وهي أن النجاة بالإيمان والعمل الصالح لا بالألقاب والأسماء.

قال ابن القيم: «ومن هذا الباب أحاديث مدح من اسمه محمد أو أحمد، وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار، وهذا مناقض لما هو معلوم من دينه صلى الله عليه وسلم أن النار لا يجار منها بالأسماء والألقاب، وإنما النجاة بالإيمان والأعمال الصالحة».(المنار المنيف، ص ٥٧)

وعلى كلٍ، فإن فضل التسمية بمحمد المذكور سابقا لا يصح، نعم، يحسن التسمية باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء عليهم السلام، وفي الحديث:«سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي».(صحيح البخاري، رقم:٣٥٣٧) و «سموا» أمر، وأقله الإباحة أو الاستحباب.

وفي الحديث: «ولد لي الليلة غلام، فسميته باسم أبي: إبراهيم».(صحيح مسلم، رقم: ٢٣١٥)

وقال الشاعر:

خُذ الميمين من ميم ولا تنقط على أمر ۞ فامزجها يكن اسما لمن كان به فخري

ذكر البيت اسم النبي صلى الله عليه وسلم بالتعمية. (دستور العلماء ١٢٥/٤)

انتهى، ولله الحمد والمنة.

****



تنبيه: يقول كثير من الناس: الرواية بـــ إلا (بالتنوين مع اللام) هي الصحيحة، والموافقة لما قبله. كما سيأتي.

اللغة:

آخذا: أخذ (ن) مسكه، واستلمه، وتلقاه.

فضلا: الإحسان. أفضل عليه: تكرم عليه، وأحسن إليه.

الفضل: الإِحْسَان ابتداء بلا عِلّة. (٢) الكرم والعطاء. (٣) الكمال. (٤) الزيادة. (٥) البقية.

إلا: ألَّ (ن) ألا: (١) طعنه. (٢) لمع لونه.

ألَّ (ض) ألاًّ وأللا: (١) تضرع. (٢) صرخ للألم. وصاح.

زلة: زلَّ (س) يزِلُّ زَلَلا، وزَلَّ يزِلُّ (ض) زَلاًّ، زُلولا: زلق، وعثر، وانحرف.

الزلة: العثرة، والزلق، والخطأ والإثم ونحوها.

الإعراب:

إن: حرف شرط. لم يكن: فعل ناقص. (هو) اسمها. في معادي: متعلق بـــ «آخذا». آخذا: شبه الفعل. (هو) مميز. بيدي: متعلق بـــ «آخذا».

فضلا: معطوف عليه. وإلا: معطوف، والمعطوف مع المعطوفي تمييز. فقل: فاء: حرف جزاء. قل: فعل وفاعل. يا: بمعنى: أدعو، فعل، وفاعل. زلة القدم: مفعول.

«آخذا» مع فاعله ومتعلقاته خبر «يكن» الناقصة، وهي مع اسمها وخبرها شرط. يا زلة القدم: الجملة برمتها مفعول لـــ «قل». والفعل مع فاعله ومفعوله، جزاء الشرط.

والشرط مع الجزاء جملة شرطية.

فضلا: (١) تمييز، أي: على وجه الإحسان. (٢) مفعول مطلق، (يتفضل) فضلا. (٣) مفعول له، أي لأجل الإحسان.

الشرح:

يالأسف، والخيبة، إذا لم يحسن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة لي في الآخرة.

وليس فيه دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عن غيب، أو استمداد منه، أو استغفار منه، فالإيراد عليه باطل. فإن قوله: «في معادي» صريح في كونه في الآخرة. وأخذه باليد متمثل في الشفاعة للناس. ودلت الأحاديث على أن للنبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة الكبرى والشفاعة الصغرى جميعا. كما وردت الأحاديث بأن الأنبياء والشهداء والصالحين والعلماء يشفعون يوم القيامة.

فضلا: هذا فضل من الرسول عليه السلام، لا أن شفاعته صلى الله عليه وسلم بسبب أني أتيت أعمالا صالحة جدا.

آخذا بيدي: كناية عن العون والفضل والإحسان. أي: اشفع لي حتى أنجو من الهلاك.

زلة القدم: كناية عن الهلاك. (١) أهلك إذا لم يشفع لي. (٢) المراد بزلة القدم: السقوط من الصراط.

يا زلة القدم: سبق بيان مثل هذا النداء. (١) يا قوم، احضروا زلةَ قدمي أي احضروا وتحسروا معي. (٢) يا زلة القدم احضري فهذا أوانك. (٣) أو فيه إظهار تأسف.

إلا: (١) بمعنى العهد بالتنوين. وسبق ذكره في البيت الماضي. أي المراد بالعهد هو الذي سبق في قوله: «ما عهدي بمنتقضٍ». والمعنى: يشفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم منًّا وتكرما عليَّ، ولمشاركتي في الإسم، وللعهد الإيماني. وهذه الرواية راجحة. لأنه: (١) يوافق السياق والسباق. (٢) كذلك في الروايات والنسخ القديمة. (٣) يقول العلامة ابن مقلاش والهراني – وشرحه أقدم الشروح غالبًا–: هذه (أي إلا بالتنوين) رواية

عالية جدا. ولا يعلمها كثير من الناس؛ لأنه لم يقرأ القصيدة على الناظم.

(٢) إلا: إن لا. جملة كاملة مؤكدة. والذي تخللها هكذا: إن لم يكن... وجزاء الشرط: فقل... أي: «إن لم يكن في معادي آخذا بيدي، فقل يا زلة القدم». وتقديره مع «إلا» أيضا كذلك: إن لم يأخذ بيدي (فالهلاك حاضر) أو (فأهلك). و«إلا» فيه شرط، وجزاؤه مقدر. كأنه ساق معنى واحدا مرتين. وهو التاكيد اللفظي، يدل على أهمية المعنى.

(٣) «إلا» أصلها: «و إن لم يكن كذا»، وفي «لم يكن» نفي لـــ آخذا. فالتقدير: إن كان آخذا بيدي نجوت وفزت. لأن نفي النفي إثبات.

والحاصل: إن لم يكن آخذا بيدي هلكتُ، و إن كان آخذا بيدي نجوت.

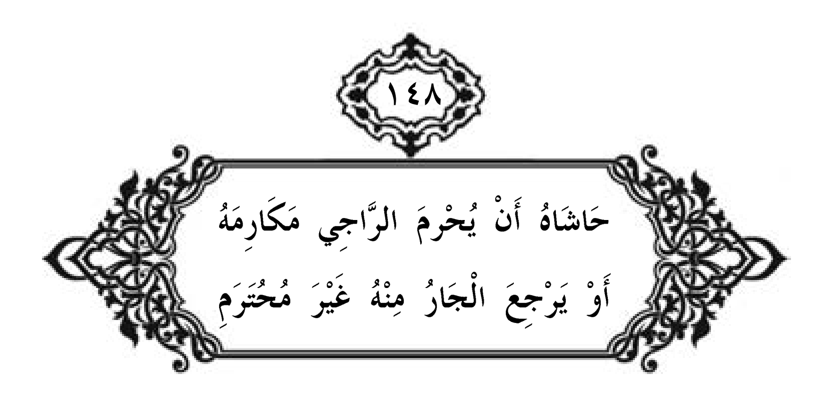
حمل الشراح «إلا» على العهد، كما سبق في البيت، وتطلق على الصداقة والقرابة أيضا. والأمة كلها على صلة وقرابة مع الرسول صلى الله عليه وسلم. كما سبق في البيت رقم: ٤.

والمعنى حينئذ: نظرا إلى صلتي بالرسول صلى الله عليه وسلم وهي أني من أمته، إذا لم يشفع لي تكرما علي، كان حرمانا لي وخسارة عظيمة.

وقدم «فضلا» على «إلا» للتأدب، أي أن الأصل أنه إحسان وتكرم منك، وأما غيره من الأسباب فلا تقوى كثيرا.

انتهى بعون الله وتوفيقه.

****



اللغة:

حاشاه: حشا (ن) ملأه قطنا. حشِيَ (س) حشى: وجعه حشاه، وأصابه الربو.

حاشا: للاستثناء. والمعنى: ما بعد الاستثناء مبرأ مما قبله. و «حاشا» تدل على التنْزيه، فلا تطلق إلا فيما يتحاشى منه. فيصح قولهم: ضربت القوم حاشا زيدا، ولا يصح: صلى القوم حاشا زيدا؛ لأن الصلاة ليست مما يتبرأ منه. أي تطلق «حاشا» فيما يتبرأ منه. وأما ما ليس كذلك فلا تطلق فيه.

«حاشا زيدٍ»: حاشا: حرف، فيكون ما بعده مجرورا، وإن كانت بمعنى الفعل، كان ما بعدها منصوبا، نحو: حاشا زيدا.

وحاشا –فعلا– تدل على التبرئ والابتعاد أيضا، وفي البيت على معنى الفعل. حاشاه. أي: أحاشيه.

حاشى يحاشي: طهَّر أحدًا وبرَّأه. والمعنى: أنا أبرئ النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك. ومثله قول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ (يوسف: ٣١)

يُحرم: حرم (ض) منعه.

الراجي: رجا (ن) رجوا ورُجوا ورَجاء: أمل.

الفرق بين الرجاء والطمع:

الفرق بينهما أن المرء إذا أمَّل مع توفر الأسباب كان رجاءً، وبغيره طمع.

الجار: جار (ن) جَورا وجَورةً وجارةً: طلب العون أو العوذ.

سمي الجار به؛ لأنه يووي جاره. جاوره: حفظه وصانه باتخاذه جارا.

الإعراب:

(أحاشيه): فعل وفاعل. «ه» الضمير مفعول. حاشاه: مفعول مطلق. (بتقدير :عن) أن: مصدرية. يُحرم: فعل. الراجي: نائب الفاعل. مكارمه: مفعول ثانٍ. والفعل مع الفاعل والمفعول معطوف عليه.

أو: حرف عطف. يرجع: فعل. الجار: ذو الحال. منه: متعلق بـ«يرجع»، غير محترم: حال. والحال مع صاحبها فاعل، والفعل مع الفاعل والمتعلق معطوف. والمعطوف مع المعطوف عليه جملة بتأويل المصدر، ويقدر قبله «عن»، تتعلق بـ حاشا.

يُحرم الراجي مكارمه: (١) إذا كان «يُحرِم» بالمبني للفاعل: فـ يحرم: فعل. (هو): فاعل. الراجي: مفعول أول. وجزِمت الياء للضرورة. مكارمه: مفعول ثانٍ.

(٢) إذا كان «يُحرَم» بالبناء للمجهول، كان إعرابه ما سبق. (٣) إذا كان «يَحرَم» بفتح الياء، فهو من «حرم» (ض). وإعرابه إعراب الأول.

سماع سعيد بن المسيب الأذان من القبر المبارك أيام الحرة:

يعم البيت علاوة على قصص الاستشفاع –قصة سعيد بن المسيب الشهيرة. يقول سعيد: كنت أيام الحرة في المسجد النبوي وحيدا، وأسمع الأذان من قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأصلي.

فعلم منه أن سعيد بن المسيب كان بالقرب من القبر، ولم يُحرم الخير؛ بل جعله الله تعالى ذلك سببا إلى صلاته. رواه الدارمي، والعلامة ابن سعد، والعلامة السمهودي، والعلامة الذهبي، وابن الجوزي رحمهم الله من النقاد. والجدير بالذكر أن ابن الجوزي روى هذا الحديث بإسناده في ذكر تراجم زوار النبي صلى الله عليه وسلم، مما يدل على الصلة بين الحديث والشعر، ولم يتكلم في إسناده.

عن سعيد بن عبد العزيز قال: «لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا ولم يقم. ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم». (سنن الدارمي، رقم:٩٣)

رجاله كله ثقات، إلا أن سعيد بن عبد العزيز لم يدرك أيام الحرة، فإسناده منقطع.

وروى هذه بإسناد متصل آخر ابنُ سعد في الطبقات (٥/١٠٠)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (ص ٤٩٦)، وفيه عبد الحميد بن سليمان ضعيف.

ولهذه القصة إسناد ثالث، ذكرها به ابن سعد في الطبقات (٥/١٠٠)، وفيه طلحة بن سعيد مجهول، والواقدي متروك. والحاصل أن هذه الأسانيد ضعيفة.

وذكر هذه القصة ابنُ الجوزي في مثير الغرام الساكن (٢/٣٠١)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/٢٢٨) أيضا.

للاستزادة من هذا الحديث راجع: «بدر الليالي شرح بدء الأمالي»، البيت رقم: ٤٠.

الشرح:

جاء في البيت ذكر الاستشفاع، وهو أن يحضر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويطلب منه الدعاء والاستشفاع، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو له.

يرجع الجار: معناه لا يرجع من غير إكرام؛ بل يُكرم ويُعزُّ، بحيث يدعو لصاحبه.

الاستشفاع: (الحضور إلى الروضة المطهرة وطلب الشفاعة منه) والدعاء منه؛ ثبت ذلك منذ قرون الخير، جاء ذكره في كتب الحديث والفقه، وذهب الجمهور إلى صحته.

اعلم أولا أنه وردت عدة أحاديث في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم، منها:

(١) من زارني فقد وجبت له شفاعتي.

(٢) من حج فلم يزرني فقد جفاني.

(٣) من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة.

وثمة روايات أخرى في هذا المعنى، وصرحت كتب المذاهب الأربعة بأنها عبادة أو سنة أو مستحبة، وقيل: قريبة من الواجب، للاستزادة منه راجع: «فتاوى دارالعلوم زكريا» المجلد الثالث.

أحاديث في زيارة الروضة المطهرة:

سبقت أحاديث الزيارة في البيت رقم: ١٠٥: «يا خير من يمم العافون ساحته». وفيما يلي شيء منها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

هذا الحديث روى عن ابن عمر مرفوعا بطريقين:

الأول: عن موسى بن هلال العبدي، عن عبدالله بن عمرالعمري، عن نافع، عن ابن عمر. أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم:٣٨٦٢، وابن عدي في «الكامل» ٦/٣٥١، والدولابي في «الكنى و الأسماء» رقم:١٠٨٤.

الثاني: عن موسى بن هلال العبدي، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع به. أخرجه الدارقطني في «السنن» رقم:٢٦٩٥، والعقيلي في «الصعفاء الكبير» ٤/١٧٠.

موسى بن هلال العبدي، قال الذهبي في «الميزان» ٤/٢٢٦: «وهو صالح الحديث» وروى عنه أحمد بن حنبل، وهو لا يروى إلا عن ثقة عنده، كما قاله ابن تيمية في «الرد على البكري» ١/٨٨، وابن عراق في «تنْزيه الشريعة» ٢/٣٣٧، و غيرهما من الأئمة في تصانيفهم... فهو حسن الحديث.

وعبد الله بن عمر العمري، قال يعقوب بن شيبة: ثقة صدوق، في حديثه اضطراب. (تاريخ بغداد:١٠/١٩)، وذكره العجلي في «الثقات»، وحسن له أبو يعلى الموصلي، والترمذي، والمنذري في«الترغيب» وابن كثير في «التفسير» وذكره البخاري في «صحيحه» في كتاب العلم؛ فجزم الكرماني أنه العمري، و مال إليه البدر العيني، وصحح له ابن السكن، وهو يعني توثيقه، وقال الذهبي: «صدوق».

وهذا الحديث عن نافع، فيكون حسنا على الأقل إن لم نقل بالصحة. وقد تابعه عبيد الله بن عمر وهوثقة حافظ.

هذا، وقد صحح هذا الحديث ابن السكن، وعبد الحق، وتقي الدين السبكي، كذا في «نيل الأوطار» ٥/١٠٢. وقال الشيخ ظفر أحمد العثماني في «إعلاء السنن» ١٠/٤٩٨ بعد أن أطال الكلام فيه وأجاد: «الحديث حسن صحيح».

وقد تابع موسى بن هلال مسلم بن سالم عن عبيد الله بن عمر، كما أخرج الطبراني في «الكبير» رقم:١٣١٤٩، و«الأوسط» رقم:٤٥٤٣ عن مسلم بن سالم الجهني، حدثني عبيد الله بن عمر، عن نافع عن سالم، عن ابن عمر مرفوعا: «من جاءني زائرا لا تميله حاجة إلا زيارتي كان حقا عليَّ أن أكون له شفيعا يوم القيامة».

ذكر الشواهد:

وللحديث شواهد عن جماعة من الصحابة:

الشاهد الأول: حديث حاطب، أخرجه الدارقطني في «السنن» رقم:٢٦٩٥، والبيهقي في «الشعب» رقم:٣٨٥٥ عن هارون أبي قزعة، عن رجل من آل حاطب عن حاطب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة».

قال الذهبي: «أنه من أجود الطرق إسنادا» كما في «وفاءالوفا» (٣-١٣٣/٤) فلا يضر جهالة الراوي بعد تجويد المحدث إسناده.

قلت: وإنما جوده مع وجود الرجل المبهم فيه لأجل الشواهد الكثيرة.

الشاهد الثاني: حديث عمر، أخرجه ابن عدى في «الكامل» ١٣/٧ من طريق محمد بن محمد، عن جده النعمان بن شبل، حدثني مالك، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حج البيت، فلم يزرني فقد جفاني».

الشاهد الثالث: حديث عمر، أخرجه الطيالسي في «مسنده» رقم:٦٥٩، والبيهقي في «الكبرى» ٣٤٥/٥، وفي «الشعب» رقم:٣٨٥٧ من طريق سوار بن ميمون أبو الجراض العبدي قال: حدثني رجل من آل عمر، عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من زار قبري- أو قال: من زارني كنت له شفيعا أو شهيدا، و من مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمنين يوم القيامة».

الشاهد الرابع: حديث أنس بن مالك، أحرجه البيهقي في«الشعب» رقم:٣٨٦٠ من طريق محمد بن إسماعيل بن أبي فديك أخبرني أبو المثنى سليمان بن يزيد الكعبي، عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة».

مزيد من الشواهد لهذا الحديث:

وللحديث شواهد غير ما ذُكِرَ من حديث عبد الله بن مسعود وأبي هريرة وابن

عباس و علي ابن أبي طالب وغيرهم، تركناها مخافة التطويل، وقد ذكر بعضها السمهودي في «وفاء الوفا» (٣-١٣٣٦/٤) بأسانيدها، والشوكاني في«نيل الأوطار» (١٠١/٥-١٠٣) والشيخ ظفر أحمد العثماني في «إعلاء السنن» (٤٩٦/١٠-٥٠٥)، والشيخ محمود سعيد ممدوح في «رفع المنارة في تخريج أحاديث التوسل والزيارة». والحاصل أن الحديث بجميع طرقه وشواهده حسن صحيح.

وما لا ريب فيه أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل المندوبات أو أعظم القربات وأنجح لنيل الدرجات؛ بل قريبة من الواجبات لمن له سعة. راجع: «فتح القدير» (٩٤/٣)، و«المهند على المفند» (ص٣٨).

وكتب المذاهب الأربعة ناطقة بأهميتها ومصرحة باستحبابها وسنيتها. انظر: «حاشية الطحطاوي على الدر المختار» (٥٦٢/١)، و«الدرالثمين» لابن عاشر المالكي (ص٣٨٣)، و«فتح الوهاب» لأبي بكر زكريا الأنصاري الشافعي (ص٥٧١)، و«المغني» لابن قدامة الحنبلي (٨٨٥/٣) وغيرها.

الاستشفاع وطلب الدعاء عند الروضة المطهرة:

نسوق بعض الروايات الخاصة بهذا الموضوع، وفي أسانيد هذه الروايات والأمور الفنية تفاصيل كثيرة، فنختصرها هنا:

(١) قصة العتبي:

يقول العتبي: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول:﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: ٦٤) وقد جئتك مستغفرا لذنبي، مستشفعا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ من دفِنتَ بالقاع أعظُمه ۞ فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ۞ فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال: يا عتبي، الحق الأعرابي، فبشره أن الله قد غفر له.

ولتفصيل هذه القصة نسوق نصوص كتابين، لأن أحدهما يكمل البعض:

يقول ابن كثير: «وقد ذكر جماعة منهم: الشيخ أبو نصر بن الصباغ في كتابه «الشامل» الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يارسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٦٤) وقد جئتك مستغفرا لذنبي، مستشفعا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ من دفِنتَ بالقاع أعظُمه ۞ فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ۞ فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال: يا عتبي، الحق الأعرابي، فبشره أن الله قد غفر له. (تفسير ابن كثير١/٥٧٠)

وأخرج البيهقي عن أبي حرب الهلال قال: حج أعرابي إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأناخ راحلته فعقلها، ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: بأبي أنت وأمي، يا رسول الله، جئتك مثقلا بالذنوب والخطايا مستشفعا بك على ربك؛ لأنه قال في محكم تنْزيله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٦٤) وقد جئتك بأبي أنت وأمي مثقلا بالذنوب والخطايا، أستشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي، وأن تشفع فيَّ، ثم أقبل في عرض الناس، وهو يقول:

يا خيرَ من دفِنتَ بالقاع أعظُمه ۞ فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ۞ فيه العفاف وفيه الجود والكرم

(الدر المنثور١/٥٧١؛ شعب الإيمان ٣/٤٩٥)

سرد بعض الكتب هذه الأبيات بفرق يسير، ففي رواية عند البيهقي:

«فطاب من طيبه القيعان والأكم».(شعب الإيمان للبيهقي ٣/٤٩٥)

وجاءت الأبيات في مجلس أبي سعد البغدادي هكذا:

يا خير من دُفِنت في الأرض أعظمه ۞ فطاب من طيبك القيعان والأكم

(مجلسان لأبي سعد البغدادي، ص ٨، للشيخ الزاهد الحافظ أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد الحسين بن علي

البغدادي، ثم الأصبهاني، المتوفى ٥٤٠هــ)

وسرد العلامة النووي بيتين بجانب هذه الأبيات:

يا خيرَ من دفِنتَ بالقاع أعظُمه ۞ فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ۞ فيه العفاف وفيه الجود والكرم

أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته ۞ على الصراط إذا ما زلت القدم

وصاحباك فلا أنساهما أبدا ۞ مني السلام عليكم ما جرى القلم

(الإيضاح في مناسك الحج والعمرة،ص ٤٥٥)

واعلم أنهم تكلموا في هذا الحديث كلاما كثيرا، ولكن نستدل به على أن علماء جميع المذاهب ساقوا هذه القصة، واعترفوا بها، وعملوا بها؛ فإن الآية الكريمة عامة. فيجوز الحضور إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم –بعد وفاته – والاستغفار من الله تعالى، وطلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم.

وساق ابن الجوزي –ذلك العالم الناقد– القصة بإسناده وقبلها، وعلاوة على ذلك: ذكر هذه القصة كل من الحافظ ابن كثير، والإمام النووي، والعلامة السخاوي، والعلامة البيهقي، والعلامة ابن عساكر، والعلامة السيوطي، والعلامة النسفي، وصاحب الكنْز، والعلامة تقي الدين السبكي، والعلامة السمهودي، والعلامة القسطلاني، والعلامة الزرقاني، والشيخ عبد الحق الدهلوي، وحكيم الأمة أشرف علي التهانوي، والشيخ ظفر أحمد العثماني، والعلامة الثعالبي صاحب التفسير، و العلامة سيد محمد الطنطاوي، والعلامة ابن النجار، والعلامة ابن دهان المتوفى ٥٩٢هــ، والعلامة القرافي، والعلامة المقريزي والعلامة محمد يوسف الصالح الشامي، والعلامة ديار البكري، و أبو الطيب المكي الحسني المتوفى ٨٢٣هــ، والعلامة ابن ضياء الحنفي وغيرهم.

وسردت كتب التفسير والفقه والسيرة والتاريخ والمناسك هذه القصة.

ومن الجدير بالذكر ثانيًا أن كثيرًا من القصص ليس لها إسناد متصل، ولكن تقبَلُ لاشتهارها وتلقيها بالقبول وتعامل الأمة. كما يروى أن نصرانيين بدأوا يحفرون نفقا من بيتهم إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، حتى وصلوا قريبا منه وذلك على عهد الملك نور الدين الزنكي. فنبه النبي صلى الله عليه وسلم الملك على ذلك، فأخِذا وعُوقِبا. وهذه القصة ليس لها إسناد متصل؛ ولكن لشهرتها ولشهرة الدارين في المدينة: دار الضيافة و دار

الرصاصة إلى عهد قريب، قبلوها.

قال الشيخ سالم عطية في تعليقه على قصة نور الدين الزنكي مع النصرانيين اللذين أرادا انتهاك حرمة القبر الشريف:

قلت: إن الأمور التي تتناقلها الأجيال قد تكون خيالات، ولكن إذا كان لها متعلقات مادية ثابتة لا تكون إلا عن حقيقة وقد كان بالمدينة شاهد عدل وثبوت، وهما: أ- دار الضيافة... ب- سقيفة الرصاص... فهذا من حيث الإمكان لا إشكال فيه، ومن حيث الإثبات؛ فإنه يدخل في تعريف المتواتر من الأخبار، الذي يرويه جم غفير عن مثلهم، يكون مستنده الحس، يستحيل توطؤهم على الكذب. (السؤال والجواب في آيات الكتاب، ص: ٢٧٧-٢٧٨)

هذا التفصيل الذي ذكرنا يخص قبول الشيء للتلقي بالقبول والشهرة.

وفوق ذلك من القواعد الخاصة بالحديث أن الحديث يقبل أحيانا لتلقي الأمة بالقبول والشهرة وتعاملها دون أن يُعرف له إسناد، أو يكون إسناده ضعيفا جدا. ودرست كتب أصول الحديث ذلك دراسة مفصلة. وعليه أمثلة كثيرة.

نسوق بعضها على سبيل المثال (بغض النظر عن التفاصيل في هذه المسائل، بل المقصود منها أنهم قبلوها للتلقي بالقبول).

(١) قال الإمام مالك: شهرة الحديث بالمدينة تغني عن صحة سنده.

(٢) قال محمد بن القاسم: عدة الأمة حيضتان: لم أجده في الكتاب والسنة، ولكن العمل عليه.

(٣) قال ابن عبد البر: الدينار أربعة وعشرون قيراطا. ليس له إسناد، إلا أن أهل العلم تلقوه بالقبول، وعمل الأمة به مما يغني عن الإسناد.

(٤) قال الإمام الشافعي: «لا وصية لوارث»، لا يثبت أهل العلم بالحديث، ولكن العامة تلقته بالقبول وعملوا به، حتى جعلوه ناسخا لآية الوصية لوارث.

وكم من حديث صححوه لتلقي الأمة بالقبول وعملها به، وإن لم يكن له أسانيد صحيحة.

وفيما يلي بعض النصوص الخاصة بالأقوال السالفة:

(١) قال الحافظ السيوطي في «تدريب الراوي» (ص٦٦): «قال بعضهم: يحكم للحديث بالصحة إذا تلقاه الناس بالقبول، وإن لم يكن له إسناد صحيح. قال ابن عبد البر في الاستذكار: لما حكي عن الترمذي أن البخاري صحح حديث البحر: «هو الطهور ماؤه»، وأهل الحديث لا يصححون مثل إسناده؛ لكن الحديث عندي صحيح؛ لأن العلماء تلقوه بالقبول؛ وقال في التمهيد: روى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم: «الدينار أربعة وعشرون قيراط». قال: وفي قول جماعة العلماء وإجماع الناس على معناه غنى عن الإسناد فيه».

(٢) وقال الحافظ ابن حجر في «النكت» ١/٤٩٤-٤٩٥: «جملة صفات القبول التي لم يتعرض لها شيخنا أن يتفق العلماء على العمل بمدلول حديث؛ فإنه يقبل حتى يجب العمل به؛ وقد صرح بذلك جماعة من أئمة الأصول. ومن أمثلته قول الشافعي رضي الله عنه: «وما قلت من أنه إذا غير طعم الماء وريحه ولونه، يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجه لا يثبت أهل الحديث مثله، ولكنه قول العامة لا أعلم بينهم فيه خلافا». وقال في حديث: «لا وصية لوارث»: « لا يثبت أهل العلم بالحديث، ولكن العامة تلقته بالقبول وعملوا به حتى جعلوه ناسخا لآية الوصية للوارث».

(٣) وقال الحافظ السيوطى في «التعقبات على الموضوعات» (ص١٢): «... وقد صرح غير واحد بأن من دليل صحة الحديث قول أهل العلم به، وإن لم يكن له إسناد يعتمد على مثله».

(٤) وقال الحافظ السخاوي في «فتح المغيث» (ص ١٢٠-١٢١): «وكذا إذا تلقت الأمة الضعيف بالقبول يعمل به على الصحيح حتى أنه ينْزل منْزلة المتواتر في أنه ينسخ المقطوع به».

(٥) وقال العلامة ابن الهمام في «فتح القدير» (٣/٤٩٣): «ومما يصحح الحديث أيضا عمل العلماء على وقفه. وقال الترمذي عقيب روايته: حديث غريب، والعمل عليه عند أهل العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم. وفي الدارقطني: قال القاسم وسالم: عمل به المسلمون، وقال مالك: شهرة الحديث بالمدينة تغني عن صحة

سنده».

(٦) وروى الدارقطني (٤٠/٤، كتاب الطلاق والخلع والإيلاء وغيره) عن زيد بن أسلم قال: «سئل القاسم عن عدة الأمة؟ فقال: «الناس يقولون: حيضتان وأنا لا نعلم ذلك».

وكذلك رواه ابن وهب عن أسامة بن زيد عن أبيه عن القاسم وسالم قالا: ليس هذا في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن عمل به المسلمون».

وعلى كل، تلقى علماء الأمة قصة العتبي هذه بالقبول لشهرتها وتعدد أسانيده. ولا زالت هذه الأشعار مكتوبة على الروضة المطهرة، وقصة الاستشفاع ليست هي الوحيدة، وسيأتي ذكر مزيد منها لاحقا.

وما أكثر أدلة الكتاب والسنة على صحة التوسل، ولا تقف صحته على قصة العتبي هذه. وليست هذه القصة إلا تأييدا لها.

قُبلت رواية العتبي للتعامل:

وسنذكر لاحقا كلام الشيخ سرفراز خان صفدر رحمه الله في أن رواية العتبي مقبولة لأجل التعامل. يقول الشيخ: «روت جماعة هذه القصة عن العتبي، منهم: الشيخ أبو منصور الدباغ رحمه الله. ذكرها في كتابه «الشامل»، يقول العتبي: «كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٦٤) وقد جئتك مستغفرا لذنبي، مستشفعا بك إلى ربي، ثم أنشأ أبياتا من أعماق قلبه، وأعرب عن حبه. وجاء في نهاية هذه القصة أنه بُشِّر في المنام، وقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: « يا عتبي، الحق الأعرابي فبشره بأن الله تعالى قد غفر له».

ذكر هذه القصة الإمام النووي في كتاب «الأذكار» (ص١٨٥، ط: مصر)، والعلامة أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي الحنفي رحمه الله المتوفى ٧١٠هـ، في كتابه «تفسير المدارك» (٣٩٩/١)، والعلامة تقي الدين السبكي في «شفاء السقام» (ص٤٦)، والشيخ عبد الحق في «جذب القلوب» (ص ١٩٥)، والعلامة بحر العلوم عبد

العلي في «رسائل الأركان» (٢٨٠، ط: لكناؤ). ويقول العلامة علي بن عبد الكافي والعلامة السمهودي: «وحكاية العتبي في ذلك مشهورة، وقد حكاها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب والمؤرخون، وكلهم استحسنوها» الخ.(شفاء السقام، ص٦١؛ و وفاء الوفاء ٢/٤١١)

وأشار الخطيب و القسطلاني والعلامة الزرقاني أيضا إلى الحكاية المشهورة. (المواهب مع الزرقاني ٨/٣٠٦)، وكذلك ذكرها الشيخ محمد بخيت الحنفي في كتاب «تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد» (ص ٥١-٥٢،ط: مصرية)

واعلم أن الاستدلال بهذه القصة ليس على أن العتبي من الصلحاء الروات الثقات، يقتدى به في هذا الباب. ولو سلمنا أنه من الكبار الصالحين كما يصوره بعض الكتب، وتمسك به المعاصرون؛ و إنما جاء الاستدلال بها على أنه استحسنها أكثر علماء المذاهب، وأخذوا بها. وتلقي الأمة بالقبول وتعامل العلماء والفقهاء معه يضفي عليه الجواز. قال ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك؟ فقالوا: هذا يوم عظيم نجا الله فيه موسى، وأغرق فيه آل فرعون قال: فصامه شكرا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فأنا أولى بموسى وأحق بصيامه منكم»، فصامه وأمر بصيامه. (أو كما قال. مشكاة المصابيح، ص ١٨٠، متفق عليه). وهذا لا يعني أن اليهود عادوا رواة عدولا ثقاة رغم بقائهم على اليهودية، فكان قولهم حجة على ذلك؛ بل كان فعلهم هذا حسنا، فأخذ به النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر الأمة به. فافهم هذه القصة على هذا الاعتبار. ونقلها غيرهم من العلماء على ذلك قديما وحديثا. وقال حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله: رواها في المواهب بإسناد الإمام أبي المنصور الصباغ، وابن النجار، وابن عساكر، وابن الجوزي رحمهم الله عن محمد بن حرب الهلالي.

الاستشفاع مشروع للأبد:

استدل أهل العلم بقوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، وبقصة العتبي أنه يصح الاستشفاع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أيضا.

ونشير فيما يلي إلى كلام كل من (١) العلامة أبي عبد الله الحنبلي، (٢) والشيخ

محمد قاسم النانوتوي، (٣) والشيخ ظفر أحمد العثماني، (٤) والشيخ المفتي محمد شفيع، (٥) والعلامة السمهودي، في ضوء نص الشيخ سرفراز خان صفدر رحمه الله، مما هو صريح في هذا الباب :

«وقال الشيخ النانوتوي –بعد أن ساق هذه الآية الكريمة–: «لأنه ليس فيه تخصيص بأحد، سواء كانوا في عصره صلى الله عليه وسلم، أو بعده من أمته، وكيف يختص، في حين أن وجوده صلى الله عليه وسلم رحمة للناس على حد سواء؛ فإن حضور من تأخر من أمته إليه صلى الله عليه وسلم وطلبه أن يغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم، واستغفاره صلى الله عليه وسلم لهم، لا يتصور إلا إذا كان صلى الله عليه وسلم حيا في قبره».(آب حيات، ص٤٠)

وقال الشيخ بعد أن ساق هذه القصة –: «فثبت أن حكم الآية باقٍ بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ».(إعلاء السنن ١٠/٣٣٠)

أقوال هؤلاء العظماء تفيد أن الحضور إلى قبره صلى الله عليه وسلم وطلب الشفاعة والاستغفار قد دل عليه عموم آية القرآن الكريم نفسه؛ بل يقول الإمام السبكي: «هذه الآية صريحة في ذلك». (شفاء السقام، ص ١٢٨) وقد وقع ذلك في خير القرون، و لم ينكر عليه أحد، وهو دليل واضح على صحته.

يقول العلامة السمهودي: «والعلماء فهموا من الآية العموم لحالتي الموت والحياة، واستحبوا لمن أتى القبر أن يتلوها ويستغفر الله تعالى. وحكاية الأعرابي في ذلك نقلها جماعة من الأئمة عن العتبي» الخ. (وفاء الوفاء ٢/٤١١)

هذا يدل –دلالة واضحة– على أن العلماء حملوا هذه الآية على العموم — لحالتي حياته صلى الله وسلم وبعد وفاته–، واستحبوا تلاوتها على القبر المطهر. ولا يختص ذلك بحياة النبي صلى الله عليه وسلم.

وذكر الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحنبلي في كتابه «المستوعب» آداب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: «ثم يصل إلى جدار قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ويقف في طرفه مستقبلا قبره، مستدبرا القبلة وجاعلا المنبر على يمينه، ويقول: «اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك عليه السلام: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ...﴾،

وإني قد أتيت نبيك مستغفرا فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها من أتاه في حياته، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك صلى الله عليه وسلم». وذكر دعاء طويلا. (وفاء الوفاء ٤٢٣/٢)

ويقول الشيخ المفتي محمد شفيع المتوفى ١١/شوال عام ١٣٩٦هـ، رئيس المفتين بدار العلوم/ ديوبند سابقا، والمفتي العام بباكستان) في تفسيره العلمي الموثوق به: «الحضور إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما أمكن في حياته، كذلك الحضور إلى القبر المطهر في حكمه». (انتهى كلام الشيخ سرفراز صفدر رحمه الله)

ترجمة موجزة للعتبي:

يقول المعترضون: العتبي مجهول، فنورد هنا ترجمة موجزة له:

يكنى: أبو عبد الرحمن، ويسمى: محمد بن عبيد الله، والعتبي نسبة إلى ذرية عتبة بن أبي سفيان، سكن البصرة، حسن الوجه، حسن السيرة. من كبار الأدباء والشعراء والمؤرخين، قال العلامة الذهبي: «أحد الفصحاء الأدباء. كان من أعيان الشعراء بالبصرة». و له مناسبة تامة بالأحاديث. روى عن سفيان بن عيينة وغيره. عاش طويلا. وله مؤلفات كثيرة. توفي عام ٢٢٨هـ. (للاستزادة من ترجمة العتبي راجع: العبر في خبر من غبر للذهبي١/٧٦؛ معجم الشعراء للمرزباني ١/١١٠؛ الوافي بالوفيات للصفدي ١/٤٥١؛ سير أعلام النبلاء ١١/٩٦؛ الأنساب للسمعاني ١١/٩٦؛ الأنساب للسمعاني ٤/١٩٤؛ تاريخ بغداد ٢/٣٢٦؛ توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم لابن ناصر الدين الدمشقي ٦/٨٩؛ المنتظم لابن الجوزي ٣/٣٤٧؛ الأنساب المتفقة لابن القيسراني١/٣٣؛ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ١/٢٣٢؛ الإكمال لابن ماكولا١/٤٨١)

(٢) قصة الأعرابي عن علي رضي الله عنه:

يقول علي رضي الله عنه: «قدم أعرابي بعد ما دفنا النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾، وقال: قد وعد الله تعالى في هذه الآية أن العاصي إذا قدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم واستغفر له الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى يغفر له. وقد جئتك فاستغفر لي الله تعالى، فنودي من القبر: إنه قد غفر لك.

هذه القصة ذكرها العلامة القرطبي، (٢) والعلامة ابن حيان الأندلسي، (٣) والعلامة الثعلبي المتوفى ٤٢٧هـــ، (٤) والعلامة المتقي الهندي، (٥) والعلامة السيوطي، (٦) والعلامة السمهودي، (٧) والعلامة محمد بن يوسف الصالحي، (٨) والعلامة السمعاني، (٩) والعلامة الصفوري، (١٠) والمفتي محمد شفيع رحمهم الله جميعا.

مصادر هذه القصة:

« إن الحافظ أبا سعد السمعاني فيما روينا عنه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قدم أعرابي بعد ما دفنا النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وحثا من ترابه على رأسه، وقال: يا رسول الله، قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ما وعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ وقد ظلمت وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر: إنه قد غفر لك». (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام، ص ٢١، ومثله في تفسير القرطبي ٢٦٥/٥. والبحر المحيط في التفسير ٦٩٤/٣. وتفسير الكشف والبيان للنيسابوري ٣٣٩/٣. وكنْز العمال ٣٨٥/٢، و٢٥٨/٤. وسبل الهدى والرشاد٣٨١/١٢. ووفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١٨٦/٤. والحاوي للفتاوي ٣١٥/٢، تنويرالحلك في إمكان رؤية النبي والملك. ونزهة المجالس ومنتخب النفائس ٤٦/١. ومعارف القرآن ٤٦٠/٢).

وسبقت آنفا قصة مماثلة للأعرابي برواية العتبي، وهذه القصة برواية علي رضي الله عنه، وعند التأمل فيهما الفرق بينهما بما يلي:

(١) القصة التي وردت برواية علي رضي الله عنه ترجع إلى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام، والعتبي يذكر قصة حدثت في عهده. وتوفي العتبي عام ٢٢٨هـــ.

(٢) نصت القصة برواية علي رضي الله عنه على قوله: «رمى نفسه على قبره»، دون قصة العتبي.

(٣) نصت القصة برواية علي رضي الله عنه على قوله: «حثا على رأسه من ترابه» دون قصة العتبي.

(٤) لم يرد في القصة عن علي رضي الله عنه إنشاد الأبيات، و ورد ذلك في قصة العتبي.

(٥) في القصة برواية علي رضي الله عنه: «قال الأعرابي: قلتَ فسمعنا قولك، و وعيت عن الله ما وعينا عنك»؛ لأنه عاش زمن النبي صلى الله عليه وسلم، غير أنه أتى قبره صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بثلاثة أيام، و لم يرد في قصة العتبي هذه الكلمات.

(٦) جاء في القصة برواية علي رضي الله عنه: فاستغفر لي. وجاء في قصة العتبي: «أستشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي، وأن تشفع فيّ».

(٧) لم يرد في القصة برواية علي رضي الله عنه ذكر التسليم. وفي قصة العتبي: « السلام عليك يا رسول الله».

(٨) جاء في القصة برواية علي رضي الله عنه: فسمع صوتا من القبر في حينه: قد غفر لك. وفي قصة العتبي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعتبي في المنام: بشر الأعرابي بالمغفرة.

(٩) أسانيد القصتين مختلفتان كل الاختلاف.

إسناد قصة العتبي:

(١) لها إسنادان في معجم ابن عساكر.

(٢) لها إسناد في شعب الإيمان للبيهقي.

(٣) لها إسناد في مثير الغرام لابن الجوزي.

(٤) لها إسناد ذكره أبو سعد البغدادي (المتوفى٥٤٠هـ).

إسناد القصة المروية عن علي رضي الله عنه:

(١) لها إسناد ذكره السمعاني في «ذيل تاريخ بغداد»، وذكره السيوطي في «تنوير الحلك»، وذكره العلامة السمهودي في «وفاء الوفاء».

(٢) لها إسناد آخر ذكره العلامة السمهودي في «وفاء الوفاء».

وفي إسناد القصة المروية عن علي كلام طويل، تكلموا في الهيثم بن عدي الطائي. وتردد العلامة عبد الهادي في تحديد «الهيثم» هذا. فإن كان هو الطائي فمتروك وكذاب. وإن كان غيره فهو مجهول. (الصارم المنكي، ص٣٢١).

وكيف نقول: القصة موضوعة في حين أنه غير جازم بذلك. ثم إن هذه الرواية شاهدة لها، وثمة أدلة أخرى على ذلك.

يقول الشيخ سرفراز رحمه الله: «غاية ما فيه أن الرواية ضعيفة. ولكن ثبت الحضور إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم والاستشفاع منه بعمل الفقهاء الكبار والمحدثين العظام الثقات، وتعامل الأمة. فتُحتمل هذه الرواية للدلالة على الجواز.

هذا، وفي القصة تفاصيل علمية كثيرة، وقد أفردتْ فيه رسائل.

تنبيه:

وإنما فرقنا بين القصتين المذكورتين؛ لأن بعض السلفيين يجعلونهما واحدة، ويحاولون إثبات الاضطراب فيها، في حين أن القصتين يختلف بعضهما عن البعض. وهذه الأسانيد التالية فيما يلي تؤكد أنها مختلفة تماما، ولا يسع أحدًا أن يجعلها واحدة. فهل من العدل إثبات الاضطراب بخلط تفاصيل قصة إلى قصة أخرى؟!

أسانيد قصة العتبي:

(١) حدثنا عبد الغالب بن ثابت بن ماهان أبو نصر الرافقي قاضيها بها وكان شيخًا مسنا و ذكر لي أنه سمع من أبي الحسين بن المقتدى ببغداد ومن ابن طوق بالموصل واحترقت كتبه قال: أنا ابن طوق الموصلي بالموصل سنة تسع وخمسين وأربع مئة بإسناد لا أذكره الآن عن العتبي أنه قال: «كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا بأعرابي...». (معجم ابن عساكر ٥٩٩/١، رقم: ٨٣٨)

(٢) أخبرنا أبو أحمد عبد السلام بن الحسن بن علي بن زرعة الصوري بقراءتي عليه بدمشق، ثنا الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن بصور لفظا، ثنا أبو العباس أحمد بن علي بن محمد، أبنا أبو بكر محمد بن زهير بنيسابور، أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن مرزبان، ثنا أبو محمد الحسن بن محمد النحوي الأصبحاني، أنا ابن فضيل النحوي، أنا ابن فضيل النحوي، أنا عبد الكريم بن علي، ثنا محمد بن محمد بن نعمان، ثنا محمد بن روح، عن الهلالي محمد بن حرب، قال: «دخلت المدينة فأتيت قبر النبي صلى الله عليه و سلم فزرته وجلست بحذائه، فجاء أعرابي...».(معجم ابن عساكر ٥٩٩/١)

(٣) أخبرنا أبو علي الروذباري، حدثنا عمرو بن محمد بن عمرو بن الحسين بن

بقية، إملاء، حدثنا شكر الهروي، حدثنا يزيد الرقاشي، عن محمد بن روح بن يزيد البصري، حدثني أبو حرب الهلالي، قال: «حج أعرابي فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم أناخ راحلته...».(شعب الإيمان للبهقي، رقم:٣٨٨)

(٤) أخبرنا عبد الخالق بن يوسف، أنبانا أحمد بن أبي نصر، أنبأنا محمد بن القاسم الفارسي، قال: سمعت غالب بن عليى الصوفي يقول: سمعت إبراهيم المزكي، يقول: سمعت أبا الحسن بن بقية، يحكي عن الحسن بن محمد، عن ابن فضيل النحوي، عن محمد بن روح، عن محمد بن حرب الهلالي، قال: دخلت المدينة، فأتيت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابي...».(مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن لابن الجوزي، ص٤٩٠)

(٥) حدثنا أبي إملاء، ثنا محمد بن سعد، نا الصوت، ثنا عبد الواحد بن أحمد بإسناد ذكره عن محمد بن حرب الهلالي قال: «دخلت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم...، ثم التفت إلى القبر فقال:

يا خير من دفنت في الأرض أعظمه ۞ فطاب من طيبك القيعان والأكم

(مجلسان لأبي سعد البغدادي، ص٨، للشيخ الزاهد الحافظ أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن على البغدادي ثم الأصبهاني المتوفى سنة:٥٤٠)

إسنادان للقصة المروية عن علي:

(١) قال ابن السمعاني في الذيل: أنا أبو بكر هبة الله بن الفرج، أنا أبو القاسم يوسف بن محمد بن يوسف الخطيب، أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عمرو بن تميم المؤدب، ثنا علي بن إبراهيم بن علان، أنا علي بن محمد بن علي، ثنا أحمد بن الهيثم الطائي، حدثنا أبي عن أبيه عن سلمة ابن كهيل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب قال: «قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام...».(كنز العمال ٣٨٥/٢، سورة النساء،٢٥٨/٤، كتاب التوبة. والمراد من ابن السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي أبو سعد، له كتاب الأنساب، وتذييل تاريخ بغداد وغيرهما، توفي عام ٥٦٢هـ. وذكره بهذا الإسناد السيوطي في الحاوي للفتاوي ٣١٥/٢، و تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك).

(٢) والسمهودي ذكر له إسنادا آخر، قال: و روى ذلك أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الله الكرخي عن علي بن محمد بن علي قال: حدثنا أحمد بن محمد الهيثم الطائي، قال: حدثني أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن ابن صادق عن علي بن أبي

طالب رضي الله تعالى عنه، فذكره. (وفاء الوفاء٤/١٨٦)

فائدة:

وساق الشيخ المحقق حسين علي- المعتمد عليه عند جماعة إشاعة التوحيد- هذه الرواية من غير نكير، و قال: «قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم: روى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني أنه روى عن علي أنه بعد دفن النبي صلى الله عليه وسلم جاء أعرابي، فقال: يا رسول الله! جئتك تستغفر لي إلى ربي، فنودي من القبر الشريف: قد غفر لك».(تحريرات حديث، ٢٥٦)

ونقول لِمَن يصف هذه الرواية بالاضطراب، ويوهنها- نقول لهم بكل أدب: عرَّف ابن الصلاح المضطرب بقوله: «هو الذي يختلف فيه فيرويه بعضهم على وجه، وبعضهم على وجه آخر مخالف له، وإنما نسميه مضطربا إذا تساوت الروايتان. أما إذا ترجحت إحداهما بحيث لا تقاومها الأخرى... أو غير ذلك من وجوه الترجيحات المعتمدة، فالحكم للراجحة، ولا يطلق عليه حينئذ وصف المضطرب ولا له حكمه».(مقدمة ابن الصلاح، ص٩٤)

الأمر الأول: ليست القصتان مما تختلف ألفاظهما والرواية واحدة، بل القصتان مختلفتان، والإسنادان مختلفان، ومتونهما مختلفة. ولا ينطبق تعريف المضطرب على هذه الرواية.

سبب وصفهما بالاضطراب:

(١) في إحدى الروايتين: «رمى الأعرابي نفسه فوق القبر» دون الأخرى. هذا اضطراب. وليس هذا من الاضطراب في شيء.

(٢) في إحدى الروايتين: «ظلمت نفسي»، دون الأخرى. وليس هذا أيضًا من الاضطراب في شيء.

(٣) أما قولهم: ما الداعي إلى البشارة في المنام بعد أن سمع الصوت من القبر النبوي؟ وهذا باطل منقوض الأساس؛ لأن القصتين مختلفتان، فأي إيراد فيه؟

وأما قولهم: ما الحاجة إلى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم في المنام؟ يا للعجب!

أليس أخبر النبي صلى الله عليه وسلم الإمام الشافعي في المنام أن الإمام أحمد بن حنبل سيتعرض للبلاء؟!

وقال محمود سعيد ممدوح في «رفع المنارة» (ص٧٧): هذه الحكاية ضعيفة غير صحيحة. وقال: يذكرها أهل العلم استيناسا واستشهادا، للدلالة على ما في قوله: ﴿جَآءُوكَ ...﴾ من العموم والشمول.

(٣) قصة مالك الداري رضي الله عنه:

ذات مرة قحط الناس على عهد عمر رضي الله عنه، (فلما اشتد بهم البلاء) جاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: يارسول الله! استسق لأمتك؛ فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال له: «ائت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقيون، وقل له: عليك الكيس، عليك الكيس». فأتى عمر فأخبره، فبكى عمر، ثم قال: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه».

وجاء في كثير من المصادر (البداية والنهاية وغيرها) أن الذي رأى في المنام هو بلال بن الحارث المزني (المتوفى:٦٠هـ)، فعرض منامه على عمر رضي الله عنه، فقال: أنا رسول رسول الله إليك. فقال عمر: متى رأيت هذا؟ قال: البارحة. ثم عرض عمر القصة على الصحابة فقالوا: صدق بلال.

وفي رواية: الذي رأى المنام هو بلال بن الحارث. وفي إسناده: سيف بن عمرو الضبي. ولا بأس به؛ لأن الغرض من هذه الرواية ليس إلا تحديد رائي المنام. وليس مدار الرواية.

وحيث ثبت بالسند الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم ضحى، فإن الأضحية ثابتة، و إن كان الحيوان مجهولا.

وفيما يلي بعض الأمور الخاصة بالقصة مرتبة:

القصة ومصادرها:

حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن مالك الدار، قال: وكان خازن عمر على الطعام، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى

الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله! استسق لأمتك؛ فإنهم قد هلكوا، فأتي الرجل في المنام، فقيل له: «ائت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقيون، وقل له: عليك الكيس، عليك الكيس». فأتى عمر فأخبره، فبكى عمر، ثم قال: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه». (المصنف لابن أبي شيبة، رقم : ٣٢٦٦٥، باب ما ذكر في فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ومثله في: البداية والنهاية، السنة الثامنة عشرة للهجرة؛ الإصابة في تميز الصحابة ٢١٦/٦ ترجمة مالك بن عياض مولى عمر؛ دلائل النبوة للبيهقي ٤٧/٧ باب ماجاء في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب في ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ الإرشاد في معرفة علماء الحديث٣١٤/١ ترجمة مالك الدار مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٩٢/٥٦)

قال الحافظ ابن حجر: وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار وكان خازن عمر، قال: «أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ...».(فتح الباري ٤٩٦/٢)

كلام وجيز في الرواة:

(١) ابن أبي شيبة: أبو بكر عبدالله بن محمد أبي شيبة، إمام ثقه حافظ حديث، متقن، عديم النظير.(تذكرة الحافظ ١٦/٢)

(٢) أبو معاوية: محمد بن خازم الكوفي، الضرير: الحافظ الثبت محدث الكوفة، المتوفى ١٩٥هـ. واتهمه بعض الناس بالاضطراب. والجواب عنه: قال أحمد: كان والله، حافظا للحديث، ويضطرب في غير حديث الأعمش.(تذكرة الحفاظ ٢١٥/١)، وهذه الرواية عن الأعمش، فلا كلام عليه.

(٣) الأعمش: الحافظ الثقة شيخ الإسلام.(تذكرة الحفاظ١١٦/١)

(٤) أبو صالح السمان ذكوان المدني، تابعي جليل، م: ١٠١هـ، قال أحمد: ثقة من أجل الناس وأوثقهم.(تذكرة الحفاظ ٦٩/١)

(٥) مالك الدار: مالك بن عياض. وعده البعض في الصحابة.(الإصابة في تمييز الصحابة ٢١٦/٦؛ تجريد أسماء الصحابة ٤٧/٢) وعده البعض في كبار التابعين.(الطبقات الكبرى ١٢/٥)

إيرادات على الرواية والجواب عنها:

رجال الحديث كلهم ثقات وأئمة الحديث، ثم يطعن فيه بعض الناس.

الإيراد: أبو معاوية ضعيف، وليس هو الضرير؛ بل راوٍ آخر، وفيه انقطاع؟

الجواب: لا ريب أن المراد بأبي معاوية هو: محمد بن خازم التميمي السعدي، أبو معاوية الضرير الكوفي. قال فيه الإمام أحمد: حافظ ثبت. وفيما يأتي قرائن تشير إلى ذلك:

١- ذكر الإمام البخاري في التاريخ الكبير هذه الرواية، فقال: محمد بن خازم، و لم يذكر كنيته: أبا معاوية، مما يقطع الطريق على الشكوك.

٢- وذكر العلامة الخليلي (المتوفى ٤٤٦هـ) في إسناد الحديث: الاسم والنسب، فقال: محمد بن خازم الضرير.

٣- ليس في الرواة عن الأعمش أبو معاوية غيره.

٤- جاء اسم أبي معاوية في قائمة الذين يروي عنهم ابن أبي شيبة، وهو الضرير:

(١) حدثنا محمد بن الحسن بن الفتح حدثنا عبد الله بن محمد البغوي حدثنا أبو خيثمة حدثنا محمد بن خازم الضرير حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار قال: «أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب...».(الإرشاد في معرفة علماء الحديث١/٣١٤، ترجمة مالك الدار مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

(٢) مالك بن عياض الدار: أن عمر قال في قحط: «يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه»، قاله علي عن محمد بن خازم عن أبي صالح. (التاريخ الكبير للبخاري، رقم:١٢٩٥)

(٣) محمد بن خازم التميمي السعدي، أبو معاوية الضرير الكوفي، مولى بني سعد بن زيد مناة بن تميم، روى عن... وسليمان الأعمش (ع). و روى عنه... وأبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة (م ق). (تهذيب الكمال ٢٥/١٢٨).

(٤) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، مولاهم أبو محمد الكوفي الأعمش، روى عنه... وأبو معاوية الضرير (ع). (تهذيب الكمال١٢/٨٣)

إيراد: الأعمش مدلس مشهور، ويروي هذه القصة بـ«عن»، فلا تقبل.

الجواب: الأعمش مدلس، ولكن حديثه متصل إذا روى عن أبي صالح، كما نبه عليه العلامة الذهبي.

«سليمان بن مهران الأعمش... أحد الائمة الثقات،... ما نقموا عليه إلا التدليس... قلت: وهو يدلس، و ربما دلس عن ضعيف ولايدرى به، فمتى قال: حدثنا،

فلا كلام، ومتى قال «عن» تطرق إليه احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم: كإبراهيم، وابن أبي وائل، وأبي صالح السمان، فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال».(ميزان الاعتدال٢/٢٢٤)

وأخيرا نورد بعض الفوائد والأمور الهامة الخاصة بهذه الرواية من كلام الشيخ محمد عوامة حفظه الله: «مالك الدار: هو مالك بن عياض، ترجم له الحافظ في «الإصابة» القسم الثالث: الذين ولدوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وسماعهم منه ممكن؛ لكن لم ينقل، وقال عنه الخليلي في «الإرشاد» ٣١٣/١: تابعى قديم، متفق عليه، أثنى عليه التابعون؛ والرواة الآخرون ثقات.

والرجل الذي جاء القبر النبوي الشريف هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة رضي الله عنهم، وسماه سيف الضبي في روايته، وسيف عندهم كالوا قدي في شدة ضعفه، لكن هذا لا يمنع أن يستفاد من روايته مثل هذه الجزئية: تسمية مبهم، على أنه لا يترتب عليها كبير فائدة، فالأمر قد بلغ أمير المؤمنين عمر، ولم ينكر على فاعله؛ بل نفذ مقتضى الرؤيا.

وقد ذكر هذا الحديث الحافظ في «الفتح» ٢:٤٩٥(١٠٠٩) وعزاه إلى المصنف وقال: بإسناد صحيح.

وتصحيحه هذا ينسحب على رواية الخليلي له في «الإرشاد» (٣١٣/١)، والبيهقي في «الدلائل» (٤٧/٧)، ومن طريقه ابن عساكر في «التاريخ» ٣٤٥/٤٤، ثلاثتهم بمثل إسناد المصنف، وكذا صححه ابن كثير في «البداية» ٩٣/٧، ٩٤. وقد نقله عن البيهقي.

وكون الأعمش في رجال السند، وقد عنعن وهو مدلس: لا يضر الحديث؛ لأن الأعمش من المرتبة الثانية بين المدلسين، وهم الذين احتمل الأئمة منهم تدليسهم لإمامتهم وقلة تدليسهم في جنب ما رووا، كما قال الحافظ العلائي في «جامع التحصيل» ص١١٣، وابن حجر في «تعريف أهل التقديس».

وأنبه إلى أمور: أولاها: أن ابن كثير ذكر في «تاريخه» المذكور روايات أخرى للواقعة.

ثانيها: أن البخاري ذكر في ترجمة مالك الدار من «تاريخه الكبير» (١٢٩٥/٧) عن علي بن المديني أنه روى الخبر، عن «محمد بن خازم، عن أبي صالح» وسقط من بينما: عن الأعمش.

ثالثها: أن الحافظ عزا الخبر في «الإصابة» ترجمة مالك الدار إلى: ابن أبي خيثمة، و غالب ظني أنه تحريف عن: ابن شيبة، فهما واحد لا اثنان، نعم، فاته عزوه إلى «دلائل النبوة» للبيهقي كما قدمته.

ثم إن هذه الواقعة كانت أول سنة ثماني عشرة للهجرة. انظر مزيدا من أخبارها في «البداية والنهاية» لابن كثير ٧/ ٩٢.(تعليقات الشيخ محمد عوامة على مصنف ابن أبي شيبة١٧/٦٣-٦٤)

ذكر هذا الحديث في «تحريرات حديث»:

ذكر هذه الرواية الشيخ حسين علي رحمه الله – القائد الثقة في حركة إشاعة السنة و رئيسها–، وقال: وروى البيهقي وابن أبي شيبة أن بلال بن الحارث جاء إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «يا رسول الله، استسق لأمتك؛ فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأخبره أنهم يسقون».(تحريرات حديث،ص ٢٥٥)

وجاء في هذا المكان ذكر أحاديث كثيرة أخرى في التوسل. وعلى كل، يستفاد من حديث مالك الدار الصحيح، والقصة المذكورة فيها ما يلي من الفوائد:

١- كان ذلك بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بثماني سنوات، وكان كثير من الصحابة متوافرون آنذاك.

٢- وقع ذلك للصحابي الجليل الشهير: بلال بن الحارث المزني، كما أسلفنا.

٣- الحضور إلى القبر وطلب الدعاء منه صلى الله عليه وسلم على هذا الوجه ليس شركا وإلا لم يأته صحابي.

٤- حظيت هذه القصة بتاييد من عمر رضي الله عنه وتصويب منه.

٥- و لم ينكر عليها غيره من الصحابة: « فقالوا: صدق بلال». (البداية والنهاية٧/١٠٤)

٦- هذه القصة لا تعارض نصا شرعيا أو قاعدة شرعية وإلا ردها الصحابة وخاصة عمر رضي الله عنه.

٧- وتعامل أكثر الأمة قرينة واضحة على صحتها، فقد عمل بها الناس من كل مذهب وطبقة. وأفتى الفقهاء بجوازه، [بل رغبوا فيه]. (ملخص من «سماع موتى»، ص ١١٨-١٢٠)

إيرادات غير إسنادية على هذه الرواية والأجوبة عنها:

إيراد: رواها شخص مجهول الحال والاسم، فلا يصح الاستدلال بها؟

الجواب: أما الإسناد فرواتها كلهم أئمة حديث وثقات، كما سبق، وإن أردت بالجهالة: أن الذي جاء إلى القبر ورأى في المنام مجهول، فالجواب عنه أن استدلالنا لا يتوقف على الرجل؛ بل يرجع إلى تقرير عمر رضي الله عنه، حيث قبل هذه القصة وقال: «يا رب، لا آلو إلا ما عجزت عنه». فالاستدلال بعمل الخليفة الراشد، وأما الذي رأى في المنام فلا يهمنا.

وسبقت روايات آنفا تفيد أن الذي رأى في المنام هو الصحابي الجليل بلال بن الحارث المزني، وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله اسم بلال بن الحارث في تعيين الرجل. (فتح الباري ٤٩٦/٢)

إيراد: لم ترو هذه القصة عن الصحابة المعروفين ولا عن عمر رضي الله عنه؟

الجواب: جاء الحديث بإسناد صحيح، رواه مالك الدار رضي الله عنه، وجاء فيه: «مولى عمر، وكان معروفا».(الطبقات الكبرى) فهو صحابي معروف روى هذه القصة عن عمر رضي الله عنه.

إيراد: لم يستشفع عمر رضي الله عنه حين قحط الناس في عهده، ولا أتى القبر النبوي للاستشفاع؛ بل استشفع بالعباس.

الجواب: أن الاستسقاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ليس فرضا ولا واجبا، حتى يجب على عمر أن يتوجه إليه ويستسقي عنده أو يؤمر به في المنام كلما قحط الناس.

توسل عمر رضي الله عنه بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أيضا توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، كما سنذكر الرواية في بحث التوسل بإذن الله تعالى.

إيراد: لم يذكرها مشاهير المحدثين، ولا أئمة الفن؟

الجواب: ذكره : ١- الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. ٢- الحافظ أبو بكر البيهقي. ٣- الحافظ ابن كثير. ٤- الحافظ ابن حجر رحمهم الله كما أشرنا إليه

سابقا، فإذا لم يكن هؤلاء مشهورين فمن هم يا ترى؟

إيراد: كيف أخذ عمر بقول مجهول الحال والاسم رغم شدة حذره في الحديث؟

الجواب: (١) سَل ذلك عمرَ رضي الله عنه نفسه. (٢) غير خافٍ أنه مجهول بالنسبة لنا ولكم، وأما بالنسبة لعمر رضي الله عنه فكان صحابيا موجودا آنذاك. وكان عمر على علمٍ بأن حياته صلى الله عليه وسلم ثابتة في البرزج، وقوله صلى الله عليه وسلم في المنام بعد طلب ذلك الصحابي حق، فأخذ به.

وأخيرًا لا يغيبن عن بالك أن كبير المحدثين عندكم وهو الشيخ حسين علي ذكر هذه الرواية في «تحريرات حديث» (ص ٢٥٥)، وأخذ بها.

(٤) قصة عائشة رضي الله عنها:

حدثنا أبو النعمان، حدثنا سعيد بن زيد، حدثنا عمرو بن مالك النكري، حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله، قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا، فشكوا إلى عائشة فقالت: «انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمطرنا مطرا حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق». (سنن الدارمي، رقم:٩٣. قال حسين سليم أسد في تعليقاته عليه: رجاله ثقات وهو موقوف على عائشة. ومثله في: إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة ١٠٥٤/١٦ للحافظ ابن حجر؛ إمتاع الأسماع ٦١٥/١٤؛ سبل الهدى والرشاد ٣٤٧/١٢؛ وفاء بأخبار دارالمصطفى ١٢٣/٢)

كلام وجيز على الرواة:

(١) أبو النعمان أحمد بن فضل السدوسي البصري (المتوفى عام ٢٢٤هـ)، شيخ الإمام البخاري، وصفه العلامة الذهبي بأربعة ألقاب بارزة: حافظ، ثبت، صدوق، مكثر.

يحكي المعترضون فيه قول العلامة ابن حبان، ويعتبرونه أسوأ الرواة وغير ثقة. فنقول لهم: لقد حكى من نعده وأنتم تعدونه عظيما وهو الإمام الذهبي كلام ابن حبان هذا، وقال: كان ذلك في آخر عمره، حيث أصبح لا يدري ما يقول. فمن روى عنه بعد الاختلاط لا يقبل منه. فإذا لم يعلم هذا من هذا ترك الكل، ولا يحتج بشيء منها.

قال الذهبي ردا على كلام ابن حبان هذا: «قال الدارقطني: تغير بأخرة، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر. وهو ثقة. قلت (القائل هو الذهبي): فهذا قول حافظ العصر

الذي لم يأت بعد النسائي مثله، فأين هذا القول من قول ابن حبان... لم يقدر ابن حبان أن يسوق له – لمحمد بن الفضل- حديثا منكرا، فأين ما زعم»؟(ميزان الاعتدال٤/٦-٧؛ تذكرة الحفاظ ١/٣٠٠)

ولعلنا في غنى عن مزيد الكلام بعد إيضاح الإمام الذهبي، ولكن لا يفوتنا أن نشير إلى فائدة:

توفي محمد بن الفضل عام ٢٢٤هـ، وقال الدارمي محمد بن عبد الرحمن المولود ١٨١هـ والمتوفى عام ٢٥٥هـ: اختلط محمد بن الفضل قبل وفاته عام ٢٢٤هـ بأربعة أعوام، فكان الإمام الدارقطني ابنَ (٣٩) عاما عند وفاة محمد بن الفضل. فالغالب على الظن أن الدارمي سمع منه قبل الاختلاط.

(٢) سعيد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي البصري، المتوفى ١٦٩هـ، اكتفى المعترضون عليه بنقل الجرح، في حين وثقه عدد من أئمة الفن، فوثقه الإمام أحمد، والإمام البخاري، والعلامة ابن معين، والعلامة أبو زرعة، والعلامة العجلي، والعلامة محمد بن سعد وغيرهم.(تهذيب التهذيب ٣٢/٤) فروايته مقبولة.

(٣) عمرو بن مالك النكري: اكتفى الإمام الذهبي بسرد توثيقه. ذكره ابن حبان في الثقات. و يقول: يقبل منه إذا روى عنه غير ابنه. وذكر ذلك الحافظ ابن حجر في نهاية ترجمته. فكأنه القول الفصل.

و لم يروِ ذلك عن عمرو بن مالك ابنُه، قال الذهبي: عمرو بن مالك مقبول إذا روى عن أبي الجوزاء. (ميزان الاعتدال ٢٨٦/٣؛ تهذيب التهذيب ٩٦/٨)

(٤) أبو الجوزاء: أوس ين عبد الله الربعي البصري، المتوفى ٧٣هـ. عدَّه العلامة العجلي وابن حبان في الثقات. قال ابن عدي: ضعيف عند البخاري. وروايته صحيحة. قال المعترضون: قال البخاري في أبي الجوزاء: في إسناده نظر.

اعلم أن الإمام البخاري لم يقل ذلك في ترجمته؛ بل ساق في التاريخ الكبير رواية فيها عدد من الرواة، ثم قال: في إسناده نظر. وهل يستلزم ذلك أنه قاله في ابن الجوزاء. فالحديث يحتج به.

توضيح واستدلال:

إنما أشارت عائشة على الناس بذلك وأخذوا به؛ لأنهم كانوا يتوسلون بالنبي صلى

الله عليه وسلم أو يطلبون منه الاستسقاء إذا قحطوا في عهده صلى الله عليه وسلم. وأما بعد وفاته فكان التوسل به صلى الله عليه وسلم أيضا، ولكن كشف القبر كان مبالغة في تأثير التوسل، وبيانا لما كان عليه الناس من القلق والاضطراب. وهذا مبالغة في الاستشفاع. (مرقاة المفاتيح باب الكرامات؛ مظاهر الحق ٥/٥٦٠)

أو نقول: كشف القبر إلى السماء كان من عمل المسلمين، فكان ذلك توسلا بعمل نفسه، و لكشف القبر دخل في المطر باعتبار أن القبر لما كشف إلى السماء، نزلت الرحمة منها، كما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده إلى السماء في بدر، فظهر القبول.

وكان عمل عائشة رضي الله عنها هذا في محضر من الصحابة الكرام، و لم ينكر عليه أحد.

إشارة إلى «تحريرات حديث»:

ونذكِّر هنا مرة أخرى بأن كبيرنا وكبير حركة إشاعة السنة الشيخ حسين علي رحمه الله ساق حديث عائشة هذا دون نكير عليه، فقال: «ورى الدارمي عن عائشة قالت: انظروا إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء فمطروا».(تحريرات حديث، ص ٢٥٦)

بعض الإيرادات العقلية من شيخ القرآن: الشيخ محمد طاهر رحمه الله:

أورد الشيخ محمد طاهر رحمه الله في «البصائر» على هذا الحديث إيرادات كثيرة، كلها عقلية.

إيراد: ما الحكمة في كشف القبر،وأي مبدإ من مبادئ الدين هذا؟

الجواب: ١- يجب أن يوجه هذا السؤالَ إلى عائشة رضي الله عنها: لم أشارت بذلك؟ وحسبنا عمل الصحابة.

٢- ذكرنا آنفا حكمتين: (١) مبالغة في الاستشفاع. (٢) إن فتح الكوى في سقف الضريح جلب الرحمة من السماء. كما سبق في نص الشيخ أشرف على التهانوي رحمه الله.

إيراد: لوكان كشف القبر مجلبة للرحمة للزم فتح قبر الصحابة والشيخين رضي الله

عنهم؟

من المقطوع به أن كشف القبر النبوي مجلبة الرحمة لاتصال الجسد المبارك به. و لم يدعوه مكشوفا؛ لأنه ليس ذلك واجبا أو منصوصا عليه شرعا حتى يدعوه مكشوفا بشكل دائم.

إيراد: أصاب الجدب غير مرة على عهد الصحابة وبعدهم، و لم يفتح أحد باب القبر المبارك؟

الجواب: (١) لم نقل: وجب على الصحابة كشف القبر كلما يصيبهم الجدب، فإن الاستسقاء له وجوه أخرى، فأخذوا بهذا مرة وبهذا مرة أخرى.

(٢) إذا أردتم أن يتوسل أهل المدينة بذلك كلما أصيبوا بالجدب، فكيف يفعل من كان بعيدا من المدينة إذا أصابه الجدب؟ وحاصل الجواب أنه ليس ثمة وجها معينا من الاستسقاء يجب الأخذ به، نحن نقول: هذا من وجوه استسقاء الصحابة رضي الله عنهم.

(٥) قصة الخليفة أبي جعفر:

قال الخليفة أبو جعفر لمالك رحمه الله: يا أبا عبدالله! أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: و لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به، فيشفعه الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ (النساء: ٦٤)

ملاحظات:

(١) روى ذلك القاضي عياض عن جماعة من أهل العلم. وذكره –علاوة على القاضي عياض– العلامة السبكي، والعلامة السمهودي، والعلامة ابن حجر، والعلامة المقريزي، والعلامة محمد بن يوسف الصالحي الشامي، والعلامة ابن ضياء الحنفي، والعلامة القسطلاني، والعلامة الزرقاني وغيرهم رحمهم الله.

(٢) صحح إسناده ابن حجر والعلامة السبكي، والعلامة السمهودي، والعلامة ابن ضياء الحنفي، والعلامة الخفاجي، والعلامة الزرقاني.

(٣) هذه الرواية تأباها طبيعة شيخ الإسلام ابن تيمية، فحاول إبطالها.

ورد عليه العلامة الزرقاني، والعلامة الخفاجي والعلامة ابن ضياء الحنفي بأنه يعدها

موضوعة من غير مبرر، في حين أن رجالها كلهم من الدرجة العالية.

(٤) وساق الشيخ سرفراز صفدر رحمه الله ثلاثة أجوبة أصولية من شيخ الإسلام ابن تيمية ودرسها دراسة واعية.

وعلى كل، بهذه وأمثالها من القصص يؤخذ أنه يجوز الدعاء والاستشفاع عند القبر الأطهر، ذكره الفقهاء في كتاب الحج، وفيما يلي نسوق نصا واحدا:

قال القاضي عياض: حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري وأبو القاسم أحمد بن بقى الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا: أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث قال: حدثنا أبو الحسن علي بن فهر، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج، حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك: يا أمير المؤمنين! لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوما فقال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ٢)، ومدح قوما فقال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ (الحجرات: ٣) الآية. وذم قوما فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الحجرات: ٤) الآية. وإن حرمته ميتا كحرمته حيا، فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله! أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به، فيشفعه الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية. (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٤١/٢. فصل: واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته. ومثله في: إمتاع الأسماع ٦١٧/١٤؛ سبل الهدى ٤٣٩/١١؛ وفاء الوفاء ١٩٧/٤؛ ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض١٠١/٢، في أخبار مالك مع الملوك ووعظه إياهم وحسن مقامه)

قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم: «رواية ذلك عن الإمام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه». (نقلت هذا الكلام من: تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية، للشيخ محمد بن علي بن حسين مفتي المالكية بمكة المكرمة (م:١٣٦٧ه)، وهي حاشية على أنوار البروق في أنواع الفروق، للعلامة شهاب الذين أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي، المتوفى:٦٨٤ه)

وقال السبكي: «وهو إسناد جيد».(شفاء السقام، ص١١٥) وقال بعد ذكر حال الرواة:

«فانظر هذه الحكاية وثقة رواتها، وموافقتها لما رواه ابن وهب عن مالك».(شفاء السقام، ص ١١٧)

وقال السمهودي: وقال عياض في الشفا: بسند جيد عن ابن حميد أحد الرواة عن مالك فيما يظهر قال: «ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا...». (وفاء الوفاء ١٩٧/٤)

وقال ابن ضياء الحنفي: «رواه الحافظ ابن بشكوال... ولا يلتفت إلى قول من زعم أنه موضوع، لهواه الذي أراده».(تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ٣٤٢/١ للعلامة محمد بن أحمد بن الضياء المكي الحنفي المعروف بابن الضياء، المتوفى ٨٥٤هـ)

وقال العلامة الزرقاني: لكن رأيت منسوبا للشيخ تقي الدين بن تيمية في منسكه أن هذه الحكاية كذب على مالك. هذا تهور عجيب؛ فإن الحكاية رواها أبو الحسن علي بن فهر في كتابه «فضائل مالك» بإسناد لا بأس به، وأخرجها القاضي عياض في الشفا من طريقه عن شيوخ عدة من ثقات مشايخه، فمن أين أنها كذب! وليس في إسنادها وضاع ولا كذاب! (وأن الوقوف عند القبر بدعة، قال: «لم يكن أحد من الصحابة يقف عنده ويدعو لنفسه) نفيه مردود عليه من قصوره أو مكابرته، ففي الشفا: قال بعضهم: رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه و سلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف.(ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده صلى الله عليه وسلم، قال: ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك) كذا قال: وهو خطأ قبيح؛ فإن كتب المالكية طافحة باستجابة الدعاء عند القبر مستقبلا له مستدبر القبلة، وممن نص على ذلك أبو الحسن القابسي، وأبو بكر بن عبد الرحمن، والعلامة خليل في مناسكه، ونقله في الشفا[٨٥/٢] عن ابن وهب عن مالك، قال: إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف و وجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده. انتهى. وإلى هذا ذهب الشافعي والجمهور، ونقله عن أبي حنفية...». (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الفصل الثاني: في زيارة قبر الشريف ومسجده المنيف)

وقال الخفاجي: «وفي هذا رد على ما قاله ابن تيمية من أن استقبال القبر الشريف في الدعاء عند الزيارة أمر منكر لم يقل به أحد، و لم يرو إلا في حكاية مفتراة على مالك،

يعني هذه القصة التي أوردها المصنف، ولله دره حيث أوردها بسند صحيح وذكر أنه تلقاها عن عدة من ثقات مشيخته، فقوله: إنها كذب محض مجازفة من ترهاته».(نسيم الرياض ٣٩٨/٣)

ويقول العلامة ابن الهمام في ذكر آداب زيارة الروضة المطهرة: «ويسأل الله تعالى حاجته متوسلا إلى الله بحضرة نبيه عليه الصلاة والسلام، وأعظم المسائل وأهمها سؤال حسن الخاتمة والرضوان والمغفرة، ثم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة فيقول: يا رسول الله أسألك الشفاعة، يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسألك الشفاعة، وأتوسل بك إلى الله في أن أموت مسلما على ملتك وسنتك».(فتح القدير١٨١/٣)

وهذا صريح في أنه إذا دعا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، ويسأل حسن الخامة والمغفرة، ويطلب منه صلى الله عليه وسلم أن يشفع له.

وفي كتب الفقه الأخرى تفاصيل كثيرة من هذا النوع.

حاشاه أن يُحرِمَ....

يبدو أن الناظم رحمه الله تأثر في هذا البيت بأشعار قصيدة العتبي: «يا خير من دفنت...».

قوله: «يا خير من دفنت بالقاع أعظمه»، وقوله: «إن لم يكن في معادي آخذا بيدي»: وزنهما واحد: مستفعلن فعلن مستفعل فعلن. ووزن قوله: «إن لم يكن في معادي آخذا بيدي» مستفعل فاعلن مستفعلن فعلن. اللهم إلا أن أبيات العتبي قافيتها بالرفع: أعظم، الأكم ونحوهما، وهنا القافية بالجر، إلا أن وزنهما واحد.

وتبين من خلال التفاصيل السابقة أن زائر النبي صلى الله عليه وسلم والداعي لا يحرم الخير.

اختلاف النسخ:

في بعض النسخ: « أن يحرم الجاني عنايته».

انتهى بعون الله وتوفيق.

بحث وجيز حول التوسل:

المسألة الأولى: أقسام التوسل باختصار:

(١) التوسل بالأعمال الصالحة. هو أن يدعو الله تعالى بأعماله الصالحة، وهذا لا خلاف فيه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ (آل عمران: ١٩٣)

وفي حديث الغار: «توسل ثلاثة بأعمالهم الصالحة». (صحيح البخاري، رقم: ٥٩٧٤)

(٢) التوسل الشركي: أي التوسل بعبادة المتوسل به، أي طلب الحاجات من أصحاب القبور، أو الاعتقاد فيهم بأنهم حاضرون ناظرون ونداؤهم في المصائب باعتبارهم كاشفي المشكلات. وهذا حرام ومرادف للشرك بلا خلاف.

(٣) التوسل الفعلي: أي التوسل بطلب الدعاء من الغير. أي طلب الصالحين أن يدعوا له في حاجة من الحاجات. وهذا جائز.

(٤) إتيان قبور الصالحين وطلب الدعاء منهم. فصَّل الشيخ محمد يوسف اللدهيانوي الكلام فيه، و حاصله: ١- اختلفوا في سماع الموتى؛ فلا يمكن القطع بجانب من جوانبه. ٢- لم يثبت من السلف أنهم كانوا يأتون قبر الشهيد ويطلبون الدعاء منه. فلا يجوز ذلك.

ثم قال: «هذه التفاصيل كلها في غير الأنبياء؛ لأني أعتقد فيهم أنهم- الأنبياء- أحياء، فمن وفق للحضور إلى الروضة النبوية فطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له ويدعو له، فهو مباح ومستحسن عندي». (*اختلاف امت وصراط مستقيم*-اختلاف الأمة والصواب فيه-، ص ٥٦-٥٧)

(٥) التوسل بالذوات الفاضلة: أي يدعو الله تعالى ويقول: اللهم تقبل دعائي ببركة عبدك الفلاني أو بجاه فلان، وهذا التوسل في الواقع توسل بالمحبة، أي أنه يحب الصالحين، والمحبة عمل قلبي، وهو أعلى من العمل البدني، فهو توسل بعمله، فلا يرد عليه بأنه لا دخل لذات النبي أو الولي في قضاء الحاجات؟ أو هو توسل بالرحمة، أي يطلب أن يوجه إليه الرحمة التي تنْزل عليهم، و الرحمة من صفات الله تعالى.

وهذا الوجه يكاد يتفق جمهور العلماء على جوازه واستحسانه، ونكتفي هنا بسرد

نص حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي، وسيأتي التفصيل لاحقا. وإن خالف البعض في هذه المسألة إلا أن الجمهور ذهبوا إلى جوازه، إذا راعى الحدود الشرعية، فالمذهب المنصور هو (الجواز).(نشر الطيب)

(٦) التوسل بأسماء الله وصفاته: «اللهم إني أسألك بأنك الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد...».

أدلة الجواز:

من القرآن الكريم:

(١) قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (البقرة: ٨٩) وكان اليهود يسألون الله تعالى الفتح والنصر بوسيلة النبي صلى الله عليه وسلم قبل مجيئه: اللهم، انصرنا على الأعداء بفضل النبي الخاتم.

هذا هو التفسير المتبادر للآية، وهو الذي يذكره المفسرون، ويحتمل قوله: ﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾ علاوة على هذا المعنى- وجهين آخرين:

(٢) يستفتحون بالنبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الخاتم، لنقاتل الكفار معه، وهذا المعنى غير متبادر إليه. وحاصل المعنى: يدعون إرساله، وهذا الوجه لا يناسب ألفاظ القرآن كثيرا، وإنما يحتمل احتمالا.

(٣) السين في قوله: ﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾ للمبالغة لا للطلب، والمعنى: كان اليهود يقولون للكفار ويحذروهم من أن نبي آخر الزمان ظاهر قريبا، وسنقاتلكم معه ونهزمكم حتما.

والحاصل أن قوله: ﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾ يحتمل ثلاثة وجوه: ١-التوسل. ٢- الدعاء. ٣- الإخبار، والراجح هو التوسل، وذلك لأسباب:

١- اللغة ترجح هذا المعنى، فالاستفعال في القرآن الكريم عادة يدل على الطلب، فمعنى يستفتح: يطلبون الفتح بوسيلة الرسول صلى الله عليه وسلم. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُوا۟ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُ﴾ (الأنفال: ١٩)، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾(إبراهيم: ١٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡ﴾ (النساء: ٦)، و قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾ (النساء: ١٢٧)، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ (هود: ٩٠)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ﴾ (النور: ٦٢)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ (القصص: ١٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥ﴾ (القصص: ١٨)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾ (المطففين: ٢)

وأمثاله كثيرة من القرآن الكريم. وأما إخبار اليهود الكفار ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فصحيح، ولكن قوله: «يستفتحون» لا يتبادر منه الإخبارُ، وذكره معظم المفسرين بصيغة التضعيف: «قيل».

٢- الاستفتاح بمعنى التوسل ورد عن السلف الصالح بسند صحيح.

٣- ذكر كثير من المفسرين الوسيلة على أن ذلك هو المعنى الحقيقي للكلمة، وأما بمعنى الإخبار فذكروه بـــ«قيل»، أو بكلمة «أو».

٤- قال العلامة ابن القيم: معناه: يستفتحون عليهم بالنبي صلى الله عليه وسلم. (بدائع الفوائد ٢/٤٥٥؛ هداية الحيارى ١/٢٤٩)

إيراد: يقول المعترضون: هذا المعنى الذي حملتم عليه مأخوذ من رواية ضعيفة؛ لأن عبد الملك بن هارون ضعيف جدا.

الجواب: لا نثبت الوسيلة بهذه الرواية؛ بل يدل عليه كلمة «يستفتحون»، ثم إنهم ذكروا معاني محتملة لقوله: يستفتحون، فلجأنا إلى هذه الرواية لتعيين معنى من هذه المعاني الثلاثة، يقول حكيم الأمة الشيخ التهانوي رحمه الله: «يكفي الحديث الضعيف في ترجيح أحد المحتملَين وتاييد أحد الشقين».(إمداد الفتاوى ٥/٣٩)

إيراد: قطع بعضهم بحمل «يستفتحون» على إخبار اليهود الكفار بذلك؟

الجواب (١) القطع بحمل «يستفتحون» على الإخبار تعدٍ صارخ؛ لأنهم ذكروا هذا المعنى بصيغة التمريض «قيل»، مما ينم عن مرجوحيته.

(٢) ولوفرضنا أنه بمعنى «الإخبار»، فغاية ما فيه أنه أريد المعنيان على سبيل عموم المجاز، والمعنى أنهم كانوا يتوسلون النبي صلى الله عليه وسلم، ثم كانوا يقولون لأعدائهم: سيظهر نبي من الأنبياء كما يوضحه نص التفسير المظهري.

إيراد: لم يحمله الحافظ ابن كثير –ولايخفى مكانته في التفسير والحديث– على

التوسل، وتفسيره من أهم التفاسير؟

الجواب: صحيح أن ابن كثير لم يذكر هذا المعنى في تفسيره، ولكنه ذكره في البداية والنهاية. وسيأتي نصه لاحقا.

وفيما يلي نصوص المفسرين والمحدثين الذين حملوا «يستفتحون» على التوسل:

(١) قال السيوطي: «و أخرج أبو نعيم في «الدلائل» من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال: كانت يهود بني قريظة والنضير من قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يستفتحون الله، يدعون على الذين كفروا ويقولون. اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي إلا نصرتنا عليهم، فينصرون.

و أخرج أبو نعيم في «الدلائل» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان يهود أهل المدينة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب من أسد وغطفان وجهينة وعذرة، يستفتحون عليهم ويستنصرون، ويدعون عليهم باسم نبي الله فيقولون: اللهم، ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك وبكتابك الذي تنْزل عليه، الذي وعدتنا إنك باعثه في آخر الزمان».(الدر المنشور١/٢١٦)

وقال السيوطي في تفسير الجلالين: «(وَكَانُوا۟ مِن قَبۡلُ) مجيئه (يَسۡتَفۡتِحُونَ) يستنصرونه (عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟) يقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان».(تفسير الجلالين)

(٢) قال البخاري وغيره:(يَسۡتَفۡتِحُونَ) يستنصرون.(صحيح البخاري، كتاب التفسير)

(٣)قال القرطبي: «قال ابن عباس: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فلما التقوا هزمت يهود، فعاذت يهود بهذا الدعاء وقالوا: إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا تنصرنا عليهم قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا».(تفسير القرطبي ٢/٢٧)

(٤) قال الآلوسي:« ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة.

والمعنى يطلبون من الله تعالى أن ينصرهم به على المشركين، كما روى السدي أنهم

كانوا إذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين أخرجوا التوراة ووضعوا أيديهم على موضع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: «اللهم إنا نسألك بحق نبيك الذي وعدتنا أن تبعثه في آخر الزمان أن تنصرنا اليوم على عدونا» فينصرون. فالسين للطلب، والفتح متضمن معنى النصر بواسطة «على».

أو يفتحون عليهم... أي: يعرفون المشركين أن نبيا يبعث منهم، وقد قرب زمانه، فالسين زائدة للمبالغة، كأنهم فتحوا بعد طلبه من أنفسهم».(روح المعاني ١/٣٢٠)

(٥) قال ابن حجر: «قال الواحدي: قال ابن عباس: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فإذا التقوا هزمت يهود، فعاذت اليهود بهذا الدعاء: «اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم»، فكانوا إذا التقوا فدعوا بهذا الدعاء هزموا غطفان، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به، فأنزل الله عزوجل: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: بك يا محمد. إلى قوله: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ».(العجاب في بيان الأسباب ١/٢٨٢، للحافظ ابن حجر)

(٦) قال أبو منصور الماتريدي: (يَسْتَفْتِحُونَ): يستنصرون (عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟) قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يقولون: «اللهم انصرنا بحق نبيك الذي تبعثه»، فلما لم يجئهم على هواهم ومرادهم كفروا به، فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ».(تفسير الماتريدي/ تأويلات أهل السنة للعلامة محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المتوفى:٣٣٣هـ)

(٧) قال ابن القيم رحمه الله: «فإنهم كانوا يحاربون جيرانهم من العرب في الجاهلية ويستنصرون عليهم بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره فيفتح لهم وينصرون، فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به وجحدوا نبوته...».(بدائع الفوائد٢/٤٤٥. ومثله في: هداية الحيارى ١/٢٤٩)

(٨) قال ابن كثير: «... من طريق عبدالملك ابن هارون بن عنبرة، عن أبيه، عن جده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كانت اليهود بخيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر، فعاذت اليهود بهذا الدعاء فقالوا: «اللهم نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم». قال: فكانوا إذا التقوا

دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان. فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به. فأنزل الله عزوجل: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية. وروى عطية عن ابن عباس نحوه. وروى عن عكرمة من قوله نحو ذلك أيضا».(السيرة النبوية لابن كثير١/٢٩٢)

وفيما يلي نصوص من ذكروا المعنيين: التوسل به صلى الله عليه وسلم وإخبار الكفار بظهوره، وقدموا معنى التوسل في الذكر:

(٩) قال المظهري: «يستفتحون: يستنصرون على الذين كفروا، أي: على مشركي العرب ويقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة، وكانوا ينصرون. وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا، فنقتلكم معه قتل عاد وثمود وإرم. أو المعنى أن اليهود كانوا يفتحون على المشركين نعت النبي صلى الله عليه وسلم ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم، وقد قرب زمانه».(التفسير المظهري١/٩٤)

(١٠) قال الخازن: «يستفتحون، أي: يستنصرون به على الذين كفروا يعني مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا إذا أحزنهم أمر ودهمهم عدو يقولون: «اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة»، فكانوا ينصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي...».(لباب التأويل في معاني التنْزيل، المعروف بتفسير الخازن ١/٦٩)

(١١) قال البغوي: «وذلك أنهم كانوا يقولون إذا أحزنهم أمر أو دهمهم عدو: «اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة، فكانوا ينصرون»، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي يخرج...». (تفسيرالبغوي/ معالم التنْزيل في تفسير القرآن ١/١٤١-١٤٢)

(٢) الدليل الثاني من القرآن الكريم: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة: ٣٥)

استدل كثير من أهل العلم بالآية على جواز التوسل؛ فإن «الوسيلة» تعم التوسل بالأنبياء و الصالحين، وفيما يلي نصوصهم:

(١) قال ابن عجيبة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: ٥٦): «وقال الشيخ الجزولي رضي الله عنه في دلائل الخيرات: وهي [الصلاة على

النبي صلى الله عليه وسلم] من أهم المهمات لمن يريد القرب من رب الأرباب.

وقال شارحه: و وجه أهميتها من وجوه، منها: ما فيها من التوسل إلى الله سبحانه بحبيبه و مصطفاه، وقد قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾، ولا وسيلة إليه أقرب ولا أعظم من رسوله الأكرم صلى الله عليه وسلم». (البحر المديد ٧٩/٦)

(٢) قال الشعراوي: «وقوله سبحانه: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾... ولا نريد أن ندخل هنا في مجال التوسل بالنبي أو الأولياء؛ لأنها مسألة لا يصح أن تكون مثار خلاف من أحد...، فالذي يتوسل إلى النبي أو الولي هو يعتقد أن له منْزلة عند الله، وهل يعتقد أحد أن الولي يجامله ليعطيه ما ليس له عند الله؟ طبعا لا». (تفسير الشعراوي المسمى بالخواطر، ص ٣١٠٧، للشيخ محمد متولي الشعراوي المصري، وتفسيره هذا أول تفسير صوتي متكامل)

(٣) قال العلامة ابن عابدين: «(قوله: لأنه لا حق للخلق على الخالق) قد يقال: إنه لا حق لهم وجوبا على الله تعالى؛ لكن الله سبحانه وتعالى جعل لهم حقا من فضله. أو يراد بالحق الحرمة والعظمة، فيكون من باب الوسيلة، وقد قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾». (رد المختار ٣٩٧/٦)

(٤) قال العلامة السخاوي: «وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ على قولين...، وقال أبو عبيدة: توسلت إليه: تقربت، واختاره الواحدي والبغوي والزمخشري فقال: الوسيلة كل ما يتوسل به، أي يتقرب من قرابة أو صنيعة، ومن هذا القول التوسل إلى الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم». (القول البديع، ص ٣٧١، الصلاة عليه بعد الأذان)

(٥) قال العلامة ابن حجر الهيتمي: « وقال آخرون: كل ما يتوسل، أي: يتقرب به، كالتوسل إلى الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم». (الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، ص ٢٠٦، الرابع: عقب إقامتها)

وحيث تجلى من خلال تفسير الوسيلة لغة وتفسير الصحابة والتابعين لها أن كل ما فيه رضا وتقربا إلى الله تعالى، فهو وسيلة لها للتقرب منه سبحانه وتعالى، ويعم ذلك — بجانب الإيمان والعمل الصالح – صحبة الأنبياء والصالحين وحبهم؛ لأنها من أسباب رضوان الله تعالى، ولذا يصح التوسل بها إلى الله تعالى والدعاء. كما استسقى عمر رضي

الله عنه وتوسل بالعباس رضي الله عنه، فاستجاب الله تعالى دعاءه. (معارف القرآن للمفتي محمد شفيع رحمه الله ١٢٨/٣)

(٩) يقول العلامة الكوثري رحمه الله في «محق التقول في مسألة التوسل»: «و هم في إنكارهم التوسل محجوجون بالكتاب والسنة والعمل المتوارث والمعقول: أما الكتاب فمنه قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾، والوسيلة بعمومها تشمل التوسل بالأشخاص والتوسل بالأعمال... أما شمول الوسيلة في الآية المذكورة للتوسل بالأشخاص فليس برأي مجرد ولا هو بمأخوذ من العموم اللغوي فحسب؛ بل هو المأثور عن عمر الفاروق رضي الله عنه حيث قال بعد أن توسل بالعباس رضي الله عنه في الاستسقاء: «هذا والله الوسيلة إلى الله عز وجل...» كما في الاستيعاب لابن عبد البر».(مقالات الكوثري، ص ٣٧٨)

(٣) الدليل الثالث من القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ (النساء: ٦٤)

القصة الأولى: ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية قصة العتبي، وسبقت تفاصيلها، كما ساق العلامة الثعالبي (المتوفى عام ٨٧٥هـ)، والعلامة السيوطي (المتوفى عام٩١١هـ)، والعلامة محمد سيد الطنطاوي (المتوفى١٤٣١هـ)، غيرهم من المفسرين قصة العتبي هذه في تفسير الآية، كما أن المصادر غير التفسيرية التي تسوق القصة تنص على أن الأعرابي أشار إلى هذه الآية.

القصة الثانية: ومن المفسرين الذين سردوا قصة الأعرابي في رواية علي رضي الله عنه، المماثلة لقصة العتبي، في تفسير الآية: العلامة النسفي، والعلامة ابن حيان الأندلسي، والعلامة القرطبي، والعلامة الثعلبي، (المتوفى ٤٢٧)، والمفتي محمد شفيع رحمهم الله جميعا، و لم يذكر مصدر من المصادر هذه القصةَ إلا نص على أن الأعرابي أشار إلى هذه الآية.

(٣) حين نصح الإمام مالك الخليفة المنصور بأن يدعو مستقبل القبر، لأن محمدا صلى الله عليه وسلم سيكون وسيلته ووسيلة آدم عليه السلام، استشهد— الإمام مالك– بهذه الآية نفسها. و سبق ذكر هذه القصة.

أدلة موجزة من الأحاديث:

تعاقبت الاعتراضات على وجه الاستدلال في كل حديث وغيره من الأمور

والأجوبة عنها من الطرفين، وألفت كتب منهما، نكتفي هنا بالأمور الهامة:

(١) توسل عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه:

عن أنس بن مالك: أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون». (صحيح البخاري، رقم: ١٠١٠، باب سؤال الناس الإمام الستسقاء...)

إيراد: يقول المنكرون: هذا دليلنا، فإنه لو جاز التوسل بالأموات لم يعدل عمر رضي الله عنه عن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه.

الجواب: جمع عمر رضي الله عنه في التوسل بالعباس بين ثلاثة أمور: قبول دعوة العباس، و التوسل بذات العباس رضي الله عنه، والتوسل بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وخلاصة التوسل بالأخيرين هو التوسل بحب النبي صلى الله عليه وسلم. ثم إن اختيار قسم من التوسل لا ينفي التوسل بالقسم الآخر. أضف إلى ذلك أن المنكرين لا يقولون بالتوسل بالأحياء أيضا. فما ينفعهم إثبات التوسل بالحي ونفي التوسل بالميت؟ وإن المنكرين يحملونه على التوسل بالدعاء، ثم يقولون: التوسل يكون بعمل المرء نفسه، لا بعمل غيره، فكيف ساغ التوسل بدعاء العباس. وطلب الدعاء من أحد يختلف عن التوسل بدعاء الغير، ونقل الشيخ عبد الجبار عن «صيانة الإنسان»: «لكن الثابت إنما هو توسل الشخص بأعمال نفسه، لا بأعمال غيره من الأنبياء و الصالحين». (التعليق الصحيح على مشكاة المصابيح، ص ٦١٥) والشيخ عبد الجبار من كبار علماء حركة إشاعة السنة، وشيخ الحديث بمركز الإشاعة، ولكبار علماء المركز تقريظات لهذا الكتاب.

والجدير بالذكر أن عمر رضي الله عنه لم يعدم يومئذ من هو خير من العباس رضي الله عنه، وهم العشرة المبشرة، وأعرض عمر عن التوسل بهم إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه، فكأنها كانت علاقة خاصة، اتصف بها العباس، وهي قرابته مع النبي صلى الله عليه وسلم، فكأن المقصود الأصل في هذا التوسل هو ذات الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن القرائن الدالة على ذلك ما يلي:

١- لم يقل: بالعباس، وإنما قال: بعم نبيك، أو بعم نبينا.

٢- قال العباس رضي الله عنه بهذه المناسبة: «اللهم... وقد توجه القوم بي إليك

لمكاني من نبيك».(الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه العشرة ١٤/٢؛ فتح الباري ٤٩٧/٢)

٣-أشار كعب الأحبار على عمر رضي الله عنه بأن بني إسرائيل كانوا يتوسلون بآل الآنبياء في القحوط، فقال عمر: هذا العباس بين أيدينا، ثم توسل به.

«فقال كعب: يا أمير المؤمنين! إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم أشباه هذا استسقموا بعصبة الأنبياء، فقال عمر: هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه وسيد بني هاشم، فشكا إليه عمر ما بالناس فصعد عمر المنبر وصعد معه العباس، فقال عمر: اللهم إنا توجهنا إليك بعم نبيك وصنو أبيه...».(تاريخ مدينة دمشق ٣٥٩/٢٦، الاستيعاب ٨١٤/٢. البدء والتاريخ لابن طاهر المقدسي ١٨٧/٥)

قال حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي في نشر الطيب (ص ٢٥)، والشيخ ظفر أحمد التهانوي في إمداد الأحكام، والشيخ المفتي رشيد اللدهيانوي في أحسن الفتاوى وغيرهم: إن هذه الرواية لا تنفي التوسل بالأموات، وكان عمل عمر لسبب خاص.

قال الشيخ رشيد أحمد: أما ما يقال من أنه لِمَ توسل عمر رضي الله عنه بالعباس دون النبي صلى الله عليه وسلم؟ فيحتمل ذلك وجوها:

١- قصد دعاء النبي صلى الله عليه وسلم مع التوسل بالعباس.

٢- قصد التنبيه على أن التوسل بالنبي على وجهين: التوسل بذاته، والتوسل بقرابته.

٣- قصد التنبيه على أن التوسل بغير الأنبياء من الأولياء والصالحين أيضا من أسباب البركة ومجلبة للرحمة.

٤- الطبيعة الإنسانية أكثر استيناسا بالموجود المحسوس لها.(أحسن الفتاوى ٣٣٥/١)

وعلى كل، دل حديث «نتوسل إليك بعم نبيك» على التوسل القولي. أضف إلى ذلك أن المصادر التي تفصل هذه المسألة جاء فيها: أن عمر رضي الله عنه قال للعباس: «قم يا أبا الفضل، فاستسق ...». فثبت بذلك التوسل الفعلي، أو التوسل بدعاء الحي، أو طلب الدعاء من الحي.

الحديث(٢): حديث الأعمى:

عن عثمان بن حنيف، أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله أن يعافيني قال: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك». قال:

فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في». (سنن الترمذي، رقم: ٣٥٧٨)

مكانة الحديث والكلام على رواته:

(١) قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب». فالحديث على درجة عالية.

(٢) من عادة ابن ماجه أنه يكتفي بنقل الحديث، وقلما صحح أو ضعف حديثًا من الأحاديث. وهذا الحديث مما تكلم عليه، فقال بعد سرد الحديث: «قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح». عدد الأحاديث في سنن ابن ماجه (٤٣٣٢)حديثا، و لم يصحح المؤلف حديثا منها إلا هذا الحديث.

ساق الحاكم رحمه الله هذا الحديث في عدد من المواضع ،وصححه، مثلا: حديث رقم:١١٨٠، قال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين». وحديث رقم:١٩٠٩، قال: «هذا حديث صحيح الإسناد». ورقم:١٩٣٠ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري». وأقره الذهبي عليه.

إيراد: إنما يصح استدلالكم إذا كان أبو جعفر الراوي الثقة. وفي إسناده أبو جعفر الرازي، وهو سيء الحفظ. وقيل: هو أبو جعفر المدائني، الذي قال فيه الإمام مسلم في مقدمته (ص٥): واضع الحديث. وأشار النووي في موضع من شرح صحيح مسلم (١٧/٢) إلى كلام الإمام مسلم في مقدمته وعدَّه من الضعفاء والوضاعين. (جواهر القرآن)

وقيل: أبو جعفر مجهول. (البصائر)

وفوق ذلك قال الحافظ ابن حجر: هو غير الخطمي. قال الحافظ: أبو جعفر عن عمارة بن خزيمة قال الترمذي: ليس هو الخطمي. (تقريب التهذيب، ص٦٢٩)، فهو أبو جعفر المدائني أو الرازي.

الجواب: الصحيح أنه أبو جعفر الخطمي، واسمه: عمير بن يزيد بن عمير الأنصاري، أبو جعفر الخطمي المدني. جده من قبل أبيه وجده من قبل أمه من الصحابة.

والمديني: بالياء، لأن الناس كانوا ينسوب أنفسهم إلى المدينة فيقولون: المدني والمديني. ثم جاء أبو جعفر المنصور (المتوفى ٢٣٦هـــ) فعدَّل اسم بغداد إلى «مدينة السلام». ففرق أهل العلم في النسبة إلى المدينتين.

قال الإمام النووي: تصح النسبة على الوجهين. (مقدمة صحيح مسلم).

الخطمي: نسبة إلى «خطمة» رجل من الأنصار.

وعلى كل:

١- صرحت عدة مصادر بالخطمي في هذه الرواية. كما فعل كل من الإمام أحمد والحاكم والطبراني، والبيهقي، والمزني وابن تيمية وابن السني رحمهم الله تعالى.

٢- وفي نسخة الترمذي الهندية: غير الخطمي، تصحيف من الناسخ؛ لأن النسخ الأخرى للترمذي جاء فيها: «وهو الخطمي»، منها على سبيل المثال:

(١) نسخة تحقيق بشار عواد. (٢)نسخة: تحقيق الشيخ الألباني. (٣) نسخة: تحقيق الشيخ أحمد شاكر. (٤) نسخة: تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبي. (٥) نسخة: تحقيق محمود محمد محمود حسن الأنصاري. (٦) عارضة الأحوذي في شرح الترمذي للقاضي أبي بكر بن العربي. (٧) نسخة: تحفة الأشراف للمزي.

فلا يصح قول الحافظ ابن حجر: «غير الخطمي».

٣- ولا يقال: هو غير أبي جعفر الخطمي؛ لأن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله صحح أنه هو الخطمي.(مجموع الفتاوى ١/٢٦٦)

٤- وكذلك يقول الشيخ الألباني في «التوسل»: يوردون عليه، وهذا الإيراد غير صحيح، فإن الصحيح هو الخطمي، ثم ساق القرائن عليه وقال: «لا شك في صحة الحديث».(التوسل، ص ٨٤)

قال المعلق عليه: «وعلى هذا فالإسناد جيد لا شبهة فيه».(التوسل، ص ٩٦)

تكلم في «جواهر القرآن» على أنه هو أبو جعفر المدائني، وهذا الجرح عبث؛ لأنه ليس هو هذا.

وجعله في «تحريرات حديث» (ص ٢٥٣) أبا جعفر المدائني، وأشار إلى المستدرك، ثم بحث بحثا طويلا أن الراوي متكلم فيه.

والجواب عنه: لا يوجد في المستدرك للحاكم «المدائني»، وإنما أوهم ذلك: «المدني» أو «المديني». فلا يصح هذا الجرح فيه.

انظر نص المستدرك:(١) رقم:١١٨٠، عن أبي جعفر المديني. (٢) رقم:١٩٠٩: عن أبي جعفر المدني. (٣) ١٩٢٩: عن أبي جعفر الخطمي. (٤) رقم:١٩٣٠، عن أبي جعفر المدني، وهو الخطمي. فليس في هذه المواضع الأربعة: المدائني.

الحديث(٣): تعليم عثمان بن حنيف بعض الناس هذا الدعاء:

خلاصة القصة أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف، فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل...، فصنع ما قال له عثمان، ثم أتى باب عثمان، فجاء البواب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة، وقال: حاجتك؟ فذكر حاجته، فقضاها له.

ثم ذكر عثمان بن حنيف حديث الأعرابي. قال الطبراني: «والحديث صحيح».(المعجم الصغير١/١٨٣)

إيراد: في الحديث اضطراب، فمرة ذكر القصة، و لم يذكرها أخرى. وسمع عبد الله بن وهب هذا الحديث من شبيب بن سعيد بعد الاختلاط.

الجواب: (١) روى عن شبيب ثلاثة: ١- عبد الله بن وهب. ٢- أحمد بن شبيب. ٣- إسماعيل بن شبيب.

وصحيح أن عبد الله بن وهب سمع الحديث من شبيب في مصر بعد الاختلاط، فحديثه ضعيف، ولكن الآخرين سمعا منه في البصرة قبل الاختلاط، فحديثهما صحيح.

(٢) فأما قولهم: مرة يذكر القصة، وأخرى لا يذكرها، فعبث، فإنه قد ينشط فيذكر القصة، وقد لا يذكرها لعدم ذلك. ومن عادات المحدثين السارية أنهم يختصرون الحديث حينا، ويفصلونه حينا آخر.

درسنا أسانيد هذا الحديث دراسة مفصلة في فتاوى دارالعلوم زكريا المجلد الأول، مما يوضح أن الحديث المختصر من غير ذكر القصة مقبول، ومعتبر، فإن إسناده صحيح. وأما الحديث الذي جاء فيه ذكر القصة فلا يقل عن الحسن بضم المتابعات إليه.

وفيما يلي خريطة لأسانيد الحديث:

حديث التوسل من رواية الصحابي الجليل

عثمان بن حنيف

عمارة بن خزيمة بن ثابت — أبي أمامة سهل بن حنيف

أبوجعفر عمير بن زيد بن عمير بن حبيب بن خماشة الخطمي المدني (ثقة).(تهذيب الكمال٢٢/٣٩٢).

شعبة: (أمير المؤمنين في الحديث)
بدون القصة المشهورة
أخرجه أحمد، والترمذي، وابن خزيمة، وابن ماجه، والحاكم، والنسائي في الكبرى، وعمل اليوم والليلة، والبيهقي في دلائل النبوة، والدعوات الكبير، والطبراني في الكبير عن شعبة عن أبي جعفر عن أبي أمامة سهل بن حنيف، والطبراني في الدعاء، وعبد الله بن حميد، وأبو نعيم، والبخاري في التاريخ، وابن قانع، وابن الأثير و ابن عساكر. قلت: هذا إسناد صحيح مقبول، وقد صححه كثير من الحفاظ وأئمة الحديث، فمن قال بخلافه فقوله مردود عليه.

حماد بن سلمة (ثقة)
بدون القصة:
أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، وأحمد، والبيهقي في دلائل النبوة، والبخاري، والذهبي، وأبو نعيم، وروى عنه أبو بكر بن خيثمة في تاريخه، وزاد: «وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك». قلت:هذه الزيادة تفرد بها حماد وهو ثقة، فالزيادة مقبولة.

هشام الدستوائي(ثقة)
بدون القصة:
أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، والسنن الكبرى، والمزي، والبخاري، والبيهقي.

روح بن القاسم (ثقة)

شبيب بن سعيد أبوسعيد المكي البصري التميمي الحَبَطي (ثقة) — **عون بن عمارة**(وهو ضعيف)

عون بن عمارة: بدون القصة
أخرجه الحاكم، والطبراني في الدعاء، وأبونعيم في معرفة الصحابة، وابن حبان في المجروحين.

أحمد بن شبيب(ثقة)، **إسماعيل بن شبيب** (مجهول)، **عبد الله بن وهب**(ثقة)

العباس بن الفرج
(ثقة) بدون القصة
ابن السني

عبد المتعال بن طالب
(ثقة) بدون القصة
البخاري في التاريخ

أصبغ بن فرج
(ثقة) مع القصة
الطبراني في الدعاء

يعقوب بن سفيان، عباس بن الفرج، محمد بن علي الصائغ، حسين بن يحيى الرازي، العباس بن الفرج

يعقوب بن سفيان	عباس بن الفرج	محمد بن علي الصائغ	حسين بن يحيى الرازي	العباس بن الفرج
(ثقة) مع القصة،	(ثقة) بدون القصة،	(ثقة) بدون القصة،	مجهول بدون القصة،	(ثقة) مع القصة
البيهقي في الدلائل	ابن السني	الحاكم	ابن السني	البيهقي في الدلائل

طريق أحمد عن شبيب قوي، وقد تابعه ابن وهب وإسماعيل، فالحديث مع القصة صحيح، أو حسن على الأقل.

إيراد على الحديث والجواب عنه:

جاء في هذه القصة أن عثمان رضي الله عنه كان لا يلتفت إلى صاحب الحاجة هذا، وعثمان هو هو في حسن خلقه وكرمه وسخائه. فهذا على خلاف ما كان عليه رضي الله عنه؟

الجواب: قد منَّ الله تعالى على عثمان بن عفان رضي الله عنه بفضائل وكمالات كثيرة، كان لين العريكة، مضرب المثل في الرحمة والرفق، فكان منهم من يقلقه ويحرجه من غير مبرر، ومنهم من كان ينسج المكايد ضد الحكومة الإسلامية، ويرفع إليه عن عماله ما ليس له أساس من الصحة، فربما ظن عثمان بن عفان، عثمان بن حنيف على مثل ذلك، و لم يلتفت إليه، ثم قرأ دعاء التوسل فألقي في روعه، ومن الأمثلة على ذلك:

١- عن ابن الحنفية، قال: لو كان علي رضي الله عنه، ذاكرا عثمان رضي الله عنه، ذكره يوم جاءه ناس فشكوا سعاة عثمان، فقال لي علي: «اذهب إلى عثمان فأخبره: أنها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم»، فمر سعاتك يعملون فيها، فأتيته بها، فقال: أغنها عنا، فأتيت بها عليا، فأخبرته فقال: «ضعها حيث أخذتها». (صحيح البخاري، رقم٣١١١، ٣١١٢)

فلم يقبل عثمان قول علي رضي الله عنه الذي كان يعده عثمان ناصحا له؛ لأنه كان على علمٍ بأن ناسا يشكون سعاته من غير مبرر، يريدون إيذاءه، ويستندون إلى علي رضي الله عنه في تمرير الشكاوى الباطلة.

٢- كانوا يشكون وليد بن عقبة بغير حق إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان عثمان على علم بأن وليد بن عقبة عامل كفؤ، له أعمال مجيدة، وإنما يريدون إيذاءه من غير مبرر، ويشكونه إليه، فلم يلتفت عثمان إلى شكاويهم.

هذه القصص ذكرها كتب التاريخ، وللاستزادة من البحث العلمي حوله راجع كتاب «عثمان ذو النورين» لصاحبه الشيخ بشير أحمد الحصاري تلميذ الشيخ العلامة يوسف البنوري رحمه الله، فقد فصل المؤلف الكلام فيه وكيف أن الناس كانوا يؤذون عثمان رضي الله عنه.

الجواب (٢): وربما لم يلتفت عثمان رضي الله عنه إليه لاشتغاله في أمور الدولة،

ولا يبعد أن ينصرف الإنسان إلى أعماله أو ينصرف إلى أمر آخر، فلا يلتفت إلى الداخل عليه ولا يوليه اهتماما، دعنا من عثمان، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله -ذلك الرجل العبقري- كان ينصرف إلى أعماله وأشغاله فلا يكاد يلتفت إلى الداخل عليه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر: «لو قد جاءني مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا»، فلم يجئ حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم، فلما جاء مال البحرين، أمر أبو بكر مناديا فنادى: من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين أو عدة فليأتنا، فأتيته فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي كذا وكذا، فأتيت أبا بكر، فسألت، فلم يعطني، ثم أتيته فلم يعطني، ثم أتيته الثالثة فقلت: سألتك فلم تعطني، ثم سألتك فلم تعطني، ثم سألتك فلم تعطني، فإما أن تعطيني، وإما أن تبخل عني؟ فأعطاه (١٥٠٠).(صحيح البخاري، رقم: ٣١٣٧، ورقم: ٤٣٤٨)

ألا ترى أن أبا بكر لم يلتفت إلى جابر رضي الله عنه، وكان ذلك مرتين. وكم نرى أن الرجل يدخل على عالم من العلماء، ويطلب منه تعويذة، فيقول: تعالَ عصرا، ثم يأتيه عصرا، فيقول: تعالَ بكرة ، فيتأخر الأمر للانشغال أو النسيان.

إيراد على كلمة «يا محمد» في الحديث، والجواب عنه:

جاء في حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه «يامحمد»، في حين ورد النهي عن النداء بـــ يا محمد، كما قال الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ (النور: ٦٣)

الجواب(١): ثبت بالحديث الصحيح: «يا محمد أتوجه بك...الخ. فلا معنى للإيراد على حديث صحيح. وعلَّم النبي صلى الله عليه وسلم صحابيا أعمى هذا الدعاء. وقال الإمام ابن ماجه فيه -على خلاف عادته-: «هذا حديث صحيح».ولم يصحح في الكتاب كله حديثا واحدا غيره، جاء فيه تعليم عثمان بن حنيف رضي الله عنه هذا الدعاء بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقال فيه الطبراني -على خلاف عادته - «والحديث صحيح».

الجواب(٢): إذا كان الغرض هو نداء الرسول صلى الله عليه وسلم فليقل: يا

رسول الله، ولا يقل: يا محمدا. وليس الغرض هنا نداؤه؛ بل التوسل به، فخير كلمة بمناسبة التوسل هي «محمد»؛ لأن كلمة «محمد» يكمن فيها جانب المحمودية والمحبوبية، ويليق بأن نتوسل به لكونه حقيقا بالمحبوبية و المدح.

الجواب(٣): وردت كلمة «يا محمد» في الدعاء الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحقَّ له صلى الله عليه وسلم أن يقول في نفسه: «رسول الله» أو يقول: «يا محمد».

الجواب(٤): ثبت عن السلف الصالح قولهم: يا محمداه، إذا لم يكن الغرض منه نداؤه، فمثلا كانت «يا محمداه» شعار المسلمين يوم اليمامة.(البداية والنهاية ٣٥٧/٦)

جاء في الكلمات التي قالتها أخت الحسين رضي الله عنه بعد استشهاده في كربلاء: «يا محمداه، يا محمداه » أيضًا. (البداية والنهاية ٢١٠/٨)

إيراد آخر: في قوله: يا محمد، نداء غير الله تعالى فيما هو فوق الأسباب، وهو ممنوع؟

الجواب: ١- الكلمات المأثورة في الأدعية تقال كما وردت.

٢- لم يتم نداؤه فيها على اعتباره حاضرا وناظرا، وإنما عبر فيه القائل عن حبه له صلى الله عليه وسلم والقصد التوسل بالمحبة. وردّ عليه الشيخ السهارن فوري ردا مفصلا، راجع: تسكين الصدور، ص ٤٣٣، نقلا عن: البراهين القاطعة، ص ٢١٨؛ وراجع لكلام الشيخ أشرف علي التهانوي: نشر الطيب، ص٢٤٩.

٣- قال الشيخ حسين علي -تلميذ الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ مظهر النانوتوي رحمهما الله- في إيضاح ذلك: «قوله: «يا محمد، يا نبي الله» هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب، فيخاطب المشهود بالقلب، كما يقول المصلي: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، والإنسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره في نفسه، وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب». انتهى.

ثم ساق الشيخ شواهد عديدة. (بلغة الحيران في ربط آيات القرآن، ص ٣٣٧، نقلا عن غاية الأماني ٣٣٤/٢)

وفي الأخير نسوق مصادر المشايخ الكرام في التوسل:

التوسل عند الأئمة الأعلام

- الفقه الحفي
- الفقه المالكي
- الفقه الشافعي
- المفسرون
- التوسل عندالسلفية ومشايخ إشاعة التوحيد
- التوسل والعلامة الآلوسى
- التوسل عند مشايخ ديوبند

المذهب الحنفي:

(١) العلامة مجد الدين الموصلي الحنفي (م:٦٨٣هـــ) صاحب الاختيار: «وقد جئناك سامعين قولك، طائعين أمرك، مستشفعين بنبيك إليك».(١٧٧/١)

(٢) العلامة ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي (م:٧٧٥هـــ): وأسأل الله العظيم بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إتمامه في خير وعافية في دروسي آمين».(الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٣٥٣/١)

(٣) العلامة الإمام كمال الدين ابن الهمام الحنفي رضي الله عنه (م:٨٦١هـــ) في فتح القدير (١٨١/٣): «ويسأل الله تعالى حاجته متوسلا إلى الله بحضرة نبيه عليه الصلاة والسلام، وأعظم المسائل وأهمها سؤال حسن الخاتمة والرضوان والمغفرة، ثم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة فيقول: يا رسول الله، أسألك الشفاعة، يا رسول الله أسألك الشفاعة، وأتوسل بك إلى الله في أن أموت مسلمًا على ملتك وسنتك».

(٤) العلامة الشرنبلالي الحنفي (م: ١٠٦٩هـــ) في مراقي الفلاح في آداب الزيارة (ص: ٢٨٥): «يقف عند رأسه الشريف ويقول: اللهم إنك قلت، وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٦٤)، وقد جئناك سامعين قولك، طائعين أمرك، مستشفعين

بنبيك...

(٥) العلامة مرتضى الزبيدي الحنفي (م:١٠٨٩هـ) قال في خاتمة «تاج العروس» (٥٧٦/٤): «وسألت الله أن لا يكلنا إلى أنفسنا فيما نعمله وننويه بمحمد وآله الكرام البررة».

(٦) العلامة أبو الحسنات اللكنوي (م:١٢٦٤هـ) في مقدمة التعليق الممجد على موطإ محمد (٦٣/١): «واحفظه بحفاظتك من بليات الدنيا والآخرة بحرمة نبيك سيد الأنبياء وآله رؤوس الأتقياء».

(٧) العلامة عبد الغني الغنيمي الحنفي (م:١٢٩٨هـ) صاحب اللباب في شرح الكتاب، قال في خاتمة كتابه شرح العقيد الطحاوية: «وصل وسلم على سيدنا محمد؛ فإنه أقرب من يتوسل به إليك».

(٨) العلامة الشيخ ابن عابدين الحنفي (م:١٢٥٢هـ) قال في مقدمة حاشيته على الدر المختار: «وكذا يقول أسير الذنوب جامع هذه الأوراق راجيا من مولاه الكريم متوسلا بنبيه العظيم وبكل ذي جاه عنده تعالى أن يمن عليه كرما وفضلا بقبول هذا السعي والنفع به للعباد في عامة البلاد، و بلوغ المرام بحسن الختام والاختتام، آمين».(رد المحتار ٧٨/١)

(٩) العلامة الشيخ محمد علاء الدين (م:١٣٠٦هـ) ابن الشيخ ابن عابدين قال في خاتمة تكملة حاشية والده: «كان الله له ولوالديه وغفر له ولأولاده، ولمشايخه ولمن له حق عليه بجاه سيد الأنبياء والمرسلين».

(١٠) في كتاب الفتاوى الهندية (٢٦٦/١) كتاب المناسك، خاتمة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم: «ثم يقف عند رأسه صلى الله عليه وسلم كالأول ويقول: اللهم إنك قلت، وقولك الحق: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ... ﴾، وقد جئناك سامعين قولك طائعين أمرك، مستشفعين بنبيك إليك».

(١١) العلامة عبد الرحمن بن محمد المعروف بداماد آفندي (م:١٠٧٨هـ) في كتاب مجمع الأنهر في شرح ملتقي الأبحر: «وخلصني وإياه بفضله عن عذاب الجحيم،

آمين، بحرمة سيد المرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين».

وفيه أيضا: «تجاوز الله عني وعن سائر المؤمنين بحرمة سيد المرسلين صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين».(مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر)

المذهب المالكي:

(١) القاضي عياض (م:٥٤٤هـ) في كتابه الشهير «الشفا».

(٢) العلامة القرافي المالكي (م:٦٨٢هـ) ذكر قصة العتبي، وأقرها في الذخيرة (٣/٣٧٥-٣٧٦).

(٣) العلامة محمد بن موسى بن النعمان المراكشي المالكي (م:٦٨٣هـ) في كتابه «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام»، وينقل عنه كثيرا السمهودي في وفاء الوفا، في الجزء الثاني في باب التوسل بالنبي الطاهر.

(٤) العلامة الشيخ ابن الحاج المالكي (م:٧٣٧هـ) المعروف بإنكاره للبدع، في كتابه «المدخل» (١/٢٥٩-٢٦٠): «فالتوسل به عليه الصلاة والسلام، هو محل حط أحمال الأوزار وأثقال الذنوب والخطايا؛ لأن بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب، إذ أنها أعظم من الجميع، فليستبشر من زاره، ويلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام ومن لم يزره، اللهم لا تحرمنا شفاعة بحرمته عندك آمين يا رب العالمين، ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم».

(٥) وقال أيضا في «المدخل» (١/٢٥٤): «فإن كان الميت المزار ممن ترجى بركته فيتوسل إلى الله تعالى به، وكذلك يتوسل الزائر بمن يراه الميت ممن ترجى بركته إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ بل يبدأ بالتوسل إلى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم إذ هو العمدة في التوسل، والأصل في هذا كله، والمشرّع له، فيتوسل به صلى الله عليه وسلم، وبمن تبعه بإحسان إلى يوم الدين. وقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه...».

(٦) العلامة ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن محمد، الحضرمي الإشبيلي (م:٨٠٨هـ) في تاريخه (٦/٤٩): «نسأله سبحانه وتعالى من فيض فضله العميم، ونتوسل

إليه بجاه نبيه الكريم أن يرزقنا إيمانا دائما وقلبا خاشعا وعلما نافعا...».

(٧) العلامة أبو الطيب المكي الفاسي المالكي (م:٨٣٢هـ) في ذيل التقييد (٣٣/١): «وأسأل الله أن يوفقني في ذلك للسداد، وأن يسعفني ومن أصلح فيه خللا نيل المراد بمحمد سيد المرسلين وآله وصحبه الأكرمين».

(٨) العلامة إبراهيم بن إبراهيم اللقاني المالكي (صاحب جوهرة التوحيد) (م:١٠٣١هـ) قال: ليس للشدائد والغموم مما جربه المعتنون مثل التوسل به صلى الله عليه وسلم. اهـ. مذكور في: (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٨/١).

(٩) العلامة محمد الزرقاني المالكي (م:١١٢٢هـ) قال في خاتمة شرحه للمؤطا (٦٩٥/٤):«وأسالك من فضلك متوسلا إليك بأشرف رسلك أن تجعله خالصا لوجهك».

المذهب الشافعي:

(١) الإمام الغزالي الشافعي رحمه الله تعالى (م:٥٠٥هـ) قال في إحياء العلوم: الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها (٢٥٩/١): « ثم يقول: اللهم إنك قد قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٦٤)، اللهم إنا قد سمعنا قولك، وأطعنا أمرك، قصدنا نبيك مستشفعين به إليك في ذنوبنا... وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنْزلته عندك وحقه عليك».

(٢) الإمام النووي (م:٦٧٦هـ) في المجموع (٢٧٤/٨) كتاب صفة الحج، باب زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم: «ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم، ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى، ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا عن العتبي مستحسنين له، قال: كنت جالسا...». (المجموع ٢٧٤/٨)

وأكثر الإمام النووي ذكر استحباب التوسل في مصنفاته، كما في حاشية الإيضاح على المناسك له (ص٤٥٠)، و(ص ٤٩٨) من طبعة أخرى، وفي الأذكار (ص ٣٠٧) من

طبعة دار الفكر، في كتاب أذكار الحج، و(ص ١٨٣) من طبعة المكتبة العلمية.

(٣) العلامة المحب الطبري الشافعي (م:٦٩٤هـ) في مقدمة ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى (ص٥): «وغمر في غفرانه ذنوبنا بحرمتهم كما غمر بإحسانه قلوبنا بمحبتهم، وأحسن مآبنا بجاههم عليه، كما علق آمالنا بالتوسل به إليه».

(٤) العلامة علي بن عبد الكافي بن علي السبكي (م:٧٥٦هـ) في كتابه شفاء السقام (ص١٥٣): «اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى: وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوام من المسلمين، و لم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان ولا سمع به في زمن من الأزمان».

(٥) العلامة الحافظ ابن كثير (م:٧٧٤هـ) في البداية والنهاية (١٩٢/١٣) في أحداث عام ٦٥٤: «هذه النار في أرض ذات حجر لا شجر فيها ولانبت...، فالله يجعلها عبرة للمسلمين ورحمة للعالمين بمحمد وآله الطاهرين».

(٦) العلامة ابن الملقن (م:٨٠٤هـ): أسأل الله الكريم إتمامه مصونا عاجلا على أحسن الوجوه، وأبركها، وأعمها، وأنفعها، وأدومها بمحمد وآله».(البدر المنير ٣٤٤/١)

(٧) العلامة شمس الدين الرملي (م:٨٩٤هـ): «... محيي الدين النووي، تغمده الله برحمته، ونفعها والمسلمين ببركته بجاه محمد وآله وعترته».(نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ١٠/١)

(٨) و قال الرملي أيضا: «وأساله الإعانة على الإتمام بجاه محمد سيد الأنام ومصباح الظلام، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين».(نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ٤٨١/٥)

(٩) العلامة الحافظ السخاوي (م:٩٠٢هـ)، قال في خاتمة شرح ألفية العراقي في الحديث (٤٠٥/٤): «(وأفضل الصلاة والسلام على النبي)... سيدنا محمد (سيد الأنام) كلهم، و وسيلتنا وسندنا وذخرنا في الشدائد والنوازل صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا آمين، آمين، آمين».

(١٠) العلامة السيوطي (م:٩١١هـ) في آخر تاريخ الخلفاء (ص٣٦٩): «و أسال الله تعالى أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المئة التاسعة بجاه محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه أجمعين. آمين».

(١١) وقال في الإتقان (٥٠٢/٢): «والله أسأل أن يعين على إكماله بمحمد وآله».

(١٢) العلامة زكريا الأنصاري (م:٩١٩هـ) في فتح الوهاب (٢٥٧/١): «ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه».

(١٣) العلامة القسطلاني (م:٩٢٣هـ) في المواهب اللدينة (٥٩٣/٤): «وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه».

(١٤) العلامة ابن حجر الهيثمي الشافعي (م:٩٧٣هـ) في خاتمة كتابه: «تحفة الزوار إلى قبر المختار»: «ختم الله لنا ولمن رأى في هذا الكتاب بالسعادة والخير ورفعنا وإياهم في الجنة إلى المقام الأسنى بجاه سيد الأولين والآخرين».

(١٥) العلامة الخطيب الشربيني (م:٩٧٧هـ) في مقدمة مغني المحتاج (٨٦/١): «جمعني الله وإياهم والمسلمين في مستقر رحمته بمحمد وآله وصحابته».

وقال في آخر مغني المحتاج (٥٢٤/٤): «وأن يحشرني في زمرة من رحمه، أنا ووالدي، وأولادي، وأقاربي، ومشايخي، وأحبابي، وأحبائي وجميع المسلمين بمحمد وآله وصحبته أجمعين».

(١٦) العلامة إسماعيل بن محمد العجلوني الشافعي (م:١١٦٢هـ) في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» (٥١٥/٢): «وضع الله عنا سيئات أعمالنا بإفضاله الجاري، وختمها بالصالحات بجاه محمد صلى الله عليه وسلم سيد السادات». وفي كشف الخفاء أيضا (٤٧/٢) نقلا عن البعض:

يا رب فارحمني بجاه المصطفى ۞ كنْز الوجود وذي الهبات الباهرة

وبخير خلقك لم أزل متوسلا ۞ ذي المعجزات وذي العلوم الفاخرة

المذهب الحنبلي:

(١) العلامة برهان الدين بن مفلح (م:٨٠٣هـ) في «المبدع في شرح المقنع» (٢٠٧/٢): «قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروذي: إنه يتوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه، وجزم في المستوعب وغيره».

(٢) وقريب منه ما في الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (٢٠٨/١) للعلامة موسى بن أحمد الحجاري المقدسي (م:٩٦٨هـ).

(٣) والفروع (٢٢٩/٣) للعلامة محمد بن مفلح المقدسي الراميني الحنبلي (م:٧٦٣ه).

(٤) العلامة علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (م:٨٨٥هـ) في «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» (٤٥٦/٢) في كتاب صلاة الاستسقاء: يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب، وقيل: يستحب، قال الإمام أحمد للمروذي: يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه...

(٥) العلامة ابن الجوزي (م:٥٩٧هـ) في كتاب الوفا في فضائل المصطفى، فيه باب التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم.

(٦) العلامة عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الشهير بإبن قدامة المقدسي (م:٦٢٠ه) في «المغني» (٤٧٩/٣): «اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ...﴾ وقد أتيتك مستغفرا من ذنوبي، مستشفعا بك إلى ربي، فأسألك يا رب أن توجب لي المغفرة، كما أوجبتها لمن أتاه في حياته.

(٧) العلامة منصور بن يونس البيهوتي الحنبلي (م:١٠٥١هـ) في كتاب كشاف القناع عن متن الإقناع (٦٨/٢): «ويستحب أن يخرج معه أهل الدين والصلاح والشيوخ)... وقال السامري وصاحب التلخيص: لا بأس بالتوسل في الاستسقاء بالشيوخ والعلماء المتقين. وقال في المذهب: يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح، وقيل: يستحب...».

المفسرون:

(١) «أعان الله على إكماله، بحق محمد صلى الله عليه وسلم».(تفسير الرازي ٢٩١/٢٣)

(٢) «حشرنا الله في زمرته ولا حاد بنا عن طريقته وملته بحق محمد وآله».(تفسير القرطبي ٢٤٠/٨)

(٣) «واكشف عنا غطاءنا بحق محمد وآله صلى الله عليه وسلم عليهم».(تفسير النيسابوري: غرائب القرآن ٣٢٥/٥)

(٤) ويجعلنا من الفرقة الناجية بحق النبي الذي به وصل من وصل إلى الله عزوجل». (روح البيان ١٥٧/٢)

موقف قيادات غير المقلدين من التوسل:

(١) قبل كل شيء، لم يشدد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله —الذي يعده اللامذهبيون قدوة وإماما لهم– في مسألة التوسل. ورغم أنه خالف مذهب الجمهور في ذلك، وذهب إلى جوازه بتأويل فيه، ويقول: إذا توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بقصد الإيمان به والموالاة له، جاز، ويشدد بعض الناس اليوم فيه.

قال العلامة ابن تيمية: «وقد ذكر بعض هذه الحكايات من جمع في الأدعية. وروي في ذلك أثر عن بعض السلف، مثل ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب مجابي الدعاء [ص١٥٤، دعاء رجل بالشفاء] قال: حدثنا أبو هاشم، سمعت كثير بن محمد بن كثير بن رفاعة يقول: جاء رجل إلى عبد الملك بن سعيد بن أبجر، فجس بطنه، فقال: بك داء لا يبرأ، قال: ما هو؟ قال: الدبيلة. قال: فتحول الرجل، فقال: الله الله، الله ربي، لا أشرك به شيئا، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم تسليما، يا محمد، إني أتوجه بك إلى ربك وربي يرحمني مما بي. قال: فجس بطنه، فقال: قد برئت ما بك علة.

قلت: فهذا الدعاء ونحوه قد روي أنه دعا به السلف، ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروذي التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء، ونهى عنه آخرون. فإن كان مقصود المتوسلين التوسل بالإيمان به وبمحبته وبموالاته وبطاعته، فلا نزاع بين الطائفتين، وإن كان مقصودهم التوسل بذاته فهو محل النِّزاع...».(قاعدة جليلة في التوسل

والوسيلة، ص١٩٩)

وفيه في مقام آخر: «فإن قيل...، فيحمل قول القائل: «أسألك بنبيك محمد»، على أنه أراد: إني أسألك بإيماني به وبمحبته، وأتوسل إليك بإيماني به ومحبته، ونحو ذلك، وقد ذكرتم أن هذا جائز بلا نزاع.

قيل: من أراد هذا المعنى فهو مصيب في ذلك بلا نزاع، وإذا حمل على هذا المعنى كلام مَن توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد مماته من السلف كما نقل عن بعض الصحابة و التابعين وعن الإمام أحمد وغيره، كان هذا حسنا، وحينئذ فلا يكون في المسألة نزاع».(قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص١١٩)

(٢) وقال العلامة الشوكاني رحمه الله بجواز التوسل؛ بل عمل رسالة في إثباته، و ردّ أدلة المانعين ردًّا مقنعا.

وقال الشوكاني: «وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى وأنه المعطي المانع».(تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، ص٢١٢ لمحمد بن عبدالله الشوكاني اليمني، م:١٢٥٠هـ).

ونقل الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (م:١٣٥٣هـ)عن العلامة الشوكاني: «... والقول الثاني: أن التوسل به يكون في حياته وبعد موته، وفي حضرته ومغيبه، ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به في حياته، وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعًا سكوتيًّا لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه، وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام».(تحفة الأحوذي١٠/٢٦)

(٣) والشيخ السيد نذير حسين (المتوفى١٣٢٠هـ) من مشايخ اللامذهبيين، يقول في نهاية كتابه: «عافاك الله في الدارين بجاه سيد الثقلين». (معيار الحق، ص ٤١٩، نقلا عن تسكين الصدور، ص ٤٣٨).

(٤) قال الشيخ وحيد الزمان –أحد علماء اللامذهبية المشهورين: «اللهم قنا عذاب الآخرة بفضل الإمام الحسين».(تيسير الباري ترجمه صحيح البخاري ٣٨٥/٢ نقلا عن تسكين الصدور، ص

٤٣٨)

(٥) علاوة على ذلك، ذكر الذهبي في كثير من تراجم الرجال أن قبره يستجاب الدعوة عنده، ويتبرك به ونحو ذلك.

قال العلامة الذهبي في «السير» (١٨/١٠١) في ترجمة الذهبي [علي بن حميد بن علي المتوفى ٤٥٢هـ]: «وكان ورعا تقيا محتشما، يتبرك بقبره».

هذا كلام الذهبي بنصه، و لم يحكه عن أحد.

(٦) وقد توسل الشيخ محمد صديق خان بن سيد حسن خان القنوجي البهوبالي (م:١٣٠٧هـ) في دعائه. فقال في أبجد العلوم: «و أتوسل إلى الله تعالى بخاتم أنبيائه عليه أفضل الصلاة والسلام أن يرزقني وإياهم وجمع المسلمين حسن الختام، آمين».

ويقول أيضا: «بجاه نبيه المصطفى خير البرية، صلى الله عليه وآله وأصحابه كل بكرة و عشية». (أبجد العلوم ٣/٢٨٠)

(٧) يقول الشيخ غلام الله خان رحمه الله -وهو يشرح المعنى الصحيح لكلام الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: «إن وقعت في شدة فنادني»-: في بعض النسخ: «فنادِ بي». أي توسل بي وبحرمتي في الدعاء.(جواهر التوحيد، ص٣٥٠)، وقد ذكره الشيخ على أنه هو المعنى الصحيح.

(٨) يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وإن كان الصواب عندنا قول الجمهور من أنه مكروه، فلا ننكر على من فعله...»الخ. (مفاهيم، ص ١٤٦)

موقف الآلوسي من التوسل:

يذكر منكرو التوسل في تاييد ما ذهبوا إليه قول العلامة الآلوسي بأنه لا يجوز. ويقول بعض الناس إن مفتي الأحناف في بغداد محمود الآلوسي (المتوفى١٢٧٠هـ) قال كذا وكذا. وتبعه ابنه العلامة نعمان الآلوسي (١٣١٧هـ)، والكلام للوالد، ثم يسوقون كلام العلامة الآلوسي في تفسير﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ .

الجواب: يقول بعض علمائنا: إن كلام الآلوسي ورده ونكيره وارد على بعض ما يفعله الجهلة من الناس، لا على مطلق التوسل، ثم أباح التوسل -لاحقا- بقولهم: بجاه

النبي صلى الله عليه وسلم. والحاصل أنه يجوز التوسل بالصالحين في الدعاء، وأما اتخاذهم مقصودا بالذات، ونداؤهم غيبا، أو اعتبار أن لهم على الله تعالى حقا واجبا، فلا يجوز.

والحق أن روح المعاني ساق كثيرا من الأقوال في بداية هذا المقام في منع التوسل، منها: طلب الدعاء من الحي. فإن طلب الدعاء من الميت أو الغائب لم يجز، ولم يثبت عن السلف. وكانوا يكتفون بالسلام على القبور. ثم قال: لم يرد التوسل بالذات في أدعية أهل البيت والأئمة.

وعلى كل، في الكلام نظر حتما؟ ويبدو التعارض فيه. فنقول: إنه حصل شيء من التصحيح أو التصحيف من الناشر أو المحقق أو غيرهما في هذا المقام من التفسير فيما نرى. ومن القرائن على ذلك:

(١) اختلف أسلوب الكلام هنا عن غيره، فليس في الكلام تنقيح وترتيب، وكلام الآلوسي يكون واضحًا في الغالب.

(٢) يحكي العلامة الآلوسي كلام العلامة ابن تيمية في بعض المواضع من تفسيره، وأما إذا كان كلامه على خلاف الجهور فإنه لا يقبله. فقد رد بشدة –موقف ابن تيمية رحمه الله في بحث الصفات في المقدمة. كما رد عليه في مسألة الطلقات الثلاث. وحيث قبل قوله، رد على قول مخالفه (السبكي).

(٣) لا يخفى على أحد مكانة الآلوسي ومنْزلته السامية، وكان مفتي بغداد، ورغم ذلك لم يحكِ مسألة عادية من المذهب الحنفي بصورة صحيحة. قال: «لا يستقبل القبر النبوي عند الإمام أبي حنيفة عند التسليم على النبي صلى الله عليه وسلم؛ بل يستقبل القبلة. والصحيح أنه يستقبل القبر الأطهر عند السلام، ويستقبل القبلة عند الدعاء». وذلك في حين تنص مئات الكتب الفقهية الحنفية على أنه يستقبل القبر حين التسليم والدعاء عند القبر، ولا يستقبل القبلة. وسبق ذكر بعض النصوص الخاصة بذلك. ويستبعد أن يخفى مثل هذا الحكم على مفتي بغداد.

(٤) وأوضح وأهم قرينة على ذلك أنه سيق بحث التوسل في سورة المائدة ضمن كلمة «الوسيلة»، و وقع نظر الناشر أو المصحح أو من أعاد النظر فيه على ذلك لكونه مقامًا معروفًا لبحث التوسل، ولم يقع نظرهم على المقامات الغير المعروفة، رغم أن

لآلوسي توسل في غير موضع من الكتاب، و لم يبحث في التوسل. فلم يقع نظرهم عليه؛ بل كان الآلوسي يواظب على التوسل عامة في الأدعية الهامة. كما سنذكر النصوص لاحقا.

– في تفسير الجزء الثلاثين قال: «كثيرا ما تنحل عقد الأمور بأنامل التوسل إلى الله تعالى بحرمتهم».

– ويدعو في موضع منه: «اللهم انفعنا ببركة الأولياء».

ثم إن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاستغفار، وطلب القبول، وفهم القرآن الكريم كثير جدا، فكان التوسل جزءا هاما من حياته.

فنظرا إلى طبيعة التفسير العامة نرى أن ما جاء من منع التوسل في سورة المائدة، ليس من كلام الآلوسي، أو نقول: إنه اعترف بالتوسل في تفسير السور التالية لسورة المائدة، فالعبرة بما جاء لاحقا. والله تعالى أعلم.

وإليكم نصوصه:

قال رحمه الله تعالى:

(١) «وبعد هذا كله إنا لا أرى بأسا في التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى حيا وميتا، ويراد من الجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى، مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته، فيكون معنى قول القائل: «إلهى أتوسل بجاه نبيك صلى الله عليه وسلم أن تقضي لي حاجتي»: إلهي اجعل محبتك له وسيلة في قضاء حاجتي، ولا فرق بين هذا وقولك: إلهى أتوسل برحمتك أن تفعل كذا إذ معناه أيضا: إلهى اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا...، أن التوسل بجاه غير النبي صلى عليه وسلم لا بأس به أيضًا إن كان المتوسل بجاهه ممن عُلِمَ أن له جاها عند الله تعالى كالمقطوع بصلاحه وولايته، وأما من لا قطع في حقه بذلك فلا يتوسل بجاهه».(روح المعاني٦/١٢٨)

(٢) «ولا شك في أنه يحصل لزائرهم مدد روحاني ببركتهم، وكثيرا تنحل عقد الأمور بأنامل التوسل إلى الله تعالى بحرمتهم».(روح المعاني ٣٠/٢٤)

(٣) «وسقر علَم لجهنم، أعاذنا الله تعالى منها ببركة كلامه العظيم وحرمة حبيبه عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم».(روح المعاني٢٧/٩٣)

(٤) «... الأولياء، نفعنا الله تعالى ببركاتهم».(روح المعاني ٦/٩٤)

(٥) «وإلى ذلك يشير كلام ساداتنا النقشبندية، بلغنا الله تعالى ببركاتهم كل أمنية».(روح المعاني ١/٥٨)

«وأنا أقول:... وأسأله أن يجعل لي من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا بحرمة كتابه وسيد أحبابه صلى الله تعالى عليه وسلم».(روح المعاني٣٠/٢٥٩)

(٦) «نسأل الله تعالى... ويجعل سعينا لديه مشكورا بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته المطهرين من الرجس تطهيرا».(روح المعاني ٢٩/١٦٨-١٦٩)

(٧) «نسأل الله تعالى عظيم مغفرته، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وشيعته».(روح المعاني ٢٩/١١٥)

(٨) «أعاذنا الله تعالى وإياكم من الشرك بحرمة الحبيب عليه والصلاة والسلام». (روح المعاني ٢٧/٤٣).

(٩) «نسأل الله تعالى أن يوفقنا لفهم كتابه بحرمة سيد أنبيائه وأحبابه صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم وكرم».(روح المعاني ٢٣/٢٣٢)

(١٠) «نسأل الله تعالى أن يرقينا إلى مقام يرضاه... بحرمة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم».(روح المعاني ٢٣/١٦٠)

(١١) «أسأل الله تعالى بحرمة حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم أن يدفع ويرفع عنا مكر الماكرين».(روح المعاني ٣٢/٢٠٦)

(١٢) «نعوذ بالله تعالى من الحور بعد الكور بحرمة حبيبه الأكرم صلى الله عليه وسلم».(روح المعاني ٢١/١٤٢)

(١٣) «يسر الله تعالى ذلك لنا بحرمة حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم».(روح المعاني ٢١/٧٩)

(١٤) «نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الموقنين... بحرمة نبيه الأمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين».(روح المعاني٢١/٦٤)

(١٥) «ونسأل الله سبحانه أن يوفقنا لفهم أسرار كتابه بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه».(روح المعاني٢١/٢٠)

(١٦) «نسأل الله تعالى التوفيق لما يحب ويرضى، والحفظ التام من كل شر بحرمة حبيبه سيد البشر صلى الله عليه وسلم».(روح المعاني ١٩/٥٨)

(١٧) «نسأل الله تعالى أن يمنَّ علينا برضائه ويمنحنا سوابغ نعمائه وآلائه بحرمة سيد أنبيائه وأحب أحبائه صلى الله عليه وسلم».(روح المعاني١٩/٥٨)

(١٨) «ونسأل جل شأنه التوفيق لإتمام تفسير سائر سور كتابه المعظم بحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم».(روح المعاني١٦/١٤٦)

(١٩) «ونسأل الله تعالى بحرمة نبيه المكرم المعظم صلى الله عليه وسلم أن يوفقنا لما يرضيه ويوقفنا على أسرار كتابه الكريم ومعانيه».(روح المعاني١٦/٥٦)

(٢٠) «نسأل الله سبحانه أن يعصمنا وذرارينا ومن ينسب إلينا من الفواحش ما ظهر منها وما بطن بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم».(روح المعاني١٥/٦٩)

(٢١) «وأسأل الله سبحانه أن يحفظنا من سوء القضاء ويمن علينا بالتوفيق إلى ما يحب ويرضى بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم».(روح المعاني١٤/٨٩)

(٢٢) «نسأل الله تعالى أن يجيرنا منها بحرمة سيد ذوي الألباب صلى الله عليه وسلم».(روح المعاني١٤/٥٦)

(٢٣) «نسأل الله تعالى أن يحكم لنا بما هو خير وأَولى في الآخرة والأُولى بحرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وعظم وكرم».(روح المعاني١٣/١٧٩)

(٢٤) «نسأل الله تعالى أن يدخلنا هاتيك الدار بحرمة نبيه المختار صلى الله عليه وسلم».(روح المعاني ٨/٢٥)

(٢٥) «نسأل الله تعالى أن ينْزل علينا موائد كرمه... بحرمة نبينا أفضل الصلاة وأكمل السلام».(روح المعاني ٥٧/٧)

(٢٦) «اللهم اجعلنا سعداء الدارين بحرمة سيد الثقلين صلى الله تعالى عليه وسلم». (روح المعاني ٨٢/١).

موقف علماء ديوبند من التوسل:

(١) الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي رحمه الله تعالى:

«قراءة السلسلة (الشجرة) ليست إلا عبارة عن التوسل بأسماء الصالحين في الدعاء، فمثلا يقول القائل: «اللهم، اجعل عاقبتي خيرًا بحرمة فلان. وهذا على سبيل المثال. فما الحرج في التوسل بأسماء الصالحين في الدعاء؟». (باقيات فتاوى رشيدية، ص٥٧، ترتيب الشيخ نور الحسن راشد الكاندهلوي)

(٢) حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله تعالى: له نصوص كثيرة دالة على جواز التوسل، سبق بعضها فيما مضى. ومن نصوصه أيضا:

«يجوز التوسل بالحي والميت». (إمداد الفتاوى ٨٩/٥)

ثبت التوسل بغير النبي أيضًا في الحديث، فيما إذا كان على صلة بالنبي صلى الله عليه وسلم، قرابة حسية أو قرابة معنوية».(نشر الطيب، ص٢٥٠)

في «بوادر النوادر» و«نشر الطيب» وغيرهما من مؤلفات الشيخ التهانوي كلام طويل في المسألة.

(٣) يقول الشيخ المفتي كفايت الله رحمه الله — المفتي الأكبر-: «اختلفوا في التوسل بالصالحين، فمنعه بعضهم، وذهب الأكثرون إلى الجواز. ومعنى القائلين بالجواز: أن يدعو الله تعالى أن يستجيب دعاءه ببركة عبده فلان الصالح والمقرب إليه، أو ببركة عباده الصالحين المقربين إليه. وهذا لا بأس به».(كفايت المفتي ٥/٢)

(٤) يقول الشيخ خليل أحمد السهارن فوري في «المهند على المفند» -كتاب يشرح عقائد علماء ديوبند-: «يجوز التوسل بالأنبياء والصالحين والأولياء والشهداء والصديقين في حياتهم وبعد مماتهم في الدعاء عندنا وعند مشايخنا، وذلك بأن يقول: اللهم، أطلب

منك أن تستجيب دعائي وتقضي حاجتي بوسيلة فلان من الصالحين. ونحو ذلك من الكلمات». (المهند على المفند، ص٤٢)

(٥) يقول شيخ الإسلام حسين أحمد المدني رحمه الله: «يمنع الوهابية من التوسل بالأنبياء والصالحين بعد مماتهم، ويحرمونه. وأما هؤلاء (أي علماء ديوبند) فيقولون بجوازه؛ بل يعدونه أرجى للقبول. وتشهد شجرات مشايخ الجشتية رحمهم الله تعالى وآداب زيارة المدينة المنورة وأدعيتها به شهادةَ عدل. وجاء ذلك في عدد من كتب الشيخ [محمد قاسم] النانوتوي، والشيخ محمد يعقوب، والحاج إمداد الله قدس الله تعالى أسرارهم». (نقش حياة، ص ١٢٣)

وقال في موضع: «والحاصل أن القول بـــ«بحق فلان» أو «بحرمة فلان» في الدعاء يجوز؛ بل ثابت ومستحسن». (فتاوى شيخ الإسلام، ص ٨٩)

(٦) ويقول الشيخ المفتي محمد شفيع رحمه الله –المفتي الأكبر بباكستان– في نهاية كتابه «معارف القرآن»: «والله سبحانه وتعالى أدعو... ببركة كتابه المبين، ونبيه الأمين...». (معارف القرآن٨/٨٥٦)

موقف علماء حركة «إشاعة التوحيد» من التوسل:

أباح الشيخ حسين علي رحمه الله –تلميذ الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ مظهر النانوتوي رحمهما الله تعالى– في عدة مواضع من كتابه «بلغة الحيران في ربط آيات القرآن» التوسل.

(١) يجوز الدعاء بحرمة الحسن وبالشيخ عبد القادر، ويقول الشيخ: «لم يؤثر هذه الأدعية الثلاثة: ١–اللهم بحرمة الحسين. ٢– بالشيخ عبد القادر. ٣– نادِ عليًّا. والدعاء على الوجهين الأول والثاني فيه سعة. فلا ينكر على فاعله. والدعاء الثالث ليس من شعار أهل السنة، فليحذَر منه. ويستبعد استنباط جواز القول بـــ يا شيخ، من جواز القول بالشيخ. (ص٣٥٤)

(٢) يقول في ص ٣٨٠: «يا أهل الكتاب، كنتم تقولون: نحن نحارب مع خاتم النبين القادم، وتتوسلون به في الدعاء، كما قال تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ

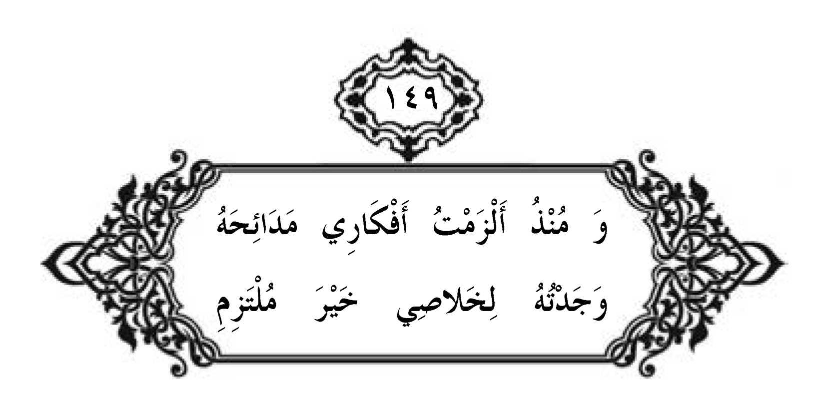
يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ . الخ.

(٣) ذكر في أول الكتاب الإجازة للمريد فقال: «فأجزت له إجازة مطلقة... وأوصي له بداوم الذكر... والالتجاء إلى الله سبحانه بتوسل المشايخ الكرام. قدسنا الله تعالى بأسرارهم الأقدس في حل المشكلات والمعضلات... آمين يا رب العالمين بجاه سيد المرسلين».(ص٣)

(٤) يقول وهو يتحدث عن مبشراته: «رأيت... ثم جئت عند رسول الله صلى عليه وسلم فقلت: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله! فعانقني صلى الله عليه وسلم وعلمني اللطائف... وقعدت عند مزار الإمام الرباني، فقال لي في المكاشفة: بيان مسألة التوحيد أعلى درجة عن السلوك». (ص٨)

انتهى بعون الله تعالى وتوفيقه.

****



اللغة:

ألزمت: لزِم (س) لزوما: ثبت ووجب.

ألزم إلزاما: أثبته، وأوجبه. سبق تحقيقه في البيت رقم:٢٣.

أفكاري: فكر (ض) فكرا: تأمل، ونظر.

الفكر: استعمال القوة العاقلة لإحضار ما لم يكن حاضرا. أو ترتيب المعلومات لمعرفة المجهول. ج: أفكار.

مدائحه: جمعُ مديح: الثناء.

خلاصي: خلص (ن) خُلوصا: محض. خلص عنه: نجا منه، وتخلص.

الحاصل: (١) النجاة. (٢) سبب النجاة. (٣) المثل/ المساوي.

الإعراب:

ومنذ: مضاف. ألزمت: فعل وفاعل. أفكاري: مفعول أول. مدئحه: مفعول ثانٍ. الفعل مع فاعله ومفعوله مضاف إليه. وهو مع المضاف ظرف لـــ «وجدته».

وجدته: فعل وفاعل. «ه» مفعول أول. لخلاصي: جار مع المجرور متعلق بـــ «ملتزم»، أو حال من «وجدت». خير ملتزم: مفعول ثانٍ.

منذ: تحتمل وجهين:

(١) منذ: ظرف مكان. فهو مضاف وما بعده مضاف إليه.

(٢) منذ بمعنى أول المدة، فهو مبتدأ و «وجدته» خبره.

الشرح:

وجدته لخلاصي خير ملتزم:

(١) «ه» الضمير يعود على «المدح». لا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. و«ملتزم» -بفتح الزاء- اسم مفعول، والمعنى: مكان اللزوم، وسبب النجاة، وموضع التعلق. كأنه يريد أن يقول: كما يلتزم الناس الملتزم/ الكعبة عند الدعاء،كذلك التزمت مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ولزمته.

(٢) الضمير يعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والملتزم بكسر الزاء. والمعنى حينئذ: وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم خير ضامن وخير سبب لنجاتي.

هذا ما ذكره الشارحون في معناه. وفيه إشارة إلى قصة المنام، وهو أني حين قلت القصيدة وأنا مريض، مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على جسدي في المنام، فشفيت، فكأني شفيت بواسطته وببركته.

ملتزم: بفتح الزاء —اسم مفعول أحسن، وأما بكسر الزاء فليس أحسن.

ملحوظة:

ثم اطلعت على شرح العلامة ابن مقلاش [وهو أقدم الشروح المتوفرة عندنا]، فرأيته يذكر «ملتزَم» بفتح الزاء، و لم يذكر رواية الكسر.

وجدته خير ملتزَم: أي (١) وجدت ذلك الالتزام خير ملتزم. (٢) وجدت مدحه صلى الله عليه وسلم.

وعلى كل، الملتزَم بفتح الزاء —بغض النظر عما يعود عليه الضمير-، وفيه بيان التزام الناظم رحمه الله (أي التزامي أو مكان التزامي). و لم يرد الناظم كون رسول الله صلى عليه ملتزما أي كفيلا و ضامنا.

يقول: «فلما أخذ في المدح وجده أفضل ما تداوى به؛ إذ ببركة القصيدة عُوفيَ».(ص ٧٦٥)

فاتضح أن الملتزم هو الأحسن. ولله الحمد على توفيق موافقة الأكابر.

في قوله: «منذ»: إشارة إلى أن البركات صاحبته حين بدأ العمل.

خلاصي: معناه:

(١) التخلص من الآفات والبليات والأمراض. وهو الظاهر.

(٢) نظمت الأشعار في مدح الوزراء وخدمت الملوك، وفهمت ما يترتب عليها من الآثام. وعلمت بهذه الخدمة علمًا جازمًا أن آثار الندم التي لاحقتني بالشعر وخدمة الملوك ستزول عني، ويغفر الله تعالى لي خطيئاتي.

انتهى بعون الله تعالى.

****



اللغة:

يفوت: فات (ن) فَوتا وفَواتا: لم يدركه، وضاع عليه.

الغنى: غَنِيَ (س) غَنى وغِناء: كثر ماله. فهو غني وغان. غنيت المرأة: ١- تزوجت واستغنت بزوجها. ٢-استغنت عن التزين (MAKE UP) لحسنها الطبيعي.

الغنية: (١) المتزوجة. (٢) المرأة المستغنية عن التزين.

الغِنى: بكسر الغين، وبالقصر: التمول.

الغِناء: بكسر الغين والمد:الغناء، والموسيقى(MUSIC).

الغَنى: بفتح الغين، والقصر: نزل وأقام.

الغَناء بفتح الغين والمد: التمول.

تربت: أي: احتاجت. ترب فلان: احتاج وافتقر. ترب المكان: اجتمع التراب فيه.

الحياء: حيِيَ (س) حياة: عاش. حيِيَ (س) حياء: احتشم.

تعريف الحياء: انقباض النفس عن المكروه طبعا أو شرعًا. أو: انقباض النفس مخافة الذم وغيره.

الحيا: المطر، والخضرة. والمراد به المطر هنا.

يذكر الشراح هنا قصة تقول: إن رجلا رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال له الرجل: ألم تقل: «الحيا شعبة من الإيمان» -بعدم الهمزة-، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا». فتحير علماء العصر، فرجعوا إلى أكبر المحدثين فسألوه، فقال: لعلك قلت: «الحيا»؟ وهو بمعنى المطر. والحديث: «الحياء شعبة من الإيمان» بالهمزة. فذكر الرجل

للرسول صلى الله عليه وسلم القصة في المنام، فصدقه.

الأزهار: جمعُ زهرة: نور النبات والشجر.

الزهرة: كوكب جميل. والمرأة التي سميت بها كانت جميلة.

الأكم: جمعُ أكمة: التل، وذروة الجبل.

الإعراب:

لن: حرف ناصب. يفوت: فعل. الغِنى: فاعل. منه: متعلق بـــ «كائنا» حال. أي: كائنا منه. يدا: موصوف. تربت: الجملة صفة. وهي مع الموصوف مفعول.

إن: حرف مشبه بالفعل. الحيا: اسم. ينبت: فعل (هو) فاعل. الأزهار: مفعول. في الأكم: متعلق بـــ «ينبت». الفعل مع فاعله والمفعول والمتعلق جملة وقعت خبرا للناسخ «إن».

منه: (١) متعلق بـــ «كائنا» ظرف مستقر، والتقدير: لن يفوت الغنى كائنا منه.

والظرف المستقر: ما يتعلق بالمحذوف، والظرف اللغو: ما يتعلق بالمذكور، وهو متعلق بـــ غنى.

(٢) الغنى: موصوف. (الحاصل) منه: صفته.

الشرح:

(٢) يعيد الناس عامة الضمير في «منه» إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. والتقدير حينئذ: منه: أي: بوسيلة النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) منه: أي من المدح. والمعنى: ببركة مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

وعلى كل، حاصل البيت: نلت الشفاء في المنام ببركة مدح النبي صلى الله عليه وسلم، والمحتاج ينال بركات الرسول صلى الله عليه وسلم لأجل الدين. وأنا من المحتاجين إلى الشفاء، فنلت بركة الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام، ونلت الشفاء.

ولو حملناه على «يدا (مفلوجة)، فقد انكشفت المعضلة.

وقيل: فيه خبر عن المستقبل. والمراد بالغنى: الشفاعة. وقوله: يدا تربت: المراد به من ليس عنده حسنات. كأنه خالٍ من الطاعات. ومثل هذا لا يحرم شفاعة النبي صلى الله

عليه وسلم أيضا.

إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم:

التلال والأحجار ليس مكان النبات. ولكن الأزهار تنبت عليها ببركة المطر. وكذلك رغم أني قاسي القلب، ومن العصاة، ولا أستحق العطاء والكرم، نلت من بركاته صلى الله عليه وسلم؛ لأن عطاياه مثل المطر.

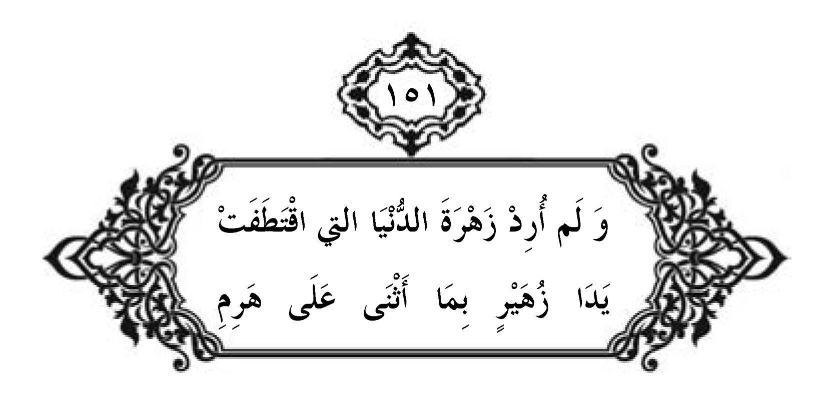
والوجه الثاني: لم أعمل من الصالحات ما يرجيني شفاعته صلى الله عليه وسلم، إلا أني آمل أن أنال شفاعته.

وتحدث بعض الشراح هنا عن أقسام المطر، ثم فصلوا الكلام على نفعه صلى الله عليه وسلم كالمطر.

وفي بعض النسخ: الندى، بدلا من «الغنى».

انتهى بعون الله تعالى.

****



اللغة:

زهرة: النضرة، والزينة والبهجة. والمراد: الرونق والزينة.

في تسمية زينة الدنيا بالزهرة إشارة إلى: (١) أنه كما يستميل الزهر الناس إلى نفسه، كذلك بهجة الدنيا تستميل قلوب الناس إليها. (٢) في كلمة «زهرة» إشارة إلى سرعة زوال الدنيا، كما أن الزهرة تذبل في أيام. كذلك الدنيا تزول زينتها في أيام معدودة.

اقتطفت: قطف (ض) قَطْفًا وقِطافا: جنى الزهرة، وقطعها.

قطف (ن) قِطافا: سار الحيوان سيرا بطيئا، تباطأ في المشي. اقتطف: جناه وجمعه.

زهير: زهير بن أبي سلمى، شاعر. كما سيأتي.

هرم: هو هرم بن سنان: ملك من ملوك العرب المشهورين. هرم (س) هَرَما: بلغ أقصى الكبر.

أثنى: أثنى عليه: وصفه بخير. ثَنَّى الشيءَ: عطفه ورد بعضه على بعض. وسمي الثناء به؛ لأن المثني يكرر الثناء. ثَنَّى فلانا: دفعه، ومنعه.

الإعراب:

ولم: حرف جازم. أرِد: فعل وفاعل. زهرة الدنيا: موصوف. التي: موصول. اقتطفت: فعل، يدا زهير: فاعل. ب: حرف جر. ما: موصولة. أثنى: فعل، (هو) فاعل. على هرم: متعلق بـــ «أثنى».

والفعل مع الفاعل والمتعلق جملة صلة لـــ«ما» الموصولة، وهي مع الصلة مجرور

الجار، وهو مع المجرور متعلق بـــ اقتطفت الخ، والجملة صلة الموصول «التي»، والموصول مع صلته صفة «زهرة الدنيا». والموصوف مع الصفة مفعول لـــ«لم أرد». والفعل مع الفاعل والمفعول جملة فعلية خبرية.

بما أثنى: (١) ما موصولة، والمعنى: بالذي أثنى. (٢) ما: مصدرية، بمعنى «بثنائه»، ومعنى «بثنائه»: ١- بسبب ثنائه. ٢- في عوض ثنائه.

الشرح:

يدا زهير: كتب القصيدة بيده، فكانت اليد سبب العطاء والهدايا؛ فنسب إليها.

هرم بن سنان بن أبي حارثة المري: ملك من ملوك العرب المشهورين، ضرب به المثل في السخاء، صالح هو وابنُ أخيه بين قبيلتين: عبس وذبيان. توفي قبل ظهور الإسلام، فعمل زهير قصائد مدحية كثيرة لمحاولته الصلح ولسخائه وبسطة يده.

زهير بن أبي سلمى: هو والد الصحابي الجليل كعب بن زهير، صاحب قصيدة «بانت سعاد» (المتوفى ٢٦هـــ).

كان كعب من الشعراء، وكان والده وجده أبو سلمة من الشعراء، وكان ولد كعب، وحفيده العوام شاعرا، فكان البيت بيت الشعراء منذ أجيال، والعوام: هو العوام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى. (شرح المعلقات السبع للزوزني، ص ١٢١-١٢٢)

وعلى كل، كان زهير بن أبي سلمى من الشعراء السبعة الذين علقت أبياهم بالكعبة المشرفة. وقصيدة زهير جاءت في الديوان الشهير بـــ «السبع المعلقات/ العشر المعلقات».

وشعراء الجاهلية المشهورين المعروفين بأشعر الشعراء يمتاز كل واحد منهم بشيء، و اشتهر به. فامرئ القيس اشتهر بالفروسية وما يتعلق بها وفاقهم في ذلك، واختص زهير بأنه إذا أثنى على أحد أحسن الثناء عليه، أو إذا رضي بأحد أحسن الثناء عليه، واشتهر نابغة بالمعذرة في الخوف، وأبياهم ذات مغزى كبير، جمعوا معاني كثيرة في مبانٍ قليلة. (لباب الآداب للثعالبي، ص ١٠٨)

ومن خصائصه أنه كان يصرف وقتا طويلا في تنقيح القصائد وتهذيبها بعد إنشائها. ثم يعرضها على الناس. (شرح المعلقات السبع للزوزني، ص ١٢١-١٢٢)

كان معاوية رضي الله عنه يقول: هو أشعر أهل الجاهلية. وكان عمر رضي الله عنه

أيضًا يؤثره على غيره. توفي قبل البعثة. (أنساب الأشراف للبلاذري ٢٧/٧؛ تاريخ دمشق ٤٢٧/٥٩؛ الإصابة في تمييز الصحابة ٢٤٢/٦)

وعلى كل، كان زهير بن أبي سلمة يثني كثيرا على هرم بن سنان، فأعطاه هرم عطايا كثيرة.

وقَال عمر بن الْخطاب لبَعض ولد هرم: أَنْشدنِي بعض مدح زُهَيْر أَبَاك فأنشده فقال عمر: إن كان ليحسن فيكم المدْح. قال: ونحن والله إن كنَّا لنحسن له العطيَّة. قال: قد ذهب ما أعطيتموه وبقِي ما أعطاكم. (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب٢/٣٣٥)

وحلف هرم ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ولا يسأله إلا أعطاه ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبدًا أو وليدة أو فرسًا. فاستحيا زهير من كثرة بذله له على كل حال، وجعل يتجنب مقابلته. وكان إذا رآه في محفل قال: «عموا صباحًا غير هَرِم».(شرح المعلقات السبع للزوزني، ص ١٢١-١٢٢؛ الشعر والشعراء ١/١٣٧-١٣٩؛ الأغاني ١٠/٢٩٨-٣٢٣؛ طبقات فحول الشعراء، ص ٣٧؛ البيان والتبيين للجاحظ ٩٥/٢؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٩٥/١؛ الأعلام للزركلي ٥٢/٣؛ العصر الجاهلي لشوقي ضيف، ص ٣٠٠-٣٣٢).

وعلى كل، يقول الناظم: إن زهيرا كسب الدنيا بمدحه هرما، ولم أرد الدنيا بقصيدتي هذه، وإنما ابتغيت مرضاة الله تعالى وكفارة ذنوبي، والتعبير عما أكن في نفسي من الحب والتعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بهذا المدح والثناء.

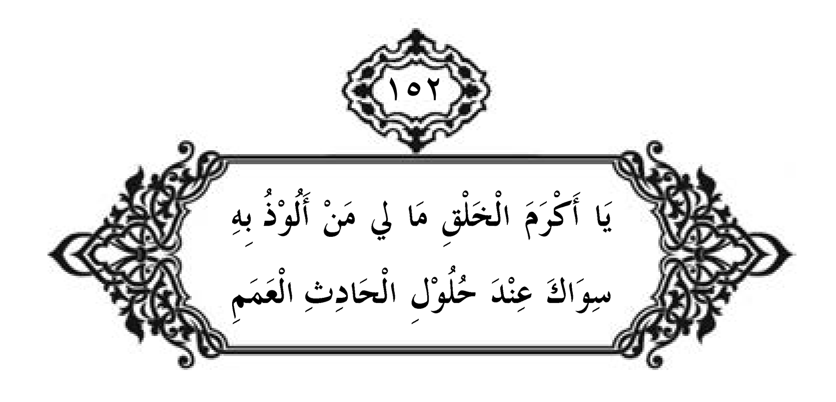
وبه انتهى الفصل التاسع بعون الله تعالى وحسن توفيقه، ولله الحمد والمنة.

****

الفصل العاشر

في ذكر المناجاة وعرض الحاجات





اللغة:

ألوذ: لاذ (ن) لَوذا ولِياذا: اللجوء إلى شيء، والاستتار به.

حلول: حل (ن) حُلولا: نزل.

حادث: الجديد، ضد القديم.

العمم: عمَّ (ن) عُموما: شمل. وانتشر. العَمَم: (١)كثرة الزحام.(٢) ما يشمل كل شيء.

الإعراب:

يا: حرف نداء. أكرم الخلق: منادى. ما: نافية مشبهة بليس. لي: متعلق بــ (كائنا)، خبر مقدم. من: موصولة. ألوذ: فعل وفاعل. به: متعلق بــ (ألوذ). الفعل مع الفاعل والمتعلق اسم متأخرا.

سواك: المضاف مع المضاف إليه حال مِن (مَن ألوذ). عند: مضاف، الحادث: موصوف، العمم: صفة، الصفة مع الموصوف مضاف إليه، والمضاف مع المضاف إليه متعلق بــ (ألوذ).

ألوذ الخ، الجملة صلة «مَن». والصلة مع الموصول اسم «ما».

الشرح:

كان الناظم رحمه الله موجها عنايته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نهاية القصيدة وغاب عنه غيره.

ما لي مَن ألوذ به: أي: من ألتجئ إلى شفاعته. ومعنى البيت واضح، وهو أن الطامة

الكبرى من القيامة حين تصيب الناس كلهم، فلا يرجع الناس للشفاعة إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يجرأ أحد على الشفاعة غيره صلى الله عليه وسلم. ويبدأ الحساب بشفاعته صلى الله عليه وسلم.

أشار الناظم إلى هذه الأهوال، وفصلتها الأحاديث الصحيحة.

هذا، وقد دلت الأحاديث على أن هذه الشفاعة –التي يطلق عليها «الشفاعة الكبرى» –وغيرها من أنواع الشفاعات ينالها الرسول صلى الله عليه وسلم. وبعض أنواعها ينالها الأنبياء والصالحون أيضا.

ففي مثل هذا الوقت لا ينفعني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحمل معظم الشراح هذا البيت على الشفاعة يوم القيامة. فلا إشكال في معنى الشعر.

يا أكرم الخلق: وهذا نداء مَن في القلب حبا.

وحين ينادي صحيح العقيدة غائبا حُمِلَ على نداء حاضر في القلب غالبا. كما يقول المرء: يا أمهاه! ونحوها من الكلمات. ومثل هذا النداء قد يكون حبا وقد يكون قلقا وهمًّا.

قُدِّم خبيب رضي الله عنه إلى المشنق، فقال: يا محمد. ولا يعني ذلك أبدا أنه كان ينادي محمدا صلى الله عليه وسلم ليصرفه ويغيثه، أو كان يعتقد أنه صلى الله عليه وسلم يسمع نداءه؛ بل كان يفارق الدنيا وهو بعيد عن حبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنادى من في القلب.

ذكر العلامة ابن الجوزي والعلامة أبو نعيم الأصفهاني، والعلامة ابن عساكر رحمهم الله قوله: يا محمد.

وذكر كلام خبيب رضي الله عنه هذا سعيدُ بن عامر رضي الله عنه. وحذارِ أن يستدل بهذا البيت من ينادون غير الله تعالى ليقضي حاجاتهم.

سبق في ضمن البيت رقم:٢٧: «وما استقمت» أن أهل الحمص شكوا إلى عمر رضي الله عنه أربع خصال من سعيد بن عامر رضي الله عنه، فعرضها عمر رضي الله عنه على سعيد بن عامر واحدة واحدة، وردها سعيد بن عامر رضي الله عنه ردًّا مقنعًا. ومما شكوا أنه يغنظ الغنظة بين الأيام أي تأخذه موتة. فقص عليه سعيد بن عامر قصة خبيب

برمتها، وقال فيما قال: «ثم نادى يا محمد». قال: فما ذكرت ذلك اليوم إلا أصابتني تلك الغنظة. (صفة الصفوة لابن الجوزي ١/٦٦٥-٦٦٦. وتاريخ مدينة دمشق ٢١/١٦١-١٦٢)

وعلى كل، فيصح نداء ما في القلب، دون الاعتقاد بأنه يسمع ويحضر، ومثله في هذا البيت، وليس فيه الاستغاثة بغير الله تعالى.

وإنما يحرم النداء إذا كان نداء غير الله تعالى فيما إذا طلب ما هو فوق الأسباب، فمثلا يقول: أيها الشيخ الفلاني -الذي في الهند- اقضِ حاجتي.

سبق بيان أنواع النداء وما يجوز وما لا يجوز بالتفصيل، راجع البيت رقم:١٠٦: «يا خير من يمم العافون...».

إيراد: تفيد بعض الروايات أنه يجوز نداء غير الله تعالى من بعيد، لقضاء الحاجة؟ وليس فيه نداء ما في القلب في الظاهر.

الجواب: هذه الروايات غير صحيحة، أو مؤولة،ونسوق بعضها على سبيل المثال:

(١) قال ابن السني: حدثنا جعفر بن عيسى أبو أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن روح، ثنا سلام بن سليمان، ثنا غياث بن إبراهيم، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خدرت رِجل رَجل عند ابن عباس، فقال ابن عباس: اذكر أحب الناس إليك فقال: محمد صلى الله عليه وسلم. فذهب خدره. (عمل اليوم والليلة لابن السني، باب ما يقول إذا خدرت رجله. وذكره العلامة ابن تيمية في «الكلم الطيب» في الرجل إذا خدرت).

فعلم أنه يجوز نداء غير الله تعالى عن غيب.

في إسناده: غياث بن إبراهيم وهو واضع الحديث وكذاب، فلا يصح هذا الحديث. كما أنه ليس فيه نداء غير الله تعالى للنصر، فقد جاء فيه «اذكر أحب الناس إليك»، فهو قرينة على أنه نداء حب ومودة، لا نداء استغاثة. فليس فيه «ادع»؛ بل قال: اذكر. وغاية ما فيه التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء.

(٢) خدرت رجل ابن عمر رضي الله عنهما، فقيل له: اذكر أحب الناس إليك. فقال: يا محمد، فذهب خدره.

ذكره ابن السني عن ابن عمر رضي الله عنه بثلاث طرق:

١- قال ابن السني: حدثني محمد بن إبراهيم الأنماطي، وعمرو بن الجنيد بن عيسى، قالا: ثنا محمد بن خداش، ثنا أبو بكر بن عياش، ثنا أبو إسحاق السبيعي، عن أبي شعبة، قال: كنت أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما، فخدرت رجله، فجلس، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فقال: «يا محمداه». فقام فمشى. وفي رواية: فقام فكأنما نشط من عقال. (عمل اليوم والليلة لابن السني، باب يقول إذا خدرت رجله. ومثله في علل الدار قطني١٣/٢٤٢)

في إسناده أبو شعبة الطحان. وأبو إسحاق السبيعي مدلس، وقد روى بالعنعنة. واختلط أبو إسحاق في آخرته، ولا يخفى الاختلاط في هذا الطريق، فقد قال مرة هذا ومرة ذاك.

٢- قال ابن السني: حدثنا محمد بن خالد (بن محمد) البردعي قال: حدثنا حاجب بن سليمان قال: حدثنا محمد بن مصعب قال: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الهيثم بن حنش قال: كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فقال: يا محمد صلى الله عليه وسلم. قال: فقام؛ فكأنما نشط من عقال.

في طريق ابن السني هذا محمد بن معصب القرقستاني، ضعيف. والهيثم بن حنش مجهول.

٣- قال ابن السني: أخبرني أحمد بن الحسن الصوفي، حدثنا علي بن الجعد، ثنا زهير، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن سعد، قال: كنت عند ابن عمر فخدرت رجله فقلت: يا أبا عبدالله! ما لرجلك؟ قال: اجتمع عصبها من هاهنا. قلت: ادع أحب الناس إليك. فقال: يا محمد. فانبسطت. (عمل اليوم والليلة لابن السني، باب ما يقول إذا خدرت رجله)

وقال البخاري: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن سعد قال: خدرت رجل عمر. فذكره. (الأدب المفرد، رقم: ٩٦٤)

وإسناده ضعيف، عبد الرحمن بن سعد مجهول. وفيه اختلاط أبي إسحاق اختلط، والعنعنة والاضطراب. فأبو إسحاق قد يروي هذا الحديث عن الهيثم بن حنش، وتارة عن شعبة، وتارة عن أبي سعيد، في مختلف النسخ. وتارة عن عبد الرحمن سعد.

وليس في بعض نسخ الأدب المفرد قوله: «يا» الندائية. ففي نسخة الشيخ محمد فؤاد

عبد الباقي وغيره من المحققين بدون «يا» الندائية.

إيراد(٣): إذا فقد أحد دابته أو ضاعت فليقل: «يا عباد الله، أعينوني» فعلم أنه يجوز نداء غير الله تعالى، مع أنه لا يجوز الاستعانة بغير الله تعالى فيما هو فوق الأسباب.

عن معروف بن حسان السمرقندي، عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا علي، يا عباد الله احبسوا علي؛ فإن لله في الأرض حاضرا سيحبسه عليكم». (المعجم الكبير للطبراني ١٠/٢١٧/١٠٥١٨. وابن السني في عمل اليوم والليلة، رقم:٥٠٨)

الجواب: إسناده ضعيف. فيه معروف بن حسان مجهول. وبين ابن بريدة وابن مسعود انقطاع. (راجع: مجمع الزوائد١٠/١٣٢؛ شرح معاني الآثار لابن علان ٥/١٥٠)

قال الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحاق: حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي: ثنا عبدالرحمن بن سهل: حدثني أبي، عن عبد الله بن عيسى، عن زيد بن علي، عن عتبة بن غزوان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أضل أحدكم شيئا، أو أراد أحدكم عونا، وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أغيثوني، يا عباد الله أغيثوني، فإن لله عبادا لا نراهم». (المعجم الكبير للطبراني١٧/١١٧/٢٩٠)

١- الحديث ضعيف للانقطاع في إسناده. قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٣٢): «رواه الطبراني و رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا أن يزيد بن علي لم يدرك عتبة».

٢- جاء في هذه الأحاديث أن عباد الله الذين يعينون العباد يحضرون، لا أن الغائبين يحضرون إليه بالنداء بــــ يا عباد الله.

٣-ربما العباد المعينون هم من الجن أو الملائكة، الذين يعينون الناس بأمر الله تعالى. لا أن الإنسان ينادي الغائب أو الميت فيحضر إليه. ويؤيده ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود: «فإن لله في الأرض حاضرا سيحبسه»، وكذلك جاء في حديث عتبة بن غزوان: «فإن لله عبادا لا تراهم». فعلم منه أن النداء موجه إلى الملائكة الموجودين ثمة من قبلُ. فيقول ابن عباس رضي الله عنهما: «إن لله تعالى ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فينادي: أعينوا عباد

الله».(مسند البزار، رقم:٤٩٢٢)

إسناد هذا الحديث حسن، ورجاله كلهم ثقات. حسن إسناده كل من ابن علان في «الفتوحات الربانية» (١٥١/٥)، والعلامة السخاوي في «الابتهاج» (ص٣٨)، وقال العلامة الهيثمي: «رجاله ثقات».

جاء الحديث بهذه الألفاظ باختلاف يسير في شعب الإيمان، ففي الحديث رقم (١٦٥): «إن لله تعالى ملائكة في الأرض سوى الحفظة... فليناد أعينوني عباد الله رحمكم الله تعالى». وفي الحديث رقم (٧٢٩٧): «إن لله تعالى ملائكة في الأرض سوى الحفظة... فليقل: أغيثونا، أو: أعينونا؛ فإنه سيعان».

هذه الأحاديث تؤيد أن المراد بمن يوجه النداء إليهم عند فقد دابة أو شيء –مما ورد ذكره في الحديث– هم الملائكة الموجودون ثمة.

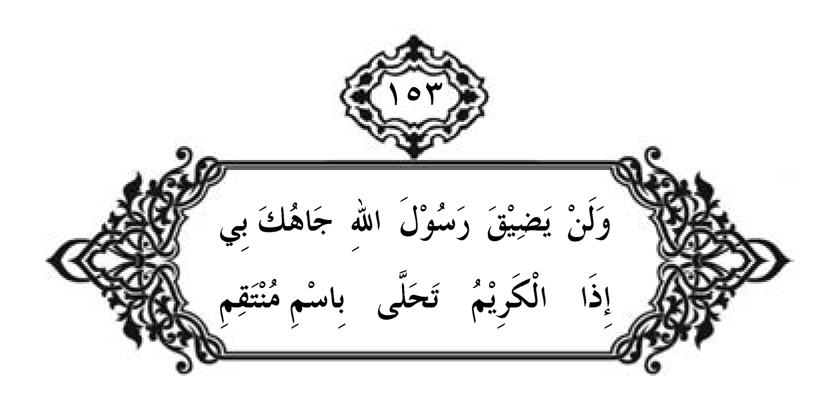
إيراد: حيث لا يجوز الاستعانة بغير الله تعالى فيما هو فوق الأسباب، فكيف جاء إطلاق الغوث في كلام الأكابر على الشيخ عبد القادر الجيلاني؟

الجواب: ليس مرادهم أنهم يعينون الناس عن غيب، وإنما معنى الغوث أن الأولياء إذا لم يقبل دعاؤهم في أمر من الأمور أو تأخر الاستجابة فيه فإنهم يرجعون إلى الغوث، فدعاؤه مستجاب، أي هو يعين أولياء الله بالدعوات. انظر في النص التالي:

«فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة، ابتهل فيها النقباء، ثم النجباء، ثم الأبدال، ثم الأخيار، ثم العمد، فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث، فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته».(كشف الخفاء ٢٧/١)

انتهى بعون الله تعالى.

****



اللغة:

يضيق: ضاق (ض) ضَيقا وضِيقا: لم يتسع، وقصر. فالضيق يقصر. فدل على النقص والقصر.

ضيق مجال الشيء/ ضيق المكان ونحو ذلك من التعبيرات تفيد قصر النطاق والميدان.

جاهك: الجاهُ: المرتبة، والمكانة، والموقف.

جاه (ن) جَوها: واجهه بمكروه. وأصحاب المكانة والمنصب من أهل الدنيا يواجهون الناس عامة بالمكروه، ويستحقرون الناس بشكل عام.

تحلى: حلا (ن) حلاوة: حَلُوَ (ك) حَلِيَ (س) عذب.

حلى (ض) حَلْيًا: (١) اتخذ الحلية. (٢) لبس الحلية. حلِيَ (س) حَلْيًا: لبس الحلية.

حلا (ن) المرأةَ حَلوًا: أعطاها الحلية. تحلى: (١) لبس الحلية. (٢) اتصف بصفة من الصفات.

تحلى: بمعنى «اتصف». كأن المرء لبس لباس تلك الصفة، كما يقال: اتصف بمكارم الأخلاق. تحلى باسم منتقم: اتصف بالانتقام.

في بعض النسخ: تجلى.

تجلى: برز وظهر. جلا (ن) الأمرَ جلاءً: اتضح. جلا الأمرَ جلاءً: أوضحه وحله.

جلِيَ (س) الرجل، جَلَّى: طار شعر الناصية.

منتقم: نقم (ض)، ونقم (س): عاقبه، وعابه. انتقم: عاقبه، وانتصف منه.

الإعراب:

ولن: حرف ناصب. يضيق: فعل. رسول الله: (يا: حرف نداء، بمعنى: أدعو: فعل وفاعل)، رسولَ الله: مفعول، والفعل مع الفاعل والمفعول جملة ندائية. جاهك: فاعل. بي: متعلق بـــ «يضيق».

إذا: مضاف. الكريم: مبتدأ. تحلى: فعل، (هو): فاعل. باسم منتقم: المجرور والجار متعلق بتحلى. فعل وفاعل ومتعلق: خبر. والمبتدأ مع خبره مضاف إليه، والمضاف مع المضاف إليه: ظرف زمان لـــ «لن يضيق». فعل وفاعل ومتعلق: جملة خبرية. «لن يضيق»الخ الجملة جواب النداء.

الشرح:

تغلب صفة الله تعالى الغضبية يوم القيامة، فاشفع لي، وجاء في حديث الشفاعة الكبرى: «فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله... فيقول [نوح]: إن ربي قد غضب اليوم غضبا... فيقول[إبراهيم]: إن ربي قد غضب اليوم غضبا... فيقول [موسى]: إن ربي قد غضب اليوم غضبا... فيقول[عيسى]: إن ربي قد غضب اليوم غضبا...».(صحيح البخاري، رقم:٤٧١٢)

وفي الحديث: يقاد لكل شيء يوم القيامة حتى للشاة الجلحاء من الشاة القرناء.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة:

«لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء». (صحيح مسلم، رقم: ٢٥٨٢)

وعلى كل، يتصف الله تعالى يومئذ بصفة الانتقام، أي تظهر تلك الصفة يومئذ.

من أسماء الله تعالى الحسنى: «المنتقم».(سنن الترمذي، رقم ٣٥٠٧)

(يا) رسولَ الله، فيه نداء، وفيه نداء ما في القلب حبا، أي نحن نحبك، فإذا كان يوم القيامة –يوم الانتقام– فلا تعرض عن شفاعتنا.

انتهى بعون الله تعالى

****



اللغة:

جودك: جاد (ن) جُودا: سخا وبذل.

الجُود: إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي لا لغرض. والسخاء أن يتحول طبيعة للمرء، ولهذا أطلق على الله تعالى «الجود»، دون السخاء؛ فإنه يعتبر في الطبيعة.

وفي الحديث: «يا عبادي كلكم مذنب... فسأل كل سائل منهم ما بلغت أمنيته..، وذلك بأني جَواد ماجد».(سنن ابن ماجه، رقم:٤٢٥٧)

ضرة: لغة: إحدى الزوجتين أو الزوجات. أطلق الضرة على الدنيا بإزاء الآخرة؛ لأن: (١) كل واحدة تضر بالأخرى. (٢) الجمع بينهما متعسر. فيصعب الجمع بين الدنيا والآخرة، فإذا أقبل على إحداهما أضر بالأخرى، قليلا أو كثيرا. وفي الحديث: «من أحب دنياه أضر بالآخرة، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى».(مسند أحمد، رقم:١٩٦٩٧)

رُئِي بهلول الحكيم وفي يده خشبة أو جذع، يأخذ بأحد طرفيها فتسقط من الطرف الآخر، فقيل له: ما بك؟ قال: طرف منها دنيا، والطرف الآخر آخرة، فقلت: أحمل الدنيا فتتبعها الآخرة، ولكنها أبت. ثم قلت: أحمل الآخرة وتتبعها الدنيا، فأبت. فعلمت أنه يصعب الجمع بينهما.

نعم كان بعض أولياء الله تعالى وأنبيائه يعدون الدنيا وسيلة إلى الآخرة، وفي الحديث: «نعم المال الصالح للرجل الصالح». (شعب الإيمان للبيهقي،رقم:١١٩٠). وفيهم قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (النور: ٣٧) ودعا رسول الله صلى الله عليه

وسلم لأنس رضي الله عنه بالبركة في المال والولد. (صحيح البخاري، رقم:٦٣٣٤)

اللوح: لاح (ن) لَوحًا: ظهر ولمع. اللوح: كل صفيحة عريضة خشبة كانت أو غيرها.

والمراد باللوح في البيت اللوح المحفوظ. وسيأتي تفصيله.

الإعراب:

فإن من جودك: كائن من جودك: خبر مقدم. الدنيا: معطوف عليه. وضرها: معطوف. والمعطوف مع المعطوف اسم الناسخ: إن.

ومن علومك: أيسر إعرابه: من علومك: متعلق بـــ كائن، خبر مقدم. وعلم اللوح والقلم: مبتدأ. والمبتدأ مع الخبر جملة اسمية.

إعراب آخر: من علومك: معطوف على «من جودك»، وعلم اللوح: معطوف على «الدنيا».

الشرح:

عدَّ كل من عمل كتابا أو مقالة في الرد على القصيدة، هذا البيتَ مشكلا. والشبكة العنكبوتية طافحة بسرد هذا البيت والرد عليه من قِبَل السلفيين ومن والاهم.

وعلى كل، نشير إلى المعنى المطلوب هنا:

فإن من جودك...، معناه الظاهر أن الدنيا والآخرة من ثمار سخاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكأنه هو الذي خلقهما.

وهذا المعنى يعارض المبادئ والقوانين الأساسية المستقاة من الكتاب والسنة. فإن الخير والشر لا يملكهما إلا الله تعالى. بيده الفقر والغنى، والعز والذل، وهو الذي يرزق الولد. والقرآن الكريم حافل بالتوحيد، ولذا نادى الأنبياء عليهم السلام:

- زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ (الأنبياء: ٨٩)
- آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ (الأعراف: ٢٣)
- إبراهيم عليهم السلام: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ (إبراهيم: ٣٧)

وكان المشركون يعتقدون النفع والضر من غير الله تعالى، ويدعون غير الله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ (فاطر: ١٣)

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ (الرعد: ١٤)

فإن قلنا: إن الرسول صلى الله عليه وسلم واسطة للموجودات، فبعد تسليم كونه واسطة لم تكن الدنيا والآخرة نتيجة سخائه وجوده؛ بل من ثمار جود الله تعالى وسخائه، فما معنى هذا البيت الصحيحُ ؟

الجواب: (١) أطلق الحال وأريد به المحل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣) أي: محل الحرث.

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٠٧) أي: محل رحمة الله.

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ (الطارق: ٧) أي: محل كائن بين الصلب والترائب. ففي هذه الآيات وأمثالها أطلق الحال وأريد به المحل.

فالمراد بقوله: من جودك: من محل جودك الدنيا وضرتها.

وإنما وجب حمله على هذا المعنى لأن الجود مصدر، والدنيا تحتمل معنيين: (١) الوقت الحاضر/ الحياة الحاضرة. (٢) ما يوجد على الأرض.

وعلى أي من هذين المعنيين حملناه، لا يصح حمل الجود على الدنيا والإخبار به عنها، أي لا يصح إطلاق السخاء عليهما، فوجب الحمل على أن الدنيا محل الجود والسخاء، وليست هي الجود والسخاء.

والمعنى حينئذ: من محل جودك الدنيا والآخرة. أي يظهر جودك في الدنيا والآخرة. وهذا يوافق الواقع، و «من» حينئذ زائدة.

وسبق بيان الجود في الدنيا في ذكر أسباب الحب، في البيت رقم:٤:«إن الحب منكتم». ومن أسباب حبه النوال. وسبقت الأمثلة على الكرم والسخاء فيه. كما سبق بيان جوده وسخائه صلى الله عليه وسلم في الفصل الثالث ضمن البيت رقم:٥٥. وغيره من المواضع. وسبق بيان جوده صلى الله عليه وسلم في تقسيم الغنائم، ضمن البيت رقم:١٢٨: «وسَل حنينا». وهذا سخاؤه المادي، فإن جوده في الدنيا كان ماديا وروحانيا

أيضًا.

الجود الروحاني: اهتمامه بهداية الناس إلى الحق وبذل حياته كلها في سبيله، مما لا يخفى على أهل العلم.

الجود في الآخرة:

الشفاعة الكبرى، والصغرى، وكافة أنواع الشفاعة له صلى الله عليه وسلم، وسبق بعض التفاصيل في البيت رقم:٣٦: «هو الحبيب الذي ترجى شفاعته».

الوجه (٢): إنه صلى الله عليه وسلم سبب الموجودات. و جود الله تعالى وسخاؤه من أجل النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الكون كله بسببه صلى الله عليه وسلم، سبق تفصيله في البيت رقم: ٣٣.

ويؤكد الصوفية على أنه صلى الله عليه وسلم سبب الكون، وسبق بيان إسناده.

فإذا كانت الدنيا بفضله صلى الله عليه وسلم، والآخرة تعقبها لا محالة. فكان المعنى: إنه صلى الله عليه وسلم سبب لوجود الدنيا والآخرة.

الوجه (٣): قال العلامة ابن مقلاش في معناه:

من جودك: أي: مما جيد عليك. (ص٧٨٠)، فهو من إضافة المصدر إلى المفعول، و المعنى: إن الدنيا والآخرة هما جاد الله وأنعم به عليك.

ومن علومك علم اللوح والقلم:

علم اللوح والقلم جزء من علمك، فكأن علمه صلى الله عليه وسلم أكثر من علم اللوح والقلم. وهذا خلاف الواقع؛ لأن اللوح المحفوظ يشمل كل شيء إلى يوم القيامة.

في الحديث: «وكتب في الذكر كل شيء».(صحيح البخاري، رقم:٣١٩١)

ولا يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سيكون إلى يوم القيامة؛ بل لم يكن على علمٍ بكثير مما وقع في حياته هو صلى الله عليه وسلم. ومن الأمثلة على ذلك:

(١) توفيت خادمة المسجد النبوي، و لم يعلمه صلى الله عليه وسلم.

(٢) فقدت عائشة رضي الله عنها عقدا لها، و لم يطلع النبي صلى الله عليه وسلم أين فقد؟

(٣) اتُّهِمَتْ عائشةُ رضي الله زورا، و لم يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم

تفاصيله.

(٤) قال تعالى حكايةً: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (التحريم: ٣)، و لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم ردا عليها: أعلم الغيب.

(٥) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ (لقمان: ٣٤)

(٦) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ (المجادلة: ٧)، فعلم أن الله علم ذلك و لم يعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٧) أنشدت بعض الجواري: «وفينا نبي يعلم ما في غد». فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «لا يعلم ما في غد إلا الله تعالى. فعلم منه أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن علم الغيب الكلي.

ومعنى هذا البيت الظاهر أخطر من عقيدة البريلوية. ونورد فيما يلي خلاصة الأقوال والمذاهب في علم الغيب:

البريلوية:

كان علمه بالغيب كليا وعطائيا، والمعنى الكلي أنه يعلم ما سيكون إلى يوم القيامة. وصرح الشيخ أحمد رضا خان في «الدولة المكية» بأنه صلى الله عليه وسلم يعلم ما سيكون إلى يوم القيامة لا ما سيكون بعده.

وقال أهل السنة والجماعة بمن فيهم علماء ديوبند: إن القول بأنه كان على علم الغيب الكلي، يعارض مبادئ الدين والتواتر. وشهدت السيرة النبوية بأنه صلى الله عليه وسلم لم يعلم مئات الأشياء. وما كان الصحابة رضي الله عنهم يعتقدون أنه عالم الغيب. وهذه خلاصة هذه المسألة.

(**ملحوظة:** سبق ذكر أقسام علم الغيب، والمذاهب فيه، والأدلة وما يتعلق به مفصلا في البيت رقم:٨٤: «ولا نبي على غيب بمتهم»).

والبريلوية أيضا تقصر علمه صلى الله عليه وسلم وقالت: يعلم ما سيكون إلى القيامة، وأما الناظم فقد تجاوزهم إلى القول بأن علم اللوح والقلم جزء من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكأن علمه فوق علم اللوح والقلم. فما معنى هذه المبالغة؟ وما

المعنى الصحيح لهذا البيت؟

الجواب:

من القاعدة المعروفة أن المصدر في الكلام قد يضاف إلى الفاعل، نحو علم زيد، وقد يضاف إلى المفعول، نحو: علم كتاب: أي علم زيد بالكتاب.

المعنى (١): وفي البيت من إضافة المصدر إلى المفعول، وفاعله محذوف، والمعنى: علم الناس باللوح والمحفوظ ظهر من علومه.

المعنى (٢) علم اللوح والقلم (ظاهر) من علومك.

أي: أنه صلى الله عليه وسلم ما كتِبَ في اللوح المحفوظ، و لم يكن للناس أن يعلموا في اللوح المحفوظ وما حاله، إن لم يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم الناس به.

(٣) يعلم حقيقة اللوح والقلم، فقد سمع ليلة أسري به صريف الأقلام، وكانت الملائكة ينسخون التقادير من اللوح المحفوظ، فمعرفته مباشرة ومن غير واسطة حقيقة اللوح والقلم، وكيفية كتابة الملائكة مما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم. فالعلم بهذه الأشياء العظيمة من علومه صلى الله عليه وسلم. (ابن مقلاش، ص ٧٨٠، بتغير يسير)

المعنى(٤): ليس المراد باللوحِ اللوحَ المحفوظ، ولا بالقلم: قلمَ التقدير. وإنما المراد باللوح ألواح/ كتب أهل العلم، وبالقلم: قلم الكتاب. والمعنى: من علمه صلى الله عليه وسلم ما يحصل عليه أهل العلم بعد الكتابة الكثيرة وبذل الحياة كلها في سبيله، فيحصلون على بعضها ويفوقهم كثير منها. وأما النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يعلم الناس العلوم والحكم من غير كتاب ولا درس ولا مذاكرة. فعلم العلماء اللوح والقلم جزء يسير من علم النبي صلى الله عليه وسلم.

المعنى الأول هو الأحسن ولا غبار عليه.

هذا، وفصل بعضهم تفصيلا فيما يلي ذكره، مما لا نتفق معهم عليه، فإنه معنى غير صحيح، كما تقدم.

والتفصيل هو: علوم اللوح والقلم: ما أمر الله تعالى القلمَ بكتابته في اللوح المحفوظ، وبما أن له علم الأولين والأخرين، فقد حصلت له هذه العلوم أيضا.

إيراد: وفي اللوح علم خمسة الأشياء الخمسة التي لا يعلمها إلا الله تعالى. فما معنى

علمه صلى الله عليه وسلم اللوح والقلم ؟

الجواب: (١) لم تُكتَب هذه العلوم الغيبية الخمسة في اللوح، وإلا لعلمها من يطلع على اللوح.

(٢) ولو سلمنا أن علم هذه الأشياء الخمسة مما في اللوح المحفوظ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم اطلع منه على الجزء الذي يطلع عليه الخلق، و علم هذه الأشياء الخمسة مما لا يطلع عليه أحد.

إيراد: إذا كان اللوح والقلم شطر من علمك، فأين علمه صلى الله عليه وسلم المتبقي؟

الجواب: سجل في اللوح المحفوظ ما سيكون إلى يوم القيامة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم كثيرا من أحوال القيامة والأخرة.

وهذا التفصيل غير صحيح؛ فإنه صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم كثيرا مما في اللوح المحفوظ عدا العلوم الخمسة. وأما إعطاؤه في آخر حياته فهو على خلاف الواقع. فإن الله تعالى يقول يوم القيامة: «فإنك لا تدري ما أحدثوا بعدكم». وقال صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه: «هل صليت؟» قيل: لا.

وعلى كل، حاصل البيت، أنا أطلب منك الشفاعة، فإن محل جودك الدنيا والآخرة.

اللوح:

حكى المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ (البروج: ٢٢)، قول مقاتل: «اللوح المحفوظ عن يمين العرش». (تفسير ابن كثير؛ روح المعاني؛ تفسير البغوي؛ تفسير النسفي وغيرها)

يفيد حديث رواه البخاري أن اللوح المحفوظ فوق العرش، وسرد الإمام البخاري في تفسير قوله تعالى:﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ حديث: «إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش».(صحيح البخاري، رقم:٧٥٥٤)

معنى قوله: «فهو عنده» في علم الله تعالى. و لم يصل إليه علم بشر، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ (الأنعام: ٥٩)

قال الحافظ ابن حجر: «فهو عنده» أي: ذكره أو علمه، فلا تكون العندية مكانية؛

بل هو إشارة إلى كمال كونه مخفيا عن الخلق، مرفوعا عن حيز إدراكهم».(فتح الباري ٢٩١/٦)

أضف إلى ذلك أن المفسرين فصلوا الكلام على كيفية اللوح المحفوظ وصفاته، وذلك فيما يلي:

عن ابن عباس رضي الله عنه: «إن مما خلق الله لوحًا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور، وكتابه نور، سعته ما بين السماء والأرض».(المستدرك للحاكم، رقم:٣٩١٧)

وجاء في أول اللوح المحفوظ: «لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله»... طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق إلى المغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء.

وصف اللوح بالحفظ، أي محفوظ من الشياطين ومن النقص والزيادة. ويطلق عليه «أم الكتاب».

القلم:

جاء في الحديث: «إنَ أوَّل ما خلَق اللهُ القلَم، فقال له: اكتبْ، فجَرى بما هو كائِنٌ إلى الأبد». (سنن الترمذي، رقم:٣٣١٩، وقال الترمذي: حسن صحيح)

كان قلم التقدير من نور، طوله ما بين السماء والأرض، قاله ابن عباس رضي الله **عنه**. (تفسير البغوي ١٧٨/٨؛ تفسير الرازي٦٩/٣٠؛ تفسير القرطبي ٢٢٥/١٨)

حكى المفسرون في تفسير قوله تعالى:﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم: ١) الآثار الواردة في خلق القلم، وأحواله، كثير منها من الإسرائيليات.

انتهى بعون الله تعالى وتسهيله، ولله الحمد والمنة.

****



اللغة:

لا تقنطي: قنطَ (س) قَنَطًا وقنَط (ن،ض) قُنوطا، وقَنُط (ك) قَناعةً: يئس.

القنط: (١) أعظم اليأس. (٢) اليأس من الخير.

زلة: الخطيئة، والسقطة. زَلَّ (س،ض) زلاًّ، زَلَلا: سقط.

أطلق الناظم، الزلة على الذنب، ولو استخدم الذنب، لاختل وزن البيت، كما يختل لو أطلق «المعصية».

الكبائر: جمعُ كبيرة: الذنب الكبير. وسيأتي تفصيله.

كبر (س) كِبرًا: أسن. كبُر (ك) كِبرا: سمت منْزلته، وعلا شأنه. فهو كبير.

كبرَ (ن) كبرًا: أسنَّ.

الغفران: غفر (ن) غَفرا وغُفرانا ومغفرة: سر الذنب. ومعنى الغفران السترُ.

وفي كلمة «المغفرة» تفاؤل، بأن يستر الله تعالى ذنوبنا برحمته، وهو منتهى سعادتنا.

وهذا المعنى هو المراد في الدعاء عند الخروج من الخلاء: «غفران». والمعنى: اللهم استر ظاهرنا وباطنا في الدنيا والآخرة. واحفظني أن أكشف عن عورتي في المستشفى. وسبق تفصيله في البيت رقم: ٢٦.

لَمَم: صغار الذنوب.

أَلَمَّ به: نزل الضيف، ولا ينْزل الضيف كل يوم، وإنما يطرق لماما، ثم يرجع.

قال الشاعر:

ألمت فحيت ثم قامت وودعت ۞ فلما تولت كادت النفس تزهق

ومعنى اللمم بمناسبة «أَلَمَّ»: الذنوب التي صدرت بالصدفة.

وسبق التفصيل في هذه الكلمة في البيت رقم: ١٤: «أَلَمَّ برأسي».

الإعراب:

يا نفس (أدعو) نفسي: فعل وفاعل ومفعول به جملة النداء. لا تقنطي: فعل وفاعل جملة إنشائية جواب النداء. من: حرف جر. زلة: موصوف. عظمت: صفته. والجار متعلق بـــ «لا تقنطي».

إن: حرف مشبه بالفعل، الكبائر: اسم. في الغفران: متعلق بالكاف في قوله: «كاللمم» فهي بمعنى أشبه. كاللمم: متعلق بخبر مقدر (كائنة) كاللمم.

الشرح:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (الزمر: ٥٣)

أي يغفر الله تعالى الذنوب صغيرها وكبيرها، لا كما يقول المعتزلة أن الكبائر لا تُغفر.

تقسيم الذنوب إلى الصغيرة والكبيرة:

قيل: الذنوب كلها كبيرة. عن ابن عباس رضي الله عنهما: «كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة». وهذا ما ذهب إليه أبو إسحاق الإسفرائيني، وقال القاضي عياض: وهو مذهب المحققين.

يقول جمهور أهل العلم: تقسيم الذنوب إلى الصغيرة والكبيرة مما دل عليه الكتاب والسنة وثبت عن السلف الصالح؛ فالتقسيم إليهما هو الصحيح. وأما ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه فالجواب عنه:

١-إنه ضعيف للانقطاع.

٢- معنى قول ابن عباس هذا: أن يجتنب المرء كل ذنب، ولا يستحقر الذنوب الصغيرة فيتعودها، قال الشاعر:

خل الذنوب صغيرها ۞ وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماش فوق أر ۞ ضِ الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة ۞ إن الجبال من الحصى

وهذه الأبيات لابن المعتز (عبد الله بن محمد بن المعتز العباسي، المتوفى ٢٩٦هـ).

(تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾)

وعلى كل، فالحق أن للذنوب تقسيما.

الأدلة:

(١) قَالَ تَعَالَى:﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ (النساء: ٣١)

فاجتناب الكبائر مقدمة لغفران الصغائر، كما لو تهيأ للزنا، ودخل في مقدماته، ثم تخلى عنه، فإن الله تعالى يغفر هذه المقدمات.

(٢) قَالَ تَعَالَى:﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَاهَا﴾ (الكهف: ٤٩)

(٣) قَالَ تَعَالَى:﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ (النجم: ٣٢)

وعلاوة على ذلك أدلة كثيرة أخرى، فلما ثبت أن للذنوب تقسيما، فيطرح السؤال نفسه: ما الكبيرة؟ وتعددت الأقوال في تعريفها:

١- كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب. روي ذلك عن ابن عباس والحسن البصري.

٢- إن نقصت مفسدة الذنب عن أقل مفاسد الكبائر فهو من الصغائر، وإن تساوت أدنى مفاسد الكبائر أو ربت عليه فهو من الكبائر. وذكر له أمثلة كثيرة.

٣-كل ما يسمى فاحشة. فهو كبيرة.

٤-كل ما كان شنيعا بين المسلمين وفيه هتك حرمة الله تعالى والدين فهي كبيرة.

قال الشيخ شبير أحمد العثماني بعد سرد هذه الأقوال وأمثالها: «أن اسم الكبيرة والصغيرة يطلق تارة على بعض الذنوب حقيقة وتارة بالإضافة إلى ما سواها من الذنوب، ومقايسة بعضها ببعض، فالأول الكبائر والصغائر حقيقة، والثاني: الكبائر والصغائر الإضافية النسبية».(فتح الملهم ٩٦/٢-١٠٧)

والذنوب السبعة التي اعتبرها الحديث النبوي مهلكات هي: ١- الإشراك بالله. ٢-

السحر. ٣-القتل بغير حق. ٤- أكل الربا. ٥- أكل مال اليتيم. ٦-الفرار من الزحف. ٧- قذف المحصنات.(صحيح البخاري، رقم:٦٨٥٧)

يا نفس: الخطاب للنفس الأمارة والنفس اللوامة. فإذا أصبحت مطمئنة فنعما هي.

لا تقنطي: ما أكثر الأبيات في هذا المعنى. رأى بعض الناس أبا نواس (الحسن بن هانئ بن عبد الأول، المتوفى ١٩٥هـ) في المنام، فقيل: ما فُعِل بك؟ قال: قلت أبياتا في المرض الذي مت فيه، فغفر الله تعالى لي ببركته. وهذه الأبيات تحت وسادتي، فانطلق الرجل فوجد هذه الأبيات:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ۞ فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن ۞ فبمن يلوذ ويستجير المجرم

واستبدل بعضهم الشطر الثاني بقوله:

«فمن الذي يدعو ويرجو المجرم»

وسرد كثير من الناس -علاوة على هذين البيتين- بيتين آخرين.

وفاة أبي نواس: جاء في شذرات الذنب (٤٥٣/٢): توفي عام م١٩٦هـ، وفي البداية والنهاية ١٩٥هـ.

وكأن الشعر في القصيدة خلاصة البيتين هذين لأبي نواس.

وللإمام الشافعي رحمه الله أبيات في هذا المعنى، وإليكم بيتين:

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ۞ بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ۞ تجود و تعفو مِنَّةً و تكرُّما

(سير أعلام النبلاء ٧٦/١٠. تاريخ دمشق ٤٣٠/٥١. طبقات الشافعين لابن كثير، ص٤٤).

وفي هذا المعنى البيتان التاليان:

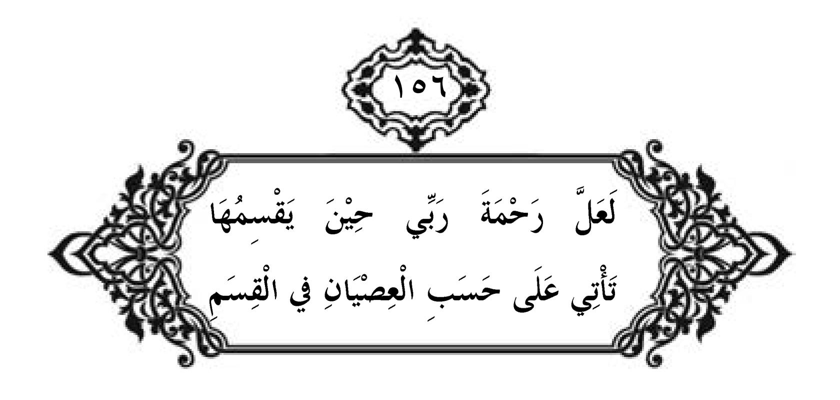
أنا مخطي أنا مذنب، أنا عاص ۞ هو غافر، هو راحم، هو عاف

قابلتهن ثلاثة بثلاثة ۞ و ستغلبن أوصافه أوصافي

(روح المعاني٦٧/٥)

انتهى بعون الله تعالى وتوفيقه.

****



اللغة:

يقسمها: قسم: (ض) قَسما/ قَسَّمَ: وزعه. قَسُم (ك) قسامة:حسن. فهو قسيم.

تأتي: أي: تنْزل الرحمة وتُنالُ.

القِسم: جمعُ قِسمةٍ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ (النساء: ٨)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ (النجم: ٢٢)

الإعراب:

لعل: حرف مشبه بالفعل. رحمة ربي: مضاف ومضاف إليه اسم لعل. حين: مضاف، ويقسمها: مضاف إليه، والمضاف مع المضاف إليه متعلق بـــ «تأتي».

تأتي: فعل (هي) فاعل. على: حرف جر. حسب: مضاف. العصيان: مضاف ومضاف إليه، مجرور. ومتعلق بـــ «تأتي». في القسم: متعلق بـــ «تأتي». تأتي فعل وفاعل ومتعلق خبر «لعل». والناسخ مع اسمه وخبره جملة اسمية إنشائية.

الشرح:

ذكر البيتُ سعةَ رحمة الله تعالى، أي: أن الله تعالى يقابل العباد بالرحمة العظيمة بالقدر الذي تعظم ذنوبهم.

وإيضاحًا لهذا المعنى نقول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ (الفرقان: ٧٠)

وفي الحديث: «إن لله مئة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم

والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة».(متفق عليه)

ألا ترى هذه رحمة واحدة يتراحم بها الناس كلهم، فكيف الرحمات التسع والتسعون؟

وفي الحديث: «(من مظاهر رحمته الخاصة) رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، و عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب، قد عملت أشياء لا أراها ها هنا. فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه».(صحيح مسلم، رقم:١٩٠)

وفي حديث: «ليتمنين أقوام لو أكثروا من السيئات». قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «الذين بدل الله سيئاتهم حسنات».(المستدرك للحاكم، رقم:٧٦٤٣،وصححه الحاكم والذهبي)

(أي: لو أكثروا السيئات ثم يندموا عليه، فيوجروا عليه).

ملحوظة:

فصل ابن رجب الحنبلي رحمه الله الكلام على تبديل السيئات حسنات، وقطع بأنه يشترط له الندامة والتوبة. (جامع العلوم والحكم، ص ٢٩٩)

ويقال: ذلك فضل من الله تعالى خاصة بأقوام. فقد ورد عند الحاكم بلفظ: «أقوام»، فكأنه ليس عاما.

ثم اعلم أن ليست المقابلة بين المحسن والمسيء في البيت، وأما الرحمة التي ينالها الصالحون، فهيهات أن نقدر قدرها. وإنما أراد أن يبين أن رحمة الله تعالى حين تصيب العاصين، فإنها تنْزل الرحمة مكان كل سيئة. وينال الأجر بدلها. وإنما أمكن ذلك؛ لأنها تغفر الذنوب كلها عدا الشرك، فيرجى أن أنال حسنة بدل كل سيئة.

وضرب العلامة ابن مقلاش والهراني مثالا على ذلك، وهو أن ملكا من الملوك منح الناس الصابون، وأمرهم أن يزيلوا تفثهم بذلك، فمن كان تفثهم أقل احتاج إلى قدر أقل

من الصابون، ومن كان تفثه أكثر احتاج إلى قدر أكثر من الصابون.

كذلك تنْزل رحمة الله تعالى على المذنبين قبل دخولهم الجنة، ليزول تفثهم، فمن كانت ذنوبه أكثر احتاج إلى رحمة أكثر، لتُغفر ذنوبه.

وعلى كل، أرجو من الله تعالى أن يبدل سيئاتي حسنات؛ فإن رحمته لا نهاية لها.

قال الشاعر:

أنا مخطي أنا مذنب، أنا عاص ۞ هو غافر، هو راحم، هو عاف

قابلتهن ثلاثة بثلاثة ۞ و ستغلبن أوصافه أوصافي

(روح المعاني٥/٦٧)

طعن بعض الناس في هذا البيت من القصيدة في كتبهم وعلى الشبكات العنكبوتية من غير مبرر، وهو أن البوصيري رحمه الله جاهل، لا علم له حتى بمبادئ الدين. فهو يرى أنه كلما ازداد المرء معصية ازداد حظا من الرحمة. ويقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦) وقالوا أقوالا كثيرة أخرى.

فقيل: هذا يعارض النصوص والإجماع والعقل.

وقيل: لا يقول ذلك مسلم؛ فإنه حث على المعاصي.

وطعن بعضهم في البيت وقال: والحاصل أن البوصيري من غلاة الصوفية؛ فلا يدافع عنه.

الجواب:

الجواب واضح جلي، وهو أنه ليس الغرض هنا بيان أصول الدين أو سنة إلهية؛ وإنما القصد الإعراب عن الأمل في تبديل السيئات حسنات نظرا إلى سعة رحمة الله تعالى، وهو ممكن. كما سبق شرحه.

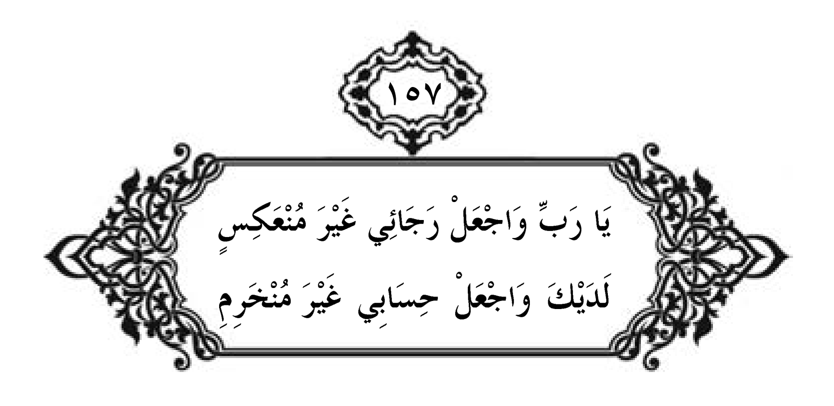
ولو سلمنا فرضا أن البوصيري يرى أنه كلما ازداد معصية كان أكثر حظا من الأجر و الثواب، فكيف أقبل على لوم نفسه في الفصل الثاني، وعلى التوبة والاستغفار، والندم على ماضيه في الفصل التاسع؟ أضف إلى ذلك كيف نصح غيره بضبط النفس،ومخالفة الشيطان، و التأكيد على التوبة والاستغفار في الفصل الثاني؟

والحق الذي يعضده التجارب أن المرء إذا فسد تصوره في أحد، استخرج معنى باطلا من كل صادر عنه، دون أن يكون ذلك مثار إشكال واعتراض، رزقنا الله تعالى جميعا الإنصاف.

ومعنى تبديل السيِّئات بالحسنات وضع الرحمة الكاملة بعد الندامة والتوبة من صميم القلب، أو معناه أن العبد إذا تاب وعمل الصالحات فقد بدل السيئات بالحسنات في المستقبل.

انتهى بتوفيقه تعالى.

****



اللغة:

حساب: العد والإحصاء.

منعكس: عكس (ض) عكسا: قلبه. (ورد آخِره على أَوله).

انعكس: ١-تقلب. ٢- أثَّر، واستظل به.

منخرم: خرم (ن) خَرما: ١-ثقبه. ٢- شقه. ٣- قطعه.

انخرم: انقطع، وانتهى. خرم (ك) خرامة: تجرَّأ.

الإعراب:

يا: حرف نداء (بمعنى: أدعو: فعل وفاعل). رب: (ربي): مضاف ومضاف إليه، مفعول، والفعل من الفاعل والمفعول جملة نداء. واجعل: فعل وفاعل، والواو زائدة لوزن الشعر، أو حذِف المعطوف عليه، والتقدير: يا رب تفضل، واجعل. أو: فاجعل. اجعل: فعل، رجائي: مفعول أول، غير منعكس: مفعول ثانٍ.

لديك: مضاف ومضاف إليه ظرف متعلق بـــ «اجعل». واجعل: فعل وفاعل. حسابي: مفعول أول. غير منخرم: مفعول ثانٍ، فعل وفاعل ومفعول معطوف على «واجعل»، وهو مع المعطوف جواب النداء.

الشرح:

اجعل رجائي غير منعكس:

أرجو أن تغفر لي، وتنْزل رحمتك على كل ذنوبي، فلا تبدل رجائي (العفو) يأسا وقنوطا (عدم العفو).

وفي بعض النسخ: «فاجعل رجائي» والتقدير: تفضل أو: ترحم فاجعل. أو إذا سمعت دعائي فاجعل. الخ. هذا التقدير أيسر. «واجعل رجائي» بالواو عطف على ما قبله.

(ارحمني) واجعل رجائي غير منقطع.

واجعل حسابي غير منخرم:

حاصله: لا تجعل حسابي منقطعا. ويحتمل معاني عدةً:

١- حسابي: معناه: اللهم لا تقطع ما علي من النعم الكثيرة.

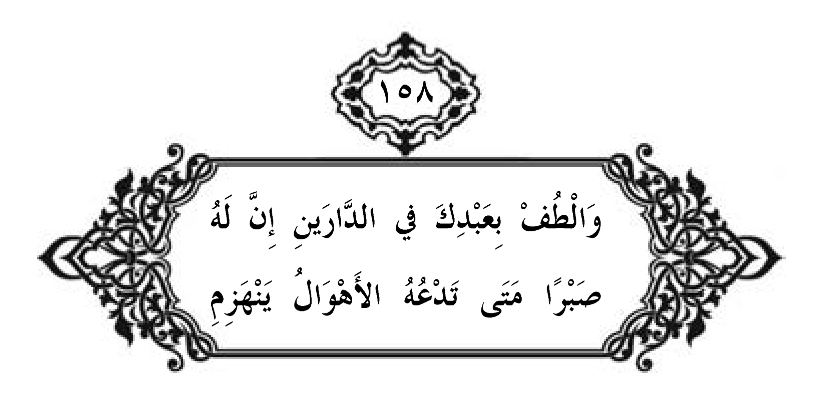
٢- اللهم لا تقطع إعداد فضلك وكرمك.

٣- الحساب بمعنى الحسبان. أي الظن، والمراد حسن الظن. اللهم لا تقطع حسن ظني، ولا تبدله خيبة.

٤- اجعل حسابي غير مشكل. أي لا تجعل حسابي مشكلا، بل يسِّر عليَّ وحاسبني حسابًا يسيرًا.

انتهى، ولله الحمد والمنة.

****



اللغة:

اللطف: لطف (ن) لُطفا، ولَطَفا: تكرم، ورحم.

اللطف: الإحسان الخفي الذي ليس له سبب جلي. فمثلا يخرج الولد من البيت، فليس هذا من الإحسان إليه في شيء، ولكن أخرجه ليتعلم الدين ويصيرا عالما، فهذا إحسان إليه.

لطف (ك) الشيء: خفَّ و رقَّ ودق.

الدارين: الدنيا والآخرة.

دار (ن) دَورا: طاف. (تردد في البيت، ولذا البيت دار).

الدَّير: مكان الخلوة، مسكن الراهب، سمي به لأن الكفار يترددون إليه للدعاء وغيره.

تدع: دعا (ن) يدعو: دَعوا، ودعوةً ودُعاءً: طلبه، وناداه.

دعا فلانا: (١) طلبه وناداه. (٢) استغاثه، وطلبه للإغاثة.

في نسخة: ترعه. بالراء. راع: (ن) روعا: خوَّفه، وحاصل النسختين واحد.

و في نسخة: «ارفق» مكان «الطف».

الأهوال: هال (ن) فلانا هولا: بالغ في تخويفه، وترويعه. يستعمل قاصرا ومتعديا. الهول: الخوف و الفزع، والذعر، ج: أهوال.

ينهزم: هزم (ض) هضما وهزيما: كسر شوكته وانتصر عليه. انهزم: انكسر شوكته وغُلِبَ عليه.

الإعراب:

والطف: فعل وفاعل. الواو استينافية. أو عطف على «فاجعل»، بعبد: متعلق بـــ «الطف». في الدارين: متعلق بـــ«الطف».

إن: حرف مشبه بالفعل. له: متعلق بـــ «موجود» أو «ثابتة» خبر الناسخ.

صبرا: موصوف. متى: حرف شرط. تدعه: فعل ومفعول. الأهوال: فاعل. الفعل مع الفاعل والمفعول فعل الشرط. ينهزم: جزاؤه. والجملة صفة لـــ «صبرا». والموصوف مع صفته اسم الناسخ.

الشرح:

الصبر على الحوادث والمصائب من عزائم الأمور، ولا أتصف به، ولا أتصف بالصبر، فاختصني برحمتك.

بعبدك: أظهر (بعبدك) و لم يضمر (بي)، ففيه استرحام من الله تعالى، والعبدية منْزلة رفيعة جدا، ولذا يذكر القرآن الكريم العبد في سياق ذكر النعم العظيمة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ (الإسراء: ١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (الكهف: ١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾(مريم:٢)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ (ص:٤١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ (النجم: ١٠)

وقال الشاعر:

إلهي عبدك العاصي أتاكا ۞ مقرا بالذنوب وقد دعاك

فإن تغفر فأنت لذاك أهل ۞ وإن تطرد فمن يرحم سواكا

ففيه إظهار (عبدك) موضع الإضمار (أنا) في طلب الرحمة، وهذه الأبيات لإبراهيم بن الأدهم رحمه الله. (بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ١٣٧/١، عبد المتعال الصعيدي)

وقال الشاعر:

لا تدعني إلا بيا عبديا ۞ فإنه أشرف أسمائيا

لم ينص معظم الكتب اسم الشاعر، نعم ذكره العلامة الصفري رحمه الله، فقال: «لا

تدعني إلا بيا عبديا» هذا البيت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي الزاهد (المتوفى ٢٩٩هـــ). جاء في ترجمته في الكتب قصص غريبة.(الوافي بالوفيات ٢/١٥١)

ذكر الصوفي الشهير أبو العباس المريسي (أحمد بن عمر بن محمد المغربي المتوفى ٦٨٦هـــ) هذا البيت في بعض مقالاته، فتوهم بعض الناس أنه من أشعاره وليس كذلك.

وكثيرا ما أشار الشيخ أبو علي الدقاق إلى هذا البيت في مقالاته، وصرح بأنه «قال شاعر». (الرسالة القشيرية ٢/٣٥٠)

وقال الشاعر:

بالله لو سألوك عني قل لهم ۞ عبدي وملك يدي وما أعتقته

هذا البيت من قصيدة لعبد الله بن علي بن منجد تقي الدين السروجي المصري (المتوفى٦٩٣هـــ) وفاتحة هذه القصيدة: «أنعم بوصلك لي فهذا وقته». كان تقي الدين السروجي من أصحاب الكمالات الدنيوية والأخروية، اشتهر بعفته ونزاهته، فصل أهل العلم ترجمته وذكروا له قصائد. (راجع: فوات الوفيات٢/١٩٦-٢٠٦؛ المنهل الصافي٧/١٠٠/١٠٦، للعلامة يوسف بن تغري، م٥٨٧٤؛ ثمرات الأوراق، ص٣٨، للعلامة ابن حجة الحموي؛ خزانة الأدب، ص٤٣١ للعلامة ابن حجة الحموي)

صبرا:

الصبر لغة: حبس النفس على شيء/ الكف في ضيق. والصبر على نوعين:

(١) **مذموم:** الصبر على المعصية. نحو: ١- ﴿وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ﴾ (ص: ٦) ٢-﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَا﴾ (الفرقان: ٤٢) ٣- ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ١٧٥) أي: صابرون على ما يوجب النار.

(٢) **محمود:** حبس النفس على طاعة الله تعالى، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ (طه: ١٣٠) ولهذا النوع من الصبر جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣)، وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥)، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦)

الصبر المحمود على أقسام: ١- على المصيبة. ٢- عن المعصية. ٣- على الطاعة. ٤- عن اللذات. ٥- صبر عن البدعات. ٦-صبر عن المشتبهات. وأيسر مثال على ذلك:

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)

من معانيه: اصبروا على العبادة واصبرو على مواجهة الأعداء.

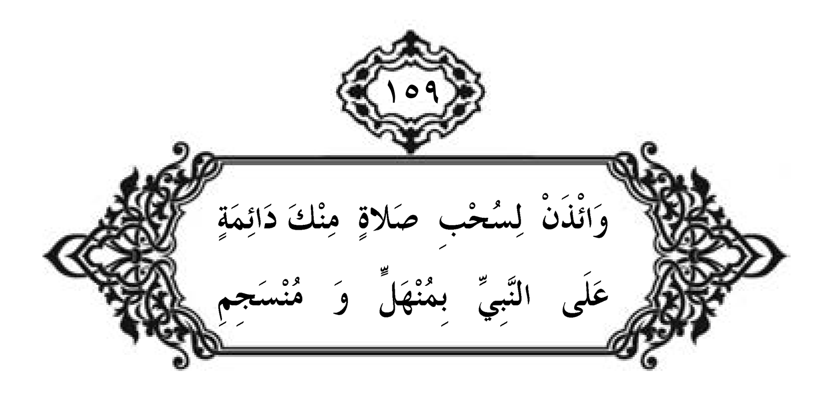
وفي الصبر تفاصيل كثيرة، و دراسات موسعة في كتب التفسير والتصوف.

يقول الإمام أحمد رحمه الله -رحمه الله-: ذَكر الله تعالى الصّبرَ فى القرآن فى نحوٍ من تسعين موضعًا، ... وهو نصف الإيمان؛ فإِنَّ الإِيمان نصفان: نصفٌ صبر، ونصف شُكر. (الشكر على الموجود والصبر على المفقود).

قال الفيروزآبادي: «وهو في القرآن على ستَّة عشر نوعا». ثم فصله تفصيلا. (بصائر ذوي التمييز ٣/٣٧١)

انتهى بعون الله تعالى وتوفيقه.

****



اللغة:

ائذن: أذن (س) إذْنًا وأذينا: سمح له. أذِن (س) استمع إليه.

سُحب: جمعُ سحاب: المزنة. وسمي السحاب به لأن : ١- الملائكة يسحبونه. ٢- لأن الهواء ينقله من مكان إلى آخر. سَحَب (ف) سَحبا: جَرَّه.

صلاة: صلى (ض) صَلْيًا: قلاه في النار، وألقاه فيها. تلقى الخشبة الطرية فيها فترق ويتخذ منها العصى.

صلى (س) صَلى، وصِلِيًّا: ألقاه في النار.

صلى (ض) يائي. يكتب بالواو تفخيما وتعظيما.

صلاة (١) الرحمة الخاصة، والإكرام. وسيأتي الكلام عليه. (٢) عبادة خاصة، تسمى صلاة. (٣) الرحمة. (٤) معبد اليهود. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾ (الحج: ٤٠)

منهلّ: هَلَّ (ن) طلع القمر. وفرح. هلّ المطر/ انهل المطر: نزل المطر غزيرا.

اهتل المطر: أمطرت السحابة راعدة.

منسجم: سجم (ن،ض) سُجوما وسِجاما الدمعُ: جرى الدمع. انسجم السحاب: أمطر الماء. انسجم الماء: انصب الماء، وسقط. انسجم الكلام: كان مرتبا ومنسقا.

الإعراب:

وائذن: فعل وفاعل. ل: حرف جر. سحب: مضاف. صلاة: موصوف (نازلة) منك: صفة أولى. دائمة: صفة ثانية. الموصوف مع صفته مضاف إليه، والمضاف مع

المضاف إليه، ذو الحال.

على النبي: متعلق بـ«دائمة»، أو بـ«صلاة». بمنهل: الباء: جارة. (غيث: موصوف محذوف). منهل: معطوف عليه، ومنسج: معطوف، والمعطوف مع المعطوف عليه صفة «غيث». والموصوف مع الصفة مجرور والجار متعلق بحال محذوفة: معمورة بغيث منهل أو: مقرونة بغيث منهل.

دائمة: بالجر: صفة «سحب»، وبالنصب: حال من «سحب».

الشرح:

صلاة: مزيد الشرف والكرمة، والرحمة المخصوصة والثناء الحسن من الله تعالى. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ (البقرة: ١٥٧) الصلوات: الرحمة الخاصة. والرحمة: الرحمة العامة.

بعض الأمور الخاصة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومعنى كلمة «الصلاة»:

فصل العلامة السخاوي رحمه الله تفصيلا كثيرا إطلاقات كلمة الصلاة، ومعانيها، يرجع إليه للتفصيل.

وبعبارة مختصرة: الصلاة إذا أضيفت إلى الله تعالى أريد بها الرحمة الخاصة. وفيما يلي النصوص:

قال ابن عطبة: «صلوات الله على عبيده: عفوه ورحمته وبركته وتشريفه إياهم في الدنيا والآخرة».(القول البديع، ص٥٣)

وإذا أضيفت إلى الملائكة أريد بها الاستغفار وإذا أضيفت إلى البشر والجن أريد بها الدعاء وطلب الرحمة.

قال الراغب: «...من الملائكة: الاستغفار، ومن الناس الدعاء».(القول البديع، ص٥٣)

ثم ساق العلامة السخاوي كثيرا من النصوص في هذا المعنى. (للاستزادة منه راجع: القول البديع، ص ٤٦-٥٨)

(٢) الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من حقه:

فصل العلامة السخاوي الكلام تفصيلا كثيرا على الصلاة على غير النبي، وساق أدلة الطرفين، وخلاصة ما قاله:

١- الصلاة والسلام من حق الرسول صلى الله عليه وسلم، وحق الأنبياء ليس حقا لنا؛ فلا يسعنا أن نقصد الصلاة والسلام على أحد ونفرده بهما. فلا يقال: صلى الله على زيد. نعم يجوز الصلاة والسلام على غيرهم تبعا، نحو: اللهم صل على سيدنا محمد... وأتباعه أجمعين.

وكره العلامة ابن القيم الصلاة والسلام على شخص بعينه، وقال: لا نعدو الحق لو قلنا: إنه حرام.

٢- وهذا من حق الرسول صلى الله عليه وسلم، وله أن يمنح ما له من الحق غيرَه. نحو: «اللهم صل على آل أبي أوفى».كما أن المقصود منه الدعاء، وأما الصلاة على النبي فالمقصود منها التعظيم مع الدعاء.

ويقول البعض: يجوز الصلاة والسلام على غير النبي مطلقا؛ لأن:

(١) يؤخذ ذلك من صنيع الإمام البخاري، حيث قال: «باب هل على غير النبي صلى الله عليه وسلم»، فساق- أولا- حديث الجواز مطلقا: «اللهم صلى على آل أبي أوفى». ثم ذكر حديث الجواز تبعا، للاستزادة منه راجع فتح الباري ١١/١٧٠.

(٢) صلى النبي- صلى الله عليه وسلم- وسلَّمَ على سعد بن عبادة رضي الله عنه.

(٣) دعا النبي صلى الله عليه وسلم للزوجين بكلمة الصلاة بطلب من زوج جابر رضي الله عنه.

(٤) في رواية منقطعة صلى النبي صلى الله عليه وسلم على الخلفاء الأربعة وأبي عبيدة وعمر وابن عباس رضي الله عنهم وقال: «اللهم صل على ...».

(٥) تدعو الملائكة لروح المسلم بقولهم: «صلى الله عليك».

هذا كله يدل على الجواز.

الجواب: يقول الجمهور: هذه القصص وأمثالها التي تفيد صدور الصلاة من الله

تعالى أو من رسوله صلى الله عليه وسلم لا بأس بها؛ فإن لله تعالى أن يصلي على من شاء وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم، و لا يجوز ذلك لأحد غيرهما، فإن الله تعالى لم يأذن بذلك ولا أذن به رسوله صلى الله عليه وسلم.

(٣) حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

يقول العلامة السخاوي: ذكر الحافظ ابن حجر في هذه المسألة عشرة مذاهب. وأشهرها قولان:

١- تجب مرة في العمر: وهو قول الإمام أبي حنيفة وغيره من أئمة الأحناف، والإمام مالك وسفيان الثوري، والأوزاعي رحمهم الله. قال القاضي عياض والعلامة ابن عبد البر:وهو قول الجمهور.

٢- تجب كلما ذكِرَ الرسول صلى الله عليه وسلم، إليه ذهب الطحاوي وجماعة من الحنفية، وجماعة من الشافعية. والقول الأول أوسع، والقول الثاني أحوط.

استدل القائلون بالوجوب بأدلة كثيرة، منها:

قال جبريل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم: «رغم أنف من ذكرت عنده فلم يصل عليك».

وأجاب القائلون بعدم الوجوب بأن هذه الأحاديث وأمثالها محمولة على المبالغة، والتاكيد على الصلاة لا على الوجوب.

وثمة أقوال أخرى غير هذين القولين:

٣- مستحبة فقط. ٤- واجبة في الجملة، من غير تحديد. ٥-تجب في القعدة الأخيرة. ٦- تجب في التشهد. ٧- تجب في الصلاة من غير تعيين. ٨- يجب الإكثار من الصلاة عليه من غير تعيين مقداره. ٩- مرة واحدة في كل مجلس. ١٠- تجب في كل دعاء.(للاستزادة راجع: القول البديع، ص ٥٩-٨٢)

(٤) هل تنوب الصلاة عن السلام أو لا؟:

تجوز الصلاة من غير سلام، ولا يكره. والعكس كذلك؛ لأنه:

١- وردت أحاديث كثيرة بالصلاة دون السلام.

٢- كثير من المحدثين والفقهاء اكتفوا بالصلاة في خطبة كتبهم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «يكره أن يفرد الصلاة ولا يسلم أصلاً أما لو صلى في وقت وسلم في وقت آخر؛ فإنه يكون ممتثلاً».(القول البديع، ص ١٥٧)

سؤال: قوله﴿ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦) يفيد أن حكمه حكم الصلاة وهو الوجوب؟

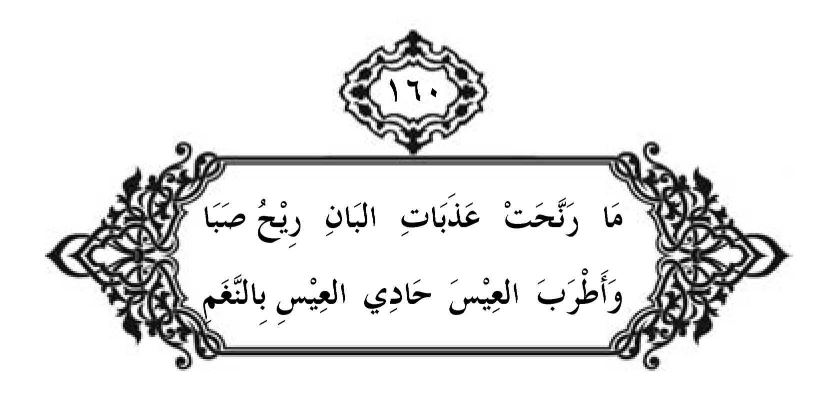
الجواب: لم يتعين أن معنى «سلموا» هو التسليم، وقد يراد به اتباعه صلى الله عليه وسلم ووقايته الأذى.كما ورد في التفاسير. راجع: المؤلفات في فضائل الصلاة ومسائلها وقصصها.

و ربما جاء أجمع كتاب في هذا الموضوع وأشهره: «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» للعلامة السخاوي رحمه الله (المتوفى ٩٠٢هـــ)، وكذلك «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام» لابن القيم رحمه الله (المتوفى ٧٥١هـــ)، وفي اللغة الأردية: للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله رسالة جامعة.

ونشر «القول البديع» غير مرة، وخير نسخها هو نسخة علق عليها الشيخ عوامة؛ فقد درسه الشيخ ما لا بد من دراسته، وعمل له فهرسا.

انتهى بعون الله تعالى وتوفيقه.

****



اللغة:

رَنَّحت: حرّكت وأمالت. رنَّح: هزه، حرّكه وأماله.

رنَّح فلان: قاصر أيضا بمعنى: ترنح، وليس له فعل مجرد.

عذبات: جمعُ عَذَبة. والعذبة: أغصان الشجر، وطرف كل شيء.

عذُب (ك) عذوبة: صار حلوا ورائعا. والطعام المستساغ.

عَذَّب: عاقبه وآذاه. والمناسبة بينه وبين الفعل المجرد أن «عذُب» فيه معنى الحلاوة، و«عَذّب» فيه معنى إزالة العذوبة والروعة. وحاصله العذاب والعقاب.

عذَب (ض) عنه: أمسك عنه. عذَبَ فلانا: صده عنه. ولهذه الكلمة اشتقاقات أخرى.

البان: نوع من الشجر له أغصان لطيفة. وهو شجر طويل مستقيم ذو أغصان، يستخرج منه الدهون ذات الرائحة الطيبة. ولا يوجد إلا في العرب.

وسبق تحقيق هذه الكلمة في البيت رقم: «ولا أرقت لذكر البان».

ريح صبا: الريح: يطلق على هواء العذاب/ هواء الهلاك غالبا. ويطلق على الطيب منه «الرياح»، وهو الهواء الطيب وهواء الرحمة. (وسبق تفصيله). وأطلق هنا «الريح»، على الطيب منه، كما قال أحد الشعراء:

لو نلت يا ريح الصبا يوما إلى أرض الحرم ۞ بلغ سلامي روضة فيها النبي المحترم

كان هذا البيت منقوشا على لوحة قبر موسى عليه السلام يومًا من الأيام، و زرناه فلم نجده عليه.

الصبا: ريح مهبها من مشرق الشَّمْس. والعرب يحبونها؛ لأنها تجمع بين السحاب، وتسبب للمطر، والمطر نعمة عظيمة للعرب.

وقيل: هذه الريح تلقح الشجر، وتجعله صالحا للإثمار، وتؤثر في ماء الأنهار. و يطلق عليها «القبول». وتهب عامة في الصباح، فتسر الكئيب، وتريح القلِقَ، وتجمع بين السحاب، وتسبب المطر.

قال الشراح: استأذنت هذه الريح بأن تحمل طيب يوسف عليه السلام إلى يعقوب عليه السلام، فأذن لها به، فتقدمت الريح البشيرَ إلى يعقوب عليه السلام. وبشره به. (والله أعلم).

أنواع الريح أربعة:

(١) القبول: وهو الصبا. وسبق تفصيله.

(٢) ويقابلها الدبور، وهي ما يكون مهبها من المغرب إلى المشرق، وهي ريح عاصفة مهلكة. وفي الحديث: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور».(صحيح البخاري، رقم:٤١٠٥)

(٣) الشمأل: ما يكون مهبها من الشمال.

(٤) الجنوب: ما يكون مهبها من الجنوب.

قال امرؤ القيس:

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ۞ لما نسجتها من جنوب وشمئل

(المعلقات)

حاصل البيت أن معالم هذين المكانين لم تنطمس؛ فإن الهواء القادم من جهة غطاهما والهواء القادم من الجهة الأخرى نظفها وأزال ما عليهما.

أطرب: أوقع في الطرب. طرب (س): طَرَبًا: اهتز، وفرح، وانتشى، ووجد. أطرب: هزَّه، وأوجده.

العيس: جمعُ الأعيس.(١) من الإبل الذي يخالط بياضه شقرة. (٢) من الإبل الضارب لونه إلى الصفرة. (٣) الجيد منها. ج: عيس. وأعيس الزرع: لم يكن فيه رطب.

حادي: حدَا (ن) حُداءً: سَاقهَا وحثها على السّير بالحداء،

حدَا (ن) تبعه، واقتفى أثره.

الحادي: اسم الفاعل ، الذي يحدو الإبل بغناء خاص. ج: حُداة.

النغَم: جمعُ نغمَة. النغمة: الصوت الحلو، أسلوب الغناء، والترنيمة(TUNE)

نغَم (ف) نغما: أسر الحديث.

نغم (ن،ض،س) نَغْمًا، وتنغَّمَ: طرب فيه. وغنى بصوت حلو.

الإعراب:

ما: مصدرية. ومن المعروف الشائع تقدير الظروف قبل المصادر، وهو متعلق بـــ «ائذن»، والتقدير: ائذن وقت ترنيح الرياح أغصان البان. رَنَّحت: فعل. عذَبات البان: مفعول. ريح صبا: فاعل.

وأطرب: فعل. العِيسَ: مفعول. والفعل والمفعول معطوف، على «رنحت». حادي: مضاف، والعيس: مضاف إليه، والمضاف مع المضاف إليه فاعل. بالنغم: متعلق بـــ «أطرب».

الشرح:

معنى البيت أن الله تعالى يصب على رسوله صلى الله عليه وسلم رحمته الخاصة، وحاول الناظم رحمه الله اختيار أحسن الأساليب في الحب والعشق، للدلالة على الدوام.

ويتضمن كتاب الشعر أمثال هذه التعبيرات، وساق اسم شجرة، غصونها لينة، مثل أنامل المحبوبة، ثم ذكر الجمل الأبيض للدلالة على مزيد من الحب والمودة.

الذي يسوق الإبل يتغنى ويحدو، فتطرب الإبل وتسرع السير، فالإبل لها مذاق شعري، وتجد حين تسمع الأبيات، فمن لم يستوعب الشعر، وليس له شوق ورغبة فيه، فهو أفسد مذاقا من الإبل.

وكانت بعض القبائل لها حادٍ معروف، تذكر كتب الأدب قصص تأثيره، وفيما يلي قصة قصيرة تدل التأثير والفعل:

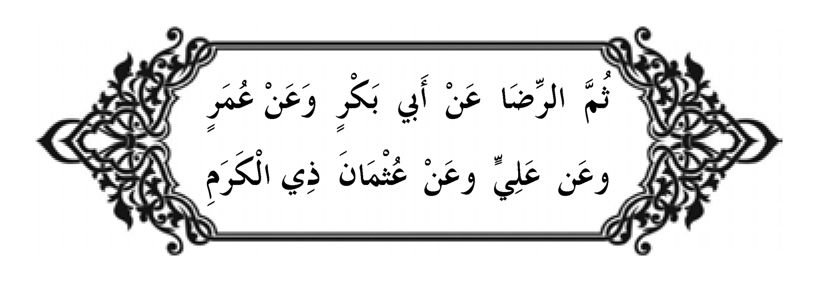
ذات مرة نزل ضيف على بعض الأعراب، وعنده عبد أسود مقيد في

السلاسل، فشفع له الضيف فحل سلاسله، ثم قص عليه القصة قائلا: كان لي عشرة عبيد، وكنت أنقلهم من مكان إلى آخر، فبدأ هذا العبد يحدو الإبل، فطربت وسارت في ليلة واحدة مسيرة ليالٍ عدة، فوصلت إلى البيت فماتت الإبل كلها إلا واحدة، فطلب الضيف من العبد أن يحدو، فحدا، فإذا الإبل تهرول إلى الصحراء، فقلق الضيف والمضيف كلاهما قلقًا شديدًا.

انتهى بعون الله تعالى وتوفيقه.

بهذا انتهت مئة وستون بيتا من القصيدة، وفيما يلي بعض الأبيات الملحقة بها.

****



اللغة:

رضي: (س) رِضا ورِضاء: قبله. الرِّضا: اسم المصدر.

قدم عليا على عثمان لضرورة الشعر:

وعن علي ينو عن عثمان ذي لـــ كرم

مفاعلن فاعلن مستفعلن فَعِلِ

ولو قدم عثمان عليه لاختل وزن الشعر.

أفردت تراجم كل واحد من الخلفاء الراشدين، وبعض الكتب تجمع بين تراجم الأربعة، وفيما يلي تراجم موجزة لهم:

سيدنا أبو بكر الصديق: أول الخلفاء:

عبد الله بن عثمان (أبي قحافة) بن عامر بن كعب قريشي، أول المسلمين من الرجال، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحل والترحال، وصاحبه في غار ثور.

لقبه: الصديق: (١) كامل الصدق. (٢) لمبالغته في الصدق. (٣) القوي في الدين. (٤) الجيد.

وسمي عتيقا؛ لأنه نال وثيقة الخلاص من النار.

كان هو وأبوه وابنه وحفيده كلهم مسلمون. وهذا ما لا يشاركه فيه أحد، واختص بذلك رضي الله عنه. روى (١٤٢) حديثا، توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة في٢٢/ جمادى الآخرة عام ١٣هـــ، وصلى عليه بالناس عمر رضي الله عنه، ومدة خلافته سنتان وأربعة أشهر. رضي الله عنه.

سيدنا عمر رضي الله عنه: ثاني الخلفاء:

عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي، العدوي، يكنى: أبو حفص، (أبو الأسد)، أو: والد حفصة. حذفت منه الهاء كما حذفت في «عائش» من عائشة. أسلم في السادس من النبوة. لقب بـــ الفاروق؛ لأنه فرق بين الحق والباطل. وقال: إذا كنا على الحق فلندخل المسجد الحرام. وكان المسلمون يصلون خفية، فلما أسلم صلوا علانية.

روي أنهم صفوا صفين ودخلوا البيت، والمشركون ينظرون إليهم، ولم يضروهم شيئا، ولما أسلم نزل جبريل عليه السلام وبشر بأن أهل السماء فرحوا بإسلام عمر. وهو أول من لقِّب بأمير المؤمنين، و نصبه أبو بكر رضي الله عنه خليفة قبل الوفاة. وثمة بحوث وأبواب مفردة بما قام به من المآثر والأعمال الجليلة وكيف نظم الخلافة؟ روى (٥٣٧) حديثا، كانت خلافته عشر سنوات وستة أشهر. طعنه أبو لؤلؤة –عبدٌ للمغيرة بن شعبة، فقتل شهيدا. توفي عن عمر يبلغ ٦٣سنة، في ٢٣هـــ. رضي الله عنه.

سيدنا علي رضي الله عنه: رابع الخلفاء الراشدين:

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، القرشي، أبو الحسن، وأبو تراب كنيته. أول من أسلم من الصبيان. ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه. شهد الغزوات كلها عدا تبوك. أمَّره النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة حين خرج إلى تبوك.

طعنه الشقي عبد الرحمن بن ملجم الخارجي في صلاة الفجر في ١٧/رمضان عام ٤٠هـــ، فقُتل شهيدا. و دفن في دار الإمارة بالكوفة على الصحيح من الأقوال. ومن الكذب أنه حمل على جمل وخلِّيَ سبيله ليذهب حيث يشاء فيدفنونه فيه. وهذا ما لا يفعله المرء بدابته، فكيف بالصحابي الجليل المبشَّر بالجنة. والصحيح أنه لم يدفن في عامة المقابر خوفًا من الخوارج. كانت مدة خلافته ٤/سنوات. توفي عن عمر يبلغ ٦٣ سنة.

سيدنا عثمان رضي الله عنه: ثالث الخلفاء الراشدين:

عثمان بن عفان أبي العاص بن أمية: ذو النورين. زوجه الرسول صلى الله عليه وسلم بنتين من بناته. أسلم على يد أبي بكر رضي الله عنه. من العشرة المبشرين بالجنة.

هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة. شهد الغزوات كلها إلا بدرا. أمره رسول الله صلى عليه وسلم في بدر أن يتخلف في المدينة المنورة بمرض زوجته.

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم رسولا في الحديبية إلى الكفار ليحاورهم. وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يدَ عثمان رضي الله عنه. روى (١٤٦) حديثا، قتله الأسود الخبيث من أهل مصر في العاشر من ذي الحجة عام ٣٥هـ. كانت خلافته (١٢) سنة، وأربعة أشهر. وعمره (٨٢) عاما.

وَالآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِيْنَ لَهُمْ
أَهْلُ التُّقَى وَالنُّقَى وَالْحِلْمِ وَالْكَرَمِ

اللغة:

الآل: له ثلاثة إطلاقات:

(١) بمعنى الأزواج المطهرات، ومن الأمثلة عليه:

١- «ما شبع آل محمد من خبز مأدوم».(مسند أحمد، رقم:٢٥٥٤٠)

٢- «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا».(صحيح ابن حبان، رقم:٦٣٤٣)

٣- «من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى، إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته».(شعب الإيمان، رقم:١٤١٩)

(٢) الأقارب: بنو هاشم وبنو المطلب وغيرهم.

من الأدلة عليه:

١- «إن الصدقة لا تحل لمحمد ولآل محمد».(مسند الشافعي، رقم:٩٦١)

٢- نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ (الأحزاب: ٣٣) جلل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءً، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس».(سنن الترمذي، رقم: ٣٧٨٧)

(٣) الأتباع:

من الأدلة عليه:

١- «آلي كل تقي». في إسناده: نوح بن أبي مريم، وفيه كلام طويل.

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ (القمر: ٣٤)

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ (غافر: ٤٦)

٤- قال الشاعر:

آل النبي همُ أتباع ملته ۞ من الأعاجم والسودان والعرب

لو لم يكن آله إلا قرابته ۞ صلى المصلي على الطاغي أبي لهب

٥- قال عبد المطلب في قصة الفيل:

وانصر على آل الصليب ۞ وعابديه اليوم آلك

والأبيات التي قالها عبد المطلب في دعائه في قصة الفيل، سبقت في الفصل الخامس.

والمراد هنا بالآل المعاني الثلاثة.

إيراد: لا يصح عند الأحناف إرادة معاني المشترك كلها.

الجواب: إذا حملناه على معنى يعم الجميع- وهو ما يسمى عموم المجاز- جاز ذلك. فمثلا نقول هنا: آل (ن) أولا: رجع. فإن تعريف الآل هو:

الآل: من يرجع إلى شخص بالزوجية أو بالقرابة أو بالاتباع. فالآل -بهذا المعنى- يعم المعاني الثلاثة، أي كل من نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي نسبة كانت.

الصَّحب: جمعُ صاحب. نحو تاجر جمعه تَجْرٌ.

الصحابي: من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على الإسلام، إنسا كان أو جنا، قبل البلوغ كان أو بعده، وإن كان للحظة.

زمن الصحبة: لا يشترط المحدثون طول الصحبة في الصحابي، ويشترطه الفقهاء. فلا يكون صحابيا ما لم يقض مدة لا بأس بها مع النبي صلى الله عليه وسلم.

والراجح قول المحدثين وهو عدم اشتراط طول الصحبة. ومن الصعوبة بمكان تحديد مدة طول الصحبة، أي كم مدة يجب أن يصحبه؟

التقى: المتقي: الذي يشتغل بالطاعات ويجتنب عن المعاصي والسيئات وعن كثير من اللذات.

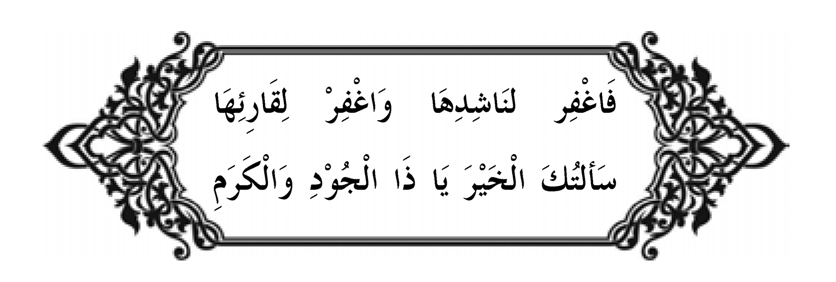
النُّقى: نقِيَ (س) نظف. نقا (ن) أخرج اللب من العظم.

أهل النقى: طاهرو القلوب من الشرك، وطاهرو الظاهر من الذنب. أي: من اتصف بطهارة القلب والأعضاء، فهو النقي. وهذا هو المطلوب في قول تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ (الأعلى: ١٤)

حلم (ك) سكن وتأنى، وهو المراد.

كرم: الجود، وحسن الخلق.

انتهى بتوفيق الله تعالى.



اللغة:

هذا البيت لا يوجد في شيء من النسخ المطبوعة في العرب، وإنما يوجد في النسخ المطبوعة في الهند وباكستان.

وهذا خطأ؛ لأن ناسج الأشعار منشئ لها لا ناشد لها، وإنما المنشد من يقرأها.

وقصد واضع هذا البيت المنشئ كما لا يخفى أنه ذكر الناشد في مقابلة القارئ: اللهم اغفر للناظم (البوصيري) وقارئ القصيدة كليهما ومن خدمها وتكرم عليهم.

انتهى بتوفيق الله تعالى.

****


اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

أبيات قصيدة البردة من الفصل الخامس إلى الفصل العاشر

الفصل الخامس في ذكر يمن دعوته ﷺ

٧٢ جاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الأَشْجَارُ سَاجِدَةً ۞ تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلا قَدَمِ

٧٣ كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ ۞ فُرُوْعُهَا مِنْ بَدِيْعِ الْخَطِّ فِي اللَّقَمِ

٧٤ مِثْلَ الغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةً ۞ تَقِيْهِ حَرَّ وَطِيْسٍ لِلهَجِيْرِ حَمِي

٧٥ أَقْسَمْتُ بِالقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ ۞ مِنْ قَلْبِه نِسْبَةً مَبْرُوْرَةَ القَسَمِ

٧٦ وَمَا حَوَى الغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ ۞ وَ كُلُّ طَرْفٍ مِنَ الكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

٧٧ فَالصِّدْقُ فِي الغَارِ وَ الصِّدِّيْقُ لَمْ يَرِمَا ۞ وَ هُمْ يَقُوْلُوْنَ مَا بِالغَارِ مِنْ أَرِمِ

٧٨ ظَنُّوا الحَمَامَ وَ ظَنُّوا العَنْكَبُوتَ عَلَى ۞ خَيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنسُجْ وَ لَمْ تَحُمِ

٧٩ وِقَايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عَن مُضَاعَفَةٍ ۞ مِنَ الدُّرُوعِ وَ عَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُمِ

٨٠ مَاسَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا وَاسْتَجَرتُ بِهِ ۞ إِلاَّ وَ نِلْتُ جِوَارًا مِنْهُ لَم يُضَمِ

٨١ وَ لاَ التَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ ۞ إِلا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلِمِ

٨٢ لا تُنْكِرِ الوَحْيَ مِن رُؤيَاهُ إِنَّ لَهُ ۞ قَلْبًا إِذَا نَامَتِ العَيْنَانِ لَمْ يَنِمِ

٨٣ وَ ذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ ۞ فَلَيْسَ يُنْكَرُ فيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ

٨٤ تَبَارَكَ اللهُ مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ ۞ وَ لا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ

٨٥ كَمْ أبْرَأَتْ وَصِبًا بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ ۞ وَأَطْلَقَتْ أَرِبًا مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ

الحاقي آياتُه الغُرُّ لا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ۞ مِنْ دُوْنِهَا العَدْلُ بَيْنَ النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

٨٦ وَ أَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ ۞ حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ

٨٧ بعارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتَ البِطَاحَ بِهَا ۞ سَيْبًا مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلاً مِنَ العَرِمِ

الفصل السادس في ذكر شرف القرآن

٨٨ دَعْنِي وَ وَصْفِيَ آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ۞ ظهُورَ نَارِ القِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ

٨٩ فَالدُّرُ يَزْدَادُ حُسْنًا وَ هْوَ مُنتَظِمُ ۞ وَ لَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظِمِ

٩٠ فَمَا تَطَاوُلُ آمَالِ الْمَدِيْحِ إِلى ۞ مَا فِيْهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلاقِ وَ الشِّيَمِ

٩١ آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثَةٌ ۞ قَدِيْمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوْفِ بِالقِدَمِ

٩٢ لَمْ تَقتَرِنْ بِزَمَانٍ وَ هْيَ تُخْبِرُنَا ۞ عَنِ الْمَعَادِ وَ عَنْ عَادٍ وَ عَنْ إِرَمِ

٩٣ دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ ۞ مِنَ النَّبِيِّيْنَ إِذْ جَاءَتْ وَ لَم تَدُمِ

٩٤ مُحَكَّمَاتٌ فَمَا يُبْقِيْنَ مِنْ شُبَهٍ ۞ لِذِي شِقَاقٍ وَ مَا يَبْغِيْنَ مِنْ حِكَمِ

٩٥ مَا حُوْرِبَتْ قَطُّ إِلاَّ عَادَ مِنْ حَرَبٍ ۞ أَعْدَى الأَعَادِي إِلَيْهَا مُلقِيَ السَّلَمِ

٩٦ رَدَّتْ بَلاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا ۞ رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الحُرَمِ

٩٧ لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ ۞ وَ فَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَ القِيَمِ

٩٨ فَمَا تُعَدُّ وَ لا تُحْصَى عَجَائِبُهَا ۞ وَ لا تُسَامُ عَلَى الإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ

٩٩ قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيْهَا فَقُلْتُ لَهُ ۞ لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فَاعْتَصِمِ

١٠٠ إِنْ تَتْلُهَا خِيْفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى ۞ أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ

١٠١ كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ ۞ مِنَ الْعُصَاةِ وَ قَدْ جَاؤُوهُ كَالْحُمَمِ

١٠٢ وَ كَالصِّرَاطِ وَ كَالْمِيْزَانِ مَعْدَلَةً ۞ فَالقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

١٠٣ لا تَعْجَبَنْ لِحَسُوْدٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا ۞ تَجَاهُلاً وَ هْوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الفَهِمِ

١٠٤ قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَ يُنْكِرُ الفَمَ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ

الفصل السابع في معراج رسول الله ﷺ

١٠٥ يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العَافُوْنَ سَاحَتَهُ ۞ سَعْيًا وَ فَوْقَ مُتُوْنِ الأَنِيْقِ الرُّسُمِ

١٠٦ وَ مَنْ هُوَ الآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعتَبِرٍ ۞ وَ مَنْ هُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَى لِمُغْتَنِمِ

١٠٧ سَرَيْتَ مِن حَرَمٍ لَيْلاً إِلى حَرَمٍ ۞ كَمَا سَرَى البَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

١٠٨ وَبتَّ تَرْقَى إلى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً ۞ مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

١٠٩ وَ قَدَّمَتْكَ جَمِيْعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا ۞ وَ الرُّسْلِ تَقْدِيْمَ مَخْدُوْمٍ عَلَى خَدَمِ

١١٠ وَ أَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ ۞ فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيْهِ صَاحِبَ العَلَمِ

١١١ حَتى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْوًا لِمُسْتَبِقٍ ۞ مِنَ الدُّنُوِّ وَ لا مَرقًى لِمُسْتَنِمِ

١١٢ خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بالإِضَافَةِ إِذْ ۞ نُوْدِيْتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ العَلَمِ

١١٣ كَيْمَا تَفُوْزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ ۞ عَنِ الْعُيُوْنِ وَ سِرٍّ أَيِّ مُكتَتِمِ

١١٤ فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ ۞ وَ جُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ

١١٥ وَ جَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيْتَ مِن رُتَبٍ ۞ وَ عَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُوْلِيْتَ مِن نِعَمِ

١١٦ بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلامِ إِنَّ لَنَا ۞ مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمِ

١١٧ لَمَّا دَعَى اللهُ دَاعِيْنَا لِطَاعَتِهِ ۞ بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ

الفصل الثامن في ذكر جهاد النبي ﷺ

١١٨ رَاعَتْ قُلُوْبَ العِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ ۞ كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الغَنَمِ

١١٩ مَا زَالَ يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ ۞ حَتَّى حَكَوْا بِالقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ

١٢٠ وَدُّوا الفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُوْنَ بِهِ ۞ أَشْلاَءَ شَالَتْ مَعَ العِقْبَانِ وَالرَّخَمِ

١٢١ تَمْضِي اللَّيَالي وَ لا يَدْرُوْنَ عِدَّتَهَا ۞ مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ

١٢٢ كَأَنَّمَا الدِّيْنُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ ۞ بِكُلِّ قَرْمٍ إلى لَحْمِ العِدَا قَرِمِ

١٢٣ يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيْسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ ۞ يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ

١٢٤ مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ للهِ مُحْتَسِبٍ ۞ يَسْطُو بِمُسْتَأصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ

١٢٥ حَتى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلامِ وَهْيَ بِهِم ۞ مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُوْلَةَ الرَّحِمِ

١٢٦ مَكْفُوْلَةً أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ ۞ وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ

١٢٧ هُمُ الْجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ ۞ مَاذَا رَأَى مِنْهُمْ في كُلِّ مُصْطَدَمِ

١٢٨ وَسَلْ حُنَيْنًا وَ سَلْ بَدْرًا وَسَلْ أُحُدًا ۞ فُصُوْلُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ

١٢٩ الْمُصْدِرِي البِيْضِ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ ۞ مِنَ العِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ

١٣٠ وَ الْكَاتِبِيْنَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ ۞ أَقْلامَهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

١٣١ شَاكِي السِّلاحِ لَهُمْ سِيْمًا تُمَيِّزُهُم ۞ وَ الوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيْمَا مِنَ السَّلَمِ

١٣٢ تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ ۞ فَتَحْسِبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِ

١٣٣ كَأَنَّهُم في ظُهُوْرِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُبًى ۞ مِنْ شَدَّةِ الْحَزْمِ لا مِنْ شِدَّةِ الْحُزُمِ

١٣٤ طَارَتْ قُلُوْبُ العِدَا مِنْ بَأسِهِمْ فَرَقًا ۞ فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَ البُهُمِ

١٣٥ وَ مَنْ تَكُنْ بِرَسُوْلِ اللهِ نُصْرَتُهُ ۞ إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

١٣٦ وَ لَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ ۞ بِهِ وَلا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

١٣٧ أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ ۞ كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِي أَجَمِ

١٣٨ كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ اللهِ مِنْ جَدَلٍ ۞ فِيْهِ وَكَمْ خَصَمَ البُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ

١٣٩ كَفَاكَ بِالعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ۞ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَ التَّأدِيْبِ فِي اليُتُمِ

الفصل التاسع في طلب مغفرة من الله تعالى وشفاعة من الرسول ﷺ

١٤٠ خَدَمْتُهُ بِمَدِيْحٍ أَسْتَقِيْلُ بِهِ ۞ ذُنُوْبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ وَالْخِدَمِ

١٤١ إِذْ قَلَّدَانِيَ مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ ۞ كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ

١٤٢ أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَ مَا ۞ حَصَلْتُ إلاَّ عَلَى الآثَامِ وَ النَّدَمِ

١٤٣ فَيَا خَسَارَةَ نَفْسِي فِي تِجَارَتِهَا ۞ لَم تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَ لَمْ تَسُمِ

١٤٤ وَ مَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ ۞ يَبِنْ لَهُ الغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَ فِي سَلَمِ

١٤٥ إِنْ آتِ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ ۞ مِنَ النَّبِيِّ وَ لا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ

١٤٦ فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْه بِتَسْمِيَتِي ۞ مُحَمَّدًا وَ هْوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ

١٤٧ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي ۞ فَضْلاً وَإِلاَّ فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

١٤٨ حَاشَاهُ أَنْ يُحْرَمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ ۞ أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ

١٤٩ وَ مُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ ۞ وَجَدْتُهُ لِخَلاصِي خَيْرَ مُلْتَزِمِ

١٥٠ وَ لَنْ يَفُوْتَ الغِنَى مِنْهُ يَدًا تَرِبَتْ ۞ إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهارَ فِي الأَكَمِ

١٥١ وَ لَم أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا التِي اقْتَطَفَتْ ۞ يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ

الفصل العاشر في ذكر المناجاة وعرض الحاجات

١٥٢ يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوْذُ بِهِ ۞ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ

١٥٣ وَلَنْ يَضِيْقَ رَسُوْلَ اللهِ جَاهُكَ بِي ۞ إِذَا الْكَرِيْمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

١٥٤ فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ۞ وَمِنْ عُلُوْمِكَ عِلمَ اللَّوْحِ وَالقَلَمِ

١٥٥ يَا نَفْسُ لا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ ۞ إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

١٥٦ لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِيْنَ يَقْسِمُهَا ۞ تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسَمِ

١٥٧ يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ ۞ لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ

١٥٨ وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَينِ إنَّ لَهُ ۞ صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

١٥٩ وَائْذَنْ لِسُحْبِ صَلاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ ۞ عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَ مُنْسَجِمِ

١٦٠ مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ البَانِ رِيْحُ صَبَا ۞ وَأَطْرَبَ العِيْسَ حَادِي العِيْسِ بِالنَّغَمِ

الحاقي ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَ عَنْ عُمَرٍ ۞ و عَن عَلِيٍّ وعَنْ عُثْمَانَ ذِي الْكَرَمِ

الحاقي وَالآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِيْنَ لَهُمْ ۞ أَهْلُ التُّقَى وَالنُّقَى وَالْحِلْمِ وَالْكَرَمِ

الحاقي فَاغْفِر لنَاشِدِهَا وَاغْفِرْ لِقَارِئِهَا ۞ سَأَلْتُكَ الْخَيْرَ يَا ذَا الْجُوْدِ وَالْكَرَمِ

انتهى ولله الحمد والمنة

المصادر والمراجع

المصادر العربية

الف

١. القرآن الكريم، تنْزيل من رب العالمين.
٢. الإبانة عن أصول الديانة، للأشعري: علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن الأشعري (م:٣٢٤هـ)، ط: دار الأنصار، القاهرة.
٣. أبجد العلوم، للقنوجي: محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي (م:١٣٠٧هـ)، ط: دار ابن حزم، بيروت.
٤. إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين، للزبيدي: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، الملقب بمرتضى الزبيدي (م:١٢٠٥هـ)، ط: دار الفكر.
٥. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢هـ)، ط: مجمع الملك فهد لطابعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
٦. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١هـ)، ط: دار إحياء العلوم، بيروت.
٧. آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (م:٦٨٢هـ)، ط: دار صادر، بيروت.
٨. الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، لمحمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم، أبو الحسنات الأنصاري اللكنوي (م: ١٣٠٤هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٩. الأحاديث المختارة = المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، للمقدسي: محمد بن عبد الواحد، أبو عبد الله ضياء الدين المقدسي (م:٦٤٣هـ)، ط: دار خضر، بيروت.
١٠. إحياء علوم الدين، للغزالي: محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي (م:٥٠٥هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.
١١. أخبار الحمقى المغفلين، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٩٧هـ)، ط: المكتب التجاري، بيروت.
١٢. أخبار المصحفين، للعسكري: الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (م: ٣٨٢هـ)، ط: عالم

الكتب، بيروت.

١٣. الاختيار لتعليل المختار، لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي، مجد الدين (م: ٦٨٣هـ)، ط: مطبعة الحلبي، القاهرة.

١٤. أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه، لأبي الشيخ الأصبهاني: عبد الله بن محمد بن جعفر الأنصاري (م:٣٦٩هـ)، ط: دار المسلم، الرياض.

١٥. الأدب الإسلامي وتاريخه، لعابد الهاشمي، ط: مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء.

١٦. أدب الدنيا والدين، للماوردي: علي بن محمد بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي (م:٤٥٠هـ)، ط: دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٧. أدب الكاتب = أدب الكتاب، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (م:٢٧٦هـ)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٨. الأدب المفرد، للبخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (م:٢٥٦هـ)، ط: مكتبة المعارف، الرياض.

١٩. الأذكار، للنووي: يحيى بن شرف بن مري النووي (م:٦٧٦هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.

٢٠. الأربعون العجلونية، لإسماعيل بن محمد العجلوني (١١٦٢هـ)، تحقيق: محمد وائل الحنبلي، ط: دار إحياء التراث، بيروت.

٢١. إرشاد الساري إلى مناسك الملا علي القاري، لحسين بن محمد سعيد المكي الحنفي (م:١٣٦٦هـ)، وهو حاشية على المسلك المتقسط في المنسك المتوسط، للملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤هـ)، وهو شرح للمنسك المتوسط، المسمى بلباب المناسك، للملا رحمة الله بن عبد الله السندي المكي (م: ٩٩٣)، ط: مؤسسة الريان، بيروت.

٢٢. الإرشاد في معرفة علماء الحديث، للخليلي: خليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي، أبو يعلى القزويني (م:٤٤٦هـ)، مكتبة الرشد، الرياض.

٢٣. الأزمنة والأمكنة، للمرزوقي: أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (م:٤٢١هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، لأحمد بن محمد بن أحمد، أبو العباس المقرئ التلمساني (م:١٠٤١هـ)، ط: مطبعة لجنة التأليف، القاهرة.

٢٥. أساس البلاغة، لمحمود بن عمر بن أحمد، جار الله الزمخشري (م:٥٣٨هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (م:٤٦٣هـ)، ط: دار الجبل، بيروت.

٢٧. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري (م:٦٣٠هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.

٢٨. الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة = الموضوعات الكبري، للملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤هـ)، ط: مير محمد كتب خانه كراتشي.

٢٩. الإسرائيليات في التفسير والحديث، لمحمد حسين الذهبي (م:١٣٩٧)، ط: مكتبة وهبة، القاهرة.

٣٠. الأسماء والصفات، للبيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (م:٤٥٨هـ)، ط: مكتبة السوادي، جدة.

٣١. أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، لمحمد بن محمد درويش، أبو عبد الرحمن الحوت الشافعي (م:١٢٧٧هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢. الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلين والمخضرمين، للأخوين: الخالدين: ١- سعيد بن هاشم بن وعله الخالدي البصري (م:٣٧١هـ)، ٢- محمد بن هاشم بن وعله الخالدي البصري (م:نحو٣٨٠هـ)، ط: وزارة الثقاة السورية.

٣٣. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.

٣٤. أصول السنة، لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله (م:٢٤١هـ)، ط: دار المنار، السعودية.

٣٥. أطلس التاريخ العربي الإسلام، لشوقي أبوخليل (م:١٤٣١هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.

٣٦. أطلس القرآن، لشوقي أبو خليل (م:١٤٣١هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.

٣٧. إظهار الحق، لمحمد رحمت بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي (م:١٣٠٨هـ)، ط: المؤسسة العالمية، قطر.

٣٨. الاعتصام، للشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (م:٧٩٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩. الأعلام، للزركلي: خير الدين محمود بن محمد الزركلي الذمشقي (م:١٣٩٦هـ)، ط: در العلم للملايين، بيروت.

٤٠. إعلاء السنن، لظفر أحمد بن لطيف العثماني التهانوي (م:١٣٩٤هـ)، ط: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي.

٤١. إعلام الفئام بمحاسن الإسلام وتنبيه البرية على مطاعن المسيحية، لرضاء الحق شيخ الحديث ومفتي دار العلوم زكريا (حفظه الله تعالى)، ط: زمزم ببلشرز، كراتشي.

٤٢. إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس = نوادر الخلفاء، للإتليدي: محمد دياب الأتليدي المصري (م:بعد١١٠٠هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٣. أعلام النبوة، للماوردي: علي بن محمد بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي (م:٤٥٠هـ)، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٤. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١).

٤٥. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات، لمرعي بن يوسف بن أبي بكر المقدسي الحنبلي (م:١٠٣٣هـ)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٦. الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله -صلى الله عليه وسلم - و الثلاثة الخلفاء، لسليمان بن موسى، أبو الربيع الكلاعي الأندلسي (م:٦٣٤هـ)، ط: علام الكتب، بيروت.

٤٧. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، لابن ماكولا: علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (م:٤٧٥هـ)، ط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٤٨. إكمال المعلم بفوائد مسلم، لعياض بن موسى بن عياض، أبو الفضل السبتي (م:٥٤٤هـ)، ط: دار الوفاء، مصر.

٤٩. الأغاني، للأصبهاني: علي بن الحسين (م:٣٥٦هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.

٥٠. آكام المرجان في أحكام الجان، لمحمد بن عبد الله الشبلي الدمشقي (م:٧٦٩هـ)، ط: مكتبه خير كثير، كراتشي.

٥١. ألفية السيرة النبوية = نظم الدرر السنية الزكية، لعبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين العراقي (م:٨٠٦هـ)، ط: دار المنهاج، بيروت.

٥٢. إلهام الباري في حل مشكلات البخاري، لشمس الدين بن شبير محمد القاضي، ط: مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

٥٣. أمالي ابن بشران: عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران البغدادي (م:٤٣٠هـ)، ط: دار الوطن، الرياض.

٥٤. إمتاع الأسماع لما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، للمقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقريزي (م:٨٤٥هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٥. إمداد الفتاح شرح نور الإيضاح، للشرنبلالي: حسن بن عمار أبو الإخلاص (م:١٠٦٩هـ)، ط: مكتبة رشيدية، كوئته، باكستان.

٥٦. إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٧. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ليحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني (م:٥٥٨هـ)، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، ط: أضواء السلف، الرياض.

٥٨. الأنساب، للسمعاني: عبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي (م:٥٦٢هـ)، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، دكن.

٥٩. أنساب الأشرف، للبلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داؤد البلاذري (م:٢٧٩هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.

٦٠. الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط، لابن القيسراني: محمد بن طاهر بن علي بن

أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (م:٥٠٧هـــ)،ط: مطبعة بريل، ليدن، هولندة.

٦١. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفين، للأنباري: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، أبو البركات الأنباري (م:٥٧٧هـــ)، ط: دار الفكر، دمشق.

٦٢. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، للمرادوي: علي بن سليمان المرداوي الدمشقي، علاء الدين، أبو الحسن (م:٨٨٥هـــ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٣. أنوار التنْزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوي، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (م:٦٨٥)، ط: دار الفكر، بيروت.

٦٤. أوجز المسالك، لمحمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي المهاجر المدني (م:١٤٠٢هـــ)، بتحقيق تقي الدين الندوي، ط: مركز الشيخ أبي الحسن الندوي، أعظم جراه، الهند.

٦٥. الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني: محمد بن عبد الرحمن بن عمر (م:٧٣٩هـــ)، ط: دار إحياء العلوم، بيروت.

٦٦. الأوائل، للعسكري: الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري (م:بعد٣٩٥هـــ)، دار البشير، طنطا.

٦٧. الإيضاح في مناسك الحج والعمرة، للنووي، يحيى بن شرف، أبو زكريا محي الدين النووي (م:٦٧٦هـــ)، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٦٨. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل بن محمد أمين البابابي البغدادي (م:١٣٩٩ه)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ب

٦٩. البحر الرائق شرح كنْز الدقائق، لابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (م:٩٧٠هـــ)، ط: المكتبة الماجدية، كوئته، باكستان.

٧٠. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، أبو العباس الحسيني الفاسي (م:١٢٢٤هـــ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٧١. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لأبي بكر بن مسعود بن أحمد، علاء الدين الكاساني (م:٥٨٧هـــ)، ط: ايج ايم سعيد كمبني، كراتشي.

٧٢. بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: دار الفكر،بيروت.

٧٣. البداية والنهاية، لابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (م:٧٧٤هـــ)، ط: دار المعرفة، بيروت.

٧٤. البدء والتاريخ، للمطهر بن طاهر المقدسي (م: نحو٣٥٥هـــ)، ط: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر.

٧٥. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقن: عمر بن علي بن أحمد المصري، سراج الدين، ابن الملقن (م:٨٠٤هـ)، ط: دار الهجرة، الرياض.

٧٦. بذل المجهود في حل سنن أبي داؤد، لخليل أحمد بن مجيد علي السهارنفوري (م:١٣٤٦هـ)، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٧٧. البركات المكية في الصلوات النبوية، لمحمد موسى الروحاني البازي، ط: إدارة التصنيف والأدب، لاهور، باكستان.

٧٨. البرهان في علوم القرآن، للزركشي: محمد بن عبد الله بن بهادر، بدر الدين الزركشي (م:٧٩٤هـ)، ط: دار المعرفة، بيروت.

٧٩. بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، لمحمد بن محمد بن مصطفي، أبو سعيد الخادمي الحنفي (م:١١٥٦هـ)، ط: مطبعة الحلبي، القاهرة.

٨٠. بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب، مجد الدين الفيروزآبادي (م:٨١٧هـ)، ط: المكتبة العلمية، بيروت.

٨١. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبد المتعال السعيدي، ط: مكتبه الآداب، القاهرة.

٨٢. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١هـ)، ط: المكتبة العصرية، بيروت.

٨٣. البلاغة الواضحة، لعلي الجارم ومصطفى أمين، ط: قديمى كتب خانه، كراتشي.

٨٤. بلغة الحيران في ربط آيات القرآن، لحسين علي الفنجابي، ط: مكتبه حنفيه، كوجرنواله.

٨٥. بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري، المسمى جمع النهاية في بدء الخير والغاية، كلاهما لابن أبي جمرة: عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي (م:٦٩٥هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

ت

٨٦. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، الملقب بمرتضى الزَّبيدي (م:١٢٠٥هـ)، بتحقيق مجموعة من العلماء، ط: دار الهداية، القاهرة.

٨٧. تاريخ ابن خلدون = ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر...، لابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبلي (م:٨٠٨هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٨. تاريخ ابن الوردي، لعمر بن مظفر بن عمر، زين الدين ابن الوردي الكندي (م:٧٤٩)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٩. تاريخ الإسلام، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨هـ)، ط: دار

الكتاب العربي، بيروت.

٩٠. تاريخ بغداد، للخطيب: أحمد بن علي، أبو بكر الخطيب البغدادي (م:٤٦٣هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٩١. تاريخ الخلفاء، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١هـ)، ط: مطبعة السعادة، مصر.

٩٢. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، للدِّياربَكْري: حسين بن محمد بن الحسن (م:٩٦٦هـ)، ط: دار صادر، بيروت.

٩٣. تاريخ الطبري = تاريخ الأمم والملوك = تاريخ الرسل والملوك، للطبري: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (م:٣١٠هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٤. التاريخ الكبير، للبخاري: محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري (م:٢٥٦هـ)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن.

٩٥. تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله (م:٥٧١هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.

٩٦. تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، لمحمد بن أحمد، أبو البقاء ابن الضياء المكي الحنفي (م:٨٥٤هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٧. تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر، الكتاب العباسي، المعروف باليعقوبي (م:بعد٢٩٢هـ)، ط: دار صادر، بيروت.

٩٨. تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيث، للكوثري: محمد زاهد بن الحسن الكوثري (م:١٣٧١هـ)، ط: المكتبة الأزهرية، مصر.

٩٩. تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (م:٢٧٦هـ)، ط: دار الجيل، بيروت.

١٠٠. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢هـ)، ط: المكتبة العلمية، بيروت.

١٠١. التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي: يحيى بن شرف، أبو زكريا محيي الدين النووي (م:٦٧٦هـ)، ط: دار ابن حزم، بيروت.

١٠٢. التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١هـ).

١٠٣. تبييض الصحيفة بمناقب الإمام أبي حنيفة، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١هـ)، ط: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي.

١٠٤. تبيين الحقائق شرح كنْز الدقائق، لعثمان بن علي، فخر الدين الزيلعي (م٧٤٣هـ)، ط: المكتبة الإمدادية، ملتان.

١٠٥. تجريد أسماء الصحابة، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨هـ)، ط:

دار المعرفة، بيروت.

١٠٦. التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، للمرادي: علي بن سليمان بن أحمد (م:٨٨٥هـ)، ط: مكتبة الرشد، الرياض.

١٠٧. تحرير تقريب التهذيب، لبشار عواد معروف، وشعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٠٨. التحرير والتنوير، لابن عاشور: محمد طاهر بن محمد بن محمد طاهر بن عاشور (م:١٣٩٣هـ)، ط: الدار التونسية، تونس.

١٠٩. تحفتة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (م:١٣٥٣هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٠. تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، للشوكاني: محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (م:١٢٥٠هـ)، ط: دار القلم، بيروت.

١١١. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، للزيلعي: عبد الله بن يوسف بن محمد، جمال الدين الزيلعي (م:٧٦٢هـ)، ط: دار ابن خزيمة، الرياض.

١١٢. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١هـ)، ط: مير محمد كتب خانه، كراتشي.

١١٣. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبد الله القرطبي (م٦٧١هـ)، ط: دار الريان للتراث، القاهرة.

١١٤. تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، ط: دار الفكر العربي، بيروت.

١١٥. تذكرة الموضوعات، للفتني: محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّني (م:٩٨٦هـ)، ط: إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

١١٦. تذكرة الموضوعات، للمقدسي، محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي (م:٥٠٧هـ)، ط: مير محمد كتب خانه، كراتشي.

١١٧. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لعياض بن موسي بن عياض، أبو الفضل السبتي (م:٥٤٤هـ)، ط: مطبعة فضالة المحمدية، المغرب.

١١٨. الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، لابن شاهين: عمر بن أحمد بن عثمان، أبو حفص البغدادي، المعروف بـ ابن شاهين (م:٣٨٥هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٩. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للمنذري: عبد العظيم بن عبد القوي، أبو محمد ذكي الدين المنذري (م:٦٥٦هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٠. تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، لداود بن عمر الأنطاكي (م:١٠٠٨هـ)، ط: دار صادر، بيروت.

١٢١. التعريفات، للسيد الشريف الجرجاني: علي بن محمد بن علي (م:٨١٦هـ)، ط: دار الكتب

العلمية، بيروت.
١٢٢. التعقبات على الموضوعات= النكت البديعات، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١هـ)، ط: المكتبة العصرية، باكستان.
١٢٣. تفسير ابن عرفة، لمحمد بن محمد ابن عرفة، أبو عبد الله الورغمي التونسي (م:٨٠٣هـ)، ط: مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس.
١٢٤. تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (م:٧٧٤هـ)، ط: دار المعرفة، بيروت.
١٢٥. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لمحمد بن محمد بن مصطفى، أبو السعود العمادي (م:٩٨٢هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٢٦. تفسير البغوي = معالم التنْزيل في تفسير القرآن، لحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشافعي المعروف به محي السنة (م:٥١٠هـ)، ط: دار طيبة، الرياض.
١٢٧. تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي: أحمد بن إبراهيم، أبو إسحاق الثعلبي (م:٤٢٧هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٢٨. تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنْزيل، لعلي بن محمد بن إبراهيم الشيحي، علاء الدين، المعروف بالخازن (م:٧٤١هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٢٩. تفسير الرازي = التفسير الكبير = مفاتيح الغيب، للرازي: محمد بن عمر بن الحسن الرازي (م:٦٠٦هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٣٠. تفسير الشعراوي = الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي (م:١٤١٨هـ)، ط: مطابع أخبار اليوم، القاهرة.
١٣١. تفسير القاسمي = محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (م:١٣٣٢هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٣٢. تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (م:٣٣٣هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٣٣. التفسير المظهري، لمحمد ثناء الله القاضي الفاني فتي العثماني المظهري، (م:١٢٢٥هـ)، ط: مكتبة رشيدية، كوئته.
١٣٤. تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد القمي (م:٨٥٠هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٣٥. التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي (م:١٣٩٧هـ)، ط: مكتبة وهبة، القاهرة.
١٣٦. تقريب التهذيب، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط: دار اليسر، المدينة المنورة.
١٣٧. التقرير والتحبير على تحرير الكمال بن الهمام، لمحمد بن محمد بن محمد، المعروف بابن أمير

حاج، ابن الموقت الحنفي (م:٨٧٩)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٨. تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٧٩هـ)، ط: شركة دار الأرقم، بيروت.

١٣٩. التمثيل والمحاضرة، للثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي (م:٤٢٩هـ)، ط: الدار العربية للكتاب، تونس.

١٤٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (م:٤٦٣هـ)، ط: وزارة عموم الأوقاف، المغرب.

١٤١. تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، للآثري: عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني الزبيدي، المعروف بابن الديبع (م:٩٤٤)، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

١٤٢. تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، لنصر بن محمد بن أحمد، أبو الليث السمرقندي (م:٣٧٣هـ)، ط: دار ابن كثير، بيروت.

١٤٣. تنْزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، لابن عراق: علي بن محمد بن علي، ابن عراق الكناني (م:٩٦٣هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٤. تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٩٧هـ)، ط: دار الشريف، الرياض.

١٤٥. التوحيد، لابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة، أبو بكر السلمي النيسابوري (م:٣١١هـ)، ط: مكتبة الرشد، الرياض.

١٤٦. التوسل، وأنواعه وأحكامه، للألباني: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الأشقودري الألباني (م:١٤٢٠هـ)، ط: مكتبة المعارف، الرياض.

١٤٧. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، لابن ناصر الدين الدمشقي: محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد الدمشقي، الشهير بابن ناصر الدين (م:٨٤٢هـ)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٤٨. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لحسن بن قاسم بن عبد الله، بدر الدين المرادي المصري (م:٧٤٩هـ)، ط: دار الفكر العربي، القاهرة.

١٤٩. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، للطبري: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري (م:٣١٠هـ)، ط: مطبعة المدني، القاهرة.

١٥٠. تهذيب الأسماء واللغات، للنووي: يحيى بن شرف بن مري النووي (م٦٧٦هـ) ، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥١. تهذيب التهذيب، لابن حجر: أحمد بن علي حجر العسقلاني (م:٨٥٢هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي: يوسف بن عبد الرحمن، أبو الحجاج جمال الدين

المزي(م:٧٤٢هـ)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٥٣. تهذيب اللغة، للأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي (م:٣٧٠هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٥٤. التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي (م:١٠٣١هـ)، ط: مكتبة الإمام الشافعي، الرياض.

ث

١٥٥. الثقات، لابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي (م:٣٥٤هـ)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.
١٥٦. ثلاثية البردة، لحسن حسين، ط: دار الكتب القطرية، الدوحة.
١٥٧. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي (م:٤٢٩هـ)، ط: دار المعارف، القاهرة.
١٥٨. ثمرات الأوراق في المحاضرات، لابن حجة الحموي: أبو بكر بن علي الحموي، تقي الدين ابن حجة (م:٨٣٧هـ)، ط: مطبوع بهامش المستطرف في كل فن مستظرف من مكتبة الجمهورية العربية، مصر.

ج

١٥٩. جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (م:٤٦٣هـ)، ط: دار الجيل، بيروت.
١٦٠. جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري، للطبري: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (م:٣١٠هـ)، ط: دار هجر، القاهرة.
١٦١. الجامع الصغير من حديث البشير النذير، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦٢. جامع العلوم، الملقب بدستور العلماء في اصطلاحات العلوم والفنون، لعبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (م: بعد١١٨٣هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦٣. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لابن رجب الحنبلي: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، زين الدين البغدادي الحنبلي (م:٧٩٥هـ) ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٦٤. الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي الرازي (م:٣٢٧هـ)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.

١٦٥. جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١هـ)، ط: مكتبة المؤيد، الرياض.

١٦٦. جمع الوسائل في شرح الشمائل، لملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤هـ)، ط: إدارة تأليفات أشرفية، ملتان.

١٦٧. جمهرة اللغة، لمحمد بن الحسن بن دريد الأزدي (م:٣٢١هـ)، ط: دار العلم للملايين، بيروت.

١٦٨. الجوع، لابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد بن عبيد الله البغدادي، المعروف بابن أبي الدنيا (م:٢٨١هـ)، ط: دار ابن حزم، بيروت.

١٦٩. الجنى الداني في حروف المعاني، لبدر الدين قاسم بن محمد المرادي (م:٧٤٩هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٠. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧١. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي المصري (م:١٣٦٢هـ)، ط: المكتبة العصرية، بيروت.

١٧٢. الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القريشي، أبو محمد محي الدين الحنفي (م:٧٧٥هـ)، ط: مير محمد كتب خانه، كراتشي.

١٧٣. الجوهر النقي، مطبوع بذيل السنن الكبرى للبيهقي، للتركماني: علي بن عثمان، علاء الدين الماردين، المعروف بابن التركماني، (م:٧٤٥هـ)، ط: نشر السنة، ملتان.

١٧٤. الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، لمحمد بن أبي بكر بن عبد الله الأنصاري التلمساني، المعروف بالبُرّي (م:٦٤٥هـ)، ط: دار الرفاعي، الرياض.

ح

١٧٥. حاشية السراجي في الفرائض، لمحمد نظام الدين الكيرانوي، ط: المطبع المجتبائي، دهلي، الهند.

١٧٦. حاشية الطحطاوي على الدر المختار، لأحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي (م:١٢٣١هـ)، ط: المكتبة العربية، كوئته.

١٧٧. حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، لأحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي (م:١٢٣١هـ)، ط: مير محمد كتب خانه، كراتشي.

١٧٨. الحاوي للفتاوي، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١هـ)، ط: فاروقي كتب خانه، كراتشي.

١٧٩. الحجة في بيان المحجة، للأصبهاني: إسماعيل بن محمد، أبو القاسم الأصبهاني، الملقب بقوام السنة (م:٥٣٥هـ)، ط: دار الراية، الرياض.

١٨٠. حجة الله البالغة، لأحمد بن عبد الرحيم، المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي (م:١١٧٦هـ)، ط: دار الكتب الحديثة، القاهرة.
١٨١. حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، لمحمد بن عمر بن مبارك الحميري، الشهير بـ بحرق (م:٩٣٠هـ)، ط: دار الحاوي، بيروت.
١٨٢. حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، للشاطبي: القاسم بن فيره بن خلف، أبو محمد الشاطبي (م:٥٩٠هـ)، ط: مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة.
١٨٣. حلية الأولياء، لأبي نعيم: أحمد بن عبد الله، أبو نعيم الأصفهاني (م:٤٣٠)، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

خ

١٨٤. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (م:١٠٩٣)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٨٥. الخصائص الكبرى، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٨٦. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين بن فضل الله الحموي الدمشقي (م:١١١هـ)، ط: دار صادر، بيروت.
١٨٧. الخلاصة في علوم البلاغة، لعلي بن نايف السحود، ط: الأوقاف السعودية.

د

١٨٨. درء الضعف عن حديث من عشق فعف، لأحمد بن محمد بن الصديق الغماري (م:١٣٨٠هـ)، ط: دار الغمام الترمذي، لبنان.
١٨٩. الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين، لأحمد بن عبد الرحيم، المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي (م:١١١٤هـ)، تعليق: محمد عاشق إلهي البرني (م:١٤٢٢هـ)، ط: مكتبة الشيخ، كراتشي.
١٩٠. الدر الثمين والمورد المعين في شرح مرشد المعين على الضروري من علوم الدين، لابن عاشر الأندلسي: محمد بن أحمد بن محمد الفاسي المالكي، الشهير بميارة (م:١٠٧٢هـ)، ط: دار إحياء الكتب العربية، مصر.
١٩١. درر الحكام في شرح غرر الأحكام، المتن والشرح كلاهما لمنلا/ مولى خسرو: محمد بن فراموز بن علي (م:٨٨٥)، مع حاشية الشرنبلالي (م:١٠٦٩)، ط: دار إحياء الكتب العربية، مصر.
١٩٢.
١٩٣. درر السلوك في سياسة الملوك، للماوردي: على بن محمد بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي

(م:٤٥٠هـ)، ط: دار الوطن، الرياض.
١٩٤. الدر المختار في شرح تنوير الأبصار، لمحمد بن علي بن محمد الحصني، المعروف بـ علاء الدين الحصكفي (م:١٠٨٨هـ)، ط: مطبوع مع حاشية رد المحتار، ط: ايج ايم سعيد كمبني، كراتشي.
١٩٥. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسمين الحلبي (م:٧٥٦هـ)، ط: دار القلم، دمشق.
١٩٦. الدر المنثور، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.
١٩٧. الدعاء، للطبراني: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (م:٣٦٠هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٩٨. دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبد الله، أبونعيم الأصفهاني (م:٤٣٠هـ)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.
١٩٩. دلائل النبوة، للأصبهاني: إسماعيل بن محمد، أبو القاسم الأصبهاني، المقلب بقوام السنة (م:٥٣٥هـ)، ط: دار طيبة، الرياض.
٢٠٠. دلائل النبوة، للبيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر البييهقي (م:٤٥٨هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠١. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان المكي: محمد بن علي بن محمد بن علان الشافعي المكي (م:١٠٥٧هـ)، ط: دار المعرفة، بيروت.
٢٠٢. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١هـ)، ط: دار ابن عفان، السعودية.
٢٠٣. ديوان ابن المعتز، لعبد الله بن محمد المعتز بالله العباسي (م:٢٩٦هـ)، ط: دار صادر، بيروت.
٢٠٤. ديوان أبي العتاهية، لإسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنْزي (م:٢١١هـ)، ط: دار صادر، بيروت.
٢٠٥. ديوان أبي العلاء المعري = سقط الزند، لأحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري (م:٤٤٩هـ)، ط: دار صادر، بيروت.
٢٠٦. ديوان أبي نواس، للحسن بن هانئ بن عبد الله الحكمي (م:١٩٨هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠٧. ديوان أبي الفراس الحمداني: الحارث بن سعيد بن حمدان (م:٣٥٧هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠٨. ديوان أبي نواس، للحسن بن هانئ بن عبد الأول الحكمي (م:١٩٨هـ)، ط: دار إحياء الكتب العربية، مصر.

٢٠٩. ديوان امرء القيس بن حجر بن الحارث الكندي (م: ٨٠ ق هـ)، ط: دار صادر، بيروت.
٢١٠. ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه (م:٥٤هـ)، ط: دار صادر، بيروت.
٢١١. ديوان الحماسة، لأبي تمام: حبيب بن أوس الطائي (م:٢٣٢هـ)، ط: مير محمد كتب خانه، كراتشي.
٢١٢. ديوان الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الحارث رضي الله عنها (م:٢٤هـ)، ط: دار صادر، بيروت.
٢١٣. ديوان ذو الرمة: غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي، أبو الحارث ذو الرمة (م:١١٧هـ)، ط: دار صادر، بيروت.
٢١٤. ديوان الراعي النميري: عبيد بن حسين بن معاوية، أبو جندل (م:٩٠هـ)، ط: دار صادر، بيروت.
٢١٥. ديوان زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني (م:١٣ قبل الهجرة)، ط: دار صادر، بيروت.
٢١٦. ديوان الصبابة، لابن أبي حجلة: أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني (م:٧٧٦هـ)، ط: دار صادر، بيروت.
٢١٧. ديوان طرفة بن العبد، لطرفة بن العبد بن سفيان البكري الشاعر الجاهلي (م:٥٦٤م) ، ط: دار صادر، بيروت.
٢١٨. ديوان عبد الصمد المعذل بن غيلان (م:٢٤٠هـ)، ط: دار صادر، بيروت.
٢١٩. ديوان عمرو بن كلثوم، أحد أصحاب المعلقات السبع (نحو ٤٠ قبل الهجرة)، ط: دار صادر، بيروت.
٢٢٠. ديوان عمرو بن معدي كرب بن ربيعة رضي الله عنه (م:٢١هـ)، ط: دار صادر، بيروت.
٢٢١. ديوان قيس لبنى = ديوان قيس بن ذريح، ط: دار صادر، بيروت.
٢٢٢. ديوان قيس بن الملوح = ديوان مجنون ليلى (م:٦٨هـ)، تحقيق: عدنان ذكي درويش، ط: دار صادر، بيروت.
٢٢٣. ديوان كعب بن زهير بن أبي سلمى رضي الله عنه (م:٥٤هـ)، ط: دار صادر، بيروت.
٢٢٤. ديوان كعب بن مالك رضي الله عنه (م:٥٠هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٢٥. ديوان المتنبي، لأحمد بن الحسين بن الحسن أبو الطيب المتنبي (م:٣٥٤هـ)، ط: دار صادر، بيروت.

ذ

٢٢٦. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربي، للطبري: أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري (م:٦٩٤هـ)، ط: دار الكتب المصرية، القاهرة.
٢٢٧. الذخيرة للقرافي: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي، الشهير بالقرافي (م:٦٨٤هـ)، ط:

دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٢٢٨. ذم الهوى، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (م:٥٩٧هـ)، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٢٩. ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار البغدادي: محمد بن محمود بن الحسن، محب الدين أبو عبد الله (م:٦٤٣هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣٠. ذيل التقييد، لمحمد بن أحمد بن علي، تقي الدين أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (م:٨٣٢هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣١. ذيل طبقات الحنابلة، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (م:٧٩٥)، ط: مكتبة العبيكان، الرياض.

ر

٢٣٢. الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري (م:١٤٢٧هـ)، ط: دار الهلال، بيروت.

٢٣٣. رد المحتار، لابن عابدين الشامي: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الشامي (م:١٢٥٢هـ)، ط: ايج ايم سعيد كمبني، كراتشي.

٢٣٤. رسائل ابن عابدين، لابن عابدين الشامي: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الشامي (م:١٢٥٢)، ط: سهيل اكيدمى.

٢٣٥. الرسالة القشيرية، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (م:٤٦٥هـ)، ط: دار المعارف، القاهرة.

٢٣٦. رسالة المسترشدين، للحارث المحاسبي: أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري (م:٢٤٣هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. ط: دار السلام، القاهرة.

٢٣٧. رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، للسبكي: عبد الوهاب بن تقي الدين، تاج الدين السبكي (م:٧٧١هـ)، ط: عالم الكتب، بيروت.

٢٣٨. الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، لمحمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم، أبو الحسنات الأنصاري اللكنوي (م:١٣٠٤هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة (م:١٤١٧هـ)، ط: دار السلام، مصر.

٢٣٩. الروح، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤٠. روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى، أبو الفداء الإستانبولي الحنفي (م:١١٢٧هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤١. روح المعاني، لمحمود بن عبد الله شهاب الدين الآلوسي (م١٢٧٠)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤٢. روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، لمحمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي (م:٩٤٠هـ)، دار القلم العربي، حلب.

٢٤٣. الروض الأنف، للسهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (م:٥٨١هـ)، ط: دار إحياء التراث، بيروت.

٢٤٤. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤٥. رؤية الله، لعلي بن أحمد، أبو الحسن الدارقطني (م:٣٨٥هـ)، ط: مكتبة المنار، الأردن.

٢٤٦. الرياض النضرة لمناقب العشرة، للطبري: أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري (م:٦٩٤هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

ز

٢٤٧. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٩٧)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٤٨. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٤٩. الزهد، لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (م:٢٤١هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥٠. زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي نور الدين اليوسي (م:١١٠٢هـ)، ط: دار الثقافة، المغرب.

س

٢٥١. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (م:٩٤٢هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الأشقودري الألباني (م:١٤٢٠هـ)، ط: مكتبة المعارف، الرياض.

٢٥٣. سلوة الكئيب بوفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم، لابن ناصر الدين الدمشقي: محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد الدمشقي، الشهير بابن ناصر الدين (م:٨٤٢هـ)، ط: دار البحوث للدراسات الإسلامية، الإمارات.

٢٥٤. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (م:١١١١هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥٥. سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله (م:٢٧٣)، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية.

٢٥٦. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني (م:٢٧٥هـ) تحقيق: محمد محيي الدين، ط: المكتبة العصرية، بيروت.
٢٥٧. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي (م:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت.
٢٥٨. سنن الدارقطني، لعلي بن أحمد، أبو الحسن الدارقطني (م:٣٨٥هـ)، ط: دار المعرفة، بيروت.
٢٥٩. سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي (م:٢٥٥هـ)، ط: قديمي كتب خانه، كراتشي.
٢٦٠. سنن سعيد بن منصور، لسعيد بن منصور بن شعبة، أبو عثمان الخراساني (م:٢٢٧)، ط: الدار السلفية، الهند.
٢٦١. السنن الصغرى، للبيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (م:٤٥٨)، ط: دار الفكر، بيروت.
٢٦٢. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي (م:٣٠٣هـ) بتحقيق حسن عبد المنعم شلبي، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٦٣. السنن الكبرى، للبيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (م ٤٥٨)، ط: نشر السنة، ملتان.
٢٦٤. سن النسائي = المجتبى من السنن = السنن الصغرى، لأحمد بن شعيب النسائي (م:٣٠٣)، بعناية وترقيم عبد الفتاح أبو غدة، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت.
٢٦٥. السؤال والجواب في آيات الكتاب، لعطية محمد سالم (م:١٤٢٠هـ)، ط: مكتبة دار التراث، المدينة المنورة.
٢٦٦. السيرة النبوية، لابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني (م:١٥١هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.
٢٦٧. السيرة النبوية لابن كثير (من البداية والنهاية لابن كثير): إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (م:٧٧٤هـ)، ط: دار المعرفة، بيروت.
٢٦٨. السيرة النبوية، لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (م:٢١٣)، ط: دار الجيل، بيروت.
٢٦٩. سير أعلام النبلاء، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨هـ)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

ش

٢٧٠. شذرات الذهب في أخبارمن ذهب، لابن العماد العكري الحنبلي: عبد الحي بن أحمد بن محمد (م:١٠٨٩)، ط: دار ابن كثير، بيروت.
٢٧١. شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي: هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي

اللالكائي (م:٤١٨)، ط: دار طيبة، الرياض.

٢٧٢. شرح الزرقاني على موطأ إمام مالك، للزرقاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي (م:١١٢٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧٣. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، للزرقاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي (م:١١٢٢)، ط: دار المعرفة، بيروت.

٢٧٤. شرح السنة، للبغوي: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، محي السنة (م:٥١٦هـ)، المكتب الإسلامي، دمشق.

٢٧٥. شرح شذور الذهب، لابن هشام: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام (م:٧٦١)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٧٦. شرح الشفا، لملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧٧. شفاء السقام في زيارة خير الأنام، للسبكي: علي بن عبد الكافي، تقي الدين السبكي الشافعي (م:٧٥٦)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.

٢٧٨. شرح صحيح البخاري، لابن بطال: علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال (م:٤٤٩هـ)، ط: مكتبة الرشد، الرياض.

٢٧٩. شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١)، ط: دار المؤيد، الرياض.

٢٨٠. شرح العقائد النسفية، لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (م:٧٩٣)، ط: دار البيروتي، دمشق.

٢٨١. شرح معاني الآثار، للطحاوي: أحمد بن محمد بن سلامة، أبو جعفر الطحاوي (م:٣٢١هـ)، ط: عالم الكتب، بيروت.

٢٨٢. شرح المعلقات السبع، للزرزني: حسين بن أحمد بن حسين، أبو عبد الله (م:٤٨٦هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨٣. شرح المقاصد = شرح مقاصد الكلام، لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (م:٧٩٣)، ط: عالم الكتب، بيروت.

٢٨٤. شرح النووي على مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ليحيى بن شرف، أبو زكريا محيي الدين النووي (م:٦٧٦)، ط: دار الكتاب العربي، القاهرة.

٢٨٥. الشريعة، للآجري: محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجُرِّيُّ البغدادي (م:٣٦٠هـ)، ط: دار الوطن، الرياض.

٢٨٦. شعب الإيمان، للبيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (م:٤٥٨هـ) بتحقيق عبد العلي عبد الحميد، ط: مكتبة الرشد، الرياض.

٢٨٧. الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري: عبد الله بن مسلم بن قتيبة (م:٢٧٦هـ)، ط: دار الحديث، القاهرة.

٢٨٨. شعراء النصرانية، لرزق الله بن يوسف بن عبد المسيح، لويس شيخو (م:١٣٤٦هـ)، ط: مطبعة الآباء المرسلين السيوعيين، بيروت.

٢٨٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لعياض بن موسى بن عياض، أبو الفضل السبتي (م:٥٤٤)، ط: دار الفكر، بيروت.

٢٩٠. الشمائل المحمدية، للترمذي: محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي (م:٢٧٩هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ص

٢٩١. الصارم المنكي في الرد على السبكي، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (م:٧٤٤)، ط: مؤسسة الريان، بيروت.

٢٩٢. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (م:٨٢١هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.

٢٩٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد، أبو نصر الجوهري الفارابي (م:٣٩٣)، ط: دار العلم للملايين، بيروت.

٢٩٤. صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي (م:٣٥٤)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٩٥ .صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (م:٣١١)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٩٦. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (م:٢٥٦) بتحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة.

٢٩٧. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري (م:٢٦١) بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي.

٢٩٨. صحيح وضعيف سنن أبي داود، للألباني: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الأشقودري الألباني (م:١٤٢٠م)، ط: مكتبة المعارف، الرياض.

٢٩٩. صفة الصفوة، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٩٧هـ)، ط: دار الحديث، القاهرة.

٣٠٠. صفة النار، لابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي، الشهير بابن أبي الدنيا (م:٢٨١هـ)، وهو جزء من موسوعة ابن أبي الدنيا، ط: المكتبة العصرية، بيروت.

٣٠١. الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، لعبد الله سراج الدين الحسيني (م:١٤٢٢هـ)،

ط:مكتبة دار الفلاح، حلب.
٣٠٢. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لابن حجر الهيتمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر، شهاب الدين أبو العباس (م:٩٧٤)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

ض

٣٠٣. الضعفاء والمتروكين، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٩٧)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٠٤. ضوء المعالي على منظومة بدء الأمالي، لملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤)، تحقيق: عبد الحميد التركماني، ط: دارالفتح، عمان.

ط

٣٠٥. طبقات الأولياء، لابن الملقن: عمر بن علي بن أحمد، سراج الدين أبو حفص الشافعي (م:٨٠٤هــ)، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة.
٣٠٦. طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: عبد الوهاب بن تقي الدين، تاج الدين السبكي (م:٧٧١)، ط: هجر للطباعة والنشر، القاهرة.
٣٠٧. طبقات الشافعيين، لابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (م:٧٧٤)، ط: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
٣٠٨. طبقات الشعراء، لابن المعتز: عبد الله بن محمد العباسي (م:٢٩٦هــ)، ط: دار المعارف، القاهرة.
٣٠٩. طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي (م:٢٣٢هــ)، ط: دار المدني، جدة.
٣١٠. الطبقات الكبرى، لابن سعد: محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله (م:٢٣٠)، ط: دار صادر، بيروت.
٣١١. الطيوريات، لأحمد بن محمد بن أحمد، أبو طاهر السلفي الأصبهاني (م:٥٧٦هــ)، ط: مكتبة أضواء السلف، الرياض.

ظ

٣١٢. ظفَرالأماني بشرح مختصر السيد الشريف الجرجاني، لمحمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم، أبو الحسنات الأنصاري اللكنوي (م:١٣٠٤)، تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة (م:١٤١٧)، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

ع

٣١٣. العبر في خبر من غبر، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١٤. عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني، لأبي أسامة سليم بن عبد الهلالي، ط: دار ابن حزم، بيروت.

٣١٥. العرفُ الشَّذِي شرح سنن الترمذي، من إفادات محمد أنورشاه بن معظم شاه الكشميري (م:١٣٥٣)، تحقيق: عمرو شوكت، ط: دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣١٦. عصيدة الشهدة في شرح القصيدة البردة، لعمر بن أحمد بن محمد الخربوتي الحنفي (م:١٢٩٩هـــ)، ط: نور محمد كارخانه، كراتشي.

٣١٧. العظمة لأبي الشيخ: عبد الله بن محمد بن جعفر، أبو محمد الأصبهاني (م:٣٦٩)، ط: دار العاصمة، الرياض.

٣١٨. العقد الفريد، لأحمد بن محمد بن عبد ربه، المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (م:٢٣٨هـــ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١٩. العلل الواردة في الأحاديث النبوية، لعلي بن أحمد، أبو الحسن الدارقطني (م:٣٨٥)، ط: دار طيبة، الرياض.

٣٢٠. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، للعيني: محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني (م:٨٥٥)، ط: دار الحديث، ملتان.

٣٢١. عمل اليوم والليلة، لابن السني: أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري، المعروف بابن السني (م:٣٦٤هـــ)، تحقيق: عبد الرحمن كوثر بن محمد عاشق إلهي البرني، ط: دارالأرقم، بيروت.

٣٢٢. عمل اليوم والليلة، للنسائي: أحمد بن شعيب، أبو عبد الله (م:٣٩٣هـــ)، ط: دار الفكر، بيروت.

٣٢٣. عوارف المعارف، للسهروردي: عمر بن محمد بن عبد الله، شهاب الدين أبو حفص السهروردي الشافعي (م:٦٣٢هـــ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢٤. العين، للخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري (م:١٧٠هـــ)، ط: مكتبة الهلال، مصر.

٣٢٥. عيون الأثر في فنون المغازي والسير، لابن سيد الناس: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس اليعمري (م:٧٣٤هـــ)، ط: مؤسسة عز الدين، بيروت.

غ

٣٢٦. غاية المقال فيما يتعلق بالنعال، لمحمد عبدالحي بن محمد عبد الحليم، أبو الحسنات الأنصاري

اللكنوي (م:١٣٠٤)، ط: إدارة القرآن، كراتشي.
٣٢٧. غاية النهاية في طبقات القراء، للجزري: محمد بن محمد بن يوسف، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، (م:٨٣٣هـ)، ط: مكتبة ابن تيمية.
٣٢٨. غريب الحديث، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي أبو الفرْج (م:٥٩٧)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

ف

٣٢٩. الفتاوى البزازية = الجامع الوجيز (المطبوعة بهامش الفتاوى الهندية)، لمحمد بن محمد بن شهاب الدين الكردي الخوارزمي، المعروف بالبزازي (م:٨٢٧هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.
٣٣٠. الفتاوى السراجية، لعلي بن عثمان بن محمد التيمي، سراج الدين (م:٥٦٩هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٣١. فتاوى الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في مجموع المؤلفات، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٣٣٢. فتاوى اللجنة الدائمنة، تأليف: اللجنة الدائمة للبحوث العملية والإفتاء. ترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، ط: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
٣٣٣. الفتاوى الهندية = الفتاوى العالمكيرية، لجنة من العلماء برئاسة نظام الدين البلخي، ط: دار الفكر، بيروت.
٣٣٤. فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري (م:٩٢٦هـ)، دار الفكر، بيروت.
٣٣٥. فص الخواتم فيما قيل في الولائم، لابن طولون: محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الحنفي (م:٩٥٣هـ).
٣٣٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، ط: دار المعرفة، بيروت.
٣٣٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (م:٧٩٥هـ)، ط: دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.
٣٣٨. فتح القدير، لابن همام: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي (م:٨٦١)، ط: دار الفكر، بيروت.
٣٣٩. فتح المتعال في مدح النعال، لأحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني (م:١٠٤١هـ)، ط: مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن.
٣٤٠. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السخاوي (م:٩٠٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤١. فتح الملهم، للعلامة شبير أحمد بن فضل الرحمن العثماني (م:١٣٦٩)، ط: مكتبة دار العلوم، كراتشي.
٣٤٢. فتوح الشام المنسوب إلى الواقدي: محمد بن عمر بن واقد، أبو عبد الله الواقدي (م:٢٠٧هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٤٣. فتوح مصر وأخبارها، لابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (م:٢٥٧هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.
٣٤٤. الفردوس بمأثور الخطاب، للديلمي: شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي (م:٥٠٩)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٤٥. الفروق اللغوية، للعسكري: الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري (م: بعد٣٩٥)، ط: دار العلم، القاهرة.
٣٤٦. فضائل القرآن، لابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (م:٧٧٤هـ)، مكتبة ابن تيمية، مصر.
٣٤٧. فضائل القرآن، للفريابي: جعفر بن محمد بن الحسن الفِريابي (م:٣٠١هـ)، ط: مكتبة الرشد، الرياض.
٣٤٨. فضائل القرآن، للقاسم بن سلام بن عبد الله، أبو عبيد الهروي البغدادي (م:٢٢٤هـ)، ط: دار ابن كثير، بيروت.
٣٤٩. فضائل القرآن وتلاوته، للرازي: عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، أبو الفضل الرازي (م:٤٥٤هـ)، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت.
٣٥٠. فضل قيام الليل والتهجد، للآجرّي: محمد بن الحسين بن عبد الله (م:٣٦٠هـ)، ط: دار الخضيري، المدينة المنورة.
٣٥١. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: مكتبة دار البيان، دمشق.
٣٥٢. فقه السنة، لسيد سابق (م:١٤٢٠)، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٥٣. فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (م:٤٢٩هـ)، ط: إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٥٤. فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل وغيرهم من العباد والزاهدين، لمحمد بن علي بن عمر، أبو سعيد النقاش (م:٤١٤هـ)، ط: دار ابن حزم، بيروت.
٣٥٥. الفوائد المجموعة، للشوكاني: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (م:١٢٥٠)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.
٣٥٦. فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (م:٧٦٤)، ط: دار صادر، بيروت.
٣٥٧. فيض الباري على صحيح البخاري، أمالي محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري

(م:١٣٥٣)، ط: مطبعة حجازي، القاهرة.
٣٥٨. فيض القدير، للمناوي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي (م:١٠٣١)، ط: المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
٣٥٩. في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (م:١٣٨٥هـ)، ط: دار الشروق، مصر.
٣٦٠. المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (م:٥٠٢)، ط: دار المعرفة، بيروت.

ق

٣٦١. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: مكتبة الفرقان، الإمارات.
٣٦٢. قصص الأنبياء، لابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (م:٧٧٤)، ط: مطبعة دار التأليف، القاهرة.
٣٦٣. القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للسخاوي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السخاوي (م:٩٠٢)، تحقيق: محمد عوامة، ط: مؤسسة الريان، بيروت.
٣٦٤. قواعد في علوم الحديث، لظفر أحمد بن لطيف العثماني التهانوي (م:١٣٩٤)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة (م:١٤١٧)، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت.
٣٦٥. قيام الليل، للمَروزي: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، (م:٢٩٤هـ)، اختصره أحمد بن علي المقريزي (م:٨٤٥)، ط:حديث أكادمي، فيصل آباد.

ك

٣٦٦. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، تحقيق: محمد عوامة حفظه الله، ط: دار المنهاج، جدة.
٣٦٧. الكامل في التاريخ، لابن الأثير: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري (م:٦٣٠)، ط: دار الكتب العربي، بيروت.
٣٦٨. الكامل في اللغة والأدب، للمبرد: محمد بن يزيد الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (م:٢٨٦)، ط: دار الفكر العربي، القاهرة.
٣٦٩. كتاب الأذكياء، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٩٧هـ)، ط: مكتبة الغزالي، دمشق.
٣٧٠. الكتاب المقدس (التوراة، والإنجيل). وهو مقدس عندهم.
٣٧١. كرامات الأولياء، للالكائى: هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (م:٤١٨)،

ط: دار طيبة الرياض.
٣٧٢. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد أعلى بن علي بن حامد التهانوي (م: ١١٩١م)، ط: سهيل أكيدمي، لاهور.
٣٧٣. الكشاف عن حقائق التنْزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر، أبو القاسم، جار الله الزمخشري (م:٥٣٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٧٤. كشاف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي الحنبلي (م:١٠٥١هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٧٥. كشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، لإبراهيم بن محمد بن خليل، برهان الدين الحلبي الطرابلسي الشافعي (م:٨٤١هـ)، ط: عالم الكتب، بيروت.
٣٧٦. كشف الخَفاء ومزيل الإلباس، لإسماعيل بن محمد العجلوني (م:١١٦٢)، ط: دار إحياء التراث، بيروت.
٣٧٧. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، المشهور باسم حاجي خليفة (م:١٠٦٧)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٧٨. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٩٧هـ)، ط: دار الوطن، الرياض.
٣٧٩. الكشكول، لمحمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني (م:١٠٣١هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٨٠. الكليات، لأبي البقاء الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني أبو البقاء الكفوي (م:١٠٩٤هـ)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٨١. كنْز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي: علي بن حسام الدين (م:٩٧٥هـ)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٨٢. كنوز الذهب في تاريخ حلب، لأحمد بن إبراهيم أبي ذر سبط ابن العجمي (م:٨٨٤هـ)، دار القلم، حلب.

ل

٣٨٣. اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٨٤. لامع الدراري على جامع البخاري، إفادات الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي (م:١٣٢٣)، التعليقات لمحمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي المهاجر المدني (م:١٤٠٢)، ط: ايج ايم سعيدكمبني، كراتشي.

٣٨٥. لباب الآداب، للثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (م:٨٦٧)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٨٦. لسان العرب، لابن منظور: محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي (م:٧١١)، ط: دار صادر، بيروت.
٣٨٧. لسان الميزان، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، ط: إدارة تاليفات أشرفية، ملتان.
٣٨٨. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرةالمضية في عقد الفرقة المرضية، للسفاريني: محمد بن أحمد بن سالم، أوالعون السفاريني الحنبلي (م:١١٨٨هـ)، ط: مؤسسة الخافقين، دمشق.

م

٣٨٩. ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان، لمحمود شكري بن عبد الله بن محمد الآلوسي (م:١٣٤٢هـ) حفيد صاحب روح المعاني، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.
٣٩٠. المبدع في شرح المقنع، لابن مفلح: إبراهيم بن محمد بن عبد الله، أبو إسحاق الدمشقي (م:٨٨٤هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٩١. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء ا لدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (م:٦٣٧هـ)، ط: دار نهضة، مصر.
٣٩٢. مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٩٧هـ)، ط: دار الحديث، القاهرة.
٣٩٣. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي (م:٣٥٤)، ط: دار الوعي، حلب.
٣٩٤. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تصدر من الجامعة الإسلامية.
٣٩٥. مجلة المنار، لمجموعة من المؤلفين، تحت إشراف محمد رشيد بن علي رضا المصري (م:١٣٥٤هـ)، ط: القاهرة.
٣٩٦. مجمع الأمثال، للميداني: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو الفضل النيسابوري (م:٥١٨هـ)، ط: دار المعرفة، بيروت.
٣٩٧. مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، لعبد الرحمن بن محمد، المدعو بـ شيخي زاده، المعروف بداماد أفندي (م:١٠٧٨هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٩٨. مجمع الزوائد، لعلي بن أبي بكر نور الدين الهيثمي (م:٨٠٧)، ط: دار الفكر، بيروت.
٣٩٩. المجموع شرح المهذب، للنووي: يحيى بن شرف، أبو زكريا محيي الدين النووي (م:٦٧٦)، ط:

دار الفكر، بيروت.
٤٠٠. مجموع الفتاوى، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨هـ)، ط: مجمع الملك فهد.
٤٠١. المحاسن والمساوي، لإبراهيم بن محمد البيهقي (م:نحو٣٢٠هـ)، ط: مطبعة السعادة، مصر.
٤٠٢. محاضرات الأدباء، للأصفهاني: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (م:٥٠٢)، ط: شركة دار الأرقم، بيروت.
٤٠٣. المختار من فرائد النقول والأخبار، لمحمد عوامة، ط: دار المنهاج.
٤٠٤. مختصر تفسير ابن كثير، اختصار: محمد علي الصابوني، ط: دار القرآن الكريم، بيروت.
٤٠٥. مختصر المعاني، لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (م:٧٩٣)، ط: ايج ايم سعيد كمبني، كراتشي.
٤٠٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.
٤٠٧. مدارك التنْزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي، لعبد الله بن أحمد بن محمود، أبو البركات النسفي (:م٧٠١)، ط: دار الفكر، بيروت.
٤٠٨. المدخل، لابن الحاج: محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي، الشهير بابن الحاج (م:٧٣٧هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.
٤٠٩. مرآة الجِنَان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لليافعي: عبد الله بن أسعد بن علي، أبو محمد اليافعي (م:٧٦٨)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٤١٠. مراقي الفلاح بإمداد الفتاح شرح نور الإيضاح ونجاة الأرواح، للشرنبلالي: حسن بن عمار بن علي الحنفي (م:١٠٦٩هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٤١١. مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر، للغماري: عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري (م:١٣٨٢هـ)، دار الحديث، القاهرة.
٤١٢. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمباركفوري: عبد الله بن محمد عبدالسلام (م:١٤١٤هـ)، ط: الجامعة السلفية، بنارس، الهند.
٤١٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤)، ط: مكتبة إمدادية، ملتان.
٤١٤. مُرُوْج الذّهب ومعادن الجوهر، للمسعودي: علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي (م:٣٤٦)، ط: دار الأندلس، بيروت.
٤١٥. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٤١٦. مسألة خلق القرآن وأثرها في صفوف الرواة، لعبد الفتاح أبي غدة (م:١٤١٧)، مكتبة

المطبوعات الإسلامية، حلب.
٤١٧. المستدرك على الصحيحين، للحاكم: محمد بن عبد الله (م:٤٠٥)، ط: دار ابن حزم، بيروت.
٤١٨. المستطرف في كل فن مستظرف، لمحمد بن أحمد بن منصور، أبو الفتح الأبشيهي (م:٨٥٢هـ)، ط: عالم الكتب، بيروت.
٤١٩. مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي أبو يعلى الموصلي (م:٣٠٧)، تحقيق: حسين سليم أسد، ط: دار المأمون، دمشق.
٤٢٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (م:٢٤١) بتحقيق شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤٢١. مسند الشافعي، ترتيب محمد عابد السندي (م:١٢٥٧)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٢٢. مسند الشاميين، للطبراني: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (م:٣٦٠)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤٢٣. مسند الشهاب، لمحمد بن سلامة بن جعفر القضاعي المصري (م:٤٥٤)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤٢٤. مسند عبد بن حميد، لعبد بن حميد بن نصر، أبو محمد الكَشِّي (م:٢٤٩)، ط: مكتبة السنة، القاهرة.
٤٢٥. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، لأبي نعيم: أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصفهاني (م:٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٢٦. مشكلات القرآن، لمحمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري (م:١٣٥٣)، ط: إدارة القرآن، كراتشي.
٤٢٧. مشكل الآثار، للطحاوي: أحمد بن محمد بن سلامة، أبو جعفر الأزدي المصري، المعروف بالطحاوي (م:٣٢١)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤٢٨. مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام، لمحمد بن موسى، ابن النعمان الزركشي التلمساني (م:٦٨٣)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٢٩. مصنف عبد الرزاق، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (م:٢١١)، ط: المجلس العلمي، الهند.
٤٣٠. المصنف لابن أبي شيبة = الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي (م:٢٣٥)، تحقيق: محمد عوامة، ط: المجلس العلمي، الهند.
٤٣١. المصنوع في معرفة الحديث الموضوع = الموضوعات الصغرى، لملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة (م١٤١٧)، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت.
٤٣٢. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م٨٥٢)، ط: دار العاصمة، السعودية.

٤٣٣. المعارف، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّيْنَوَرِي (م:٢٧٦هـ)، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٤٣٤. معارف السنن، لمحمد يوسف الحسيني البنوري (م:١٣٩٧)، ط: ايج ايم سعيد كمبني، كراتشي.
٤٣٥. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (م:٣١١هـ)، ط: عالم الكتب، بيروت.
٤٣٦. معاهدة التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم بن عبدالرحمن بن أحمد العباسي المصري (م:٩٦٣هـ)، ط: عالم الكتب، بيروت.
٤٣٧. معجم ابن الأعرابي، لأحمد بن محمد بن زياد، أبو سعيد ابن الأعرابي البصري (م:٣٤٠)، ط: دار ابن الجوزي، السعودية.
٤٣٨. معجم ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر (م:٥٧١هـ)، ط: دار البشائر، دمشق.
٤٣٩. المعجم الأوسط، للطبراني: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (م:٣٦٠)، تحقيق: طارق بن عوض الله، ط: دار الحرمين، القاهرة.
٤٤٠. معجم السفر، لأبي طاهر السِّلفي: أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني (م:٥٧٦)، ط: المكتبة التجارية، المكة المكرمة.
٤٤١. معجم الشعراء، لمحمد بن عمران المرزباني (م:٣٨٤هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٤٢. المعجم الصغير، للطبراني: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (م:٣٦٠)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.
٤٤٣. معجم لغة الفقهاء، لحامد ومحمد رواس، ط: دار النفائس، بيروت.
٤٤٤. المعجم الكبير، للطبراني: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (م:٣٦٠) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
٤٤٥. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لعبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (م:٤٨٧هـ)، ط: عالم الكتب، بيروت.
٤٤٦. معجم المؤلفين، لعمر بن رضا بن محمد كحالة الدمشقي (م:١٤٠٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٤٧. معرفة السنن والآثار، للبيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، (م٤٥٨) تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط: دار الوفاء، القاهرة.
٤٤٨. معرفة الصحابة، لأبي نعيم: أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (م:٤٣٠)، ط: دار الوطن، الرياض.
٤٤٩. المعلقات السبع، ط: دار القلم، بيروت.

٤٥٠. المغازي، للواقدي: محمد بن عمر بن واقد، أبو عبد الله الواقدي (م:٢٠٧)، ط: عالم الكتب، بيروت.

٤٥١. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار= تخريج أحاديث الإحياء، المطبوع بهامش الإحياء، للعراقي: عبد الرحيم بن الحسين أبو الفضل زين الدين (م:٨٠٦)، ط: دار المعرفة، بيروت.

٤٥٢. المغني في الضعفاء، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، ط: دار إحياء التراث الإسلامي، قطر.

٤٥٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام: عبد الله بن يوسف بن أحمد، جمال الدين (م:٧٦١هـ)، ط: مكتبة القاهرة، مصر.

٤٥٤. مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني (م:٩٧٧هـ)، وهو شرح على منهاج الطالبين للنووي (م:٦٧٦هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٥٥. المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير، للغماري: أحمد بن الصديق الغماري (م:١٢٨٠هـ)، ط: شركة دار المشاريع، بيروت.

٤٥٦. مفاتيح العلوم، للخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله الخوازمي (م:٣٨٧)، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٥٧. مفاهيم يجب أن تصحح، لمحمد بن علوي بن عباس المالكي المكي، ط: مطبعة المساحة، الخرطوم.

٤٥٨. مفتاح العلوم، ليوسف بن أبي بكر السكاكي الخوارزمي (م:٦٢٦هـ)، ط: إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٥٩. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي (م:١٤٠٨هـ)، ط: دار الساقي، بيروت.

٤٦٠. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي: أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس القرطبي (م:٦٥٦هـ)، ط: دار ابن كثير، دمشق.

٤٦١. المقاصد الحسنة، للسخاوي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (م:٩٠٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦٢. مقالات الإسلاميين، للأشعري: علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن الأشعري (م:٣٢٤)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٦٣. مقالات الكوثري، لمحمد زاهدبن الحسن الكوثري (م:١٣٧١)، ط: ايج ايم سعيد كمبني، كراتشي.

٤٦٤. مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزوييني الرازي (م:٣٩٥)، ط: دار الفكر، بيروت.

٤٦٥. مقدمة ابن الصلاح = معرفة أنواع علوم الحديث، لعثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو تقي الدين، المعروف بابن الصلاح، (م:٦٤٣)، ط: دار الفكر، بيروت.

٤٦٦. المقفى الكبير، للمقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقريزي (م:٨٤٥هـ)، ط:

دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٤٦٧. مكايد الشيطان، لابن أبي الدنيا: عبدالله بن محمد بن عبيد البغدادي، الشهير بابن أبي الدنيا (م:٢٨١هـــ)، وهو جزء من موسوعة ابن أبي الدنيا، ط: المكتبة العصرية، بيروت.

٤٦٨. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.

٤٦٩. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (م:١٣٦٧)، ط: دار إحياء الكتب العربية، مصر.

٤٧٠. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٩٧)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٧١. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: مؤسسة قرطبة، القاهرة.

٤٧٢. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني (م:٦٨٤هـــ) ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٤٧٣. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، لابن تغري بردي: أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ط:٧٨٤)، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٤٧٤. المنهيات، للحكيم الترمذي: محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي (م: نحو ٣٢٠هـــ)، ط: مكتبة القرآن، القاهرة.

٤٧٥. المواقف، لعبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، عضد الدين الإيجي (م:٧٥٦هـــ)، ط: دار الجيل، بيروت.

٤٧٦. المواهب اللدنية، للقسطلاني: أحمد بن محمد بن أبي بكر (م:٩٢٣هـــ)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٧٧. الموطأ، لمالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني (م:١٧٩) ، ط: دار إحياء التراث العربي.

٤٧٨. موطأ محمد = موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني (م:١٨٩)، ط: قديمي كتب خانه، كراتشي.

٤٧٩. موضح أوهام الجمع والتفريق، للخطيب البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت (م:٤٦٣هـــ)، ط: دار العاصمة، الرياض.

٤٨٠. الموضوعات، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٩٧)، ط: دار الحديث، القاهرة.

٤٨١. ميزان الاعتدال، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، ط: دار الفكر العربي، بيروت.

ن

٤٨٢. النبوات، لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، تقي الدين ابن تيمية الحراني (م:٧٢٨)، ط: دار ابن الجوزي، الدمام.
٤٨٣. نثر المرجان من مشكلات القرآن، لمحمد أفضل خان.
٤٨٤. النحو الوافي، لعباس حسن (م:١٣٩٨هـ)، ط: دار المعارف، القاهرة.
٤٨٥. نزهة المجالس ومنتخب النفائس، لعبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (م:٨٩٤هـ)، ط: المطبعة الكاستلية، مصر.
٤٨٦. نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض، للخفاجي: أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي (م:١٠٦٩هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.
٤٨٧. نفحة العرب، لإعزاز علي الأمروهي الديوبندي (م:١٣٧٤هـ)، ط: قديمي كتب خانه، كراتشي.
٤٨٨. النكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، ط: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
٤٨٩. النكت والعيون = تفسير الماوردي، علي بن محمد بن حبيب الماوردي (م:٤٥٠)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٩٠. نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي (م:٧٣٣)، ط: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
٤٩١. نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، لرفاعة رافع بن بدوي بن علي الطحطاوي (م:١٢٩٠هـ)، ط: دار الذخائر، القاهرة.
٤٩٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري (م:٦٠٦)، ط: دار الفكر، بيروت.
٤٩٣. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لمحمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة، شهاب الدين الرملي، الشهير بالشافعي الصغير (م:١٠٠٤هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.
٤٩٤. نوادر الأصول في أحاديث الرسول، للحكيم الترمذي: محمد بن علي بن الحسن (م: نحو٣٢٠)، ط: دار الجيل، بيروت.

ه

٤٩٥. الهداية، لعلي بن أبي بكر، برهان الدين الفرغاني المرغيناني (م:٥٩٣)، ط: مكتبة شركة علمية، ملتان.
٤٩٦. هداية الحكمة، لمفضل بن عمر بن مفضل، أثير الدين الأبهري (م:٦٦٣هـ)، ط: ايج ايم سعيد

كمبني، كراتشي.
٤٩٧. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: دار القلم، السعودية.
٤٩٨. هَدْيُ الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م٨٥٢)، ط: دار المعرفة، بيروت.
٤٩٩. الهواتف، لابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي، الشهير بابن أبي الدنيا (م:٢٨١هـ)، وهو جزء من موسوعة ابن أبي الدنيا، ط: المكتبة العصرية، بيروت.
٥٠٠. الهيئة الصغرى، لمحمد موسى الروحاني البازي (م:١٤١٩هـ)، ط: إدارة التصنيف والأدب، لاهور.

و

٥٠١. الوافي بالوفيات، للصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (م:٧٦٤)، ط: دار إحياء التراث، بيروت.
٥٠٢. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، للسمهودي: علي بن عبدالله بن أحمد، نور الدين أبوالحسن السمهودي (م:٩١١هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٠٣. الوفا بأحوال المصطفى، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٩٧هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٠٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن إبراهيم، ابن خلكان البرمكي الإربلي (م:٦٨١)، ط: دار صادر، بيروت.

المصادر الأجنبية

٥٠٥. آب حیات، مولانا محمد قاسم نانوتوی (م:۱۲۹۷ھ)، ط: ادارہ تالیفات اشرفیہ، ملتان۔
٥٠٦. آپ کے مسائل اور ان کا حل، مولانا محمد یوسف لدھیانوی (م:۱۴۲۱ھ)، ط: مکتبہ لدھیانوی کراتشی۔
٥٠٧. ارشاد الشیعہ، مولانا سرفراز خان صفدر (م:۱۴۳۰ھ)، ط: مکتبہ صفدریہ، گوجرانوالہ۔
٥٠٨. الإرشاد المفید لعلماء جماعۃ التوحید، مولانا خان بادشاہ۔
٥٠٩. امداد الفتاوی، حکیم الامت مولانا اشرف علی تھانوی (م:۱۳۶۲ھ)، ط: مکتبہ دار العلوم، کراچی۔
٥١٠. بائبل سے قرآن تک (اردو ترجمہ وشرح اظہار الحق)، ترجمہ: مولانا اکبر علی، شرح وتحقیق: مفتی محمد تقی عثمانی، ط: دار العلوم کراچی۔
٥١١. باقیات فتاوی رشیدیہ، نور الحسن راشد کاندھلوی، ناشر: حضرت مفتی الٰہی بخش اکیڈمی، مظفر نگر، یوپی۔

٥١٢. تاریخ فرشتہ / گلزار ابراہیمی، محمد قاسم بن غلام علی اِستر آبادیں معروف بہ ہندو شاہ، ملقب بہ فرشتہ (م:١٠٣١ھ)، ط:مطبع نول کشور، لکھنؤ۔
٥١٣. تبرکات انبیاء کا تصویری البم، مولانا ارسلان بن اختر میمن، ط:مکتبہ ارسلان، کراچی۔
٥١٤. تحذیر الناس من إنکار أثر ابن عباس، مولانا محمد قاسم النانوتوی (م١٢٩٧ھ)، ط:مکتبہ حفیظیہ، گوجرانوالہ۔
٥١٥. تحریرات حدیث، مولانا حسین علی پنجابی۔
٥١٦. تذکرۃ الرشید، مولانا عاشق الٰہی میرٹھی، ط:کتب خانہ اشاعت العلوم، محلہ مفتی، سہارنپور۔
٥١٧. تسکین الصدور فی تحقیق احوال الموتی فی البرزخ والقبور، مولانا سرفراز خان صفدر (م:١٤٣٠ھ)، ط: مکتبہ صفدریہ، گوجرانوالہ۔
٥١٨. تفسیر عزیزی، شاہ عبد العزیز بن احمد (ولی اللہ) بن عبد الرحیم دہلوی (م:١٢٣٩ھ)، ط: ایچ ایم سعید کمپنی، کراچی۔
٥١٩. جہانِ دیدہ، مفتی محمد تقی عثمانی حفظہ اللہ، ط:ادارۃ المعارف، کراچی۔
٥٢٠. جواہر التوحید، مولانا غلام اللہ خان، ط:کتب خانہ رشیدیہ، راولپنڈی۔
٥٢١. جواہر الفقہ، مفتی محمد شفیع بن مولانا محمد یاسین عثمانی دیوبندی (م:١٣٩٦ھ)، ط:مکتبہ دار العلوم، کراچی۔
٥٢٢. جواہر القرآن، مولانا حسین علی، ترتیب: مولانا غلام اللہ خان، ط:کتب خانہ رشیدیہ، راولپنڈی۔
٥٢٣. حیاۃ المسلمین، مولانا اشرف علی تھانوی (م:١٣٦٢ھ)، ط: ادارۃ المعارف، کراچی۔
٥٢٤. خطبات حکیم الامت (بترتیب جدید)، مولانا محمد اشرف علی تھانوی (م:١٣٦٢ھ)، ط:ادارہ تالیفات اشرفیہ، ملتان۔
٥٢٥. سماع موتی، مولانا سرفراز خان صفدر (م:١٤٢٩ھ)، ط:مکتبہ صفدریہ، گوجرانوالہ۔
٥٢٦. سیرت خاتم الانبیاء، مفتی محمد شفیع بن مولانا محمد یاسین عثمانی دیوبندی (م:١٣٩٦ھ)، ط:دار الاشاعت، کراچی۔
٥٢٧. سیرت سید الکونین شرح قصیدہ بردہ، مولانا مختار احمد اصلاحی اعظمی۔
٥٢٨. شوق حدیث، مولانا سرفراز خان صفدر (م:١٤٣٠ھ)، ط:انجمن اسلامیہ، گوجرانوالہ۔
٥٢٩. عبارات اکابر، مولانا سرفراز خان صفدر (م:١٤٢٩ھ)، ط:مدرسہ نصرت العلوم، گوجرانوالہ۔
٥٣٠. علم جدید کا چیلنج، مولانا وحید الدین خان، ط: مجلس تشریعات اسلام، کراچی۔
٥٣١. علوم القرآن، صُبحی صالح، ترجمہ: غلام احمد حریری، ط:کشمیر بکڈپو، فیصل آباد۔
٥٣٢. علوم القرآن، مفتی محمد تقی عثمانی، ط:مکتبہ دار العلوم، کراچی۔
٥٣٣. علوم القرآن، مولانا شمس الحق افغانی (م:١٤٠٣ھ)، ط:میزان، کراچی۔
٥٣٤. عیون العرفان فی علوم القرآن، مولانا مظہر الدین احمد بلگرامی، ط: مجلس نشریات اسلام، کراچی۔

٥٣٥. فتاوی دارالعلوم زکریا، مفتی رضاء الحق صاحب شیخ الحدیث ومفتی دارالعلوم زکریا، جنوبی افریقہ، ط: زمزم پبلشرز، کراچی۔
٥٣٦. فتاوی رحیمیہ، مفتی عبدالرحیم لاجپوریں، ط: مکتبہ رحمانیہ، لاہور۔
٥٣٧. فتاوی رشیدیہ، مولانا رشید احمد گنگوہی (م:۱۳۲۳ھ)، ط: مکتبہ رحمانیہ، لاہور۔
٥٣٨. فتاوی شیخ الاسلام (مولانا حسین احمد مدنی)، ترتیب: مفتی سلمان منصور پوری، ط: جمعیۃ پبلیکیشنز، اردو بازار، لاہور۔
٥٣٩. فتاوی عثمانی، مفتی محمد تقی عثمانی حفظہ اللہ، ط: مکتبہ معارف القرآن، کراچی۔
٥٤٠. فتاوی فریدیہ، مفتی محمد فرید بن حبیب اللہ (م:١٤٣٢ھ)، ط: دار العلوم صدیقیہ، زروبی، پاکستان۔
٥٤١. فتاوی محمودیہ، مفتی محمود حسن گنگوہی (م:۱۴۱۵ھ)، ط: کتب خانہ مظہری، کراچی۔
٥٤٢. فضائل اعمال، مولانا محمد زکریا بن محمد یحیی کاندھلوی مہاجر مدنی (م:۱۴۰۲ھ)، ط: دار الاشاعت، کراچی۔
٥٤٣. فلکیات جدیدہ، مولانا محمد موسی روحانی بازی (م:۱۴۱۹ھ)، ط: ادارۃ التصنیف والادب، لاہور۔
٥٤٤. قصص القرآن، مولانا حفظ الرحمن سیوہاروی (م:۱۳۸۲ھ)، ط: دارالاشاعت، کراچی۔
٥٤٥. کشکول، مفتی محمد شفیع بن مولانا محمد یاسین عثمانی دیوبندی (م:۱۶۹۶ھ)، ط: دار الشاعت کراچی۔
٥٤٦. کفایت المفتی، مولانا محمد کفایت اللہ دھلوی (م:۱۳۷۲ھ)، ط: دارالاشاعت، کراچی۔
٥٤٧. مثنوی مولوی معنوی، محی الدین مولانا جلال الدین بلخی رومی (م:۶۷۲ھ)، ط: دارالاشاعت، کوئٹہ، پاکستان۔
٥٤٨. المہند علی المفند، مولانا خلیل احمد سہارنپوری (م:۱۳۴۶ھ)، ط: مکتبہ مدنیہ، لاہور۔
٥٤٩. معارف القرآن، مفتی محمد شفیع بن مولانا محمد یاسین عثمانی دیوبندی (م۱۳۹۶ھ)، ط: ادارۃ المعارف، کراچی۔
٥٥٠. معارف القرآن، مولانا محمد ادریس کاندھلوی (م۱۳۹۴ھ)، ط: مکتبۃ المعارف، شہدادپور، سندھ۔
٥٥١. مقالات احسانی، مولانا سید مناظر احسن گیلانی (م:۱۳۷۵ھ) ں طگ النبراس، کراچی۔
٥٥٢. مکتوبات شیخ الاسلام (مولانا حسین احمد مدنی، م:۱۳۷۷ھ)، مرتب: مولانا نجم الدین اصلاحی، طگ مکتبہ دینیہ، دیوبند۔
٥٥٣. نشر الطیب فی ذکر الحبیب، مولانا اشرف علی تھانوی، حکیم الامت (م:١٣٦٢ھ)، ط: کتب خانہ اشاعت العلوم، سہارنپور۔
٥٥٤. نقش حیات (خود نوشت سوانح حیات)، مولانا حسین احمد مدنی، ط، الجمعیۃ پریس، دہلی۔
٥٥٥. نور وبشر، مولانا سرفراز خان صفدر (م:١٤٣٠ھ)، ط: مکتبہ صدریہ، گوجرانوالہ۔
٥٥٦. ہدایات الشیعہ، مولانا خلیل احمد سہارنپوری (م:۱۳۴۶ھ)، ط: المکتبۃ المدنیۃ، لاہور۔

فهرس الموضوعات